

## مذكرات

عزیز شریف

حقوق النشر محفوظة لدى الناشر

الدكتور عصام عزیز شریف

شباط 2010

ISBN 9 – 8 – 9500016 – 3



عزیز شریف

(6 تشرين الثاني 1904 – 21 نيسان 1990)

## الفهرست

- 8 تقديم بروفيسور الدكتور عزالدين مصطفى رسول
- 15 تقديم الدكتور عصام عزيز شريف (الناشر)
- 15 التركة الفكرية والسياسية والاجتماعية لعزیز شريف
- 16 مرحلة الطفولة والشباب
- 19 المساهمة في تأسيس حركة الاهالي
- 25 تأسيس حزب الشعب
- 28 الحركة الديموقراطية في العراق خلال الفترة 1944-1946
- 32 كيف إفتقرت سبل الديموقراطيين العراقيين اثناء التحضير لإقامة الدولة الصهيونية
- 34 هل كان حزب الشعب معادياً للحزب الشيوعي العراقي السري؟
- 37 موقف عزيز شريف من المسألة الفلسطينية
- 42 عزيز شريف من وجهة نظر المخابرات الغربية
- 44 النضال السري خلال الفترة 1948 – 1956
- 50 النشاط الفكري والسياسي خلال الفترة تموز 1956 – تموز 1958
- 55 إدراك عزيز شريف المبكر للمخاطر الممكن ان تترتب على حركة 14 تموز المسلحة في العراق
- 63 النشاطات السياسية والفكرية في جمهورية 14 تموز
- 67 التفرغ لحل المسألة الكردية
- 73 النشاطات في العالم الخارجي
- 75 موقف عزيز شريف من مسألة رفع الحزب الشيوعي العراقي للسلاح في كردستان
- 86 وصية عزيز شريف إلى رفاق الطريق
- 89 الخاتمة
- 91 ملحق خاص بالناشر رقم 1
- 98 ملحق خاص بالناشر رقم 2
- 102 ملحق خاص بالناشر رقم 3
- 103 من هو ستالين؟
- 103 إرتباط ستالين بالاوخرانة وبمن وراء الاوخرانة
- 105 هل واصل ستالين سياسة لنين؟
- 106 تكامل مهمات وإنجازات ستالين وهتلر
- 111 كيف اصبح الإتحاد السوفياتي معتمداً في غذاءه على الغرب
- 112 ظاهرة عبادة الفرد في الإتحاد السوفياتي

- 112 الاهداف الخفية من وراء عملية نقل التكنولوجيا الامريكية إلى الإتحاد السوفياتي قبل الحرب
- 114 إفلات هتلر من قبضة بريطانيا والولايات المتحدة
- 116 إغراءات ستالين لهتلر في غزو الإتحاد السوفياتي
- 121 القضاء على الماكنة الحربية النازية
- 125 ستالين المنفذ الحقيقي لمشروع إقامة الدولة الصهيونية على التراب الفلسطيني
- 130 تأليه ستالين
- 132 فضح عبادة الفرد والبدائل المستحدثة للستالينية في دعم النظام العالمي الجديد
- الجزء الاول: معضلات التحرر الوطني في العراق منذ الاحتلال البريطاني إلى سقوط جمهورية
- 136 العارفين
- 137 الفصل الاول: الإستعمار البريطاني للعراق
- 137 العرب والكردي في الاعوام الاولى للحرب
- 140 الإحتلال البريطاني للعراق
- 144 انتفاضة السليمانية الاولى وثورة العشرين
- 146 مؤتمر القاهرة وتنصيب فيصل ملكاً على العراق
- 150 اختيار الشيخ محمود الحفيد ملكاً على كردستان
- 151 اجراءات عصبة الامم
- 154 الفصل الثاني: الانتفاضات الكردية
- 154 المسألة الاثورية
- 156 انتفاضة السليمانية في عام 1929
- 163 انتفاضة البارزانيين عام 1931
- 168 الفصل الثالث: الصراع على السلطة بين رجال العهد الملكي
- 168 حزب الاخاء الوطني
- 171 وفاة الملك فيصل وتتويج الملك غازي
- 173 الهاشمي والمسألة الفلسطينية
- 174 ظهور الشعبوية وانقلاب بكر صدقي
- 182 حركة نيسان - ايار 1941
- 188 الفصل الرابع: الإنتفاضة الكردية عام 1943
- 188 مقدمات الانتفاضة
- 188 مسيرة البارزاني نحو قيادة الانتفاضة
- 191 ظواهر الارتداد في عهد نوري السعيد
- 192 دور هيفا - الامل في إنتفاضة 1943 والنضالات اللاحقة
- 194 موضوع قومية الايزيديين
- 196 المجابه العسكرية عام 1945
- 197 الشرارة - فانفجار البارود (الحرب)

|            |   |
|------------|---|
| 198        | الإنسحاب نحو منطقة كردستان - ايران                                      |
| <b>200</b> | <b>الفصل الخامس: جمهورية 14 تموز</b>                                    |
| 200        | ثورة 14 تموز  |
| 208        | التوجه نحو الحرب ضد الحركة القومية الكردية                              |
| 214        | انهيار نظام جمهورية 14 تموز   |
| 215        | نجاتي من الموت المحقق   |
| 218        | موقف القيادة الكردية من إنقلاب 8 شباط                                   |
| <b>220</b> | <b>الفصل السادس: عهد العارفين</b>                                       |
| 220        | إنقلاب تشرين الثاني 1963  |
| 221        | عبد الرحمن البزاز   |
| 221        | معركة هندرين  |
| 224        | شركة النفط الوطنية  |
| 225        | أنشقاق الحزب الشيوعي  |
| 228        | ضباط القصر الجميلين   |
| 229        | اوليات صلتي بالبارزاني في منطقة الثورة                                  |
| 234        | القيادات القومية العربية والمسألة الكردية                               |
| 236        | سفري إلى خارج العراق للإتصال بالاوساط العربية والسوفياتية               |
| 243        | تكليفي من قبل البارزاني لتمثيله في البلاد العربية                       |
| 247        | الإننتقال الى دمشق والإتصال بالاوساط العربية                            |
| 255        | نتائج المساعي الدبلوماسية   |
| <b>263</b> | <b>ملحق خاص بالمراسلات المرتبطة بالجزء الاول</b>                        |
| <b>279</b> | <b>الجزء الثاني: الحرب والسلم في كردستان العراق</b>                     |
| <b>280</b> | <b>الفصل السابع: اوليات توسطي من أجل حل المسألة الكردية في عام 1968</b> |
| 280        | طرح فكرة توسطي من أجل حل المسألة الكردية                                |
| 281        | اهم العوامل الدافعة إلى التفاوض بالنسبة إلى سلطة البعث الثانية          |
| 283        | حاجة الجماهير الكردية إلى السلم   |
| 292        | مقابلة الرئيس احمد حسن البكر وإقتراحي لحل المسألة الكردية               |
| 306        | تكوين المجلس الوطني للسلم والتضامن في الجمهورية العراقية                |
| <b>308</b> | <b>الفصل الثامن: المفاوضات بين السلطة والقيادة الكردية</b>              |
| 308        | السفرة السرية الاولى  |
| 316        | محاولة للعودة إلى المفاوضات   |
| 318        | إنفاقية آذار  |
| 324        | لجنة السلام واللجنة العليا للإشراف على تنفيذ إنفاقية آذار               |
| <b>326</b> | <b>الفصل التاسع: الترددي على خط آذار حتى نقطة الإلقاء</b>               |
| 326        | الحرب في بيرس وبيرة كبرة وعلى مشارف بارزان                              |

- 333 صفحة من مأساة العائلة البارزانية  
 338 الإعتداء على حياة مصطفى البارزاني  
 345 المحاولة الثانية لإغتيال مصطفى البارزاني  
 349 تدبير الإعتداء على حياة إدريس  
 353 المراسلات التي جرت بين البارزاني والرئيس البكر خلال الفترة آذار - تموز 1971

### 366 الفصل العاشر: إعتداءات من جانب السلطة وتفاقمها

- 366 الحرب في كله كين  
 373 مشاكل عقرة في عامي 1971 - 1972  
 385 مستوى جديد في المجابهة المخططة من الحكومة صراحةً  
 389 أحداث خانقين  
 395 أحداث النزاع في جبل ومدينة سنجار وبالإرتباط بها في قضاء شيخان  
 403 تفاقم الحرب الإعلامية حتى الذروة  
 405 تعقد الوصول إلى البارزاني

### 407 الفصل الحادي عشر: علائق القيادة الكردية بالحزب الشيوعي وبإيران

- 407 الحوار حول الجبهة  
 411 إنكشاف مسألة تجارة البعث بالمسألة الفلسطينية  
 412 ميلاد الجبهة العسير  
 415 مصادمات مسلحة بين الحزب الشيوعي وقوات الحزب الديمقراطي الكردستاني  
 421 ملاحظات حول علاقة القيادة الكردية بإيران وما وراء إيران  
 423 العلائق بين القيادة الكردية في العراق وكرد إيران  
 426 مسألة تهريب اليهود  
 429 إفتراء الإرهابي بيغن  
 430 ملاحظات خاصة بالناشر بخصوص العلائق بين القيادة الكردية والموساد

### 433 الفصل الثاني عشر: التوجه نحو القطيعة

- 433 تأليف اللجنة العليا لشؤون الشمال ومن طرف واحد  
 441 تحديد محتوى صلاحيات الحكم الذاتي  
 443 القضاء على عبد الخالق بموجب سيناريو المؤامرة المنسوبة إلى ناظم كزار  
 446 إنتهاء علاقتي بالمفاوضات

### 452 الفصل الثالث عشر: الحرب الخامسة ومآسيها

- 452 معاهدة الصداقة والتعاون بين الإتحاد السوفياتي والعراق  
 453 موقف القيادة الكردية من معاهدو الصداقة والتعاون بين العراق والإتحاد السوفياتي  
 456 التدخل الأمريكي المباشر بعد إتفاق الصداقة والتعاون بين العراق والإتحاد السوفياتي  
 458 الشرارات الأولى للحرب الخامسة  
 461 إندلاع الحرب الخامسة  
 462 إتفاق الجزائر  
 467 كارثة الإستسلام بعد إتفاق الجزائر

470

ملحق خاص بالمراسلات المرتبطة بالجزء الثاني

486

الصور

## تقديم بروفييسور الدكتور عز الدين مصطفى رسول

تعرفت بعزیز شریف في دمشق في خريف 1956. وتميزت هذه الفترة بإنشغاله في المجال الوطني العام وفي الدفاع عن العراق. فقد كون مايشبه تنظيمًا أطلق عليه اسم (احرار العراق). وأصدر بعض الكتب ونشر رسائل موجهة الى رؤساء الدول وشارك في عدد من المؤتمرات وقام بعدد من المقابلات، لعل اهمها مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر.

وصرت التقى بعزیز شریف في أكثر الايام في دمشق الى ثورة تموز، إذ كنت من الشباب الذين يساعدونه في عملية طبع رسائله وفي اعماله الاخرى. وظلت صلتني به مستمرة بعد ثورة تموز. وإذ سافرت الى الاتحاد السوفياتي للدراسة في عام 1960، كنت التقى به خلال زيارته وضمني تطفافاً منه الى الوفد العراقي لمؤتمر نزع السلاح في صيف 1962. وبعد عودتي سراً الى العراق في اواخر 1965، إجتمعت به وهو في (ديلمان). وكنا نتجول معاً يوماً او اقضي رداً من الليل عنده وكنت اتشرف في ليال عديدة بوجود القائد الكردي الكبير مصطفى البارزاني عنده في مسكنه الصغير.

وقد رافقت عزیز شریف في سفرة الى سورية في عام 1966، وذلك بموجب تكليفه من قبل البارزاني للاتصال بالاطراف العربية والسوفياتية. وكانت السفرة مضنية طالت 18 يوماً على البغال ومشياً على الاقدام. وقد بتنا ليلة في بارزان، وكان له حديث خاص مع المغفور له الشيخ احمد البارزاني (حضرته مترجماً معه). وبعد وصولنا الى دمشق بعدة ايام طلب مني العودة وهو يحملني رسالة الى البارزاني. تمنيت فيما مضى مشروعاً أؤدي به شيئاً من الواجب تجاه هذه الشخصية المناضلة الفذة في تأريخ العراق. وهو ان يعهد لي الاشراف على اطروحة او اطروحات بخصوص عزیز شریف. فحياة ونضال وكتابات عزیز شریف تستحق اكثر من بحث. وذلك لسعة تراث عزیز شریف وفي مقدمة هذا التراث كتاباته اليومية في جريدة (الوطن) ورسائل البعث وجريدته السرية (النضال) وجريدة الاهالي قبلهم، فالكتب و الكرايس التي اصدرها في دمشق في اعوام 1956 – 1958 ولا أنسى مجلة الوطن لحركة السلم وجريدة التآخي بعد ثورة 1958.

لقد تسنى لي التعرف على عزیز شریف المفكر والمناضل والشخصية الانسانية. كان تكوين عزیز شریف المفكر حصيلة عدد من العوامل، لعل اهمها التأثير المباشر لوالده. لقد كان الحاج شریف ابرز عالم وفقه في لواء الدليم (محافظة الانبار حالياً) وقريباً من علماء آل الراوي.

لقد حصل لي شرف الإلتقاء بالشيخ شریف مرة واحدة في العام 1949. لقد إنتميت لبضعة أشهر إلى كلية الشريعة في الاعظمية، ودعاني بعض طلاب عانة إلى نادي الكلية لحضور المرحوم الشيخ شریف فإستمعنا إلى مواظ منه كانت وطنية اكثر من ان تكون دينية. وبدا لي عالماً إسلامياً متتوراً. اوصانا بالوطنية والعمل ولكن بهدوء.



إن الإرتباط الدراسي للمناضل عزيز شريف بوالده العالم الفاضل منذ صغره قد بنت عنده الاسس الراسخة لمعارفه في اللغة العربية والفقہ الإسلامي. وعلى الرغم من إمام الحاج شرسف البسيط بمبادئ الرياضيات، فإن توجيهاته بخصوص تكوين عقلية رياضية كانت الدافع للطفل عزيز شريف للتعرف بهذا العلم وخلق عقليته ألياضية. فقليلون يعرفون اليوم ان المدارس العلمية (المرتبطة بالمساجد والجوامع كانت تدرس الرياضيات في رسائل بهاء الدين العاملي على ارقى مستوى).

كان لتوجهات الحاج شريف هذه أثراً بالغاً في خلق الحوافز العلمية لعزیز شريف. كما كان الحرمان من المؤسسات التعليمية في عانة والرغبة الجامحة في التحصيل العلمي قد اجبره على الكفاح من اجل شق الطريق الى إستكمال المعرفة بنفسه. وهكذا تعلم الطفل عزيز شريف علم الجبر بمفرده وفهم اسرار المحل الهندسي بدون معلم او معين.

وفي عام 1926 بعد تخرجه كاول على دار المعلمين في بغداد كان من المفروض ان يحصل على البعثة الحكومية للدراسة في خارج العراق. وكانت هذه البعثة اكبر حلم يصبو إليه. وفي هذا الوقت بالذات حسم مستقبل عزيز شريف الذي لم يكن لديه اي تصور سياسي بعد. لقد حسم القدر مصير عزيز شريف. ففي هذه السنة بالذات إتخذت الحكومة الملكية قراراً بإيفاد طالب من ابناء الطائفة الشيعية، وذلك بسبب التذمر من إشغال معظم المناصب من قبل ابناء الطائفة السنية. وهنا لا بد من طرح السؤال التالي: هل كان من سوء حظ عزيز شريف انه لم يصبح عالماً فيزيائياً او رياضياً؟

لقد كان حسم القدر لمصير عزيز شريف قد ادى إلى إنغماسه اللاحق في الحركة الوطنية. إنما تركت موهبته الرياضية وخلفيته العلمية بصورة عامة بصماتها على شخصيته السياسية وعلى قدرته على التحليل السياسي بشكل موضوعي. وسيقف القارئ عند قراءته للمذكرات على طريقة عزيز شريف في التحليل. فهو لا يلجأ مطلقاً إلى العواطف او الاساليب الديماكوكية في الإقناع وإنما يستخلص العوامل ذات التأثير ويحلل تأثيراتها وترابطاتها وما شاكل شأنه بذلك شأن الفيزيائي.

وقد تجلت ظاهرة الوضوح الفكري لدى عزيز شريف عندما قام بإعداد برنامج حزب الشعب، إذ حدد الهدف السياسي لإقامة حزبه ببضعة اسطر بدلاً من الكرايس التي تكتب عادة في هذا الخصوص. وكان تشخيصه للثغرة السياسية الواجب على هذا الحزب التحرك ضمنها يدل على قدرته على وضع الستراتيجيات السياسية. وسيطلع القارئ على هذا البرنامج.

وعلى الرغم من تخرج الاستاذ عزيز من كلية الحقوق وممارسته لمختلف المهن الحقوقية من المحاماة إلى حاكم تحقيق وحاكم جزاء، فإن إنجازاه الفكري لم يتقيد في هذه الحدود المهنية. إنما كانت عقليته الجواله وخلفيته العلمية قد اهلته للولوج في مختلف الإختصاصات. وبسبب إهتماماته الكبيرة بالمسائل المتعلقة بالفقر والإستغلال في العراق قام بتطوير معرفته النظرية بعلم الإقتصاد.

وقد اولى إهتماماً بالغاً بموضوع الفقر ومكافحة الإستغلال في العراق بعد إنتخابه عضواً في مجلس النواب في العام 1937. إذ تسنى له تشخيص ميكانيكية الإستغلال في القطاع الزراعي كأى إقتصادي

محترف. وقد تضمن ذلك إكتشاف عدد من اساليب الإستغلال ذات الخصوصية بالعراق. وهذا ما سيطلع عليه القارئ في الجزء الاول من المذكرات. إنما ما لفت إنتباهي بخصوص هذا الموضوع هو ان احد هذه الاساليب قد تخطى من حيث بشاعة الإستغلال ما كان مستساغاً في اعراف البلدان المستعمرة او شبه المستعمرة آنذاك. وكانت هذه الطريقة قائمة على اساس ميكانيكية مدروسة من قبل إدارة الموانئ البريطانية في البصرة. وتنصب هذه الميكانيكية على تخصيص مبالغ بسيطة في ميزانية الموانئ من اجل إستقطاب الفئاض السكاني المتكون من جياح المناطق الجنوبية وبالأخص من العمارة إلى البصرة، حيث يتم إستغلال قوة عملهم وفق مبدأ "السخرة". وقد قام عزيز شريف البالغ آنذاك الثالثة والثلاثين من العمر بطرح هذا المبدأ الذي إكتشفه ضمن خطاب له القاه في مجلس النواب العراقي في عام 1937 بصفته نائباً عن البصرة.

أن لتحليل ميكانيكية الإستغلال في العهد الملكي اهمية كبيرة بالنسبة إلى تأريخ العراق الإقتصادي. خصوصاً فيما يتعلق الامر بالسخرة. فهذه الظاهرة لا تقل اهميةً عن مختلف الظواهر الاقتصادية النادرة التي يتم تدريسها في الجامعات العراقية والعربية والغربية. في حين لم يسمع احد من الاقتصاديين العراقيين بما فيهم الدكتور عصام بهذه الظاهرة. إنني اهيب بالباحثين الإقتصاديين الرجوع إلى الخطاب المذكور وإلى ما ورد في صلب المذكرات لدراسة ما توصل إليه عزيز شريف آنذاك بخصوص اساليب الاستغلال الاقتصادي، وذلك ضمن الجهود اللازمة بذلها بشكل عام من أجل إستكمال إكتشاف تراثنا الفكري العراقي الذي يتعرض بشكل منتظم إلى الطمس والسحق والتشويه.

وقد قص علي الدكتور عصام في إحدى رسائله الإنطباع التالي بخصوص إضطلاع عزيز شريف في مجال الإقتصاد في إحدى رسائله: "لم اعر اي اهتمام لما كان يكتبه عزيز شريف ضمن نشاطات مجلس السلم والتضامن. وفي ذات يوم زارنا في فينا. وفي احدى الليالي اطلعت على خطاب القاه في الامم المتحدة بخصوص الشركات متعددة الجنسية. وكان الخطاب مكتوباً باللغة الانكليزية من ضمن مجموعة تقارير وخطابات مطبوعة بالآلة الطابعة. وكان الغرض من جلب هذه المواد الاستفادة من بعض التواريخ المذكورة فيها في تحرير مذكراته. وما أن قرأت الصفحة الاولى من الخطاب حتى ادركت بأن عزيز شريف كان مدركاً لميكانيكية نشاط هذه الشركات كأى اقتصادي محترف".

لقد كان عزيز شريف يمتلك خلفية علمية في مجال تحليل الاستراتيجيات العسكرية. وقد قام بتحليل جميع الاستراتيجيات العسكرية التي اتبعت من اجل سحق الحركات الكردية المسلحة في مذكراته، وذلك ابتداءً من الإحتلال البريطاني وإنهاءً بسلطة البعث الثانية. كما تناول استراتيجيات حرب الانصار الكردية. بالإضافة إلى ذلك كان يتمتع بحدس كبير فيما يخص طبيعة النزاعات القبلية وولاءات زعمائهم وتحالفاتهم وما شاكل. وسوف يطلع القارئ على تفاصيل كثيرة بهذا الخصوص.

وفي عام 1966 ادرك عزيز شريف مدى قصور الاستراتيجية العسكرية التي إتبعها عبد السلام عارف في حربه ضد الثورة الكردية المسلحة. وإستهدفت هذه الاستراتيجية التغلغل في عمق منطقة الثورة عبر

ممر قوامه سلسلة من الربايا تتصل بعضها ببعض الآخر بواسطة طرق معبدة. وكان عزيز شريف يطمئن القيادة الكردية بعدم جدوى هذه الاستراتيجية، وذلك رغم النجاحات الوقتية التي كان الجيش يحققها بالتغلغل. إذ قدر بانه يتطلب لإختراق منطقة الثورة وصولاً إلى حاجي عمران زج مئات الآلاف من الجنود. وفي سفرتي المذكورة معه كان مريضاً في ذلك العمر (العام 1966). كنا نصعد معاً على جبل بيرز، فكانت البغلة تصعد بصعوبة. فيعلق ابو عصام: "هذا عبد السلام يحتاج إلى كم شعب جبلي هم وبغالهم ليبنى ربايا في هذه الجبال؟"

كان عزيز شريف يمارس السياسة على اساس علمي وبالإستعانة بقدراته الدبلوماسية. وكانت تحليلاته السياسية تتطوي على بعد نظر. وذلك بفضل طريقته في البحث والتي تقوم على اساس التحليل الموضوعي للأحداث ذات العلاقة في الفترات السابقة من اجل إستقراء المستقبل. وقد تسنى لعزيز شريف إستعراض طريقته هذه في تقريره الذي قدمه إلى البكر في عام 1969 والذي إتخذ أساساً للمفاوضات ولصياغة إتفاقية آذار 1970. وهذا التقرير الوارد في الجزء الثاني يجب ان يدرس في فروع التاريخ الحديث والعلوم السياسية، ليس بسبب اهميته التاريخية فحسب، بل بسبب منهجيته العلمية. فبعد مرور اكثر من اربعين سنة على كتابة هذا التقرير نجد اليوم بأنه بالفعل تحقق كل ما إستقرأه عزيز شريف آنذاك وحذر من وقوعه.

وبقدر تعلق الامر بتأثيرات الحاج شريف على التكوين الفكري والسياسي لعزيز شريف هناك امر على درجة كبيرة من الاهمية وهو موضوع علاقة الحاج شريف مع الزعيم الخالد الشيخ محمود الحفيد (ملك كردستان) اثناء نفيه إلى عانة في بداية الثلاثينات. فقد حدثني الراحل عامر عبد الله عن ان الشيخ الحفيد كان يسكن في عانه في دار عائدة لوالده (والد الفقيد عامر عبد الله). إنني للأسف لم استفسر من الاستاذ عزيز فيما إذا كان الحاج شريف قد تأثر بالحفيد؟ وهل كانت بداية وعيه للمسألة الكردية تعود إلى نفي الحفيد إلى عنه؟ إذ أنه من المعروف ان الحاج شريف كان الاب الروحي لعانه. وكان يهتم بالضيوف إهتماماً بالغاً، حيث يستقبلهم في ديوانه. كما كان يتعاطف بشكل كبير مع المظلومين. لقد فقدنا توثيق هذا الموضوع.

عرف عزيز شريف بحبه لإستقصاء الحقيقة وإستقلاليته في التفكير وجرأته على كشف الحقائق الموضوعية. وقد تبين ذلك في ضوء دراسته بخصوص المسألة الفلسطينية. إذ انه اثبت الحقائق المخالفة للموقف السوفياتي وشق طريقه في ذلك متحدياً المحابين لهذا الموقف. كما ان إستقلالية عزيز شريف الفكرية قد إنعكست في طرحه للقضية الكردية. إذ شق طريقه ايضاً على الرغم من المعارضة آنذاك لطرحة هذا. وقد كان التأريخ في الحالتين إلى جانبه.

لقد كان الاستاذ عزيز عرضة إلى الإساءات والإفتراءات في نضاله الوطني بسبب بحثه عن الحقيقة. وكان يذكر بتألم بعض ما مسوه به، خصوصاً بعد نشره لكراسه عن القضية الكردية (بالرونيو — سرّاً) وبتوقيع نصير. ولا شك ان تلك الصفحات هي احسن ما كتب عن القضية الكردية. ولكن القاعدة

جريدة الحزب الشيوعي العراقي كتبت بخصوص البحث ما لا يليق لا بالحزب الشيوعي ولا بالكراس ولا بكتابه. (واحفظ هذه السطور لحد الآن). ذات مرة عاتبت مسؤول الحزب آنذاك وهو كردي، فتأسف للتطرف ولسوء تناول. ولكنه قال لست انا الكاتب. بل كتبه فلان وهو قيادي وكردى ايضاً. ولما سألت الرفيق انكر كتابته لهذا التعليق.

وفي الواقع لم يقتصر تأثير الإساءة على الاستاذ عزيز انما كانت بنته الدكتورة إلهام، الطالبة آنذاك في الكلية الطبية تتعرض إلى إساءات الطلبة الشيوعيين. إذ كانوا يكررون لها ما قرأوه في النشرة السرية. وهذا ما كان يزيد في حزنه. ولما كان الاستاذ عزيز يتذمر من ذلك كنت اقول له لقد إنتهى الامر. الحزب يعتبرك الآن احد قادة الحركة الوطنية، بل احد قادة الحزب – مهما كانت صفتك – .

ومن الطريف انه قدم نسخة من الكراس إلى السيدة روش بدرخان في العام 1957 – بدمشق، فذكر الاستاذ هذا التعليق. وعلقت السيدة بدرخان موجهة الكلام لي. بالله الم تكونوا انتم الكرد المسيئين له؟ لم يكن عزيز شريف موسوعياً فحسب، وإنما كان باحثاً محترفاً. فكان يبحث تحت اقسى الظروف. فبعد سفرتنا المضنية المذكورة بدأ بعد وصوله الى دمشق الى جانب جهوده في تمثيل البارزاني بجمع مواد عن تاريخ الثورة الكردية. وذلك في لقاءاته مع قدري جميل باشا وأكرم جميل باشا وممدوح سليم وقدري جان وفؤاد قدري. وكانت هذه اللقاءات مادة لمقالات متسلسلة له عن الكرد نشرت في جريدة النأخي بتوقيع (ابو العلاء)، تضاف الى تراثه.

ومما تجدر الإشارة اليه أنه خلال فترة إغترابه الاولى في دمشق بعد هروبه من العراق سجل ملاحظاته بخصوص مدينة دمشق، وذلك على الرغم من القلق وعدم الاستقرار. فكتب مقالاً تحت عنوان "بغداد قرية كبيرة ودمشق مدينة صغيرة". وما لبثت احدى الصحف السورية بنشره حتى اعيد نشره في العديد من الصحف والمجلات السورية واللبنانية. واثناء إختفائه في فترة إغترابه الثانية في دمشق كتب دراسته التي لاقت استحساناً واسعاً "من حلف بغداد الى تحرير القناة". وفي ادناه سوف اروي بعض الاحداث الطريفة في سبيل إلقاء بعض الضوء على صفات الاستاذ عزيز النضالية والإنسانية.

عندما بدأنا بالإقتراب من الحدود العراقية السورية في السفرة المذكوة ارسلنا البيشمركة عبر جبل (بيخير) إلى المعبر المباشر إلى سورية، حيث ملتقى نهري (الخابور) و(دجلة). كنا نختفي في النهار في شعاب جبل (بيخير) ونسير ليلاً. كنا نشهد ونحن في ثنايا جبل (بيخير) سيارات الجيش تأتي وتروح في السهل. كان النهار لهم والليل لنا. وكنت اردد قولاً للاستاذ ابو عصام نفسه. فقد مررنا ليلة في سفرتنا المتشعبة نحو بارزان (بسيد كان) في منطقة برادوست. فكان البعوض يزعجنا ونحن خارج الغرفة والبرغوث يلسعنا إن دخلنا الغرفة. وهكذا لم ننم طيلة الليل. وفي الغد كان ابو عصام يردد: اه ..... ماذا فعل بنا الجيش والجاهش ليلة امس (يقصد البعوض والبرغوث طبعاً).

كان الاستاذ عزيز قد وصف في صلب مذكراته بالتفصيل كيفية عبورنا للخابور ودجلة وللأحداث اللاحقة في سورية. وفي اثناء عبورنا للخابور نال مني البرد، إذ كانت السفينة او (الكلك) المصنوع ينزل ويصعد في الماء، فنبتل تماماً. وكنت وانا احمل طرفاً منه اثناء مسيرتنا عبر المثلث اتقياً تباعاً. واخيراً وصلنا دجلة وعبرنا إلى الطرف الآخر. وفي الطريق السوري مشينا ونحن نحمل الامتعة قرابة الساعة حتى وصلنا إلى قرية سميت بالتعريب بـ (كربلاء). وكان رفاقنا يعرفون بيتاً منعزلاً في طرف القرية. أستضافونا وهم يعرفون حقيقة الامر. كانت الرابعة صباحاً وطلبنا الشاي فأتوا به مع اللبن. فلما تناولنا ذلك تحسنت اوضاعي. إذ ذاك قال ابو عصام كنت اتحسس حالك واتألم ولم اكن اقول شيئاً، إذ لا مناص، ولكن اهنؤك الآن على شجاعتك في التحمل. وكان هذا القول وساماً لي.

سرننا إلى القامشلي وهناك إتجهت إلى دار المرحوم الحاج يوسف. وهو تاجر معروف قدم الشئ الكثير للثورة الكردية. وكان الحاج يوسف يخاف من إبقائنا في بيته، فأخذنا إلى غرفة في (خان) عائد له. ويقوم هو ومن حوله ولديه بخدمتنا والإتيان بلذيذ الطعام من داره.

كنا قد مكثنا في الخان عشرة ايام. وكان هناك شخصان يقومان برعايتنا. احدهما قريب الحاج يوسف كان يخاف كثيراً، وآخر يعمل في الخان ويترك الابواب مفتوحة ولم يكن يفقه من الموضوع شيئاً. فكان ابو عصام يعلق عليهما. الاول – تحت مستوى الخوف – والثاني – فوق مستوى الخوف – .

كان الاستاذ عزيز شريف رقيق الحس والعاطفة، وذلك بخلاف ما يتوقع ممن وهبوا أنفسهم للنضال والعمل الوطني. ففي هذه السفرة الطويلة حدثني عن حبه لافراد عائلته وعن صبر زوجته السيدة نورية فيضي. إذ تحملت المشقة والعناء مع زوجها. كما كان يحب ابنته وابنه ويتحدث عنهما. ولكن عطفه وحبه لابن ولبنت اخيه الشهيد عبد الرحيم شريف كان يتغلب. فما من لحظة تمر إلا ويتحدث عن رائد واوراس ويتمنى ان يسعه الزمان بوضع يمكنه من إعانتها في الحياة.

كان الوفاء من شيم الاستاذ عزيز يعطيه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. فمثلاً لذلك اروي شيئين: كان له صديق سوري تعرف عليه في الاربعينات يدعى مصطفى التاجي. ويبدو انه له فضل عليه. فكان كلما جاء إلى دمشق يزوره ويبيدي إهتماماً كبيراً به. كان الرجل بعيداً عن السياسة ولكنه يقول انا احب الشيوعيين لأنني احب عزيز شريف.

وهناك شئ آخر يجب تدوينه في هذا الباب. فقد كان الحاج يوسف مرزا الذي تحدثت عنه وعن إستضافته لنا في القامشلي يقدم خدمات جليلة للثورة الكردية ويقول دوماً ارجو عدم ذكرني لأحد (خاصة في القامشلي)، ولكن حبذا لو يعرفني او يعرف البارزاني وحده ما اقوم به. كانت تلك امنية الرجل الشهم الحاج يوسف مرزا، فكيف تحققت؟

ذات يوم وأنا ادرس في كلية الآداب بجامعة بغداد فوجئت بدخول الحاج إلى غرفتي ومعه ابنه عبيد وشخص آخر. عرفت انه غازي ابن احد القضاة البارزين وهو محمد شاهين الصوفي، وإذ ذاك عرفت ان الاستاذ الصوفي هو ابن عم الحاج يوسف. أخذت الثلاثة معي إلى وزارة العدل، حيث كان الاستاذ

عزيز وزيراً. إستقبل الأستاذ الضيوف بقبل حارة. ثم زرنا مضيفه الأستاذ الصوفي. وفرح الاخير بمجيئ وزيره إلى داره. ودعاهم الأستاذ عزيز جميعاً إلى وليمة عشاء في داره. ثم علمت بعد يومين ان الأستاذ عزيز سافر بطائرة عمودية وكان يتردد فيها اثناء المفاوضات واخذ الحاج معه وذكر البارزاني به. لا اقدر كيف اوصف فرحة العمر عن الحاج. فقد كان يردد (لقد رأيت البارزاني ويبدو انك ذكرتني عنده ايضاً، فقد اكرمني كثيراً. فأنا ارحب بالموت بعد هذا اللقاء العظيم).

لنا الحق ان نعتبر عزيز شريف كردياً (وهو ليس بكردي مولداً وعرقاً) وذلك لما قدمه لشعبنا الكردي. وهذه روعة عزيز شريف. فيقدر ما هو كردي بالنسبة لنا نحن الكرد فهو عربي اصيل بالنسبة إلى العرب. فعزیز شريف كان عراقياً وواحداً من رجال العراق في القرن العشرين.

وإنني إذ اكتب عن القائد المناضل عزيز شريف لا اجد لنفسي حدوداً. إذ لا تتسع هذه المقدمة لتغطية جميع جوانب شخصيته النضالية والانسانية. ولي عودة مفصلة إليه وإلى افكاره. فما اقدمه للمرة الثانية هو جزء من حياة شخصية اود ان تغدو ذات يوم — مع مذكراته وكتاباته — مادة لسنايو فلم تكون شخصية عزيز شريف مداراً ليصبح فلماً شاملاً عن نضال الشعب العراقي بعربه وكرده في القرن العشرين. اتمنى ان ابقى بينكم ولا يقطع العمر والصحة امامي البقاء لأرى تحقيق هذه الامنية. تحية من القلب لذكرى هذا العزيز الذي اعيد مرة اخرى قولي: لقد عاش ومات عزيزاً شريفاً. وهو خالد بيننا ولدى الاجيال القادمة.

وليس في وسعي في هذا التقديم الذي شرفني به الدكتور عصام عزيز شريف إلا ان انهي هذه السطور بالآية القرآنية الكريمة التي جعلها عزيز شريف، الذي طالما وصفته "بالعزيز الشريف" شعاراً له في الصفحة الاولى لجريدة الوطن: "من الموثمين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً." صدق الله العظيم.

بروفسور الدكتور عزالدين مصطفى رسول

السليمانية في 19 — 02 — 2010

## تقديم الدكتور عصام عزيز شريف (الناشر)

### التركة الفكرية والسياسية والاجتماعية لعزیز شریف

ترك عزيز شريف بعد وفاته اكداساً من المسودات الخاصة بمذكراته التي اختار لها "الحرب والسلم في كردستان العراق" عنواناً. وقامت المرحومة والدتي السيدة نورية فيضي بجمع هذه المسودات وطبع الجزء الاعظم منها على الالة الكاتبة. وقد قمت فيما بعد بترتيب هذه الاوراق حسب التسلسل الزمني او الترابط المنطقي. وقد وجدت بأن الفصول الاولى من هذه المذكرات التي تغطي تاريخ العراق منذ اندلاع الحرب العالمية الاولى الى نهاية عهد العارفين تشكل موضوعاً مستقلاً ودراسة تاريخية متكاملة. كما وجدت العنوان التالي ملائماً لهذا الجزء: "معضلات الحركة الوطنية في العراق منذ الاحتلال البريطاني الى نهاية عهد العارفين".

من يطلع على هذا الجزء يجد بأنه كتب بشكل موضوعي وبهدف استقصاء الحقائق التاريخية. كما تسنى للكاتب تدوين دوره في هذه الحقبة التاريخية بشكل صادق وأمين مما زاد من حيوية العرض وعمق التحليلات السياسية. ومع أن الكثير قد كتب حول هذه الفترة من تاريخ العراق من قبل المؤرخين الغربيين، إلا أن اهتماماتهم الحقيقية انصببت بالدرجة الاساسية على استنتاجات ملفقة تتسجم مع مصالح بلدانهم. فكانوا يطمسون الادوار التخريبية لبلدانهم ويخفون هويات عملائهم او يخلقون من عملائهم ابطالاً وما شاكل. والاضر من ذلك قيام المندسين المحليين بتدوين التاريخ. اذ انهم لم يكتفوا بالجرائم التي ارتكبوها بحق الشعب اثناء حياتهم فحسب، بل حرصوا على تثبيت تاريخ مزيف لهذا الوطن الجريح بعد مماتهم. واصبح مجموع هذه الكتابات وبالاخص كتابات المؤرخين الغربيين البارعين منهم مراجعنا التاريخية المزورة والمظلة التي نستند عليها لفهم تاريخنا واستطلاع مستقبل بلادنا على اساسها.

قام عزيز شريف بكشف جوانب هامة من تاريخ العراق اثناء العهد الملكي. فالفقارئ يفاجئ بممارسات من قبل سلطة الاحتلال البريطاني واعوانها المحليين تتكرر اليوم بشكل مماثل وذلك بعد مضي حوالي تسعين سنة. ويكشف من خلال عرض دوره في تأسيس الحركة الديمقراطية في العراق على تزوير تاريخ هذه الحركة. وكعادته في التحليل الدقيق والاستنتاج الموضوعي تمكن عزيز شريف من اعطاء صورة حقيقية لجمهورية 14 تموز، مبيناً المكاسب التي حققتها وفي الوقت ذاته شخص الامراض التي حملتها منذ ولادتها. كما انه كان من الأوائل الذين توقعوا انهيارها في الوقت الذي كانت تبدو فيه منيعة. كما سوف يجد القارئ تحليلاً متكامللاً لادوار القوى التقدمية والرجعية ودور قاسم في الاطاحة بجمهورية 14 تموز. كما تضمن هذا الجزء حقائق تاريخية هامة جداً بخصوص عهد العارفين بالإضافة إلى المقابلات التي قام بها عزيز شريف مع الرئيس المصري جمال عبد الناصر والرئيس السوري نوري الدين الاتاسي ورئيس الوزراء السوري السابق يوسف زعين وقياديين مختلفين

بخصوص فائدة الامة العربية من دعم الحركة القومية الكردية وتحويلها إلى حليف حقيقي على حدودها الشرقية. كما تضمن كافة الرسائل المتبادلة بين الزعيم الكردي الكبير ملا مصطفى البارزاني مع القادة المذكورين.

اما الجزء الثاني "الحرب والسلام في كردستان العراق" فإنه يغطي جزءاً مهماً من تأريخ العراق وبصفة خاصة كردستان العراق اثناء حكم البعث الى حين انفراد صدام حسين بالسلطة. ويقدم الكاتب من خلال العرض صورة حية لقساوة الحياة في كردستان العراق في تلك الظروف و تحليلاً موضوعياً لطبيعة حكم البعث وطبيعة الصراعات الداخلية والوضع الدولي وتأثيراته على مجريات الاحداث في العراق. يضاف إلى ذلك أن عزيز شريف يعتبر المصدر الوحيد بخصوص المعلومات الدقيقة حول مفاوضات الحكم الذاتي. وتتطوي هذه المفاوضات على دروس هامة بخصوص كيفية الولوج في موضوع الحكم الذاتي الشائك. كما تضمن هذا الجزء كافة الرسائل المتبادلة بين الزعيم الكردي الكبير ملا مصطفى البارزاني مع الرئيس العراقي السابق احمد حسن البكر.

ولم يهمل عزيز شريف تحليلاته الموضوعية بخصوص الموضوعات التي تداخلت عرضاً مع الموضوع الرئيسي كالصراعات والانشقاقات داخل الحزب الشيوعي والاستراتيجيات العسكرية التي اتبعتها الحكومات العراقية المتعاقبة في حروبها ضد الثورة الكردية. كما انه سجل ملاحظاته بخصوص ظاهرة تصدع الجمهورية العراقية بسبب خيبة الامل لدى بعض الكرد.

كما ترك لنا عزيز شريف دراسة مستقلة بخصوص تأريخ كردستان سوف نقوم بنشرها في المستقبل. وبالإضافة الى الجزئين المذكورين ترك لنا عزيز شريف اكداساً من الملاحظات المتفرقة بخصوص تأريخ الحركة الوطنية في العراق كتأسيس جريدة الاهالي وحركة الاهالي وتأسيس الاحزاب الديمقراطية والخلافات بين قادة الحركة الوطنية وانتقال المعارضة العراقية الى سورية ودور عبدالناصر في دعمها ثم دوره في نفس استقلال العراق السياسي فيما بعد. وتتطوي هذه الملاحظات على معلومات تاريخية هامة من شأنها تصحيح الكثير من التصورات الخاطئة. كما انها تشكل, إلى جانب كتابات عزيز شريف المنشورة، مادة أولية كافية لتغطية حياته بالكامل.

ولا يسعني إلا ان اتقدم بالشكر الى الدكتور كاظم حبيب لمراجعته لهذه المقدمة ولابداء ملاحظاته القيمة. كما اود ان اتقدم بالشكر الى ابن عمتي المهندس حسام شاكر لما قدمه لي من معلومات ووثائق ولما ابداه لي من ملاحظات وعون في كتابة هذه المقدمة.

### مرحلة الطفولة والشباب

وللاسف لم يدون عزيز شريف ذكريات الطفولة والشباب، ذلك انها كانت غنية بالاحداث التي من شأنها اعطاء صورة تاريخية فريدة لاوضاع العراق اثناء الحرب العالمية الاولى والتحولت الاجتماعية التي ترتبت عليها فيما بعد. انما اكتفى بتدوين ملاحظات متفرقة تحت عنوان "خاطر"



حاول من خلالها اعطاء وصف دقيق لشخصية والده ولشخصيته ولميوله ببلاغة متناهية. وكانت هذه الملاحظات معيناً كبيراً لي في تحرير هذه الصفحات.

ولد عزيز شريف في 6 تشرين الثاني 1904 في عائلة لأسرة دينية. وكان والده الحاج شريف ابن عبد الحميد عالم ديني معروف قضى شبابه في دراسة العلوم الدينية في بغداد. ثم اصبح امام وخطيب جامع عنة وزعيمها الروحي. فكان مرجعاً دينياً هاماً في منطقة الدليم (الأنبار حالياً)، حيث كان يفتي بمختلف الأمور. وكثيراً ما كان يحتكم اليه المتخاصمون من أهالي المنطقة طوعاً فيرضون بما يقضي بينهم.

كان الحاج شريف قد عرف بحبه للعلم والأدب. وقد انعكس ذلك من خلال مكتبته التي احتوت بالإضافة الى الكتب الدينية، روائع الأعمال الأدبية المعروفة آنذاك. كما عرف بحبه للتكنولوجيا الحديثة والتي كانت في تلك الازمان في عانه مقتصرة بالدرجة الاساسية على الساعات ومكائن الخياطة التي كان يجد لذة هائلة في تصليحها. وشهدت عانة أكبر انجاز تكنولوجي في تأريخها الحديث قام به الحاج شريف. وهوتفكيك مسننات باخرة بريطانية غرقت في سنة 1880 في نهر الفرات بالقرب من عانه. ثم اعاد بنائها على شكل مضخة تدار بوسطة الدواب لرفع الماء الى بستان الدولاب المرتفع نسبياً. وبقيت المضخة قائمة الى حين اغراق عانه.

كما قام الحاج شريف بإستحداث جزيرة صغيرة في نهر الفرات بمحاذاة شاطئ عانة. وعلى الرغم من صغر المشروع والإعتماد على اليد العاملة المجردة، إلا انه لم يختلف من حيث الفكر الهندسي عن مشاريع السدود الحديثة. وكانت الجزيرة تغرق اثناء الفيضان وتكتسي بالطمى بعد إنحساره، وكان ذلك السبب في تسميتها بطينة الحاج شريف. وقد إمتازت الجزيرة (الطينة) بجودة حاصلاتها الصيفية من الطماطم والخيار والرقي والبطيخ وما شاكل.

وفي ملاحظة وردت في "خواطر" وصف عزيز شريف والده على الوجه التالي:

((كان للحاج شريف سيرتان، الاولى التمسك بالدين ومنه التعاطف مع السلطان، أي السلطة العثمانية. والثانية مزيج من الشعور الديني والإنساني . وكان هذا بارزاً عندما نشبت الحرب العالمية الاولى. اذ كان موضع اهتمام السلطة العثمانية. فعهد اليه امر حفظ المواد الغذائية وتوزيعها. الا أن التعاطف مع السلطان يتناقض احياناً تنافضاً حاداً مع الروح الانسانية. هذا ما بدا واضحاً من تعاطفه مع الارمن الذين هجرهم العثمانيون. وكان لعانة نصيب منهم. وقد عانوا من الاضطهاد والجوع ومرض التيفوس ما لايمكن وصفه. وعندما سفروا لبيادوا اخفى من هرب منهم على خطر اكتشاف السلطة.))

دخل عزيز شريف الكتاب في السادسة من عمره واكمل القراءة الاولى للقران في ستة اشهر. ومنذ هذه السن المبكرة احتل السعي العلمي جزءاً كبيراً من حياته، فقد درس على والده، فكان ضليعاً في اللغة العربية والفقهاء الاسلامي. وقد ترتب على ولعه الشديد بالقراءة في سن مبكر بالإضافة الى اهتمامه

الشديد بحفظ القرآن والحديث واقوال علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه امتلاك ثروة لغوية غنية ومثينة.

كان أثر الأحداث التي عصفت بالمنطقة كبيراً في تكوين شخصية عزيز شريف وفي توجيه ميوله السياسية. فلسنة 1904 التي ولد فيها اهمية هائلة في التاريخ الحديث. وتستحق هذه السنة تسمية عام النفط. فهي سنة انفجار الطلب على النفط الذي اقترن بنجاح الصناعي الامريكي هنري فورد في عام 1903 بإنتاج سيارته بالجملة. وترتب على ذلك إنفجار الطلب على النفط وبالتالي تفاقم الصراع الاستعماري على منطقة الشرق الاوسط. ويكفي التذكير بان هذه السنة بالذات شهدت إرسال الجاسوس البريطاني الشهير لورنس الى المنطقة من اجل التمهيد لسلخ المناطق العربية والكوردية الحاوية على الثروات النفطية وغير النفطية من الامبراطورية العثمانية واستعمارها.

كانت الضغوط الهائلة التي افرزتها التطورات اللاحقة على المنطقة السبب في معاناة ومآسي شعوبها. وقد بلغت هذه المآسي ذروتها اثناء الحرب العالمية الاولى. فكانت هذه الحرب بمآسيها ومضاعفاتها قد شملت منطقة الفرات الاعلى، اذ كان الناس يعانون نقصاً في المادة والغذاء بل المجاعة بافضع صورها. كما اصبحت المنطقة بسبب تداخل الامن فيها عرضة الى غزوات النهب والسلب واقتتال العشائر وما يترتب على ذلك من دمار وكوارث. فكان عزيز شريف البالغ ايان أندلاع الحرب العالمية الاولى عشر سنوات قد عاش هذه الاحداث التي اثرت في تكوينه ابلغ الاثر. كما أثرت ثورة العشرين المجيدة، التي امتدت الى اعالي الفرات، تأثيراً بالغاً في تكوينه السياسي والاجتماعي.

وفي خضم هذه الاحداث عمل الحاج شريف ما في وسعه من خلال موقعه الديني وحكمته من اجل نصرة المستضعفين الذين تضاعفت اعدادهم، وكذلك الحد من طغيان الجائرين. وقد سمحت تلك الظروف إلى تعاضم طغيانهم. كما انه كان عنصراً هاماً في حل النزاعات وكبت الخصومات وتخطي المجابهات. وفي ظل هذه الاجواء بدأ عزيز شريف يتحسس آلام المستضعفين. ففي ملاحظة في "خواطر" يذكر فيها الاتي: ((وقد انشأت فيه ظروف الطفولة والصبا تعاطفاً مع الناس فيما يدرك مما يعانون)) كما بدأ يتفهم اهمية الحكمة والمرونة في التعامل وضرورة التريث في اتخاذ القرارات ودور الصديق في كسب الصديق وفرض الاحترام على العدو. وقد وصف شخصيته من منظاره الخاص في "خواطر" جاء فيها:

((عانى من التجارب ما صقل عناصر اولية لنفسه فكانت له سجية من نسيج ذلك كله:

صافي الروح صادق القصد، لين العريكة، وبساطة خلق وروح انساني، أناة وسعة افق، فصبر على المكاره. في نفسه ضمناً يهون دونه اي مال او جاه، انما كان الناس بسطاء الناس المستضعفون المعذبون نجوم سمائه التي طالما تألقت نفسه الى السمو اليها. ولقد عانى الجور كثيراً فكان من المظلومين مراراً....))

كان نشوء عزيز شريف في هذه الاجواء البيئية قد لعب دوراً حاسماً في تكوين توجهاته العلمية والانسانية. وقد وصف هذا التكوين في احدى ملاحظاته في "خواطر" على الوجه التالي: ((... من ذلك التكوين بدأ في نفسي ونما أمور ثلاثة بينها تناقض حيناً وبين بعضها وبعض تفاعل وحتى الاتحاد احياناً. تلك افكار وتقاليد الماضي بما فيه من افكار الجهل الاولى بصورة متغيرة حسب تغير سني ومعارفي والروح الانساني الذي رضعته مع حليب أمي ومن سلوك والدي.

ثم كان التكوين الرابع الذي أمتد بتغيرات مع نضج الافكار والتجارب، انه كان صراعاً متواصلاً بين ما ورثته ونشأت عليه في عهود الجهل والتقاليد وصراعاً بين ما تلقينته من روح انساني وظماً لا ينطفي ولن ينطفي الى معرفة الحقيقة ... بجانبها جانب المعرفة بالطبيعة وسيرتها والحقيقة الانسانية - حقيقة عطش الضامنين الى الحرية-)).

الا ان عانة لم تكن الموقع الملائم لاطفاء ظمأه الى المعرفة بالطبيعة وسيرتها. الامر الذي خلق لديه رغبة جامحة للوصول الى بغداد والتعلم في مدارسها. ولم يكن تحقيق ذلك بالامر البسيط. لذا بدأ التعلم بدون معلم ومدرسة. وفي احد الايام حصل من احد المتعلمين على كتاب للجبر. فقرران يفهم اسرار هذا العلم. فكان يقضي اوقاتاً طويلة في تفسير المعضلات الجبرية. ثم مالبت ان فهم ميكانيقتها. واخذت المعضلات بالتذلل الواحدة بعد الاخرى. واخيراً توقف عند "المحل الهندسي". وبعد جهود طويلة ومعاناة وسهر ليلي تمكن من حل اسراره بمفرده. وكان لهذه التجربة دوراً كبيراً في تطوير موهبته الرياضية. وكما سنرى فيما بعد كونت هذه الموهبة الخفية العلمية لمقدرته على التحليل السياسي بشكل موضوعي.

كانت مجمل هذه الخلفيات قد لعبت دوراً كبيراً في تفوقه الكبير فيما بعد على اقرانه في مدارس بغداد. وتكونت لديه نتيجة نجاحاته رغبة جامحة في مواصلة التعليم خارج العراق. وكان آنذاك يطمح بدراسة احد الفروع العلمية بسبب موهبته الرياضية وحبه لمهنة التعليم. وكان تخرجه كأول على دار المعلمين في عام 1926 قد اهله للحصول على البعثة الحكومية للدراسة خارج العراق. الا انه بسبب إعتبارات معينة اختير احد الطلبة الاقل تفوقاً بدلاً عنه. وقد ترتب على ذلك عودته الى عانة وعمله فيها كمعلم.

### المساهمة في تأسيس حركة الاهالي

ان تاريخ عزيز شريف السياسي يشكل جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق التي يعود تكوينها الى منتصف العشرينات. ويروي عزيز شريف قصة تكوين هذه الحركة ودوره فيها على الوجه التالي:

((عدت الى بغداد في صيف 1927 لاكمال الدراسة الثانوية. فالتقيت بحسين جميل الذي كان عائداً في العطلة الصيفية من دمشق. وكانت عائلة حسين جميل تسكن بجوار عائلتنا في عانة وترتبط العائلتين

علائق قديمة. وكان حسين جميل قد فصل من الدراسة في العراق بسبب مشاركته في المظاهرة التضامنية مع انيس النصولي.

كان النصولي مدرس سوري في العراق. اما المظاهرة فقد كانت مبادرة من قبل حسين الرحال مؤسس نادي التضامن. كان النصولي قد ألف كتاباً سبب إستياءً لدى بعض الاوساط. فطلبت منه وزارة المعارف إجراء بعض التعديلات على الكتاب لإرضاء المستائين. وعندما رفض الانصياع الى تعليمات الوزارة حصل على تأييد نادي التضامن. ولم يكن تأييد نادي التضامن للنصولي مرتبطاً بمحتوى الكتاب وإنما من منطلق تأييد حرية الفكر. فنظم النادي اول مظاهرة في تاريخ العراق من أجل حرية الفكر في عام 1926.

انضمت الى نادي التضامن في عام 1927 بواسطة حسين جميل. وشاركت في المظاهرة الشهيرة التي دعى اليها حسين الرحال في عام 1928 والتي استهدفت الاحتجاج على زيارة الصهيوني البريطاني الفريد موند للعراق. فتعرضت نتيجة هذه المشاركة الى الفصل والحرمان من الدراسة في أي مدرسة عراقية. وذلك لاسناد تهمة قيادة المظاهرة. ثم ما لبث المفصلون ان حصلوا على عطف من الرأي العام والقوى المعارضة للحكومة. وتحت هذا الضغط تم قبول امتحاني عن جميع الدروس مع الطلبة المكملين في صيف 1928. فقدمت الامتحان والتحققت مباشرةً بكلية الحقوق.

تعرفت على عبد القادر اسماعيل منذ التحاقى بكلية الحقوق. اذ كنا طالبين في صفٍ واحد منذ البدء في الدراسة حتى انتهائها في عام 1931. وكان حسين جميل قد اكمل دراسته في عام 1929 وعاد من دمشق، فكونا تنظيمياً من طلاب الحقوق وخارجها. وعبرت هذه المجموعة عن نفسها بالمنشور الذي نشره تحت عنوان دعوه الى اجتماع. وقد تضمن المنشور انتقاداً للسلطة وحملها مسؤولية تردي الاوضاع في البلاد. وقع المنشور كل من حسين جميل و عبدالقادر اسماعيل وعزيز شريف. فتم القاء القبض عليهما باستثنائي. أذ كنت غير معروف لدى الشرطة. فوزعت المنشور واختفيت.

وبموجب اقتراح احد الزملاء اخذت القطار وتوجهت الى تكريت. وفي تكريت توجهت الى دار رئيس بلديتها المدعو الحاج عبد الكميث واعلمته بوضعي فرحب بي حسب تقاليد الكرم العربي. وحدث ان حضر يوماً مأمور شرطة تكريت واخبر الحاج عبد الكميث بانه قادم للتحري عن عزيز شريف لكنه سيغض الطرف عنه. ثم قررت السفر الى سوريه لمواصلة الدراسة. الا انه بعد انتحار رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون ساد البلاد جواً جديداً، فعدت الى بغداد واجري لي استجواب شكلي واغلق موضوع الملاحقة.))

من هذه الملاحقة يتبين بأن امر المساهمة في خلق الحركة الديموقراطية في العراق بالنسبة الى عزيز شريف كان قد تطلب الاستعداد لتقديم تضحيات كبيرة. فكان الفصل من الدراسة في عام 1928 يعني ذهاب الجهود الطويلة التي بذلها من اجل التحصيل العلمي هباءً. فعاد الى عانته، حيث اصيب بالرمد ففقد بذلك القدرة على الرؤية. فكان وقع كل هذه الامور بالنسبة الى والديه بمثابة كارثة كبيرة. وكان

امر نجاحه في تقديم الامتحانات عن جميع الدروس مع طلاب الاكمال في صيف 1928 قد تم باعجوبة حقيقية. وذلك لقصر الفترة المتاحة للمراجعة والاصابة بالرمد. إذ تبرع بعض الاقرباء لقراءة الدروس له. وفي هذه الاثناء تحسن نظره مما مكنه من تقديم الامتحانات.

ثم يواصل عزيز شريف عرضه بخصوص تكوين الحركة الديموقراطية: ((اتصل عبد الفتاح ابراهيم بالمجموعة بانتهاء العام الدراسي 1931. وكان عبد الفتاح متأثراً بالفكر الماركسية التي اكتسبها عن طريق الاحتكاك بالعالم الخارجي. اذ انه درس في الجامعة الامريكية في بيروت. ثم التحق بجامعة كولومبيا في الولايات المتحدة لمواصلة تحصيله العلمي. لكنه عاد الى العراق قبل ان ينهيه.

عرض عبد الفتاح ابراهيم فكرة اصدار جريدة وبين ان سيكون من جماعتنا محمد حديد الذي لم نلتق به بعد، وانما ذكر انه "رجل فاضل". قدمت 50 ليرة ذهب لتأسيس الجريدة، وهي كل ما وفرته في حياتي معلماً. واطلق اسم الاهالي على الجريدة واصبحت مديرها المسؤول. وتم اصدار العدد الاول من الجريدة في 2 كانون الثاني 1932. ولضيق ذات اليد وافقت على اقتراح صديق لي فسافرت الى البصرة، حيث مارست المحاماة فيها. وبناءً على اقتراح الجماعة في بغداد استقلت من مسؤولية جريدة ((الاهالي))

ومما تجدر الاشارة إليه انضمام الى المجموعة الاساسية المكونة لنواة حركة الاهالي والمكونة من حسين جميل وعبد القادر اسماعيل وعزيز شريف وعبد الفتاح ابراهيم ومحمد حديد كل من خليل كنه وجميل توما وإبراهيم بيثون ونوري روفائيل وعلي حيدر سليمان وعبد الله بكر واسماعيل غانم. ولعبت جريدة الاهالي دوراً هاماً في نشر الوعي الديموقراطي في العراق. وقد اطلقت تسمية حركة الاهالي على المساهمين في تحرير هذه الجريدة.

وفي البصرة تزوج عزيز شريف من كريمة المحامي المعروف سليمان فيضي، نورية فيضي، حيث انجبت بنت (الدكتورة الهام) وولد (الدكتور عصام، كاتب هذه الصفحات). وفي عام 1933 عين حاكماً للتحقيق في محاكم البصرة بناءً على ترشيح محمد زكي المحامي (شقيق عبد الوهاب محمود). وقد نشأ بينه وبين رئيس المحاكم في البصرة خلاف بسبب زيارته اليوميه لمراكز التوقيف للوقوف على اسباب توقيف الموقوفين. ألا أن الخلاف لم يرتفع الى القطيعة. ولكن حدث ان طلب منه توقيف شخص بدون ادلة كافية لالقاء القبض عليه. حتى تطور الخلاف الى تدخل وزير العدل، وكان جمال بابان. فاستقدمه الى بغداد برقبياً وابقاه في بغداد مده طويلة، فتم في غيابه توقيف هذا الشخص بالإضافة الى اعداد كبيرة من المتهمين بالشيوعية. فاستقال على اثرها ومارس المحاماة من جديد.

لاقت استقالته اعجاب العاملين في سلك القضاء. وكان لها صدى كبيراً في الوسط السياسي. ومنذ ذلك توطدت الصداقة بينه وبين محمد زكي. وبعد ان نال محمد زكي حقيبة وزير العدل في عام 1935 رشحه لبعثة خارج العراق. ثم اخبره محمد زكي بأن الشهيد يونس السبعواوي قد حال دون ترشيحه

بداعي ان المرشح شيوعي. ولم يكن في الواقع منتمياً الى اي تنظيم شيوعي، وانما كانت الشيوعية صفة تطلق على كل ذي فكر يساري متحرر.

كان انقلاب بكر صدقي في عام 1936 قد بعث الامل لدى جميع القوى المعادية للاستعمار البريطاني. فبادرت "جماعة الاهالي" الى مساندة بكر صدقي. كما لعبت جماعة الاهالي دوراً كبيراً في انجاح الانتخابات التي اجراها الانقلابيون. وتم ترشيح عزيز شريف كمرتل لجماعة الاهالي عن البصرة وليس عن الانبار واصبح عضواً في المجلس النيابي (البرلمان) الى غاية 1937. واخيراً عندما انكشفت حقيقة ارتباطات بكر صدقي الفاشية تخلت جماعة الاهالي عنه مما ادى الى ملاحظتها.

إمتازت الثلاثينات في العراق بانجذاب كثرة من المثقفين الشباب نحو العمل السياسي. وكما تم ذكره لعبت جريدة الاهالي دوراً هاماً في نشر الوعي الديموقراطي. ولم تكن حركة الاهالي تعبيراً عن ايدولوجية متبلورة منسجمة مع ذاتها. وانما كان لها طابع ظاهري مشترك وهو العمل (في البدء بطريق النشر) من اجل الديمقراطية وحرية الفكر والتحرر الوطني. كانت حركة الاهالي بمثابة نواة الحركة الديموقراطية في العراق.

ومما تجدر الاشارة اليه أن مؤسسي حركة الاهالي كانوا متأثرين بالافكار التقدمية التي ساهم في نشرها الرواد الاوائل للحركة الوطنية في العراق. ولعل المناضل العراقي الكبير حسين الرحال المعروف بأبي الماركسية في العراق كان من أهمها. كانت مناقشات حسين الرحال في الجريدة التي اسسها في 1925 واطلق عليها تسمية "الصحيفة" قد احدثت ثورة فكرية في العراق وفتحت آفاقاً جديدة لتطوير الجوانب الاجتماعية المختلفة. ومن الامثلة على ذلك تحرير المرأة ومساواتها. وبعد منعه من الكتابة قام الرحال بتأسيس نادي التضامن في عام 1926، حيث استقطب اعداداً كبيرة من الشباب التقدمي، من ضمنهم عزيز شريف. كما أن الرحال هو الذي دعى الى مظاهراتي النصولي وموند المذكورتين.

لم تكن الاهداف التي كانت تطرحها جماعة الاهالي ماركسية وإنما كانت اهداف وطنية عريضة مستوحات بالاساس من مبادئ الثورة الفرنسية. إنما يظهر الى جانب ذلك تأثر جماعة الاهالي بالماركسية واضحاً من خلال اهتمامهم بالعامل. فكانت جماعة الاهالي تطرح مطالب لصالح العمال كالمطالبة بتسريع قانون العمل وإجازة العمل النقابي والحد من الاستغلال. وكان كل عدد من الجريدة يحمل باباً بعنوان صوت العامل. وقد كان الانجذاب الشديد إلى هذه الحركة والاقبال الهائل على جريدة الاهالي قد اقلق السلطة. وذلك لتخوفها من ظهور حركة ديموقراطية واسعة تزعزع الاسس التي تقوم عليها. فسارعت الى اغلاقها في 6 تموز عام 1932.

وبعد غلق جريدة الاهالي لعبت فكرة الشعبية لعبدالفتاح ابراهيم دوراً كبيراً في استمرار حركة الاهالي. كان عبد الفتاح ابراهيم قد حاول من خلال فكرة الشعبية تمييز الحركة الديموقراطية عن الحركة القومية وعن الحركة الشيوعية. وقد مهدت فكرة الشعبية لتأسيس "جمعية الاصلاح الشعبي" التي تزعمها

الشخصية الوطنية الكبيرة جعفر ابو التمن وذلك بعد تعطيل جريدة الاهالي في 1932. وقد لعبت جمعية الاصلاح الشعبي دوراً هاماً في استمرار حركة الاهالي. كما أنها إضطلعت بمسألة مكافحة الامية.

كان عزيز شريف شديد الاعجاب بشخصية ابو التمن. وكما هو معروف كان ابوالتمن اكبر شخصية وطنية في تاريخ العراق الحديث. فهو ملهم ثورة العشرين وهو اول من عمل في تاريخ العراق من اجل توحيد السنة والشيعا في جبهة وطنية مترابطة، مرسياً بذلك الاسس المادية الصحيحة للحركة الوطنية في العراق. وكانت هذه السياسة من وجهة نظره الحل الوحيد لكسر طوق العبودية الذي فرضته بريطانيا على العراق. كما كان ابو التمن زعيم الحزب الوطني. وكان الحزب الوطني ظاهرة فريدة في تاريخ الحركة الوطنية في العراق. فالحزب الوطني كان بمثابة جبهة وطنية ديموقراطية واسعة تحتضن جميع العناصر من اليسار الشيوعي الى اليمين القومي. وهذه الجبهة الوطنية كانت تشكل خطراً حقيقياً على المصالح البريطانية.

ثم جاء الامر المفاجئ لاعتزال ابو التمن للسياسة. ففي الاول من تشرين الثاني 1933 عند انعقاد المؤتمر العام للحزب الوطني قدم ابو التمن كتاباً الى المؤتمرين يعلن اعتزاله عن السياسة. والاعرب من ذلك انه وعد في هذا الكتاب بانه سوف يعود الى السياسة متى ما حان الوقت للكفاح.

لقد سبق وأن درست موضوع إستقالة ابو التمن ضمن كتاب تم نشره باللغتين الالمانية والفرنسية تحت عنوان "صدام حسين ناتج عرضي لنظام عالمي غير عادل". وذلك لاهمية هذا الحدث الصغير في تاريخ العراق الحديث الذي لا يعار إليه اي إهتمام. فمن طريقة استقالة هذا السياسي الوطني الكبير بهذه الصورة الغامضة وبدون اي تبرير يذكر وذلك في الوقت الذي كانت جميع القوى الوطنية تدين له بالولاء وحاجة الحركة الوطنية الملحة لقيادته يدل بانه وضع في موضع التهديد. وكان المنسوب السامي بيرسي كوكس قبل ذلك يستشير خصوم ابو التمن ويسألهم: (هل من طريق لازاحة ابي التمن من الساحة؟) فكانت السلطة الملكية مضطرة الى ابعاد ابو التمن بالتهديد في هذا الظرف بالذات من اجل انهاء الحزب الوطني. فالحزب الوطني لم يكن قادراً على البقاء بدون قائده وكان امر تمزيق هذه الجبهة الوطنية يتطلب ابعاد ابو التمن لكونه الزعيم الوحيد الذي كان بإمكانه قيادتها والحفاظ على وحدتها. وبطبيعة الحال لم يكن ابو التمن من شاكلة رجال العهد الملكي الذين كان بالامكان شراءهم. لذا كان الحل الوحيد لابعاده هو ارغامه بالتهديد على الاعتزال. وبالفعل بعد ابعاد ابو التمن انتهى حزبه وتشتت اعضاؤه في صورة مجاميع غير متجانسة مما سبب الحاق اضراراً هائلة بالحركة الوطنية في العراق.

وبعد انقلاب بكر صدقي الذي سيطر على السلطة تحت غطاء جمعية الإصلاح الشعبي في 1937 عاد أبو التمن فعلاً إلى العمل السياسي، حيث نال حقيبة وزير المالية. وهذا تأكيد على كونه إعتزل

السياسة في 1933 مكرهاً من قبل البريطانيين. وبعد أن كشف حقيقة بكر صدقي أستقال أربعة من وزرائه كان أبو التمن أحدهم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن إتجاهات مسارات النشاطات السياسية الخاصة بالعشرات من اتباع ابو التمن بمن فيهم عزيز شريف إبتدأت بالتبلور بعد إنتهاء الحزب الوطني.

كان تأريخ الحركة الديموقراطية في العراق قد تعرض الى التزوير والتشويه. وقد شمل التزوير عزيز شريف وذلك من أجل حذف اسمه من حركة الاهالي. إذ أرخ لجماعة الاهالي كتاب لم يذكر فيه لعزيز شريف اسم. وهذا مؤسف حقاً، ان يلجأ أي سياسي الى تزوير التأريخ مهما كانت المنطلقات. وقد عثر في اوراق عزيز شريف على الملاحظة ادناه:

((بوصفي احد المساهمين في نشاط جريدة الاهالي منذ تأسيسها ولكوني احد العاملين في سبيل وحدة الديمقراطيين في الحدود التي ساحاول تحديدها بصراحة تامة وبالامانة التي تسعفني فيها رغبتي في قول الحقيقة، وأنا اليوم متحرر من المصالح اذ حرر ما حرر وانا في القطار المتجه نحو المحطة الاخيرة من الحياة.

ولن أعود الى تاريخ تأليف جماعة الاهالي، فقد اهمل ما دونه مؤرخو تلك الفترة حقائق ربما لم يعلموا بها. فلم يذكروا اني كنت أملك 50 ليرة ذهباً وهي كل ما وفرته بالتقتير الشديد. اذ كنت معلماً وسلمته للجماعة لتأسيس الجريدة. دون ان يذكر لي حتى سهم فيما سمي شركة مطبعة الاهالي. ولا احسب احداً ساهم بما يقرب من هذا المبلغ وكنت قد جمعته على امل ان اتبلغ به في طلب العلم في خارج العراق. ولا أدري ان كانوا ذكروا فيما ذكروا اني كنت المدير المسؤول للجريدة لفترة من بدء صدورها. فلعلم لم يعلموا ان جماعة تكونت تكويناً من مواقف تحد للسلطة من قبل زيارة الفريد موند للعراق 1928، ثم بزيارته وطرد من طرد منهم بسبب قيادة المظاهرات. ثم بعد ذلك في كلية الحقوق ثم تحدي السلطة عام 1928 حتى عام 1931. ثم كانت فترة تأسيس جريدة في أواخر العام الدراسي لسنة 1931.))

التحق كامل الجادرجي بجمعية الاصلاح الشعبي في الوقت الذي كان يتزعمها ابو التمن. ومما تجدر الإشارة إليه أن عزيز شريف تعرف على كامل الجادرجي في لقاء له مع ابو التمن بعد تأسيس جمعية الاصلاح الشعبي وذلك في عام 1935.

وبعد إعتزال ابو التمن للسياسة انتقلت قيادة الشعبية الى الجادرجي. ونتيجة خلاف للجادرجي مع عبد الفتاح ابراهيم ابو الشعبية اضطر الاخير الى ترك الشعبية. وبعد سحق حركة رشيد عالي الكيلاني في عام 1941 حاولت السلطة الملكية تهدئة الاوضاع في العراق بمختلف الاساليب منها اعادة اجازة جريدة الاهالي في عام 1942. ألا ان السلطة لم تمنح اجازة هذه الجريدة الى جماعة الاهالي الاوائل وانما الى كامل الجادرجي وتحت إسم "صوت الاهالي".



## تأسيس حزب الشعب

بعد منح الجادري حقوق اصدار جريدة صوت الاهالي في 1942 بادرت جماعة الاهالي الاوائل الى احياء هذه الجريدة. الا انهم فوجئوا بخصومات عنيفة من قبل الجادري مما ادى إلى حرمانهم من النشر. ولم تتمكن السلطة آنذاك من خنق اصوات الديموقراطيين كلياً. فمن اجل المساهمة في نشر الوعي الديموقراطي قام عزيز شريف مع افراد من جماعة الاهالي الاوائل الى اصدار نشرات تحت عنوان "رسائل البعث" وقد اصبح معظم اعضاء هذه المجموعة اعضاءً في "حزب الشعب". وقام البقية باصدار مجلة "الرابعة". وقد اصبح معظمهم اعضاء في حزب "الاتحاد الوطني" الذي ترأسه عبد الفتاح ابراهيم.

اطلقت تسمية "رسائل البعث" على هذه المنشورات السرية. وليست لهذه المنشورات اية علاقة بحزب البعث العربي الاشتراكي الذي تأسس في سورية فيما بعد. وهدفت رسائل البعث الى التحرر القومي والحياة الديموقراطية. كانت تلك فترة النهوض الديموقراطي وانجذاب كثرة من الشباب المثقف نحو العمل السياسي. وكان المساهمون في تحرير رسائل البعث هم المؤسسون لحزب الشعب. وكان نشاط حزب الشعب "غير المجاز رسمياً" في 1942 مقتصرًا بالدرجة الاساسية على هذه المنشورات التي كانت تكتب باليد وتوزع على الاعضاء والمقربين الذين يوثق بهم ولكن بنطاق محدود، بحيث لم يتسنى لرجال الامن العثور على شبيءٍ منها، لانها كانت تمزق بعد قراءتها مباشرة. بالإضافة الى المنشورات السرية تضمنت رسائل البعث إعداد كراريس وكتب مختلفة نشرت بصورة علنية. فعلى سبيل المثال قامت والدتي السيدة نورية فيضي بترجمة دراسة المسألة المصرية لجواهر لال نهرو. كما قام عزيز شريف بتأليف كتابه الموسوم "النضال الوطني في سورية ولبنان" في عام 1945. ومما تجدر الاشارة إليه انني علمت بوجود هذا الكتاب لأول مرة من المؤرخ العراقي الدكتور ابراهيم خليل العلاف، وذلك من خلال قرائتي لمقالته القيمة تحت عنوان "إسهامات المؤلفين العراقيين المعاصرين في دراسة الصلات بين العراق وسورية". كما حاول هذا المؤرخ اظهار ميول عزيز شريف الوطنية تجاه هذا البلد الشقيق من خلال الاقتباسات. (انظر النور 12.04.2008).

وفي عام 1943 تم تعيين عزيز شريف بمنصب عضو محكمة الجزاء بمنطقة بغداد. الا انه استقال في عام 1944 للتفرغ كلياً للعمل من اجل تأسيس حزب الشعب. علماً بأن هذا المنصب كان اعلى منصب في جهاز الدولة يمكن ان يرتقي إليه الحقوقي في تلك الظروف. وفي الواقع لم تكن مهنة الحاكم تستهويه. وذلك بسبب عمق الفساد الاداري الذي كان يقف حائلاً دون إتخاذ القرارات العادلة. إذ سبق وأن عين حاكماً في الحلة. ففي نقاش عائلي سئل لماذا لم يستمر في منصبه كعضواً في محكمة الجزاء الكبرى؟ فلو استمر في هذا المنصب لو فر لنفسه ولعائلته الكثير من العناء والمشقات. فروى لنا الحدث التالي: في إحدى القضايا التي رفعت لي عندما كنت حاكماً في الحلة تشبثت سيدة أرملة بالدفاع عن حقوقها تجاه مغتصب من أقربائها كان قادراً من خلال موقع القوة والجاه وبمساعدة محاميه توفير

جميع المستلزمات اللازمة لكسب القضية. ثم حاولت مساعدة الارملة بكل الطرق من ضمنها التسوية بإتخاذ القرار. وأخيراً اضطرت إلى إتخاذ القرار في صالح المغتصب فصرخت الارملة بصوت صادر من الاعماق ومعبر عن الالم "وين العدالة؟" وفي إثر هذا الحادث لم يكن في منصب الحاكم أي إغراء بالنسبة لي.

وقد سجل عزيز شريف ضمن ملاحظات متداخلة بخصوص تأسيس الاحزاب الديمقراطية الآتي: ((وقد خرجت ومؤسسي رسائل البعث وحزب الشعب من التعاون في إصدار جريدة صوت الاهالي عام 1942. وبقي عبد الفتاح إبراهيم يتعاون في إصدار الجريدة لفترة اخرى. ثم الف عبد الفتاح وجماعة من الموظفين الديمقراطيين في عام 1944 "جمعية الرابطة الثقافية لمكافحة النزعات الرجعية وبث الثقافة القومية الديمقراطية." ولعبد الفتاح تأريخ في العمل الديمقراطي. فكان أحد المبادرين الاولين لتأسيس جريدة الاهالي. وساهم في تأليف جمعية الاصلاح الشعبي السرية وخرج منها بعد أن إختلف مع الجادرجي.))

وفي الملاحظة التالية تسنى لعزيز شريف تحديد الهدف السياسي لإقامة حزب الشعب وتشخيص الثغرة السياسية التي يتوجب على حزب الشعب التحرك ضمنها:

((لم تجد مجموعة رسائل البعث جدوى للتعاون مع الجادرجي ليس بسبب اختلافها معه وانما لموقفه المعادي للشيوعية. أما العمل بحزب واحد مع عبدالفتاح أبراهيم فلم يكن مشجعاً بسبب تمسكه بإدخال عناصر كانت بالاساس معادية لجريدة الاهالي. وقد اريد بحزب الشعب بالاساس ملئ الفراغ بين الحزب الشيوعي والحزب الوطني الديمقراطي المعادي للشيوعية. اما حزب الاتحاد الوطني فكان تجمعاً عرضياً منذ معطيات تأليفه لذا لم يكن قادراً على ملئ هذا الفراغ. علماً بان الاحزاب الكردية هي خارج نطاق هذا الموضوع، ذلك انها تمثل ثورة شعب منقصر للحقوق القومية. وأن التعاون مع هذا الجانب الايجابي ضروري ولكنه لا يسد الفراغ المذكور في الشطر العربي من العراق.))

كان عزيز شريف مفكراً ليبراليا لا يطبق تحمل اية قيود فكرية. وكان هذا السبب الاساسي للعديد من المشاكل التي جابهها اثناء نشاطه السياسي. فعزیز شريف الذي نشأ نشأة دينية في طفولته انجذب إلى الافكار القومية من خلال احتكاكه بالطلبة القوميين اثناء الدراسة الثانوية، وذلك قبل تكوين حركة القوميين العرب الجديدة. وكان السبب في انجذابه الى الافكار القومية كرهه للاستعمار البريطاني وحبه للعراق وشدة تألمه من الاوضاع المأساوية للشعب العراقي. ثم مالبت ان انجذب الى الافكار الماركسية التي بدأت بالانتشار بعد انتصار ثورة اكتوبر. وذلك بسبب نهجها القائم على اسلوب التحليل المادي ونبذها للعنصرية والشوفينية و للاستعمار والعبودية. فلينين كان الد اعداء الاستعمار وهو الذي فضح معاهدة ساكيس – بيكو. وكان توصله الى المواقع الماركسية قد تم من خلال المجلة البريطانية "ليبر مونثلي" التي كان يصدرها الشيوعي البريطاني بالمه دوت بالإضافة الى تأثيرات حسين الرحال والملتقين حوله.

وبإنتقاله الى الماركسية حافظ عزيز شريف على إنتمائه القومي وذلك على اساس الفصل بين التوجه القومي الذي هو حق مشروع لكل شعب والرابطة مع الفاشية المعادية للانسانية. فالرابطة بهتذر وموسوليني الهادفتين الى اعادة تقسيم العالم و المترتبة آنيا على وجود العدو المشترك لا يمكن ان تخدم حركة التحرر الوطني. لهذا السبب عرفت رسائل البعث بعدائها للفاشية.

وعلى الرغم من اتخاذه للماركسية اساسا للتحليل السياسي لم ينجذب عزيز شريف الى التنظيمات الشيوعية، فاستمر بالتمسك بالتحليل الديموقراطية. ويبدو لي جلياً بأن عزيز شريف واجه اثناء فترة تأسيس حزب الشعب بعض الصعوبات في صياغة ايدولوجية حزب الشعب التي من المفروض أن تكون ديموقراطية وقائمة على اساس المبادئ الماركسية، وذلك لجعلها قادرة على ملئ الفراغ بين الحزب الشيوعي وحزب كامل الجادرجي المعادي للشيوعية.

وفي سفرة الى سورية في عام 1944 وذلك اثناء انشغاله بتأسيس حزب الشعب التقى عزيز شريف بخالد بكداش زعيم الحزب الشيوعي السوري. وفي هذا اللقاء قام خالد بكداش بتعريفه على النظام الداخلي لحزبه وطريقة نشاطات حزبه. ولشدة اعجابه بما رآه في سورية قام ببناء حزب الشعب بموجب نموذج الحزب الشيوعي السوري. واهم ما ميز الحزب الشيوعي السوري أنذاك هو كونه حزب علني رافع لشعارات وطنية وفتح ابوابه لكافة العناصر الوطنية في البلاد بغض النظر عن موقعهم الطبقي وعقيدتهم الدينية وانتماءهم القومي. وهكذا تسنى لعزيز شريف من تكوين حزب ديموقراطي بأيدولوجية ماركسية وأهداف قومية بالنسبة للعرب والکرد.

منحت السلطة جريدة الشعب الى يحيى قاسم المنتسب آنذاك الى مجموعة رسائل البعث في 3 ايلول 1944. وكان من المفروض ان تكون هذه الجريدة لسان حال حزب الشعب فيما بعد. إلا أن يحيى قاسم انشق على المجموعة في 12 تشرين الاول عام 1944 وإحتفظ بإجازة الجريدة. ويذكر عزيز شريف في احدى الملاحظات الواردة في اوراقه الاتي: ((قام يحيى قاسم باسم حزب الشعب باتصالات بالجادرجي بدون علم الحزب. وقد لعب من خلال هذه الاتصالات دوراً خبيثاً في اثاره الجادرجي ضد حزب الشعب.)) وجاء في ملاحظة اخرى ((..... ثم تم استخدامه علناً من قبل مصطفى العمري وزير الداخلية وفيما بعد من قبل نوري السعيد. واستمر في اصدار جريدة الشعب الى حين ثورة 14 تموز.)) ثم اجازت السلطة جريدة "الوطن" التي كونت رسائل البعث الاساس الفكري لها. إذ صدر العدد الاول منها في يوم الثلاثاء 10 تموز 1945. وكتب عزيز شريف مقالة في هذا العدد تحت عنوان "خطتنا" جاء فيه: ((وبعد فأن الوطن هذه ليست صحيفة فرد من الافراد، أنما هي لسان اولئك الذين واصلوا النضال لتحقيق حزب الشعب ومبادئه، هم ومن إنضم و سينضم اليهم ويواصل هذا النضال. ولن تعبر عن رأي فردي او تسعى مسعى شخصياً، وستبقى جاهدة في بث المبادئ الوطنية الديموقراطية بصورة علمية حسبما يقتضي تطور المجتمع " . . . . . " وأختتم بالقول: وستكون الوطن مشعل الطليعة العاملة

لتحقيق هذا النضال الوطني الاجتماعي، وأنها لتفتح صدرها وترحب بالتعاون مع كل وطني يعمل لمثل اهدافها، وهي تؤيد كل سياسة تأتلف مع المصالح الوطنية وتعارض كل من ناقض هذه المصالح.)) وفي عام 1946 اجازت السلطة حزب الشعب واصبحت جريدة الوطن اعتباراً من العدد 66 الصادر في 25 شباط 1946 لسان حال حزب الشعب. ورفع الحزب شعار: "في سبيل حزب ديموقراطي واحد وجبهة وطنية موحدة".

عقد حزب الشعب مؤتمره الاول في 26 - 4 - 1946. واجري انتخاب اول لجنة مركزية له، ففاز كل من: عزيز شريف، توفيق منير، عبد الامير ابو تراب، خليل مهدي، حميد هندي، وديع طليا، عبد الوهاب الماشطة.

لقى عزيز شريف خطاباً في المؤتمر الاول جاء فيه. ((أن حزب الشعب قد تكون تكويناً طبيعياً ونشأ نشوءاً طبيعياً وأمتدت جذوره عميقة في الشعب. .... ثم ذكر ان الانتماء قد بلغ حداً لم يكن معه فرز القسائم ممكناً رغم ان المشتغلين فيها قد اجهدوا انفسهم طوال الايام الاخيرة و اشغلوا انفسهم في الليل والنهار.)) (جريدة الوطن العدد 105، 14 نيسان 1945 )

وجاء في العدد الرابع من صحيفة الوطن بتاريخ 3 آب 1945 تأكيد أن هذا الحزب قائم على أساس ديموقراطي في تركيبه وتنظيمه. كما طالبت الجريدة في مختلف اعدادها بتهيئة الاجواء الديموقراطية والغاء الاحكام العرفية والقوانين الاستثنائية.

وأولى حزب الشعب الى جانب الكفاح من اجل الديموقراطية إهتماماً كبيراً للمسألة القومية. فكتب عزيز شريف سلسلة من خمس مقالات بعنوان "معركة الشعوب العربية في نضالها الوطني وخصومها في هذا النضال".

ودافع حزب الشعب عن حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني من خلال جريدة الوطن دفاعاً مستميتاً. كما عارض حزب الشعب من خلال جريده الوطن وزارة ارشد العمري (حزيران - تشرين الثاني 1946)، ثم وزارة نوري السعيد التاسعة (تشرين الثاني 1946 - آذار 1947)، فوزارة صالح جبر (آذار 1947 - كانون الثاني 1948) معارضة لا هوادة فيها. اذ اتهم هذه الوزارات بأنها لا تمثل سوى ما ترسمه المصالح البريطانية لها.

### الحركة الديموقراطية في العراق خلال الفترة 1944-1946

ارادت بريطانيا من خلال منح الحريات الديموقراطية في خلال الفترة 1944-1946 كشف جميع نشاطات الحركة الديمقراطية وذلك تحاشياً لتكريس نشاطاتها السرية في دعم حركة مسلحة عراقية تحارب في الدفاع عن فلسطين. ولهذا الموضوع الهام لنا عودة فيما بعد.

لمسألة منح الحريات الديموقراطية في العراق اهمية تاريخية هائلة. إذ بعد توزع الديموقراطيين على الاحزاب الديموقراطية الثلاثة: الحزب الوطني الديموقراطي وحزب الشعب وحزب الاتحاد الوطني

ابتدأت مرحلة جديدة في تأريخ الحركة الديمقراطية في العراق. والسؤال الذي يطرح نفسه الان هل كانت الحركة الديمقراطية حركة منسجمة بذاتها وهل كانت مؤهلة للمساهمة في تحقيق الاستقلال والحرية؟

في ملاحظة لعزیز شریف جاء الآتي:

((اتضح دور الجادرجي في الابتعاد عن النهج الديمقراطي من خلال اختياره للعناصر القيادية لحزبه على اساس العداء الشيوعية. وكان ابرز مثال على المعادين للديموقراطية الذين وقع خيار الجادرجي عليهم عبد الوهاب مرجان الذي انضم فيما بعد الى زمرة نوري السعيد، حيث اصبح احد أعضاء الهيئة الادارية العليا لحزب الاتحاد الدستوري لنوري السعيد. وقد تقلد وظائف وزير المالية والاقتصاد ورئاسة مجلس النواب واخيراً اصبح رئيس الوزراء في الفترة كانون الاول 1957 – آذار 1958.

كان هاشم جواد الذي اصبح فيما بعد وزيراً للخارجية في عهد جمهورية 14 تموز مثال اخر ممن وقع اختيار الجادرجي عليهم. فكما هو معلوم تم كشف ارتباط هاشم جواد بالمخابرات المركزية وذلك بعد توريط الزعيم عبد الكريم بموضوع ضم الكويت الى العراق. اذ أُريد بذلك عزل جمهورية 14 تموز وخلق ضغوط خارجية من اجل الاطاحة بها. وعند مناقشة شروط العضوية في الحزب الوطني الديمقراطي اصر هاشم جواد بان الحزب يحتاج تزكية من الاتجاه الشيوعي. ويقصد بذلك قفل باب العضوية بوجه العناصر الديمقراطية المتحدية صراحة للسلطة الملكية والهيمنة البريطانية خارج نطاق الحزب الشيوعي. فالشيوعيون كانوا يمارسون المعارضة من خلال تنظيماتهم السرية. وقد لعب مطلب التزكية هذا تأثيراً حاسماً ومتواصلاً في سياسية الجادرجي وحزبه حتى النهاية.

كان قاسم حسن الذي اصبح فيما بعد سكرتير الحزب الوطني الديمقراطي واحداً من الامثلة التي تستحق الذكر. فحسب بطاطو ارسل قاسم حسن من قبل الحزب الشيوعي الى موسكو للدراسة في جامعة كادحي الشرق. وفي طريق العودة الى العراق بعد اتمام دراسته اتصل بالسفارة البريطانية في طهران. ودست بريطانيا قاسم حسن على الحزب الشيوعي ثم على تنظيم الضباط القوميين. ومن الامثلة الاخرى للعناصر الرجعية التي وقع اختيار الجادرجي عليها لقيادة حزبه خليل كنه وماجد مصطفى (وعبد الكريم الازري.))

عثر في اوراق عزیز شریف على مجموعة ملاحظات بخصوص كامل الجادرجي. وقد ورد في احدها الاتي:

((كلفني نصير "ابن كامل الجادرجي" و قاسم حسن بأن اتوسط لدى وزير الاعلام حامد الجبوري لكي يسمح باطلاق توزيع كتاب "مذكرات كامل الجادرجي". اذ كان توزيعه موقوفاً من قبل الوزارة عند وروده من الطبع في بيروت.

وفي زيارة لي للرئيس احمد حسن البكر وجدت في غرفة الانتظار حامد الجبوري. فقال انه جاء يستشير الرئيس في موضوع الكتاب. اذ كان فيه ما اعتبره الوزير نبلاً مني. وطلب مني ان اقرأ ما

يخصني منه قبل ان يبيت بالامر. فرجوت الوزير ان يسمح باطلاق توزيع الكتاب وساطع عليه بعد ذلك. وبعد التأكيد وافق الوزير ووزع الكتاب وقرأته.

ثم زارني نصير يعتذر عن ما ورد في الكتاب من مس بشخصي. فاجبته حرفياً. إذا كان ما في الكتاب من حقائق فلا حاجة للاعتذار. واذا كان ما فيه ما ليس صحيحاً فحري بك ان تعتذر الى والدك لانك نشرت ما قد يسيئ اليه.

يبدو ان نصير الجادرجي لم يكن واثقاً كل الثقة بصحة نشر المذكرات. اذ ذكر في ختام المقدمة في الصفحة 7 ..... ان وجوب نشر الكتاب بنصه الكامل الحرفي كما تركه الفقيد هو الطريق المقبول امام امانة التأريخ. وجاء في الصفحة 453 تحت عنوان ملاحظة ما يلي:

نود ان نشير الى ان الاستاذ كامل الجادرجي لم يكن ينوي عندما كتب يومياته التي اثبت نصها في هذا الفصل وفيما بعد، ان يقدمها الى النشر في حينه على الاطلاق، ولعله لم يطلع عليها احداً، وعندما قدمها لضمها الى الكتاب كان المفروض ان تعاد صيغتها للنشر بعد اقرارها ممن اطلعوا على مسودة الكتاب، الا أن الجدل الشديد الذي جرى حول نشرها او اختصارها وحذف اجزاء منها دفع الفقيد الجادرجي الى ان يقرر ايقاف الكتاب ونشره. ولما قررنا نشر الكتاب بعد وفاة الفقيد لم يكن امامنا سوى نشر المسودة بما فيها اليوميات دون المس بها.

يؤكد هذان الايضاحان ان الكتاب كله بقلم كامل الجادرجي بوجه اساسي او باشرافه المباشر. ونظراً للاختلاف حول الاقتراح بتنقيحه واصرار الجادرجي على نشره كما هو تقرر عدم نشره. فتم نشره كما اعدده في حياته. .... يعد الكتاب مرآة صادقة لسلوك الجادرجي وآرائه ما كان منها صواباً او خطأً. ما كان منها متقلاً بالانفعال و ما كان نتيجة تفكير طويل)).

وبقدر تعلق الامر بخلفية الاساءة في كتاب الجادرجي فيمكن تلخيصها في ضوء اوراق عزيز شريف على الوجه الآتي:

واجه الجادرجي مشكلة حقيقية عندما بدأ عبد الفتاح ابراهيم بتوجيه الدعوات لتوحيد الاحزاب الديمقراطية الثلاثة. وكانت وحدة الديمقراطيين ضرورة وطنية في سبيل مواجهة التحديات التي كانت الحركة الوطنية تتعرض لها.

استجاب عزيز شريف لدعوة عبد الفتاح ابراهيم وتم الاتفاق على توحيد حزب الشعب مع حزب الاتحاد الوطني باسم "حزب اتحاد الشعب"، الا ان عملية التوحيد لم تتم بسبب عدم الاتفاق على ضم اشخاص معينين الى الهيئة الادارية للحزب الجديد. اما الجادرجي فانه اقترح على عبد الفتاح ابراهيم بحل حزبه ودخول اعضاءه كافراد في الحزب الوطني الديمقراطي. وبطبيعة الحال لم يحصل على استجابته على اقتراحه هذا.

ولتخطي التعقيدات المرتبطة بالتوحيد اقترح عزيز شريف اقامة جبهة وطنية تضم الاحزاب الثلاثة. ولاقت فكرة الجبهة استحساناً كبيراً لدى قواعد الحزب الوطني الديمقراطي. الا ان فكرة الجبهة

الوطنية لاقت معارضة شديدة من قبل الجادرجي، اذ سيتوجب عليه ان ينسق سياسة حزبه مع السياسة المعارضة للسلطة الملكية والرافضة للاقطاع لحزبي الشعب والاتحاد الوطني. ولم يكن الجادرجي قادراً على تقديم اي رأي مقتع الى قواعد حزبه برفض الجبهة الوطنية. وبنتيجة الاتصالات على صعيد القواعد بين الاحزاب الثلاثة نضجت فكرة الجبهة. وبزيادة الضغوط على الجادرجي من قواعد حزبه في هذا الخصوص ثارت ثائرتة فاجرى تشهيراً ضد حزب الشعب ورئيسه مع ما شاء له انفعاله من نعوت. كانت هذه الاساءة التي سببت ايقاف توزيع مذكرات الجادرجي من قبل وزارة الاعلام.

وفي أدناه نص تعليق عزيز شريف حول موضوع إساءة الجادرجي:

((... فالموضوع يخص مذكرة اسماها الجادرجي سرية للغاية. والقصد من السرية ليس عدم النشر فحسب وانما عدم كشف كونها مرسله الى الجهة التي كان يعينها ملاحقة العناصر الوطنية. والمذكرة مؤرخة في 15 آب 1947 وتبدا بالصحيفة 193 من مذكرات الجادرجي. وهي نفس المذكرة التي اقتبس منها حنا بطاطو في كتابه.

فالجادرجي حاول ان يعطي لحزب الشعب ورئيسه صفة شيوعية. كما حاول ان يصور مدى خطورة اخفاء عزيز شريف لماركيسيته من اجل كسب مختلف العناصر من اليسار الى اليمين الى العناصر الدينية والراسمالية الى حزبه. وفي الواقع تفتقد المذكرة الى اي منطق أو تحليل سياسي موضوعي وانما كانت مجرد محاولة اثاره السلطة بشكل انتقامي.

ويبدو ان الجادرجي كان يتعرض الى ضغوط مستمرة بخصوص عدم افساح المجال للقوى الديمقراطية المعارضة للتغلغل في صفوف حزبه. لهذا السبب استمر اهتمامه بتبرئة حزبه من الشيوعية ليكون عند حسن ظن السلطة وبريطانيا. وقد بين اهتمامه في مذكراته باخبار السفارة البريطانية والوصي بان حزبه برئ من تهمة الشيوعية. وذلك بلقائه مع شخص قال انه "شخص معروف" كان على صلات متكررة مع السفير البريطاني ومع الوصي. وذلك بلقائه مع هذا الشخص في يوم 14-10-1949 ثم في يوم 21-10-1949 (صحائف كتاب الجادرجي 322 و323 و324). ذكر "ان السفير البريطاني لا يود ان يرى حوادث سنة 1948 تتكرر". وقال الجادرجي "ثم انتقل الحديث بيني وبين الشخص المعروف الى التهم التي توجه الى حزبنا بانه شيوعي فقلت انها مشكلة كبيرة ووددت معالجتها فلم اوفق ... وقلت للشخص ان حزبنا كما هو معلوم لدى الجميع اشتراكي المذهب ... وقدمت تقريراً مسهباً الى اللجنة الادارية اقترحت ان تعلن ذلك ...

في الواقع لم تكن محاولات الجادرجي لإرضاء بريطانيا مقتصرة على ضمان استمرار نشاط حزبه وانما كان يطمح ان يقدم لبريطانيا تنظيمياً بديلاً للزمر القديمة وبالدرجة الاساسية لزمرة نوري السعيد. فكما هو معروف كان البريطانيون يرون نوري السعيد عبئاً عليهم لشدة تعسفه ومحاولاته للانتقام من

الخصوم حتى باختلاق المؤامرات واتهامهم بها. فلم يكن في مصلحتهم ان "يضعوا جميع بيض نفوذهم في سلة نوري السعيد" كما كان يرد في تعليقات البعض منهم)).

كان الجادرجي قد وجد نفسه في قارب واحد مع الحزب الشيوعي بعد ان إنشق عليه فريق من اعضاء حزبه أثناء فترة حكم عبد الكريم قاسم. وكان قد ترتب على ذلك ظهور إشاعات من اليمين تتهمه بالشيوعية. ففي حديث له في هذه الفترة مع بطاطو صرح الآتي: "لو كنت شيوعياً لانتسبت الى الحزب الشيوعي. فليس من المخزي ان يكون المرء شيوعياً." (بطاطو ص 956) فإذا كان الامر كذلك فلماذا قدم الجادرجي الى أجهزة الملاحقة والقمع تقريره بخصوص عزيز شريف ومحاولته لإثارتها ضده من خلال إعطائه ولحزبه صفة شيوعية؟

كان بطاطو قد وصف كامل الجادرجي بكونه متكلم ويتمتع بحيوية ومحترم بشكل واسع، إلا أنه ضعيف من الجانب النظري ومتسرع في أحكامه ويندر أن يكون واقعي في السياسة. (بطاطو ص 306) ولم أجد المبررات المقنعة لتجاوزات الجادرجي على عزيز شريف. إنما لم أجد أي علامة تشير على وجود حقد او كراهية من جانب عزيز شريف تجاه الجادرجي. ولم يكن مسعاه في إطلاق توزيع مذكراته العلامة الوحيدة على ذلك. فعلى سبيل المثال كان عزيز شريف يختم الاقتباسات المسيئه الى شخصه من قبل الجادرجي والتي كان يستسخنها بخط يده بعبارة "الا فليطب ثراك ياكامل." كما أن عزيز شريف إستمر بالتصرف تجاه عائلة الجادرجي كصديق محب حتى النهاية. وعندما إستجدت العائلة به لإنقاذ أحد أفرادها من عمل تشيعي وبدون حق من قبل سلطة البعث وقف لهم موقف الاب وسارع بالتوسط ونجح في مسعاه.

### كيف إفتقرت سبل الديموقراطيين العراقيين اثناء التحضير لإقامة الدولة الصهيونية

كان امر الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني ينضح في العراق بزيادة الضغوط على الشعب الفلسطيني. وفي هذه الاثناء اخذ الجادرجي يلاقي ضغوطاً متصاعدة من قواعد حزبه من اجل اتخاذ موقف مؤازر للشعب الفلسطيني. وقد رد الجادرجي على هذا الضغط بطرد الجناح الماركسي من الحزب وذلك بعد قيام هذه المجموعة بإنقاذ المشاركة في الانتخابات التي جرت في شباط 1947 لقاء الحصول على مقعد او مقعدين في وزارة نوري السعيد. اي بنفس الفترة التي قررت بريطانيا خلالها التخلي عن انتداب فلسطين، وذلك لارساء الخطوة الاولى بإتجاه تأسيس الدولة الصهيونية. فتحت شعار الجناح الماركسي اريد طرد المجموعة المؤازرة لنضال الشعب الفلسطيني من قيادة الحزب. وكان في مقدمة هذه المجموعة المناضل الكبير الشهيد كامل قزانجي.

تم الغاء الحزبين الديموقراطيين، حزب الشعب وحزب الاتحاد الوطني، في 29 ايلول 1947 اي قبيل التصويت على قرار التقسيم. وذلك اثناء فترة حكم صالح جبر. وهكذا أبتدأت بريطانيا بتكبييل الحركة الديموقراطية في العراق اثناء التحضير النهائي لإقامة الدولة الصهيونية. وحسب عزيز شريف:



((تميزت هذه الفترة بملاحقة القوى الوطنية. واتخذت حملة ضد الاحزاب الوطنية المجازة تحت ستار البحث عن مصادر موارد هذه الاحزاب وطرق انفاقها. كما ابتدأت السلطة بإعتقال العناصر الوطنية غير المعروفة في الأولوية. ثم بدء في بغداد حسب اطلاعي بإعتقال كامل قزانجي وأخيه ومواطنين يهوديين. وقد وكلفني كامل قزانجي للدفاع عنه، ولم توجه اليه ايه تهمة واضحة. وكان الحاكم زميلاً لي منذ كنت حاكماً فأسرني بأنه ليس ثمة تهمة محددة ضد المتهمين وأما هناك قائمة لدى مديرية التحقيقات الجنائية بأسماء الشيوعيين "وقد يسمى بعضهم بالديموقراطيين". ونسخة من القائمة لدى وزير الداخلية مصطفى العمري. وقد بدء بإختيار كامل قزانجي وأخاه وآخران يهوديان لان إعتقالهم لا يثير ضجيجاً بسبب انتماءاتهم الدينية. وقد حكم على كامل قزانجي بالسجن وبعد قضاء محكوميته اسقطت عنه الجنسية العراقية ونفي الى تركيا. ولما جاء دور اخي عبد الرحيم فإعتقل إحتفيت ساعة أخذته الشرطة.))

تحت عنوان مصائر بعض كوادر الحزب الشيوعي دون عزيز شريف الاتي:

((ارى من واجبي ان استقرئ الوقائع بشأن قادة حزب الشعب وكوادره من استشهد منهم ومن واصل النضال من سبيل حرية شعبه ووطنه. وأقول مقدماً أن الذين تركوا السياسة منهم فقد بلغ بعضهم اليأس بسبب الصراعات الداخلية في الساحة الوطنية. كما اتعبت المسيرة بعضاً وانصرفوا الى امورهم الذاتية. ولم يعرف بين من ساروا في قافلة حزب الشعب عميل لقوى رجعية سوى شخص واحد هو يحي قاسم الذي تكرر الحديث عنه وعن مصيره.

#### توفيق منير

القي القبض عليه بعد حل حزب الشعب. ... وبعد قضاء فترة في سجن بعقوبة جرد من الجنسية العراقية ونفي الى تركيا. وعاد بعد ثورة 14 تموز وأصبح نائب المسؤول عن منظمة السلم العراقية. ثم القي القبض عليه في ظرف انتكاسة الزعيم عبد الكريم قاسم وحددت إقامته في سجن البصرة. وبعد اطلاق سراحه منح وسام جوليا كوري تقديراً لنضاله في سبيل السلم. وفي الايام الاولى من انقلاب ردة شباط قتل رمياً بالرصاص بينما كان مختفياً في دار خالية بالقرب من داره.

#### عبد الرحيم شريف

قاد مع ممثلي الاحزاب الاخرى انتفاضة كانون الاول 1947 – كانون الثاني 1948. اعتقل بعد فترة من الاحكام العرفية وحكم بالسجن على دفعتين اولهما لثلاثة اعوام والاخرى لعامين. ثم نفي الى بكرة وهرب من المنفى وواصل الكفاح السري حتى تمت وحدة الشيوعيين في نيسان 1956، فاصبح عضواً مرشحاً للجنة المركزية، ثم كامل العضوية. وأعدم بين من أعدموا في عهد انقلاب ردة شباط 1963.

#### عامر عبدالله

التحق بالحزب الشيوعي بعد تعطيل حزب الشعب بفترة. وبقي لفترة قصيرة مرشحاً للجنة المركزية ثم عضواً كامل العضوية ثم عضواً في المكتب السياسي. وكان لعامر عبدالله الاسهام البارز في ادبيات

الحزب في فترات طويلة حتى بعد ان اقصي من المكتب السياسي. ثم اعيد له اعتباره عضواً في اللجنة المركزية. وكان احد ثلاثة شخصيات نهضت بالحزب الشيوعي اولها سلام عادل وكان الاخر جمال الحيدري.

### عبدالجبار وهبي

كان من اوائل من التحقوا بالحزب الشيوعي، وقد عرف بتعليقاته القصيرة اللاذعة في جريدة اتحاد الشعب. وقد اعدم بين من اعدموا في عهد انقلاب ردة شباط 1963.

### كمال عمر نظمي

كان من كوادر حزب الشعب وقد انضم الى الحزب الشيوعي بعد تعطيل حزب الشعب. وقد عرف بقيامه بالدور الوسيط بين الحزب الشيوعي ومنظمة الضباط الاحرار. واذ اختار مهنة القضاء المدني (حاكم تنفيذ)، ظل من مؤازري الحزب الشيوعي.

### جرجيس فتح الله

كان من كوادر حزب الشعب وكان مسؤول الموصل. ثم انتمى فيما بعد الى الحزب الديمقراطي الكردستاني. وقد انيطت قيادة الموصل الى عبد الرحمن القصاب الذي انضم بعد تعطيل حزب الشعب الى الحزب الشيوعي.

### وديع طنبا

كان من كوادر حزب الشعب. وقد كان وديعاً على اسمه. والارجح ان رابطته بالحزب الشيوعي لم تنقطع ولا نستطيع الوصول الى الحقيقة. وانما دل على ذلك تركه لحزب الشعب بعد فترة وظهوره في قيادة حزب الاتحاد الوطني التي كان يتلقى تشجيعاً من الحزب الشيوعي. ثم ترك النشاط السياسي وانصرف الى مهنته يرتزق منها ببيع أدوات السيارات.))

ومما تجدر الاشارة اليه ان هناك عدداً كبيراً من اعضاء حزب الشعب يستحق الذكر والتقدير. وللأسف لم نحصل على معلومات وافية في هذا الخصوص. وفي ادناه نذكر البعض منها والتي زودنا بها بعض الاصدقاء: توفيق الألوسي وعبد الرزاق زبير وقاسم احمد العباس وعبدالوهاب الماشطة والمدرس عباس .... من اهالي تلعفر ومحمد جاسم السامرائي ونعيم الشهرستاني وإبراهيم الدركلي ويوسف جواد المعمار ويعقوب القرغولي.

### هل كان حزب الشعب معادياً للحزب الشيوعي العراقي السري؟

سجل عزيز شريف ملاحظات تحت عنوان إسطورتان، الاولى — ضد حزب الشعب — والثانية — ضد عزيز شريف شخصياً —. حرر عزيز شريف هذه الملاحظات في موسكو في صورة مسودات اولية وذلك في اواخر ايام حياته، حيث كان يعاني فيها معاناة شديدة من مرض القلب.

((إن ثمة من يحاولون العيش على تشويه التاريخ.... ولم يسلم حزب الشعب من السنة حداد ممن يعيشون على هذا المنوال. وإذ اتصدى اليوم لمعالجة هذا الموضوع ينقصني إمكان الرجوع الى ما صدر عن هذا الحزب الى جريدته والكتب العديدة التي عبرت عن مواقفه من الشؤون الوطنية والعالمية، فأنا مقعد تحت رقابة الاطباء، وحتى مراجعة المكتبات عسير علينا بل غير ممكن..... ولكن لدي بعض ما دونته على وريقات بأحرف صغيرة لامكان النقل والاختفاء. كما ساعدني بعض الاصدقاء بمنشورات قديمة و حديثة كانت لي عوناً كبيراً.

جاء في جريدة القاعدة الصادرة في شباط 1945، ص 88 و ص 89 مايلي:

إن شعار لا ضرورة لحزب شيوعي عراقي خيانة للطبقة العاملة، عندما يصدر هذا الشعار من جهات تدعي خدمة الطبقة العاملة وإعتناق المبادئ الاشتراكية، أذ أن هذا الشعار يريد من الشيوعيين صعود منارة سوق الغزل والتفرج على حركة الطبقة العاملة من فوق قمتها.... فالحزب الشيوعي ضرورة للطبقة العاملة وتعبير لحركتها الثورية. إذ بدون نظرية ثورية لايمكن ان تكون حركة ثورية.... وإن دور الطليعة يقوم به فقط الحزب الذي تقوده النظرية الاكثر تقدماً.

ولم يذكر فهد من هي الجهات التي ذكرت صدور شعار حل منظمات الحزب الشيوعي عنها، وهي على حد تعبيره "تدعي خدمة الطبقة العاملة وإعتناق المبادئ الاشتراكية". ولم يكلف فهد نفسه بإقتباس منشور او حديث او اي عمل معين صادر عن من وجه اليهم هذه التهمة. فلم يكن ثمة مجال للمناقشة وتأكيد صدور هذا الشعار او تفنيد الزعم بصدوره. وإنما ظهر المقصودون وهم مؤسسو حزب الشعب.

للحديث عن حزب ينبغي قبل كل شيء الرجوع الى ما صدر عنه من معالجات للقضايا الوطنية والقومية والدولية تعين موقفه منها، وسلوك ذلك الحزب في التطبيق العملي لبرنامج ومعالجاته. وقد وجدنا أن الذين حلى لهم إدانة هذا الحزب لم يستندوا الى كلمة واحدة من منشوراته ومعالجاته عندما **عمل في سبيل تطبيقها.**

وكان الخط السياسي الذي حددناه لعملائنا هو النضال في سبيل الديمقراطية وضد النفوذ الامبريالي الذي كان آنئذ بريطانيا بوجه اساسي. فكان جلياً منذ البدء وحتى النهاية أن حزبنا لم يكن واجهة للحزب الشيوعي، كما أنه لم يكن بديلاً لهذا الحزب. فلم ندع يوماً ما إننا حزب الطبقة العاملة او إننا حزب العمال والفلاحين، ولا حتى نحن "إشتراكيون".

وإذا كنا نؤكد على (قوانين تطور المجتمع) كما جاء، فلم تكن هذه القوانين سراً خاصاً بأحد. فليس يجوز إعتبار التأكيد عليها سبباً لمنافسة حزب ما. بل اخرى أن تكون سبباً لتوثيق التعاون مع كل حزب يقتنع بها. وقد كان هذا التأكيد محل تهجم عنيف من قبل كامل الجادرجي.

وقبل الحديث عن هذه الاسطورة وما تبعها من ملاحقات ساشير الى الاحداث التي تقدمت تأسيس حزب الشعب وعلاقتي بفهد ورفيقه زكي بسيم. بدأنا إصدار رسائل البعث وإتخذنا داري في الوزيرية

للاجتماع ومناقشة المواضيع التي نتناولها. وكان يسكن معي كل من عبدالرحيم شريف وتوفيق منير. وقد اصبحت لنا مع الزمن صلة صداقة و تبادل الرأي مع فهد وزكي بسيم. فكانا يترددان ليلاً على دارنا. وكان يسر هذا الاتصال وقوع دارنا على السدة (سدة ناظم باشا). ولم يكن عمران بغداد قد وصلها. وقد كلفنا فهد بترجمة تأريخ الحزب الشيوعي السوفياتي، فقامت بالترجمة زوجتي تحت إشرافي.

ولم يقترح فهد قط إنضمامي او أياً من رفاقي الى الحزب الشيوعي، كما لم نفكر الانضمام إليه. فإننا وإن إتقنا على التعاون كان كل منا قد حدد المهمة التي هدف الاضطلاع بها. كما كان لكل منا تحليله للوقائع واسلوبه في معالجة الخلاف مع من يخالفونه الرأي. وإن لم يثر نقاش حول ما لا نتفق عليه. وكان بعض المنتمين الى الحزب الشيوعي يشاركوننا في إجتماعات رسائل البعث. ولا بد أن يكون ذلك بعلم فهد وتشجيعه. وقد عرفنا منهم ثلاثة: اولهم شريف الشيخ الذي كان معروفاً انه قريب من الحزب الشيوعي. وقد إنقطع عن إجتماعاتنا دون ضجيج. ولم نحس في إنقطاعه لان حضوره كان غير منتظم. وثانيهم محمود صالح السعيد وقد عرفنا إنتمائه الحزبي من سلوكه اللاحق. فقبل إجازة الحزب بفترة طويلة قدم لنا مذكرة منفعة زعم فيها أننا فتحنا ابواب الحزب للإنتهازيين ولم يذكر إسماً واحداً ممن يعينهم وخرج. .... حتى عرفنا عند تقديم عرائض تأسيس الاحزاب أنه كان بين الهيئة المؤسسة لحزب (التحرر الوطني). أما الثالث وهو وديع طليا فقد كان من موقعي عريضة تأسيس حزب الشعب وكان عضواً في الهيئة الادارية. وحديثاً علمنا من نشر وثائق الشرطة التي توصل اليها بطاطو انه كان قد اقصى من قيادة الحزب الشيوعي قبل الانضمام الى حركة تأسيس حزب الشعب. وقد انسحب من حزب الشعب بعد فترة من تأسيسه وأصبح عضواً في الهيئة الادارية لحزب الاتحاد الوطني الذي كان يحضى بتأييد الحزب الشيوعي.

فما هو مصير الحقيقة إذ تلقى التهمة جزافاً دون إستناد الى أي قول او عمل محدد الى المتهم؟ فمتى وأين صدر عن مؤسسي حزب الشعب بيان او تصريح علانية او سراً او القيت محاضرة تشير من قريب او بعيد الى العمل لحل الحزب الشيوعي؟ وهل وجه اليهم سؤال بهذا الشأن؟ فإذا تتبعنا اسطورة العمل لحل الحزب الشيوعي فأولاً ينبغي أن يقال بأي منشور او اي خطاب؟ ففي جميع الشرائع التي تقيم وزناً للحقيقة ولحرية الانسان وكرامته تؤكد على الشاهد الالتزام بالحقيقة ثلاثاً: اولاً ان يقول الحقيقة وثانياً ان يقول الحقيقة كلياً، اي ان لا يقول بعضاً ويخفي بعضاً وأن لايجزؤها فتضيع الصلة الموضوعية بينها. وثالثاً ان لا يقول غير الحقيقة اي ان لا يضيف اي شئ يشوهها. وبعد ذلك يجري التحقيق عن تأريخ هذا الشاهد وموقفه من الحقائق واستنتاج فيما اذا كان ملتزماً بالصدق ام ان في تأريخه ثغرات)).

كررعزیز شریف اثناء محاولاته لإستقصاء الحقيقة بشأن التهجم على حزب الشعب ورئیسه تساؤله بخصوص اسباب عدم إتباع فهد لسیاسة تهدف الى جعل حزب الشعب حلیفاً بدلاً من محاربتة له بهذه الطريقة غیر العقلانية. وفي ملاحظة ذات صلة دون عزیز شریف الآتی:

الحقیقة

((حرية المناقشة والنقد والتحليل والمقارنة بين الوقائع، وكذلك بين الآراء هي الطريق الأكثر ضماناً للوصول الى الحقيقة. أما الاستبداد بالرأي فإن متغيرات الزمن وحدها كفيلة بتحليله ما فيه من صدق وصواب او باطل.

وختاماً:

لم اطلب شهادة حسن السلوك من أحد حين كنت في ظرف الطاقة والحركة، ومما أعتز به أنني ترفعت في كل الظروف عن ان احشر نفسي في رهط الشهود. فكثير على ان انتظر مثل هذه الشهادة او ان اخشى شهادة مضادة، والقطار يحث السير نحو آخر محطة له. فمن طاب له ان يضيف الي ما يريحه او يقربه الى خطوة ما فهنيئاً له. وحسبي في هذا قول اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما الى ابنها عبدالله بن الزبير، حين حاصر الحجاج مكة .... وكان مما قاله لامه:

أخشى إن ظفروا بي أن يمثلوا بي. فأجابته بكبريائها المعروف في وجه الظافرين أن الشاة بعد إن تذبج لا يههما أن يسلخ جلدها.

وإذ اعتز بفكرة الخيام دون تقيد بالوزن والقافية:

ربي رحماك ما نلت ثواباً ، فهل كنت مستحقاً عقاباً ؟ إنما قلت ما رأيت صواباً ..... وإني لم أزدلف الى الارباب او الى كهنوت المعابد من اي شيعة ولون .....))

كان حنا بطاطو قد اولى امر اتهام عزيز شريف بمحاولة تصفية الحزب الشيوعي من قبل فهد بعض الاهتمام إلا انه هو الآخر لم يتمكن من العثور حتى على مستمسك مادي واحد بخصوص هذه المحاولة المزعومة. وحسب بطاطو ان عزيز شريف لم يكن الشخص الذي كان بإمكان فهد وضعه تحت أبهامه ويقصد بذلك السيطرة عليه. فعزیز شریف اهمل فهد ومضى بالطريق الذي اختطه لحزبه. (انظر في ذلك بطاطو ص 588). والسؤال الذي لا بد من ان يطرح نفسه في هذا الخصوص هو لماذا كان من واجب الرفيق فهد وضع عزيز شريف تحت إبهامه؟

### موقف عزيز شريف من المسألة الفلسطينية

قام زكي خيري احد مؤسسي الحزب الشيوعي العراقي بحملة كبيرة لنصرة ما يسمى بالتقسيم في جريدة الاساس. وكان زكي خيري يؤيد من خلال حملته هذه الهجرة اليهودية الى فلسطين والتقسيم وإقامة الدولة الصهيونية على التراب الفلسطيني. فكان يصف الصهاينة بالتقدميين والدولة الصهيونية

المزمع اقامتها بالديموقراطية. وبصورة موازية كان زكي خيري يرد على مقالات عزيز شريف في جريدة الوطن بخصوص الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني بالافتراءات والاساءات والتشهير. لم تعد مسألة الاسباب الحقيقية للتهجم العنيف على عزيز شريف من قبل بعض قادة الحزب الشيوعي بالسر الكبير اذ تم تناولها من قبل مختلف الشخصيات الشيوعية الجريئة فيما بعد وبشكل موضوعي. ولعل طرح الاديب الكردي الكبير الدكتور عز الدين رسول بهذا الخصوص في مقدمة الطبعة الرابعة لدراسة عزيز شريف "المسألة الكردية في العراق" يستحق المراجعة والاعتباس. إذ دعا الرفاق الشيوعيين لدراسة افكار عزيز شريف الموافقة والمخالفة لهم، ..... ، ويدخل في ذلك تشكيله لحزب الشعب وموقفه من القضية الفلسطينية وتمييزه لوجوب الاتفاق او الاختلاف مع الموقف السوفياتي في تلك القضية. .... وكان امتداد الخلافات في كثير من المسائل واضحاً واهمها قضية فلسطين، فبينما كان شعاره (الحزب الشيوعي) هو معارضة تقسيم فلسطين في البداية فانه تطابق فيما بعد مع الخط السوفياتي، بينما كتب عزيز شريف: (ليس مسموحاً ان نستمد موقفاً في القضايا الوطنية من الاتحاد السوفياتي، او ان ننظر الى سياسة دولة كالاتحاد السوفياتي على انها مستوحاة في كل الحالات من اعتبارات المبادئ، الم يمر الاتحاد السوفياتي بصمت على سحق حكومة ايران لأذربيجان الم يقيم الاتحاد السوفياتي علاقات اقتصادية وسياسية مع حكومة تشانغ كاي شيك وحدها بينما كانت عواطفه مع الحركة المعادية لتلك الحكومة؟ .....)

ان الاتحاد السوفياتي دولة تفعل وتتفعل ضمن اطار وضع دولي، وتصوغ سياساتها في ضوء ذلك الوضع بكل تناقضاته وتعقيداته. واذا كان علينا ان نقبل من دون تحفظ كل السياسات التي ترى من الملائم تبنيها فاننا سنثير عدم الثقة بالحركة الوطنية بين جماهير الشعب واخيراً أكد عزيز شريف في هذه الدراسة على ان دولة اسرائيل كانت قد اقيمت عن طريق الاعتداء وعلى اساس انتزاع فلسطين من اهلها الحقيقيين. .... (عزيز شريف السياسة الصحيحة لحل المسألة الفلسطينية/ بغداد 1948 ص 13 – 15 و 33 ، نقلاً عن بطاطو ص 260).

كما تم ذكره اعلاه ارادت بريطانيا من خلال منح الحريات الديمقراطية في خلال الفترة 1944-1946 كشف جميع نشاطات الحركة الديمقراطية وذلك تحاشياً لتكريس نشاطاتها السرية في دعم حركة مسلحة عراقية تحارب في الدفاع عن فلسطين. فالعراق كان آنذاك محور الحركة القومية ومحط آمال احرار العرب ومعقل المناضلين في كافة انحاء البلاد العربية ولا سيما الفارين من وجه الظلم والاستبداد في سورية وفلسطين. كما ان العراق كان المصدر الاساسي لتزويد المقاومة الفلسطينية بالمتطوعين. فمشكلة فلسطين آنذاك كانت فقدانها لمعظم مقاتليها خلال الانتفاضة العربية 1936 – 1939 وعدم مقدرتها عن تعويضهم. وهكذا كان على بريطانيا خنق الطاقات الثورية الهائلة في العراق من أجل ضمان إبعاد الشيوعيين عن حمل السلاح للدفاع على التراب الفلسطيني وإعاقة تأسيس الدولة الصهيونية. وتمشياً مع هذه السياسة كانت بريطانيا مستعدة للتضحية بالنظام الملكي في

العراق بتعريضه للتعرية من خلال منح الحريات الديمقراطية. وذلك من أجل التنفيس عن كبت الجماهير المسحوقة وأشغال المجتمع بامور محلية. إلا أن بريطانية لم تكن مستعدة إطلاقاً للسماح بإستخدام الحريات الديمقراطية من أجل إثارة المجتمع في صالح الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. هذا الامر الخطير لم يلق إهتماماً لدى عزيز شريف. وهو السبب الذي جعله عرضة للملاحقة من قبل السلطة آنذاك.

للاسف الشديد انني قمت بإعداد عدد من الدراسات التاريخية بعد وفاة عزيز. وقد إطلعت أثناء إعداد هذه الدراسات في مكنتبات وارشيات البلدان الغربية على معلومات هائلة كان من شأنها إنارة الحقائق التي عجز عزيز شريف عن إجابتها. لم يعلم عزيز شريف بتفاصيل سعة المؤامرة الامبريالية التي كانت تحاك آنذاك من أجل إقامة نظام عالمي جديد الذي انطوى على إقامة الدولة الصهيونية على التراب الفلسطيني والتي كان ستالين محورها الاساسي. فعلى سبيل المثال بقي الى نهاية حياة عاجزاً عن ايجاد اي تبرير منطقي بخصوص دعم الاتحاد السوفياتي للصهيونية. كما عثر في اوراقه على عدد كبير من التسائلات بخصوص ما يسمى بأخطاء او جرائم ستالين. فعلى سبيل المثال دون في اوراقه استغرابه من رفض ستالين لنقل القوات الدفاعية السوفياتية في بداية الحرب الى الضفة الشمالية لنهر الدنيبر رغم الحاح زوكوف. إذ ترتب على ذلك إبادة هذه القوات وتدمير سلسلة من المدن والقرى وصولاً الى حدود مدينة موسكو. وبجانب هذه التساءلات نجد انه كان سعيدا لكشف عدداً من الحقائق اثناء فترة حكم غورباچوف. فعلى سبيل المثال ادرك حقيقة التناقض بين كتابات ستالين بخصوص المسألة القومية وممارساته الوحشية ضد الحقوق القومية. إذ ورد في احدى اوراقه الآتي: (( ..... وكان كاتب هذه السطور ممن إعتقدوا ان ستالين كان يواصل دور لنين في حل المشكلة القومية، حتى اصبح يسمى ابا الشعوب. ولكن اظهرت الدراسات الحديثة شيئاً مغايراً تماماً.))

لم تكن هناك اخطاء او جرائم ستالينية كما إعتقد عزيز شريف وإنما كانت هناك عملية إختراق مخيفة من قبل المخابرات الغربية وبالدرجة الرئيسية المخابرات البريطانية لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي منذ تأسيسه في العهد القيصري. فعدم الاستفادة من الحاجز النهري لاغراض الدفاع لا يمكن أن يكون خطأً. فهذه تكتيكات عسكرية معروفة منذ آلاف السنين ويدرك معناها حتى الطفل. وكذلك الامر بالنسبة لإسناد الصهيونية. فهذه العقيدة الاجرامية مناقضة لابسط المبادئ الانسانية خصوصاً أن لنين كان من الد اعدائها واول ضحاياها. إذ ان الصهيونية فاني (دورا) كابلان قامت في 1918 بتنفيذ محاولة اغتيال لنين.

ومن الجدير بالذكر ان عزيز شريف ادرك بأن الإتحاد السوفياتي كان يقدم خدمات للإمبريالية ودعا إلى عدم إسناده في هذا الخصوص، إذ أنذر في دراسته الخاصة بالمسألة الفلسطينية المذكورة اعلاه .... (ليس مسموحاً ان نستمد موقفنا في القضايا الوطنية من الاتحاد السوفياتي، او ان ننظر الى سياسة دولة كالاتحاد السوفياتي على انها مستوحاة في كل الحالات من اعتبارات المبادئ، الم يمر الاتحاد

السوفياتي بصمت على سحق حكومة ايران لأذربايجان .....). إنما لم يدرك عزيز شريف بان ما كان الإتحاد السوفياتي يقدمه من خدمات للإمبريالية كانت مترتبة على كون ستالين كان عميلاً للإمبريالية الغربية. لهذا بقي بالنسبة له أمر تسخير الإتحاد السوفياتي في خدمة تحقيق اهداف الإمبريالية محاط بالغموض، أذ بين ..... (ان الإتحاد السوفياتي دولة تفعل وتتفاعل ضمن اطار وضع دولي، وتصوغ سياساتها في ضوء ذلك الوضع بكل تناقضاته وتعقيداته. واذا كان علينا ان نقبل من دون تحفظ كل السياسات التي ترى من الملائم تبنيها فاننا سنثير عدم الثقة بالحركة الوطنية بين جماهير الشعب.)

أن محاولة تقييم ما يسمى بخطأ ما قام به ستالين او جريمة ما ارتكبها ستالين بصورة مستقلة يؤدي بالضرورة إلى إستنتاجات سطحية. إنما بدراسة مجمل هذه الأخطاء او الجرائم بصورة مجتمعة وضمن مجمل الاحداث ذات العلاقة يتيسر امر كشف ما كان يدور فعلاً آنذاك في الإتحاد السوفياتي. فكانت على سبيل المثال مسألة الإستحكام شمالي الدنيبر مجرد حلقة من سلسلة متكونه من حلقات متكاملة إبتدأت بتقسيم بولونيا.

فمن اجل ان نكشف النقاب عن الاسباب الداعية الى وصف الصهاينة بالتقدميين والدولة الصهيونية بالديموقراطية والتصدي للمدافع عن حقوق اشعب الفلسطيني بالاساءات والافتراءات من قبل شيوعي عراقي يجب ان نفهم ما كان يخفى تحت السيطرة الستالينية على الاحزاب الشيوعية آنذاك من خلال الكومينتينر. كما انه لا يمكن أن يفهم تأريخ العراق اثناء العهد الملكي بدون فهم حقيقة من هو ستالين. كان ستالين قد سخر قدرات الإتحاد السوفياتي والكومنتيرن الهائلة من أجل خلق النظام العالمي الاقتصادي الجديد بعد الحرب العالمية الثانية. وهذا النظام خلق الاسس المادية لولادة الشركات العابرة للقارات. فكل ما يسمى بأخطاء ستالين او جرائم ستالين كانت في الحقيقة خطوات مدروسة ومستكملة بسياسات في الغرب. وكانت جميع هذه السياسات تصب في مجرى واحد أدى الى إشعال الحرب العالمية الثانية في شرق اوروبا ثم الى إطالتها وانتهى باقامة النظام العالمي الجديد بعد الحرب العالمية الثانية الذي تضمن إقامة الدولة الصهيونية على التراب الفلسطيني. (انظر في ذلك الملحق رقم 3 الخاص بالناشر والمتضمن دراسة تاريخية تحت عنوان "من هو ستالين؟")

كان الحزب الشيوعي العراقي خاضعاً الى الكومنتيرن و ان كل ما حصل من انشقاقات داخل الحزب الشيوعي او تناقضات بين قادة الحزب الشيوعي والقوى الوطنية القريبة منهم في هذه الفترة إنما يعود الى سياسات الكومنتيرن الستالينية بالاساس. وبعد إغلاق الكومنتيرن في عام 1943 استمرت السيطرة الستالينية المباشرة على الحزب الشيوعي العراقي الى موت ستالين.

وبعد موت ستالين والقضاء على بيرية ثم سيطرة خروشوف في 1956 تحرر الإتحاد السوفياتي من الالية الستالينية التدميرية التي فرضت عليه والتي يشار إليها بعبادة الفرد. كما تحررت الحركة الوطنية في العراق من كابوس الستالينية الرهيب. إذ توحدت الكتل الشيوعية المتناحرة وتحقق فراغ سياسي



غير معهود سمح بتحقيق إصطفافات وطنية رائعة. كما سبب القضاء على الستالينية التصدع في الاسس التي كان يستند إليها النظام العالمي الجديد، مما سبب لجوء البلدان الامبريالية إلى ستراتيجيات جديدة من أجل الحفاظ على مواقع النهب والاستغلال. ومن هذه الاستراتيجيات الجديدة الاحلاف العسكرية كحلف بغداد وحلف السننو ومبدأ أيزنهاور وما شاكل.

كان أمر تكبيل الحركة الوطنية العراقية وشلها اثناء الانتصارات الصهيونية قد إنطوى على تفصيلات كثيرة معقدة لا نريد الدخول فيها في هذه المقدمة إنما سنكتفي باستعراض كيف تمت اقامة الدولة الصهيونية بمساعدة ستالين من اجل ادراك موقف عزيز شريف الفرد المكافح بالقلم ضد اكبر جريمة ارتكبتها الامبريالية الغربية في وطننا.

سخرت الامبريالية الغربية الاتحاد السوفياتي من خلال ستالين واعوانه في دعم الحركة الصهيونية واعطاء الدولة الصهيونية المزمع إقامتها صفة تقدمية. لهذا السبب كانت على سبيل المثال مسألة ما يسمى تقسيم فلسطين مبادرة سوفياتية قام بطرحها اندري كروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفياتي في 4 ايار 1947 على الامم المتحدة. وكانت هذه المبادرة تعني سحق مبدا تقرير المصير للشعب الفلسطيني ودعم صريح للصهيونية. كما انها كانت مجرد خدعة تاكتيكية من اجل اعطاء شرعية مزيفة لانتزاع الجزء الاكبر من فلسطين ووضعها تحت تصرف الصهيونية. ثم صوت الاتحاد السوفياتي الدول الاشتراكية على قرار الامم المتحدة بخصوص ما يسمى بالتقسيم في 29 تشرين الاول 1947. وكان هذا القرار قد تضمن اعلان تأسيس دولتين "دولة اسرائيل ودولة فلسطين" في آن واحد وذلك بعد مضي شهرين من انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين.

وفي نفس يوم انتهاء الانتداب البريطاني في 14 آيار 1948 اعلن بنغوريون ومن جانب واحد تأسيس دولة اسرائيل التي استولت على معظم القسم المخصص للدولة الفلسطينية. وهكذا فانه لم ينتظر لمدة شهرين. ثم قام الرئيس الامريكي ترومان بالاعتراف بدولة اسرائيل بعد 11 دقيقة من اعلانها وتبعه ستالين بعد ثلاثة ايام. ثم ابتداء الاتحاد السوفياتي بدعم الصهاينة مادياً وعسكرياً. فسخر جيكوسلوفاكيا بتجهيز الصهاينة باحدث الاسلحة الفتاكة. فمسألة تقسيم فلسطين من اجل اقامة دولتين على الارض الفلسطينية في عام 1948 هي مجرد اسطورة تاريخية. كما أن مؤيدي ما يسمى بالتقسيم كانوا مجرد ادوات سخرت من أجل تخدير المشاعر الوطنية، وذلك لتيسير امر تمرير هذه الجريمة البشعة. ولا بد من الاشارة في هذه الصدد الى أن الاعتقاد السائد هو حصول تبدل في موقف الاتحاد السوفياتي بخصوص ما يسمى بالتقسيم. إذ كان في البداية معارضاً ثم أصبح مؤيداً. فيشار الى العدد الصادر من جريدة الاساس في 22 آيار بأنه كان يحمل الموقف المعارض في حين ان العدد الصادر في 24 آيار عكس تغيير في موقف الحزب، إذ أصبح مدافعاً عن التقسيم. في الحقيقة لا يوجد شئ اسمه تغيير وإنما مجرد تاكتيكات، وذلك من اجل تأجيل كشف الاوراق الى اللحظة الحاسمة.

ثم ابتدأت الهوة بين موقف عزيز شريف والموقف الستاليني من المسألة الفلسطينية بالاتساع. ففي نهاية آذار 1948 استلم الصهاينة اول شحنة من الاسلحة الجيكية ثم نظم ستالين جسر جوي بين جيكوسلوفاكيا وفلسطين. وفي نيسان 1948 أصدر اتحاد الطلبة العراقي بيانه المؤيد لاقامة الدولة الصهيونية. في حين قدم عزيز شريف في أيار 1948 دراسته المذكورة بخصوص المسألة الفلسطينية والتي أنتقد فيها سياسة الاتحاد السوفياتي. وأخيراً تم توزيع منشور صادر في باريس في 11 حزيران 1948 من قبل ما يسمى باللجنة الديمقراطية العربية على اعضاء اللجنة المركزية. إذ تم التأكيد في هذا المنشور على كون المسألة الفلسطينية هي مسألة ذات طابع اممي. وقد وصف المنشور المنظمين الاجراميين ارغون و ليشي بكونها منظمات وطنية وتقدمية.

### عزيز شريف من وجهة نظر المخابرات الغربية

بعد مضي سنتين على وفاة عزيز شريف عثر على المذكرة المرفقة في نهاية هذه المقدمة. وهذه المذكرة السرية صادرة عن البعثة الامريكية في بغداد معنونة الى وزارة الخارجية بخصوص عزيز شريف. والمذكرة هذه مؤرخة في 26-10-1946. اي قبل تأسيس المخابرات المركزية بفترة قصيرة وبعد إصدار امر تعطيل جريدة الوطن بفترة قصيرة. ويتضح من التقرير المرفق بهذ المذكرة بان الامر كان يدور حول مسألتين: الاولى المسألة الفلسطينية والثانية دور كامل الجادرجي في الحركة الديمقراطية في العراق. وكانت هذه المذكرة بمثابة قطعة المؤزاك المفقودة. فان وضعت في الموقع الصحيح الى جانب المصادر الاخرى تستكمل الصورة الحقيقية لارتباط الاحداث السياسية في العراق في تلك الفترة بالتحضيرات الاساسية لاقامة الدولة الصهيونية على التراب الفلسطيني.

ولم ار في حياتي ملاحظاً قد أعجب بعدوه مثلما اعجب المخبرون الامريكان بعدوهم عزيز شريف الذي تجسسوا عليه. إذ عرف القائم بالاعمال عزيز شريف في مذكرته بكونه أحد القيايين اليساريين ورئيس تحرير جريدة الوطن التي تم تعطيلها قبل فترة قصيرة. ثم أشار الى كون عزيز شريف واحداً من اهم الشخصيات اليسارية الملفتة للنظر والمثيرة للجدل والتي تلعب دوراً هاماً على المسرح السياسي. وشخصية شريف هي موضع خلاف. إذ أن اصدقاءه واتباعه يجدون فيه من النزاهة والصدق ما يقارب القديسين. اما كبار الاغنياء والمحافظين فإنهم يجدون فيه الشيوعي الخطر. ومن الغريب حقاً أن يروى الكثير حوله من قبل الطرفين. وشريف فقير. وبالاخذ بنظر الاعتبار طاقته وكفائته وقدراته على العمل بنظر الاعتبار نجد بأن ذلك دليل قاطع على نزاهته. إنه من الصعوبة بمكان أن يتكلم المرء معه مهما طال الحديث بدون أن يعجب بصدقه ونزاهته في العمل من أجل "الانسان البسيط". وفي ختام مذكرته اشار القائم بالاعمال على الصفحة رقم 2 الى ان موقف عزيز شريف من المسألة الفلسطينية لا يختلف عن موقف المحترفين القوميين العرب منها.

يبدو ان أمر عزيز شريف كان يجب أن يحسم بشكل او آخر لكونه كان يشكل خطورة بالنسبة الى المساعي الخاصة بتأسيس الدولة الصهيونية وذلك من خلال إثارة الرأي العام وعلى وجه الخصوص التأثير على القوات المسلحة. فكما نرى من محاولة محرر التقرير اختبار مدى امكان تحويل اهتمامات حزب الشعب عن المسألة الفلسطينية، وذلك عن طريق اشغاله بامور مغايرة. وهذا يتضح من السؤال التالي: مدى اهمية المسألة الفلسطينية بالنسبة الى حزب الشعب؟ وهل هناك امور محلية تتطلب المعالجة اهم منها؟ فكان الجواب ان المسألة الفلسطينية هي المسألة الاساسية الوحيدة. ومن الاسئلة الاخرى في هذا الخصوص هو مدى انتشار جريدة الوطن في الجيش؟ ويستدل من الجواب بأن هناك اقبالاً واسعاً عليها من قبل العسكريين.

كان السبب الحقيقي لانتشار جريدة الوطن في الجيش كونها الصحيفة الوحيدة آنذاك التي كرست نشاطها الاساسي للمسألة الفلسطينية. اما سبب الاستفسار بخصوص هذا الموضوع فهو الخوف من الميول القومية للضباط آنذاك وتحمسهم لنصرة فلسطين.

وكما تم ذكره اعلاه كانت تدور المسألة الثانية حول دور كامل الجادرجي في الحركة الديمقراطية في العراق. فيقدر تعلق الامر بالجادرجي استهدف التقرير استنتاج مدى تقبل الديموقراطيين للانتخابات النيابية التي كان من المزمع ان يشارك فيها الجادرجي لقاء الحصول على منصب في وزارة نوري السعيد. فموضوع الانتخابات بالنسبة الى عزيز شريف امر لا يقبل نقاشاً. ذلك انه لا يتوقع اجراء انتخابات حرة في ظل الهيمنة البريطانية.

اجاب عزيز شريف على السؤال بخصوص مدى وجود تقارب بين الاحزاب الديمقراطية من اجل توحيد سياساتها على الوجه التالي: يوجد مثل هذا التقارب بين حزب الشعب وحزب الاتحاد الوطني. والجواب على استفسار بخصوص العقبات التي تحيل دون التقارب بين حزب الشعب والحزب الوطني الديموقراطي هو الجادرجي. فبرنامج حزب الشعب يتضمن تمليك الاراضي الاميرية للفلاحين والاصلاح الزراعي وازالة الاقطاع. في حين ان الجادرجي اقطاعي كبير. ومن الاسئلة الاخرى هل تعامل عائلة الجادرجي الفلاح معاملة حسنة؟ والسبب في طرح مثل هذا التساؤل هو محاولة الوقوف على حقيقة مدى استنساغ الايديولوجية الاقطاعية للجادرجي في الاوساط الديمقراطية؟

لقد اتبعت طرقتين لاسكات عزيز شريف في هذه الفترة. الطريق الاول الشراء، اذ زاره شخص ذات يوم يعرض عليه فكرة بريطانيا الجادة في تأسيس تنظيم جديد من عناصر نظيفة جداً من اجل اجراء تغييرات ايجابية في العراق. وكان الجواب واضحاً وهل تعتقد بأن عنصراً نظيفاً يقوم بخدمة بريطانيا؟ ولدى حضوره كمثل لجريدة الوطن في مؤتمر صحفي دعى إليه نوري السعيد، اجتمع به نوري السعيد على انفراد قبل انعقاد المؤتمر وقال له: انت تدافع عن العمال والفلاحين. ولكن لو اشتغلت معهم لغيرت رأيك، ثم اضاف جرب وخذ قطعة ارض وازرعها عند ذلك ستعرف عنهم كل شيء.

واثناء المؤتمر حاول ابداء اهتمام متزايد بعزیز شریف، اذ كان يلتفت باستمرار اليه مردداً (مو هيج شریف؟). فقطعة الارض كانت مدعاة الى الشك.

اما الطريق الثاني فكان الملاحقة. إذ يتبين من المذكرة على الصفحة 4 بأنه أثناء الحديث قد تم أستدعائه على الفور الى حاكم التحقيق من اجل التحقيق معه بخصوص احدى التهم الموجهة اليه. والغريب ان الافتراءات والتشهير بشخص عزيز شريف كان لها دوراً متمماً للملاحقة البوليسية. إذ كما هو معلوم ان هذا النوع من الاساءات يسبب إحباط المعنويات ويدفع المناضلين بإتجاه إخلاء الساحة.

### النضال السري خلال الفترة 1948 - 1956

وكما تم ذكره في أعلاه اضطر عزيز شريف الى الاختفاء في بغداد بعد اصدار امر القاء القبض عليه. ثم اضطر الى السفر سراً الى دمشق. ولم تكن الاوضاع السياسية في سورية مشجعة على البقاء مما اضطره الى العودة سراً الى بغداد في بداية 1949، حيث عاش فيها مختفياً. واثناء اختفائه في هذه السنة اعلن وزير الداخلية سعيد قزاز تجريده من الجنسية العراقية. وهنا لا بد ان يطرح السؤال التالي نفسه، ما هو سبب ضراوة ملاحقة عزيز شريف من قبل السلطة الملكية؟ لم يكن عزيز شريف يعلم طيلة حياته بأن موقفه من المسألة الفلسطينية على وجه التحديد كان السبب الاساسي في ملاحقته من قبل السلطة الملكية بهذا الاصرار وبهذه الضراوة. ولنفس السبب لم تكن اقامته في دمشق خالية من المخاطر.

كانت حياة الاختفاء في بغداد على درجة كبيرة من التعقيد ومحفوفة بالمخاطر. ولعب بعض افراد حزب الشعب المنحل تطوعاً ورغم المخاطر دوراً هاماً في تيسير امراختفائه، ولعل الشاب المتفاني محمد جاسم السامرائي كان في مقدمتهم. وكان التحاق اخوه الشهيد عبدالرحيم شريف عضواً للجنة المركزية للحزب الشيوعي به في وقت لاحق قد خفف من وطأة حياة الاختفاء عليه. فكان يكن لعبدالرحيم حياً يفوق حبه لاولاده. كان عبدالرحيم شريف انساناً متفانياً زاهداً في الحياة وناكراً لذاته. وقد عرف عنه شدة التواضع وحبه لنقد الذات. كان اهتمامه يدور حول الانسان. فقد كان رسول سلام ووثام وحب للبشر. انخرط في الحركة الوطنية اثناء الدراسة ولم يغره كسب المال بعد التخرج ولم يبد طيلة حياته ميلاً الى أي شكل من اشكال الراحة والتمتع بالحياة. ففضى حياته بين مطاردٍ من قبل الشرطة أو سجينٍ أو مبعدٍ أو مختفٍ. وقد تزوج اثناء ابعاده الى بدره بعد قضائه فترة محكومية السجن في بغداد. ولم يتمتع عبدالرحيم شريف حتى بإبوته لطفليه، اذ استشهد في انقلاب في 8 شباط 1963 الديموي وهو في ربيع حياته.

ثم باشر عزيز شريف واعضاء من حزبه العمل السري بإسم (لجنة نشر الوعي الماركسي) اولاً وحزب (وحدة الشيوعيين) فيما بعد. وكان هذا الحزب يصدر جريدته السرية (النضال). وعلى الرغم من مرارة ظروف الاختفاء إستمر عزيز شريف بالانتاج الفكري.

وفي اثناء الاختفاء في بغداد وجه اهتماماته الى المسألة الكردية. فكتب الآتي: ((بدأ إهتمامي بالمسألة الكردية في أوائل الاربعينات، وبخاصة عند محاولة وضع برنامج لحزب الشعب وفي ضمنه موضوع المسألة القومية في العراق. "وفي عام 1950 وضعت دراسة أولية في "المسألة الكردية في العراق" فكان لها صدى إستحسان من قبل الديموقراطيين، كما تناولها بتشويه وإفتراء ضدي شخصياً بعض ممن كانوا آنذ يتكلمون بإسم التقدمية والماركسية، حتى بلغ بهم رخص الإفتراء الزعم بأنني حررت تلك الدراسة في غرفتي في السفارة البريطانية وأن الحل المقترح فيها هو ما يريده الاستعمار البريطاني.

وليس لي أن أدعي أنني أصبت في كل ما رأيت. فقد كان حرياً بمن يخالفني بالرأي ان يتناول عملي بروح البحث عن الحقيقة وينتقد ما قد يرى من خطأ ويؤيد ما قد يرى من صواب. فالموقف المتخذ ليس محض تدنيس سمعة شخص وإنما هو تضليل الرأي العام الذي لا يخدمه سوى البحث غير المنحاز للحقيقة. وليس يهمني الان الحديث عن مصير اولئك المندسين وإلى أين إنتهى بهم المطاف.)) أعدت هذه الدراسة في ظروف الملاحقة والاختفاء ونشرت بتوقيع نصير. وقد طبعت على آلة إستنساخ (رونيو) ووزعت توزيعاً محدوداً. ثم اعيد طبع هذه الدراسة عدة مرات. واستخلص الدكتور عزالدين رسول بموجب تقييمه للدراسة في الطبعة الرابعة ما يلي:

(1) انها اول كتاب او تقرير عربي واضح عن القضية الكردية.  
 (2) ان فيه من الوضوح في فهم القضية الكردية والموقف منها ما يتطابق مع التاريخ والواقع ومع الموقف الكردي المناضل نفسه تماماً.

(3) انها كتبت بأسلوب الماركسيين في تلك العهود، اذ ان اثبات اي راي واجتهاد مهما كانا صغيرين يحتاج الى معادلة طرفها الاخر مقولات لمفكري الماركسية (ماركس انجلس لينين ستالين) وقد اجاد عزيز شريف في هذا الفن من الرياضيات كي يثبت العدالة والحق في القضية الكردية وحق الشعب الكردي في تقرير مصيره بنفسه وتكوين دولته المستقلة. وكان في كل ذلك واضحا وصرى لا يخشى لومة لائم.

وقد قدم الشخصية الوطنية الكردية الشهيد سامي عبد الرحمن (محمد محمود) التقييم التالي على هذه الطبعة:

" تعريف وتقدير.

وضع الاستاذ عزيز شريف بحثه هذا (المسألة الكردية في العراق) عام 1950. وعند مراجعته بعد 37 عاماً وجدناه طرحاً مبدئياً واشتراكياً ينم عن جرأة فائقة وعلمية دقيقة الى حد التفاصيل ومحتفظاً في حيويته، فهو عون لكل من يريد ان يضع حلاً جذرياً عادلاً للمسألة الكردية. ومن هنا فان الاخوة في الاتحاد الوطني الكردستاني يقدمون خدمة طيبة للقراء باعادة طباعة هذا البحث ونشره.

لقد وهب الاستاذ عزيز شريف حياته المديدة لخدمة القضايا التقدمية العراقية والعالمية... وهو يعيش في المنفى اسوة بجمهرة غفيرة من اهل الفكر والعلم والساسة الوطنيين.

وان ما يميز الاستاذ عزيز شريف في مجال المسألة الكردية هو ان هذه القضية بقيت على راس همومه واهتماماته، ليس فقط في وضع الاسس النظرية القائمة على حق تقرير المصير والاتحاد الاختياري لهما، كما جاء في هذا البحث، بل في الدفاع عنها وابرار اهميتها لدى الاوساط والمحافل التقدمية العربية والعالمية، فضلاً عن النشاط المتواصل والرحلات الطويلة عبر جبال كردستان والاقامة وسط الانصار.

وقد ساهم الاستاذ عزيز شريف مساهمة بناءه وجادة لاعداد اتفاقية 11 آذار 1970 وانجازها، وظل متمسكاً في القضية الكردية، محاولاً بجرأته وجدده وعبر اربع سنوات مضنية المساهمة في ايجاد حل سلمي عادل لها. خلال تلك السنوات عبر الاستاذ الشيخ عن جرأته الفائقة المعهودة ونقاوته الكاملة من الشوفينية، حيث لم يقف موقفاً واحد مع الشوفينية، بل كانت كافة مواقفه مع الشعب الكردي وحقوقه.

بقي ان نقول، نظن انه من الامور المفرحة للاستاذ عزيز شريف ان يعلم ان المثقفين الكرد من الانصار يقومون باعادة طبع كتابه في جبال كردستان. ولكن بانتظار نتاجه القيم الاخر (الحرب والسلم في كردستان) والذي يتضمن خلاصة مشاهداته وتجاربه وتحليلاته عن القضية الكردية.

وقد تناول الدكتور كاظم حبيب ضمن الجهود التي يبذلها من أجل إعادة كتابة تاريخ العراق الحديث بشكل موضوعي موضوع مبادرة عزيز شريف بخصوص المسألة الكردية. إذ عنون المبحث الثاني من كتابه لمحات من عراق القرن العشرين "عزيز شريف والمسألة الكردية". ولطرح الكنتور كاظم حبيب أهمية جداً كبيرة من وجهة النظر التاريخية، وذلك لسببين. الاول القدرة على وضع خلاصة لأهم ما ميز هذه الدراسة. والثاني الجرأة على استعراض الطريقة التي قوبل بها البحث والباحث من قبل الحركة الوطنية بشكل صادق، مستنداً في ذلك إلى إطلاعها الشخصي على الصراعات الدائرة داخل الحركة الشيوعية في تلك الفترة وكيفية تخطيها. وفي أدناه إقتباس لأهم ما ورد في الكتاب المذكور بخصوص الدراسة موضع البحث:

((إن تفرد عزيز شريف في طرح موقفه المبدئي الصائب مبكراً إزاء المسألة الكردية هو الذي جعلني أخصص مبحثاً خاصاً به , باعتباره من أوائل الماركسيين العراقيين الذين تميزوا بالجرأة والوضوح في وضع القضية الكردية في إطارها الصحيح وفي طرح المواقف السلمية منها وفق المنهج المادي والفكر الماركسي والوعي بقضية الشعوب وحقوقها في تقرير مصيرها.

أن موقف عزيز شريف المبدئي من المسألة الكردية , حتى قبل تأسيس حزب الشعب الذي ترأسه , وعمل من أجله فترة طويلة إلى أن صدر له في العام 1950 الكراس المهم الموسوم: "المسألة الكردية في العراق" لا يستحق التقدير والثناء فحسب, بل والدراسة من جانب كل العرب ليتبينوا من خلاله إن الكتاب لا يخدم القضية الكردية فحسب, بل والقضية العربية أيضاً. إذ لا يمكن ان يكون شعب حراً

وهو يستعبد أو يهيمن أو يرفض منح شعب آخر حريته وحقه في تقرير المصير. ويبدو هذا الموقف المبدئي لعزیز شریف من أول صفحة في الكراس حين يعرض المسألة الكردية على النحو التالي:  
"ظاهرتان للمسألة الكردية في العراق:

الظاهرة الأولى تمثل الوجه السلبي للمسألة الكردية أي أثر السياسة الاستعمارية الرجعية التي قضت باستعباد الشعب الكردي وتمزيق أوصاله وإبقائه في مستوى من العيش البهيمي.  
أما الظاهرة الثانية للمسألة الكردية في العراق فإنها تمثل الوجه الإيجابي لهذه المسألة وهو كفاح الشعب الكردي في سبيل حرياته وفي سبيل تقرير مصيره.

والمسألة الكردية في العراق ليست عراقية صرفة، إنها جزء من مسألة الشعب الكردي في جميع موطنه كردستان وأن مزقته السياسات الاستعمارية الرجعية المحلية الجائرة وأن تعددت لهجاته حتى بدت أحياناً كأنها لغات مختلفة بسبب العزلة. وأن ترابط أجزاء المسألة الكردية يبدو جلياً في التدابير السياسية والبوليسية العسكرية المنسقة التي تقوم بها قوات الحكومات السائدة في العراق وتركيا وإيران ومن فوقها ومن ورائها الاستعمار الانكلو أمريكي لقمع أية حركة انتفاضة كردية، تقع في أي من الأقطار الثلاثة وأحدث مثال لهذه التدابير المنسقة هو التعاون العسكري بينها لسحق حركة البارزانية عام 1945." (شريف، عزيز. المسألة الكردية في العراق. مطبعة مكتب الإعلام المركزي للاتحاد الوطني الكردستاني. ط4. 2004. ص 29).

ويعالج الكاتب في متن كراسه الظاهرتين بتفصيل دقيق وسليم ويدين السياسات الرجعية التي ترفض الاعتراف بحق الشعب الكردي لا في العراق فحسب، بل في كل الأقاليم الأخرى التي توزعت على الدول المتجاوزة فيشرح خصائص القومية الكردية ونضالها التحرري، كما يطرح الموقف الأممي البروليتاري كما يراه لهذه المشكلة القومية التي تعقدت بفعل قوى الاستعمار وأطماع القوى القومية الشوفينية في الدول الثلاث التي توزعت عليها الأرض الكردستانية وشعب كردستان.

وقبل أن ينهي عزيزي شريف ويلخص نتائج بحثه كتب يقول:

**"بقيت نقطتان نرى ضرورة التنويه بهما ، وهما :**

أولاً: إن مسألة الاتحاد الاختياري ليست مسألة مطلقة دائماً وفي كل مكان وزمان ، يقول لينين : (ومن ناحية أخرى على الاشتراكي المنتمي إلى أمة صغيرة أن يؤكد في دعايته على الشرط الثاني من الصيغة العامة -الاتحاد الاختياري- بين الأمم. ويسوغ له دون إخلال بواجباته بوصفه أممياً أن يفضل إما استقلال أمته السياسي أو إلحاقها في دولة مجاورة ..الخ وعليه في كل الحالات أن يكافح ضد ضيق ذهنية الأمة الصغيرة وضيق الفكر والترفع ، عليه أن يناضل في سبيل الاعتراف بالكل والعموم وفي سبيل تبسيط مصالح الخاص إلى مصالح العام.) (راجع ستالين ، الأسس اللينينية).

والنقطة الثانية : هي أن الضرورات الاقتصادية هي الأساس العام الدائم للاتحاد الاختياري بين الشعوب.

بيد أنه في ظروف الإمبريالية يكون للاعتبارات السياسية وزن هام وأن كان موقوتاً في تقرير الحوادث المعينة. لأن الأوساط الاستعمارية تستغل الحوادث للتأمر على حريات الشعوب كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً. ...

وخلص القول في هذه الناحية إن الكفاح ضد العزلة في الأمم الصغيرة عام ومطلق ودائم. أما الدعوة إلى الاتحاد الاختياري بين الشعوب فإنها ليست مطلقة وهي في التطبيق خاضعة لما تمليه الضرورات القائمة في كل حادثة من الحوادث المعينة.

وفي نظرنا إن دعوة الديمقراطيين الكرد في العراق إلى الاتحاد الاختياري كانت مصيبة بالنظر إلى الظروف الاقتصادية والسياسية الحاضرة معاً. (شريف , عزيز. نفس المصدر السابق. ص 80/79).

وانتهى عزيز شريف إلى الخلاصة التالية :

"إن حل المسألة الكردية في العراق يتضمن ما يلي:

1 - نضال الجماهير العربية الكادحة في سبيل حرية وتقرير المصير للقومية الكردية بما في ذلك الانفصال وتأييد دولة مستقلة.

2 - نضال التقدميين الكرد المطلق ضد الميول الانعزالية بين الجماهير الكردية ودعوتهم إلى الاتحاد الاختياري بالعراق (في الظروف الراهنة القائمة).

على أن هذا النضال بوجهيه لا يتجزأ من الحركة الوطنية التحريرية ضد الاستعمار وعمالته المحليين من جهة , ومن الكفاح العام ضد الإمبريالية بنوع خاص ضد المؤامرات الحربية العدوانية الانكلو أمريكية , من جهة أخرى. (شريف , عزيز. نفس المصدر السابق. ص 80/79).

كان عزيز شريف ينتقد القوى التقدمية في مواقفها الضعيفة والمتردة إزاء حق الشعب الكردي في تقرير مصيره. وكان هذا النقد وارداً للحزب الوطني الديمقراطي وبعض القوى الديمقراطية الأخرى , كما كان وارداً بالنسبة للحزب الشيوعي العراقي في فترة النكسة الشديدة التي تعرض لها الحزب قبل وفي أعقاب استشهاد فهد, ومجيء قيادات ضعيفة وغير مثقفة ثقافة ماركسية متينة والذي تجلى في اتهام عزيز شريف بالتروتسكية والتيتوية بسبب ما طرحه من موقف مبدئي إزاء القضية الكردية. فنحن نقرأ في المقدمة التي كتبها للطبعة الثانية من كراسه الموسوم "المسألة الكردية في العراق باسم "تصير" حيث يقول:

"ولكننا مع صرف النظر عن سياسة التمييز الاستعمارية ومع صرف النظر عن شوفينية البورجوازية الرجعية نجد أن التقدميين العرب في العراق لم يعيروا هذه الحقيقة ما تستحقه من أهمية ولذا فقد تضمنت الطبعة الأولى من هذا الكراس لوماً لمن أسميناهم (الجهة التقدمية). [لموقفها الفاتر من



الحركة القومية الكردية مع أن الشيوعيين يدينون بحرية تقرير المصير للقومية الكردية لم يبرز بينهم شعار قوي للدعوة إلى هذا المبدأ ونشره وجعله قوة محرّكة].

وبعد أن ظهر تلك الطبعة وما قبلت به من عداء سافر للحل اللينيني الذي تضمنته قد كشف عن قصور ذلك النقد , فبعد أن حاربت جماعة القاعدة هذا الكراس بالصمت ولما لم يجد الصمت في قتله لجأت إلى أسلوب الهجوم المكشوف فوصفته في العدد التاسع من جريدة القاعدة ( أواسط تشرين الثاني 1950 ) بكونه ( يحل المسألة بالشكل الذي طالما دعا إليه الانتهازيون , وراق ذلك له "كذا وردت" المستعمرون ... ) وانحدرت إلى التشهير باسم عزيز شريف باعتباره واضع هذا البحث , كما انحدرت أكثر في العدد الثاني و زعمت أنه يحرض الجماهير الكردية ضد العرب وافترت افتراءً بذيئاً مصرحة أن للمؤلف (نصير) غرفة في السفارة البريطانية. (شريف , عزيز. المسألة الكردية في العراق. مقدمة الطبعة الثانية. مصدر سابق. ص 24/23).

إن هذا الموقف الخاطئ الذي تميز بروح المهاترة غير الودية إزاء قوة ماركسية أخرى من جانب قيادة الحزب الشيوعي العراقي حينذاك عبرت عن المستوى المتخلف لتلك القيادة. وقد استمر هذا الموقف فترة قصيرة إلى أن تم تعديله بقرار وموقف من قيادة الحزب التي كان بهاء الدين نوري (باسم) سكرتيراً للجنة المركزية للحزب حينذاك, حين رفع شعار حق تقرير المصير للشعب الكردي. ثم اغفل ثانية, ثم عاد إلى الواجهة في تقرير سلام عادل إلى الاجتماع الحزبي الموسع الثاني في العام 1956.

لقد كان عزيز شريف قومياً تقدماً نزيهاً في وعيه للمسألة القومية الكردية من منطلق الوعي بالقضية القومية العربية أيضاً, وكان وطنياً أميناً وحريصاً على مصالح الشعب العراقي بكل مكوناته القومية والذي كان يتجلى في نضاله الدؤوب ضد الاستعمار والرجعية والظلم والاضطهاد ومن أجل الديمقراطية وحقوق القوميات والعدالة الاجتماعية, كما كان ماركسياً واعياً مستخدماً المنهج المادي في التحليل والاستنتاج ورسم السياسات, إضافة إلى كونه أميناً صادقاً من حيث الموقف العام في النضال ضد الإمبريالية وفي التضامن بين شعوب البلدان المستعمرة والتابعة من أجل نيل حريتها واستقلالها وسيادة بلدانها, وفي سبيل استتباب الأمن والسلام في العالم. وقد برهنت الحياة على صواب الموقف الذي التزم به عزيز شريف إزاء القضية الكردية طوال حياته. ((

ومن أجل الامانة العلمية يجب ان نشير في هذا الصدد إلى ان عزيز شريف لم يكن العربي الوحيد الذي دافع عن الحقوق القومية للاكراد في الاربعينات من القرن المنصرم. اذ كتب الاستاذ هاني الحوراني مقالة على درجة كبيرة من الاهمية بعنوان "اديب معوض .... القومي العربي الذي انتصر لقضية الكرد مبكراً". ونشرت هذه المقالة التي تستحق الاشارة والاقتباس وكالة فلسطين الحرة للاعلام في 06\_12\_2008. وفي ادناه بعض الاقتباسات من هذه المقالة. الدكتور أديب معوض مسيحي لبناني خرج في 1945 بكتابه "القضية الكردية بين الامس واليوم" وتوج عنوانه بعنوان فرعي "في

سبيل العروبة." وقام مركز الدراسات الكردية وحفظ التراث في جامعة دهوك بإعادة طبع هذا الكتاب. كما قام الدكتور عبد الفتاح البوتاني رئيس المركز بتقديم الكتاب.

بلا شك أن اديب معوض نابغة وباحث إنساني في سبيل الحقيقة بالإضافة الى كونه قومي عربي اصيل. فمن أجل العروبة ينتصر للقضية الكردية. في حين سُخرت أجيال من مدعي القومية العربية من قبل الغرب لسحق الحقوق القومية للاكراد. ويقتبس البوتاني بهذا الخصوص من دراسة عزيز شريف المذكورة الاتي: "لا يجوز للعربي وليس في صالح حريته ان يكون سوط العذاب بيد الجلادين المستعمرين يلهبون به جلود الاقوام المضطهدة ويقطعونه على ظهورها."

كانت حياة الاختفاء بالنسبة الى عزيز شريف في بغداد شاقة ومحفوفة بالمخاطر. وبعد خروج سورية من عهد الشيشكلي اخذت تحتضن اعداء الانظمة التي كانت تسود فيها الحكومات الموالية للاستعمار. فعزم على الانتقال الى دمشق.

وكما سنرى ابداً في دمشق فصل جديد من حياة عزيز شريف. الا انه قبل الدخول في عرض احداث سورية لابد من التوقف اولا عند فترة الاختفاء في بغداد من 1948 الى 1955. فعلى الرغم من الانجاز الفكري في هذه المرحلة لم يكن عزيز شريف من وجهة نظر كاتب هذه الصفحات موفقاً في اختيار برنامج حزبه السري. فلماذا لم يحتفظ ببرنامج حزب الشعب الديموقراطي؟ اذ كان من المفروض مواصلة النضال من اجل الاستقلال والديموقراطية وتأسيس حركة ديموقراطية حقيقية سرية. فالعراق كان وما زال يفتقد الى حركة ديموقراطية حقيقية. ثم ما هي الاسباب الموجبة الى الانتقال الى الشيوعية في الوقت الذي كان في العراق كتلتين شيوعيتين؟ والمؤلم أن فكرة سد الفراغ بين الحزب الوطني الديموقراطي المعادي للشيوعية والحزب الشيوعي هي من بنات أفكاره. ومما تجدر الاشارة إليه أن الحاجة الى تطبيق هذه الفكرة اصبحت في تلك الظروف أكثر إلحاحاً وذلك بسبب تعاون حزب الجادرجي بركاب السلطة.

### النشاط الفكري والسياسي خلال الفترة تموز 1956 - تموز 1958

حل عزيز شريف تنظيمه الخاص ببيان حرر في 25 نيسان 1956 تم نشره في حزيران، حيث اعترف فيه بخطأ تشكيل تنظيم مستقل وانضم اعضاء حزبه الى التنظيم الشيوعي الفكري. وكان قبل ذلك قد وصل الى دمشق في 1955 متكرراً وبجواز سفر مزور.

وقد تبين فيما بعد اثناء وجوده في دمشق ان سلطة ما بعد الشيشكلي كانت تتعاون مع حكومة العراق ضد من تطالب بهم قوات الأمن العراقية وتلاحقهم قوات الأمن السورية من أجل اعتقالهم وتسليمهم للحكومة العراقية. وان هذه السلطة اكتشفت وجوده في دمشق وان مخابرات كانت جارية بين بغداد ودمشق لاعتقاله وتسليمه الى السلطات العراقية. ووصف ما حصل له عند وصوله الى سورية تحت ملاحظة بعنوان "ذكريات من الماضي"، جاء فيها ما يلي:

((لم أنفعل إذ قرأت التعليق بخصوص محاولتي لاستعراض المسألة الكردية في عام 1950 والذي جاء فيه بأن كاتب الكراس هو عزيز شريف، وأنه حرره من غرفته في السفارة البريطانية، ظناً مني أن اكدوبة كبيرة كهذه لا يمكن أن تصدق. ولكن ظني كان خطأ.

وبعد سنين تيسر لي الحصول على جواز سفر مزور فوصلت به الى دمشق متكرراً في عام 1955. وحينها أدركت بأن ما ورد من إفتراء في القاعدة قد تم تصديقه. فإذا أقول كان لهذه الصدمة بالغ الأيلام فلا أحسب أن ذلك يفني بوصف ما حدث لي. إنكفأت على ذاتي وعشت في ظرف يفوق إمكان الوصف بمأساته النفسية.

وكان لي صديق قديم كنت أتجنب اللقاء به خشية إحراجه. ولكنه إكتشفني ذات مرة، فتعرض بي. ثم لامني كثيراً لأنني لم أتصل به. فإذا أقول عاملني بشرف لاحد له، فقد يكون قليلاً بحقه. ذلك هو مصطفى التاجي وهو تاجر متزوج من عراقية، ليس له نشاط سياسي، ولكن النخوة تدفعه أحياناً الى المجازفة. وهكذا أخفاني، ونقلني الى عدة أماكن وقدم لي مساعدات لا تثمن لحفظ كرامتي وللإختفاء والعمل وعني براحتي عناية تفوق إمكان الوصف.))

وبطبيعة الحال لا يمكن مقارنة حياة الإختفاء في سورية بتلك في العراق. فكان التاجي قد أخفى عزيز شريف فترة في مزرعة "ضيعة" يملكها في الغوطة. وفي الغوطة تكونت للحاج صالح الصالح "الاسم المستعار لعزیز شريف" شعبية كبيرة، حيث كانت العوائل الفلاحية تقصده من أجل الاستشارة بالأمور الحياتية وتعليم ابنائهم اللغة الانكليزية وما شاكل. وفي ذات يوم قام بزيارة لمعرض دمشق الدولي، فدنا احد الصحفيين من الشيخ الملتحي والمرتدي للزي العربي وسأله من أي بلد قادم وما هي انطباعاته حول المعرض، وعندما فوجئ بقوة ملاحظاته وانتقاداته، نادى رؤسائه واجري للحاج صالح الصالح ريبورتاجاً طويلاً مع عدد من التصاوير في المجلة.

بدأ صلته بدمشق بالقوميين الكرد اللاجئيين بعد إخفاق ثورة 1925. كما كان كل من صديق شنشل ومحمد حديد يتصلان به كلما مر احدهما بدمشق. أما كيفية إعادة صلته بالشيوخيين فإنها بقيت غامضة. ويتبين من الملاحظة أدناه ان علاقته بالشيوخيين أصبحت بعد فترة طبيعية. ((وبقيت أتجنب الاتصال بالشيوخيين السوريين بعد الجرح الذي اصابني في 1955. حتى سألني ذات مرة الشهيد جورج تلو عضو المكتب السياسي في عما إذا كان لدي مانع من ان نزور خالد بكداش رداً على كلمة عتاب قالها خالد بكداش بغيابي: "يظهر أن عزيز شريف لا يرغب في التعاون معنا." وإذ جلسنا على مائدة خالد بكداش قال جورج تلو بلهجة الاسف. "رفيق خالد لقد كنا أدخلنا عزيز شريف في السفارة البريطانية".))

كانت إزدواجية الملاحقة البوليسية من جانب السلطة الملكية والجور على العناصر الوطنية من داخل الحركة الوطنية على اساس إطلاق التهم عليهم جزافاً بالعمالة لبريطانيا وما شاكل السبب في إخلاء عدداً كبيراً من خيرة المناضلين العراقيين للساحة. وكان قد تسنى لعزیز شريف الصمود وتحمل الجور

لإيمانه بأن الحقيقة لا بد من ان تتكشف وتكشف حقيقة الجائرين. وهو صاحب القول "كل ما كبر الجور عظم شأن الحقيقة". وقد عثر في اوراقه على الملاحظة التالية: ((ولست ازمع انني ممن ذاقوا اكبر الجور، ولكن لم يكن ترفاً فكرياً مني انني رفعت شعار "الحقيقة نبراس نضال الشعوب" فقد كان ذلك حين بلغ النيل من كرامتي اقصاه بينما كانت القوى الرجعية عدوة الشعب تبغي القضاء على حياتي لو انني وقعت بأيدي عملائها، وليس قليلاً ما تكون الكرامة اغنى من الحياة.))

كان قد تسنى لعزیز شریف لأول مرة في حياته أن يعيش في ظروف ملائمة للنشاط الفكري والعمل السياسي بعد الانفتاح الهائل الذي تحقق في سورية بعد أحداث تأميم قناة السويس. ففي هذه الفترة ابتدأ نشاط المعارضين العراقيين الكتابي في دمشق في جريدة سورية لصاحبها بشير كعدان. إذ كانت الفائدة متقابلة. فوجد العراقيون جريدة يعبرون فيها عن آرائهم وصاحب الجريدة وجد من يحرر جريدته بدون اجور.

ثم حدث في الميدان العربي ما غير الوضع كثيراً. فقد وقع العدوان الثلاثي على مصر في تشرين الثاني 1956. فأعد عزيز شريف دراسة تحت عنوان "من حلف بغداد الى تحرير القناة." وبمساعدة مصطفى التاجي تسنى له السفر إلى بيروت لطبع هذه الدراسة التي لاقت استحساناً واسعاً. وكان لم يزل في هذه الفترة ينتقل متكرراً ومستخدماً جواز السفر المزور.

تستحق الدراسة "من حلف بغداد الى تأميم القناة" التوقف قليلاً لاهميتها التاريخية. فعزیز شریف لم يكن يعلم آنذاك بأن قدرة استمرارية النظام العالمي الذي اقيم بعد الحرب العالمية كانت متوقفة على كيفية حسم امر الصراع على السلطة في الاتحاد السوفياتي بعد موت ستالين. فالصراع كان ينظر اليه آنذاك في الاوساط الشيوعية بمجرد فضح عبادة الفرد. فبعد التخلص من بيريه في عام 1953, ومن ثم بعد سيطرة خروشوف على السلطة في عام 1956 فقدت الامبريالية احد اهم الاعمدة الساندة لكيانها. ثم ابتدأ النظام العالمي الجديد بالتصدع. وكان حدث تأميم القناة اول علامة لهذا التصدع. أذ وجد عبدالناصر الذي جلب الى السلطة بواسطة المخابرات المركزية يد ممتدة تضمن لبلاده الخلاص من العبودية.

ومنذ سيطرة خروشوف بدأ وجهاً جديداً للاتحاد السوفياتي بالظهور في العالم الخارجي. فبدلاً من نصره الصهيونية بدا الاتحاد السوفياتي بنصرة العرب. وسرعان ما ترتب على ذلك من انتصارات ومكاسب للعرب كان فاتحتها تأميم قناة السويس وتمويل السد العالي واجهاض العدوان الثلاثي على مصر. وقبل ذلك بدأت ابعاد دور ستالين الاجرامي في مساندة الولايات المتحدة في فرض سيطرتها على البلدان المتخلفة بالوضوح. إذ اضطرت الولايات المتحدة بسبب انهيار الستالينية التي كان النظام العالمي الجديد مستنداً عليها الى التراجع, إذ بدأت الإمبريالية بالجوء إلى خلق دعائم بديلة كحلف بغداد وحلف السنو ونظرية ايزنهاوير وما شاكل.

وكان قد ترتب على إنهيار الستالينية تبدل ايجابي هام في العراق وهو إقصاء حميد عثمان من قيادة الحزب الشيوعي وانتقال قيادة الحزب الى الشهيد حسين الرضي (سلام عادل) ورفاقه ثم توحيد الحزب في حزيران 1956. وهذا ما يؤكد حقيقة ان ستالين في سياساته في الحركة الشيوعية العالمية كان السبب في نشوء جميع الخلافات في الحركة الشيوعية في العراق إذ بعد سيطرة خروشوف توحدت جميع الكتل الشيوعية كما تحقق انفتاح اجتماعي واسع وتقارب بين مختلف القوي الوطنية العراقية. وبتهيئة الظروف المؤاتية لتوحيد الكتل الشيوعية وللاصطفافات الوطنية اصبح النظام الملكي في العراق الذي تصدع بعد احداث إغتصاب فلسطين عرضة للاطاحة. وكان هذا هو السبب الحقيقي لاقامة حلف بغداد. فحلف بغداد ذو الطبيعة الدفاعية كان العلامة الثانية للتصدع المذكور.

كان عزيز شريف اول من ادرك بأن تأميم القناة واقامة حلف بغداد هما ظاهرتان مرتبطتان بظهور ظرف إنتقالي جديد على الصعيد العلمي وذلك بدون معرفة خلفيات الموضوع. ومن خلال معالجة مسألة تأميم القناة بالارتباط بمسألة حلف بغداد تيسر لعزیز شريف إستعراض التصدع في النظام العالمي الجديد الذي اقيم بعد الحرب العالمية الثانية والذي كان في تصوره مجرد ظرف انتقالي جديد. هذا الكتيب لا يزال يحتفظ بحيوية كبيرة. فهو يقدم لكل من يريد أن يفهم مواقع هذه التصدعات في مختلف انحاء العالم بعد إنهيار الستالينية وإجراءات الولايات المتحدة والدول الامبريالية الاخرى لتلافي الإنهيارات التي كان بالامكان ان تترتب من جراء هذه التصدعات. فالباحث عزيز شريف كان يعرف القارئ بأسباب إسراع أمريكا إلى إعلان الهدنة في 1954 مع كوريا والفيتنام. ثم ينتقل به الى باندونغ فيطلعنا عما حدث هناك وما هو دور الهند والصين وإندونيسيا في ظل التطورات الجديدة. ثم يعود الى الاحلاف ودورها وما شاكل. ولا ينسى عزيز شريف وطنه إذ يضعه بشكل واضح أمام الانعطاف الجديد في طريقة الحكم في العراق، حيث وضعت في يد نوري السعيد سلطات إستثنائية مكنته من خلق إرهاب فاشي تضمن إستخدام مختلف الاسلحة الرادعة بما في ذلك سلاح إسقاط الجنسية، الذي شمله شخصياً.

بقي عزيز شريف مختفياً في دمشق الى حين اكتشاف المؤامرة على سورية بمشاركة المخابرات الامريكية والبريطانية وعملاهما في بغداد ودمشق ولبنان بمن في ذلك كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية وشارل مالك وزير خارجيته وزمرة كبيرة من الملاً الاعلى في سورية. آنذاك خرج عزيز شريف الى العلانية وكأنه وصل الى سورية حديثاً. ومما تجدر الاشارة اليه ان هذه المؤامرة على سورية كانت احدى ردود فعل الامبريالية الغربية لمقاومة التصدع المذكور.

وبعد انكشاف المؤامرة المذكورة نشط عزيز شريف في الكتابة في الصحافة السورية فالتفت الى مقالته فؤاد جلال نائب رئيس مجلس الشعب المصري والوجه الرئيس للجنة الاتصال للمؤتمر الشعبي العربي. فاتصل به وقام بتكليفه بعدد من المهمات منها تحرير رسالة الى جواهر لال نهرو الذي كان سيزور الولايات المتحدة يشرح فيها احوال العراق تحت الحكم القائم وحلف بغداد. كما تكونت لعزیز

شريف صداقة متينة مع كمال رفعت وزغلول عبد الرحمن المتصلين بالقيادة المصرية عن طريق علي صبري.

ثم قام مع نخبة من الطليعة العراقية التي لجأت الى سورية بتحرير رسائل تحت عنوان " احرار العراق". وقد ساهم عدد من الشخصيات الوطنية في تحرير هذه الرسائل مثل الشهيد عبد الجبار وهبي والشهيد الدكتور صفاء الحافظ والشهيد جورج تلو والمرحوم عبد القادر اسماعيل. كما اطلقت على المجموعة المحررة لهذه الرسائل " احرار العراق". ونالت هذه الرسائل استحساناً في سورية. ثم حصل احرار العراق على دعم كبير من قبل جمال عبد الناصر.

واذ بدأت محاكمة المتهمين بالمؤامرة على سورية دُعي من قبل المحكمة العسكرية الخاصة التي تألفت برئاسة عفيف البزري كمحامي باسم الشعب العراقي المتضرر بالمؤامرة، كما فعل محامون من اقطار عربية اخرى.

ثم وقع اختيار قادة الثورة الجزائرية عليه لتمثيلهم في العالم الخارجي. وأُوفد الى الاتحاد السوفياتي بصفة ممثل للثورة الجزائرية في عام 1957. وكانت هذه زيارته الاولى لهذا البلد. وفي هذه الزيارة التقى لأول مرة مع القائد الكردي الكبير الملا مصطفى البرازاني الذي كان مغترباً في موسكو.

اصدر في سورية كتاباً تحت عنوان " شعوب اسيا وافريقيا ضد حلف بغداد ومبدأ ايزنهاور". وقد طبع هذا الكتاب ثلاث مرات. الطبعة الاولى في القاهرة عام 1957. واعيد طبعه في القاهرة عام 1958. ثم اعادت طبعه احدى دور النشر في دمشق في نفس السنة للمرة الثالثة. ومما تجدر الاشارة اليه ان مبدا ايزنهاور هو أحد نتائج التصدع موضوع البحث أيضاً. وهذا الكتاب يستكمل الافكار الواردة في كتابه "من حلف بغداد الى تحرير القناة".

كانت حركة انصار السلام هي الاخرى احدى الظواهر المترتبة على التصدع المذكور. وحسب المعلومات المتيسرة لدينا تم انعقاد اول مؤتمر لانصار السلم في العراق في عام 1954 في دار الشخصية الوطنية الدكتور احمد الجلبي. وقد اشترك في هذا المؤتمر عدد من الشخصيات الوطنية منهم: الدكتورة نزيهة الدليمي والشهيد توفيق منير والشهيد الدكتور صفاء الحافظ والشيخ عبد الكريم الماشطة والدكتور طلعت الشيباني والشاعر عبدالله كوران والشهيد جلال الاوقاتي والشيخ محمد الشيببي وخدوري خدوري واسماعيل شاويس ونائل سمحيري.

وضع عزيز شريف اسس حركة السلم في العراق مع حركة السلم العالمية اثناء وجوده في سورية. اذ انه مثل انصار السلم في العراق ولأول مرة في مؤتمر السلم العالمي في سيلان (سيري لانكا حالياً) في عام 1956. كما أنه حضر في عام 1957 المؤتمر التأسيسي لمنظمة التضامن الاسيوي الافريقي في القاهرة.

## إدراك عزيز شريف المبكر للمخاطر الممكن ان تترتب على حركة 14 تموز المسلحة في العراق

ابتدأت صفحة جديدة من حياة عزيز شريف بعد نجاح الحركة المسلحة في 14 تموز عام 1958. وإمتازت هذه الفترة بتجمع خبرة سياسية هائلة لديه وبقبوله بشكل واسع في المجتمع الدولي. فمن خبرته السياسية أدرك منذ الايام الاولى لجمهورية 14 تموز ما ستواجهها من مصاعب. فقبل كل شيء لم يكن متفائلاً بطريقة ولادة هذه الجمهورية. وذلك ما يمكن لمسه في ضوء ملاحظاته أدناه بخصوص تردي الأوضاع في سورية بعد الوحدة مع مصر لارتباطها الوثيق بالعراق:

((كانت سورية وبخاصة دمشق بعد عهد الشيشكلي تعيش في جو ليبرالي تقدمي لم يكن له مثيل في منطقة الشرق الاوسط. وكانت ملجأً رحباً للعراقيين ونشاطهم السياسي. وكان فيها دور سياسي بارز لما كان يسمى الجبهة الوطنية التي كانت ممثلة في البرلمان بممثلي حزب البعث العربي الاشتراكي وسكرتير عام الحزب الشيوعي و بعض النواب المستقلين وعلى رأسهم خالد العظم نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع ووزير المالية.))

ثم سجل عزيز شريف بموجب الملاحظة التالية اول نشاط تخريبي لحزب البعث بعد الوحدة، وذلك اثناء إنعقاد المؤتمر الخاص بتأسيس منظمة شعوب آسيا وأفريقيا:

((تركنا دمشق في أواخر ايام 1957 إلى مصر للمساهمة في المؤتمر الخاص بتأسيس منظمة شعوب آسيا وأفريقيا. وإذ وصلنا القاهرة كانت الجماهير تحيي القادمين بحماس وكانت شوارع القاهرة مزدانة بالاعلام ومزدحمة بالجماهير المحيية على طول الطريق المؤدية الى الفنادق. وأيام الاجتماع كان إستقبال المشاركين بالهتافات على طول الطريق المؤدية الى جامعة القاهرة. وكان التدقيق مشدداً على هويات الذين يدخلون المؤتمر وبطاقات الدعوة التي يحملونها.

وإذ إستقر المدعوون في مقاعدهم وجدنا أعداداً كبيرة من الشبان وقوفاً يحيطون بالمقاعد. وإعتلى المنبر رئيس المؤتمر انور السادات ليتلو البيان الختامي، وبدأ نحن شعوب آسيا وأفريقيا ..... فقوطع بصوت متحد من الشباب المحيطين بمقاعد القاعة "لا شرقية ولا غربية فلتسقط الشيوعية". ثم حاول السادات مرة ثانية لتلاوة البيان فقوطع بنفس الطريقة. وبعد التكرار المتواصل إنفض الاجتماع دون تلاوة البيان. وفي صباح اليوم التالي ظهرت في الصحف المصرية وعلى صفحاتها الاولى البيان الختامي لمنظمة تضامن شعوب آسيا وإفريقيا، دون إشارة الى ما حدث في الاجتماع. كما انه لم يذكر شيئ عن هويات اولئك الشباب، ولكن إنطباعي أنهم كانوا سوريون وقد حشدهم حزب البعث. ولم نصادف في مصر أية ظاهرة مماثلة من الجماهير المصرية.

بعد إنفضاض المؤتمر تأخرت في مصر لاتمام الكتيب الذي حررته آنذاك "شعوب أفريقيا و آسيا ضد حلف بغداد ومبد ايزنهاور". وفي تلك الفترة نظمت لي القيادة المصرية منهاجاً للوقوف على معالم الانجازات بعد الثورة، ومنها زيارة لمديرية التحرير. وفي مركز مجمع مدينة التحريرساحة كانت

تجري فيها الاجتماعات. وعلى المباني المحيطة بها علقت أعلام ولافتات كبيرة كتب عليها "الاشتراكية هدفنا". لقد كان المناخ السياسي والنفسي مثل ما كان عند إستقبال القادمين الى المؤتمر.

ولما عدت الى دمشق في اواسط كانون الثاني 1958 كان الوضع قد تغير، وكانت من مظاهر التغيير واضحة من خلال حملة إعلامية ضد الحزب الشيوعي في سورية ولبنان بدأتها جريدة الرأي العام لصاحبها أحمد عسة. الجريدة ذاتها التي كانت منشوراتها ضمن خط الجبهة الوطنية حين تركنا دمشق. وهذا ما يؤيد إنطباعي عن دور الشباب البعثي في قاعة الاجتماعات في جامعة القاهرة.

لم يكن من شك في أن الحزب الشيوعي في سورية ولبنان كان ضد الطريقة التي تمت بها الوحدة بين مصر وسورية. فنقلاً عن جريدة النور صرح خالد بكداش في 13 كانون الثاني 1958 بأن الحزب الشيوعي دعا كلاً من حكومتي سورية ومصر الى تشكيل لجنة مشتركة للنظر في موضوع الوحدة في ضوء الظروف الموضوعية في كل من القطرين. .... وأهم توصية في هذا الخصوص تأكيد خالد بكداش على ضرورة قيام الوحدة على اسس ديموقراطية وطنية.))

وفي الملاحظة التالية توصل عزيز شريف الى حقيقة تاريخية على درجة كبيرة من الاهمية: ((... وفي سورية بعد إنقلابات عسكرية كان أحدها يطمح صراحةً الى الارتباط بحلف بغداد "سامي الحناوي". وبعد القضاء على سلطة الشيشكلي وخروجها الى عهد الوفاق الوطني عام 1954 والقيام بإجراءات إقتصادية وسياسة على سبيل الاستقلال والديموقراطية، بدأ التآمر من جانب العراق الذي كان المركز الرئيسي لمؤامرات حلف بغداد. وذلك ما تبين من الشهادات التي ادليت في محاكمة الشيشكلي، إذ كنت احد المساهمين فيها باسم الشعب العراقي.

غير أن ما لم يمكن إحداثه بطريق التآمر المباشر في سورية في عام 1957 أمكن إحداثه بعدئذ بنفس طویل، وقد تم تحويل سورية من بلد ديموقراطي ليبرالي كانت فيه قوى وطنية ديموقراطية صاعدة وتوجه إستقلالي حذر من النشاطات الامبريالية والرجعية المحلية، الى تحويل هذا البلد الى مقبرة للحرية تحت أجهزة الوحدة، إذ سيطرت على مؤسساتها أنشط القوى الرجعية الى جانب تحول المكتب الثاني بقيادة عبد الحميد السراج الى أداة للقمع الدموي لم يعرفه تأريخ سورية.))

من هذه الملاحظة يتبين بأن عزيز شريف أدرك حقيقة تبديل ستراتيجية الدول الامبريالية بخصوص إعادة تكبيل سورية التي تنفست أنسام الحرية بعد التصدع الذي حدث في النظام العالمي الجديد، وذلك من محاولة الردة عن طريق التآمر المباشر الى ستراتيجية الوحدة. وهذا ما يدل على بعد نظر هائل، إذ مهد ذلك الى إدراكه لما سيحدث في العراق فيما بعد. وهذا ما سنقوم بعرضه بشكل متكامل في ضوء ما ترك لنا من ملاحظات وتعليقات متفرقة بهذا الخصوص.

كنت اتمنى أن أعثر في أوراق عزيز شريف على ملاحظة تكميلية لملاحظته الاولى بخصوص اسلوب حزب البعث في التهيج ضد الشيوعية بعد الوحدة بين مصر وسورية. والملاحظة التكميلية هي: فما لم



يمكن إعدائه بطريق مبدأ ايزنهاور الداعي الى مكافحة الشيوعية والذي رفض من قبل جميع الشعوب أمكن إنجازة بعدئذ بواسطة حزب البعث.

الملاحظة التالية بخصوص لقاء عزيز شريف مع المناضل الكبير الشهيد فرج الله الحلو على درجة كبيرة من الاهمية:

((كان فرج الله الحلو مسؤولاً عن قيادة الحزب الشيوعي في سورية ولبنان بعد سفر خالد بكداش في صباح التصويت على الوحدة بين سورية ومصر. وإذ علم بقرب سفري الى بغداد بعد ثورة 14 تموز ... جرت مقابلة بيننا بناءً على طلب منه. وحسب إشارة تم الاتفاق عليها تلاقينا في شارع بغداد قريباً من السبع بحرات وبنائية البنك الوطني. .... دخلنا شقته التي كانت "قبو" تحت مستوى الشارع، مؤنثة على أدنى مستوى من الاثاث. وإذا كان تلاقينا لأول مرة، فقد بدأ الحديث عما يعرف كل منا عن الآخر.

ثم بدأ فرج الله الحلو حديثه عن ثورة 14 تموز، وما يتوقع من مواقف وما يرجو للحزب الشيوعي العراقي من تكتيكات. وبين في هذا الخصوص بأن اكبر خطر يواجه الحزب هو إذا ما سلك مسلكاً يؤدي به الى العزلة. كما أن أكبر خطر يواجه العهد الجديد هو إنقسام القوى الوطنية.))

إن توقع فرج الله الحلو بخصوص انقسام القوى الوطنية في العراق يدل على نبوغه. كما أن مبادرته بتحذير عزيز شريف بالمخاطر التي سوف تواجه القوى الوطنية في العراق تدل على نبهه وحرصه الوطني. وكان عزيز شريف قد ثمن ملاحظات فرج الله الحلو، إذ كما سنرى فيما بعد كان يؤكد في ملاحظاته ذات العلاقة على ما أسماه نبوءة " فرج الله الحلو بخصوص خطر الانقسام". وكان المناضل الكبير فرج الله الحلو قد دفع ثمن إخلاصه ووطنيته غالياً. فقد تمت تصفيته في رأس الحملة ضد الشيوعية في ظل الوحدة، إذ إستشهد تحت التعذيب فالقيت جثته في إحدى المجاري التي تتحدر الى بردى، ولما لم يكف ماء المجرى لإخفائه فقد حمل الى أحد مراكز الامن وحل جسده في حوض ماء مخلوط بالتيزاب.

لم تقتصر محاولات عزيز شريف لإستقصاء الاراء بخصوص الوحدة على المخيم الشيوعي وإنما شملت مختلف الجهات بما في ذلك حزب البعث:

((قبل عودتي الى العراق في أواخر تموز 1958 ولم يكن قد مر على إعلان الوحدة سوى أقل من خمسة أشهر، زرت نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة أكرم الحوراني في قصر الرئاسة في دمشق. ومما قلت له أنني اخاطبكم بوصفكم شخصية عربية وليس محض مكانكم الرسمي. فماذا أستطيع أن اكلم إخواني في العراق به عن رأيكم او ما تتمنون لهم؟

فأجابني بما يلي:

إن الشعب العربي متحد الهدف ولكن الاستعمار هو الذي يقف في وجه وحدته. فمتى زالت الاوضاع الاستعمارية لا يبقى عائق ضد الوحدة. فليس ما يهكم اليوم أمر الوحدة الدستورية، إنما المهم إزالة

الوجود الاستعماري ومخلفاته. أما نحن في سورية فقد إنتهينا الى الوحدة الدستورية تحت ظروف معينة ولست أرى أنكم تواجهون اليوم مثل تلك الظروف. لقد كان موقف نائب الرئيس مفهوماً ضد ما جرى في سورية رغم قيود مركزه الرسمي.

أما الآراء الاشد وضوحاً فقد كانت في اوساط عديدة بين البرجوازية التي أخذت تعاني من تدهور الاقتصاد وبين السياسيين من مختلف الاحزاب الذين كانوا يصرحون دون تحفظ عما لحق البلاد بعد قيام الوحدة من أضرار إقتصادية وسياسية. وحتى بعض ممثلي مصر في سورية كانوا يلمسون ما يحدث من شكوكهم في صحته حين تحين فرصة متحررة من المراسيم والتوجيه.))

كنت اتمنى أن أعثر في أوراق عزيز شريف على ملاحظة تشير الى تخلى الدول الامبريالية لإعادة تكبيل العراق بواسطة حلف بغداد وإستبدالها بالانتفاضة المسلحة في 14 تموز 1958.

في الواقع اثبتت تجربة الولايات المتحدة وحلفائها بأن طريقة التصدي إلى التصدعات التي ترتبت على إنهاء الستالينية والمتمثلة بإقامة الاحلاف العسكرية المعادية للإتحاد السوفياتي مكلفة جداً وغير مجدية. وهذا ما سبب العجز في ميزانيات الدول المشاركة بالاحلاف العسكرية بسبب الإنفاق الهائل على مشاريع البنية التحتية اللازمة وعلى تجنيد اعداد إضافية كبيرة من الجنود. وكان مجلس الإعمار في العراق على سبيل المثال قد اقيم لهذا الغرض. كانت العديد من مشاريع مجلس الإعمار مغايرة تماماً لابسبب إحتياجات الشعب العراقي الذي كان ينوء تحت وطأة الفقر. فعلى سبيل المثال تم تخصيص مبالغ كبيرة من قبل مجلس الإعمار لبناء مطار عسكري في بامرني لأغراض حلف بغداد في الوقت الذي كانت كردستان بأمس الحاجة إلى كهرباء وخدمات طبية. كما ان فرض مبدأ ايزن هاور على البلاد العربية بالإضافة إلى فرض طريقة الحكم الدكتاتوري على العراق لم تكن هي الاخرى مجدية. وهذا السبب في إستبدال استراتيجية الدول المذكورة بخصوص التصدي إلى مسألة تلافي التصدع في المنطقة العربية بخطة جديدة.

والمحور الاساسي لتنفيذ الخطة الجديدة هو مصر بسبب موقعها الرائد في البلاد العربية آنذاك وتغلغل المخابرات المركزية و المخابرات الإسرائيلية في اجهزتها. وهذا ما قامت الولايات المتحدة بكشفه فيما بعد بكل صراحة. تبتدء الخطة الجديدة بالوحدة العربية بين مصر وسورية. وهذه الوحدة لم تحدث نتيجة مطالب تنشيط التبادل التجاري وتوسيع الرقعة الانتاجية او مطالب إحداث مشاريع مشتركة تخص البنية التحتية للبلدان المتوحددة وما شاكل. إنما بنيت على اساس إثارة عواطف الشعوب المكبوتة بشكل مفتعل من قبل حزب البعث وبالإستفادة من الطموح البونابارتي لعبد الناصر. فالولايات المتحدة كانت في الخفاء القوة الحقيقية المحركة لهذه الوحدة. وقد إستخدمت الولايات المتحدة مختلف الطرق المخادعة لإظهار قلقها من نجاح الوحدة. ومن جملة المهازل في هذا الصدد خطاب بن غوريون في الكنيست الإسرائيلي الذي اقترح فيه ايجاد مكانة متواضعة لإسرائيل بين البلاد العربية (المقصود البلاد العربية التي عظم شأنها بسبب الوحدة). وذلك في الوقت الذي كانت الخطط بخصوص إسرائيل الكبرى

تعد في سرّاً. وقد لعب عبد الناصر وحزبه "الإتحاد القومي" ادواراً إجرامية في سورية تضمنت القضاء على الحريات الديمقراطية بالإضافة إلى تخريبات إقتصادية واسعة.

أما الخطوة الثانية فكانت الإطاحة بالسلطة الملكية في العراق من خلال تنظيمات الضباط الأحرار. فكان امر سرية هذه التنظيمات مجرد أسطورة لا يمكن ان تقوم على اسس منطقية. وذلك بسبب الإتصال الوثيق بالقيادة المصرية المنخورة بالمخابرات الاجنبية. اُضف إلى ذلك حقيقة إنكشاف امر تنظيمات الضباط الأحرار نتيجة وشاية وتعمد اجهزة الملاحقة الخاضعة مباشرةً إلى اجهزة المخابرات البريطانية على غض الطرف والتستر عليها. فالمخابرات الغربية عملت ما في وسعها للحفاظ على سرية هذه التنظيمات الشكلية ومهدت لها من حيث لا يعلم قادتها كل السبل لإنجاحها، وذلك خلال فترة وجيزة بعد قيام الوحدة بين سورية ومصر.

ثم تبدأ الخطوة الثالثة بالدعوة للوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة من قبل العناصر البعثية والفاشية المتطرفة وجيش من المندسين بهدف شق وحدة تنظيمات الضباط الأحرار وبالتالي شق وحدة الصف الوطني العراقي بإسم الوحدة وبتسخير عبد الناصر شخصياً من خلال إغراءه بتحقيق طموحاته التوسعية.

فيما يلي ملاحظات عزيز شريف بخصوص الاحداث التي تلت نجاح الانتفاضة المسلحة في 14 تموز 1958:

(( قدم الى دمشق في 18 تموز عبد السلام عارف ومعه محمد حديد نائب رئيس الحزب الوطني الديموقراطي و محمد صديق شنشل عن حزب الاستقلال وجري بينهم و بين عبد الناصر لقاء حول العلاقات بين الجمهوريتين.

كانت توطدت بيني وبين صديق شنشل ومحمد حديد علائق صداقة وتعاون منذ فترة طويلة، وبوجه خاص عند مشاركتنا معاً في المؤتمر التأسيسي لمنظمة شعوب إفريقيا و آسيا في القاهرة في نهاية عام 1957 حتى 1 - 1 - 1958.

وفي حوالي منتصف الليل طرق باب داري رسول من شنشل وحديد. فذهبت الى حيث كانوا إنتهوا من عشاءهم مع الرئيس في دار الضيافة. وقد علمت منهما أن عبد الناصر سأل ضيوفه عما إذا كانوا يستحسنون حضور رشيد عالي الكيلاني الذي كان في دمشق قادماً من مصر منذ يومين. فلم يبد عبد السلام تشجيعاً لحضوره.

وبعد الانفصاض بين لي صديق شنشل و محمد حديد ان البعثيين أخذوا يثيرون ضوضاءً وحركات إستفزازية حول الوحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة. ونخشى أن يحدث ذلك رد فعل حاد مقابل من جانب الشيوعيين. وطلبنا إلي أن أقترح على أحد الشخصيات الشيوعية مثل خالد بكداش السفر الى العراق للمساعدة على التهدئة.

ثم خرجنا انا وصديق شنشل فواصلنا الحديث حتى الثالثة صباحاً. ودار الحديث حول موضوع الوحدة وتجربتي للاوضاع السلبية التي نشأت في سورية بعد الوحدة. وكان مما بينته له القضاء على الوحدة الوطنية التي كانت نواتها الجبهة وعلى الحريات الليبرالية وتصرف ممثلي مصر في أجهزة الدولة وتدهور الاقتصاد السوري. فكانت الوحدة بالصورة التي تمت بها ضارة بسورية ولم تكن اضارها النهائية بمصر ذاتها موضوع بحث إنذاك. أما صديق شنشل فكان يرى ضرورة علائق وحدوية بين جمهورية 14 تموز والجمهورية العربية المتحدة. ولكن لم تكن لديه صورة محددة.

كانت محصلة هذا اللقاء هي أن حزب الاستقلال والحزب الوطني الديموقراطي – بقدر ما عبر عنهما شنشل وحديد كانا قلقان ويخشيان النشاط الاستفزازي الذي سلكه البعثيون بشأن الوحدة وما قد يؤدي إليه من فرقة ونزاع بين القوى الوطنية.

وفي اليوم التالي دعيت من قبل مساعد الملحق العسكري المصري زغلول عبد الرحمن على غداء في مطعم ريفي خارج دمشق. وكان مدعواً كل من رشيد عالي الكيلاني وأحد الشخصيات المصرية قدرت أنه من المرتبطين برئاسة الجمهورية. كانت لي صلات قديمة برشيد عالي الكيلاني منذ أن كنت طالباً في كلية الحقوق، حيث كان أحد أساتذتي.

فاثار الشخصية المصرية الحديث حول احتمالات الوحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة. فبينت بان الوحدة الدستورية ولا سيما على غرار ما حدث في سورية لن تؤدي ألى نتائج إيجابية. ففي العراق قوى سياسية وقومية ودينية ليس في صالح الوحدة تجاهلها، مثل الشيوعيين والشيعة والکرد والتركمان.

فأجاب رشيد عالي بلهجة متحمسة لصالح الوحدة ومما قاله رداً على رأيي، أما الكرد فأنا أكفل بتأييدهم للوحدة فهم يقدرسون جدي الشيخ عبد القادر الكيلاني ولن يتخلفوا عن موقف أدعو اليه.

وكانت للرئيس عبد الناصر لقاءات منفردة مع عبد السلام عارف الذي بقي مع الوفد في دمشق حتى يوم 22 تموز. وكان عارف معروفاً بأنه سريع الاقتناع. وإذا ما إقتنع إندفع دون تردد. وكان طموحه الذاتي قوياً دون حدود. وهذه كانت أسباب إندفاعه وراء قاسم منذ أن فرضه قاسم على حركة الضباط الأحرار.

كان خالد بكداش قد غادر سورية ولم أشأ ترشيح من لم يكن لي تعارف معهم من مستوى أقل. رشحت لذلك فؤاد نصار قائد الحزب الشيوعي الاردني. وبموافقة الجانبين سافر فؤاد نصار في ضمن وفد التهنئة في 24 تموز 1958 الى بغداد.)

ومن الجدير بالذكر ان قيادة الحزب الشيوعي كانت مدركة بالتهديد الذي سيتعرض اليه الحزب الشيوعي من قبل الجمهورية العربية المتحدة في حالة نجاح الانتفاضة المسلحة المخطط لها من قبل الضباط الاحرار. وهذا ما يتبين بوضوح من ملاحظة عزيز شريف ادناه:

(( ..... وقد زارني في دمشق سلام عادل سكرتير الحزب الشيوعي وعامر عبد الله عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي في أوائل صيف 1958 وبيننا لي أن الوضع في العراق يدنو من الانقلاب ضد الوضع القائم. وبناءً على رغبتهما طلبت من ممثلي مصر أن يبلغوا القيادة المصرية برغبتنا في لقاء مع ممثليها للبحث حول مصير العراق، إذا ما تم تحريره من الوضع القائم. فكان الشخص المعين كمال رفعت الذي كان نائباً لوزير رئاسة الجمهورية علي صبري فبيننا له بإيجاز: "إن الوضع في العراق يقترب من انفجار الثورة. وسيكون الوضع في سورية مؤثراً في الموقف من الجمهورية العربية المتحدة إيجاباً أم سلباً. فإذا كان الشعب السوري مطمئناً في ظل الوحدة فسيكون في ذلك موقف إيجابي من الجمهورية العربية المتحدة. وإذا كان العكس فسيكون رد الفعل في العراق عكسياً.

أجاب كمال رفعت: إننا في الجمهورية العربية المتحدة سائرون على خطة تماثل الاوضاع في جميع اقطار الوحدة العربية. أي الى إلغاء الاحزاب وإقامة الاتحاد القومي في محلها.

فقلنا: اما عندنا وفي سورية فإن الاحزاب قد خاضت نضال الشعب في سبيل الاستقلال، ولم تتحول الى ما تحولت إليه الاحزاب في مصر. فليس يصح القياس بين مصر وسورية والعراق من جانب آخر. اجاب أن الموضوع الاساسي هو مسؤولية الحكم. فليس بإستطاعة وزير داخلية الوحدة في القاهرة ان يكون مسؤولاً عما يجري في دمشق او في بغداد مثلاً دون تماثل الاوضاع في جميع اقطار الوحدة. .... وقد إنفض لقائونا على غير إتفاق.))

وصف عزيز شريف بداية لمسه لتمزق الوحدة الوطنية عند وصوله الى مطار بغداد في نهاية تموز 1958. ((وصلت مطار بغداد وكانت جماهير غفيرة تستقبل العائدين. وكان الانقسام ملموساً بين من يهتفون بإسم الزعيم عبد الكريم قاسم ويحملون صورته ومن يحملون صورتي عبد الناصر وعبد السلام عارف ويهتفون "ناصر عارف". وقد طلب إلي إلقاء كلمة، فحييت الحاضرين وبينت بإيجاز ان هذا الحدث العظيم كان ثمرة الاتحاد بين القوى الوطنية وليس يمكن الحفاظ على الاستقلال ومجابهة التحديات الامبريالية والمضي في إنجاز المهمات التي تواجه البلاد إلا بالحفاظ على هذا الاتحاد.))

في الملاحظة ادناه حاول عزيز شريف إبراز دور ميشيل عفلق في التاجيح من اجل شق وحدة الصف الوطني:

((ذكر لي فؤاد نصار وكذلك صديق شنتشل عند تلاقينا بعد عودتي الى بغداد ان ميشيل عفلق عندما وصل مطار بغداد اطلق كلمته المشهورة "كل من لا يسلم بالوحدة الفورية الاندماجية مع الجمهورية العربية المتحدة فهو خائن".))

ومن أجل تبيان عدم وجود موقف موحد من قبل حزب البعث بخصوص الوحدة الفورية الاندماجية أضاف عزيز شريف العبارة التالية: "انظر للمقارنة حديث أكرم الحوراني اعلاه ضد ما عبر عنه بالوحدة الدستورية." وبقدر تعلق الامر بكلمة عفلق المشهورة بين الاتي:

((إن شق الصف الوطني لم يبدأ بتصريح عفلق هذا، إنما سكب بذلك زيتاً على نار سبق إققادها.))  
ويقصد النشاط الاستقزازي الذي سلكه البعثيون بشأن الوحدة منذ ولادة جمهورية 14 تموز.

والسؤال الذي لا بد ان يطرح نفسه هو كيفية تقبل الحزب الشيوعي لتوصيات فرج اللة الحلو؟ في ملاحظة تحت عنوان "بعد العودة" كتب عزيز شريف الآتي:

((وذاً مساء عقد لي الحزب الشيوعي لقاءً سرياً حضره عدد كبير من قادة الحزب وكوادره المتقدمة. فبينت لهم مشاهداتي وإنطباعاتي في دمشق وتطور الوضع في ظل الجمهورية العربية المتحدة، ولا سيما حديث فرج اللة الحلو. فلم يلق رأيه إستحساناً من الحاضرين. كما أبدوا لي عدم إستحسانهم لمقابلات فؤاد نصار الذي سبق وأن جاء ضمن وفد التهنئة بترشيح مني. فالحزب أبعد نظراً من ان يتقبل ما عبر عنه بنصائح فؤاد نصار او غيره ممن لم يضطلعوا بتهيئة الثورة والعمل من اجلها حتى النجاح. وقد علمت بعدئذ ان فؤاد نصار اتصل بكل من قيادة الحزب الشيوعي وكامل الجادرجي وبلغ الجانبين وجهات نظر كل جانب بالجانب الاخر. وحاول تقريب وجهتي نظرها فيما كان يجري من حركات ومواقف في الساحة العراقية.))

في ملاحظة تحت عنوان "لإعادة النظر" حاول عزيز شريف إلقاء الضوء على الظروف الموضوعية المساعدة التي كان بإمكان الحزب الشيوعي الاستفادة منها لسد الطريق امام النشاط الاستقزازي الذي سلكه البعثيون بقيادة ميشيل عفلق بشأن الوحدة الفورية والذي ادى الى الفرقة والنزاع بين القوى الوطنية:

((من ملاحظات فرج اللة الحلو ونبؤته "ذي القيمة التاريخية في نظري" ومن تحذير صديق شنشل ومحمد حديد في 18 – 19 تموز الذي يؤيد تلك الملاحظات ضمناً، كانت مهمة الحزب الشيوعي أيسر في عزل إندفاع البعثيين غير المسؤول نحو الوحدة الفورية، يؤكد هذا بوجه أعظم إنقسام القوى القومية الاخرى حول الموضوع ذاته.

فقد كان رشيد عالي الشخصية الوحيدة بين الساسة القوميين مندفعاً في تيار الوحدة الفورية دون تحفظ. ومنذ تواجدي في مصر في خريف 1957 حتى أواسط كانون الثاني 1958 وقفت على تنافر بينه وبين صديق شنشل. كما رأينا ان عبد السلام عارف لم يستسغ حضوره على مأدعة العشاء مع عبد الناصر. أما العسكريون "الضباط الاحرار" فلم يكونوا على رأي واحد. وفي داخل حزب الاستقلال تأكد لاحقاً ان صديق شنشل كان متأنياً بشأن الوحدة، بينما قفز فائق السامرائي الذي دفعه شعوره الذاتي بعد تعيينه سفيراً للعراق في الجمهورية العربية المتحدة وهو مركز كان يرى فيه إنتقاصاً من شأنه فإستقال وإنهال بسيل من التصريحات المعادية لسياسة الجمهورية العراقية. ولم يكن عارف قد تبلور موقفه بشأن الوحدة الفورية وإن دفعه البعثيون نحوهم. أما حزب البعث فلم تكن تجربته بخصوص الوحدة في سورية ناجحة، إذ ظهرت معارضة واضحة لما يسمى بالوحدة الدستورية.))

لاقت سياسة عفلق الاستقزازية للحزب الشيوعي نجاحاً هائلاً، إذ جرت قواعد الحزب الشيوعي ومسانديه الى نشاطات فوضوية كان من شأنها دعم مشروع تمزيق الوحدة الوطنية العراقية. وفي الملاحظة التالية قام عزيز شريف بتقييم نتائج عدم الاخذ بتوصيات فرج الله الحلو:

((بعد نحو عام ونصف من توصية فرج الله الحلو ذات بعد النظر العظيم، وبعد الطوفان اليساري الذي جر وراءه كثيراً من رفاق الطريق ومن المتصيدين في ذلك الظرف وحتى من أعداء الشيوعية الذين التحقوا بذلك الركب للتخريب. فضلاً عن إنفلات البساط بعد ما عانوا في الماضي من كبت طويل. بعد هذا وما جرى من إنتهاكات في الموصل وفي كركوك عقد الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الشيوعي في 2 آب 1959. وكان ما نشر عنه تأكيداً لمقولة فرج الله الحلو.))

### النشاطات السياسية والفكرية في جمهورية 14 تموز

بعد عودته الى العراق مباشرة قام عزيز شريف بالتعاون مع الشخصية الوطنية الشهيد توفيق منير ومجموعة الشخصيات الوطنية سالفة الذكر بتأسيس مجلس السلم في الجمهورية العراقية. وقام الشخصية الوطنية سالم عبيد النعمان مشكوراً باعطائنا فكرة حول حقيقة هذه الحركة واهميتها بالنسبة الى العراق ودور عزيز شريف في قيادتها: ((يبدأ عزيز شريف نشاطه الفكري والسياسي والاجتماعي كقائد لهذه الحركة بوضع اسسها الارتكازية وعلى الوجه التالي:

أ – الانفتاح على جميع ابناء الشعب بذهنية غير حزبية. ذهنية تجمع العراقيين كافة، ذهنية التآخي والمحبة والكلمة الطيبة، فالسلم والامن وكرهية الحرب وما تجره من مآسي هو رائد العراقيين على اختلاف مشاربهم. ب – اعتبر عزيز شريف ان الاحزاب الوطنية والقومية هي القوة المحركة لانصار السلام. و يتعين على ممثلي الاحزاب ان يكونوا في نشاطهم دعاة سلم وليس دعاة لاجزابهم باعتبار ان حركة السلم هي جزء من اهداف ونشاطات هذه الاحزاب. وهكذا تصبح حركة السلم قاسم مشترك اعظم لكافة الاحزاب الوطنية او كجبهه وطنية متوحدة في حركة انصار السلام. ج – كان عزيز شريف ينظر الى الاتحاد السوفياتي كاعظم نصير للسلم. فحركة السلم هي قومية واممية في آن واحد. اذ تجد كل قومية فيها ما يحقق لها طموحاتها في مجتمع دولي يسوده السلم والامن. وكان الاتحاد السوفياتي نصيرها جميعاً. د – كان عزيز شريف بحكم انتمائه العائلي عارفاً بدروب الفقه الاسلامي بشقيه السني والشيوعي. هذا الارث مكن عزيز شريف من ولوج الدروب التي اوصلته الى احترام رجال الدين شيعة وسنة والى ضم جميع القوميات ضمن حركة السلم. فإنك تجد في الاجتماع العام لحركة السلم العمامة الى جانب السداره وحاسري الرأس. وتجد عمال البناء والسكاير بجراوياتهم المتنوعة الى جنب اللباس الازرق لعمال السكك. هكذا كانت توحده حركة السلم العراقيين. فالناظر الى هذا الجمع يشعر بحكمة الاية القرآنية "ونزعنا ما في قلوبهم من غل اخواناً على سرر متقابلين". فليت

شعري هل يتعظ بعض ابناء اشعب بهذه الحكمة القرآنية؟)) (انظر في ذلك مرافئ، العدد الرابع شباط 2008.....)

وقد تسنى لحركة انصار السلم في العراق خلق حركة جماهيرية لاسناد جمهورية 14 تموز مستمداً بذلك قوتها من الشيوعيين والوطنيين الديموقراطيين والكرد والاقليات الاخرى ورجال الدين. وشغل عزيز شريف مركز السكرتير العام وشغل توفيق منير مركز نائب السكرتير العام. وقد تم كسب الشهيد الزعيم عبد الكريم لهذه الحركة. ثم ما لبثت ان تكونت علاقة ودية بين الزعيم عبد الكريم وعزيز شريف.

وفي صيف 1959 اختاره الزعيم عبد الكريم لرئاسة وفد مشترك من الشيوعيين والوطنيين الديموقراطيين والكرد الى اقطار المغرب العربي. وذلك بهدف توثيق الروابط مع هذه البلدان. وفي هذه الرحلة تكونت له علائق مع عدد من الشخصيات المغربية، ولعل من اهمها مهدي بن بركة. كانت حفاوة الرئيس التونسي بورقيبة به تستحق الذكر حقاً. فبورقيبة كان مغترباً في العراق في الاربعينات حينما كان عزيز شريف يرأس حزب الشعب. وكان عزيز شريف قد وجه اليه دعوة الى حفل تكريم باسم الحزب. ويظهر ان التكريم قد ترك لديه اثراً عميقاً. وقد دعاه الى منتجع له في ايطاليا ثم أقام للوفد العراقي زيارات لانحاء عديدة من البلاد.

وبحلول الذكرى الاولى لثورة 14 تموز استدعاه الزعيم عبدالكريم وبين له بان قادة جمهورية الصين الشعبية يرغبون بالقيام باحتفال بمناسبة 14 تموز. ولذا فمن المستحسن ان يكون لنا سفيراً في الصين وعرض عليه هذا المنصب. ولدى اعتذاره اقترح عليه الزعيم ايفاده بصفة سفير للعراق لحضور الاحتفالات. واقامت في بكين حفلة كبرى للعراق ثم نظمت له جولة في مختلف انحاء البلاد ومقابلات مع مختلف القادة الصينيين.

وأثناء تواجده في الصين تدهورت علاقة الحزب الشيوعي مع الزعيم عبد الكريم قاسم. فبينما كان يستعد للسفر الى اليابان لحضور لقاء لانصار السلم استلم رسالة من قيادة الحزب الشيوعي ترجوه فيها عدم السفر الى اليابان والقدوم بأسرع وقت الى العراق من أجل التوسط لدى الزعيم من أجل تحسين العلاقة معه.

وفي عام 1960 نال جائزة لينين للسلم والصدقة بين الشعوب، وذلك على الرغم من موقفه الحازم ضد سياسة الاتحاد السوفياتي بخصوص المسألة الفلسطينية في الاربعينات. وفي الواقع انطوت هذه الجائزة على اعتراف ضمني لموقفه من المسألة الفلسطينية، مما يدل على ابعاد الانقلاب الذي طرأ على الاتحاد السوفياتي بعد موت ستالين وسيطرة خروشوف.

أقام عزيز شريف، من خلال نشاطات حركة السلم العالمي، صلات ودية مع عدد كبير من الشخصيات العالمية المعروفة مثل سوكارنو ونكروما وسيكوتوري وانديرا غاندي.



وبعد إشتراكه في مؤتمر أنصار السلم في المكسيك في عام 1961 يسرت له دعوة للتعرف على فيديل كاسترو الذي كان هو الآخر قد حاز على جائزة لنين. وتكونت له منذ اللقاء الاول مع فيديل كاسترو علاقة ودية. واصطحبه كاسترو معه في جولة طويلة في مختلف انحاء البلاد. فكان عزيز شريف معجباً غاية الاعجاب بقدرة كاسترو على اتخاذ القرارات لدى الاطلاع على المشاكل مباشرة وليس عبر القنوات البيروقراطية. ولم تتطور العلاقة مع كاسترو لاسباب مرتبطة بمواقف سلبية من قبل الزعيم عبدالكريم قاسم. وسوف يطلع القارئ على تفاصيل هذا الموضوع ضمن موضوع جمهورية 14 تموز.

ومما تجدر الاشارة إليه لم تاخذ ملاحظات عزيز شريف بخصوص تجنب كشف كوادر الحزب الشيوعي بنظر الاعتبار. فعزیز شريف كان معروفاً بإهتمامه بمبدأ سرية العمل السياسي. فكما رأينا كانت رسائل البعث توزع على اشخاص معدودين وتمزق بعد قراءتها. كما أنه تمكن من قيادة حركة سرية وان كانت صغيرة، وذلك في ظروف معقدة للغاية في السنين الاخيرة من العهد الملكي. فكان ينظر إلى توصياته بسرية العمل كخوف لا مبرر له.

وقد عثر على الملاحظة ادناه في هذا الخصوص:

((في لقاء مع الشهيد سلام عادل والشهيد ابو العيس لمناقشة قضايا حركة السلم بعد تحول الزعيم ضد اليسار، جائي ابو العيس وحملني بسيارته، ففوجئت اذ وجدت ان الاجتماع في الدار التي تسكنها سافرة الحافظ. وكانت سافرة قد سجل زواجها من ابي العيس صراحةً في المحكمة الشرعية بحضور وكيل عنه، وكان قد انتقل الى حياة الاختفاء بينما بقيت هي تعيش الحياة الصريحة العادية. وقد استغربت ذلك التناقض بين اختفاء ابو العيس والاجتماع السري الذي يعقد في دار صاحبها تعيش علانيةً. وعند عودتنا اعربت عن استغرابي لأبي العيس من الخلط بين الاختفاء والاجتماع في بيت معروف يعود لزوجته قائد مختفي. فاما ان تكون السرية سرية واما تكون مفتوحة صريحة لتجنب الشكوك والاستنتاجات المبالغه. قال ولعلمك ان هذه السيارة التي نحن فيها هي ذاتها سيارتي التي كنت استعملها ايام الشرعية دون تبديل لونها او رقمها. وجواباً على استغرابي قال هؤلاء لا يفهمون شيئاً، ويقصد قواة الامن والمخابرات.

وحظرت إجتماعات اخرى مع عدد من الشيوعيين لمتابعة مناقشة قضايا حركة السلم ولم اكن راضياً عن كيفية إدارة تلك الاجتماعات. ومن تلك الاجتماعات نقلني ذات مرة عزيز الشيخ بسيارة واخبرني ان سيارتنا محملة بالمتفجرات ويقصد المناشير الحزبية. قلت له ان نقلني بهذه الصورة غير صحيح. قال ولماذا هذا الحذر الشديد؟ ليكن ما يكون وليعرفوا انك منا ومعك حركة السلم. وصلنا الى دار الاجتماع وهي دار شخص حزبي او صديق للحزب. وهي تقع في شارع فيه دور لاعداء الحزب.

وامام الدار التي اجتمعنا فيها وقفت سيارات الشيوعيين وانصارهم, كما وقفت سيارات خصومهم امام الدور الخاصه بهم.))

وكما سيرى القارئ في الجزء الاول مدى ضرر محاولة إعطاء عزيز شريف وحركة السلم صفة شيوعية ليس فقط بالنسبة الى عزيز شريف والحركة الوطنية بصفة عامة، بل بالنسبة الى الحزب الشيوعي بالذات. وكان عزيز شريف يحرص كل الحرص على تفادي إستفزاز الزعيم عبدالكريم. وكان امر التبشير الشيوعي في القوات المسلحة بإسم أنصار السلم على درجة كبيرة من الخطورة. أذ كتب في هذا الخصوص ((في حديثي مع سلام عادل عن تجنب مسألة الجيش بالنسبة الى حركة السلم، قال: ينبغي ان يتعود الآخرون على ان للشيوعيين الحق في ممارسة النشاط السياسي في الجيش.))

وبعد تدهور الاوضاع في العراق وتسلط قوى الردة على اجهزة الامن اخذت هذه الاجهزة تلاحق انصار السلام. وفي ايار 1961 اغلقت جميع مكاتب انصار السلم خارج بغداد بامر من الحاكم العسكري. ومع تعمق الانتكاسة اخذ مدير الامن العام يشدد مضايقته على مكتب انصار السلم في بغداد. ثم اصبحت الظروف الحياتية في نهاية نظام قاسم خانقة بالنسبة الى جميع القوى التقدمية. ومن الغريب حقاً دأب الوطنيون على مواصلة العمل السياسي في ظل تلك الظروف. فكان اثناء اجتماع له مع الدكتور احمد الجليبي في مكتب انصار السلام عند سماعه نبياً حدوث انقلاب 8 شباط.

كان عزيز شريف قد سلم من بطش الحرس القومي بعد اندلاع الانقلاب الدموي في 8 شباط 1963 بمعجزة حقيقية وكما سيطلع القارئ على تفصيلاتها فيما بعد ضمن فصل جمهورية 14 تموز. الا ان نجاته من الموت المحقق لم تكن مدعاة للفرح آنذاك، اذ انه فقد اعزاقربائه واصدقائه، ولعل من اهمهم اخوه الشهيد عبد الرحيم شريف وابن عمه الشهيد توفيق منير والشهيد الدكتور محمد الجليبي زوج بنت اخيه حكيم شريف.

يعود الفضل في نجاته عزيز شريف من الموت المحقق على يد الحرس القومي بالدرجة الاساسية إلى خالي باسل فيضي وزوجته السيدة سعاد والسيدة سميرة وزوجها الرسام سعدون. إذ قام كل واحد من هؤلاء بتعريض حياته للخطر من اجل إنقاذ حياة عزيز شريف. كما قامت السيدة ام سعاد دوراً اساسياً في إخفاء اشخاص آخرين في منزلها، كانت والدتي احدهم.

كان الحاج شريف قد بلغ من العمر التسعين آنذاك. وعلى الرغم من بلوغه هذا السن، كان ما زال يحتفظ بالحيوية الذهنية والجسدية، الا انه لم يكن قادراً على تحمل المصيبة، مما ادى الى تدهور صحته بشكل سريع ثم الى وفاته.

## التفرغ لحل المسألة الكردية

بقي عزيز شريف اثناء تلك الظروف العصبية مختلفاً في بغداد. ولم يتيسر لنا العثور على تفصيلات بهذا الخصوص. وقد عثر في يوميات والدتي السيدة نورية فيضي على الآتي:

((بعد مضي سبعة اشهر ..... "المقصود بعد 'نقلاب شباط 1963" نقلت حيث يقيم الصديق "المقصود عزيز شريف" فكان في غرفة في دار بسيطة تقع على النهر ..... بعيدة من وجود سكان. وكان في الدار الزوج والزوجة وابنة حوالي الخمسة اعوام. كان الصديق يخرج مساء كل يوم متأخراً إلى النهر فيسبح فيه.))

وعندما ابتدأت الاوضاع بالانفراج الجزئي في عام 1965 تمكن من ترك بغداد والسفر الى كردستان، حيث بقى فترة طويلة الى جانب قائد الثورة الكردية مصطفى البرزاني. كما اتخذ كردستان قاعدة لتنقله في العالم الخارجي. وفي 1967 كلفه البارزاني بتمثيل الثورة الكردية في البلدان العربية.

واثناء قيامه بمهمة تمثيل الثورة الكردية شارك في مؤتمر المحامين العرب في دمشق في ايلول 1968. وقد شارك في هذا المؤتمر محامون ديمقراطيون من العراق. وكانوا يوجهون نقداً الى البارزاني لموقفه السلبي من السلطة الجديدة. وقد مهدت هذه اللقاءات الى بدء المفاوضات مع الحكومة العراقية بخصوص حل المسألة الكردية. ولم يكن امر اجراء مفاوضات بين الطرفين ممكناً بدون ايجاد قاسم مشترك اعظم بينهما. ولكن ما هو هذا القاسم المشترك الاعظم الذي يمكن ان يجمع بين الطاغية وضحيتها؟ اترك هذا الامر للقارئ ليكتشف بنفسه هذا القاسم الاعظم الذي توصل اليه عزيز شريف والذي كون الركيزة الاساسية للمفاوضات.

ومما تجدر الاشارة اليه ان عزيز شريف ادرك في وقت مبكر جداً بان كردستان هي مفتاح استقرار العراق وازدهاره او تدميره وتمزيقه. فكان يدعو للحكام العرب في العراق وخارجه لاحترام الحقوق القومية للکرد ومنحهم حق تقرير المصير. فمنح الحقوق القومية للکرد هو شرط اساسي لصهر العراق ببودقة واحدة بالإضافة الى كونه حقاً مشروعاً. ومن جهة اخرى كان يعلم بأن المخططات الامبريالية كانت تستهدف اضعاف العراق وتدميره من خلال كردستان، وذلك عن طريق تشجيع العملاء العرب على اضطهاد الكرد لوضعهم في موضع المحتاج الى الانقاذ بواسطة القوى الخارجية. لهذا السبب كان يحذر القيادة الكردية من الانصياع الى الاغراءات الخارجية او الاعتماد على العالم الخارجي في تحقيق المكاسب العسكرية.

ففي ملاحظة جاء فيها الآتي ((منذ وصولي منطقة قيادة البرزاني (منطقة بالك) في صيف 1965 وققت على وجود مدفعين لديهم (من عيار 25 رطلاً) كانا من مخلفات الحرب العالمية الاولى. وكانا سبباً لتعظيم صعوبات القوات الحكومية. فبعد ان كان على البيشمركة ان يقتربوا من مراكز الجيش على مدى مرمى البندقية وبتأثير ضعيف اصبح في إمكانهم التأثير الكبير على مدى مرمى قنبلة المدفع. فكان هذا مغرياً للقيادة الكردية. وقد قلت للبارزاني آنئذ "أن المدفع بالنسبة إليكم سلاح رجعي.

فقال وكيف تكون قطعة الحديد سلاحاً رجعيّاً او تقدماً؟ قلت إنكم حاربتم حرب الانصار مراراً وعبر سنين طوالاً. وكنتم تمسون في محل وتباتون الليل في محل آخر لكي لا يكتشف موقعكم. وكنتم تستعملون البندقية، تشترونها وعتادها من السوق السوداء. وإذا عز العتاد في السوق تستطيعون تعبئة اغلفة الخراطيش المستعملة وإستعمالها مرة اخرى. اما المدفع فلا بد له من موقع محدد. ومن طريق محدد. وأخطر من ذلك كله: الإرتباط بالجهة التي تؤمن العتاد)).

كان في تأكيد عزيز شريف على ضرورة الاخذ بمبدأ الاكتفاء الذاتي حكمة كبيرة. وذلك لتفادي إغراءات إيران بتقديم اسلحة متطورة تيسر من نجاح المجابهات العسكرية مع القوات الحكومية من جهة وتفرض تبعية الثورة لحكومة الشاه من جهة اخرى. وهذا ما سبب فعلاً كارثة 1975.

ومن خلال تواجده مع الانصار شخص بشكل دقيق النظام الضريبي الذي فرض على الفلاح من أجل سد إحتياجات (الثورة) بالإضافة إلى الطرق التي كانت تسلك من قبل بعض الفئات القيادية للبيشمركة بدوافع الاطماع الذاتية وواقع الفساد في أجهزة الحركة القومية الكردية وإنعكاسه على الفلاحين بإرهاقهم. كما شخص ظاهرة ظهور اغنياء (الثورة) من رؤساء الهيزات والمهربين على الحدود.

قدّم عزيز شريف في 1969 الى بغداد وقدّم تقريراً مفصلاً حول المسألة الكردية والسبيل الى حلها. واتخذ التقرير اساساً لبدء مفاوضات الحكومة العراقية مع ممثلي الثورة الكردية. وفي اثناء سعيه في المفاوضات بين الجانبين عين وزيراً للعدل. وكان قد سمع الخبر بخصوص توزيعه اثناء المفاوضات. ولم يكن هناك أي مجال للاستقالة آنذاك. وقد قبل هذا المنصب في سبيل انجاح المفاوضات. وهكذا اصبح وزيراً للعدل في 31 كانون الاول 1969 وكانت مهمته الفعلية العمل لحل المسألة الكردية سلمياً. ثم عين وزيراً للدولة فيما بعد.

وتعرض الى لوم شديد لقبوله منصب الوزارة أبتداءً من العائلة والاصدقاء وإنتهاءً بجميع الاوساط الوطنية الصديقة. إذ طلب منه مغادرة العراق وترك المسألة الكردية. وكان رده واضحاً ((ما انجرت يوماً وراء المشاعر الشخصية بل كانت المبادئ محركي الوحيد)). وفي ملاحظة يرد فيها على من طلب منه الإنسحاب من هذه المسؤولية جاء فيها. ((..... لقد جربت الإستمتاع بالواجب الإنساني — فكانت قمة هذا الإستمتاع حين اشعر انني اسهم في نضال قوم من اجل الحرية والتقدم، او في تخفيف الحمل الذي به ينوون)).

كان مؤمناً بأن في مقدوره تقديم خدمات كبيرة الى العراق من خلال تضحيته الكبيرة في قبول التعاون مع هذه السلطة. ثم ما لبث الجميع بلمس دوره الايجابي في تلك الظروف. ولم يكن الامر مقصوراً على الكرد. فعلى سبيل المثال كان يطرق بابه عشرات من العوائل المنكوبة من ذوي ما يسمى بجماعة عزيز الحاج. وقد شاهدت بنفسي مناظر الامهات والزوجات المنكوبات المأساوي حيث تنطق اشكالهم بالفقر وسيماءهم بالتعاسة. فكان يشعر بمشاعرهم ويبدل ما في وسعه من جهود لمساعدتهم. وفي ذات يوم شرحت له إحدى هذه الامهات وهي شبه امية لمعاناتها واختتمت كلامها قائلة "هذا ثمن الضمير".

فكان كلما يذكر قولها هذا تتغرغر عيناه بالدموع. وهكذا وجد نفسه وسط البسطاء والمظلومين الذين احبهم.

ولم يتبع الطرق الكلاسيكية في تسيير الوزارة، إذ قرر تحديد يوماً مفتوحاً في الاسبوع يقابله كل صاحب مشكلة. وبهذه الطريقة إختفت المشاكل. ذلك ان الموظفين المختصين شرعوا بالمبادرة الى إزالة المشاكل لتجنب الظهور بمظهر عدم الكفاءة. ومما تجدر الاشارة اليه انه تسنى لعزیز شريف من خلال فتح أبواب العدالة وبالقدر الذي تيسر له الكشف عن أشكالٍ مقنعة من المظالم التي لم يكن يعلم بوجودها أساساً في العراق. فعلى سبيل المثال فوجئ بتمسك القلة القليلة الباقية من يهود العراق بهذا الوطن الذي أحبوه وبقدرتهم في سبيل ذلك على تحمل صنوف المظالم والمصاعب. وقد حاول إقناع الرئيس أحمد حسن البكر بوطنية هؤلاء اليهود الرافضين لاغراءات الصهيونية لايجاد الحلول التي من شأنها حفظ كرامتهم وتوفير الشروط اللازمة لضمان حقوقهم.

كما أنه حرص قدر الامكان على تحقيق استقلالية القضاء. ففي ذات يوم استلم من الرئيس أحمد حسن البكر أضراراً كتب عليها أين العدالة. وكان الامر يخص شكوى رفعت ضد شخص زعم بأنه سب البكر. فزار البكر وشرح له الفوضى التي خلقت في جمهورية 14 تموز بسبب مثل هذا النوع من الشكاوي. إذ اتخذت مسألة سب الزعيم كوسيلة للانتقام من الاعداء او للاحاق الضرر بالخصوم وما شاكل. فإقتنع البكر وسحب ملفه.

وكان يتجنب التمتع بالامتيازات التي تمنحها الدولة الى الوزراء حيث ما استطاع الى ذلك سبيلاً. ففي ذات يوم تعطلت السيارة المارسيديس الكبيرة السوداء المخصصة لنقله. وكنت انوي في ذلك الوقت بيع سيارتي الموسكوفيج. ففكر قليلاً ثم قال لي أنا اشتري سيارتك. وقال للسائق انقلني بهذه السيارة. ولم يكن السائق سعيداً بهذا القرار ولم أكن شخصياً مقتنعاً بصحة قراره. وعلى عكس توقعاتي كانت السيارة الموسكوفيج الضئيلة ذات اللون السمائي قد حظت بقبول كبير في الاوساط الصديقة وبالاحترام اللازم من قبل السلطة بما في ذلك شرطة المرور في المواقع الحكومية حيث كانوا يؤدون التحية بكل إحترام.

ومن الجدير بالذكر ان عزيز شريف عاش تجارب سلبية من الإنتهازيين اثناء إستيزاره. كان هؤلاء يستجدون منه المساعدة بإعتبارهم تقدميين ومغبونين من أجل الحصول على مكاسب شخصية. حتى إذا حصلوا على هذه المكاسب تحولوا إلى مواقع معادية ليكونوا عند حسن ظن سلطة البعث. وكان قد قدم لواحد من هؤلاء مساعدات لا تثمن. ثم كلفه فيما بعد بتقديم مساعدة بسيطة من موقعه الجديد لاحد رفاق الطريق فلم يلبي طلبه. فدون عزيز شريف هذه السطور بشأنه وإحتفظ بها في ملف خواطر:

السبت 23 – 04 – 1977

إلى (.....)

قد احتاج إليك في العمر مرة

فإذا ما خذلتني أو تقاعست

فما في العمر متسع لإنظار تجارب اخرى

والتجربة الاولى إذا خابت تهدم الامل فيما بعدها

وهي ذاتها تفرض علي درساً فيما تقف من الآخرين

وترسم صورة لسجيتك

فما جميل القول بنافع او موصل بيننا

فمعدرة ووداعاً.

كانت المفاوضات بخصوص الحكم الذاتي أمراً على درجة كبيرة من التعقيد. وعلى الرغم من ذلك لم يهمل خلال اسفاره الى كردستان امرالاتصال ببسطاء الناس وتفهم مصاعبهم. وهنا كان يجد نفسه ايضاً وسط الشعب الفقير الذي احبه. ويصف عزيز شريف بيان آذار بأنه شبيه بميلاد رضيع في بيئة سلبية. وعلى الرغم من إنتهاك البيان من قبل السلطة بيوم واحد فإنه كان يعتقد بأنه أصبح سابقة لا بد وأن تسهم في تحقيق الحقوق القومية للشعب الكردي في المستقبل. فلأول مرة في تاريخ الكرد يتم الاعتراف بحقوقهم القومية في وثيقة رسمية. وأن هذا لم يتحقق آنذاك لا في تركيا ولا في إيران.

ولا بد من الإشارة في هذا الصدد إلى الأهمية التاريخية لتقرير عزيز شريف الذي قدمه إلى الرئيس احمد حسن البكر بخصوص معالجة المسألة الكردية في عام 1969 والذي اتخذ فيما بعد اساساً للمفاوضات. وسيطلع القرئ على هذا التقرير في الجزء الثاني من المذكرات.

وقد قام الباحث فلاح العاني مشكوراً بإعداد بحث تحت عنوان "الأهمية التاريخية لتقرير عزيز شريف المقدم إلى رئيس الجمهورية احمد حسن البكر في عام 1969 بخصوص حل المسألة الكردية"، وذلك بمناسبة مناسبة مرور 20 سنة على وفاة عزيز شريف. وفي ما يلي بعض الإقتباسات من البحث المذكور:

((لا بد أولاً من الإشارة في هذا الصدد إلى الأهمية التاريخية لتقرير عزيز شريف موضع البحث. فهذا هو اول تقرير من نوعه رفع من قبل شخصية وطنية معارضة إلى رئيس جمهورية في العراق. وكانت السلطات الجمهورية المتتابعة إبتداءً من عهد قاسم إلى عهد البعث الثاني تفتقد إلى مثل هذه المشورة التي إنطوى عليها التقرير، ذلك ان هذه السلطات بمجابياتها العسكرية ضد الحركة القومية الكردية كانت تتخبط على ارضية وعرة في ظلام دامس. فلقد كانت هذه السلطات بدون إستثناء عاجزة عن تفسير اسباب فشلها في القضاء على هذه الحركة بالحرب رغم التفوق العسكري الهائل من جهة،

وعن إيجاد مخرج ملائم للتخلص من ورطة الحرب من جهة اخرى. .... فالتقرير اخرج قيادة البعث من ظلمة الجهل الحالكة التي كانت تكبل تحركاتها. .... .

أكد التقرير على ضرورة وقف القتال حالياً، هو مجرد الهدف المباشر العاجل. اما الهدف النهائي فهو إزالة حالة الإنفصال وتحقيق الوحدة الوطنية.))

((ومن خلال مناقشة الهدف العاجل وضع عزيز شريف عروبة البكر وحزبه فعلياً في موضع إختبار عسير. فالحرب تضعف العراق تجاه إيران ذات الطموحات التوسعية من جهة وتشل العراق عن الإصطفاف مع الاقطار العربية التي تواجه الخطر الإسرائيلي من جهة اخرى. .... والسؤال الذي لا بد من طرحه في هذا الصدد، هو هل رأى قادة حزب البعث آنذاك بأنه يتوجب إيقاف الحرب من اجل تعبئة الجهود في سبيل التصدي للطموحات الايرانية وللإصطفاف إلى جانب دول المجابهة مع إسرائيل؟ ام انهم كانوا يجدون بأنه من الانسب الإبقاء على حالة الحرب من أجل إرضاء الجهات التي يسرت مجيئ البعث للسلطة؟ هذا الامر يتطلب بذل الجهود من قبل المؤرخين العراقيين لدراسة كيفية قبول هذا التقرير من قبل قيادة البعث آنذاك في ضوء آرشيفات البعث ومقابلة البعثيين المطلعين على الموضوع. فما هي تعليقات البكر على هوامش التقرير وهل كتبت تقارير لدحضه وما شاكل.))

((لدى مناقشة تحقيق الهدف النهائي الذي من شأنه إزالة حالة الإنفصال وتحقيق الوحدة الوطنية وضع التقرير حزب البعث امام خيارين: إما الموافقة على الحكم الذاتي للأكراد او تعريض العراق إلى خطر الإنفصال. فوحدة العراق الوطنية ووحدة التراب العراقي لا يمكن ان تتحققا بدون الإعتراف بالحكم الذاتي للأكراد. .... لقد كونت فكرة عزيز شريف بخصوص وضع سلطة البعث بين الخيارين: "إما الموافقة على الحكم الذاتي للأكراد او تعريض العراق إلى خطر الإنفصال" المحور الذي كانت تدور حوله النقاشات الخاصة بحل المسألة الكردية. وفي هذا الخصوص قام عزيز شريف بتقديم تحليلات تفصيلية. وهنا وضع عزيز شريف حزب البعث الذي يدعي انه من واجبه المقدس توحيد البلدان العربية من المحيط الاطلسي إلى الخليج في موضع إختبار اعسر. إذ يتبادر إلى ذهن القارئ التسائل هل سوف يكون بمقدور حزب البعث تحقيق الوحدة الوطنية في العراق؟ فإذا لم يكن بمقدوره تحقيق الوحدة الوطنية على صعيد قطر واحد فكيف سيحقق وحدة جميع الاقطار العربية؟ فإن اراد البعث تحقيق ذلك فلا بد له من الإعتراف بالحكم الذاتي للأكراد.

هنا تكمن روعة التقرير من وجهة النظر التاريخية. ومن هنا ايضاً تتوضح رعونة وغباء صدام حسين الذي لم يتعظ بنصيحة عزيز شريف. إذ تصور بأنه على اساس استخدام اساليب القمع الفاشي سيتسنى له تخطي الموافقة على الحكم الذاتي وفي الوقت ذاته سيحقق وحدة التراب الوطني. وعندما فشلت اساليب القمع وتعسر امر تحقيق وحدة التراب الوطني لم يتراجع، إنما حاول في هذه المرة تخطي الموافقة على الحكم الذاتي بالتنازل عن جزء من التراب الوطني لإيران. فكانت المحصلة النهائية خسارة جزء من التراب الوطني والعجز كلياً عن تحقيق وحدة التراب الوطني.

وبالرجوع إلى التقرير نجد بأن عزيز شريف حذر بكل وضوح من وقوع العراق بتهلكة التقسيم من جراء الهجمات الإمبريالية المقبلة. ولهذا الغرض قام عزيز شريف بتحليل السياسة الإستعمارية – الإمبريالية في التقرير موضع البحث. ....))

واقتبس الباحث عدداً من مواقع التقرير ذات الدلالة الواضحة على ما ينتظر العراق بموجب الضربة الإمبريالية القادمة. ....)) إن الحلقة المركزية في السياسة الإمبريالية في الشرق الاوسط هي .... مواجهة حركة التحرر العربية والمحافظة على المصالح الاستراتيجية الاساسية ولا سيما البترولية للإمبرياليين. ولا ريب ان تحطيم كيان العراق الحالي سيكون إحدى خطط المواجه لإتقاد تلك المصالح إذا ما يئس الإمبرياليون من إمكان إعادته إلى حضيرة نفوذهم. او إخراج قسم هام من العراق .... خارج مجال الدفاع عنه، يعد هذه الجمهورية للضربة العنيفة في اي وقت يختاره الإمبرياليون والقوى الرجعية العميلة في المنطقة)).

((ثم يعود عزيز شريف للتأكيد على هذه المخاطر للمرة الثانية في الخلاصة: إذ اكد بأن "مرحلة المحافظة على المصالح الإمبريالية لا بالكيانات الراهنة بل بإحتواء وحتى تحطيم كل كيان لا يصلح للمحافظة على تلك المصالح إذا لم يبق امل في إعادته إلى الحظيرة الإمبريالية، وبناء كيانات تلائم مصالح الإمبرياليين في المرحلة الجديدة لإصطفاف القوى في النطاق العالمي وفي المنطقة والقطر".

مما تقدم يتبين مدى بعد نظر عزيز شريف، إذ انه حذر من ان الهجمة الإمبريالية القادمة سوف تستهدف تمزيق اوصال العراق وذلك قبل احتلال امريكا وحلفائها للعراق بأربعة وثلاثين سنة. ))  
أستنتج الباحث انه ((.... من المنظور الحالي يصلح ان يستخدم هذا التقرير كمؤشر تاريخي لابعاد تدمير العراق من قبل حزب البعث، وذلك بمقارنة ماذا كان بالإمكان إنجازه بموجب التقرير من نقطة الإنطلاق وماذا حصل من جراء سوء استخدام السلطة في الواقع العملي.))

وأخيراً إستعرض الباحث محاولة التقرير في توجيه السلطة بإتجاه الحفاظ على الوحدة الوطنية ووحدة التراب الوطني من خلال بعض الامثلة الملموسة حول كيفية إمكان شد العرب والكرد في حزمة موحدة او تنافرها بإتجاه قطبين متعاكسين. وأكد على خطورة إنتزاع الحقوق القومية بالقوة. لان الإنتزاع لن يحل المسألة وذلك بسبب بسيط. وهو انه لن يزيل ازمة إنعدام الثقة ولن يكون طريقاً إلى الإتحاد بين شعبينا. وإستنتج الباحث في الختام بأن (( ..... توصيات عزيز شريف بخصوص كيفية صيانة الوحدة الوطنية ووحدة التراب الوطني على اساس بناء الثقة بين الشعبين لاتزال تحتفظ بكامل حيويتها في ظل الظروف الحالية. فالمكاسب القومية لأي طرف يجب ان لا تنتزع من جانب واحد على حساب الجانب الآخر وإنما يجب ان تتخذ القرارات بصورة تضمن تحقيق فوائد متكافئة او متبادلة. فهذا التقرير يجب ان يستخدم كاساس للضوابط الذاتية لمتخذي القرارات على الصعيد الإقليمي لإقليم كردستان وعلى صعيد السلطة المركزية من اجل تلافي كل ما يسبب التنافر بين الشعبين الكردي والعربي في العراق والحرص على إتخاذ القرارات التي من شأنها تعزيز تلاحمهما.))



تثير بعض كتابات الكرد الإستفزازية التي تتبجح بإنتراع حقوق الكرد في العراق بفضل الدعم الامريكي الإشمئزاز لدى تلك الاوساط العربية في العراق التي سبق وان ناضلت في سبيل منح حق تقرير المصير للكرد. وتهدف مثل هذه الكتابات إلى التمهيد للإفصال. وسيقف القارئ على مواقف عزيز شريف المتكررة بهذا الخصوص في تقاريره المختلفة إلى الرئيس العراقي احمد حسن البكر الذي كان يدرك اهمية هذا الامر. ففي احدي هذه التقارير التي سيطلع عليها القارئ في الفصل التاسع كتب عزيز شريف الآتي. " ... إنني منذ التقرير الاول قد بينت ان كل مكسب يناله الكرد سخاءً من القومية الاكبر سيكون خطوة نحو الوحدة واقول الآن "حجراً في بنائها". وكل مكسب ينالونه أنتزاعاً سيكون خطوة نحو الإفصال."

ومما تجدر الإشارة إليه أن ما طرح عزيز شريف للرئيس البكر بخصوص إضعاف الحرب ضد الحركة القومية الكردية للعراق تجاه إيران وشله عن الإصطفاف مع الاقطار العربية التي تواجه الخطر الإسرائيلي كان هدفه النهائي من حل المسألة الكردية. إذ كان موضوع إصطفاف العراق مع سورية لمجابهة العدوان الإسرائيلي حلم سعى بكل الوسائل لتحقيقه. وسيرى القارئ الجهود التي بذلها بهذا الخصوص ودعم حكومة الاتاسي في سورية لجهوده.

### النشاطات في العالم الخارجي

لم تقتصر نشاطات عزيز شريف على حركة السلم العالمي ومنظمة التضامن الآسيوي الافريقي في هذه المرحلة، وإنما اخذ يشرك بصفة شخصية في لجان دولية مختلفة. وقد تكونت له من جراء ذلك علاقة وثيقة بالامين العام (الثالث) للامم المتحدة يو ثانت. وإستمرت علاقاته الوثيقة مع الامم المتحدة بعد إنتهاء دورة يو ثانت.

قام عزيز شريف بتأسيس مجلس السلم والتضامن في العراق بعد فترة قصيرة من عودته الى العراق. ومن موقعه كنائب السكرتير العام لمجلس السلم العالمي ونائب رئيس منظمة التضامن الآسيوي الافريقي حاول ايصال صوت الشعب الكردي الى العالم الخارجي. كما كرس جهوداً كبيرة لنصرة الشعب الفلسطيني من خلال تنظيم اللقاءات في هذا الخصوص او المساهمة فيها. وقد نال التقدير الكبير من قبل منظمة التحرير الفلسطينية.

وحاول خلق حركة تضامنية ضد الاحتكارات النفطية وبعد تاميم ممتلكات شركة نفط العراق في الاول من حزيران 1972. إذ عقد مجلس السلم والتضامن في الجمهورية العراقية ثلاثة مؤتمرات دولية شارك فيها مجلس السلم العالمي ومنظمة التضامن الآسيوي الافريقي. اولها تحت شعار: المؤتمر العالمي لنصرة العراق في تاميم النفط، وثانيها المؤتمر العالمي الذي عقد تحت شعار: النفط سلاحاً للنضال ضد الامبريالية والصهيونية، وثالثها تحت شعار : النفط من اجل الاستقلال الوطني والانماء ونظام اقتصادي عالمي جديد.

وساهم من خلال منظمة التضامن الآسيوي الأفريقي بنشاطات الأمم المتحدة ضمن المنظمات غير الحكومية.. ونظراً لدوره المتميز في دوره الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاصة بالمواد الأولية في عام 1974 أجريت له مقابلتين مع كورت فالدهايم الأمين العام (الرابع) للأمم المتحدة في نيويورك. امتازت الفترة الأخيرة من نشاطاته السياسية بكثرة المقابلات الرسمية والصلات الودية. ولعل من الأمثلة التي تستحق الذكر بخصوص الصلات الودية صداقته مع الرئيس الشيلي الراحل ليندي. وبعد مقتل ليندي استمرت زوجته بمواصلة نشاطها في حركة السلم فدعاها إلى بغداد حيث أقيم لها حفل تكريمي كبير. ومن الأمثلة الأخرى علاقته الطيبة مع عبد الفتاح اسماعيل الأمين العام للجنة المركزية للتنظيم السياسي الموحد للجبهة القومية بجمهورية اليمن الديمقراطية. إذ كان يستشيريه في مختلف الأمور المتعلقة بسياسة الدولة. ومن الجدير بالذكر أن عزيز شريف كان واحداً من الأجانب القليلين المقربين من انديرا غاندي.

وكانت علاقة عزيز شريف الوثيقة بليساريديس زعيم الحزب الاشتراكي القبرصي السبب في اختياره قبرص سكناً له بعد تركه العراق نهائياً في عام 1980، وذلك بسبب تدهور الأوضاع السياسية في العراق. ومما تجدر الإشارة إليه أن عزيز شريف كان أحد الوجوه المعروفة والمحبوبة جداً في قبرص. ويعود ذلك إلى كونه كان عضواً للجنة العالمية بشأن قبرص. إذ عرف بمواقفه الإيجابية بخصوص إيجاد الحلول الملائمة. والأهم من ذلك موقفه الشجاع في إنقاذ الرهائن في عملية اغتيال السباعي في قبرص. إذ فرض نفسه كمفاوض بإسم الحكومة القبرصية ثم أقتنع المعتالين بقيامه بمرافقة الرهائن على مسؤوليته الخاصة. وأخيراً وبعد طيران طويل وغير مجد أقتنع المعتالين بالتسليم إلى الحكومة القبرصية. وللأسف لم تكن الخدمات الصحية في قبرص آنذاك كافية. فاضطر إلى تركها عام 1982 واستقر في موسكو حيث حصل على الرعاية الطبية اللازمة. وفي موسكو ابتداءً بتحرير مذكراته.

وفي إحدى زيارتي إلى قبرص بعد أن غادرها عزيز شريف إمتطيت سيارة تاكسي من المطار. وفي الطريق إلى الفندق في نيقوسيا سألني السائق من أي بلد قادم. وعندما أخبرته بأني عراقي أخبرني بإستبشار كبير بأن عراقي يدعى عزيز شريف كان من أعز أصدقائه، وكان يقوم بنقله ويسهر على راحته وأنه يفتقده منذ تركه لقبرص. فضحكت طويلاً، إذ فهمت بأن السائق يدعى ماخوص الذي سمعت الكثير عنه من عزيز شريف. وكان عزيز شريف قد تعرف على ماخوص بعد آخر زيارة لي لقبرص. وبالفعل كان ماخوص واحداً من أصدقاء عزيز شريف الشعبيين. وهكذا لم يهمل عزيز شريف صلته بالشعب البسيط الذي أحبه حتى خلال تواجده في قبرص.

ومما تجدر الإشارة إليه أن القائمة بأسماء أصدقاء عزيز شريف طويلة. فبالإضافة إلى العدد الكبير من الشخصيات العراقية والعربية المرموقة إنطوت هذه القائمة على عدد كبير من الشخصيات الأجنبية بما في ذلك شعراء وفنانين. مثال ذلك المغني الأمريكي الشهير بول روبسون والشاعر الشيلاني بابلو

نيرودا والشاعر التركي ناظم حكمت والشاعر الداغستاني رسول حمزاتوف. وللأسف تعرضت الهدايا المقدمة من قبل عدد من هذه الشخصيات في صور كتب وإسطوانات ورسوم وما شاكل إلى السرقة والتلف بعد قيام الحرس القومي بسرقة محتويات دار عزيز شريف وسيارته المرسيديس في إنقلاب 8 شباط 1963. كما تعرض ما تم تجميعه فيما بعد ايضاً إلى السرقة والتلف بعد مغادرة عزيز شريف للعراق بشكل نهائي في 1980. وفي الواقع اهم ما فقد في شباط 1963 هو الصور. إذ فقد العشرات بل المئات من الصور التذكارية التي يصعب تعويضها. وقد تسنى لنا بمساعدة بعض الاقرباء والاصدقاء تكوين مجموعة الصور التي تم عرضها في ملحق التصاوير. ومما تجدر الإشارة إليه ان معظم الوثائق سلمت بسبب إخفاؤها مسبقاً لدى بعض الاقارب. ولشدة دهشتي ان الجواز المزور الذي إستخدمه عزيز شريف للهرب إلى سورية وللتنقل بين سورية ولبنان قد سلم مع هذه الوثائق. ويجد القارئ صورة هذا الجواز ضمن الملحق الخاص بالصور.

ومن المفارقات المضحكة حقاً ان اسم المسؤول البعثي الذي قام بسرقة سيارة عزيز شريف قد ذكر في كتاب المنحرفون. ثم قامت سلطة البعث الثانية بمطالبة عزيز شريف لدى عودته إلى العراق في 1968 بدفع الضرائب السنوية المتراكمة على سيارته منذ 1963. ثم مالبت المسؤولون ان يدركوا ابعاد الفضيحة، إذ قاموا بتلافي الموضوع.

وفي حزيران 1982 اثناء الكفاح البطولي الذي خاضته القوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية ضد الغزو الاسرائيلي اعلن عزيز شريف رغبته للتطوع في الحرب وذلك بقصد رفع معنويات المقاتلين. وقد هزت هذه المبادرة مشاعر ياسر عرفات والقيادة المركزية للقوات المشتركة اللبنانية - الفلسطينية. وقام الدكتور محمد الشاعر سفير منظمة التحرير الفلسطينية في موسكو بتعميم منشور باسم ممثلية منظمة التحرير على جميع الطلبة العرب جاء في الاسطر الاولى منه "المناضل العربي العراقي والشخصية المرموقة الذي بلغ من العمر ما يناهز الثمانين عاماً يتقدم للتطوع للدفاع عن شرف الامة العربية والقتال في صفوف الثوار الفلسطينيين واللبنانيين".

### موقف عزيز شريف من مسألة رفع الحزب الشيوعي العراقي للسلاح في كردستان

على الرغم من تردي صحته في اواخر حياته بقي عزيز شريف محافظاً على قدراته الذهنية كما استمر بتقديم المشورات والنصائح وتوجيه الانتقادات بدافع المصلحة الوطنية. وقد عثر في أوراقه على مجموعة ملاحظات بخصوص شعار الكفاح المسلح وإسقاط السلطة الذي رفعه الحزب الشيوعي بعد إنتقاله الى المعارضة في أواخر السبعينات. وتلقي هذه الملاحظات الضوء على الخلفيات السياسية لهذه الشعارات والتي إنتهت بكوارث مؤلمة، ولعل اهمها كارثة بشت آشان في عام 1983. وبموجب تواريخ الاحداث الواردة في هذه الملاحظات يتبين بأنها دونت خلال الفترة 1981 - 1984. ونظراً

لكثرة هذه الملاحظات وتداخلها فقد قسمتها على مجاميع منفصلة وذلك حسب المواضيع المعالجة. ويتبين من هذه الملاحظات كيف تسنى لعزیز شریف بناء نقده الصريح لهذه السياسة منذ البداية على أساس علمي. تناولت المجموعة الأولى لهذه الملاحظات معالجة قيود الموقع الجغرافي – السياسي للحركات المسلحة في كردستان العراق بالنسبة إلى القيادات الكردية والحزب الشيوعي:

إنّقد عزیز شریف القيادات القومية الكردية بخصوص تسببهم لنكبات الشعب الكردي من خلال تصعيد المجابهات العسكرية ولعدم فسحهم المجال للقوى الديمقراطية في البلد موضع البحث للمساهمة في دعم الحركة القومية الكردية. ((ولم يأخذ أي من القوى المسيطرة على الحركة الكردية الدرس من تأريخ كردستان منذ التقسيم الاستعماري، وذلك بأهمية ربط نضال الشعب الكردي بنضال القوى الديمقراطية في البلد موضع البحث. كما أن كل تصعيد للحركات القومية الكردية المسلحة على مستوى المجابهة العسكرية مصيره الهزيمة ويسبب النكبات للشعب الكردي. فرغ المجابهة إلى مستوى خارج إمكان حرب الانتصار وتصعيد المجابهة العسكرية إلى مستوى الجيوش يؤدي إلى الكوارث، وذلك لعدم إمكان الحصول على السلاح الذي تستطيع أن تحصل عليه الدولة بمصادر تمويلها الهائلة ومصادر التسلح في المجال العالمي. كما أن تصعيد المجابهة العسكرية إلى مستوى الجيوش يؤدي إلى الاضطرار إلى اخذ المعونات من قوى خارجية معادية.

ثمة خطأ مشترك بين قادة الحركة القومية الكردية، وهو ان حل مشاكل كردستان تخصهم وحدهم. وتبع ذلك مبدأ عدم قبول الحزب الشيوعي شريكاً دائماً لنضالهم او معارضاً لبعض مواقفهم. وقد حدث اكثر من مرة ان الخلاف مع الحزب الشيوعي يبلغ مستوى القطيعة وحتى المجابهة العسكرية.)) ومن اجل التمهيد لإدراك خطأ شعار "اسقاط الحكم الديكتاتوري في العراق على اساس الكفاح المسلح" والذي أدى إلى تكبد تضحيات هائلة بالارواح، قام عزیز شریف بإستعراض تأريخ العلاقات بين القيادات القومية الكردية وبين الحزب الشيوعي وتأريخ مساهمة الأخير في الحركات المسلحة في كردستان.

((كانت العلاقات بين الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكردستاني تتردد بين التعاون والنضال المشترك. ففي تشرين الثاني 1958 عقد لأول مرة ميثاق التعاون بين الحزب الشيوعي العراقي و الحزب الديمقراطي الكردستاني وإتفق الجانبان على أن يضم هذا الميثاق العناصر الوطنية المستقلة. وفي نهاية العهد الملكي كانت علاقة الحزب الديمقراطي الكردستاني بجبهة الاتحاد الوطني من خلال الحزب الشيوعي العراقي وحده، لان الاحزاب الاخرى رفضت التعاون معه.

كان الحزب الديمقراطي الكردستاني يتكون من خليط غير متجانس. وقد ترتب على ذلك تطور الصراع بين جناحين في القيادة، يقود الاول حمزة عبد الله الذي كانت له صلات إيجابية وتعاون مع الحزب الشيوعي العراقي وجناح أبراهيم احمد الذي سعى شخصياً إلى تصفية اليسار.

وإذ تطورت العلاقات سلباً بين البارزاني و الحزب الشيوعي العراقي تم إقصاء حمزة عبد الله في 5 أيار 1960، وكان ذلك اثناء المؤتمر الخامس للحزب الديمقراطي الكردستاني، ثم تعمق الخلاف مع الحزب الشيوعي العراقي وفي هذا الظرف بالذات نشرت خبات في عددها 315 الصادر في 18 أيلول 1960 مقالاً تحت عنوان (الاضرار الناجمة عن وجود الحزب الشيوعي في كردستان). وتم في هذه المقالة تأكيد كون وجود فرع كردستان الحزب الشيوعي العراقي يزيح القضية الكردية من الميدان لان الفرع لا ينظر الى المسألة الكردية كمسألة رئيسية خاصة بل يعتبرها جزءاً من حزب عراقي وان هذا الحزب لم يكرس نضاله لاجل الكرد وكردستان وقضيته العادلة، كما انه ليس بمقدور هذا الفرع نهائياً ان يناضل في المستقبل من اجل القضية كمسألة قائمة بذاتها.))

من جملة ملاحظات عزيز شريف هذه يتبين بأن وقوع جبال كردستان خارج نطاق سيطرة السلطة المركزية لا يعني كونها كانت مضيافة بدون قيود وشروط للجوء الشيوعي. إذ ذكر الآتي:

((... فحين كان الشيوعيون يبادون في شوارع بغداد من قبل الحرس القومي او تحت التعذيب، فقد لجأ من إستطاع منهم الى كردستان. وقد قتل بعضهم من قبل على العسكري بعد ان استسلموا. ولم اسمع ذكر إسم هذا (القائد) على لسان البرزاني إلا بعد وصفه بالمجرم. ولم يشترك البارزاني في معادات الشيوعيين بل وقف منهم موقف حماية فروسية. ناهيك عن رفع السلاح ضد السلطة المركزية. ولم يكن قتل الشيوعيين على يد علي العسكري المثال الوحيد. فهناك أمثلة متفرقة اخرى لعل اهمها قتل 11 شيعياً على يد عيسى سوار "أحد قادة الثورة" في عام 1972.))

ويجد القارئ من خلال الملاحظات التالية تحليل عزيز شريف لتأريخ مساهمات الحزب الشيوعي العراقي في حمل السلاح في كردستان. ابدى عزيز شريف ضمن هذه الملاحظات وكذلك في صلب مذكراته إعجابه الشديد بمساهمة الفصيل الشيوعي في كردستان أثناء حكم العارفين، إذ كان له الدور الاهم في معركة هندرين الشهيرة في أيار 1966. كما انه ابدى اعجابه بصفة خاصة ببطولة الشهيد الشيوعي العريف يونس وبتفاني المدفعي الشيوعي المرموق الملازم خضر (الفريق نعمان سهيل). كما ابرز الانجاز التاريخي لهذه المساهمة، إذ ترتب عليها تراجع حكومة البزاز وقبولها للتفاوض مع قيادة الحركة القومية الكردية. وعلى الرغم من الدور الايجابي للفصيل الشيوعي فإنه تعرض الى قرار بالطرد من منطقة الثورة تحت الضغوط الايرانية. وسيقف القارئ على تفصيلات هذا الموضوع الشائك في الفصل الاول من المذكرات.

إلا أن عزيز شريف وجه نقداً لاذعاً إلى قيادة الحزب الشيوعي العراقي لإرتكابها خطأً تاريخياً بخصوص حمل السلاح في كردستان في عام 1973. فماذا دعى الحزب الشيوعي العراقي الى حمل السلاح في هذه الظرف وما هو الخطأ التاريخي الذي شخصه عزيز شريف بهذا الخصوص؟ بموجب عزيز شريف ((حدث ذلك بعد عام وبعض عام من التعاون الجبهوي بين الحزب الشيوعي العراقي

وقيادة سلطة البعث ومن حشدت الى جانبها من اعداء القيادة الكردية فيما سمي بالجبهة الوطنية القومية التقدمية "ج. و. ق. ت."، إذ تسلم الحزب الشيوعي العراقي أسلحة من السلطة البعثية.))

سوف للخص اهم الاحداث ذات العلاقة التي وردت في اوراق عزيز شريف من اجل تيسير فهم تحليلاته اللاحقة بخصوص كارثة بشت آشان والكوارث ما بعد بشت آشان: بعد تسلح بعض القوات الشيوعية بأسلحة حكومية أنذر البارزاني ممثلي الحزب الشيوعي العراقي بنزع اسلحتهم فوافقوا حيث يكون الدفاع عن مراكزهم متعذراً. وبناءً على طلب عزيز شريف تم له لقاء مع قيادة الحزب الشيوعي العراقي وكانت خلاصة رأيه: ((هو أن كلاً من الحكومة والقيادة الكردية يتهيأ للمجابهة العسكرية. وكان واضحاً ان هذه الحرب ان وقعت ستكون اقسى من جميع سابقتها، فإذا ما تسلح الحزب الشيوعي العراقي من اي من الجانبين فسيحتتم عليه – اراد ام لم يرد – ان يقف في الحرب الى الجانب الذي قدم له السلاح، فليس من صالح الحزب الشيوعي العراقي وليس من مبادئه ان يكون طرفاً فيها. بل ليس من صالح العراق والحكومة العراقية ذاتها وضع اي خطوة على هذه الحرب. ... فكان جواب القادة الشيوعيين هو: ان البعثيين مسلحون والقيادة الكردية مسلحة ونحن الحزب الوحيد بدون سلاح. وإننا نحتاج الى السلاح للدفاع عن الذات. وقد انفض الاجتماع على غير اتفاق وغير قناعة مني.))

ثم ما لبثت نبوءة عزيز شريف بالتحقق، إذ إشتبكت قوات البيشمركة مع فصيل شيوعي مسلح بأسلحة سلطة البعث على مشارف القوش في ايلول 1973. وعندما تم التضيق على الشيوعيين استجدوا بالقوات الحكومية، فقصفت هذه مواقع البيشمركة. وفي الصباح الباكر باغت الفصيل الشيوعي قوات البيشمركة وهزمها بعد ان تكبدت عددا من القتلى والجرحى.

وجاء في الملاحظة التوضيحية لعزيز شريف ما يلي: ((وفي تقديري ان قبول التسلح من حزب البعث كان بإغراء من الجناح اليميني في الحزب الشيوعي العراقي وصلات هذا الجناح معروفة بقيادة البعث، ولست اريد البحث في شخصيات هذا الجناح وإرتباطاتهم. .... وقد ادى التسلح بسلاح السلطة الى الخطأ الثاني وهو دخول الحزب في حرب محدودة ضد قوات الحركة الكردية في صيف 1973، ثم الى الخطأ الاكبر وهو دخول الحزب الشيوعي العراقي الحرب الخامسة ضد الحركة الكردية في 1974 – 1975 الى جانب حزب البعث. وإن كانت قوات الحزب الشيوعي قد حاربت في مواقع محدودة ولم يتلوث الشيوعيون بأعمال القمع الفاشي الذي مارسته سلطة البعث، وكانت الجرائم التي تم ممارستها ضد قلعة دزه في 24 نيسان 1974 من افضع امثلة الابداء.))

وفي ملاحظتين تعقيبيتين جاء الاتي. ((اكذ السكرتير الاول الحزب الشيوعي العراقي في حديثه المنشور في كراس المؤتمر الوطني الرابع "مؤتمر السلم والديموقراطية والتقدم الاجتماعي"، إذ قال "ص 64" ..... إن هيئات الحزب المختلفة كانت قد خطأت وادانت تقويم الحزب ونقله بشكل كامل الى النضال العلني. تلك العلانية التي ضاعفت في الخسارة التي مني بها الحزب. إلا انه لم يتطرق الى الاسباب الاخرى، ومنها الانقسام والدور التخريبي لليمين. كما انه لم يتطرق الى تورط الحزب في الحرب

الخامسة 1974 – 1975 والتي يعزي إليها أختلاط دماء الشيوعيين والبعثيين في خندق واحد. وقد ادت هذه الاخطاء مجتمعة الى إضطرار الحزب الى مواصلة الحوار مع حزب البعث عاماً كاملاً بعد إعدام 31 شيوعياً في ايار 1978 دون اية جريمة او ضرورة. حتى ان جريدة الحزب الشيوعي العراقي المركزية نشرت على سبيل العتاب مقالاً جاء فيه ".... لقد إختلطت دماء الشيوعيين مع دماء البعثيين في خندق واحد." ألا ليت دماء الشيوعيين لم تختلط بدماء البعثيين في خندق الحرب ضد القومية الكردية رغم ما ارتكبته القيادة الكردية من اخطاء فادحة.))

((وقد شمل تدهور الاوضاع السياسية التضيق على مجلس السلم والتضامن، إذ اعتقل الموظف الشيوعي في المجلس إبراهيم اليتيم. وبدأ إغراق المجلس بوكلاء الامن. وبإيجاز كانت تلك الاعمال بوضوح ضد اجنحة الحزب الشيوعي العراقي المتفانية.

وفي هذا الطرف بالذات جرى بيني وبين عضوين قياديين في الحزب الشيوعي العراقي خلاف شديد. والعضوان يمثلان الحزب الشيوعي في مجلس السلم والتضامن. وهما مرتبطان بالجنح اليميني للحزب الشيوعي. وسبب الخلاف هو محاولتهما بالاتفاق مع عبد الفتاح الياسين عضو القيادة القومية لحزب البعث لخلق منصب مدير للمركز الاوروبي لمنظمة التضامن الافريقي الاسيوي، وذلك من أجل إشغاله من قبل أحدهما. وقد تسنى لهذين العضوين إقناع مسؤول لجنة العلاقات الوطنية في الحزب الشيوعي، ثم رتب احدهما وهو السكرتير العام لمنظمة التضامن الافريقي الآسيوي في القاهرة وبالاتفاق مع القيادة القومية إتخاذ القرار بإقامة هذا المركز. وعندما عقد في تموز 1978 مجلس السلم العالمي في موسكو فحضرته وحضره عضوا الحزب الشيوعي المذكورين. وجاء عبد الفتاح الياسين من بغداد فابلغنا بقرار السلطة الذي تضمن إعارة "....." العضو القيادي للحزب الشيوعي العراقي الى وزارة الخارجية وقد عين في السفارة العراقية في سويسرا ليكون هناك مديراً للمركز الاوروبي لمنظمة التضامن الافريقي الاسيوي. وتضمن نص القرار الاستشهاد بقوانين شاذة "ص 5 و 6":

– الحكم بالاعدام على كل من يستقبل او يطرد من حزب البعث او ينتمي الى اي حزب سياسي آخر او اي منظمة تابعة له.

– الحكم بالاعدام على كل من ينتمي الى حزب البعث ويخفي هويته السياسية السابقة.

– الحكم بالاعدام على كل من يكسب بعثياً الى اي حزب سياسي آخر او منظمة تابعة له.

– الحكم بالاعدام على كل من يمارس نشاطاً سياسياً في صفوف القوات المسلحة او الشرطة إلا إذا كان بعثياً، ويكفي للتدليل على تجريمه العثور على نسخة من مطبوع غير بعثي في حيازته.

– الحكم بالاعدام على كل مسرح من الخدمة العسكرية او من الشرطة منذ عودة حزب البعث 1968 الى الحكم اذا انتمى الى اي حزب سياسي عدا حزب البعث.))

أولى عزيز شريف إهتماماً خاصاً بأحداث سنة 1975، إذ أشار الى ((التحول الملموس في سياسة البعث تجاه الحزب الشيوعي منذ عقد إتفاق الجزائر في 6 آذار 1975 سيئ الصيت ، إذ ابتداءً بملاحقة

الشيوعيين في المناطق الوسطى والجنوبية بينما كان الحزب الشيوعي العراقي شريكاً في الحرب ضد الحركة القومية الكردية من الناحية الرسمية والاعلامية بصفته واحداً من اركان ما يسمى بالجبهة الديمقراطية القومية التقدمية "ج. د. ق. ت.")

((وفي لقاء لي مع احمد بانخيلاي، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي واحد قادة لجنة الحزب لإقليم كردستان ذكر: ان مكتب لجنة الحزب لإقليم كردستان اجتمع في اواسط آذار 1975 ووضع خطة عمل للتصدي الى التحديات التي سوف تواجه الحزب الشيوعي العراقي بسبب التغييرات المتوقع حدوثها على الساحة الكردية. إذ كان من المتوقع ان الحركة القومية الكردية لا بد ان تبعث بعد كارثة الحرب الخامسة وان حزب البعث سيبدأ بمحاربتها ومحاربتنا معها. لذا لا بد من اتخاذ التدابير الاحتياطية اللازمة. وتتطوي هذه التدابير على خطط للإختفاء تشمل الشيوعيين الفارين من بطش البعث وإخفاء السلاح وخلق قواعد سرية للدفاع عن الذات عند الضرورة. إلا ان اللجنة المركزية والمكتب السياسي لم يستجب لطلبنا بخصوص دراسة إقتراحنا هذا.))

((من الاحداث الهامة في هذه الاثناء صدور البيان التأسيسي الاول لتكوين الاتحاد الوطني الكردستاني في حزيران 1975. "ومنذ ربيع 1976 بدأت المجابهات العسكرية بين الاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني، ثم تفاقمت الخلافات بينهما وعلى وجه الخصوص في عام 1978، حيث إنتهت بمعركة بهدينان والتي راح ضحيتها العشرات من القتلى بضمنهم عدد غير قليل من الكوادر السياسية والعسكرية. وعندما إندلعت الحرب العراقية – الايرانية اشتد الخصام والاقنتال بين الطرفين.))

سجل عزيز شريف ملاحظات بانخيلاي بخصوص مبادرة قيادة إقليم كردستان بعد إعدام 31 من رفاقهم: ((تم عقد سلسلة من الاجتماعات تناولت الاجراءات اللازمة للتصدي الى المخاطر المحدقة بالشيوعيين في كردستان. وذلك خلال الفترة التي كان الحزب الشيوعي ما زال مرتبطاً بحزب البعث بالجبهة الوطنية والقومية التقدمية. وقد تم وضع خطة عملية لصيانة ارواح الشيوعيين الكرد والشيوعيين اللاجئين الى كردستان. وتتطوي هذه الخطة على تدابير للتشتت في القرى وخلق تعايش سلمي مع جميع القوى السياسية الكردية بما في ذلك حزب قاسملو في إيران. وقد قام بانخيلاي بإتصالات مع مختلف القوى السياسية من أجل التنسيق معها لايجاد قواعد عسكرية لقوات الحزب الشيوعي العراقي للدفاع عن الذات عند الضرورة. وبين بانخيلاي أن إقتراحات لجنة الاقليم لم تلق إرتياحاً في اللجنة المركزية والمكتب السياسي. فأرسل المكتب شخصين للقاء مع لجنة الاقليم. وجرى هذا اللقاء دون حضوره إذ إستدعى الى بغداد. وكان رأي المكتب السياسي "إننا لا زلنا لم نستوعب الجبهه والعلاقات الجبهوية.))

وفي أدناه خلاصة لملاحظات عزيز شريف بخصوص شعار الكفاح المسلح وإسقاط السلطة وتحالفات الحزب الشيوعي العراقي في هذا الخصوص:



بعد اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في حزيران 1979 بدأت الخطوط الاولى على طريق بناء الفصائل المسلحة التابعة للحزب في كردستان وفي ظروف بالغة التعقيد. فاشترك الحزب الشيوعي العراقي في الجبهة الوطنية والقومية الديمقراطية "ج. و. ق. د." مع الاتحاد الوطني الكردستاني والبعث "قيادة القطر العراقي" والحركة الاشتراكية العربية. وذلك في تشرين الثاني 1980. ثم وقع الحزب الشيوعي بعد 16 يوماً على إتفاق الجبهة الوطنية الديمقراطية "ج. و. ق. د." وذلك بالاشتراك مع الحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الاشتراكي الكردستاني.

إنطوت مسألة الدخول في جبهتين مع طرفين متحاربين على مخاطر كبيرة. فكما هو معلوم كان الاتحاد الوطني الكردستاني مسنوداً من قبل السلطة المركزية في بغداد وقد حمل السلاح ضد إيران مع قوات قاسملي في اواخر عام 1981. في حين كان الحزب الديمقراطي الكردستاني مسنوداً من قبل السلطة الاسلامية في ايران وقد حمل السلاح ضد السلطة المركزية في بغداد. وهكذا دخل الحزب الشيوعي في تحالفين عسكريين مع جهتين متناحرتين ولكل منهما قاعدة إسناده المتناحرة. ووفقاً لذلك كانت الاشتباكات العسكرية بين الطرفين المذكورين إمتداد للحرب الدمية الايرانية - العراقية. فالمتحالف في آن واحد مع قوتين كبيرتين متقاتلتين في ساحة القتال كالواضع رقبتة طوعاً بين فكي رحي الحرب.

واقتبس عزيز شريف بعض المواقع من الكراس الذي اصدره الاتحاد الوطني الكردستاني في آب 1981 تحت عنوان "الازمة المتفاقمة وكيفية الخروج منها" وذلك من أجل تبيان مخاطر تعدد التحالفات موضوع البحث. إذ ذكر الكراس ضرورة تعزيز "ج. و. ق. د." وإستنكر التحالفات الثنائية او التلاقي مع طرف آخر مدسوس ومشبوه ..... مشيراً بذلك الى مشاركة الحزب الشيوعي العراقي ما أسماه مع الحزب الديمقراطي الكردستاني في "ج. و. ق. د." وذكر أن الحزب الشيوعي العراقي يواصل إفتعال جبهات عديدة تبعثر قوئ شعبنا وتخلق البلبلة وتنتشر اليأس. ثم دعى الذين خرجوا على إجماع الحركة الوطنية وشقوا صفوف "ج. و. ق. د." ندعوهم الى العودة الى الصواب وأنها لعبة الجبهات المتعددة. ((وكان رد فعل "ج. و. ق. د." إجراءات منها تجريد عضوية الحزب الشيوعي العراقي و الحزب الإشتراكي الكوردستاني في "ج. و. ق. د." ومنذ اواخر عام 1981 إبتدأ الاتحاد الوطني الكردستاني بالتنقيف ضد الحزب الشيوعي العراقي.))

وفي ضوء إستنتاجاته اعلاه بين عزيز شريف عدم جدوى مساعي الحزب الشيوعي العراقي اللاحقة في توحيد الفرق المسلحة على الساحة الكردية بسبب إنعدام الاسس الموضوعية الازمة. إذ واصل الحزب الشيوعي العراقي جهوده للتصالح بين أهم طرفين متناحرين، هما الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني حتى أثمر ذلك بتوقيع بيان مشترك في مقر الحزب الشيوعي العراقي في بشت آشان في تموز 1982. وذلك بعد التوقيع على بيان مشترك بين الحزب الشيوعي العراقي والاتحاد الوطني الكردستاني في 7 تموز 1882، ثم تم التوقيع على محظر مشترك للتعاون

بينهما في 6 شباط 1983. ومما يدل على عدم وجود أي اسس موضوعية سائدة لهذا التعاون تصريح ناطق رسمي للاتحاد الوطني الكردستاني في 19 شباط 1983 كشف فيه عن عدائه الى "ج. و. د.". فاحتج الحزب الشيوعي العراقي على ذلك. والاسوء من كل ذلك وقوع معركة بشت آشان في 1 أيار 1983.

كان عزيز شريف قد إستاء بشدة من سياسة الحزب الشيوعي العراقي بخصوص حمل السلاح من أجل إسقاط السلطة والدعوة الى العودة الى الوطن. كما كان استياءه ايضاً شديداً من سياسة السلطة الهوجاء التي سببت الدمار للعراق. وكان يعاني آنذاك من مرض القلب. وقد وصف جملة معاناته على الوجه التالي:

((وتعاقبت الايام والليالي سراعاً. وزاد حول عنقي ضيق حلقات ثلاث: أشدها ضيقاً تغذية القلب بالدم، أما الاخرين فهما جانب السلطة بالدرجة الاولى وجانب قيادة الحزب الشيوعي)). ومما تجدر الاشارة إليه كان عزيز شريف يستلم في هذه الاثناء رسائل كثيرة من الشيوعيين المستائين إما من سياسة الحزب الشيوعي بخصوص الاستخفاف بأرواح المناضلين او بخصوص تعرضهم الى إنتهاكات مؤلمة من قبل بعض قادة الحزب.

وبالإضافة إلى موقفه الإيديولوجي المعارض لشعار رفع السلاح وربطه بشعار العودة إلى الوطن، كان يعلم من خبرته الطويلة التي ترتبت على تواجده مع الانصار وتقلاته مع البيشمركة بأن الإجراءات اللوجستية والعسكرية في المخيم الشيوعي لم تكن تخطط وتنفذ بالمستويات اللازمة، مما كان يسبب في زيادة عدد الضحايا. فعلى سبيل المثال في إحدى الشكاوي المؤلمة نقل إليه خبر كيفية إستشهاد طبيب شيوعي كان يعمل في اليمن. وقد تم ترتيب إستقدامه مع مجموعة جمعت في القامشلي. ثم ما لبثت المجموعة المتسللة من سورية بإجتياز الحاجز النهري ان تفاجئ بإشتعال الانوار الكشافات على الشاطئ العراقي وبرمي مكثف بالرشاشات الثقيلة. وفسر سبب الحادث بأنه ترتب على إخبارية من القامشلي.

سيطلع القارئ في الجزء الاول على مدى خطورة المرور في المثلث الحدودي بين العراق وسورية وتركيا وكيفية تنظيم عبور الحواجز النهرية في هذه المنطقة. ولا تقتصر المخاطر على حراس الحدود وإنما على كثرة المخبرين في محطات الإنطلاق والوصول في القرى والمدن الحدودية. فعزيز شريف سبق وان عبر هذه الحواجز مرات عديدة بمساعدة ادلاء محترفين يدينون بالولاء إلى البارزاني. وكانت عمليات العبور هذه تسبق بإستعدادات كثيرة على اساس تعاون الاشقاء عبر الحدود. وعلى الرغم من ذلك كان العبور في كل مرة محفوف بمخاطر كبيرة.

وأصبح موضوع فقدان الأرواح بسبب السياسة المذكورة شغله الشاغل في تلك الاثناء، خصوصاً أنه فقد عدداً من أقربائه وأبناء أعز أصدقائه. وفي الواقع بغض النظر عن عنصر القرابة او الصداقة كانت تربطه بجميع هؤلاء الشباب المتفانين في سبيل هذا الوطن الذي احبه وهو في هذه المرحلة المتقدمة في السن رابطة ابوية. لقد كان هؤلاء رفاق الطريق ولم تكن رابطة مع هذه النخبة المتفانية

وليدة الساعة وإنما تواصل عبر اجيال تعود بداياتها إلى الفصيل الشيوعي في منتصف الستينات. فكان ينظر إلى الملازم خضر والعريف يونس وفاخر وغيرهم من هؤلاء المناضلين الابطال بدون مبالغة نظرة الابناء. وكان يرى من واجبه الإنساني والوطني والادبي ان يضع حداً لهذه السياسة الإنتحارية من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

وكانت مقولة عزيز محمد حول منع النقد لغير أعضاء الحزب قد زادت في حزن عزيز شريف لانه كان يعلم الى أين تقود هذه السياسة التي لا يجد سبيلاً الى إبطالها ثم يصبح فيما بعد شاهداً لحصادها. وأدناه تعليقه على مقولة عزيز محمد المذكورة:

((أفلا يجوز لمؤرخ أن يتناول بالتحليل، حسب المعطيات المتيسرة حركة ما، او سياسة حزب ما، وما كان فيها من صواب أو خطأ، ونتائجها الايجابية او السلبية بالنسبة الى الفترة المعينة؟ وهل لا يجوز للمواطنين، او ليس من حقهم أن يناقشوا سياسة حزب ما وتأثير هذه السياسة على مصير الوطن والشعب؟))

وفي أدناه فكرة حول مساعي عزيز شريف في إقناع قيادة الحزب الشيوعي للعدول عن هذه السياسة الإنتحارية. وللأسف لم يعثر على تواريخ تقديمه لملاحظاته هذه. وقد اخبرني أحد الشيوعيين القديين سابقاً بأن هذه الملاحظات هي تقرير كتبه عزيز شريف وسبق أن ارسل النسخة الاصلية منه إلى تنظيم الخارج للحزب الشيوعي العراقي في براغ. والتقرير محفوظ في ارشيف الحزب الشيوعي العراقي في براغ:

((وفي لقاء لي مع قادة الحزب الشيوعي وفي مقدمتهم السكرتير الاول عزيز محمد في إحدى فترات تواجدهم في موسكو. بينت رأي حول شعار إسقاط السلطة. فأبدت اعتراضي على هذا الشعار، لان إسقاط السلطة يعرب عن العمل المباشر لانتزاع السلطة وتبديلها في العراق، وهذا أمر ليس قائماً في المنظور القريب. بخلاف شعار الديمقراطية للعراق، الذي هو موضوع كفاح طويل عبر صعوبات ونجاحات وإخفاقات. كما أنه لا يتوقع أن يكتمل بحدث إنقلابي آني. كما أن شعار اسقاط السلطة وربطه باولوية الكفاح المسلح قد تضمن المجابهة إلى مستوى خارج عن إمكان حرب الانصار.

ان شعار اسقاط السلطة "محض امال طوبائية". فليس في اصطفا في المنطقة وفي داخل العراق ما يتبين منه بإمكان اسقاط نظام صدام لصالح القوى الديمقراطية. ولست انطلق من موقف التشاؤم، ولكن التغييرات التقدمية القائمة على نهوض شعبي كالتي مرت بعد حرب فلسطين والانتفاضات اللاحقة في الخمسينات — ان هذه التغييرات غير منظورة حالياً. ان التغيير في العراق اذا ما تم في الظرف المنظور حالياً، يعتمد على قوى كبرى في مقدمتها الولايات المتحدة والدول المرتبطة بها وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية. ولن يكون ذلك بمعزل عما يجري في المنطقة الغربية، حيث المجابهة مع اسرائيل. ولا يمكن اهمال ما بقي من دور لبريطانيا في المنطقة. ان مفاتيح التغيير اللاحق في الظرف الحالي هي بيد الولايات المتحدة بوجودها العسكري وقواعدها والتسهيلات التي تحت يدها وخصوصاً

المخابرات المركزية وما لها من عملاء داخل العراق. ومتى ما وجدت هذه ضرورة التغيير فإنها سوف تقوم بذلك بالصورة التي تخدم مصلحتها.))

كانت هذه توقعات عزيز شريف بخصوص كيفية إنهاء نظام صدام حسين، وذلك قبل الاطاحة به من قبل الولايات المتحدة وحلفائها بحوالي 17 سنة. ويتابع عزيز شريف ملاحظاته.

((وقد كان أفضل خيار للحزب هو إيجاد تعايش سلمي وتعاون محدود مع أي من القوى المتواجدة في الساحة الكردية دون تضامن عسكري مع أي منها. ومن هنا كان الخطأ الاول، أي الارتباط بتضامن عسكري في جبهتين متناقضتين من حيث المصالح والارتباط والسلوك. ويوازي هذا الخطأ في الزمن خطأ التطبيق غير العقلاني لقرار العودة الى الوطن.

فإذا كان الأضرار قد دفع المناضلين الشيوعيين بادئ الامر الى الجبال بسبب الانكشاف وعدم إمكان إخفائهم في أنحاء العراق الاخرى، فليس يعقل القرار بعودة الكوادر العلمية الى الوطن. فهل كان تطبيق هذا القرار عقلياً؟ فبموجب هذا القرار ارسلت الى الجبال كوادر علمية كانت تعمل في الجزائر واليمن الديموقراطية وسورية. كما ارسل طلاب من الجامعات في الدول الاشتراكية بعضهم عند إكمال دراستهم والبعض منهم قبل إكمال دراستهم. إن العودة الى الجبال قد تكون ضرورية بالنسبة الى صنفين من الناس. قادة معروفين ورجال سلاح. إن العودة بمعناها العلمي والنضالي، التوزع حسب الامكان متسللين ومختلطين بالجماهير او مختفين بينهم.))

وجد عزيز شريف نفسه عاجزاً عن إيجاد أي تبرير منطقي للإصرار على المجابهات العسكرية دون اية خطة واضحة ودون حساب للخسائر في الارواح. فخوض الحزب الشيوعي المجابهات العسكرية بالمستوى الذي حصل آنذاك الى جانب قوات البارزانيين خرج عن حدود الاضرار وإنما دخل ضمن الحرب الايرانية - العراقية ومحاولة إطالتها.

على الرغم من المقالات القيمة التي نشرت بخصوص معركة بشت آشان وجدت من الضروري إدراج ملاحظات عزيز شريف بخصوصها. بين عزيز شريف أن موقعة بشت آشان هي حصيلة تصعيد المجابهات العسكرية بين مسلحي الاتحاد الوطني الكردستاني ومسلحي الحزب الشيوعي العراقي وحليفه في "ج. و. د." منذ اواخر 1982 وأوائل 1983. وفي هذا الصدد تساءل عزيز شريف عن الحكمة من زج الحزب الشيوعي العراقي كطرف في هذا التصعيد؟ ولما كان الهجوم قد بدأ أولاً على مركز الحزب الاشتراكي الكردستاني، فقد تم الاستيلاء على بعض الوثائق التي تدل على التضامن العسكري بين الحزب الشيوعي العراقي وحليفه في "ج. و. د." ضد قوات الاتحاد الوطني الكردستاني وهنا أيضاً يتساءل عزيز شريف عن الحكمة من هذا التضامن ضد قوات الاتحاد الوطني الكردستاني؟ ثم بين عزيز شريف بأن بيانات الحزب الشيوعي العراقي توضح أنها كانت تعلم بتجمع قوات الاتحاد الوطني الكردستاني في مناطق معينة. ومن ذلك عبور قوات كبيرة من بحيرة دوكان، وعلى مرأى من

قوات الحكومة. وهذا ما أثار تساؤلاً: لماذا إذن لم تتخذ الاحتياطات الضرورية للإنسحاب والتشتت أو الدفاع عن الذات قبل الهجوم الساحق؟

وفي أدناه ملاحظات عزيز شريف بخصوص الاحداث التي وقعت بعد موقعة بشت آشان.

((بعد موقعة بشت آشان وقعت معارك ضارية بين قوات الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديموقراطي الكردستاني والحزب الاشتراكي الكردستاني من جانب وقوات الاتحاد الوطني الكردستاني من جانب آخر. وكان ذلك في تموز وأوائل أيلول 1983. ولم ترد منشورات الحزب حول تلك المعارك وإنما ذكر لي عبد الرزاق الصافي عضو المكتب السياسي الحزب الشيوعي العراقي إن خسائر الحزب بلغت 7 أشخاص. ولا يتسع المجال لذكر كل ما ينشر من أخبار المعارك التي استشهد فيها الأنصار الشيوعيون في معارك متتالية.

تتكلم نشرات الحزب الشيوعي عن مصادمات عسكرية بعضها كبير جداً وخسائر بالكوادر الثمينة وبعضها كوادر علمية. ففي نشرة للحزب الشيوعي في تشرين اول 1983 ذكر نعي اربعة من الكوادر إستشهدوا في مهمة عسكرية. أحدهم الدكتور غسان عاكف وكان قد إشتهر بمآثره في إسعاف الجرحى الشيبوعيين ومرضاهم والعناية بمرضى القرويين وأطفالهم. فلماذا يرسل شخص مثل هذا للقيام بمهمة عسكرية؟ وقد نعي الى جانبه نزار ناجي يوسف وهو خريج إحدى جامعات الاتحاد السوفياتي ومتزوج من سيدة روسية له منها بنتان. ولم تذكر نشرة الحزب كيفية سقوط هؤلاء الشهداء، سوى أنهم إستشهدوا في المعركة الباسلة المستمرة ضد نظام الجلادين والمرتزة والمتواطئين معه من قيادة "الاتحاد الوطني الكردستاني - الطالباني". وفي النشرة خبر لإستشهاد معلم وشاعر كان يعمل في اليمن الديموقراطية بعد هروبه من العراق. وذلك دون ذكر للمعركة التي إستشهد فيها.

وقد رأينا مستوى الضحايا في المجابهات مع قوات الاتحاد الوطني الكردستاني في معارك بشت آشان وورته. أما المجابهات مع قوات السلطة فقد تكون أغرب. ففي نشرة مؤرخة في 30 تشرين الاول 1983 ذكر خير مفاده "الانصار الشيوعيون يتصدون لقوات ودبابات العدو". وفي نشرات الحزب العديدة يذكر مراراً أن مجموعة من الانصار، ودون ذكر العدد، تهاجم ربايا عسكرية وتقع بينهم وبين مجموعة من الجيش المحصن معارك ضارية يستشهد فيها بعضهم الى جانب قتل العشرات من الجيش ومرترقته. والربية تعبير عسكري عن موقع محصن على مرتفع محاط في العادة بالكونكريت المسلح. وحول الكونكريت المسلح حاجز من التراب لمنع الانفجارات، ومن حوله حقل من الالغام محاط بالاسلاك الشائكة. فما هي الخطة بعيدة المدى لهذه المعارك الانتحارية؟))

مما تقدم يتبين موقف عزيز شريف التاريخي المعارض لسياسة الحزب الشيوعي الانتحارية بخصوص الكفاح المسلح. كما يتبين بوضوح بأن عزيز شريف واجه نفس الموقف الراض من قبل الحزب الشيوعي العراقي لتوصية فرج الله الحلو التاريخية. فكيف يمكن تفسير إهمال نصائح صديق

ذو خبرة هائلة فيما يتعلق بالحركات المسلحة في كردستان. وسوف يطلع القارئ على سعة هذه الخبرة التي كانت حصيلة تراكمات عبر اكثر من اربعة عقود.

ومن الغريب حقاً كيفية الإصرار على عدم الاخذ بتحذيرات عزيز شريف المتكررة منذ 1973 بهذا الخصوص، وذلك عندما تسلح الحزب الشيوعي بسلاح البعث. وقد رأينا ماذا ترتب على هذا الاصرار آنذاك بالنسبة إلى الحزب الشيوعي. والغريب ان الموقف الراض لتحذيرات عزيز شريف إستمر بعد أنتقال الحزب الشيوعي إلى المعارضة وذلك على الرغم من إتضاح الثمن اللازم دفعه من جراء ذلك. والاغرب من كل ذلك الإستمرار بالخطأ، وذلك وعلى الرغم من تزايد الخسائر البشرية المتكبدة. وقال في ذلك: ((نقاء القصد يبرر العذر عن - خطأ اولى الخطى. اما المضي بالخطأ فانه ينفي كل معذرة)). وفي هذا القول إستثناء لموقف القادة الشيوعيين الذين ادركوا الخطأ وحاولوا في مرحلة لاحقة إنقاذ ما امكن إنقاذه.

وقد عثر في ملفات الرسائل الخاصة بمذكرات عزيز شريف على الرسالة المرسله من قبل الاستاذ جلال الطالباني إلى عزيز شريف بخصوص المصالحة مع الحزب الشيوعي والموتقة في ملحق الناشر رقم 2. وتضمنت هذه الرسالة بصورة عرضية بعض المعلومات الهامة من وجهة النظر التاريخية.

### وصية عزيز شريف إلى رفاق الطريق

ترك عزيز شريف وصية إلى جميع المناضلين من اجل الحرية والديموقراطية، وهي البحث عن الحقيقة والالتزام بها.

هذه الوصية حصيلة تجارب مريرة وخبرة طويلة. وهي على درجة كبيرة من الاهمية. فلا يمكن ان يكون الجائر على الحقيقة بسبب المصالح الذاتية ديموقراطياً او وطنياً. كما انه لا يمكن ان يكون بمقدور الجائر على الحقيقة بسبب جموده العقائدي المتكلس على الاحكام المستتبقة خدمة الشعب بصورة مفيدة. والاسوء من ذلك محاولات تزوير الحقائق من منطلق المصالح الذاتية او طمس الحقائق المخالفة لمعتقدات ذوي الجمود العقائدي من اجل تحقيق أمانهم في كيف يجب أن تكون الحقيقة. **فالحقيقة بمثابة بوصلة تدل على انحراف المسيرة وتشير إلى وجهتها الصحيحة.**

دون عزيز شريف افكاره ادناه بخصوص الحقيقة وكيفية التوصل إليها في صورة مواعظ، وذلك في ملف "خواطر". وكما يبدو واضحاً انها حررت في ازمنة مختلفة وكردود فعل على ممارسات غير ديموقراطية من قبل رفاق الطريق:

((على من يريد صادقاً الإتعاظ والإغتناء بتجربة الماضي

أن يسعى إلى الحقيقة هدفاً وأن يتسلح بها نبراساً.

وبنسبة الجد وسلامة القصد قد يتحرر من الاوهام.

من عمق الرؤيا وسعة الافق ما يساعده على تفهم الحاضر ووضع الخطى على الطريق السليم)).

((وليس لمن يجور على الحقيقة ان يخدم قضية الشعب التي يتصدى للعمل من أجلها. لأن ذلك الجور ليسهم في تضليله ويفوت عليه إدراك الخطأ وتصحيحه وتحاشي الوقوع فيه مرة اخرى، سواءً اصدر الخطأ عن المتصددين للدفاع عن قضية الشعب ام المعادين لهذه القضية)).

((حرية المناقشة والنقد والتحليل والمقارنة بين الوقائع، وكذلك بين الآراء هي الطريق الاكثر ضماناً للوصول الى الحقيقة. أما الاستبداد بالرأي فإن متغيرات الزمن وحدها كفيلة بتحليله ما فيه من صدق وصواب او باطل)).

((للوصول إلى الحقيقة ينبغي قبل كل شيء الإستقامة والنزاهة وهذا ليس سوى الخطوة الاولى على الطريق ..... فلا بد من البحث العلمي ..... والمنجزات العلمية لاتقف والموقف العلمي يتطلب اولاً لا التنديد بالمعارض بل ينبغي المناقشة ..... اما المرض القاتل للحقيقة فهو من ليس معنا فهو ضدنا)).

((وإذ تختل المقاييس وتغلق الابواب دون الحقيقة او تكاد. فتصبح الجريمة مجداً وتعد الهزيمة نصراً، فليس للضعيف ذي الرأي غير ان يطلق روحه في زاوية يتعزى فيها برأي حكيم ويطفئ ضمأه بنفثة شاعر صادق)).

((الطريق إلى الحقيقة طويل مفعم بالعقبات، بل قد يكون مفعماً بالاخطار، حيث ترخص حرية الإنسان وكرامته وتهون الحياة. ولكن لا نافذة لنور الحقيقة إلى اعين غشيت بالمصالح او بالنزوات)).

((زادت زفة القوة الغاشمة بضجيج من الإرهاب والزيف، تعاطمت اصوات المسبحين، ووريت الحقيقة وهان العقل والظمير،

وحطت منازل ذوي الاصاله،  
 واصطنعت للإمعات التوافه مقامات عالية  
 وطار مكتسبوا المجد الرخيص على اجنحة الغرور  
 إذ صدقوا ما رددوا من زور وهراء  
 يصبح الجو المتعفن يتفشى كل لون من مرض الاخلاق.  
 وفي الطريق الهوجاء تصطمدم المركبة بعقبات واقع الحياة  
 وتستحيل الحياة الإجتماعية ..... ((

((إن الذين يعتنون بإنماء مصالحهم الذاتية – بالإرتباط بمعسكر غير الذي ينتمون إليه لن يسلموا من التناقض – بين واقعهم وما يظهرون من قول وفعل)).

((قد يكون اعداء الحقيقة على جانب عظيم من القوة وقتاً ما،  
 اما الحقيقة تبقى هي الاقوى مهما عظم اعداؤها)).

((إنسان ينطلق من شعور عميق بالإخلاص للحقيقة  
 لاثرورة ولا مجد يغريه.  
 الحقيقة ضالته)).

((ولست اخشى من الحكم المتعجل عليّ. ففي التاريخ (القديم والمعاصر سواء) صدرت بإسم التأريخ  
 احكام جائرة متعجلة، كانت إما لصالح من لهم السيادة آنذاك، او تحت إنداع الناس بظاهرة آنية. فكان  
 على الحقيقة ان تتأخر رؤيتها طويلاً وأحياناً وعصوراً. ومع ان التجربة – وخاصة التجربة ذات  
 الطابع المأساوي، حرية ان تعجل في تجلية الحقيقة. إلا ان الامر ليس بالبساطة التي تبدو. فلا بد  
 لإنجلاتها من زوال عوامل الخداع وعناصر الإنداع)).

((..... تحية قلبية حارة لكل من يستطيع ان يجرد عينيه من غشاوة الافكار المستبقة والمصالح  
 المتحيزة.))



## الخاتمة

لم يترك لنا عزيز شريف مقدمة متكاملة لمذكراته، أما حاول في البداية تغطية ما يخص الجزء المخصص لموضوع الكرد وهو الموضوع الرئيسي من المذكرات. وورد في هذه المقدمة التي حررت في صورة مسودة مايلي:

((بدأ إهتمامي بالمسألة الكردية في أوائل الاربعينات، وبخاصة عند محاولة وضع برنامج لحزب الشعب وفي ضمنه موضوع المسألة القومية في العراق. وقد تابعت إنتفاضتي 1943 و 1945، إذ سافرت الى كردستان في الفترة بين الانتفاضتين (في نيسان 1944) فوفقت مباشرة على اسباب الانتفاضة الاولى وعلى الاستبشار لدى الشعب الكردي يوازيه إستعداد مكشوف من قبل أجهزة السلطة (في الموصل) للانتفاض ثانية ضد هذا الشعب.

كان لنا تعاون وثيق مع الشباب الكردي الديموقراطي في بغداد في مراحل عديدة من النضال ضد تعسف السلطة في عهد حزب الشعب وإستمراراً بعد تعطيله. وفي عام 1950 وضعت دراسة اولية في (المسألة الكردية في العراق). ثم كان لي عند إغترابي في سورية منذ عام 1955 إتصال وثيق بالجبل الاقدم من قادة الحركة القومية الكردية اللاجئين الى سورية ومنهم من واكبوا التجمعات القومية الكردية أبان أنتفاضة تركيا الفتاة عام 1908، وشاركوا في الانتفاضات الكردية بعد ارتداد تركيا الفتاة، ومنهم ممدوح سليم الذي اصبح باحثاً مجهولاً. وقد انتفعت بكتبه ومراجعاته القيمة. وكذلك اكرم جميل باشا وابن عمه صدقي الاوثق قدرتي جميل باشا. وفي الفترة ذاتها كان لي احتكاك ايضاً بشأن المسألة الكردية مع المعادين للحركة الكردية او المتحفظين تجاهها.

ثم كان لي اتصال مع قائد الحركة القومية مصطفى البارزاني بدءاً من عام 1957 في مغتربه في موسكو ومواصلةً بالمراسلة. كما كانت لي لقاءات عديدة مع ممثلي الرئيس عبد الناصر في سورية ولقاء معه شخصياً بشأن المسألة الكردية، ثم مواصلة اللقاءات مع مستشاريه في مصر وممثليه في سورية.

وفي تموز 1965 سافرت لأول مرة الى مقر البارزاني في ديلمان. وقضيت فترات طويلة بين الانصار تعرفت خلالها على مشقات حياتهم ومآسي عوائلهم. ثم كلفني مصطفى البارزاني عنه بصفة عامة بشأن التفاوض مع الجهات الوطنية العربية والحكومية الشعبية من اجل الصداقة والتضامن بين الشعبين العربي والكردي. فبعد العدوان الاسرائيلي في عام 1967 اصبحت الحاجة اشد الحاجةً لضمان تضامن القوى العربية مع حركة التحرر الكردية.

وكان الرأي الديمقراطي العام ينظر بقلق الى مسرح العراق وينظر بوجه خاص الى موقف البارزاني في ذلك الظرف الحرج. ثم جاء اعلان السلطة في العراق بخصوص رغبتها في حل المسألة الكردية في عام 1969. واتفق الطرفان على قبول توسطي بهذا الخصوص.

واني لأرجو ان تسهم تجربتي المباشرة، وكذلك ما تيسر لي من مراجعات حسب فهمي للوقائع اسهاماً مهماً كان محدوداً في قضية تحرر شعوب منطقتنا. ولقد كنت منذ وقت طويل ارى واجباً علي ان اروي ما وعيت من ذلك التاريخ وبصفة خاصة تاريخ الشعب الكردي الذي تيسر لي الوقوف على بعض صفحاته، قبل ان اطوى وتطوى الذكرى معي.

تقدمه وفاء إلى الشعب الكردي الذي احببته لاني عشت بعض مآسيه. وان وقع خلاف في الرأي مع كثرة من قادته، ولكنه كان محض خلاف في الرأي لم ينقص من احترام بعضنا ظروف البعض الاخر)).

كان عزيز شريف عازماً على إعطاء المسألة الفلسطينية حقها. وحسب والدتي انها سألته يوماً ((..... ومتى تشرع بالقضية الفلسطينية؟ ..... حال انجاز ما بيدي ....)). ولم يعلم بأن القدر سيسبق انجاز ما بيده. توفي عزيز شريف في 21-4-1990 في موسكو ونقل جثمانه الى بغداد حيث دفن في مقبرة الكرخ.

الدكتور عصام عزيز شريف

فيينا في 5 - 2 - 2010

## ملحق خاص بالناشر رقم 1

تقرير البعثة الامريكية في بغداد بخصوص عزيز شريف رئيس حزب الشعب الصادر في 29 تشرين  
الاول 1946.

James S. Moose, Charge d' affaires ad interim.

American Legation Baghdad. 29 October 1964.

File No. 1484 890G. 00/10 – 2946

National Arcives. Washington D. C.



THE FOREIGN SERVICE DEPARTMENT OF THE UNITED STATES OF AMERICA

NOV 27 1946  
NEAR EASTERN AFFAIRS

AMERICAN LEGATION  
Baghdad, Iraq, October 29, 1946

Handwritten initials and marks

CONFIDENTIAL

No. 1484

Subject: Transmitting Memorandum of Conversation with Aziz Sharif, President of Peoples Party, editor of Communistic Al-Watan, and one of Iraq's leading Leftists.

THE HONORABLE  
THE SECRETARY OF STATE  
WASHINGTON, D.C.

DEPARTMENT OF STATE  
NOV 25 1946  
DIVISION OF FOREIGN AFFAIRS

Sir:

I have the honor to transmit herewith a Memorandum dated October 26, 1946, in which Second Secretary of Legation, Robert B. Kemminger, has recorded a conversation with Aziz Sharif, one of Baghdad's most influential Left Wing leaders, and editor of the recently suppressed Baghdad newspaper, Al-Watan.

Aziz Sharif is one of the most interesting and most controversial figures now playing on Iraq's political stage. In the eyes of his friends and followers, he is considered so honest and sincere as to verge on the saintly. In the opinion of most wealthy and conservative Iraqis he is regarded as a dangerous Communist. Oddly enough, there is much to be said for both sides. Sharif is poor, which in view of his indisputable energy, ability and capacity for work, is certainly evidence of his personal honesty. It is difficult to talk with him any length of time without being impressed by his sincerity and his desire to do something for the "common man."

INE  
2010  
ISA/M  
LCCD  
ICIG  
IBC  
IEE  
IEUR/X  
I.H

It is also pretty well established that Sharif's paper Al-Watan followed the Moscow Radio's anti-British line too closely to be mere coincidence. As a matter of fact, Sharif frankly admits that on numerous occasions he has turned to Moscow for arguments against British imperialism and the stifling effect of the feudal system. He denies, however, that he is or ever has been a Communist. He is simply, he says, "like Mr. Churchill -- ready to clasp the hand of the Devil himself to crush the enemy of his people," in this case, British imperialism. The Legation is not certain whether Aziz Sharif is a Communist or not.

3 via  
Nany

It will be noted in the attached Memorandum that Aziz Sharif states that his party's basic aims are Independence, Democracy and Progress for Iraq, which objectives it hopes to attain through expulsion of the British, mass education and agrarian reform; that while his party's membership has increased satisfactorily, persecution by the government has retarded its activities in the provinces; that the admiration which Iraqi soldiers had for the German Army has shifted to Russia; that the ruling passion of the Iraqi Army is hatred of the British; and that the younger Army officers are expressing a great political awakening; and that most

7/25  
19

B90G.00/10-2946

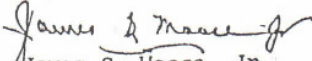
CS/V

-2-

that most of them are far to the left of center.

With reference to the perennial Palestine question, it is of interest to note that Aziz Sharif, whose thoughts seem channelled along lines of internal reform, is almost as rabid as most of the professional Arab nationalists.

Respectfully yours,

  
James S. Moose, Jr.  
Charge d'affaires ad interim.

Enclosure: Report as stated. 11 r T

Sent to Department in original and hectograph.

File No. 800  
RBI/emmainger:mh

MEMORANDUM

October 26, 1946

I called on Aziz Sharif this morning at the headquarters of the Peoples Party. He received me with his customary courtesy in his meagerly furnished but amazingly clean stone floored office. We talked for about an hour. Although I took no notes and do not pretend to quote Aziz Sharif's exact words, the following paragraphs accurately reflect both his views on the various problems discussed and the spirit in which his remarks were made.

After the usual exchange of conventional compliments, I said:

Q - There have been many conflicting reports as to whether Parliamentary election will be held this year. As leader of a strong political party, what is your opinion?

A - With Arshad Al-Umari as Prime Minister, it is difficult if not impossible to predict anything. An American diplomat in Ankara was once asked if Hitler would attack Turkey. He answered, "When a madman leads an orchestra, how can one tell whether the music will go up or down?"

Q - What does Peoples Party hope to achieve?

A - Independence - Democracy - Progress. These are the blessed trinity, no one of which can be obtained without the other.  
Independence means getting rid of British. Without the British, the ignorant "old Turks" would not be able to last a month. There might be some disturbances but they would not be serious.  
Democracy - as Lincoln said, is government of the people, by the people and for the people.  
Progress means Agrarian reform - new industries - abolition of feudalism - increased standards of living, health and education.

Q - Do your ideas of Agrarian reform run along Soviet lines?

A - No, I advocate giving plots of Government-owned land to small farmers. These farmers would then form cooperatives with benefit of trained Government advisers and technicians.  
 I do not like the idea of Collective Farms particularly for Iraq. (It seems that Marshall Tito recently made a similar statement - RBM) Agrarian reform is really the most important problem in this country which, of course, will remain predominantly agricultural for many years. The people must be settled on the land which they own themselves. Only thus can the feudal power of the Shaikhs be broken, only thus can rural schools, now bitterly opposed by reactionary landlords, be established, and only thus can the country's standard of living and literacy be raised. New industries will come as the standard of living of our peoples begins to justify the investment of capital in productive factories.

Q - How far

-2-

- Q - How far do you think Government ownership or control should be extended in Iraq?
- A - I believe the Government should own and operate all public utilities, and that municipal governments should own cinemas and run them for the betterment of the public and not as commercial ventures.
- Q - Do you think the Government should have control over the press?
- A - No, certainly not until such time as the country may have attained a genuine and deep-rooted democracy.
- Q - What progress has been made towards uniting Iraq's Leftist Parties?
- A - Some, but not as much as we would like. As you know the Peoples Party which I have the honor to lead has joined together with the National Union Party. We asked Kamil Chaderchi to unite his National Democratic Party to us, but he refused. We hope however, that a number of the present members of the National Democratic Party will come into our ranks.
- Q - Has the Government approved the Petition for unification of your party with the National Union Party?
- 
- A - Not yet, but it may eventually. In any case it does not matter very much since both parties have been legalized individually and we can work out our cooperative one way or another.
- Q - What is the principal barrier between your party and Kamil Chaderchi's?
- A - My insistence on Agrarian reform and the fact that my sincerity is well known does not appeal to Chaderchi, who is by no means the reformer he would like the public to believe him to be. Remember Chaderchi is a large landowner.
- Q - Are the fellahin on Chaderchi's estates better treated than elsewhere in Iraq?
- A - No! As a matter of fact Chaderchi's fellahin are very badly treated indeed.
- Q - What do you think of the Rightist Party Al-Istaqlal?
- A - It is purely reactionary group which is as basically opposed to real reform as are the British and the "old Turks" who run Iraq. As a matter of fact, Al-Istaqlal now has an oral agreement with Prime Minister Arshad Al-Urmari to refrain from attacks on the Government as long as Arshad is concentrating on crushing Leftist movement.
- Q - What is the membership of the Peoples Party?

A - About

-3-

A - About 6,000. Add to this about 1,500 for our associates the National Union Party and you can see that for a young organization tacitly opposed by the Government we are not doing too badly.

Q - Are these 7,500 active workers?

A - Not exactly. For the past month or so the Police in the Provinces have been arresting and jailing known members of my party on all sorts of absurd charges. Last week one of our members was actually given 20 days in jail on a charge of reading a magazine on the street. There is no question that the Government is doing all it can to discourage party membership. (Aziz' charge of arrests on false charges in the small towns and villages has been confirmed by a reliable British source - RBE)

Q - In the face of this Governmental opposition are you not growing discouraged?

A - Not at all. A man like me who really intends to do something for the people must expect to spend a good deal of time in jail. They call me a Communist, as indeed they do everyone with liberal ideas in this country, but I shall go on fighting and will expect to take the consequences. You as a Christian well know that Jesus Christ was crucified for the new ideas he brought into a benighted land. — Actually the Baghdad jail is not bad, and my food is sent in from my home. The Director of the jail is a gentleman.

Q - If you do not expect anything like fair elections in the foreseeable future, and if the grip of the people you call "old Turks" and Reactionaries is as strong as ever, how do you expect to make any progress here?

A - The first step of course is to achieve independence by getting rid of the British. Just how this can be accomplished, I am not prepared to say, but it will be done eventually. Once the British have withdrawn, the Ottoman educated, or rather, uneducated, political ring will fall apart like a house of cards in a cyclone. There may be some disturbances and bloodshed, but it will not be nearly so serious as you might imagine. Then the sincere, well-equipped liberals of Iraq, will take over the Government of this country and reform will come.

Q - But do you think this will take time?

A - Yes, much time. I may not even live to see it, but it is my job to work for the desired end.

Q - In effecting a change in Government, the Army often plays an important role. How does the Iraqi Army stand politically?

A - Since 1941 the Iraqi Army has been careful to keep out of politics. The Army however, hates the British. In 1941 the Army admired Germany's military machine, but it was not really pro-Nazi, it was anti-British. The same is true today.

Q - Do you



-4-

Q - Do you give credence to the rumors of Communist infiltration of the Iraqi Army?

A - Very little. As I have said, the ruling passion of the Iraqi soldier is hatred of the British. He may turn to the Russians as he did to the Nazis to help him get rid of his British masters. It is true that the younger officers of the Iraqi Army are growing much more politically minded and practically all of them are liberals. My paper Al-Watan was by far the most popular paper in Army circles, and it was followed in popularity by the other Leftist journals.

You know the Iraqi soldiers admired the German Army very much. When the Red Army beat the Nazis it became their ideal of a great military machine. I do not know about the reported Communist influence in the Army, but I can say that admiration of Russia is growing stronger and more general.

Q - And now the inevitable question. What are your views on the Palestine situation or are you too preoccupied with vital internal problems to give much thought to the Zionists?

A - By no means. I feel as strongly on the Palestine issue as any other Arab. Palestine is an Arab country, no power on earth has a right to take it away from us and give it to a foreign race. We will never yield on this point. There can be no compromise. Palestine must be given its independence under its rightful Arab Government.

At this point the telephone rang. I could see that the nature of the call was somewhat embarrassing. When he hung up I prepared to leave.

"Excuse me," Aziz Sharif said, "but they want me at the Court immediately. It seems that one of the several indictments against me has developed more rapidly than we had expected."

"Sorry", I said.

"Think nothing of it. I may soon be going back to jail for a while, but as I told you, it's not too bad, and a fellow like me must figure on spending a certain amount of time in jail in a country like this."

## ملحق خاص بالناشر رقم 2

رسالة الاستاذ جلال الطالباني إلى عزيز شريف

ملاحظة: تكرر في الرسالة استخدام مصطلح الحشع ويقصد به الحزب الشيوعي العراقي

UNION PATRIOTIQUE DU KURDISTAN  
PATRIOTISCHE UNION KURDISTANS  
PATRIOTIC UNION OF KURDISTAN



يه كيتي نيشتماني كوردستان  
الاتحاد الوطني الكردستاني

كردستان - العراق  
جبل جرماد  
كاتب مراد

Ref. :

Date :

التاريخ : ١٤٨٧ / ٨ / ١٧

العدد :

الاستاذ الجليل عزيز شريف المحترم

تحية ثوريه حاره :

اتمنى لكم موفور الصحة والعمر المديد . آلمنى ماسمعته عن مرضكم فارجو لكم الشفاء العاجل وطول العمر لتواصلوا العطاء والنضال في خدمه شعبنا العراقي الابي بقوميته العربيه والكرديه وسائر مواطنيه . .  
لا يخفى عليكم اننا من اوائل العارفين بفضلكم على الحركه التحريره الكرديه ومن قدامى المعجبين بكم وبدوركم الوطني الكبير والهام في الحركه الديموقراطيه والتقدميه العراقيه وفي ارساء العلاقات العربيه الكرديه على اسس راسخه ومبدئيه تصمد امام الاعاصير: لذلك فمن الطبيعي ان نعزز بالعلاقات القديمه والمديده معكم ونفتخر ، وان نحرض على ادامتها وتطويرها . ومن حقنا ايضا ان نلجا اليكم في طلب العون بالنصح والارشاد وبلاسهام لتصحيح علاقتنا مع الحشع ولازالة الخلل الموجود في العلاقات السوفياتيه - الكرديه . واستميحكم عذرا لادخل راسا الى هذه المواضيع :

اولا نحن نحتاج الى الاستفادة من تجاربكم الثنيه ، الى خبرتكم الواسعه ، الى نضائكم وارشاداتكم بحيث نقول جهدا لو استطعنا زيارتكم واللقاء بكم مرات عديده سنويا . او جهدا لو طلبتم احد رفاقنا من اوروپا كلما وجدتم الى ذلك ضروره او حاجه او سيلا . فنحن جاهزون وراغبون في طرح مشاكلنا عليكم وتقديم صور حقيقه عن اوضاعنا اليكم وبحث المعالجات والمواقف المطلوبه معكم . .  
ثانيا واسهاكم في تصحيح علاقتنا مع الحشع كلما طرأت الخلافات وحدثت المشاكل والمنازعات بيننا وفي توطيد وتعزيزها الان حيث تم تطبيع العلاقات بيننا والتوقيع على اتفاق مشترك شرغب نحن في تطويره الى مستوى التحالف الاستراتيجي . .  
واود ان اخبركم باننا جاهزون لتحكيمكم والقبول بكم حكما عدلا بيننا حتى فيما حدث بيننا من نزاع وخلاف واقتتال اخوه . اذ نحن واثقون باننا بما نملكه من وثائق خطيه ومحاضر جلسات وشهود عيان قادرين على اثبات الحقائق القاطنيه ؛  
(١) كنا دوما من الراغبين والعاملين من اجل احسن وامتن علاقه نضاليه مع الحشع . وهم الذين رفضوا دور الحكم والوسيط بين القوى الكرديه وفضلوا دور الانحياز والاسهام في المنازعات الدمويه . .

(٢) لم نكن الا مدافعين ولم نكن مهاجمين ابدا . سوا في المجالات الدعائيه او القتاليه ، في النزاع والخلاق ، في العمل الجبهوي والثنائي . .  
(٣) لقد قدمنا المساعدات والتسهيلات للرفاق الشيوعيين وكان جزءا من اجزاء سنمار في بعض الحالات . .

(٤) رفضنا دوما عزل الحشع من الجبهات او الاتفاقات الوطنيه . ودافعنا عنهم لدى الاخوه اللببيين والسوريين واليرانيين وشخصيات التيار الاسلاميه والكردستانيه والقوميه . ولكنهم على العكس من موقفنا الودي هذا حاولوا الاساءه الينا وتشويه

UNION PATRIOTIQUE DU KURDISTAN  
PATRIOTISCHE UNION KURDISTANS  
PATRIOTIC UNION OF KURDISTAN



يه كيتي نيشتماني كوردستان  
الاتحاد الوطني الكردستاني

Ref. :

Date :

التاريخ : ١٩٨٧/٨/١٧

العدد :

سمعتنا والتقليل والاستهانه والاستصغار بقوانا الهائله والفاعله والاساسيه فـــــــ  
الساحه الكردستانيه، وكذلك عزلنا وخنقنا سياسيا وعربيا ودوليا . مع كل ذلك فنحن  
جاهزون للتحالف الاستراتيجي مع التحشع وبعلمكم وبحكميتكم : علما بانكم تتذكرون باننا  
نعرف حقيقه علاقتكم بالتحشع : فنحن كنا عام ١٩٥٥ الوسيط بينكم وبين الشهيد سلام عادل  
وتمت اللقاءات بينه وبين الشهيد عبدالرحيم شريف عندنا . وكنت شخصا الوسيط في ذلك .  
الا ان ثقتنا بكم كبيره بحيث جعلنا نقبل بفخر واعتزاز بكم حكما عدلا بيننا .

ثالثا  
يوجد خلل في العلاقات السوفياتيه - الكرديه تنجم الخلل منذ ١٩٧٣ ولعله بتقصير وباطلاء  
من الجانب الكردي. حقا ان القيادات الكرديه مسوء له الى حد معين عن ظهور هذا الخلل  
بينما كان الاتحاد السوفياتي الحليف الموضوعي والفاعل والمفيد والعامل للحركه  
التحرريه الكرديه وثورته ( ١٩٦١ - ١٩٧٣ ) . اما اليوم فالاتحاد السوفياتي ما زال  
حليفا موضوعيا كبيرا ولكنه لايحول تحالفه مع الشعب الكردي الى معطيات ملموسه ، الى  
وقائع فاعله وحقائق حيه ، الى عمل مثمر ومفيد اعتبارا من حده الادنى وهو الاتصال  
واللقاء بوفود من الاحزاب والقوى الكردستانيه ومرورا بالنصح والارشاد والتوجيه وصولا  
الى الاستاد السياسي والمادي والمعنوي .

اننا نعتقد انه ليس من العدل الاشتراكي ولا من الانصاف الانساني المعروفين عن  
السوفيات ، تحميل الحركه التحرريه الديموقراطيه والثوريه للامه الكرديه في كردستان  
كلها اوزار اخطاء قياده كرديه معينه ، وتجاهلها ومقاطعتها . فالامه الكرديه امسه  
مظلومه قسمها المستعمرون وحرموها من حقوقها القوميه والديموقراطيه والانسانيه لذلك  
فقضيتها عادله . والامه الكرديه امه حيه ومثابره على النضال والثوره رغم الاخفاقات  
العديده وهاهي الان تثور في كردستان المركزيه والشرقيه والجنوبيه .

والامه الكرديه تعيش بجوار الاتحاد السوفياتي وفي منطقه استراتيجيه هامه وغنيه  
وخطيره لذلك فاهميتها واضحه وكبيره . والحركه التحرريه الديموقراطيه للامه الكردت  
قد غدت حركه جماهيريه ، تقدميه وديموقراطيه ، ذات اجنحه ماركسيه لينينييه ، وخرجت  
من قوقعتها ومن قمقمها وظهرت على الملا . بحيث لايمكن توقيفها او القضاء عليها او  
ادخالها الى القمم مره اخرى . لذلك فدورها في معاداه الاستعمار ومشاريعه يستطيع  
ان يكون كبيرا وخطيرا وها ما .

لذلك كله فان مقاطعه الحركه التحرريه الكرديه واحزابها وقواها ، وحصرها فــــي  
زاويه خاليه من السوفيات والاحزاب الشيوعيه و الدول الاشتراكيه ومليئه بالاحزاب  
الاشتراكيه الديموقراطيه و الدول المتاجره بالقضيه الكرديه واللاعبه بورقه القضيه  
الكرديه ، لايمكن اعتبارهما موقفا حكيما ولا سلما ولا صابا لامن زاويه مصالح الشعب  
الكردي الحقيقيه ولامن زاويه مصالح القوى التقدميه الشرقيه والعالمييه ولا من زاويه  
المصالح السوفياتيه والاشتراكيه .

ان العالم - غير الاشتراكي - هو الذي يهتم الان باخبار وفعاليات الحركه التحرريه  
الكرديه . ان الاحزاب الاشتراكيه الديموقراطيه هي التي تصادق احزاب الحركه التحرريه  
الكرديه وتجاهلها وتدعوها الى مؤتمراتها .  
بينما الواجب يحتم على الاحزاب الشيوعيه والدول الاشتراكيه ان تكون هي المبادره

UNION PATRIOTIQUE DU KURDISTAN  
PATRIOTISCHE UNION KURDISTANS  
PATRIOTIC UNION OF KURDISTAN



يه كيتي نيشتماني كوردستان  
الاتحاد الوطني الكردستاني

Ref. :

Date :

التاريخ : ١٩٨٧ / ٨ / ١٧

العدد :

والطليعه في ذلك ،

ايها الاستاذ الكريم

ان رجائي هو ايصال هذه الحقائق وايصال صوتنا ونداءاتنا بالرغبة الحاره في اقامه امتن العلاقات النضاليه والتحالفاتيه مع الاتحاد السوفياتي ، الى اسماع قياده الاتحاد السوفياتي الجديده لعل التغييرات والتجديدات تشملنا وتشمل حركه شعبنا الثوريه بخيراتها ونعمها ايضا . اننا نتطلع الى دوركم في اعاده العلاقات السوفياتيه الكرديه الى سابق عهدها في الستينات والى تجديدها وتمتينها وتعزيزها . ومن جانبنا فاننا مستعدون لاداء دورنا والقيام بما هو مطلوب منا للوصول الى النتيجة المرضيه والمنشوده . .

استاذي الفاضل

لقد اطلت عليكم فمعدره ولم يبق لدي مما اعتبره هاما الا موضوع الحرب والموقف من المطالبه بايقافها لابين لكم موقفنا الحقيقي كالاتي :

ان الشعب الكردي يعاني من مآسي وفظائع وفجائع حربين قذرتين لاحرب واحده . :  
١- حرب الاباده الوحشيه ضد شعب كردستان حرب قتل الانسان والحيوان والنبات بالاسلحه الكيماويه وتدمير قرى ومدن كردستان بافتك الاسلحه الثقيله . .  
٢- الحرب العدوانييه التي شنها الطاغيه صدام حسين على الجاره ايران تنفيذاً لمخطط استعماري - صهيوني - رجعي عربي . .  
ان الشعب الذي ذاق الطعم المر للحرب هو شعب محب للسلام ونحن نريد سلماً شاملاً عادلاً .  
واختلافنا مع دعاه الوقف الفوري للحرب هو بسبب :

(١) تجاهل حرب الاباده ضد شعب كردستان وعدم المطالبه بانهاؤها او ادايتها . .  
(٢) المطالبه بوقف حرب واحده هي الحرب العدوانييه ضد ايران مما يعني تمكين صدام حشد قواته كلها ضد الثورة التحريرييه المندلعه في كردستان واستكمال تدمير كردستان واباده وتهجير وتشريد شعبيها ، فنحن نريد سلاماً شاملاً لامنفرداً ولاجزءاً ، ونحن نريد تحاشي وتجنب الوقوع بين حجرى الرحى كما حدث بعد اتفقيه الجلادين الشاه وصادم في الجزائر عام ١٩٧٥ . .

وفي نظرنا ان ازاحه صدام ومن ثم ايقاف الحربين القذرتين معا على اسس صيانه استقلال العراق وحق شعبيه في اختيار نظامه وحق الشعب الكردي في تقرير مصيره . . على اساس الاتحاد الاختياري الحر - توءدي الى السلام الشامل العادل ، لان بقاء صدام يتناقض حتى مع الادعاء بانهاء الحرب على اساس لاغالب ولامغلوب . لان بقاء صدام يعنى وجود غالب غانم هو صدام الذي حينما اراد اشعل الحرب ولكنه عندما انهك واشبك على الانهيار انقذه الوقف الفوري للحرب وخرج سالماً غانماً دون عقاب او عتاب .  
ولان بقاءه يعنى استمرار حرب الاباده ضد شعب كردستان و من ثم بقاء النار تحترق الرماد في الخلاف مع ايران اوعتاما ارجوكم قبول احتراماتى الشخصيه والتفضل بنقل تحيات هيررو واحتراماتى الفاظه للاستاذ الفاضله ام عماد . .

ولمخلصكم

ودمت لشعبنا العراقي الابي

جلال الطالباني

**ملحق خاص بالناشر رقم 3**

## من هو ستالين؟

### إرتباط ستالين بالاوخرانة وبمن وراء الاوخرانة

بعد إنتصار ثورة اكتوبر في عام 1917 هرب الى الغرب آلاف من العاملين في (الاوخرانة Ochrana) الروسية. والاوخرانة هي دائرة الامن الروسي المعروفة بصلاحياتها الواسعة وقدراتها على الملاحقة والقمع الوحشي. وكان عدد كبير من هؤلاء الهاربين يعلم بحقيقة كون ستالين كان يعمل كداعية بلشفي ومخبر للاوخرانة. إلا ان الأجهزة المعنية بالتجسس على الاتحاد السوفياتي في الغرب لم تعر أي إهتمام بأيفاداتهم.

وبعد سقوط الاتحاد السوفياتي تبين من الارشيفات الروسية بأن ستالين كان بالفعل داعية بلشفي ومخبر قيصري. وبدأت كتب عديدة في الصدور في الغرب بهذا الخصوص. انظر في ذلك:

Roman Brackman; The secret file of Joseph Stalin: a hidden life, Frank Cass, 2001

Simon Sebag Montefior; Young Stalin, Orion Publishing Group, 2004

ويتبين في ضوء الارشيفات في روسيا وجورجيا بأن ستالين وصل الى البرلمان عام 1912 في عهد القيصر نيقولا الثاني كمثل للحزب البلشفي بمساعدة الاوخرانه. ومما تجدر الاشارة إليه ان موضوع إرتباط ستالين بالاوخرانة لم يعثر عليه في ملفات ستالين وإنما في ملفات اخرى كانت تحتوي على نسخ من الوثائق المتعلقة بستاين من اجل توثيق مواضيع اخرى. وذلك بسبب التلاعب بملفات ستالين خلال فترة حكمه.

وحسب ما نشر بخصوص ستالين يتبين بانه كان يقود شلة او عصابة من القوقاسيين متكونة من مجموعة افراد متماسكين فيما بينهم ويمتازون بالعنف والاجرام. وهذه المجموعة سيطرت فيما بعد على اجهزة المخابرات وكونت حماية ستالين المرعبة. وقد تميزت حياة ستالين السياسية بتعرضه الكثير للسجن وتمكنه من الهرب من السجون مما يدل ايضاً على وجود مداخلات من داخل اجهزة الامن في تيسير مهماته من اجل إعطائه المرونة الكافية للتحرك والإتصال. وكان ستالين بلا شك على درجة كبيرة من الذكاء ويتمتع بقدرة هائلة على التنظيم، الامر الذي مهد إلى تقربه من لنين. بالإضافة إلى كل ذلك ستالين كان قائداً بالولادة.

كان كاتب هذه الصحائف قد توصل إلى حقيقة من هو ستالين قبل إكتشاف حقيقة كون ستالين كان مخبراً (للاوخرانة Ochrana) الروسية من قبل المؤرخين الغربيين في ضوء الأرشيفات الروسية. **فستاين لم**

يكن مجرد عميل للاوخرانة ولم يخدم الإمبريالية أو الصهيونية عندما أصبح قائداً للحزب الشيوعي السوفيياتي من خلال سياساته الخاطئة وإنما أخطر من ذلك بكثير. فستالين كان عميلاً مزدوجاً لبريطانيا وامريكا. وقد تم الكشف عن هوية ستالين الحقيقية بصورة عرضية وذلك من جراء تحليلات معقدة ومتداخلة اثناء اعداد كتاب نشر باللغة الالمانية في عام 2000 تحت عنوان (تسخير اليهود في خضم صراع الدول العظمى، صورة تحليلية جديدة للتأريخ اليهودي Die Instrumentaliyierung der Juden im Machtspiel der Großmächte, Ein neues analytisches Bild der jüdischen Geschichte). وقد قوبل هذا الكتاب بصمت قاتل. ومما تجدر الإشارة إليه أن الكتاب صدر في النمسا ومن قانون هذه الدولة تقديم نسختين مجانييتين من أي كتاب ينشر إلى المكتبة الوطنية في فيينا. ومن واجب الاخيرة إدراج عنوان الكتاب وإسم المؤلف في سجلات المكتبة من أجل تيسير امر الإطلاع عليه. وإلى حين كتابة هذه الصفحات لم يدخل هذا الكتاب بعد في سجل المكتبة. مما يدل على حرية الفكر الكاذبة في الغرب. وقد حاولنا في الدراسة موضع البحث تلخيص اهم ما ورد من تحليلات وإستنتاجات في كتاب تسخير اليهود في خضم صراع الدول العظمى المذكور اعلاه بخصوص كشف إرتباطات ستالين بالمخابرات الغربية.

وقبل الدخول بتفصيلات موضوع إرتباطات ستالين بالمخابرات الغربية لا بد من التأكيد على حقيقة حرص الجامعات الغربية حالياً على حصر البحث بخصوص ستالين بالآرشفيفات الروسية. وذلك من اجل تحاشي كشف حقيقة كون ستالين كان عميلاً مزدوجاً لبريطانيا والولايات المتحدة. فالكشف عن أرتباط ستالين ببرطانية والولايات المتحدة يتطلب البحث في الآرشفيفات الغربية وليس في الآرشفيفات الروسية. وبطبيعة الحال أنه مثل هذه المعلومات لا يمكن العثور عليها حتى في هذه الارشيفات. فهل بالامكان مثلاً العثور على مؤشرات بخصوص قتل الرئيس الامريكي السابق كندي في هذه الارشيفات؟ ومما تجدر الإشارة إليه ان الآرشفيفات الروسية لا يمكن ان تكشف كيفية إتصالات ستالين بالمخابرات البريطانية او الامريكية. فالاوخرانة تسخر في مثل هذه الاحوال لتيسير تحركاته بدون أي إشارة إلى ذلك.

ففي الغرب يتعمد إلى طمس حقيقة إرتباط ستالين بالامبريالية وذلك من اجل التعقيم على دورها في تحويل المبادئ الماركسية إلى ممارسات فاشية من خلال تسخيرها لستالين. بالإضافة إلى تحميله مسؤولية إبادة حوالي 40 - 47 مليون سوفيياتي من أجل تحقيق مكاسب كبيرة للإمبريالية. ومن مهازل الدهر حقاً تشبث الشيوعيون الروس بإنكار حقيقة كون ستالين مخبر قيصري وذلك من أجل إبراز إنجازات الحزب الشيوعي السوفيياتي في تصنيع وتسليح الاتحاد السوفيياتي والقضاء على الفاشية، التي ربطت بشكل كاذب بستالين.



## هل واصل ستالين سياسة لينين؟

كان ستالين يختلف كلياً من حيث الخلق عن لينين والرعييل الشيوعي الاول. فبينما كان هولاء يتصفون بالتضحية ونكران الذات والتواضع والوطنية، كان ستالين يشبه من حيث صفاته الشخصية هتلر الى حد كبير. فستالين معروف بالانانية وحب الذات والقابلية على سحق الاقربين من اجل الحصول الى المكاسب. كما انه كان يتصف بالتسلط والقسوة وحب التمتع الشخصي حتى في اثناء اشد معانات الشعب.

كما كان ستالين يختلف من حيث الثقافة كلياً عن لينين ومجموعته الذين كانوا يمتازون بقدراتهم الكتابية والخطابية والمامهم باللغات الاجنبية. فبينما نحن نجهل هوية الكتاب الحقيقيين الذين تحمل كتبهم او كراريسهم اسم ستالين، فإننا نعلم حق المعرفة بأن ستالين لا يملك اية قدرة خطابية ولم يكن مثقفاً ولم يبد اي ميل إلى تقريب المثقفين.

من الصعوبة الوقوف على التفاصيل الحقيقية لكيفية استلام ستالين للسلطة. فستالين لم يكن ضمن المجموعة التي لعبت الدور الهام في ثورة اكتوبر 1917. كما كانت لدى لينين تحفظات كبيرة بخصوص ستالين وذلك قبل قيام ثورة اكتوبر. ويبدو من رسالته التي عثر عليها في الخزانة المخفية في احد حيطان شقة ستالين في الكرملن بأن لينين هدد بقطع جميع العلائق معه.

كانت بريطانية من وراء تسخير صهيونية العمل فاني (دورا) كابلان في 1918 لإغتيال لينين. أذ استهدفت من هذا الاغتيال إحداه فراغ قيادي وفتح ابواب الصراع على السلطة على مصاريعها. وبطبيعة الحال لا يوجد من يتمكن من مجابهة ستالين ورجاله في مثل هذه الظروف.

كانت محاولة الاغتيال قد سببت اصابة لينين بجروح بليغة ادت الى موته في عام 1924. وقد اتاحت ظروف الصراع على السلطة المجال لتثبيت اقدم ستالين وعصابته. ففي عام 1922 تم تعيين ستالين بمنصب السكرتير العام للحزب. وعلى الرغم من أنه لم يكن لهذا المنصب آنذاك اهمية كبيرة، فإن حصوله على هذا المنصب تم بسبب غياب رقابة لينين. فبسبب سوء حالة لينين الصحية وقيام ستالين ورجاله بملاحقة المنافسين تمكن من تقدم الصفوف. وقد ترتب على ذلك خضوع لينين في الواقع العملي الى اقامة إجبارية في سكنه منذ عام 1922.

وكان ستالين قد إستفاد من منصبه المذكور في تعيين رجاله في مناصب هامة. كما إستفاد من تطرف تروتسكي الجنوني، الذي كان ينادي بإستمرارية الثورة والتي كانت تعني الإستمرار بالفتوحات البلشفية غرباً، وذلك في الوقت الذي كان الخبز يعز على ابناء الشعب. وحسم امر سيطرة ستالين على السلطة بعد موت لينين بأربعة شهور، وذلك اثناء إنعقاد المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعي السوفياتي. إذ تمكن ستالين من تقادي قراءة وصية لينين والتي نصت على ضرورة ابعاده عن قيادة الحزب. وقد يعود تصويت

البعض لستالين باعتباره افضل الشرين بالمقارنة مع تروتسكي. أما الحقيقة فإن الاغلبية التي انتخبته كانت مهددة من قبل رجاله.

للفترة التي كان يتجسس ستالين خلالها للاوخرانة أهمية كبيرة من اجل كشف حقيقته. ففي هذا الوقت بالذات كانت روسيا منهارة اقتصادياً وعسكرياً. وكانت الصحافة والصناعات الثقيلة ومناجم الذهب والبنوك وما شاكل قد تحولت الى ايدي الامريكان والبريطانيين والفرنسيين. وكذلك الامر بالنسبة إلى أجهزة الشرطة والمخابرات. فكانت هذه الاجهزة تسير مباشرة من قبلهم. وكان بمقدورهم جلب عملائهم الى الدوما وتعيينهم كوزراء وقادة عسكريين وما شاكل. كما كانت بلدانهم من وراء اشعال نار الحرب العالمية الاولى وتدمير روسيا وإنهاء حكم عائلة رومانوف ونفي القيصر نيقولا الثاني وعائلته الى قرية بكروفسكوية في إقليم توبولسك في سيبيريا من اجل تيسير امر وقوعه بأيدي البلاشفة.

لاشك في ان اجهزة المخابرات الامريكية والبريطانية قامتا بمساعدة صنيعتهما الاوخرانة بإختراق الحزب الشيوعي السوفياتي، حيث تم تسريب ستالين ومجموته القوقاسية بالاضافة الى جيش من العملاء الاخرين. كما انه مما لا شك فيه ان المخابرات الامريكية والمخابرات البريطانية قد لعبتا فيما بعد دوراً هاماً في دعم عصابة ستالين وايصال ستالين الى المواقع القيادية من خلال تزويده بالمعلومات الضرورية وتزويده بالمقالات والكراريس التي تحمل اسمه من اجل اظهاره بمظهر المفكر بالاضافة الى تيسير امور تحركه واقامته وما شاكل.

### تكامل مهمات وإنجازات ستالين وهتلر

إن التوصل الى الحقيقة بخصوص الاحداث التاريخية الهامة في الازمنة الحديثة امر على غاية من التعقيد بسبب حجب الحقائق وتزوير المعلومات المعلنة او إتلاف الوثائق الخطيرة وما شاكل. ومن الامثلة على ذلك الاسباب الحقيقية للحروب وللأحداث المسببة لإشعالها. وللتوصل الى الحقيقة في مثل هذه الاحوال لا بد من القيام بعدد من الدراسات التاريخية ذات العلاقة بخلفيات الحدث موضع البحث. ان مجمل المعلومات المتاحة في ادبيات الاتحاد السوفياتي والغرب بخصوص ستالين تصبح مفيدة بقدر تعلق الامر بكتشف إرتباط ستالين ببريطانية والولايات المتحدة اذا ما درست بمعية المعلومات الخاصة بالاحداث المزامنة ذات العلاقة التي حصلت خارج الاتحاد السوفياتي. ولعل دراسة الاحداث المتزامنة بخصوص ستالين وهتلر واحد من الامثلة المشوقة جداً بهذا الخصوص. فهتلر كان هو الآخر عميلاً مزدوجاً لبريطانيا وامريكا.

بعد فشل محاولة هتلر الانقلابية في عام 1923 قرر الحلفاء المنتصرون (الولايات المتحدة و بريطانيا وفرنسا) جلب هتلر الى السلطة بالاساليب الشرعية. وكان الامريكان على وجه الخصوص قد قاموا منذ

1927 بإعداد حملات إنتخابية كبيرة لهتلر. وقام منتج السيارات الامريكي الكبير هنري فورد وغيره من كبار الصناعيين الامريكان بالتبرع بسخاء من اجل انجاح هذه الحملات التي كان يقوم بتنظيمها ممثلهم (ايرنست هانفستانجل Ernst Hanfstaengl).

للإطلاع على من هو هانفستانجل ودوره في صعود هتلر الى السلطة انظر:

[Toland, John](#) (1976). *Adolf Hitler*. Doubleday & Company.

[Shirer, William L.](#) (1960). *The Rise and Fall of the Third Reich*. Simon and Shuster.

Hanfstaengl, Ernst 'Putzi'. *Hitler: The Missing Years*. London: Eyre & Spottiswoode, 1957.

[Peter Conradi](#) Carroll & Graf. *Hitler's Piano Player: The Rise and Fall of Ernst Hanfstaengl, Confidante of Hitler, Ally of FDR*, 2004.

كما لعبت الجاسوسة البريطانية يونتي متفورد (Unity Mitford) وعائلة الموسيقار الكبير ريشارد فاكنر (Richard Wagner) دوراً هاماً في في التأثير على هتلر وتسييره بالإتجاهات المرغوبة من قبل بريطانيا. فعلى سبيل المثال كانت ونفريد فاكنر زوجة ابن فاكنر من المعجبين بهتلر وبحركته الفاشية. وكانت ونفريد فاكنر من اكبر المشجعين لهتلر لكتابة كتابه "كفاحي" عندما كان في السجن، شأنها بذلك شأن هانفستانجل.

وبطبيعة الحال كان ليونتي متفورد دوراً مميزاً في التأثير على هتلر. ويونتي متفورد هذه ابنة لورد ريدسدالة واخت ديانا متفورد زوجة سير اوسفالد موسلي الفاشي البريطاني الكبير. كما انها الصديقة المقربة إلى عائلة فاكنر. وتربط موسلي بهتلر صداقة حميمة.

للإطلاع على من هي يونتي متفورد ودورها في التأثير على هتلر انظر:

[Toland, John](#) (1976). *Adolf Hitler*. Doubleday & Company.

Sigmund, Anna Maria (2005). *Die Frauen der Nazis*. Wilhelm Heyne Verlag, Munich

كما هو معلوم سيطر ستالين على الكومنتيرن (الاممية الثالثة) بعد وفاة لينين وتسلمه للسلطة في عام 1924. وفي شباط 1928 انعقدت الجلسة التاسعة المكتملة للجنة التنفيذية للكومنتيرن، حيث تم إعلان

المرحلة الاممية الثالثة التي إستمرت إلى سنة 1935. ومن الامور المحيرة حقاً للعقول اعلان الكومينتينر في هذه الجلسة بأن النظام الرأسمالي قد بلغ مرحلة الإنهيار النهائي وان الموقف الصحيح لجميع الاحزاب الشيوعية ان تتخذ موقفاً نضالياً يتصف بالتطرف اليساري. ووصف الاحزاب الإشتراكية الديمقراطية بالإشتراكية الفاشية. وتمت دعوة الاحزاب الشيوعية إلى تسخير كل طاقاتها من اجل تحطيم الإشتراكية الديمقراطية التي اشير إليها بالإشتراكية الفاشية. وكان المقصود بهذه السياسة الحزب الشيوعي الالمانى بالاساس.

للإطلاع على تفاصيل هذا الموضوع انظر:

Duncan Hallas *The Comintern*, London 1985, chapter 6;

Nicholas N. Kozlov and Eric D. Weitz; Nikolai Ivanovich Bukharin: A Centenary Appraisal; Praeger Publishers; 1990

Bukharin, the Comintern, and the Political Economy of Weimar Germany" *Journal of Contemporary History*, Vol. 24, No. 3 (Jul., 1989)

ووفقاً لإعلان الحرب ضد الإشتراكية الديمقراطية إتخذ المؤتمر السادس للكومنتيرن من تموز - ايلول 1928 قراراً بالاخذ بالمبدء التاكتيكي "طبقة ضد طبقة". كان على الكومنتيرن الدعوة الى تشكيل جبهة وطنية واسعة في المانيا تشمل بالاضافة الى الحركة العمالية والشيوعيين والاشتراكيين - الديمقراطيين وممثلي البرجوازية الوطنية. وذلك لدعم الحكومة الالمانية في مساعيها لانقاذ المانيا. كان هذا التاكتيك "طبقة ضد طبقة" قد لعب دوراً كبيراً في اسناد صعود هتلر الى السلطة وللأسباب التالية: كان هذا التاكتيك مخالفاً لمصالح الطبقة العاملة الالمانية بسبب تكبد ارباب العمل الالمان باضرار فادحة من جراء معاهدة الصلح، مما ادى إلى فقدان 6 ملايين الماني لعمله. وكان قد ترتب على ذلك فقدان الصراع الطبقي التقليدي لاسسه الموضوعية. ولهذا السبب لم تعد الطرق التقليدية لنضال العمال من اجل زيادة الاجور مجدية في الوقت الذي كان ارباب العمل انفسهم مفلسين. الى هذا السبب بالذات يعود تأثير خطابات هتلر الداعية الى ايجاد حل قومي، مما تسبب في كسبه للاصوات على حساب الحزب الشيوعي. بالاضافة الى ذلك أحدث هذا التاكتيك رعباً هائلاً لدى الشركات الالمانية الكبيرة من ان يكون مصيرهم مصير امثالهم في روسيا القيصرية. لهذا كانوا يجزلون العطاء الى هتلر من اجل تسخيره لسحق الحركة الشيوعية. كما وقف هذا التاكتيك حائلاً دون خوض الشيوعيين والاشتراكيين الديمقراطيين في الانتخابات في جبهة موحدة مما ادى الى توزيع اصواتهم.

منذ سعي الولايات المتحدة وبريطانية لإيصال هتلر الى السلطة بالطرق الشرعية في نهاية 1927 بدأ ستالين بتحطيم (السياسة الاقتصادية الجديدة New Economic Policy) التي وضعها لنين. تميزت السياسة الاقتصادية الجديدة بإرساء الإقتصاد على القطاعين الحكومي والخاص. فلنن ادرك الدور الذي يجب ان يلعبه القطاع الخاص الصغير في تلبية المطالب الإستهلاكية للمواطنين. وترتب على توجه لنين الليبرالي هذا تحديث الإقتصاد وتقليص ميزانية الحكومة المركزية وبالتالي البيروقراطية إلى حد كبير. وقد ذهب لنين ابعده من ذلك. إذ انه فتح الإتحاد السوفياتي للإستثمارات الغربية في تطوير مشاريع التنمية. وكانت هذه السياسة قد اعطت بالفعل ثمارها خلال بضع سنوات. إذ أخذ القطاع الخاص الصغير في مجالات الزراعة والصناعات الإستهلاكية والصناعات الصغيرة يقوم بتلبية الطلب على المواد الاستهلاكية. وهذا ما يذكر بالإنعاش الإقتصادي الذي تحقق في الصين بعد إطلاق حرية الإنتاج الفردي. ولم يتأثر لنين بإحتجاجات اليساريين المتطرفين الذين اخذوا بيدون إستكارهم للرأسمالية الجديدة والمطالبة بإحتكار الدولة لجميع النشاطات الإقتصادية. وكان رده على هؤلاء الجهلة كالاتي "إنه من المستحسن إتخاذ خطوة رجعية حالياً من أجل اجل تيسير امر إتخاذ خطوتين تقدميتين في المستقبل". وبعد وفاة لنين في عام 1924 عهد إلى بخارين بإدارة السياسة الاقتصادية الجديدة.

وبدلاً من إسناد السياسة الاقتصادية الجديدة قام ستالين في عام 1927 بحملة اجرامية لملاحقة المرتبطين بها. إذ تم اتهامهم باقامة الرأسمالية والاثراء على حساب الشعب. وسرعان ما بدأ المهندسون ومدراء المصانع ومسؤولوا الاقتصاد على مستوى الدولة من المثول امام المحاكم ليتلقوا جزائهم بسبب مساهمتهم المزعومة بتطوير الرأسمالية. للإطلاع على (السياسة الاقتصادية الجديدة New Economic Policy) انظر:

Ökonomisches Lexikon; Verlag die Wirtschaft, P. 251.

New economic policy and the *politprosvet's* goals. Lenin V.I. Collected Works v. 44. p. 159.

Vladimir P. Timoshenko, Agricultural Russia and the Wheat Problem (Stanford, Calif.: Food Research Institute, Stanford University, 1932), 86.

وكان الكولاك الاوكرانيون قد استهدفوا بشكل خاص اثناء حملة (1929 - 1932). والكولاك هم الفئه الغنية من المزارعين الاوكرانيين. إذ قام ستالين بمصادرة ممتلكاتهم وتهجير حوالي 10 ملايين منهم الى منطقة الاركتيك. وقد ترتب على هذه السياسة الاجرامية والتي عرفت في تاريخ الاتحاد السوفياتي

"بالتأسيس القسري للتعاونيات" المجاعات المروعة في الاوكرانيا و شمال القوقاس والتي بلغت ذروتها في (1932 - 1933)، حيث راح ضحيتها حوالي 5 ملايين انسان.

من اجل الإطلاع على مشكلة الكولاك انظر:

Robert Conquest, The Harvest of Sorrow: Soviet Collectivization and the Terror-Famine. Oxford University Press, 1986.

Dmitri Volkogonov. Stalin: Triumph and Tragedy, Grove Weidenfeld, 1991.

والأن لا بد ان تطرح التسؤالات التالية: لماذا باشر ستالين بعملية تحطيم السياسة الاقتصادية الجديدة في السنوات 1927 - 1928؟ ولماذا استهدفت اوكرانيا على وجه الخصوص؟ وما هي اسباب بلوغ ذروة المجاعة في 1933؟

أننا نجد الجواب بخصوص اوكرائنه في نظرية (الحيز الحياتي Lebensraum) للجنرال (هاوسهوفر Haushofer). كانت هذه النظرية احد اهم مكونات البرنامج الدراسي لجامعة ميونخ التي حولها الحلفاء المنتصرون الى مدرسة للتهيئة الايديولوجية للكوادر العسكرية الالمانية الموالية على الالاسس الفاشية. فهتلر وهيس وهملير والبقية من امثالهم لفتوا بالمبادئ الفاشية في هذه الجامعة. وتنطوي نظرية الحيز الحياتي على الفكرة الاساسية التالية: ان الامة لايمكن ان تبقى على قيد الحياة بدون انتزاع الحيز الحياتي الازم لها. واوراينا كانت واحدة ممن اهم مواقع الحيز الحياتي لالمانيا. لهذا السبب لم يكن من قبيل الصدفة تركيز ستالين لجرائمه على اوكرائنا بالذات. ويستهدف الحيز الحياتي إنتزاع الاراضي الخصبة والغنية بالثروات المعدنية او المياه وابداء وتهجير سكانها السلافيين وغرس المان من ذوي العرق الآري الاصيل عليها.

كما اريد ببناء الفاشية على اساس العداة لليهودية ملاحقة يهود شرق اوروبا وإجبارهم على التوجه الى فلسطين من اجل قامة الدولة الصهيونية على التراب الفلسطيني. ولهذا السبب كان العداة لليهود يلقت في جامعة ميونخ إلى جانب موضوع الحيز الحياتي والمواضيع الإجرامية الاخرى. ولموضوع إرتباط مخططات إقامة الدولة الصهيونية بمخططات الحرب العالمية الثانية لنا عودة فيما بعد.

## كيف اصبح الإتحاد السوفياتي معتمداً في غذائه على الغرب

كان الكولاك بالنسبة الى الاتحاد السوفياتي آنذاك بمثابة الدجاجة التي تضع بيوضاً ذهبية. فكانوا معروفون بقدراتهم الهائلة على انتاج الحنطة، لاعبين بذلك دوراً بالغاً في تغذية الاتحاد السوفياتي وتصدير الفائض. ومن المثير حقاً أن الاتحاد السوفياتي لم يتمكن مطلقاً من التعويض عن القدرات الانتاجية للكولاك. وكان الآلاف من الكولاك قد هاجروا فيما بعد الى كندا، حيث اقاموا مزارع حديثة للحبوب. وكانوا يقومون بتغطية معظم إستهلاك الاتحاد السوفياتي من الحبوب حتى إنهياره. وهكذا اصبح الاتحاد السوفياتي معتمداً في غذائه على الغرب. وتم تحقيق هذه التبعية بإسم المبادئ الإشتراكية والتخطيط الإشتراكي. وإستخدمت التبعية الغذائية فيما بعد من أجل تبرير تسخير الإتحاد السوفياتي في خدمة المخططات الإمبريالية.

كان نجاح القطاع الخاص في تلبية المطالب الإستهلاكية ضمن السياسة الإقتصادية الجديدة قد ارتبط بخلق نوع من الاجواء الليبرالية في الإتحاد السوفياتي بسبب إستقلال المنتج الصغير عن سيطرة الدولة المباشرة. وقد اريد بالقضاء على القطاع الخاص بالإضافة إلى تحقيق التبعية الغذائية اضطرار الفرد الى كسب معيشته فقط عن طريق عمله لدى الدولة وإجباره بذلك على الإلتزام بايديولوجية الدولة وطاعتها. فبهذه الطريقة تم تكبيل الشعب بأكمله ووضع تحت سيطرة الحكومة. إذ اصبح ستالين هو رازق الشعب الذي يتوجب عليه طاعته وتقديم الولاء له.

اراد الحلفاء المنتصرون بالحيز الحياتي اغراء المانيا النازية لانتزاع الاوكرانيا من اجل زجها بحرب مدمرة مع الاتحاد السوفياتي. وهذا السبب بالذات كان سر احتضان هتلر وخلق حزبه من قبل الدول المنتصرة. وقد قام ستالين بقسطه من اجل تيسير مهمه هتلر. اذ تسنى له من جراء المجاعات والتهجير تفرغ جزءاً كبيراً من سكان اوكرانيا. بهذه الطريقة افهم هتلر وحزبه بأن كل ما عليهم لدى هجوم المانيا على الإتحاد السوفياتي هو تغييرها ديموغرافياً الى صالح المستوطنين الالمان الذين كان من المفروض جلبهم إلى اوكرانيا بعد احتلالها وذلك لالمنتها. والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل اريد بذلك تدمير الاتحاد السوفياتي وتقوية المانية النازية؟ للإجابة على هذا السؤال لنا عودة فيما بعد.

في عام 1927 بدأ هتلر بوضع خطته الخاصة بانتزاع الحيز الحياتي والتي اعلنها في 1928. لقد كان هذا هو السبب في توقيت الحملة الستالينية على (السياسة الاقتصادية الجديدة NEP) في 1927 - 1928. اما سبب بلوغ ذروة المجاعة في الاوكرانيا في 1932 - 1933 فيعود الى محاولة مزامنتها مع استلام هتلر للسلطة. اذ تشير الدراسات الحديثة بأن رجال ستالين كان بإمكانهم التحكم باعداد الضحايا. فعلى سبيل المثال اثناء بلوغ المجاعة ذروتها قام ستالين بتصدير 1.7 مليون طن من الحنطة.

وكان الحلفاء المنتصرون قد ارادوا من خلال المجاعات تسعير الحقد على الاتحاد السوفياتي وجعل الشعب الاوكراني يستقبل الجيش النازي كجيش تحرير. لهذا السبب حرص ستالين اثناء استلام هتلر للسلطة بشن حملة مخيفة ضد التراث الاوكراني ليزيد من البغضاء. ويجد الباحث ظاهرة موازية خلال هذه الفترة بخصوص القوانين الصناعية. فعلى سبيل المثال حرمت هذه القوانين الفلاحين والعمال الفاقدين لعملهم من الحصول على اعمال جديدة. وذلك لتأديب العاملين سابقاً في القطاع الخاص. وكانت هذه القوانين قد صدرت في فترة المجاعات والارهاب المروع للمخابرات الستالينية. وفي هذا الوقت حصلت عمليات تطهير من أجل إسكات المعارضة.

### ظاهرة عبادة الفرد في الإتحاد السوفياتي

حسب المؤرخين السوفيات تعود بداية عبادة الفرد في الإتحاد السوفياتي الى عام 1929 والذي وصفه ستالين بعام الانعطاف العظيم. ان انتصار الستالينية قد تم على وجه التحديد في اجتماع نيسان 1929 الموحد بين اللجنة المركزية ولجنة الرقابة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي. قاد بوخارين في هذا الاجتماع آخر معركة صريحة ضد الطغيان الستاليني. إذ انتقد القضاء على الاسس اللينينية للسياسة الاقتصادية الجديدة وكشف دور السياسة الستالينية بخصوص خلق تنافر بين الشيوعيين والاشتراكيين الالمان من خلال سياسة الكومينتينر (طبقة ضد طبقة) التي فرضها على الشيوعيين الالمان والتي ساعدت هتلر في تشيئه من اجل استلام السلطة. وقد تم في هذا الاجتماع فرض مبدأ وحدة الرأي الذي ينطوي على قبول قرارات القائد بدون قيد وشرط. وهذا يعني المنع التام لقادة الحزب للتعبير عن رأيهم. كما فرض بالاضافة الي ذلك مبدأ الالتزام بسرية القرارات. ومنذ ذلك الحين اقتصر دور القادة الذين سلموا من التصفيات المرعبة حقاً على التصفيق وتنفيذ قرارات ستالين. وفي الواقع كان الاجتماع المذكور قد ترتب على عدد كبير من الاجتماعات والمناقشات على مختلف اصعدة الحزب بخصوص التخريبات الستالينية الهائلة. فحصر القرارات بالقائد والحفاض على سريتها كان الحل الوحيد لضمان تنفيذ مطالب المخابرات البريطانية والامريكية بخصوص التخريبات من أجل التهيئة للحيز الحياتي التي لم يكن بالامكان تبريرها بأي شكل من الاشكال.

### الاهداف الخفية من وراء عملية نقل التكنولوجيا الامريكية إلى الإتحاد السوفياتي قبل الحرب

كانت عمليات نقل التكنولوجيا من الولايات المتحدة إلى الإتحاد السوفياتي في هذه الفترة محفزة للإنتاج الحربي. وتضمنت عمليات نقل التكنولوجيا هذه على امور غير قابلة للتصديق. وللأسف لا يوجد متسع لتغطيتها ضمن هذه الدراسة. وقد صممت الخطط الخمسية لإستكمال عمليات النقل التكنولوجي هذه. إذ



تضمنت زيادة كبيرة في الطاقات الإنتاجية لصناعة الحديد والصلب ولإنتاج الفحم الحجري ومد السكك الحديدية وما شاكل. وكان ستالين يبرر الإستثمارات المبالغة في الصناعات الحربية على أساس معرفته بمخاطر الحرب التي تهدد الإتحاد السوفياتي. والسؤال الذي لا بد من طرحه في هذا الصدد هو لماذا كان الجميع يجهل مخاطر هذه الحرب.

كانت إغراءات الحيز الحياتي وعملية نقل التكنولوجيا إلى الإتحاد السوفياتي علامتان واضحتان للفخ الذي نصب لألمانيا. فالحلفاء المنتصرون لم يتمكنوا من إكمال عملية تدمير المانيا خلال الحرب العالمية الاولى، وذلك بسبب قيام ثورة اكتوبر وتوقيع الهدنة. كما انهم لم يكونوا قادرون على القيام بإحتلال المانيا والسيطرة عليها بعد استسلامها، بسبب إحتمال تكبدهم خسائر فادحة. لذا حاولوا من خلال جلب هتلر وحزبه الى السلطة وإغرائهم بالحيز الحياتي من اجل زج المانيا بحرب مدمرة مع روسيا المصنعة وتحطيمها. وبتحطيم المانيا يمكن سلبها لإستقلاليتها السياسية ووضع قدراتها التكنولوجية الهائلة تحت سيطرة امريكا وبريطانيا. وهذه أهم خطوة على طريق خلق القاعدة المادية اللازمة للإنتقال من الإمبريالية القومية التي تسعى إلى خلق مناطق نفوذها الخاصة بها إلى الإمبريالية العالمية ذات النفوذ المشترك على العالم. وذلك لتيسر امر إقامة الشركات العابرة للقارات التي تمتلك من قبل الدول الإمبريالية المتحدة عالمياً وتقوم بنهب ثروات العالم المتخلف بصورة جماعية. ولنا عودة فيما بعد بهذا الخصوص.

بسبب جهل الاسباب الحقيقية لنسف السياسة الاقتصادية الجديدة ولملاحقة الكولاك يتم عادةً إعتبارها مجرد جزءاً من مجمل الخطوات المتممة لعملية التصنيع الإشتراكي في الإتحاد السوفياتي. ويستخلص من كل ذلك وجود ضرورات قاسية من اجل فرض طريقة الانتاج الاشتراكية. وفي ضوء هذا التحليل السطحي يعزى الى ستالين دوراً بطولياً في تصنيع روسيا وتسليحها. ويشار الى ملايين الضحايا المترتبة على هذه السياسة بأنه الثمن الازم دفعه من اجل بناء دولة عصرية اشتراكية.

إنما تسنى في الحقيقة للولايات المتحدة وبريطانية تحويل الإتحاد السوفياتي إلى دولة معتمدة على المصادر الخارجية في غذائها. كما تسنى لهما تكبيل الشعب السوفياتي وإفقاره وإحكام سيطرة ستالين عليه من خلال ربط مصادر رزقه وإستهلاكه بالدولة. وانيط بهذا الشعب المكبل الفقير تحريك الصناعات الثقيلة المنتجة للمعدات الحربية من أجل تسخيره فيما بعد بإستخدامها بصفة مقاتل لتدمير المانيا بالنيابة عن الولايات المتحدة وبريطانيا. وقد إستخدمت المبادئ الشيوعية ببراعة هائلة من أجل تضليل الشعب المستعبد بإعتباره المالك لوسائل الإنتاج ولقدرة الدولة على القضاء على الرأسمالي المستغل البغيض وما شاكل.

كانت جميع هذه السياسات مناقضة جملئاً وتفصيلاً لأفكار لنين. فلنن اراد بكهربية الإتحاد السوفياتي وبقائمة الصناعات الثقيلة وبالسياسة الإقتصادية الجديدة خدمة الإنسان عن طريق تلبية إحتياجاته الإستهلاكية ورفع مستويات التعليم والثقافة وما شاكل وليس لتحويله إلى عبد في خدمة الإمبريالية الغربية.

### إفلات هتلر من قبضة بريطانيا والولايات المتحدة

بعد استلامه للسلطة بدأ هتلر بالتملص من تنفيذ خطة الحيز الحياتي. ولكسب الوقت نجح هتلر بإقناع بريطانيا بأن المانيا يجب ان تصبح مالكة لقدرة عسكرية من اجل الهجوم على الاتحاد السوفياتي. وقد ترتب على مجمل محاولاته مع بريطانيا توقيعها معه في حزيران 1935 على معاهدة تسمح لالمانيا بالتسلح الى حدود كبيرة. ثم جاءت الحرب الاهلية الاسبانية كإنقاذ لهتلر ولموسليني الذي كان هو الاخر غير راغب في الهجوم على الاتحاد السوفياتي. وقد ارادت بريطانيا والولايات المتحدة إستخدام القدرات الفاشية العسكرية في القضاء على الثورة الاسبانية. وقد لعبت القوة الجوية الالمانية على وجه الخصوص بالفعل دوراً كبيراً في القضاء على هذه الثورة.

وفي 1936 وضعت خطة السنوات الاربعة في المانيا النازية. وقد إستهدفت هذه الخطة تحرير المانيا من الإعتماد على المواد الاولية المسيطر عليها من قبل الولايات المتحدة وحلفائها. وبالفعل تم خلق الهياكل الإقتصادية لتي من شأنها تحقيق الإكتفاء الذاتي في المانيا النازية.

وبعد تصفية الجمهوريين في إسبانية اصبح من الصعوبة السيطرة على هتلر. إذ ترتب على مجمل التطورات على الصعيد العالمي في عام 1937 إنعطاف تاريخي جديد. ففي هذه السنة كانت المانيا قد سجلت نجاحاً اقتصادياً منقطع النظير. إذ اصبحت من حيث القدرات الاقتصادية اقوى بلداً في اوروبا. كما بدأت تسبب منافسة مريرة للامريكان والبرطانيين في الاسواق العالمية. وبفضل هياكلها الاقتصادية الجديدة القائمة على أساس الاكتفاء الذاتي اصبحت المانيا قادرة على تحقيق برامجها الخاصة بالتسلح بدون التأثير بالمقاطعة الخارجية. وهكذا اصبحت المانيا النازية في هذا الوقت دولة مالكة لكل المقومات المادية اللازمة من اجل ان تصبح اكبر قوة امبريالية في العالم بعد امريكا. واصبح بمقدور هتلر ترك مشروع الحيز الحياتي وفرض خطته التي ترتب على تحقيقها إحتلال جيكوسلوفاكيا وضم النمسا. كما سببت منافسة الشركات الالمانية تفويت فرص هائلة للارباح بالنسبة إلى الشركات الامريكية والبريطانية.

وتمكنت المانيا من بناء ماكنة حربية مرعبة حقاً. وكانت هذه الماكنة الحربية مستندة إلى قدرات المانيا التكنولوجية الهائلة وتقاد من قبل مجاميع كبيرة من الضباط على درجة عالية من الكفاءة والخبرة. وهكذا إنتهت مساعي الولايات المتحدة وبريطانيا في بناء مقومات النازية وتأسيس الحزب النازي وتأهيل العريف هتلر لقيادة المانيا بخلق عدو يهدد مصالحهما الحيوية، شأنهما بذلك شأن مطلق القم من الزجاجاة.

كان أمر الإشتباك بمعارك مباشرة من قبل الولايات المتحدة الامريكة وبريطانيا مع المانيا النازية يعني مقارعة الماكنة الحربية الالمانية وجهاً لوجه وتكبد عشرة إلى عشرين مليون من الضحايا. كانت بريطانيا قادرة بالدرجة الاساسية على تدمير القوة البحرية الالمانية وبدون تضحيات كبيرة بالاشخاص. ولهذا السبب اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا بعد قيامها بإحتلال الجزء المخصص لها من بولونيا بموجب المعاهدة السوفياتية الالمانية في يوم 1 أيلول 1939.

فأفضل طريقة لتحطيم القوات المسلحة الالمانية هي زج المانيا مع الإتحاد السوفياتي بحرب مدمرة ومساندة الإتحاد السوفياتي من خلال الدعم المادي والتكنولوجي. إلا ان بولونيا كانت حاجز بين البلدين. والسؤال الذي لا بد من طرحه في هذا الصدد كيف تسنى لبريطانيا وألولايات المتحدة توريط هتلر بغزو الإتحاد السوفياتي فيما بعد؟

من اجل انتزاع المزيد من التنازلات من بريطانيا بدأ هتلر بتهديد المصالح البريطانية في البلدان العربية. وكان هتلر قد اعتمد في مخططاته الخاصة بالعراق وفلسطين على القوميين العرب. وكان السفير الالمانى في العراق الدكتور فريتس كروبا قد اقام صلات جداً متينة معهم. بالاضافة الى ذلك اهتم هتلر بمنظمة الأارغون الصهيونية التي كانت ناشطة في فلسطين والتي كانت تدين له بالولاء. وكان هتلر قد وضع مسألة إقامة دولة صهيونية على التراب الفلسطيني ضمن مخططاته، وذلك بالإعتماد على منظمة الارغون.

وكانت منظمة البايثار الصهيونية البولونية المزود الفعلي لمنظمة الارغون بالعنصر البشري. إذ تواجد آنذاك حوالي 100.000 امرأة ورجل من حاملي السلاح تحت إمرة قوميسار البايثار البولوني مناخيم بيكن. كانت منظمة البايثار المعادية لأحزاب العمل الصهيونية قد تم تأسيسها على الاسس الفاشية. وكان امر السيطرة عليها موضع صراع بين بريطانيا ومانيا. وكانت منظمة البايثار قد ادانت لهتلر بالولاء منذ أذار 1937. الا ان العلاقات مع المانيا النازية تعرضت الى التصدع بعد احداث ليلة الكريستال في تشرين الثاني عام 1938.

للإطلاع على تاريخ منظمة البايثار وصراعها مع احزاب صهيونية العمل وكيفية إنتقالها إلى هتلر انظر:

Nahum Orland, Israels Revisionisten, Die geistigen Väter Menachem Begins, München, 1978.

Samuel Katz, Tage des Feuers, Das Geheimnis der Irgun, Herausgegeben und eingeleitet von Harald Vocke, 1981.

Bernard Avishal, The Tragedy of Zionism, New York, 1985.

[Jacob Shavit](#), *Jabotinsky and the Revisionist Movement 1925-948* Routledge 1988.

Menachem Begin, *The Revolt. Rev. ed. New York: Nash, 1977.*

Menachem Begin, (The struggle against the British, 1944-48). White Nights 1979

Gervassi, Frank. *The Life and Times of Menahem Begin: Rebel to Statesman.* New York: Putnam, 1979.

Silver, Eric. *Begin, the Haunted Prophet.* New York: Random, 1984. (Critical.)

### إغراءات ستالين لهتلر في غزو الإتحاد السوفياتي

كان ستالين الشخص الوحيد القادر على توريط هتلر في غزو الإتحاد السوفياتي. فبعد اكتساح هتلر لحيكوسلوفاكيا بدأ ستالين بحملة دبلوماسية ماهرة من اجل كسب هتلر لفكرة اقتسام بولونيا بين البلدين. وقد استغل ستالين رغبة هتلر في الحصول على دانسنغ ووضع الباييتار البولوني تحت سيطرته من اجل دفعه لتقبل هذه الفكرة. كما انه صور لهتلر رغبة اصطفااف الإتحاد السوفياتي مع المانيا في حالة حصول نزاع لها مع بريطانيا. وكدليل على حصول تبدل في سياسة الإتحاد السوفياتي في هذا الاتجاه قام ستالين بإستبدال وزير خارجيته ماكسيم ليبتينوف بمولوتوف. فليبتينوف كان يهودياً و متزوج بإمرأة انكليزية ويعتبر من مؤيدي التقارب مع بريطانيا. اما كون مولوتوف متزوج بإمرأة يهودية فقد اخفي على هتلر من قبل الدبلوماسيين السوفيات ومن قبل دبلوماسييه أيضاً. ( John Toland, Adolf Hitler, Bd: 1938 ) (– 19452, Krieg und Untergang, Gladbach P. 689

في يوم 24 أب 1939 تم توقيع اتفاقية عدم الاعتداء بين المانيا النازية والإتحاد السوفياتي. وقد تضمنت هذه الاتفاقية قسمة بولونيا بين البلدين. ولا بد من طرح السؤال التالي في هذا الصدد. هل كان امر اقتسام بولونيا في صالح الإتحاد السوفياتي؟ كانت بولونيا بمثابة حاجز بين الدولتين وبالتالي مانع لدرء خطر اي هجوم الماني. وحتى في حالة حصول مثل هذا الهجوم فالإتحاد السوفياتي كان بإمكانه إيقاف التوغل الالمانى من خلال اسناد حرب انصار في بولونيا. ولم توقع هذه الاتفاقية في ظروف إضطرار او وجود مغريات إقتصادية كبيرة. فلا يوجد ثمة مبرر واحد يدعو إلى إزالة الحاجز البولوني وإقامة حدود مع بلد بايديولوجية معادية إبتدأت بإدء الشيوعيين الالمان وتعلن نياتها في إبادة الشيوعية عالمياً. وهذا البلد يمتلك قوة عسكرية متسلحة بأخطر انواع الاسلحة.

وفي الواقع تنطوي الاتفاقية المذكورة على تفاصيل كثيرة واسرار كبيرة. ولم تكشف بعد جميع الوثائق الخاصة بها. فبريطانية التي أعلنت الحرب على المانية النازية نتيجة تطبيق شروط هذه المعاهدة كانت طرفاً هاماً في إنجاحها. فعلى سبيل المثال عندما قام ستالين بدعوة روبينتروب وزير خارجية المانيا الى موسكو كلف جيرينك بالتوجه إلى لندن من اجل استكمال المباحث بخصوص بعض الامور ذات العلاقة. وفي يوم 20 آب كانت طائرة "لوكهيد" التابعة إلى المخابرات البريطانية تنتظر جيرينك في مطار برلين لتنقله الى بريطانيا لمقابلة سرية مع شامبيرلين وهاليفاكس.

وهكذا تمكن ستالين من خلال نجاحه في قسمة بولونيا من خلق حدود مشتركة مع المانيا النازية محققاً بذلك الشرط الاساسي الازم لاشعال الحرب بين البلدين.

إنصبت مهمة ستالين بعد خلق حدود مشتركة بين الاتحاد السوفياتي وبولونيا على تشجيع هتلر لغزو الاتحاد السوفياتي. ولم تكن رغبة بريطانيا والولايات المتحدة بإحداث معارك على طول الحدود المشتركة بين المانية النازية والإتحاد السوفياتي. فايسر طريقة لتدمير الماكنة الحربية النازية الجبارة هو استقطابها عميقاً في العمق الروسي وذلك من اجل اعادة نفس سيناريو هزيمة نابولين. إلا أن غزو الاتحاد السوفياتي كان بمثابة كابوس مرعب بالنسبة الى هتلر وموسليني ومعظم قادتهم العسكريين. وإزاء هذه الظروف اصبح الامر متوقفاً كلياً على ستالين. إذ كان هو الشخص الوحيد الذي بإمكانه التأثير على هتلر بالاساليب غير القويمة لتوريطه بغزو الاتحاد السوفياتي.

حول ستالين الاتحاد السوفياتي الى اكبر مزود بالمواد الاولية الالمانية النازية وأقام معها صلات دبلوماسية وثيقة. كما قام بحملة ارهابية في بولونيا منذ إحتلالها. وبلغت اعمال استقزاز ستالين للشعب البولوني ذروتها عند قيامه بإعدام 15.000 ضابط بولوني. من كل ذلك تأمل ستالين إشعال نار الكراهية ضد المحتل السوفياتي على أصعدة جميع الفئات والطبقات الاجتماعية بحيث لا يبقى للاتحاد السوفياتي في بولونيا أي حليف محلي. فإذا ما قام هتلر بالهجوم على الاتحاد السوفياتي فسوف يستقبل في شرق بولونيا ك محرر. كما قام ستالين بإظهار إخلاصه الى هتلر من خلال تسليم الشيوعيين الالمان الذين لجؤا الى الاتحاد السوفياتي.

ولو كان ستالين وطنياً لتعمد إستخدام سياسة الردع والتخويف من الحرب من خلال التهيئ المبالغ للحرب والمبالغة باستعراض قدرات الاتحاد السوفياتي العسكرية وذلك من اجل اخافة هتلر ودفعه بإتجاه تفادي الحرب. انما كان ستالين قد قام تماماً بالعكس حيث كان يغري هتلر ببساطة تدمير الاتحاد السوفياتي من اجل تحفيزه على غزوه. فعلى سبيل المثال كانت عدم الكفاءة العسكرية للجيش الاحمر خلال هجومه على فنلندا في نهاية 1939 تعتبر لحد اليوم واحدة من الالغاز غير المحلولة بالنسبة الى المؤرخين العسكريين. فكيف تمكن الجيش الفنلندي الضعيف والمسلح بأبسط الاسلحة أن يصمد امام الجيش الاحمر ويسدد له

صفعات مخزية حقاً؟ إن هجوم الاتحاد السوفياتي على فنلندا لم يستهدف الحصول على مواقع استراتيجية وكما يتم التأكيد على ذلك عادةً وإنما اراد ستالين بذلك إجراء عرض خادع لهتلر على ضعف الجيش الاحمر من أجل تشجيعه على الهجوم على الاتحاد السوفياتي.

وكان استهتار بيريا في الاتحاد السوفياتي من الامور التي بقيت اسبابها لحد الآن مبهمة. فما هي حكمة سكوت ستالين على اعمال بيريا الاستهتارية امام المجتمع؟ فكان بيريا مثلاً يقوم باختطاف اجمل الفتيات والنساء من شوارع العاصمة وعلى مشهد من الناس، حيث يقوم باغتصابهم. وكان الكثير من هؤلاء ممثلات ومغنيات شهيرات او بنات عوائل معروفة. وبيريا واحد من عصابة ستالين القوقاسية التي إستحوذت على السلطة. فلا يمكن أن يعقل بأن ستالين قد قام بجلب بيريا من جيورجيا في عام 1938 من أجل تعيينه كنائب رئيس القوميسار الشعبي للامور الداخلية من اجل تصفية العناصر الشيوعية المخلصة، وذلك لوجود عدد كبير من المجرمين من أتباع او عصابة ستالين القوقاسية الذين كان بإستطاعتهم تنفيذ مثل هذه المهمات الاجرامية.

بالتأكيد وجد بالاضافة الى صلاحية بيريا لقيادة اجهزة المخابرات سلوكه الاجرامي وإنحطاطه الخلقي. وهكذا كانت انتهاكات بيريا أمام أعين الدبلوماسيين في العاصمة قد إستخدمت من أجل خداع هتلر وإعطائه فكرة كاذبة بخصوص عمق الفساد في الاتحاد السوفياتي لجعله يعتقد بسهولة الاطاحة به.

ومن الامور الاخرى التي بقيت مبهمة إلى يومنا هذا أسباب حملة الإرهاب التي قام بها ستالين خلال الفترة 1937 - 1938. إذ إستهدفت هذه الحملة تنظيف الحزب الشيوعي السوفياتي والحكومة وقيادة الجيش الاحمر من الكوادر الوطنية المخلصة. كما شملت هذه الحملة الشخصيات المؤثرة في الاوساط العمالية والفلاحية وشخصيات مرموقة لم تكن منتمية الى الحزب الشيوعي. وكانت تهمة التخريب توجه الى الملاحقين وهم من أفضل المواطنين المخلصين. وبموجب الاحصاءات الرسمية تم إعدام 681,692 شخصاً خلال الفترة 1937 - 1938، عدا مئات الآلاف من الذين لاقوا حتفهم في معسكرات الغولاك. وقد عرفت هذه الحملة بعملية التطهير الكبرى.

إن ما حدث في الإتحاد السوفياتي في 1937 - 1938 يعود إلى نفس أسباب مجازر 8 شباط 1963 في العراق ومجازر 11 أيلول 1973 في الشيلي وما شاكل. كما انه يعود إلى نفس مهمات فرق الموت الموجة والمدارة من قبل القوات الاميركية الخاصة او من قبل وكالة المخابرات المركزية منذ إحتلال العراق من قبل الولايات المتحدة وحلفائها في عام 2003. إذ كان الهدف هو واحد في جميع الحالات: حرمان هذه البلدان من الطليعة المثقفة الوطنية المخلصة التي من شأنها ان تلعب الدور الحاسم في تحقيق الإستقلال الوطني والتطور الإقتصادي والإجتماعي. فالسياسات الإجرامية لستالين خلال العشرينات والثلاثينات سببت غليان شعبي. وكان يخشى دور الطليعة المثقفة الوطنية المخلصة في تشكيل قوة

معارضة. وكان الإقدام على الخيانات المخططة لستالين من أجل إشعال الحرب وإستقطاب الماكنة الحربية الالمانية إلى العمق الروسي يتطلب إبادة هذه العناصر التي كانت تشكل خطورة كبيرة على ستالين وعصابته مسبقاً. فهذه الطليعة سوف لن تتحمل السكوت على عدم التهيئ للحرب. كما انها من الممكن ان تغير كفة السيطرة على البلاد من خلال دورها في حركة حرب الانصار خلف خطوط الجبهة او تأثيراتها على المقاتلين مباشرةً. وهكذا اريد من خلال هذه الحملة القضاء مسبقاً على هذه الفئة الطليعية وعدم افساح المجال لها ان تمارس دورها التاريخي. بالإضافة إلى كل ما تقدم كان للقمع الدموي فائدة عرضية هائلة لكونها تحدث جو إرهابي من شأنه فرض الإنصياع الكامل للقرارات المدمرة البلاد.

عندما عقد حلف المحور الثلاثي في ايلول 1940 الذي ضم المانية وايطاليا واليابان بين ستالين وغبته بالانضمام الى الحلف، وذلك من أجل إرضاء هتلر. أما تعتمد ستالين على إغاضة هتلر وإستفزازه فيما بعد من اجل دفعه باتجاه الهجوم على الاتحاد السوفياتي، وذلك من خلال التخلي عن الالتزام بموقفه تجاه هذا الحلف. فأرسل مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي الى برلين في تشرين الثاني 1940. وتعمد تشرشل تعريض المنطقة التي دار فيها الاجتماع بين روبنتروب ومولوتوف الى قصف "القوة الجوية الملكية RAF" المستمر، مما يضطر المجتمعين الى النزول الى القبو من اجل إستكمال المفاوضات. وعندما إقترح روبنتروب إنضمام الاتحاد السوفياتي إلى المانيا النازية في حربها ضد بريطانيا اكد بأن بريطانيا قد إنتهت. وعندها اجابه مولوتوف اذا كان الامر كذلك فلماذا نجلس في القبو ومن هذا الذي يرمي قنابله بالقرب منا؟ كان هذا الاستفزاز بالذات قد دفع هتلر لإتخاذه قراره النهائي لغزو الاتحاد السوفياتي.

كان نجاح بريطانيا في الدفاع عن الجزيرة بواسطة إستخدام الرادار وقدرة القوة الجوية الملكية على القصف المتواصل على المانيا النازية قد أجبر هتلر على التفكير بمقارعة بريطانيا في العراق والخليج العربي. وذلك نتيجة الاعيب ستالين التي أستهدفت الايحاء لهتلر بسهولة سحق الاتحاد السوفياتي. وذلك لإستقطاب الماكنة العسكرية النازية الى العمق الروسي. وهكذا تولدت رغبة جامحة لدى هتلر في تحقيق فتوحات ما خلف الاتحاد السوفياتي. فكانت خدعة ضعف الإتحاد السوفياتي العسكري ومعاناته من الفساد الإداري قد دفعت هتلر فعلاً إلى تصديقه بسهولة سحق الجيش الاحمر من أجل الانطلاق الى فتوحات ما وراء القفقاس. وهذا ما يتبتن فعلاً من خطه الخاصة بالهجوم على الاتحاد السوفياتي والتي اطلق عليها تسمية عملية بارباروسا **Operation Barbarossa**. إذ حدد إبتدائها في 22 حزيران 1941 وقدر عملية سحق الجيش الاحمر وإنهاء عملية إحتلال الاتحاد السوفياتي في فترة اقصاها نهاية خريف 1941. ثم تبدأ من بعدها الفتوحات من القفقاس إلى العراق والخليج العربي.

تم تحشيد 4.5 مليون جندي من جيوش المحور مكونين بذلك اكبر قوة عسكرية غازية في التاريخ البشري. وبتسلح هذه الجيوش بالاسلحة الحربية المتطورة وبالايديولوجية الفاشية كان يدرك ما ذا سيلقي الشعب السوفياتي عندما يبدء الهجوم.

وبدلاً من أن يقوم ستالين إزاء هذه التطورات برمي كافة الطاقات العسكرية على الحدود إستخدم دكتاتوريته وطغيانه ضد كل من كان يجرء بالإشارة الى ضرورة التهيئ للحرب. وكان ستالين قد برر موقفه هذا بحجة أن هتلر سوف لن يقوم بغزو الاتحاد السوفياتي قبل أن يسحق بريطانيا. كما أنه كان يصف الحرب القادمة بالحرب الرأسالية. وبموجب هذا المنطق سوف تمزق البلدان الرأسالية بعضها البعض وتترك الاتحاد السوفياتي كمتفرج.

قام ستالين بادوار تمثيلية فريدة في التأريخ السياسي الحديث. وذلك من أجل جعل هتلر يؤمن بعدم تهيئ الاتحاد السوفياتي للحرب وبالتالي امكانية الاستفادة من عنصر المباغته. وذلك في ظرف لم يكن أمر غزو الاتحاد السوفياتي من قبل القوات النازية بالسري. فبالإضافة الى استفزازات القوات النازية اليومية على القرى الحدودية قام أحد الجنود الالمان بتسليم نفسه الى الجانب السوفياتي وأعطاهم فكرة كاملة بخصوص الاستعدادات الهائلة خلف الحدود.

ومن أجل إعطاء هتلر إنطباع كاذب حول سذاجته وإيمانه الاعمى بالصداقة السوفياتية الالمانية نظم ستالين في نيسان 1941، أي قبل شهرين من موعد الغزو الالمانى تمثيلية ناجحة من خلال الحفاوة والتكريم الى وزير الخارجية الياباني يوسوكه ماسوكه. وكان هذا عائداً من برلين بالقطار الى بلاده عن طريق موسكو بعد أن أجرى مباحثات تخص الإستعدادات للحرب. وأخيراً قام ستالين بمرافقة الوزير الى محطة القطار ولم يكن ذلك بالتأكيد من واجبات رئيس الدولة إنما كان ستالين قد أراد مجرد إستغلال الفرصة من أجل القيام بإستعراض كاذب حول ثقته التي لا تتزعزع بتحالفاته مع اليابان والمانيا. وفي المحطة حضن ستالين الوزير الياباني وربت على كتفه قائلاً على أساس ألمعاهدة اليابانية السوفياتية سوف لن يكون هناك أي أمر مقلق في أوروبا. وعندما تحرك القطار مستقلاً الوزير الياباني وضع ستالين يده على كتف السفير الالمانى قائلاً: يجب أن نبقى أصدقاءً وعلينا أن نقوم بكل ما نستطيع إلى ذلك سببلاً. ثم توجه الى الملحق العسكري الالمانى ووضع يده على كتفه بكل لطف موضحاً: المانيا وروسيا - صداقة

أبدية. (John Toland, Adolf Hitler, Bd, P. 829)

وأخيراً في يوم 14 حزيران، أي بالضبط ثمانية أيام قبل الهجوم النازي جاءت إخبارية الدكتور زوركا من اليابان والتي حددت يوم الهجوم. وترتب على ذلك أرتباك كبير على صعيد القيادة العسكرية. فرد ستالين على هذا الخبر بتكذيبه ووضع موضع الاستهزاء بواسطة وكالة الانباء السوفياتية تاس. بهذه الدرجة من الإستهتار تصدى ستالين لخطة بارباروسا المروعة حقاً.



## القضاء على الماكنة الحربية النازية

ومن أجل إعطاء هتلر الوقت الكاف لتحقيق إنتصارات ساحقة و تشجيعه على المضي بالتوغل في العمق السوفياتي قام ستالين بتمثيلية غريبة حقاً في يوم وقوع الهجوم النازي المرعب على الاتحاد السوفياتي. إذ ادعى بأنه واثق من أن الهجوم كان مجرد خطأ ممكن أن يزال عن طريق الدبلوماسية. ولهذا السبب أبقى على الاتصال الاسلكي مع الحكومة الالمانية في برلين. كما توجه الى اليابان من أجل التوسط لحل النزاع بين الطرفين. ولم يبد ستالين أي إهتمام بإتخاذ القرارات التي من شأنها إنقاذ ما يمكن إنقاذه. وكانت الخسائر البشرية والمادية في الساعات الاولى من الهجوم قد بلغت أرقاماً مخيفة، مما يدل على مدى تعمد ستالين في تصعيد حماس هتلر من أجل دفعه في العمق السوفياتي.

استندت عملية بارباروسا على ستراتيجية الحرب الصاعقة. وكما هو معلوم تستهدف هذه الإستراتيجية التوغل السريع في جبهة العدو من خلال ممر او ممرات إلى العمق الذي من شأنه تصفية المواقع الدفاعية الاساسية وإحداث إنهيارات عسكرية واسعة يترتب عليها عملية الإستسلام النهائي للعدو. ولهذا السبب كان على ستالين ضمان امر تيسير مهمة نجاح الإختراق السريع للجيش النازية في بداية هجومها على الإتحاد السوفياتي.

ترتب على تدفق القوات النازية باعداد هائلة باتجاه الشرق موجة رعب على صعيد القيادة السوفياتية. وقدر زوكوف والقادة العسكريون تفوقها الكبير على القوات السوفياتية. وكانت الامكانية الوحيدة لصدود القوات السوفياتية امام هذا الزخم هو إستحكامها بمواقع دفاعية على الضفة الشمالية لنهر الدنيبر. إلا أن ستالين رفض هذه الخطة على الرغم من الحاح زوكوف الشديد. وقد ترتب على ذلك إبادة هذه القوات وتدمير مئات من المدن والقرى وقتل وتشريد الملايين من المواطنين. ولم يتوقف الزحف الى حين وصول هذه القوات في الخريف الى 65 كيلو متر عن مدينة موسكو. كما توقفت هذه القوات امام لنينغراد في الشمال وعند خرائب ستالينغراد في الجنوب.

وقد لوحظ على ستالين اثناء هذه الفترة بفقدانه الثقة بنفسه وتجنبه للظهور امام الجيش والمجتمع. وتروى قصة بخصوص انهياره عند قدوم مجموعة من العساكر بدون موعد مسبق لآخباره بأخر التطورات لإعتقاده بأنهم جاءوا لالقاء القبض عليه.

وفي آب 1941 بدأت عملية الاحتلال المشترك السوفياتي البريطاني ليران من اجل التزود بالنفط الايراني وضمان خط تجهيز الاتحاد السوفياتي بمتطلباته من المعدات والاسلحة والعتاد والمواد الغذائية من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا. كما قام الإتحاد السوفياتي منذ بداية الهجوم الالمانى بنقل طاقاته

الإنتاجية إلى وراء الأورال. وقد إنطوت هذه العملية على قيام التقنيون السوفييات بمعجزة حقيقية. إذ تسنى لهم بالفعل المباشرة بالانتاج الحربي من هناك.

وبينما كان هتلر يخطط في نهاية تشرين الأول 1941 لمساوات مدينة موسكو مع الأرض حل البرد مبكراً مما حول حياة أفراد الجيش النازي الذين لم يكونوا مزودون بملابس شتوية الى جحيم كما تعقدت مسألة تجهيز الجيوش بمتطلباتها بسبب اطوال خطوط الإمدادات الخيالية. وبينما كان الجيش النازي يراوح امام الخرائب في غرب الاتحاد السوفياتي بدأ السلاح والعتاد والملابس الشتوية والغذاء بالتدفق عبر أيران ومن وراء الأورال.

وفي تشرين الثاني عندما هبطت درجة الحرارة الى 35 تحت الصفر بدأ الجنرال زوكوف هجومه الشهير بمائة فرقة على إمتداد جبهة عرضها 2900 كيلومتراً. وقد لعب عنصر الدفاع عن الوطن وفسح المجال لقدرات التنظيم الشيوعي الهائلة خصوصاً في تنظيم عمليات حرب الانصار البطولية وتدفق الإمدادات العسكرية عبر أيران ومن وراء الأورال دوراً حاسماً في تدمير الماكنة الحربية الالمانية الجبارة.

وهكذا حسم أمر بداية نهاية هتلر. كان الشعب السوفياتي قد دفع ثمن تحطيم الماكنة الحربية النازية غالباً. أذ قتل حوالي 27 مليون مواطن سوفيياتي وتعرضت البلاد الى تخريبات مروعة. ومما تجدر الإشارة إليه لم يكن لفتح الجبهة الغربية تأثيراً حاسماً على احداث الحرب. إذ اختيرت اللحظة المناسبة لفتحها وذلك بعد بلوغ الجيش الالمانى مرحلة الإنهيار الفيزياوي والمعنوي.

ومما تجدر الإشارة إليه ان هناك تشابه كبير بين الحرب العراقية - الإيرانية والحرب العالمية الثانية من حيث التمهد لإشعالهما وكيفية إطالتهما. وذلك بغض النظر عن إختلاف الادوار وسعة جبهات القتال وحجم الجيوش وعدد الضحايا. فقبل كل شئ لم يراد بحرب الخليج ان تقوم على اساس معارك حدودية. وإنما اريد بالجيش العراقي ان يتوغل بالعمق الإيراني من اجل إغراق البلدين بمعارك دموية طويلة الامد لكي يتسنى إمتصاص الفوائض المالية المتراكمة لدى دول الخليج والعراق وإيران. بالإضافة إلى تدمير البنى التحتية والمؤسسات الإقتصادية للبلدين.

فإذا كان إعلان الحرب من جانب العراق، او صدام حسين على وجه التحديد، يتعلق بإلغاء إتفاقية الجزائر والرجوع إلى معاهدة الحدود والصداقة وحل الخلافات مع ايران لعام 1937 فلماذا لم يقتصر الهجوم العراقي على إحتلال الطريق المائي. إذ تم إستغلال ضيق افق صدام حسين وعزلته القاتلة وعنجهيته الغبية وجهله لما كان يدور في العالم. وقد إستغلت المخابرات الغربية ذلك من أجل إغرائه بمهاجمة إيران برأ وبالتموغل بالعمق الإيراني. وقد توافد آنذاك إلى بغداد وكلاء المخابرات الغربية والسافاك السابقين

حيث تسنى لهم إقناعه بسهولة وضرورة الغزو البري. وهذا ما يذكر بإغراء هتلر بالتوغل بالعمق الروسي.

وكما تم تصعيد حملة الارهاب في الإتحاد السوفياتي قبل الحرب تم تصعيد حملة الإرهاب في العراق قبل الهجوم على إيران. فالعراق عاش ما يشابه عملية التطهير الكبرى الستالينية في عام 1979، إذ تم إستهداف العناصر الطليعية الواعية في كلا الحالتين. وكانت تكنولوجيا الحرب قد تم تحديدها سلفاً في كلا الحالتين، إذ تم إستيرادها وأقيمت الوحدات الإنتاجية اللازمة لإنتاج المعدات الحربية (او اسلحة الدمار الشامل بالنسبة إلى العراق). وذلك من خلال عمليات نقل التكنولوجيا وخطط التنمية الساندة لها.

وكما تم تحويل الإتحاد السوفياتي من بلد مصدر للغذاء إلى بلد معتمد في غذائه على الغرب تسنى للولايات المتحدة وحلفائها تحويل العراق إلى بلد السواد المعروف بالفائض الزراعي والصادرات الزراعية إلى بلد معتمد في غذائه على الإستيراد.

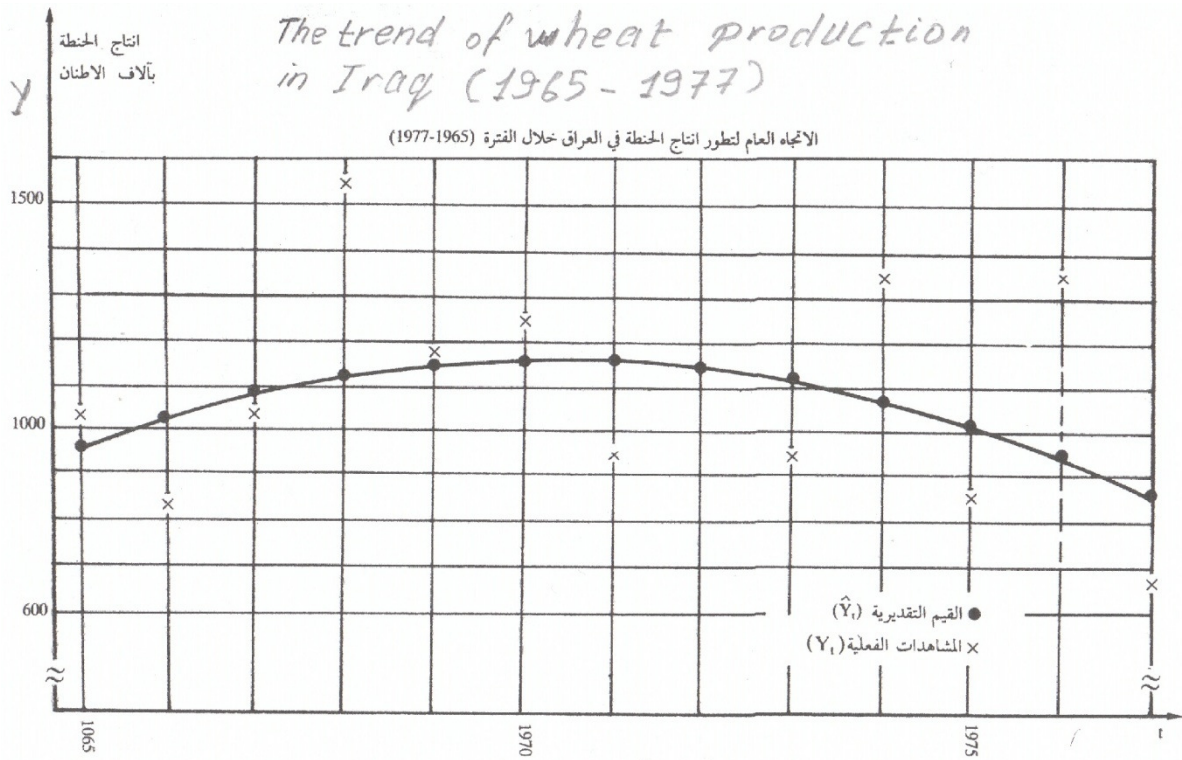
امتازت سنة 1977 بانفلات طغيان صدام حسين. وقد تميز هذا الطغيان بقرارات الدكتاتور غير العقلانية. أذ ترتب على العوائد الهائلة من الصادرات النفطية سحق القطاعات التقليدية من خلال الاستيرادات الرخيصة والاستثمارات المبالغة في المشروعات الصناعية. وقد تضرر على وجه الخصوص بهذه القرارات القطاع الزراعي. إذ امتلات السايلوات بالقمح المستود بأسعار بخسة كما إستقطبت نشاطات البناء قصيرة الامد الفلاح الى خارج الريف.

**فالعراق البلد المصدر التقليدي للحاصلات الزراعية كان عليه على الاقل تحقيق الاكتفاء الذاتي.** فالقطاع الزراعي كان من المفروض ان يكون قادراً في جميع الظروف على توفير الغذاء الكاف للسكان وعلى تشغيل اعداداً هائلة من القوى العاملة وتغذية قطاع الصناعات التحويلية بالمدخيل الزراعية اللازمة وتقوية الصادرات غير النفطية.

**كانت هذه وجهة نظري.** وكان الدكتور عبد الوهاب الدايري الاقتصادي البارز في المجلس الزراعي الاعلى في العراق يحمل نفس وجهة النظر هذه. فقامت بإعداد دراسة حول مستقبل إنتاج الحبوب في العراق بإشراف الدايري. وتضمنت هذه الدراسة احتساب الاتجاه العام لإنتاج الحنطة في العراق. وكان هذا الاتجاه العام قد اظهر التدهور السريع في الانتاج بعد فترة تطور جيدة. **وكانت الإحصائيات غير المكتملة بخصوص سنة 1978 تشير بوضوح إلى الإستمرار في التدهور.** (بقدر تعلق الامر بإحتساب الإتجاه العام المذكور أنظر مقدمة في القياسي الإقتصادي، دار الطليعة بيروت 1983، الصفحات 39 - 42).

وبإتخاذة القرار الاجرامي بخصوص إعلان الحرب على ايران حسم صدام حسين في النهاية امر تدمير القطاع الزراعي المهمل. وكان دعم الادارة الامريكية لسياسة إغراق العراق بالصادرات الزراعية أثناء الحرب قد عجل من هذا التطور. إذ تيسر لامريكا بموجب هذه السياسة ادامة الحرب الى فترة اطول بكثير من القدرات الذاتية الفعلية للعراق وذلك لضمان استمرارية تصريف السلاح وتدمير المنطقة. بالإضافة الى كل ذلك قام صدام حسين بتدمير مناطق زراعية كاملة اثناء ملاحقته للمعارضة السياسية. ومن الامثلة على ذلك تجفيف الاهوار و حرق بساتين النخيل في جنوب العراق. كما ان عشرات آلاف من الشهداء الذين دفنوا في القبور الجماعية كانوا من ابناء الريف ويشكلون بذلك قوة عمل زراعية.

المهم في كلتا الحربين بقدر تعلق الامر بالإتحاد السوفياتي والعراق تمت تغذية المحاربين والشعب بالدرجة الاساسية من الفائض الزراعي الامريكي طوال فترة الحرب.



$$\hat{Y}_t = 886.0 + 88.0t - 6.85t^2$$

## ستالين المنفذ الحقيقي لمشروع إقامة الدولة الصهيونية على التراب الفلسطيني

لم يقتصر تسخير الولايات المتحدة وبريطانية لستالين على تدمير الماكينة الحربية الالمانية فحسب وإنما تم تسخيرها من اجل اقامة النظام العالمي الجديد بعد الحرب العالمية الثانية. وقد تطلب ذلك قيام ستالين بسلسلة من الجرائم داخل وخارج الاتحاد السوفياتي، تضمنت دعم إقامة الدولة الصهيونية على التراب الفلسطيني والخيانة المروعة لجمهوريتي ماهبات واذربيجان وخيانة الشيوعيين اليونانيين وإقامة الصلات الاقتصادية مع حكومة شاي كان شيك وما شاكل.

اريد بالنظام العالمي الجديد بعد الحرب العالمية الثانية تهيئة الظروف الموضوعية اللازمة للإنتقال التام من الاستعمار المباشر والامبريالية القومية إلى الإمبريالية العالمية. فكما هو معلوم ان الحرب العالمية الاولى إندلعت بسبب الصراع على المستعمرات. كما ان لنين شخص استكمال تقسيم العالم وإعادة تقسيم العالم بين البلدان الرأسمالية المتطورة كإحدى اهم سمات المرحلة الإمبريالية التي حلل أسسها آنذاك. فلنين عاش المرحلة القومية للإمبريالية؟

وبموجب النظام العالمي الجديد تم التخلي التدريجي عن المستعمرات وإفراد كل دولة بمناطق نفوذها السابقة، وأصبح العالم المتخلف منطقة نفوذ مشترك للدول الإمبريالية المتحالفة. وتم بذلك ضمان حرية نشاطات الشركات العابرة للقارات في البلدان الامبريالية وحرية نهبها للدول المتخلفة. وبهذه الصورة تحول جميع المستعمرون والإمبرياليون المتنافسون سابقاً على السيطرة على المستعمرات او مناطق النفوذ إلى حلفاء إمبرياليون وشركاء في نهب الضعفاء. وكان قبول المانيا الغربية حليفاً إمبريالياً اهم ظاهرة في هذا الخصوص، وذلك بعد إستسلام ألمانيا النازية دون أي شرط او قيد وتدمير بناها التحتية بالكامل والتتكيل بواطنيها. كما ان تنازل بريطانيا عن إنتدابها لفلسطين وإحتضان الدولة الصهيونية من قبل جميع البلدان الإمبريالية بصورة مشتركة يشكل الظاهرة الاساسية الثانية للتحالف الجديد.

وعملية الإنتقال الى التحالف الإمبريالي العالمي تذكر بتحالفات القبائل المتعددية. فبدلاً من الاقتتال فيما بينها توحد هذه مجهوداتها الحربية للحصول على غنائم كبيرة ضمن اقاليم شاسعة. وقد تم تجميع القدرات العسكرية لهذه البلدان الإمبريالية المتحالفة فيما بعد بحلف شمال الاطلسي. كما تم خلق آلية من اجل تيسير امر تنسيق نشاطات مخابرات هذه الدول.

وكما تم ذكره اعلاه تطلب إقامة النظام العالمي الجديد قيام ستالين بسلسلة من الجرائم داخل وخارج الاتحاد السوفياتي كان احدها دعم إقامة الدولة الصهيونية. ولهذا السبب تم بناء الفاشية على اساس العداء لليهودية، وذلك من اجل ملاحقة يهود الشرق وإجبارهم على التوجه الى فلسطين من اجل إقامة الدولة الصهيونية على التراب الفلسطيني.

كانت مسألة تأسيس دولة عنصرية يهودية على التراب الفلسطيني جزءاً أساسياً من النظام العالمي الجديد بعد الحرب العالمية الثانية وذلك بسبب الخزين الإحتياطي الهائل لنفط الشرق الاوسط. إذ كون هذا النفط حوالي 60% من إحتياطي النفط المعروف في العالم آنذاك.

وكان النفط قد إكتسب أهمية إقتصادية كبيرة بسبب إعتداد أكثر من ثلثي وسائل النقل عليه. كما أصبح النفط في هذه الفترة اساساً للتطور التكنولوجي. فالمنتجات البتروكيمياوية احدثت ثورة هائلة من خلال إزاحتها للمواد التقليدية المكلفة كالخشب والزجاج والفولاذ، كما ترتب على تعدد المدخلات الإنتاجية من هذه المنتجات إستحداث تطورات في صناعات اخرى. فعلى سبيل المثال ترتب على إستخدام المنتجات البتروكيمياوية والبلاستيكية والاسمدة الكيماوية احداث ثورة على صعيد الإنتاج الزراعي. كما احدثت المنتجات البتروكيمياوية الاخرى مثل الجواريب النسائية والجلود والغزول الإصطناعية ثورة في صناعة الالبسة. والاهم من ذلك كله أصبح النفط مادة ستراتيجية للاغراض العسكرية. كما أصبح النفط في ظل الظروف الجديدة ليس فقط مصدراً للارباح الهائلة لشركات النفط العملاقة فحسب، وإنما مصدراً مالياً لتنفيذ خطة مارشال. فمن ارباح نفط الشرق الاوسط الغزيرة تم تمويل إعادة بناء اوروبا. وذلك وفق مطالب الشركات العابرة للقارات. وهكذا أصبحت لنفط الشرق الاوسط اهمية مركزية في خلق النظام العالمي الجديد.

فالسيطرة على نفط الشرق الاوسط كان امر على درجة كبيرة من الاهمية بالنسبة الى توسيع الطاقات الإنتاجية والقدرات الإستهلاكية للبلدان الإمبريالية المتحالفة الحاضنة للشركات العابرة للقارات. والدولة الصهيونية القائمة على التراب الفلسطيني هي افضل حل لتكبير البلدان العربية القادرة على التطور وعلى حماية العملاء من الحكام العرب من شعوبهم، وذلك من اجل تيسير امر سلب ثرواتها النفطية. فالبديل الوحيد للدولة الصهيونية هو إقامة قواعد عسكرية عملاقة بتكاليف باهضة والإحتفاظ بمئات الآلاف من الجنود وتعريضهم للمخاطر.

فخلق الدولة الصهيونية على التراب الفلسطيني لم يكن مترتب على ضرورات لإسكان اليهود. ولم تكن المشكلة كيفية تقسيم التراب الفلسطيني بينهم وبين عرب فلسطين، وإنما كان امر خلق دولة صهيونية على التراب الفلسطيني مجرد نتيجة الضرورات الإستراتيجية المذكورة لخلق قاعدة عسكرية عملاقة بتكاليف بسيطة والإستعاضة عن الجنود بتسخير غلاة حاقدين على جميع القيم الإنسانية.

إبتدأت عملية التهيئ لإقامة الدولة الصهيونية منذ إقتسام بولونية. كان ستالين قد لاحظ اثناء المفاوضات الخاصة بتقسيم بولونيا بأن هتلر كان مستعداً للتنازل عن مساحات واسعة لقاء التجمعات السكانية اليهودية.

إلا ان هتلر لم يكن يعلم بأنه سقط في شبكة المكائد البريطانية. فعندما غزت القوات النازية بولونيا في 1 أيلول 1939 مبتدئةً بذلك الحرب العالمية الثانية لم يكن هتلر قد علم بأنه في مساء اليوم السابق تسنى للبريطانيين توقيف قيادة منظمة الارغون في تل ابيب ووضع نشاط المنظمة تحت إمرتهم. وهكذا فإن بريطانيا اجلت امر توقيف قادة الارغون الى حين غزو بولونيا. فعندما يبلغ خبر التوقيف هتلر في صباح اليوم التالي اثناء تواجد قواته على الارض البولونية سوف يصبح التراجع امراً محالاً.

كان امر قفل فلسطين في وجه الارغون قد جعل الارتباط بهتلر الذي فقد شعبيته في صفوف البيطار بعد أحداث ليلة الكريستال امر غير مجد. ومنذ قيام هتلر بإحتلال حصّة المانيا من بولونيا في 1 أيلول 1939 فتح ستالين الابواب لمنظمة بيتار الصهيونية للجوء الى الاتحاد السوفياتي. ولم يكن بذلك امر كسب قيادة البيطار صعب بالنسبة الى بريطانيا، حيث ضمنت لهم اللجوء الى الاتحاد السوفياتي تمهيداً لإرسالهم إلى فلسطين. وهكذا أخذ مناحيم بيكن على وجه الخصوص مع صديقه يلين - مور القطار في يوم 5 أيلول 1939 من وارشو متوجهاً الى الاتحاد السوفياتي. وتبعتهما مجاميع كبيرة من الصهاينة.

وكان من جملة الجرائم التاريخية التي قام بها ستالين في خدمة الإمبريالية هي توقيع اتفاقية مع حكومة المنفى البولونية في لندن بخصوص تجنيد المتطرفين اليمينيين والفاشست البولونيين وأعضاء منظمة بيتار الصهيونية الفاشية الذين لجأوا الى الاتحاد السوفياتي. وكان من بين المجندين المجرم الصهيوني الكبير مناحيم بيكن. وقد تم تنظيم فرقة عسكرية من هؤلاء المجرمين تحت قيادة الجنرال بالسلاف أنديرز. وقد اعدت هذه الفرقة من أجل التهيئ لقمع اي تحرك ثوري في العراق وسفك دماء الفلسطينيين وتشريدهم بعد إنتهاء الحرب. وقام الجنرال أنديرز بقيادة جيشه من الاتحاد السوفياتي عبر ايران ثم العراق. ورابطت إحدى قطعات جيش الجنرال أنديرز في بداية أيار 1942 بالقرب من مدينة بغداد وتابعت القطعات الاخرى المسيرة الى فلسطين.

كان تأسيس الحزب الشيوعي الفلسطيني في 1919 بقيادة فولف أويرباخ احد اصدقاء لنين الذين رافقوه في سويسرا قبل اندلاع ثورة اكتوبر من أهم الاحداث المقلقة للسيطرة الاستعمارية البريطانية في الشرق الاوسط. وكان الحزب الشيوعي الفلسطيني يضم مفكرين شيوعيين من يهود اوربا على درجة عالية جداً من الثقافة والكفاءة والخبرة والاخلاص.

وكان النشاط الشيوعي الفلسطيني مصدر قلق بالنسبة الى بريطانيا بسبب عداة هؤلاء الشيوعيون للصهيونية وقدرتهم على كسب العناصر الصهيونية ذات التوجه الانساني وتعاطفهم الشديد مع العرب وإهتمامهم بكشف للمخططات الصهيونية وازدراهم للعنصرية. ولم تحبذ بريطانيا ملاحقة اليهود الشيوعيين في فلسطين وذلك تحاشياً لإحداث ردود فعل سلبية لدى اليهود التي من شأنها تنفيرهم من الهجرة الى فلسطين.

في عام 1924 وضع الحزب الشيوعي الفلسطيني تحت سيطرة الكومينتين (أي تحت سيطرة ستالين مباشرة). ومنذ ذلك الحين أصبح الشيوعيون الفلسطينيون عرضة الى الضغوط ثم الى الملاحقة. وفي عام 1930 تم طرد أويرباخ من قيادة الحزب. ومنذ ذلك الحين لم يعد له المجال للكتابة. وفي عام 1941 تم القاء القبض عليه وإعدامه. وكان الشيوعي الفلسطيني الكبير بيركير صديق العرب قد استمر بالنشر الى عام 1934. وفي هذه السنة تم اعتقاله ونفيه الى سيبيريا، حيث قضى فيها 21 سنة. وكان معظم قادة الحزب الشيوعي الفلسطيني قد ذهبوا ضحايا عملية التنظيف الستالينية.

وعندما بدأت الاستعدادات النهائية لإقامة الدولة الصهيونية حول ستالين الحزب الشيوعي الفلسطيني الى حزب عنصري صهيوني. وحاول التأكيد على ذلك من خلال تغيير اسم الحزب الى "الحزب الشيوعي لارض اسرائيل". وكان هذا الحزب الشيوعي العنصري الوحيد في العالم. وساهم هذا الحزب في نصره الصهيونية. ومن مهازل التاريخ إنتقال المجرم الصهيوني الكبير الداد - شايب أحد اعز اصدقاء بيكن إلى الشيوعية حيث أصبح من اهم قادة الحزب الشيوعي لأرض إسرائيل. وكان الداد - شايب من اهم اتباع شتيرن، حيث عمل في قيادة هذه المنظمة الإجرامية بمعية إسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل السابق ويلين - مور صديق بيكن المذكور اعلاه.

سخرت الامبريالية الغربية الاتحاد السوفياتي من خلال ستالين واعوانه في دعم الحركة الصهيونية واعطاء الدولة الصهيونية المزمع إقامتها صفة تقدمية. لهذا السبب كانت على سبيل المثال مسألة ما يسمى بتقسيم فلسطين مبادرة سوفياتية قام بطرحها اندري كروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفياتي في 4 ايار 1947 على الامم المتحدة. وكانت هذه المبادرة تعني سحق مبدأ تقرير المصير للشعب الفلسطيني ودعم صريح للصهيونية. كما انها كانت مجرد خدعة تاكتيكية من اجل اعطاء شرعية مزيفة لانزاع الجزء الاكبر من فلسطين ووضعها تحت تصرف الصهيونية. ثم صوت الاتحاد السوفياتي الدول الاشتراكية على قرار الامم المتحدة بخصوص ما يسمى بالتقسيم في 29 تشرين الاول 1947. وكان هذا القرار قد تضمن اعلان تأسيس دولتين "دولة اسرائيل ودولة فلسطين" في آن واحد وذلك بعد مضي شهرين من انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين.

وفي نفس يوم انتهاء الانتداب البريطاني في 14 ايار 1948 اعلن بنغورين ومن جانب واحد تأسيس دولة اسرائيل التي استولت على معظم القسم المخصص للدولة الفلسطينية عن طريق الإغتصاب. وهكذا فانه لم ينتظر لمدة شهرين. ثم قام الرئيس الامريكي ترومان بالاعتراف بدولة اسرائيل بعد 11 دقيقة من اعلانها وتبعه ستالين بعد ثلاثة ايام. وهكذا نجد بأن التقسيم كان مجرد اسطورة تاريخية.



فإذا كان القرار قد تضمن إقامة دولتين بعد شهرين من إنتهاء الإنتداب البريطاني فلماذا إعترف ستالين بما يناقض ذلك تماماً بعد ثلاثة ايام؟ هذا يعني ان طرح فكرة التقسيم والتصويت عليها في الامم المتحدة كان مجرد عرض خادع للعالم لتغطية طبخة إبتلاع الجزء الاكبر من فلسطين المتفق عليها سراً.

ثم ابتداءً الاتحاد السوفياتي بدعم الصهاينة مادياً وعسكرياً. فسخر جيكوسلوفاكيا بتجهيز الصهاينة بأحدث الاسلحة الفتاكة بما في ذلك الطائرات. وتمت إقامة جسر جوي بين جيكوسلوفاكيا وفلسطين من أجل تيسير نقل كميات كبيرة من الاسلحة والعتاد بالسرعة اللازمة.

ومن الجدير بالذكر ان هذه الدولة تم الإعراف بها بدون حدود دولية معترف بها، وكانت هذه مسألة فريدة من نوعها في التاريخ البشري الحديث. ويعود السبب في ذلك إلى ضرورة منح هذه الدولة الحرية الكاملة في التوسع ومنع اي إستقرار ممكن في منطقة الشرق الاوسط بأكملها عن طريق الحروب المدمرة.

من كل ما تقدم في أعلاه يتبين بأن الإتحاد السوفياتي قام بإستقدام القوة العسكرية الصهيونية المدربة على حمل السلاح التابعة إلى منظمة بيتار الفاشية البولونية إلى الإتحاد السوفياتي. ثم قام بتنظيم فرقة عسكرية من هؤلاء المجرمين وتعزيزها بالفاشيت البولونيين تحت قيادة الجنرال بالسلاف أنديرز وتم إستقدامها إلى العراق وفلسطين. واخيراً قام الإتحاد السوفياتي بتسليح هذا الجيش بالإضافة إلى تسليح القوى الصهيونية الاخرى بأحدث الاسلحة الجيكية من اجل تيسير امر سفك دماء الفلسطينيين وتهجيرهم. كما قام بسحق الحزب الشيوعي الفلسطيني المؤازر للعرب وتحويله إلى حزب صهيوني. وقام على الصعيد الدبلوماسي بتيسير أمر الإعراف بدولة إسرائيل ساحقاً بذلك حق الشعب الفلسطيني بتقرير المصير. كما ساند حزب ارض إسرائيل في نشر الدعاية في صالح الدولة الصهيونية في الغرب. فهل كان كل ذلك مجرد اخطاء قام بها ستالين إستفادت منها الإمبريالية عن طريق الصدفة؟

ولا بد من طرح السؤال التالي: لماذا إستمر ستالين بالولاء لبريطانية وأمريكا بعد سيطرته على قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي؟

أن الجواب على هذه السؤال بسيط جداً. وهو إن إهتمام ستالين وعصابته كان يدور حول أمر واحد لا غير، وهو السيطرة المطلقة على السلطة وإذلال الشعب وإجباره على إحترامه وتقديسه. ولهذا السبب يعود حقد ستالين على القادة المثقفين الذين لاحقهم وبادهم. فستالين يعلم بأنه في ظل الظروف الطبيعية والديموقراطية لا يمكن أن يحتل أي موقع في الحزب الشيوعي. وسيكون مصيره الطرد والملاحقة. فالطريق الوحيد لضمان سيطرته هو التحالف مع المخابرات البريطانية - الامريكية. فهذه القوة كانت تملك قدرات هائلة لضمان سيطرته. ولقد تمت سيطرة ستالين على أساس خلق مركب حزبي - حكومي مسيطر عليه من قبل هذه المخابرات. فالامر هو ليس مجرد عمالة وإنما تحالف مصيري. كما أن هذا التحالف

كان قائماً على تسخير الشعب السوفياتي وطاقاته الإنتاجية وثرواته الطبيعية وأراضيه من أجل تحقيق مكاسب للإمبريالية الغربية. وكان ثمن هذا التحالف إبادة 40 - 47 ملايين من أبناء الشعب السوفياتي. ولم تكن لهذه الأرواح أي قيمة من وجهة نظر ستالين واتباعه. وهكذا نجد بان ستالين حقق من خلال عمالته وضعه في موضع القائد المنتصر ودخل إسمه في قائمة العظماء في التأريخ البشري بإعتباره القائد الذي تمكن من القضاء على الفاشية.

ومن الجدير بالذكر ان هتلر تمكن ان يقلب على الولايات المتحدة وبريطانيا بسبب القدرات التكنولوجية الالمانية الهائلة. فكانت الشركات الالمانية الكبيرة امثال كروب ومانيسمان وسيمنس واي كيه فاربين و مجموعة أي جي سي وشركات صناعة السيارات مثل فولكس واكون ودايمليز بينز وشركات صناعة السفن وصناعة الطيران وما شاكل هي من وراء هذا الانقلاب. وكانت هذه الشركات اقوى من الكثير من مثيلاتها في غرب اوربا والولايات المتحدة. وكانت نشاطات هذه الشركات قد كبلت بعد الحرب العالمية الاولى من خلال سيطرة الحلفاء على إستيراداتها من المواد الاولية. إنما تم التحرر من هذه السيطرة في عام 1937، وذلك بفضل خطة الاربعة سنوات الالمانية 1936 - 1940 التي خلقت الاسس الموضوعية للإكتفاء الذاتي. فإذا كانت هذه الشركات قد قامت بإغراء هتلر للتخلص من تبعيته لامريكا وبريطانيا من اجل تحرير نشاطاتها الإقتصادية من القيود الموضوعية عليها، فإن امريكا وبريطانيا كانتا تقدمان الحماية لستالين من اجل وضع حزبه وشعبه تحت اقدمه وتضمن للشعب السوفياتي من طريق الولاء له استيراد الغذاء والتكنولوجيا.

### تأليه ستالين

كان ستالين بارعاً في ايجاد الشعارات الايديولوجية الخادعة لتغطية دوره الحقيقي الخياني وجرائمه النكراء. وكان يستخدم وسائل الاعلام والسينما بشكل مبالغ من أجل إبراز دوره في مواصلة مهمات لنين ودوره البطولي في تصنيع و تسليح الاتحاد السوفياتي. كما كان يسخر الرسامين والمثاليين والممثلين والمخرجين من أجل إعطائه صورة القائد او الاب. وهذه الصور كانت تترسخ في اذهان المواطنين البسطاء. ومما تجدر الاشارة إليه ان فكرة إقامة ضريح للنين كانت من بنات افكار ستالين، وذلك من اجل جعله بمثابة معبد يقوم شخصياً برعايته من اجل تصوير سياساته الاجرامية بإعتبارها مواصلة للمبادئ اللينينية.

كانت إنتصارات الجيش الاحمر الهائلة التي لعبت في إنجاحها القدرات التنظيمية الشيوعية و بطولات وتضحيات المناضلين الشيوعيين ودعمها من قبل مجمل الشعب السوفياتي ومساهمته بشكل بطولي حقاً والتي اختتمت برفع العلم السوفياتي على الرايشتاغ في برلين قد ضربت المثال للشعوب المظلومة في

القيام بحروب الانصار من اجل التحرر من جهة وترسيخ مبدأ عبادة الفرد في الإتحاد السوفياتي من جهة اخرى.

فكان الجندي السوفياتي يحارب بحماس متناهي تحت شعار من أجل ستالين والوطن متخطياً بذلك مشقات الحرب ومخاطرها. وفي هذه الظروف تسنى غرس صورة ستالين القائد البطل في ذهنية الفرد السوفياتي البسيط والشيوعي المتحمس خارج الإتحاد السوفياتي. وصورة ستالين هذه لا تزال راسخة في اذهان الشيوعيين الروس بصفة خاصة. إذ نجد اليوم عدد حاملي صور ستالين في مظاهراتهم اكثر من عدد حاملي صورة لنين. فستالين بادل فعلياً ارواح 27 مليون إنسان سوفياتي تم إفنائهم خلال الحرب العالمية الثانية من اجل تنفيذ المخططات الإمبريالية لقاء ربط إسمه بالمنتصر على الفاشية. وبسبب عدم فهم التاريخ او عدم الرغبة في معرفة الحقائق التاريخية يعزى امر هذه الضحايا الى الطبيعة الاجرامية للفاشية.

وقد ترتب على ربط الانتصار على الفاشية بستالين إزدياد طغيانه بعد الحرب الى حدود لا تصدق. كما أن الخنوع الجماعي للطاغية إتخذ ابعاداً فريدة في التاريخ الحديث. فعلى سبيل المثال عند ظهور ستالين في قاعة إنعقاد المؤتمر التاسع عشر (اول مؤتمر للحزب الشيوعي السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية) في عام 1952 انفجرت عاصفة من التصفيق أستمرت الى حوالي ثلث ساعة او أكثر. ويعود السبب في ذلك الى خوف كل فرد من الحضور بان يكون المبادر في الكف عن التصفيق).

من يطلع على تاريخ الإتحاد السوفياتي يلمس بكل وضوح بأن ستالين لم يكن يلعب دوره كعميل بريطاني - امريكي بسرية تامة وبدون معرفة وإشتراك مجموعة من قادة الحزب. فعلى سبيل المثال مولوتوف وأعوانه من كوادر وزارة الخارجية كانوا على علم بما يقومون به من خدمات لبريطانية والولايات المتحدة ومن خيانة للمبادئ الماركسية وللشعب السوفياتي من خلال مفاوضاتهم مع روبينتروب وهتلر، وذلك بالاشتراك مع وزير خارجية بريطانيا هاليفاكس ورئيس وزرائها جامبرلن وغيرهم. ومن الامثلة الأخرى كيف يستسيغ شيوعي عفاندي مثل كروميكو ان يلعب لعبة الاعتراف بالدولة الصهيونية وتيسير امر إبادة وتهجير شعب مسالم مع المجرم أبا اييان من خلال الامم المتحدة، وذلك بموجب إملاء الولايات المتحدة بالكامل؟ بلا شك كانت هذه الامور تبرر بالنسبة إلى البعض على اساس التبعية في مجالي الغذاء والتكنولوجيا.

## فضح عبادة الفرد والبدائل المستحدثة للستالينية في دعم النظام العالمي الجديد

توفي ستالين في 5 آذار 1953. وترتب على وفاته إرتباك هائل في الغرب. إذ تبين منذ الايام الاولى بعد وفاته بان العناصر التي حلت محله لم تكن قادرة على خنق المجتمع بدهائه وقسوته. وفي أيار 1953، أي بعد شهرين من موت ستالين أرسلت الولايات المتحدة وزير خارجيتها جون فوستر دالاس الى الشرق الاوسط وجنوب آسيا لدعم برامج إقتصادية. كما أكد دالاس على ضرورة إقامة مشروع لتجهيز الفلسطينيين بالماء. ومنذ اعدام بيريا في كانون الاول 1953 توضح لدى الولايات المتحدة بان النظام الستاليني في الاتحاد السوفياتي الساند للنظام العالمي الجديد قد إنتهى.

وكان مؤتمر الحزب الشيوعي العشرين للجنة المركزية في الاتحاد السوفياتي الذي عقد سرأً بقيادة خروشوف في 24 شباط 1956 أكبر حدث مقلق للولايات المتحدة آنذاك. وقامت المخابرات المركزية بإعلام مخبريها بمنح مبلغ مليون دولار مكافئة لمن يحصل على نسخة من قرارات الاجتماع. ثم تم إرسال نسخة سرية من التقرير الى القيادة البولونية. وقد تسني لأحد الصحفيين البولونيين إستنساخه وإرسال نسخة عن طريق يهود بولونيا الى بن غورين. ثم قام الاخير بإيصالها ألى الرئيس ايزنهاوير.

منذ وفاة ستالين بدأ التهيئ في الولايات المتحدة على إبعاد اي شبه لإرتباط ستالين بامريكا وبريطانيا. وذلك بالإقتصار على فضح إرتباط ستالين بالاوخرانة وبصورة مشوشة. ففي عام 1953 صدر كتاب في الولايات المتحدة تحت عنوان التاريخ السري لجرائم ستالين **The Secret History of Stalin's Crimes**، وكان ذلك اول خطوة إتخذت بهذا الإتجاه. ومؤلف الكتاب هو الجنرال (الاسكندر اورلوف Alexander Orlev)، أحد مسؤولي المخابرات السابقين لستالين الذي لجأ الى الغرب عام 1938. وفي هذا المؤلف تم تناول سر إرتباط ستالين بالاوخرانا. إلا أن الكتاب لم يثير اي إهتمام في الغرب. وقد يعود السبب في ذلك عدم ظهور علائم في الإتحاد السوفياتي لفضح إرتباطات ستالين بالغرب.

كتب (إسك دون لفين Isaac Don Levine) في نيسان 1956 مقالة في مجلة (لايف مكايزين *Life Magazine*). في عددها الصادر في 23 نيسان 1956. اي بعد شهرين من إنعقاد مؤتمر الحزب الشيوعي العشرين. وفي نفس العدد مقالة لاورلوف بإتجاه فضح عمالة ستالين للاوخرانا.

تناولت مقالة لفين كتاب صادر عن مقر الاوخرانة الرئيسي في سانت بيتيرس بورغ في عام 1913 وموجه الى احدى دوائرها في سيبيرية، تبين فيه ان ستالين المنفي حالياً في سيبيرية عمل كداعية ومخبر خلال السنوات 1906 - 1912. وقع الكتاب من قبل الكولونيل ايرمن ويلف بالروسية "يرمين". ثم اصبح هذا الكتاب معروف بإسم "رسالة يرمين" لشدة الإهتمام بها.

قضى الباحث لفين عشر سنوات في التحقيق عن صحة هذا الكتاب. إذ كان الاعتقاد السائد بان كون ستالين كان مخبراً للاوخرانة ام لا سوف يحسم في ضوء التحقيق بأصالة هذا الكتاب. إشتراك المئات من خبراء

التزوير في الكشف عن اصالة الكتاب. فالمختصون فثلاً بالورق اكدوا أصالة الورق. فهذا النوع من الورق كان يستخدم في تلك الفترة في الاوخرانة وكذلك الحبر والالة الطابعة والختم. وبالرجوع الى التوقيع وجد بأنه فيه إختلاف بسيط عن توقيع يرمين. بالاضافة الى ذلك هناك بعض المؤشرات الاخرى التي تدل على التزوير. وفي هذه الاثناء حصلت موجة تكذيب كبيرة من قبل المؤرخين السوفيات بخصوص تزوير رسالة يرمين. وفي نفس الوقت قام آلاف من الذين كانوا مرتبطين بالاوخرانة بالتأكد على كون ستالين كان عميلاً للاوخرانة بغض النظر عن صحة او عدم صحة رسالة يرمين. ثم أصبحت رسالة يرمين بحد ذاتها موضع شك. فمن هو مزور رسالة يرمين؟ وماذا يبغى من خلال نشرها؟ ذلك ان هذا المزور كان في وسعه الحصول على ورق الاوخرانة الاصيل وحبرها وطابعاتها وختمها ويتكلم بلغتها. ومن هنا بدء الاهتمام بالمزور. إذ تم الاعتقاد بأن ستالين هو الشخص الوحيد الذي كان بإمكانه القيام بمثل هذا التزوير المحترف بواسطة اتباعه، وذلك بعد كشف التزوير سوف يبعد الشكوك بكونه مخبر سابق للاوخرانة. وبالفعل بعد كشف الأرشيف الروسي تبين أن رجال ستالين قد ملؤا ملفات ستالين بمثل هذه التزويرات من اجل جعل حقيقة كون ستالين مخبر قيصري مجرد اكذوبة. بهذه الطريقة أريد التمويه على إرتباطات الستالين بالمخابرات الغربية.

بموجب معظم الروايات التي رويت بخصوص ما دار من حوار في المؤتمر المذكور خلف الكواليس يتبين بأنه لم يكن خفياً على المجتمعين من هو ستالين. إلا ان المشكلة التي واجهة القيادة الجديدة هي كيفية فضح حقيقة ستالين امام المجتمع. وبهذا الخصوص يتبين بأنه كان تقريباً وجود اجماع تام حول تجنب كشف حقائق من شأنها اضعاف ثقة المواطنين بالنظام الشيوعي والدولة السوفياتية. وذلك تحاشياً لما سيترتب على ذلك من مصاعب للقيادة الجديدة في السيطرة على المجتمع. لهذا السبب اقتضت قرارات الاجتماع المذكور على إدانة وفضح عبادة الفرد. وقد اريد بذلك مجرد فضح الاجرام الستاليني بدون معرفة الاسباب الداعية له.

قام خروشوف بثورة حقيقية من خلال نفسه للستالينية. فتم تحرير مئات الآف من معتقلي الكولاك وغلقت هذه المعتقلات. ومنذ إعدام بيريا اخذ الاتحاد السوفياتي بالتوجه الى توسيع رقعة الانتاج الزراعي، خصوصاً من خلال إستزراع الاراضي البكر في كازاخستان وتوسيع طاقات قطاع البناء من خلال نقل تكنولوجيا الابنية الجاهزة وزيادة الطاقات الإنتاجية للصناعات الإستهلاكية. كما استحدثت ثورة تكنولوجية في مجال الصناعات البتروكيمياوية. وزاد الاهتمام بالخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية وما شاكل. وإنعكس الاهتمام المتزايد في المجال الرياضي بفوز الاتحاد السوفياتي لأول مرة بالدورة الاولمبية في ملبورن في عام 1956. وترتب على الجهود الهائلة التي بذلت في الاتحاد السوفياتي آنذاك من أجل خلق

القدرات التكنولوجية اللازمة لمواجهة التفوق العسكري الغربي بإطلاق السبوتنك السوفياتي في عام 1957.

ومنذ سيطرة خروشوف بدأ وجهاً جديداً للاتحاد السوفياتي بالظهور في العالم الخارجي. فبدلاً من نصره الصهيونية بدأ الاتحاد السوفياتي بنصرة العرب عسكرياً ودبلوماسياً. وقبل ذلك بدأت ابعاد دور ستالين الاجرامي في مساندة الولايات المتحدة في فرض سيطرتها على الشرق الاوسط وجنوب شرق آسيا بالوضوح. إذ اضطرت الولايات المتحدة بسبب انهيار الستالينية التي كان النظام العالمي الجديد مستنداً عليها على توقيع الهدنة مع كوريا والفييتنام في عام 1954.

ثم بادرت الولايات المتحدة وحلفائها بالاسراع الى ايجاد بدائل للستالينية لاسناد النظام العالمي الجديد. واهم هذه البدائل إقامة الحلف الباكستاني - التركي عام 1954. وقد خلفه الإتفاق العراقي التركي الذي كان النواة لحلف بغداد "شباط 1954". ثم حلف بغداد 1956 ونظرية ايزنهاوير التي بدء التبشير فيها في عام 1956.

كما إنعكس التراجع الامبريالي الغربي بعد انهيار الستالينية من خلال حدوث فراغ سياسي سمح بتأميم قتال السويس وبظهور حركة عدم الانحياز في عام 1956 وحركة انصار السلم وما شاكل.

وبعد فترة قصيرة من إقامة الحلفين العسكريين المذكورين اعلاه تبين انه من الصعوبة إدامتهما بسبب تكاليفهما المرتفعة. وهذا ما سبب العجز في ميزانيات الدول المشاركة بالحلفين بسبب الانفاق الهائل على مشاريع البنية التحتية اللازمة وعلى تجنيد اعداد إضافية كبيرة من الجنود. كما ان الانفاق على هذه الامور اصبح السبب في زيادة الغليان الشعبي في البلدان ذات العلاقة. فعلى سبيل المثال كان مجلس الاعمار في العراق قد اسس لهذا الغرض. وكانت معظم مشاريع مجلس الاعمار مناقضة تماماً لأبسط إحتياجات الشعب العراقي الذي كان ينوء تحت وطئة الفقر. فعلى سبيل المثال تم تخصيص مبالغ كبيرة من قبل مجلس الاعمار لبناء مطار عسكري في بامرني لأغراض حلف بغداد في الوقت الذي كانت كردتسان العراق بأمس الحاجة الى كهرباء وخدمات طبية. وقد حاولت بريطانيا إخفاء نواياها عن طريق إقامة بعض المشاريع المفيدة بواسطة مجلس الإعمار مثل سد دوكان.

ثم إستبدال اسلوب دعم الانظمة البالية بواسطة الأحلاف المكلفة بإساليب إقامة انظمة تخريبية محلية بايديولوجيات وطنية وقومية زائفة من اجل خلق صراعات داخلية ومحلية من شأنها تمزيق الوحدة الوطنية وسلب إستقرار هذه البلدان وتيسير امر ملاحقة القوى التقدمية فيها وبالتالي تيسير امر ونهب ثرواتها القومية. وهكذا إستخدمت شعارات الوحدة العربية الفوقية الفارغة وايديولوجية القومية العربية المزيفة كوسائل لسلب إستقرار البلدان العربية. وسخر حزب البعث العربي الإشتراكي والاتحاد الإشتراكي العربي لترويج هذه الإيديولوجيات. وكانت الوحدة العربية بين سوريا ومصر في العام 1957 اولى ثمرات هذه السياسة، حيث ترتب عليها القضاء على الإنفتاح الهائل الذي حصل في سوريا وتحويلها

إلى نظام دموي. كما استكملت الإستعاضة عن حلف بغداد بانتفاضة 14 تموز 1958 المسلحة كجزء من خطة متكاملة إستهدفت تمزيق الوحدة الوطنية في العراق وإعادة تكبير المنطقة من العراق إلى مصر.

ومن الجدير بالذكر كان امر سرية عمل تنظيمات الضباط الاحرار في العراق مجرد اسطورة لايمكن أن تقوم على اسس منطقية. فقبل كل شئ كانت القيادة المصرية المنخورة من قبل المخابرات المركزية والإسرائيلية على إتصال وثيق بتنظيمات الضباط الاحرار. كما أنه لا يعقل بأن يكون تعاون قيادة الضباط الاحرار الوثيق مع الاحزاب الوطنية في المرحلة الاخيرة من الاستعدادات للقيام بالانتفاضة المسلحة قد تم بسرية كاملة بسبب إختراقها جميعاً من قبل اجهزة المخابرات الاجنبية. أضف إلى ذلك حقيقة إنكشاف أمر تنظيمات الضباط الاحرار نتيجة وشاية وتعهد المخابرات العسكرية الملكية إلى غض الطرف عنها والتستر عليها. فالمخابرات الغربية عملت ما في وسعها على الحفاظ على السرية الشكلية لهذه التنظيمات ومهدت لها من حيث لا يعلم قادتها كل السبل اللازمة لإنجاحها.

ويقع الكثير في خطأ الخلط بين إنجازات الحركة المسلحة في 14 تموز والتخطيط لنجاحها. فإنجازات هذه الحركة المسلحة مثل الدستور المؤقت والإعتراف بالحقوق القومية للکرد والإصلاح الزراعي وقانون رقم 80 الخاص بإستغلال الثروات النفطية تعبر عن وطنية الضباط الاحرار.

ومما تجدر الإشارة إليه لم تكن بعض هذه الإنجازات مهددة للمصالح الغربية. فعلى سبيل المثال لم يكن الإصلاح الزراعي مقلق للإمبريالية في هذه المرحلة. فبعد تصنيع الزراعة في الخمسينات من القرن الماضي في الغرب لم تعد للصادرات الزراعية العراقية أهمية تذكر. اما القانون رقم 80 فكان مقلقاً للشركات النفطية وتم حسم امر الجمهورية الاولى بمجرد التحرش به. وبقدر تعلق الامر بمسألة الحقوق القومية، فقد سحقت هذه الحقوق من قبل قائد الحركة المسلحة شخصياً.

وكان سحق الحقوق القومية الكردية من قبل الحكومات التي اعقبت العهد الملكي في العراق قد إستخدم من اجل إنهاك العراق باعباء الحروب التي تترتب على ذلك وتفاقم مضاعفاتها الإقتصادية والسياسية على مجمل الشعب العراقي عرباً واكراداً. ففي العهد الملكي كانت بريطانيا تلقي بكافة قدراتها العسكرية والدبلوماسية من اجل قمع الحركات القومية الكردية المسلحة للحفاظ على سيطرة السلطة الملكية على التراب العراقي. في حين كانت جميع المخابرات الغربية ترمي بكل قدراتها من داخل وخارج العراق من اجل ايقاد نار هذه الحروب و تأجيجها إبتداءً من عهد الزعيم عبد الكريم قاسم. ولم تسلم اي حكومة من الحكومات المتعاقبة من مشكلة تأجيج هذه الحروب.

الجزء الاول: معضلات التحرر الوطني في العراق منذ الاحتلال البريطاني إلى سقوط  
جمهورية العارفين



## الفصل الاول: الإستعمار البريطاني للعراق

### العرب والكرد في الاعوام الاولى للحرب

كانت اسباب نشوب الحرب العالمية الاولى في الاساس اعادة تقسيم المستعمرات ومناطق النفوذ. وان ممتلكات الدولة العثمانية بما فيها البلاد العربية وكرديستان كانت من اهم اهداف هذا التقسيم. واذ دنت الحرب كان يحدو الثالث القائد للحكومة التركية انور وطلعت وجمال (السفاح) حلم تركيا الكبرى، بضم اقطار من اسيا الوسطى اطلقوا عليها اسم طوران، (بشمول الاسم على عموم المنطقة). ويتصل بهذا الهدف ارتباط أولئك القادة الترك بالامبراطورية الالمانية – التي كانت تعمل لتحويل كل من تركيا وايران الى منطقتي نفوذ لها، فضلا عن مطامعها في مناطق كانت تابعة الى روسيا القيصرية. واذ انضمت تركيا رسميا في الحرب الى المانيا في تشرين الثاني (نوفمبر) 1914 كانت المشكلة في نظرهم هي محض القضاء على الوجود القومي للكرد والارمن الذين تقع اوطانهم بين ترك الاناضول وطوران، اي اقطار آسيا الوسطى التي يتكلم سكانها بالتركية. وقد اطلقوا على هذه الحرب تسمية "الحرب المقدسة".

كان القرويون الاتراك الذين عبوا بالجملة وارسلوا على عجل الى كافة جبهات "الحرب المقدسة" قد دفعوا الثمن غاليا. وكان من سخریات التعبئة التركية في تلك الحرب انهم لم يتقوا بالمجدد العربي فارسلوه الى الجبهات الحربية في هضبة الاناضول. فمات الكثيرون منهم بامراض الديزانتريا والتيفوس. كما ارسلوا الجنود الترك الجبليين من الاناضول الى جبهة البصرة، فتعرضوا لامراض الملاريا. وكلا النوعين من الامراض شديدة على الاجانب لا يكاد يشفى منه الا القليل. ولما دنت تلك الحرب كان العرب والكرد بوجه عام عثمانيين يدينون بالولاء للخليفة. اما من لجأ منهم الى اقامة تجمعات وطنية في اعقاب ارتداد قادة تركيا الفتاة منذ اواخر عام 1909 وانتهاجهم سياسة شوفينية الدولة الكبرى، فلم تكن لهم اي مناهج مبنية على تحليل تاريخي لمقومات الاستقلال. وانما كانت تجمعاتهم بوجه رئيس ردود فعل عاطفية هدفها الحفاظ على الكيان القومي ضد تلك السياسة. ولذا فاذ نشبت الحرب تفرقت السبل بين الكرد كما تفرقت بين العرب. فبالنسبة الى موقف الشعب الكردي من الحرب: لم يجمعهم جامع على عموم رقعة كردستان. فقد استجاب الزعماء الاقطاعيون في الشمال جارين وراءهم الكثرة بالمشاعر الدينية الى الدفاع عن الدولة الاسلامية (تركية) ضد دولة مسيحية ذات صلات بالارمن والاثوريين.

### طالب النقيب

في البصرة كان طالب باشا النقيب ذا نفوذ وقوة واقعية بما تحت يديه من عصابات منفذة. كما عرف بنفوذه السياسي ومعارضته للسياسة التركية حيال البلاد العربية. وادراكا من بريطانيا لهذا الواقع بدأ

قنصلها في المحمرة بمفاوضة طالب باشا للانضمام الى بريطانيا في الحرب، على ان يكون حاكما باسمها على البصرة والناصرية والعمارة.

فأجاب طالب النقيب على هذه المقترحات بمذكرة قدمها بنفسه تتضمن مشروعا باستقلال البلاد تحت الحماية البريطانية. فاجيب بالرفض. لم يشأ محاربة الترك كما انه اصبح يخشى الانكليز خرج من البصرة بمناورة لاجئا الى امراء الخليج - امراء الكويت والامام عبد العزيز ابن سعود. ولكنه لم يجد قبولا من أولئك الامراء بتحمل لجوئه فاضطر الى الاستسلام الى بريطانيا فاسر ونفى الى الهند. وقد دخل الجيش البريطاني البصرة في تشرين الثاني 1914.

لقد استجاب لنداءات الحكومة التركية، ودعايتها للدفاع عن الاسلام رجال الدين البارزين من الشيعة، والى جانبهم قبائل الفرات الاوسط والعمارة. وذلك رغم ما كانوا يكونون من كره للحكم التركي بسبب الاضطهاد الذي كان يمارسه ضدهم. وشارك في الجهاد من السنة قبيلة المنتفك بقيادة اعجمي السعودون. وشارك الشاب جعفر ابو التمن في تجهيز المجاهدين نيابة عن عمه (من حديث لي معه عام 1943). وقد خاض المجاهدون العراقيون الحرب منذ اوائل مراحلها بدءا بالشعبية قرب البصرة، حتى بلغ الزحف البريطاني تجاه الناصرية في آب 1915.

#### انضمام قسم من الحركة القومية العربية الى جانب بريطانيا

فمنظراً الى القيود التي كانت الحكومة التركية تفرضها على شريف مكة (الشريف حسين بن علي) وما خلفه ذلك الاضطهاد من عدا، وبناء على مركزه الذي كان معترفا به كابرز زعيم عربي، وان تجدد هذا العدا عنيفا باعدام خمسة وثلاثين وطنيا عربيا باحكام عرفية اصدرها ونفذها جمال (السفاح)، فقد بادر الشريف حسين الى مراسلة مكماهون المعتمد البريطاني في مصر بشأن انضمامه الى الجانب البريطاني في الحرب ضد تركيا. وانتهت المراسلة بالاتفاق على وعد بريطانيا بتأليف دولة عربية مستقلة تمتد بين الخليج الفارسي شرقا والبحر الاحمر وقناة السويس والبحر الابيض المتوسط غربا وحدود ولاية حلب وولاية الموصل شمالا والبحر العربي جنوبا. وقد ختمت المراسلة ببعض الاستثناء والغموض بشأن بعض المنطقة المطلة على البحر الابيض المتوسط.

لم تكن اهمية انضمام الشريف حسين الى جانب بريطانيا بما قامت به قوات الحجاز بقيادة فيصل وارشاد الجاسوس البريطاني الشهير لورانس بوصفها قوة اضافية الى جانب قوات الحلفاء التي كان يقودها الجنرال اللينبي، بل ان اهم من ذلك اضعافا مضاعفة التأثير السياسي لانضمام شريف مكة الى جانب بريطانيا وحلفائها في معظم الاقطار الاسلامية او التي فيها سكان مسلمون مثل الهند (قبل ان تنقسم الى هند وباكستان).

ولم تكن اهمية انضمام قيادة الشريف حسين قاصرة على موقف مسلمي الهند. فانه كان الزعيم الاول المعترف بزعامته من قبل السياسيين الذين كانوا يمثلون البلاد العربية في البرلمان التركي. وحتى في

العراق الذي وقف ضد الفتح البريطاني، ولم تفلح جهود بريطانيا لتخلق فيه حركة موالية لها ولو رمزية – لم تخل حركة الحسين من التأثير لاحقا على بعض ممثلي الاوساط الوطنية (انظر موضوع الاستفتاء حول تنصيب الملك فيصل).

### خيانة متعددة الوجوه

قبل ان يتم الشريف حسين مخابراته مع مكماهون، فيطلق الطلقة الاولى اعلنا للثورة في 10 حزيران 1916، كانت بريطانيا وفرنسا قد اعدتا اتفاق سايكس – بيكو التأمري لاقتسام ممتلكات الامبراطورية العثمانية. وذلك بناء على مفاوضات قام بها وزيراً خارجية البلدين سايكس وبيكو لاقتسام ممتلكات الدولة العثمانية وفي ضمنها الاقطار العربية.

واخيرا انتهت المساومات بين قادة الصهيونية وبريطانيا على وعد بلفور سىء الصيت في 2 تشرين الثاني 1917 وقد تم ذلك بعد التشاور بين بريطانيا والولايات المتحدة ورغم التخفيف المقصود في صيغة ذلك الوعد (باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين). كان الصهاينة يسيرون على خطة غير مجهولة لاستعمار فلسطين وتغيرها ديمغرافيا، اي تغير سكانها، بتصفية شعبها العربي. وقد سبق هذا الاعلان اتفاق قادة الصهاينة مع حكومة هتلر ضد اليهود في المانيا واوروبا. ولقد كان في وعد بلفور نقض مزدوج. نقض لتعهد بريطانيا للشريف حسين حول الدولة العربية. ونقض لاتفاق سايكس – بيكو سىء الصيت ايضا حول اقامة ادارة دولية في فلسطين. واشد تلك التناقضات سخرية ومأساوية هو وجود نقيضين في حلف وكفاح عسكري في معسكر واحد هو معسكر الامبريالية البريطانية وحلفائها: هما (ثورة) الشريف حسين من جانب والصهيونية العالمية من جانب اخر. ولقد مرت فترة كانت قيادة الشريف حسين على جهل بتلك المؤامرات والاتفاقات السرية، وكان اول فضح معروف عالميا لتلك المؤامرات بيانات ثورة اكتوبر.

ولا ريب ان لهذين الموقفين من الحرب، موقف العراق المعادي للامبريالية البريطانية، وموقف الحجاز ومن سار في ركابها، اثرهما المتباينين لاحقا في الاحداث الثورية التي جرت في العراق وسورية. ولانقول ذلك على وجه الشمول، فقد وجد في العراق من البصرة الى المناطق الوسطى حتى كردستان من تطلعوا الى الحماية البريطانية – في فترات مختلفة حسب مصالحهم الذاتية – والطبقية وانما نعني تطور الاحداث العام.

في 1 آذار من عام 1916 انتهت محادثات وزيرى خارجية بريطانيا وفرنسا الى تهيئة تمهيدية لاتفاق الدولتين بشأن تقسيم تركيا الاناضولية، وقدمها الى الحكومة الروسية للمصادفة عليها. وقد تضمنت هذه الوثيقة – فيما تضمنته تقسيم كردستان بالاحاق المباشر او بصورة منطقتي نفوذ.

### الإحتلال البريطاني للعراق

دخل الجيش البريطاني البصرة في تشرين الثاني 1914 وخلال ثلاثة اعوام ونيف استطاع التقدم نحو بغداد فاحتلها في اذار 1917. ولم تكن الحرب في هذه الجبهة دون عقبات خطيرة، رغم رجحان القوة العسكرية البريطانية. وكان من اعظم تضحيات بريطانيا في تلك الجبهة الحصل الذي ضربته الترك حول جيش بريطاني في الكوت حتى تم استسلامه باسلحته مع قاداته.

وقد دخلت القوات البريطانية بغداد في 11 آذار 1917. وبعد ثمانية ايام وزع المنشور البريطاني باسم القائد الجنرال مود في 19 آذار 1917. وكان مما جاء فيه "ان جيشونا لم تدخل مدنكم فاتحين بل محررين...."

يمكن اعتبار احتلال الجيش البريطاني لبغداد بدء مرحلة جديدة في الحرب على جبهة ما بين النهرين: انها — حسب ما بدى لبريطانيا وحلفائها انها مرحلة الحسم عسكريا. ولذا فالى جانب مواصلة الحرب شمالا تجدد النشاط الدبلوماسي في الميدان الدولي واخذت حكومات دول الوفاق (الحلفاء) تتسابق الى محاولات تقاسم الاسلاب.

بادرت الحكومتان البريطانية والفرنسية الى اعلان تصريحهما المشترك الذي ادعيا فيه: ان ليس للدولتين غاية سوى تحرير الشعوب التي كانت مضطهدة من قبل الترك، واصبحت مهددة بالخطر الالمانى. وقد اعيد نشره في بغداد في 15 تشرين الثاني 1918 وفيما يلي نصه:

ان الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسا، وبريطانيا العظمى، هو خوض غمار الحرب في الشرق من جراء اطماع المانيا هي: تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت اعباء استعباد الاتراك تحريرا تاما نهائيا وتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين ومحض اختيارهم، ولتنفيذ هذه الغاية قد اتفقت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى على تشجيع ومساعدة انشاء حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين ومحض اختيارهم. ولتنفيذ هذه الغاية قد اتفقت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى على تشجيع ومساعدة انشاء حكومات وادارات، وطنية في كل من سورية والعراق، وقد حررها الحلفاء فعلا، وفي الاقطار التي يسعى الحلفاء في تحريرها والاعتراف بهذه الاقطار بمجرد تأسيس حكومتها تأسيسا فعليا، وان فرنسا وبريطانيا العظمى لاترغبان في وضع انظمة خاصة لحكومات هذه الاقطار بل لاهم لهما الا ان تضمنا بمساعدتهما ومعاونتهما الفعلية سير امور هذه الحكومات والادارات التي يختارها السكان الوطنيين سيرا معتدلا، وان تضمنا سير العدل الشامل الخالي من شوائب المحاباة، وان تساعدا التقدم الاقتصادي بانهاض همم الاهليين وتشجيع مشاريعهم، وان تساعدا على تعميم التعليم والتهديب وان تضعا حدا للتفريق الذي طالما توخاه الاتراك في سياستهم. هذه هي الخطة التي ستسير عليها الحكومتان المتحالفتان في الاقطار المتحررة (ص 21 من كتاب تاريخ الثورة العراقية للسيد عبد الرزاق الحسني).

وفي حزيران 1918 سافر سر برسي كوكس اول مندوب سامي في العراق الى مارسيليا ليقابل شريف باشا الذي صار فيما بعد رئيس الوفد الكردي لمؤتمر السلام. فبحث معه موضوع اقامة كردستان مستقلة او متمتعة بحكم ذاتي.

وعلى الساحة العسكرية بينما كانت الجيوش تتقدم باتجاهي كركوك والموصل تجدد نشاط الجواسيس المتضلعين الذين عملوا في كردستان منذ العهد العثماني. وقد استطاعت طلائع الجيش البريطاني احتلال كركوك في ايار 1918، ثم انسحبوا منها امام ضغط الترك، ولم يعودوا اليها الا بعد استسلام مودروس. وفي جبهة الموصل كان الجيش البريطاني على بعد بضعة كيلومترات حين اعلن اتفاق مودروس.

### اتفاق هدنة مودروس 1918

لقد كان اشعال الحرب العالمية الاولى مواصلة لاهداف سياسية التنافس بين الاستعماريين لتقاسم المستعمرات ومناطق النفوذ، التي كان من اهمها ممتلكات العراق العثمانية. وكان استسلام تركيا باتفاق مودروس قد فتح عهدا جديدا في تلك السياسة بالنسبة الى شعوب الامبراطورية العثمانية: عهد مواصلة اغراض المستعمرين على خطين اثنين. خط النشاط السياسي والمؤامرات والمؤتمرات الدولية لتقاسم الغنائم بين مجموعة الذئاب المنتصرين (كتلة الوفاق "الحلفاء"). وخط مواصلة الحرب لاتمام اخضاع الشعوب التي لم تخضع بعد للنير الاستعماري. واذ وقع اتفاق مودروس ترك في تركيا ذاتها فراغا عسكريا وسياسيا. اما جبهة العراق وكردستان، وجبهة سورية فقد كانتا تتوءان بقوات الاحتلال البريطانية والفرنسية.

"وضعت هدنة مودروس (30 تشرين الاول 1918) نهاية للاعمال الحربية وكرست استسلام الامبراطورية العثمانية تجاه قوات الحلفاء وكاد الشعب التركي الذي يقوده قوميون في اوج الحمى لاحتلال طوران، كاد هذا الشعب في هذه المغامرة ان يفقد تركيا الام. فالاسطول البريطاني يخر في عرض البوسفور، القوات الفرنسية، البريطانية، الايطالية واليونانية تحتل ثلاثة ارباع الاقليم التركي باستثناء السهوب القاحلة لآسيا الوسطى وجزء من ساحل البحر الاسود. وكان الاتحاديون قد لاذوا بالفرار ولم تكن سلطة السلطان وحكومته تتجاوز اطلاقا حدود العاصمة العثمانية. وفلول ما كان جيشا عثمانيا تفتت، والضباط اليائسون منهمكون بصورة خاصة بمصيرهم الشخصي، والجيش العثماني ينحل ليترك مكاناً لحرس امبراطوري رمزي. وروسيا التي ينبغي ان تضم اليها الجزء الاكبر من كردستان بموجب معاهدة سايكس - بيكو اصبحت سوفيائية ولم يعد لها مطامع اقليمية في البلدان المجاورة. والجيش الفارسي كان كمنظيره الجيش العثماني بحالة تدعو الى الرثاء.

وفي الجبهة السورية: تم طرد الجيوش التركية في شهر تشرين الاول 1918 الذي تم فيه اتفاق مودروس. قام بذلك الجيش البريطاني الذي يقوده اللينبي، بمساعدة جيش الحجاز العربي بقيادة الامير

فيصل بن الحسين. وقد يسرت ذلك الانتفاضة الوطنية التي نشبت في سورية ولبنان ضد الترك، وكفاح الانصار الذي خاضه الفلاحون والرحل في سورية.

ولقد اقام فيصل حكومة في دمشق واعلن نفسه ملكا، الا ان بريطانيا وفرنسا واصلتا اتفاقاتهما التأميرية على اساس اتفاق سايكس - بيكو وتعديله. فبدأ تمهيد بريطانيا للجيش الفرنسي كي يحتل سورية ولبنان منذ خريف 1919. وعند اجتماع مجلس الحلفاء الاعلى لدول الوفاق في سان ريمو اقر المجلس ما اتفقت عليه الدولتان: بانفراد بريطانيا بالانتداب على فلسطين وبناء سكة حديد حيفا بغداد. ومد خط لانابيب البترول من العراق الى البحر الابيض المتوسط عبر ما سيصبح منطقة النفوذ الفرنسية.

### الجبهة السورية

بناءً على الاتفاق بين الدولتين سحبت بريطانيا جيوشها من سورية ولبنان في خريف 1919، وبالمقابل زيد عدد القوات الفرنسية في سورية الغربية ولبنان (من 7 آلاف، حتى بلغ 70 الف في اواسط عام 1920) واخذت تستعد لاحتلال سورية الشرقية. وفي الوقت ذاته كان حركة التحرر الوطني في تصاعد في المدن والارياف معا كان من ابرزها انتفاضة منطقة اللاذقية في ايلول 1919. وفي تموز 1919 انعقد المؤتمر السوري العام. وطالب مؤتمر الصلح المنعقد في باريس بالاعتراف باستقلال سورية. وفي خريف 1919 انشئت الجمعية الوطنية، واشترك فيها ممثلو العديد من المدن والمناطق ومختلف التيارات السياسية. وكان النشاط واسعا بين الجماهير لجمع السلاح والاموال وتسليح المتطوعين. وفي مستهل 1920 وقع فيصل مع كليمنصو رئيس وزراء فرانس اتفاقا يعترف فيه من حيث الجوهر بالحماية الفرنسية على سورية الشرقية (وكان ذلك قبل مؤتمر سن ريمو وعلان الحماية الفرنسية على سورية ولبنان). ولكن الاتفاق جوبه بمقاومة جماهيرية. وقد قام فيصل باجراءات رجعية ضد النشاط الوطني الجماهيري. فحل الجمعية الوطنية ومنع تقديم المساعدة لفصائل الثوار. وفي آذار 1920 (قبل اتفاق سن ريمو وعلان الانتداب) اعلن فيصل نفسه ملكا على سورية.

وفي نيسان 1920 نالت فرانس في مؤتمر سن ريمو الانتداب على سورية ولبنان، وفي هذه الفترة كان الغليان الشعبي في البقاع ايضا لمقاومة الاحتلال الفرنسي. وجرت مراسلات بين فيصل والجنرال غورو بين 11 تموز و14 تموز كان مضمونها اذار سورية بضرورة تنفيذ شروط منها: الغاء التجنيد وتسريح الجيش.

وفي 18 تموز نهاية مدة الانذار نفذ الملك شروط غورو بما فيها تسريح الجيش. وفي 20 امرت حكومة فيصل الجيش بالانسحاب من الموقع الامامي (قرية مجدل عنجر) الى دمشق. وكان الامر بتوقيع قائد موقع دمشق ياسين الهاشمي. وبينما كان الجيش الفرنسي يقصف الوحدات العربية السورية ضئيلة العدد، وهي نحو سرية واحدة في كل موقع، تغير الموقف في دمشق خلافا لموقف فيصل. فصدر الامر بالتصدي والمقاومة.

وقد كان لدى الجيش العربي ذخيرة تكفي للمجابهة لساعتين فقط. (حسب تقرير ياسين الهاشمي الذي عين رئيسا لاركان جيش الدفاع عن سورية). وكان قوام الجيش بعد التسريح 350 جنديا، ونحو 1500 متطوع (حسب تقرير تصريح الملك فيصل لمراسل مورتنك بوست الذي قابله في (1) ايلول 1920 في ميلان).

وقد خرج يوسف العظمة لمقاومة الغزاة فاستشهد في فجر 24 تموز 1920 في ميسلون عند عقبة الطين. لقد كانت مجابهة يوسف العظمة عملية انتحارية كما وصفها الملاحظون المعاصرون (تقدير ساطع الحصري) ولكن دافعها رد فعل ضد عدو غاز للوطن وانصياح حكومة الملك فيصل لشروط قائد الغزو الفرنسي التي لم تكن مذلة فحسب، (فقد يحدث الاضطرار لقبول شروط مذلة على اساس خطة للحفاظ على موقع تاريخي)، بل كان تنفيذها في الواقع عملية استسلام مطلق، وامل في إبقاء عرشه على اعمدة فرنسية.

خاض يوسف العظمة المعركة بهذه القوة الصغيرة واستشهد معه 60 من رجاله من جندي ومجاهد متطوع. وقد قيل فضلا عن كل عناصر النقص الاخرى ان بعض الذخيرة كانت من غير عيار مع الاسلحة التي بايديهم. سقطت مملكة فيصل في معركة ميسلون ودخلت الجيوش الفرنسية دمشق. وفيصل لم يزل يحلم بالاتفاق مع غورو واستمرار عرشه بعد ان الف وزارة علاء الدروبي الموالي للفرنسيين.

### الجبهة العراقية

اما الجبهة العراقية التي هي صلب موضوعنا فقد كانت مزدحمة بجيوش الاحتلال البريطاني فكانت الحقبة التالية حقبة الفتح والاعمال التأديبية كما كانت في الوقت ذاته حقبة الانتفاضات المسلحة. عند عقد مودروس في 30 تشرين الاول كانت تركيا اعترفت باحتلال ما بين النهرين بينما كان الجيش البريطاني على بعد عشرين ميلا عن مدينة الموصل. الا ان القيادة البريطانية او عزت الى قائدها باحتلال الموصل. وقد تم ذلك في اليوم الثاني من تشرين الثاني 1918. وعبئاً احتج قائد الجيش التركي احسان باشا بان ما بين النهرين لاتشمل الموصل. بينما استند القائد البريطاني الى المادتين 7 و 16 (من الاتفاق) وبموجبها للحلفاء الحق في احتلال اي نقطة استراتيجية، اذا ما تبين لهم اي امر يهدد قواتهم. على ان الموضوع لم يكن موضوع حقوق او مواد متفق عليها، فأين تلك النصوص من احتلال بقية كردستان؟

وبينما كان الجيش البريطاني يتقدم في الشمال رأت بريطانيا ان الفرصة مؤاتية لتوسيع نفوذها زيادة على اتفاق سايكس – بيكو. فتفاوض رئيس وزرائها لويد جورج مع رئيس وزراء فرنسا كليمنصو. وتمكن باقناعه بالتخلي عما يتعلق باقليم (الموصل) من منطقة النفوذ الفرنسية حسب اتفاق سايكس –

بيكو. لقاء تأييد بريطانيا لشمول النفوذ الفرنسي اقليم (كليكييا). وكذلك منطقة دير الزور والجزيرة من ولاية الموصل عند تحديد الحدود بين مناطق نفوذ الدولتين.

ومن قبل اتفاق مودروس كانت القوات البريطانية تواصل اعمال القمع والتأديب لاختصاص البلاد، كما كانت الاضرابات والتمردات في وادي ما بين النهرين وفي منطقة كردستان: في العمادية وبرواري بالا وزاخو وسواره توكة وعقرة... كلفت بريطانيا خسائر بالضباط والجنود واقلقت استقرارها.

### انتفاضة السليمانية الاولى وثورة العشرين

كانت السليمانية مركزاً للانتفاض ضد الحكم العثماني وفيها قامت انتفاضة عبد الرحمن باشا بابان في 1906-1907. وكانت منذ وقت طويل مركزاً للانبعاث الثقافي والقومي الكردي. وقد قدمت رجال فكر وضباطا كبارا في الجيش العثماني. وسنرى انها ستقدم لاحقا لحكومة العراق التي نشأت بعد الحرب والتسويات اللاحقة رجال فكر وضباطا بلغوا اعلى المراتب في الدولة وفي الجيش العراقي. وفي السليمانية عائلة ذات نفوذ روحي وقوة قبلية وتقاليد في الانتفاض على السلطة التركية. وقد حافظت على قدر من الاستقلال الواقعي رغم التبعية الرسمية للسلطان التركي، هي العائلة البرزنجية التي كان قائدها الشيخ محمود آل حفيد (بمعنى إنتسابه الى الامام علي الخليفة الرابع كرم الله وجهه، وإلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن إبنته فاطمة). واذ تغلغل الجيش البريطاني في الشمال كانت الانظار تتجه الى السليمانية وقيادة ابرز شخصية فيها - الى الشيخ محمود الحفيد - أنظار القوميين الكرد الطامحين الى الاستقلال وانظار كل من قيادة بقايا الجيش التركي، وقيادة الجيش البريطاني كل منهما تبتغي تعزيز موقعها بالإستفادة من نفوذه.

عندما تقدم الجيش البريطاني لاحتلال كركوك في ايار 1918، اي قبل اتفاق مودروس، اطلق قائد الجيش التركي سراح الشيخ محمود الحفيد واوكل اليه ليوقف امام الزحف البريطاني. الا ان الجيش البريطاني كان قد تراجع امام الترك ولم يعد الا بعد اتفاق مودروس.

وكما يروي ارلوند ويلسون "ان الشيخ محمود ارسل طلبا الى بغداد بعد اتفاق مودروس يعلن فيه استعداده لتسليم الحامية التركية في السليمانية الى القوات البريطانية. فعهد هذا الى ميجر نوئل بالسفر الى السليمانية للمفاوضة". فوصلها في منتصف تشرين الثاني 1918. فاعلن تعيين الشيخ محمود حاكما على السليمانية. وعين له راتبا شهريا، وعين رؤساء القبائل المجاورة حكاما على الوحدات الادارية واحل موظفين كرد محل العرب والترك. واقام ادارة قبلية من رؤساء القبائل على ان يكونوا مسؤولين اداريا عن قبائلهم. واعلن ميجر نوئل نفسه باسم سلطة الاحتلال البريطانية مستشارا عسكريا للشيخ محمود.

كانت الحرب بمأسيتها ومضاعفاتها قد شملت هذه المنطقة، اذ كان السكان يعانون في كلتي منطقتي الاحتلال البريطاني والتركي نقصا خطيرا بالمادة والغذاء بل المجاعة بافطع صورها، وما يرافقها وينشأ عنها من امراض. فقد كانت الحكومة التركية جندت قوى الرجال العاملة وارسلتهم الى جبهة



القتال في الاناضول، وقد مات كثرتهم من البرد ونقص الغذاء وما يتصل بذلك من امراض، وبخاصة الديزانتريا والتيفوس، وصادرت الحيوانات وتعرض القرويون لغارات عصابات البدو ينهبون ما بقي من حيوان، وحتى البذور، وقد عاش كاتب هذه السطور وبلدته عنة هذه المأساة ذاتها يضاعفها وجود عدد كبير من الارمن الذين هجرتهم السلطات التركية، وتكديسهم في مساكن غير صحية وسوء عيشهم. وقد عز على الناس حتى العشب، وان الجوع والابوثة قد اودت في الموصل بعشرة الاف شخص في شتاء 1917 - 1918 اضافة الى ذلك كله كانت الفوضى تسود هذه المنطقة من كركوك فالسليمانية شرقا الى بارزان وانحاء الموصل غربا بسبب تقدم الجيوش وتراجعها. يضاف هذا الى استفزاز المحتلين البريطانيين والقوى الاضافية لجيش الاحتلال والعملاء من اسوا حثالات المجتمع. بدأت انتفاضة الشيخ الحفيد في 20 - 21 ايار 1919 بجيش صغير جنده وراء الحدود. وشملت الانتفاضة منطقة السليمانية حتى ضواحي كركوك. وانضمت الى الثوار فصائل شرطة السليمانية، واشتركت كذلك قبائل كردية من ايران. وقد قدر عدد الجميع بنحو 300 ووقع بايدي الثوار بعض الاسرى البريطانيين بينهم ميجر كرين هاوس الذي كان ينوب عن سون في غيابه. واعلن الشيخ محمود نفسه ملكا. وقد اخفقت حملات تأديبية، مما اقتضى زج قوات اعظم. ويروي ان البريطانيين القوا في الميدان لوائين من المشاة وبضع كتائب من الخيالة، فضلا عن المدفعية والطيران. وفي 25 آيار وقعت في طسلوجة معركة بين القوات البريطانية بقيادة كولونيل بريدجس المتقدمة نحو كركوك، وقوات الشيخ محمود. هزم الجيش البريطاني وتكبد 30 قتيلا وجريحا من الضباط البريطانيين والجنود. استطاع الضابط البريطاني جي. ايم. ليس ان يتحرك من حلبجة بمعاونة رؤساء قبيلة الجاف الذين وضعوا منظماتهم العسكرية تحت تصرف السلطة البريطانية وبخاصة بمساعدة (عادلة خانم) والدة رئيس القبيلة، وان يفك الحصار عن بناية الحكومة. ويوم 19 حزيران 1919 استخدمت القوات البريطانية بعض اغوات الهاموند للالتفاف وراء قوات الشيخ محمود الذي كان مستعدا لمواجهة الهجوم الرئيس في مضيق دربندي بازيان. وفي 18 تموز 1919 بدأ الانكليز هجوما حاسما على قوات شيخ محمود في مضيق بازيان، وفي اليوم ذاته دخلوا السليمانية عنوة وبعد يومين وقع شيخ محمود جريحا فاسروه. وقد حكمت عليه محكمة عسكرية في بغداد بالاعدام. ثم ابدل الحكم بالنفي وقيل في ذلك لحسن معاملة الاسرى ومن المحتمل ايضا خوفا من عواقب الاعدام وقد تم نفيه الى الهند. ورغم اخفاق ثورة شيخ محمود لايمكن تقليل اهميتها التاريخية. فلاول مرة اثيرت في كردستان فكرة الاستقلال عن الحماية البريطانية.

وفي اثناء هجوم الجيش البريطاني على الشيخ محمود ودون اعلان عداء عليه زار بغداد طه النهري، حفيد عبيدالله الزعيم الكردي الشهير، يطلب تأليف دولة لجميع كردستان بزعامته تحت الرعاية البريطانية. وبموجب ملاحظات توفيق وهبي ان ميجر بيل حاكم كوي سينجق وغيرهم من الضباط البريطانيين قاموا بادوار ملموسة في تحريض الاغوات الكرد ضد الشيخ محمود وحكمه. وفي الوقت

ذاته كانت تتعاطف مع انتفاضة السليمانية مناطق اخرى منها رانية وكوي سنجق. وفي تشرين الثاني 1919 بينما كانت الانتفاضات في الشامية والديوانية والحلة وسامراء من العراق العربي قائمة، انطلقت انتفاضة تحت قيادة الشيخ احمد البارزاني والى جانب قبائل كانت متعادية بينها قبلا وهي قبائل الزبيار، وسورجي في منطقة عقرة (سياتي الحديث عنها). ولقد لعبت هذه الانتفاضات دورا كبيرا في تهيئة الجماهير في البلاد (عربا وكردا) في النضالات القادمة ضد المحتلين.

كان ممثلوا الجيش البريطاني الفاتح من ضباط ومن يعمل في خدمتهم يعاملون السكان لا في حدود فرض السلطة الحقيقية فحسب، بل كانوا والعلماء الذين في خدمتهم يمارسون تعسفا اشد شراسة مما يمكن احتماله. وقد اعترف الممثلون البريطانيون بهذا الواقع. وكذلك اعترف (المصادر البريطانية) بان الاستياء من تدخل المستشارين كان كبيرا. وقد ورد ذلك في تقرير لميجر سون الذي خلف ميجر نوئيل بان المنطقة كانت تدار في الواقع من قبل الضباط البريطانيين ووكلائهم.

وفي تعليق لاحق ل (أ.ويلسون) عن طموح الشيخ محمود لاقامة دولة كردية موحدة مستقلة تحت النفوذ البريطاني يقول "كان ذلك يستحق ان يكون موضع النظر. فلو امكن تحقيقه فانه يبسر اقامة دولة عربية من الولايات الثلاث الاخرى." **على ان تجربتنا نحن في المنطقة العربية اكدت ان احط حثالات المجتمع كانت تلتف حول المحتلين** وكان اصغر موظف يمارس تحكما فظا لا يطاق. وكان ذلك عاملا هاما في الانتفاضات العديدة التي بلغت باتساعها ثورة 1920.

اندلعت ثورة العشرين من الرميثة في إثر اعتقال الشيخ شعلان شيخ عشيرة بني حليم والشيخ سلمان المجدي الرفيعي. وكان البريطانيون على علم بالموقف المتوتر في المنطقة وابتشار الوعي الوطني بين سكانها وبرفضها السيطرة البريطانية. ولعب عنصر تضامن العشائر الكبيرة في السماوة والناصرية والديوانية دوراً كبيراً في إشعال نار الثورة. كما عكست الاحداث المترتبة على الاعتقال المذكور تضامن الشعب العراقي واستعداده للثورة. وفي 13 - 8 - 1920 اجتمع أعيان بغداد في جامع الحيدر خانة وتم إرسال الرسائل لمختلف العشائر العراقية. وتمت إستجابة كبيرة لدى لعشائر. وقد استمرت الثورة لمدة ستة أشهر، تم خلالها الحاق خسائر بشرية ومادية كبيرة جداً بالقوات البريطانية.

### مؤتمر القاهرة وتنصيب فيصل ملكاً على العراق

كان القادة البريطانيون منذ احتلال العراق منقسمي الرأي بين حكمه بطريقة الاستعمار المباشر او ممارسة نفوذهم وضمان مصالحهم من وراء واجهة حكومة صناعية. كما كانوا منقسمي الرأي بين الحاق كردستان الجنوب الغربي بمعية العراق (ما بين النهرين). او اقامة دولة او دويلات كردية، ذات حكم ذاتي تحت النفوذ البريطاني. فحسم ذلك في اجتماع القاهرة في 9 آذار 1921 برئاسة وزير المستعمرات وينستون تشرشل، إذ تقرر مواصلة السياسة البريطانية التي اتبعتها منذ اوائل هذا القرن وعبر الحرب العالمية الاولى والتسويات التي اعقبتها. وتتلخص بعبارة واحدة (الحفاظ على المصالح البريطانية في السيطرة على مواقع البلاد الاستراتيجية واستغلال ثرواتها).

وفي هذا المؤتمر تم إختيار ممارسة النفوذ البريطاني من وراء واجهة حكومة صناعية. وهكذا تم اختيار فيصل ملكا على العراق. وقد ضم المؤتمر الكولونيل لورنس قادما من بريطانيا والمندوب السامي في العراق سير بيرسي كوكس والقائد العام للجيش البريطانية في العراق – الجنرال هالدين والسكرتيرة الشرقية – مس بل، ووزير الدفاع العراقي جعفر العسكري، ووزير المالية ساسون حسقيل ممثل اغنى اليهود في العراق، وعدد من كبار ضباط الجيش البريطاني في العراق.

وقبل سفر فيصل الى العراق اختير له ان يبدأ رحلته على باخرة من جدة، ليستصحب معه زعماء انتفاضة العشرين. وقد حدثني عن هذه الرحلة الزعيم الوطني جعفر ابو التمن فقال كان الغرض من اصطحاب قادة الثورة العراقية هو التظاهر بان تعين فيصل ملكا كان تلبية لرغبات اولئك الزعماء وكأن الثورة قد انتصرت. قال ابو التمن "ولما عرض فيصل علي اصحابه مع الاخرين، وكنت مدركا الغرض اجبته يا فيصل انا لن اكون من زفافة هذا العرس". وقد سافر فيصل مع الآخرين دون جعفر. وفي يوم 23 حزيران 1921 وصلت البصرة الى البصرة ثم بوشر بالاستفتاء الشكلي، الذي رفضته كثرة سكان الالوية الشمالية، وبخاصة السليمانية وكركوك. وأيد الاستفتاء شيخ شرناخ المدعو عبد الرحمن آغا الذي كان وثيق الصلة بالسلطة البريطانية وكان الاستفتاء في الالوية العربية، اقرب الى الاستتلاف. وقد رفضته صراحة قبائل البصرة التابعة الى نفوذ الشيخ خزعل رئيس قبائل بني كعب. وفي تقرير سر برسي كوك الى عصابة الامم عن ادارة العراق للفترة من تشرين الاول 1920 حتى آذار 1921 جاء فيه:

"وحسب القرارات التي اتخذها مؤتمر القاهرة ومنذ عودتي من هذا المؤتمر باشرت بالتعرف على رغبات الكرد في الانحاء تحت الانتداب البريطاني ضمن حكومة العراق واستطيع ان استخلص الرأي ان سكان هذه الانحاء مقسموا الرأي ولديهم خوف على مصالحهم، اذا ما قبضت بغداد على عقد الاقتصاد والصناعة. ... فمقاطعة السليمانية قررت ان لا تشترك في انتخاب ملك العراق. وفي كركوك رفض ترشيح الامير فيصل، وطالب الكرد بحكومة من جنسهم. .... اعلنت الامير فيصل ملكا على العراق، واعلنت كذلك الاعتراف بجلالته من قبل الحكومة البريطانية في 23 آب 1921".

وبين الحاكم الملكي العام سر ارنود ويلسون انه استنتج "من المعلومات الموثوقة التي اخذها من المستشارين البريطانيين بان الكرد في هذه المناطق الكردية افترقوا في الرأي حيث انهم خشوا على مصيرهم من ان تؤول ادارة جميع الصناعات واقتصاديات هذه المناطق الى بغداد وتتمركز فيها" وطلبوا تأليف حكومة من ممثليهم ورغم ذلك تمت المناداة بالامير فيصل ملكا على العراق.

اما في المناطق الوسطى والجنوبية من العراق فقد مر الاستفتاء على مضض من جانب السكان. وفي موازاة هذه الاجراءات أصدرت السلطة البريطانية وصنعتها حكومة العراق في صيف 1922 بيانا مشتركا جاء فيه " ان الحكومتين تعترفان بحق الكرد القاطنين ضمن حدود العراق بتأسيس دولة كردية ضمن هذه الحدود، وتأملان ان الكرد على اختلاف عناصرهم سيتفقون في اسرع ما يمكن على الشكل

الذي يودون ان تتخذ هذه الحكومة وعلى الحدود التي يرغبون ان تمتد اليها وسيرسلون مندوبيهم الى المسؤولين في بغداد، لبحث علاقاتهم الاقتصادية والسياسية بحكومتى انكلترا والعراق.

وتلا ذلك استقدام الشيخ محمود الحفيد من منفاه في ايلول 1922 و اعلان تنصيبه ملكا على كردستان ولم يلبث ان اشتد الخلاف بينه وبين المستشارين البريطانيين. حتى تم القضاء على حكومته، وعلى المقاومة التي أبادها الكرد بقيادته في آيار 1924 ولهذا الموضوع تفصيل مستقل.

وفي تلك الفترة بين عامي 1920 و 1922 سنت السلطة قانون دعاوي العشائر المدنية والجزائية وقانون اللزمة للذين سيأتي الحديث عنهما. وفي 20 آب 1922 قدم الحزب الوطني وحزب النهضة عريضة مشتركة الى الملك عرضا فيها تردي الوضع السياسي والمعيشي في العراق وتدخل الانكليز في شؤون البلاد وطالبا فيها وضع حد للاعمال الكيفية للتدخل البريطاني وتأليف وزارة من الوطنيين الاكفاء وعدم عقد اية معاهدة قبل تأليف المجلس التاسيسي.

وفي يوم ذكرى تتويج فيصل يوم 23 آب 1921 حشد الحزب الوطني مظاهرة كبيرة ثم التحق به حزب النهضة. وعند حضور المندوب السامي لتهنئة الملك سمع كلمات (ليسقط الاستعمار لتسقط انكلترا).

وفي 24 آب ارسل المندوب السامي احتجاجا الى الملك. فاعتذر الملك بوساطة مدير ديوانه، ويوم 25 آب اصدر المندوب السامي امرا بتعطيل الحزب الوطني وحزب النهضة وبنفي قادتها الى هنجام في الهند وعطل الجرائد التي تنطق باسمها. وامر السيد محمد الصدر والشيخ محمد الخالصي بمغادرة العراق الى ايران. وارسل عددا من الطائرات قصفت قبيلة آل فتلة في المنهاوية وقبيلة الاكرع في عفج وقبيلة خفاجة في الشطرة وقبيلة العزة في المنصورية بلواء ديالى فدمرت الاكواخ والمنازل واحرقت المزارع والقطعان. وكان ذلك اثناء وقوع الملك فيصل في التهاب الزائدة الدودية واجراء عملية جراحية له. واذ شفى الملك حمله المندوب السامي مسؤولية ما حدث وطلب اليه ان يعترف بشرعية الاجراءات التي اتخذها (من مذكرات ناجي شوكت سيرة وذكريات ص 63 و 64 وكذلك ما ذكره الحسني في كتابه الاحزاب ص 35 و 54). وقد صح في هذا المقام قول احد الشعراء - يا ثورة اعقبته ندامة الثوار.

وشهد كاتب هذه الصحائف صورة لما حدث في عنة وراوة بعد تتويج الملك فيصل، مما لقيه المشاركون في الثورة. لقد اشترك أهل راوة والقسم الغربي من عنة في مناهضة الاحتلال البريطاني لاسباب معظمها رد فعل لشراسة قوة الاحتلال التي كانت مرابطة في القلعة المشرفة على راوة وفيما يقابلها من غربي عنة. وكانت تلك القوة مؤلفة من الهنود ومن المتطوعين من قبيلة علي السليمان رئيس قبائل الدليم الذي كان مرتبطا بالولاء لبريطانيا.

وبعد تأليف المملكة العراقية جاءت قوة عسكرية بقيادة نوري السعيد، وحاصرت راوة، فانذر قائدها السكان بضرورة تسليم عدد كبير من البنادق، ولما لم يكن في القرية ما يكفي وسطوا له عدد من

الشخصيات المحترمة ليمسح لهم بشراء ما يكفي من خارج القرية فرفض مقابلتهم، فاضطروا الى الشراء تهريبا حتى تم تسليم ما طلب.

وبعد فترة غزت راوة ثمان طائرات حربية بريطانية، ولوجود البيوت في سهل ضيق اقل من نصف كيلومتر في ظل مرتفع، كانت القاصفات تغير من شاطئ الفرات المقابل فتلقي ما امكن من القنابل وتقف بالرشاشات، فتضطر الى الارتفاع لتجنب الاصطدام بالجبل، لتدور ثانية فتغير من شاطئ الفرات، مرة بعد الاخرى. وبعد هذا دخلت قوة عسكرية ولديها اسماء عدد من الافراد فنسفت دورهم في القنابل.

**وفي 15 تشرين الاول 1922 وقعت المعاهدة البريطانية – العراقية** على اساس قبول الانتداب وكان لها ملاحق عسكرية ومالية وادارية وقضائية. وقد نصت المادة 18 منها على ان تصبح نافذة حالما تتم المصادفة عليها من المجلس التأسيسي. وقد جرى انتخاب المجلس التأسيسي في آيار 1922. وكانت المقاطعة قوية في كردستان (سيما في السليمانية وكركوك) وكذلك في الحلة وكربلاء والديوانية فتم قمع القوات المعارضة. وافتتح المجلس التأسيسي في 17 آذار 1924 وقرأ الملك خطاب العرش وحدد مهمات المجلس في امور ثلاثة.

1- البت في المعاهدة العراقية البريطانية .

2- سن القانون الاساسي.

3- سن قانون مجلس النواب.

ولم يذكر الموضوع الآخر وهو منح امتياز النفط لبريطانيا وشركائها. وقد كان هذا احد المطالب الاساسية للسلطة البريطانية وحلفائها.

يوم 19 نيسان قامت مظاهرة جماهيرية واسعة حول المجلس التأسيسي، وقد شاهدت ذلك بنفسي اذ كنت طالبا في دار المعلمين الواقعة غير بعيد عن البناية التي اتخذت للمجلس التأسيسي في جانب الكرخ، وبحسب حملة قيل انها للاستفزاز اطلقت النار على العميلين البريطانيين مندوب الحلة عداي الجريان، ومندوب لواء الدليم علي السليمان.

واخيرا تم تصديق المعاهدة بعد تهديد المندوب السامي بان حكومته "قد تتخذ اساليب اخرى في التعامل مع العراق". وطالب فيصل بحل المجلس في الحال. وفي ليلة 10 – 11 من حزيران 1924 تم جمع المجلس التأسيسي للمصادفة على المعاهدة. وقد تمت الموافقة عليها بالاكثرية وحالفها البعض واستتف آخرون. وبعد التصديق على المعاهدة قدمت للمجلس التأسيسي صيغة القانون الاساسي حسب ما وضعها خبراء وزارة المستعمرات البريطانية. واثناء المناقشة اجريت عليها تعديلات شكلية مع الحفاظ على نصها الذي لايتعدى بنود الانتداب. وقد تمت المصادقة عليها في 10 تموز 1924 وقدم الى المجلس التأسيسي قانون مجلس النواب في 30 نيسان 1924 وتم البت فيه 2 آب 1924. وفي هذا اليوم تم حل المجلس التأسيسي.

اما موضوع امتياز نفط العراق فقد لقي معارضة داخل الحكومة وخارجها فعهد بامرہ الى وزارة رئاسة ياسين الهاشمي الشخصية القوية جدا، لا يدانيه غير الملك فيصل الذي كان ابعده منه نظرا وفضل اخلاصا. (راجع بطاطو ص 196 بخصوص ماضي ياسين الهاشمي في الجيش التركي). كان لامعا في الجيش التركي وقد اثبت كفاءة، وفي ربيع 1918 قاد الجيش العثماني في منطقة السلط وعمان، مما لفت انظار البريطانيين وابدوا تقديرهم، بانه ستراتيحي جيد لهم. وفي حرب الدردنيل اجري اتصالا سريا مع الانكليز. وقدم الى دمشق بعد انتهاء الحرب، فلم يشترك في حكومة الملك فيصل. بل كان يعامل بالرؤية، وتقيد حركاته (شبه اسير على حد تعبير له) من قبل المستشارين البريطانيين وعلى رأسهم لورنس (رسالة ارسلها الى الملك فيصل).

وقد تولى منصب وزير الدفاع في سورية بعد استسلام حكومة فيصل الى انذار الجنرال غورو. وكان ذلك في معركة ميسلون الشهيرة. وبعد تعيين فيصل ملكا على العراق قدم ياسين الى العراق متأخرا. وكان يعلن لقي المعارضة الوطنية تأييدهم. وقد ابلغ الزعيم الوطني ابو التمن "انه قوي الامل بان يتم طرد الغاصبين من العراق".

وقد رأى المندوب السامي ان التعامل مع ياسين الهاشمي وهو على رأس وزارة ايسر من التعامل معه وهو خارجها فأسندت اليه رئاسة الوزراء في آب 1924، فكان اهم عمل لياسين الهاشمي هو عقد الاتفاق مع شركة نفط العراق، وقد أجريت الانتخابات النيابية في عهد وزارته ولكن بتوجيه من السلطة. حجت الاكثية الثقة عن وزارته في حزيران 1925، نقلا عن بطاطو.

وفي حديث نسب اليه آنذاك علل ياسين الهاشمي اضطراره بالاتفاق النفطي بان بريطانيا هددتنا بضم ولاية الموصل الى تركيا اذا اخفقت في الحصول على الامتياز. وهو تعليل سقيم لان لبريطانيا وحلفائها (شركائها في الامتياز) خطة قديمة وطويلة المدى بخصوص تقسيم البلاد والمصالح لايقفها قرار من ياسين الهاشمي او غيره.

والواقع هو ان السلطة كانت تخطط للسياريو وتقدم هذه الشخصية او تلك حسب الحاجة الى تمثيل الادوار. ومن لايمثل الدور المطلوب يقصي ويؤتي بغيره. وللسخرية نشرت احدى الصحف البغدادية آنذاك كلمة تحت تعبير "الدستور بعد تصفية الامور".

### اختيار الشيخ محمود الحفيد ملكا على كردستان

في البدء حاولت بريطانيا حل مشكلة كردستان بحكم صوري برئاسة الشيخ محمود الحفيد لمواجهة السخط الشعبي الناتج عن تزوير الاستفتاء لتتصيب فيصل، واستباقا لمؤتمر لوزان ولاسيما لمواجهة النشاط العسكري التركي. كان الشيخ محمود اسيرا في الهند منذ وقوعه جريحا في مضيق بازيان في معركته مع الجيش البريطاني. وقد كانت انتفاضة الاناضول بقيادة مصطفى كمال، وكان ممثلها القائد ازديمير باشا قد توغل في محور الموصل حتى وصل راوندوز منذ عام 1920 وتعاون معه بعض قادة القبائل الكردية وبينهم الشيخ قادر الحفيد اخو الشيخ محمود الحفيد فاقتحموا مضيق سبيلاك.

وفي التقرير المتقدم الذكر الذي قدمته الحكومة البريطانية عن ادارة العراق لعامي 1921 – 1922 ذكرت ان "جلالة ملك بريطانيا والحكومة العراقية تعترفان بحق الكرد القاطنين ضمن حدود المملكة العراقية في اقامة حكومة كردية ضمن تلك الحدود. وهما تأملان بان الجماعات الكردية المختلفة ستتوصل في اقرب فرصة ممكنة الى الاتفاق فيما بينها على الصورة التي ينبغي ان تتخذها تلك الحكومة، وعلى خطوط حدودها، وان ترسل مندوبيها الى بغداد للبحث في علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع حكومتي جلالة ملك بريطانيا والحكومة العراقية" وقد سمح للشيخ محمود بالعودة من منفاه لتأليف مملكة كردستان. فاعلن الشيخ تأسيس مملكة كردستان المستقلة واعلن نفسه حكامارا (ملكا) عليها. واتخذ مدينة السليمانية عاصمة لمملكته. وضربت حكومة الشيخ محمود السكة واصدرت طوابع البريد طبع عليها شعار كردستان الجنوبي (خنجران متصالبان). واصدرت جريدة رسمية واسمها روزة كرد "تهار الكرد" ثم ابدل اسمها فاصبحت رانجة حق "طريق الحق".

لقد كانت لدى الشيخ محمود بعثة من المستشارين البريطانيين الذين كانت مهمتهم على نقيض من الامل العريضة للقوميين الكرد وعلى راسهم الشيخ محمود. فلم تلبث ان نشأت الخلافات بين الجانبين. وقد حاول الانكليز اقناع الشيخ محمود بالخضوع الى حكومة العراق وان يحل مجلس وزرائه وينهي ادارته الحالية، واذا خالف ذلك فسيعامل ككائن. ولكنه بقي على اصراره اذ يعتقد ان ادارته لا تقل عن اية ادارة شرقية اخرى، وقد بلغ التوتر بين حكومة الشيخ محمود ومستشاريه البريطانيين الذروة في عام 1923. وبعد الخلاف طرد جميع اعضاء البعثة البريطانية ونشب القتال بين قواته الضئيلة والجيش البريطاني. وكانت محادثات لوزان تقترب من نهايتها فلم يبق للترك اهتمام بتأييد حكومة الشيخ محمود. فهزمت قواته اما الجيش البريطاني بمساعدة اتباع طه الشمديناني حفيد الشيخ عبدالله النه روي في أوائل عام 1923 (عن هاملتون الطريق خلال كردستان ص 168 مطبوع عام 1937). وقد دامت هذه المعارك والاصطدامات بين الجانبين حتى 24 آيار 1924، وبهذا الخصوص كتب ويلسون قائلاً "ان القطعات التنكلية البريطانية قد نكلت بالثائرين الكرد اشد تنكيل".

وتحت الضغط المتزايد من قبل الجيش البريطاني المتفوق على المليشيات الكردية الفتية تفوقاً هائلاً من حيث العدد والعدة والطائرات، وبعد معارك عنيفة دامية، اضطر الشيخ محمود وقواته العسكرية الى ترك السليمانية والجوء الى الجبال الكردية الواقعة على الحدود العراقية الايرانية. وفي الوقت ذاته استخدم الانكليز بعض الاغوات لتهدئة بعض المناطق الكردية. فاذ دخلوا راوندوز في عام 1923 عينوا طه الشمديناني قائم مقاماً واستخدموا اتباعه للتهدئة. وبقي في هذه الوظيفة حتى كانون الثاني 1938 أي بعد قمع انتفاضة السليمانية الرابعة بنحو سبعة اعوام.

### اجراءات عصبة الامم

معروف ان الدول الاستعمارية المنتصرة هي التي كان لها القرار الحاسم في تكوين مجلس عصبة الامم في ممارسة اعماله. ولم يكن متوقعا من القوى ذات النفوذ الحاسم في عصبة الامم سوى مواصلة

اهدافها حسب مصالحها. هذا اولاً. وثانياً لم تطرح على مجلس العصبة مسألة الحقوق القومية الكردية، ولا المسألة القومية بوجه عام (اي حقوق القوميات والجماعات الاثنية في المنطقة، وموضوع البحث، اي ولاية الموصل). وانما عرض على المجلس موضوع محدود هو الحدود بين العراق وتركيا. بينما سبق ان اعلن انتداب بريطانيا على (العراق) منذ اتفاق سن ريمو نيسان عام 1922. وثالثاً- لقد سبق للحكومة البريطانية المنتدبة على العراق ان بدأت اجراءات تشريعية - شكلية دعمتها بالمناورات والضغط والتهديد لاتمام ضم العراق بما فيه جنوب غربي كردستان منذ اعلان فيصل ملكا على العراق، وفي موازاة انتفاضة الاناضول واستمرارا في موازاة اجراءات عصبة الامم المنوه بها أدناه.

الف مجلس العصبة في 30 ايلول 1924 بعثة دولية لتزور المنطقة. وقد زارت ولاية الموصل (ما بقي منها بعد الحاق الجزيرة ودير الزور بسورية). كما زارت مدينة بغداد في الفترة من كانون الثاني حتى آذار 1925. وفي 16 تموز 1925. قدمت البعثة تقريرها الذي بينت فيه ان كثرة السكان كرد. وانهم غير متزوجين بالعرب وهم ليسوا عربا ولا تركيا. لغتهم آرية، وان وعيهم القومي الكردي تاما. وان العلاقة بين الكرد والعرب غير ثابتة. وازداد التقرير ضرورة ضمان ما للثورين - الكلدان، في موضوع الاثنية. وانه اذا اخذ بالاعتبارات الاثنية فينبغي اقامة دولة كردية نظرا الى اربعة اخماس السكان من الكرد. اخذ بعين الاعتبار ان الازيديين كرد (زرستين Zoroastrians) وحسب النسبة العددية يؤلف الكرد سبعة اثمان السكان. وثمة اقلية تركية يمكن (تمثيلها Assimilation) (كذا). ولكن انتهى اقتراح البعثة الى ضم ولاية الموصل جميعها الى العراق لحاجته الاقتصادية مشروطا (أ) أن يبقى العراق تحت انتداب عصبة الامم نحو 25 عاما. (ب) تلبية رغبات الكرد بان يكون الاداريون منهم. ومراعاة استعمال اللغة الكردية في شتى المجالات.

بدأت مناقشة التقرير في اجتماع عصبة الامم ال (35) في ايلول 1925. وكان الجيش التركي قد سحق انتفاضة شيخ سعيد (بابرام) في ديار بكر 1924. كما قضى الجيش البريطاني في آيار 1924 على مملكة الشيخ محمود ملك كردستان. وفي 16 كانون الاول 1925 اتخذ قرار العصبة في اجتماعها الـ (37) بتحديد الحدود بين العراق وتركيا وجعل ولاية الموصل عراقية باستثناء ما سبق ان ضم منها الى سورية.

مضيفا: "ان على الدولة المنتدبة (بريطانيا) ان تعلم مجلس العصبة بالتدابير الادارية التي تضمن للسكان الكرد الذين نوه بهم تقرير البعثة، تمتعهم بالادارة المحلية. وان تقدم (الدولة المنتدبة) الى مجلس معاهدة جديدة مع العراق لابقاء الانتداب 25 عاما اوالى ان يقبل عضوا في عصبة الامم". وكانت بريطانيا قد فرضت تلك المعاهدة على العراق قبل قرار العصبة هذا منذ 1922.

وفي شباط 1926 القى رئيس الوزراء العراقي خطاباً في مجلس النواب ، ومما جاء فيه : "كلنا نعلم ان الحكومة قد حددت في قوانينها، سياستها بشأن الكرد والطوائف غير المسلمة. وقدرت الحكومة



بحكم اختصاصاتها ان سكان (شعوب) الشمال، ولاسيما الكرد، سينالون حقوقهم الطبيعية كما انهم سيلقون الرضى بادارة مصالحهم في مناطقهم. اننا جميعا متفقون على هذه الحقيقة، وكذلك ان المجلس التأسيسي قد اقر بالادارة الحاضرة قبل اصدار قرار عصبة الامم ان نصوص المادة (3) تنطبق على رغبات الكرد. وان هذه الامة لاتستطيع ان تعيش دون ان تعترف لطوائف العراق بحقوقهم الخاصة. اننا جميعا متفقون على حقيقة ان الحكومة التركية كانت مفرقة لانها لم تعترف بالحقوق المتعلقة بوجود الامم، ولانها عرقلتها عن التطور. ان هذا درس حسن لنا وعلينا ان ننتفع به. علينا ان لانواصل سياسة الحكومة السابقة (التركية). اننا سنعترف للاكراد بحقوقهم: سيتم تعيين موظفين من قبلهم، وستكون لغتهم هي اللغة الرسمية، وتعليم أولادهم في مدارسهم سيكون بلغتهم كذلك. من واجبنا ان نعامل بالعدل ودون تحيز مع كافة الطوائف".

وفي الشهر ذاته شباط 1926 سن العراق قانون اللغات المحلية وان لم يطبق الا جزئيا. اذ طبق التعليم باللغة الكردية في محافظة السليمانية وبعض اجزاء اربيل وفي المدارس الابتدائية. كما سمح بنشر بعض المطبوعات باللغة الكردية (رامبو - الكرد والقانون).

لقد شجعت الحكومة العراقية تاليف جمعيتين احدهما في الموصل من القوميين العرب، واخرى في السليمانية من الكرد المتعاونيين مع السلطة هدف كل منهما الدفاع عن كون ولاية الموصل عراقية.

## الفصل الثاني: الانتفاضات الكردية

### المسألة الاثورية

الاثوريين من الشعوب التي كانت تعيش في ظل الامبراطورية العثمانية يسكنون منطقة حيكاري وجولة مه رك. وحسب تقاليدهم انهم منحدرين من الاشوريين الذين حكموا العراق. وهم يعتقدون الدين المسيحي حسب الكنيسة النسطورية. ولذا نجد مؤرخا مثل امين زكي لايعترف بطابع قومي لهم، وانما يعتبرهم كرد نساطرة. وبعد انقلاب قادة تركيا الفتاة الى الطورانية في عام 1909، شملت خطة الانقلابيين لتصفية الاناضول من العناصر غير التركية، بينما كان المبشرون من الدول الاستعمارية وبخاصة الانكليز يعملون للاستفادة منهم للسيطرة على تركيا.

وحسب مذكرات الحاكم العام ارنولد ويلسون "كانت اللجنة الشرقية البريطانية تهدف الى تأييد المسيحيين النساطرة (الاثوريين) والارمن ضد الترك الذين كانوا في حلف مع المانيا. ومن ذلك ايفاد الجنرال ويستر - فيلد وبعض الضباط الى جبهة اورمية في كانون الثاني 1918، واوصلت اليهم ما يقتضي من الاسلحة".

وبعد ثورة اكتوبر 1918 وانسحاب الجيوش الروسية من جبهات القتال، استطاع الترك ان يفتكروا بالاثوريين وبالارمن، فالتجأ من نجا منهم الى مناطق احتلال القوات البريطانية التي نقلتهم الى ايران. وفي عام 1920 نقلوا من ايران الى العراق بالطريق المار بـ (كمه لي شين)، حيث تم نقلهم الى مخيمات على نهر دبالى. ثم اعيد بعضهم الى ايران بموافقة الشاه وبقي حوالي 37 الف اثوري. فاقترح "الجمن" اخراج العشائر الكردية من المناطق المجاورة لتركيا واسكان الاثوريين في مطهم. وكان مستر لاين حاكماً سياسياً في كركوك، وهو ضابط من بقايا جيش الاحتلال، فاسكن الاثوريين في اراضي من ملحقات "رانية"، بذريعة ان الكرد ثاروا ضد الاحتلال البريطاني وقتلوا بعض الحكام السياسيين.

وفي 21 - 5 - 1920 اصدر المندوب السامي بياناً ذكر فيه ان الحكومة البريطانية تنظر باهتمام الى مسألة حماية الشعب الاثوري نظرا الى الخدمات التي قدمها الاثوريون الى الحلفاء اثناء الحرب العالمية. وان يهئ وطناً قومياً تجمع فيه الاثوريين المشتتين. وقد تأكد للمندوب السامي وجود مناطق شاغرة في شمال العراق تقع في شمال دهوك والعمادية والمناطق الجبلية المتصلة بها. وتشمل منطقة بارزان وعلى امتداد الخط من راوندوز حتى زاخو. وفي آب 1920 وافق سير ارلوند ويلسون الحاكم الملكي في برقية الى وزارة الحربية على الاقتراح مبيناً: انه سيهئ لنا فرصة لانصاف الاثوريين بصورة ترضاهم بريطانيا وحلفاؤها الاوروبيين. ويمكننا من حل مشكلة من اعقد المشاكل الخاصة بالاقليات الاثنية الدينية والجنسية في شمال العراق. وفي الوقت ذاته نكون قد عاقبنا المسؤولين عن حوادث العمادية وعقرة وزاخو.

في نيسان عام 1922 عند بدء تكوين الدولة العراقية كان الخلاف بين الملك فيصل ودار الاعتماد البريطاني. اذ كان الملك فيصل يريد انشاء جيش قوامه 6000 ضابط وجندي، بينما كان الانكليز لا يسمحون بان يكون قوام الجيش اكثر من 4500 لكي يبقى اقل من عدد الليفي المستخدمين كقوة مساعدة لقوة الطيران البريطانية البالغ عددها 4984 (نقلًا عن بطاطو ص 567 عن المخابرات البريطانية في نيسان وآب 1922).

وفي كتاب معروف جياووك عن البارزانيين يذكر استخدام اثوريين في جيش الليفي وقد ثبت فيما بعد اشتراكهم مع القوة الجوية البريطانية في قمع الانتفاضات الكردية. ويذكر جياووك ان كل من اكمل خدمته كانت تترك له البندقية ومائة خرطوش، وقنابل يدوية. وفي 24 آيار 1924 قامت قوة من الليفي الاثوريين بالتعاون مع البريطانيين بهجوم نهائي على كركوك في ضمن حملة القضاء على حكومة ملك كردستان الشيخ محمود، فكان ضحيتها 56 قتيلا و 44 جريحا، كما وقع قبلها اعتداء في الموصل. وتنفيذاً لخطة الوطن القومي للاثوريين طلب المندوب السامي من الحكومة العراقية ان تملك للاثوريين الاراضي الواقعة في الشمال في جهات دهوك - عمادية - ميركة سور - شروان مازن - زيبار. وهي ذاتها مناطق امتداد نفوذ البارزانيين. وحسب ما ذكره معروف جياووك "من راوندوز حتى زاخو وعلى امتداد هذا الخط". "وان تمنح للاثوريين قدرا كبيرا من الحرية في ادارة شؤونهم المحلية وذلك نوع من الحكم الذاتي".

قرر مجلس وزراء العراق في جلسة 8 - 3 - 1927 اسكان الاثوريين اللاجئيين الى العراق في المنطقة الشمالية، وأعفاؤهم من قسم من الضرائب. وان يتم اسكانهم في الاماكن التي لاتعارض الحكومات المجاورة، او السكان الاصليون اسكانهم فيها. واعترفت الحكومة العراقية بالمار شمعون رئيسا "بطيركا" للاثوريين، وكانت التسمية الشائعة لهم "التياريين". وخصصت له راتبا شهريا قدره 3000 روبية. وكان يُلقب " بالملك المار شمعون".

يذكر ناجي شوكت في ص 240 فما بعدها من كتابة سيرة وذكريات " بعد نشر معاهدة حزيران 1930 راجع سكرتارية عصابة الامم زعماء الاثوريين، كما راجعها زعماء الكرد فقرر مجلس العصابة في 14 كانون الاول 1932 عدم قبول طلب الاثوريين المتضمن حكما ذاتيا اداريا داخل العراق، واعلن ارتياحه لتصريح ممثل العراق عن نية حكومة العراق اختيار خبير اجنبي يساعد على اسكان جميع العراقيين غير المستوطنيين. ومن ذلك تنفيذ مشروع اسكان اثوري في العراق في حالات مناسبة. فأيد القرار اكثر من ثلثي الاثوريين. ولما أنيطت بي رئاسة الوزراء في اواخر عام 1932 رأيت من المفيد ان أحادث المار شمعون في مستقبل طائفته. ووعدته بتعيينه عضوا في مجلس الاعيان عندما يبلغ السن القانونية. وكان جوابه انه يقدر عطف الحكومة، ويبيّن انه سيعرض في الموصل ما سمعه على الروحانيين، ثم قابل الملك فيصل وسافر. وكانت وزارتي قد استقالت وخلفتها وزارة رشيد عالي

فأستقدم المار شمعون وكلفه بالتوقيع على مشروع كان قد اعده بالاتفاق مع مستشار وزارة الداخلية واطلاع السفير البريطاني.

ويضيف ناجي شوكت " ويظهر لي - وهذا استنتاج شخصي - ان فئة متطرفة من الاثوريين متأثرة بالبعثات التبشيرية في الموصل ومغرورة بتوجيهات "هرمز سام" الضابط البريطاني السابق الذي كلن يزعم انه من اصل اثوري. وكان يسمى المعتمد السامي البريطاني السر فرنسيس همفريز بـ (كلب الاسلام). ويدعى انه لايمثل الحكومة البريطانية".

وحسب تقرير ناجي شوكت - كانت هذه الفئة المتطرفة تؤثر في المار شمعون وتريد ان يقف من مقترحات العراق سلبيا. ومن جهة اخرى كان الملك فيصل قد سافر الى اوربا مصحوبا باركان الوزارة ياسين الهاشمي ونوري السعيد فاخذ الوزراء الباقون يتصرفون تصرفا بعيدا عن الحكمة ويتخذون قرارات خطيرة. وكانت بعض هذه التصرفات لا تخلو من العواطف الدينية والقومية مما ادى الى الاصطدام المسلح بين بعض القطعات العراقية والغلاة المتطرفين من الطائفة الاثرورية. ووقعت حوادث تمثيل بشعة في ديريه بون وصحيل. كما لعب قائد الحركات العسكرية بكر صدقي دورا مشينا في هذه الحوادث، واخذ الغرور ينفذ الى نفسه ويفكر في الاستيلاء على السلطة.

كانت هذه الفئة المتطرفة هم بالدرجة الاولى المجندون في قوات الليفي التي تحدث عنها معروف جياووك. وكانوا في بعض الاحيان يقومون بالاعتداء على الكرد حتى دون قيام حركات قمع بريطانية. عند انفجار ازمة الاثوريين نشطت وسائل الاعلام فصورت الموضوع بكونه خطة للقضاء على استقلال العراق. وبعد انتهاء الحركة عرف ان قائد القوة العراقية بكر صدقي لجأ الى تاكتيكات عسكرية لم تهدف الى وقف تقدم الاثوريين والتغلب عليهم، بل استدرجهم حتى تمكن من ابادتهم بما لديه من اسلحة مختلفة بمن كان بينهم من شيوخ ونساء واطفال. وكانت هذه اولى حوادث تسلق بكر صدقي على سلم جرائم القمع للوصول الى السلطة.

### انتفاضة السليمانية في عام 1929

كانت السلطة البريطانية تريد استبدال معاهدة 1922 باخرى ثلاثم شكلا استقلال العراق بعد نيل عضوية عصابة الامم وتكوين البديل الضامن لهيمنتها بعد انتهاء الانتداب مع بقاء الالتزامات التي ترى فرضها على العراق. وكلن فريق من رجال الحكم العراقيين وعلى رأسهم فيصل يراودهم الامل في علاقة اخف مع بريطانيا وعلى هذا تم في 19 ايلول 1929 تأليف الوزارة السعدونية الرابعة من عبد المحسن السعدون رئيسا ووزيرا للخارجية، ياسين الهاشمي ووزيرا للمالية، نوري السعيد للدفاع، عبد الحسين الجلي للمعارف، عبد العزيز القصاب للري والزراعة، محمد امين زكي للاشغال والمواصلات، ناجي السويدي للداخلية.

لم يكن تأليف هذه الوزارة نتيجة لتفاهم مسبق على برنامج وانما كان بالنسبة الى البعض لمحض تجنب معارضة ياسين الهاشمي وهو خارج الحكم واستيزار نوري السعيد ارضاءاً للسلطة البريطانية، بينما

كان استيوار الاخرين عملا روتينيا مثل الوزير الشيعي والوزير الكردي. وكان ضم ناجي السويدي لان له الاكثرية في مجلس النواب. وسنرى انه اقرب الوزراء الى موقف السعدون وأماله. كما ان اعداد برنامج الوزارة لم يكن في معزل عن السلطة البريطانية وعن الملك فيصل بطبيعة الحال. وفي يوم 2 تشرين الثاني 1929 لقي الملك خطاب العرش امام مجلس الامة وكان مما جاء فيه:

" ويسرني ان الاحظ ان الوقت قد حان لتطمين الرغبات العراقية، اذ صرحت بريطانيا، عن استعدادها لتأييد ترشيح العراق للدخول في عصبة الامم في سنة 1932 من دون قيد او شرط ولتنظيم العلاقات بين المملكتين على اساس الاقتراحات الحديثة للتسوية الانكليزية - المصرية." و"ستعالج حكومتي مشروع المعاهدة الجديدة على اساس الاستقلال التام وعلى قدم المساوات في مبادلة المنافع المتقابلة". وقد لقي الخطاب انتقادا شديدا، وتهجما لاذعا، ولاسيما فيما يتعلق بالمعاهدة المنوي عقدها على اساس المعاهدة المصرية - البريطانية، التي كان الشعب المصري يناضل للتخلص من قيودها.

ويذكر ناجي شوكت في مذكراته "ان البعض خرجوا في النقد عن الانصاف والادب." وبعد خروج السعدون من الجلسة مرهقا متألما سمع من وكيل المندوب السامي عتابا على خطاب تأباه شهامته. وكان قبل ذلك سمع من مستشار وزير الداخلية مستر كورنواليس ان سياسة بريطانيا لم تتبدل وليس في نية الوزارة البريطانية الجديدة اجراء اي تبدل في سياستها الراهنة في العراق. فاقدم على الانتحار في مساء 13 تشرين الثاني 1929، اي بعد القاء خطاب العرش بـ 11 يوما، تاركاً وصية لابنه جاءت فيها التي اشتهرت، "الامة تطلب الخدمة ولكن الانكليز لا يوافقون." (ناجي شوكت ص 130).

وليس من ريب في ان حالة السعدون العصبية او العصبية لا تمثل وزارته باجمعها. فعلى الاقل كان بين وزارته ياسين الهاشمي الذي سبق ان وقع على منح امتياز نפט العراق في عهد وزارته (1924 - 1925) وكان وزير خارجيته نوري السعيد الذي سيعهد اليه القيام بدور اشد مما كان متصورا بتوقيع معاهدة 1930 وما تبعها من مآسي.

كنت قبل وزارة السعدون مختفيا في ضواحي تكريت برعاية رئيس بلديتها الحاج عبد الكمييت بسبب مطاردة الشرطة لي نتيجة لطبع وتوزيع منشور ضد الوضع المتردي في البلاد. وكان لي شركاء اعتقلوا، وكنت قررت السفر الى سورية لمواصلة الدراسة، فوصلتني وصية من مدير كلية الحقوق موفق الالوسي بان لا استعجل السفر. فلما حدث انتحار السعدون توقع الجميع ان جوا جديدا سيسود البلاد. فعدت الى بغداد ووجدت الامر كذلك، فلقد صدر قرار من المحكمة بالحكم على زملائي عن مدة توقيفهم فقط، واطلاق سراحهم. وجرى معي استجواب شكلي واغلق موضوع ملاحظتي.

وبناء على اقتراح ياسين الهاشمي اعيد تأليف الوزارة برئاسة ناجي السويدي الذي يتمتع بالاكثرية في مجلس النواب. وبقي الوزراء الآخرون في مناصبهم واطيف اليهم ناجي شوكت للداخلية، فتم ذلك في 23 تشرين الثاني 1929 بأمر من فيصل، ولكن الوزارة الجديدة اصطدمت بالموقف البريطاني المضاد

ذاته سواء فيما يتعلق بتقليص عدد المستشارين الإداريين والموظفين البريطانيين الآخرين، أو بخصوص تحرر العراق من الهيمنة البريطانية بعد نيته عضوية عصبة الأمم عام 1932. وإضافة إلى سوء الحالة الاقتصادية في البلاد استقالت وزارة السويدي في 9 آذار 1930 ومما ذكره السويدي في أسباب الاستقالة "وبصفتي رئيس الحكومة أرى من واجبي أن ألفت نظر جلالتم إلى وخامة الحالة الاقتصادية الحاضرة وما تجره على البلاد من النكبات إذ لم تعالج معالجة فعّالة". وفي الواقع كانت الضائقة الاقتصادية تتعاضد حتى كان الانفجار الشامل بعد أحداث السلبيانية.

### الذريعة البريطانية بلسان المندوب السامي

لقد كانت ثمة شبكة كاملة من المفتشين الإداريين ومن ضباط الاستخبارات البريطانيين المقيمين في مختلف أنحاء العراق، يقدمون بصورة منتظمة معلومات إلى المندوب السامي وإلى قائد القوة الجوية العام عن مجرى الإدارة وعن ممارسة الموظفين العراقيين في القطر كله. وكانوا يندرون في الوقت ذاته المعتمد السامي الذي هو القائد الأعلى للقوات البريطانية في العراق بجميع التطورات التي يمكن أن تؤدي إلى الاضطراب الداخلي، وبكل عمل غير معقول أو استبدادي من شأنه أن يسبب استياء خطيراً إذ لم يتم إصلاحه. لقد كان المعتمد السامي في وضع يحذر فيه الحكومة العراقية بأن القوات البريطانية قد لا تساعد على قمع ذلك الاضطراب. إن مثل هذه التحذيرات كانت خطيرة. وكانت الحكومة العراقية تريد أن تقلل عدد الموظفين البريطانيين في أنحاء العراق إلى أقل عدد ممكن، إذا لم تستطيع أن تتخلص منهم كلياً. وأنذرت أن يكون للممثل البريطاني وسيلة لمعرفة ما يجري في الأنحاء، وسيكون معرضاً في كل لحظة لمواجهة مفاجآت جديدة من الاضطرابات والمطالبات – من قبل الجانب العراقي – بالمساعدة لانتهائها، دون أن يتمكن من التأكد بنفسه بأن تلك الاضطرابات لم يكن سببها عمل غير متعقل أو جائر. فإذا وافق على وضع القوات البريطانية في مواجهة اضطراب سببه أعمال سيئة، فإن كل الكراهية ستقع على اسم بريطانيا. وإذا رفض فقد يتخذ الاضطراب مدى تصبح فيه سلامة العراق في خطر. ففي الواقع يوجد خطر في كون القوات البريطانية تستخدم كادوات مأجورة للاضطهاد بأيدي حكومة شرقية، مما يشجعها على ارتكاب أعمال تعسفية ضد رعاياها. وسيقع العبء بالدرجة الأولى على الأقلية غير العربية، وهي الأكثر أهمية والأشد قدرة على الحرب – أي الكرد". (رايمو – الكرد والقانون – ص 64–66).

في هذه الذريعة إغضاء عن حقيقتين: أولهما أن الفساد والضائقة الاقتصادية إنما استشرى من طبيعة النظام الذي فرضته بريطانيا والعناصر التي دعمتها ومن نهب الشركات البريطانية وعمالها لثروات البلاد. أما الحقيقة الثانية ففي الإشارة إلى الاضطرابات المتوقعة بقصد حركة التحرر الكردية والطريق إلى تجنب هذه الاضطرابات لا يمكن أن يتحقق إلا بطريق تفهم طموح الشعب الكردي إلى الحرية،

وادرار ما يعانیه من سوء تصرف ممثلي السلطة وحل هذه المعضلات لا بالعصي الغليظة بل بتلبية تلك الحاجات.

### الانتفاضة

في 10 آذار 1930 اعلن المندوب السامي ف. هـ . همفريز ضرورة التعاون مع حكومة يمكن تأليفها بروح الصداقة والمصالح المشتركة بين العراق وبريطانيا. وكان المرشح لذلك نوري السعيد. وفي 21 آذار قامت مظاهرة كبرى في بغداد منطلقاً من جامع الحيدرخانة نحو الباب الشرقي. وبعد يومين تم تأليف الوزارة برئاسة نوري السعيد. وفي حزيران 1930 تم نشر المعاهدة بين العراق وبريطانيا، فحل مجلس النواب وبوشر باجراء انتخابات لمجلس جديد. وقد كانت الانتخابات بوجه عام صورية، الا حيث تكون ثمة معارضة. وأنتد يلباً الى التزوير والاكراه. وقد جرى هذا الاكراه والتزوير في مناطق عديدة ولكنه كان اشد في المنطقة الكردية وبخاصة في السليمانية. اذ كان الاستياء ضد المعاهدة وضد تزوير الانتخابات عاما شمل العراق. ان الحزب الوطني العراقي وحزب الاخاء قد تعاهدا على النضال ضد هذه المعاهدة التي فرضت بها على العراق اغلال جديدة. ولكن كان الاستياء مضاعفا في كردستان للسبب المتقدم ولانها جاءت خلوا من اي ذكر لحقوق الشعب الكردي التي سبق التاكيد عليها مرارا.

وعند تفاقم الازمة ذهب وكيل رئيس الوزراء ووكيل المعتمد السامي البريطاني الى السليمانية في 8 آب 1930. وحاولا التحدث مع من امكن من الزعماء المحليين والقي كل واحد منهما خطابا في 11 آب 1930 عن انسجام السياسة البريطانية العراقية وعن الوعد باحترام اللغة الكردية وتعيين الموظفين الذين يحسنون الكردية في الشمال، وتهديد ووعد لمن يخالف المخطط الذي عبر عنه بمعاهدة حزيران. واطافة الى ما تقدم جاء في خطاب وكيل المعتمد السامي. وفيما يتعلق بالحكومة البريطانية، ان اهتمامها الوحيد هو في تأمين انشاء دولة عراقية حرة مستقلة تربطها بها اواصر الاعتراف بالجميل والشكر، وتتنسب واياها الى عصبه الامم. وهي (اي الحكومة البريطانية) سوف لاتعضد اية حركة لاتتفق مع هذه السياسة، كالميل الى الانفصال الكردي مثلا. وقد رأيت ان بعض المراجع غير المسؤولة ترى ان سياسة حكومة صاحب الجلالة البريطانية النهائية هي تشجيع القومية الكردية.

ولا شئ ابعد من هذا عن الحقيقة، لا لان ذلك يربك الحكومة العراقية فحسب، بل وكذلك لانه يربك جارتها المحبوتين الحكومة التركية والحكومة الايرانية ايضا. "ومن يعتقد انه سينال اي تشجيع لسياسة كهذه من المعتمد السامي، فهو على خطأ عظيم ان ما تريده كلتا الحكومتين البريطانية والعراقية هو سلامة تقدم العراق المتحد الذي تتضافر فيه جميع العناصر المختلفة التي تؤلف سكانه ليكون منهم عراقيين صحيحين. "

لاشك ان في ذلك انكار مطلق للمسألة الاثنية. لقد كانت مصالح الحكومات الثلاثة في ان لاينال الشعب الكردي حقوقا في اي قطر. فتكون بذلك مشجعا لنضال اخوانه في القطر الاخر. ولكن فوق هذا كانت السياسة البريطانية في العراق ترى في دمج جزئية العربي والكردي ضرورة للحفاظ على مصالحها الاستراتيجية العسكرية، وعلى استثمار ثرواته الطبيعية.

وقد اكدت الاحداث العديدة منذ تقسيم كردستان وبخاصة في الازمنة الاحداث ان مصير الشعب الكردي في كل جزء من اجزاء كردستان وثيق الارتباط بمصير الديمقراطية في القطر الذي الحق به. كما اكدت ان ايا من الدولتين المجاورتين للعراق وبخاصة ايران: لا تصير على قيام عراق متحد على اساس الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردي. وسنرى امثلة صارخة في اعوام 1969. حتى اتفاق آذار 1970 وما بعد ذلك الاتفاق.

على ان ذلك الخطاب وما تضمن من جانب سلبي زاد الاستياء شدة. فكان يوم 6 ايلول 1930، اذ قامت مظاهرة سلمية اشتركت فيها جماهير السليمانية من الطلاب وسائر المثقفين القوميين وغيرهم. اذ كانت حكومة نوري السعيد — وكان العنف وسيلتها الوحيدة، فقد قام ممثلوها فامروا القوة المسلحة عند السراي باطلاق النار على المتظاهرين عند اقتربهم من دار الحكومة فوقع قتلى وجرحى. وقد اصبح ذلك اليوم يعرف في التاريخ الكردي بيوم "6 ايلول الاسود".

وفوق جميع العوامل السياسية كان الفلاح الكردي يعاني من الازمة الاقتصادية التي اشرنا اليها، فوق ما كانت تعانية الجماهير العربية منها. كما كان الشعب الكردي يعاني من سحق نضالاته فيما اصبح اجزاء من تركيا وايران. فكانت مأساة 6 ايلول قد زادت في توتر الجو فانقلبت الانتفاضة الى الريف. وتولى قيادتها الشيخ محمود. فكان التنكيل بالثائرين بقوة الطيران البريطانية.

يجمع جميع الذين دونوا اخبار تلك الانتفاضة ان الطائرات البريطانية قامت بقصف القرى الكردية التي شملتها الانتفاضة ونكلت بها شر تنكيل. ومن ذلك ما نقله دكتور كاميران بدر خان عن الكابتن فيليب ممفورد الذي كان ضابطا في الاستخبارات الانكليزية في العراق لمدة سبع سنوات، حديثا عن الحوادث التي دارت في هذه البلاد "لقد انتهى هذا الاضطراب (بثورة) عندما فتحت القوات العراقية النار على جمهور من الكرد. وكان من المؤمل ان تستطيع حكومة بغداد انهاء الازمة وحدها ولكن ادرك بسرعة بانها لن تستطيع ذلك بسبب تغلغل الشعور الوطني الكردي ولعدم كفاءة جيش بغداد. وقد قامت القوة الجوية الملكية البريطانية بالقسم الاكبر من العمليات الحربية وغدا قذف القرى الكردية بالقنابل امرا لابد منه واستعملت حتى القنابل ذات الانفجار البطيء".

وقدمت عرائض عديدة الى عصابة الامم احتجاجا على اهمال حقوق الشعب الكردي. فتضمن قرار العصابة طلبا الى الدولة المنتدبة بان تضمن حقوق الكرد التي اوصت بها العصابة عند قرار ضم الموصل الى العراق، عند اتخاذ اي تدبير تشريعي او اداري.



تختلف انتفاضة السليمانية عن جميع الانتفاضات الكردية التي سبقتها او عقبها لفترة طويلة في مسألتين هامتين هما: اولاً ان الانتفاضة كانت جزءاً من النضال العراقي العام ضد الاغلال الجديدة التي ارادت فرضها بريطانيا. وقد جاءت على قمة الازمة التي بلغها ذلك النضال بفرض معاهدة 1930. اما المسألة الثانية: فهي ان الانتفاضة كانت انتفاضة الوعي القومي في المدينة دون انتظار قيادة قبلية او ابوية في الريف. وقد كان هذا مرتبطاً بتاريخ طويل للنضال التحريري للشعب الكردي، وبخاصة في السليمانية والمناطق المجاورة لها.

فكما تقدم التنويه به: كانت السليمانية ومنطقتها من اعرق مراكز الثقافة الكردية ان لم تكن اعرقها جميعاً. فمنذ امارة البابانيين بدأت الحركة الثقافية بفتح المدارس وارسال البعثات لطلب العلم في معاهد بغداد والقاهرة. وقد قدمت السليمانية على مر ظروف مختلفة علماء وقادة عسكريين وسياسيين الى الدولة العثمانية. ومن بعدها الى الدولة العراقية. نذكر على سبيل المثال لا الحصر ان وزير المعارف في العهد الديمقراطي لتركيا الفتاة 1908 كان اسماعيل حقي بابان وقد استقال بعد انقلاب قادة تركيا الفتاة الى الطورانية عام 1909 وقد امتدت الى السليمانية الاندية التي اسسها المثقفون الكرد تجاوباً مع منظمة هيفا — الامل ومنظمة تعالي كردستان.

وبعد القضاء على قوات الشيخ محمود الحفيد ولتهدئه الشعب الكردي اعلن رئيس الوزراء، أنذاك عبد المحسن السعدون في 21 كانون الثاني 1926 في خطاب القاه في مجلس النواب العراقي "سنعطي الكرد جميع الحقوق. سيكون الموظفون منهم ومن بينهم، ستصبح لغتهم القومية لغة رسمية، وسيدرس أطفالهم في المدارس بلغتهم القومية. نحن مضطرون الى الاعتراف بحقوق الكرد". ثم اصدرت الحكومة العراقية يوم 28 شباط سنة 1926 بيانات بتأييد وتأكيد حقوق الشعب الكردي في العراق. (رامبو الكرد والقانون الدولي في الفرنسية).

نشر في الجريدة الرسمية في 1 حزيران 1931، قانون اللغات المحلية رقم 74 لعام 1931. "نحن ملك العراق نأمر بعد موافقة مجلس النواب والاعيان بوضع القانون التالي:

م — 1 تسري احكام هذا القانون في الاقضية المذكورة في المادتين 2، 3

م — 2 تكون الكردية لغة المحاكم في الاقضية التالية:

لواء الموصل: عمادية، زاخو، زيبار، عقرة. لواء اربيل: كوي سنجق، رانية، راوندوز. لواء كركوك: كيل، جم جمال. لواء السليمانية: سليمانية: حلبجة، شهر بازار.

م — 3 يجوز ان تكون لغة المحاكم في الاقضية التالية الكردية او العربية او التركية:

لواء الموصل: دهوك، شيخان. لواء اربيل: مخمور، لواء كركوك: كركوك، كفري. ويعطي قرار المحكمة في اللغة الاكثر شيوعاً وتقرر المحكمة اللغة التي ينبغي استعمالها.

م — 4 ينبغي للمتهم بجميع الاحوال المذكورة اعلاه.

أ- أن يحاكم ويبلغ بالعربية اذ كانت العربية لغته البيتية، ب - أن تترجم المرفقات الشفهية الى الكردية او العربية او التركية، وتعطى له نسخة الحكم المترجم ويجوز لكل ان يقدم دعواه او إستدعاه للمحاكم في الاقضية المذكورة اعلاه او المحاكم الاوسع صلاحية في الكردية او العربية او التركية.

م - 5 تكون اللغة الكردية رسمية في الاقضية التالية (ويستثنى من ذلك مخبرات الدوائر الفنية والمخبرات بين مراكز الالوية والوزارة وبين لواء الموصل والاقضية لتكون بالعربية):

لواء الموصل: عمادية، عقرة، دهوك، زاخو، زيار. لواء اربيل: اربيل، مخمور، كوي سنجق، رانية، راوندوز. لواء كركوك: كيل، جم جمال. لواء السليمانية، شهر بازار. يجوز ان تستعمل الكردية او العربية او التركية في قضائي كركوك.

م - 6 تكون لغة التدريس في جميع المدارس الالوية والابتدائية في الاقضية المبنية في هذا القانون الكردية او العربية او التركية حسب اللغة البيتية لأكثريه الطلاب.

م - 7 يستطيع كل شخص ان يراجع المقامات الرسمية باللغة العربية، وأن ياخذ الجواب منها وتجري جميع المخبرات في احدى اللغات الواردة في المادة الخامسة، ويجاب عليها بنفس اللغة.

م - 8 في اقصية الوية السليمانية وكركوك واربييل المشار اليها في هذا القانون يكون شكل اللغة الكردية (يقصد اللهجة) هو الشكل المستعمل الان. وفي اقصية لواء الموصل المشار اليها في هذا القانون يختار الاهلون شكل اللغة الكردية التي يرغبون فيها خلال سنة واحدة من تاريخ تنفيذ هذا القانون.

بغداد - 23 آيار 1931.

### مصير القانون

ابلق سر كونهان كورنوالس (المعتمد السامي) وزير الداخلية جميل المدفعي في وزارة نوري السعيد بمذكرة عن قرار العصابة ومما جاء فيها: " ... ان قرار عصابة الامم حسبما افهم سيبلغ الى المستدعي والى الحكومة العراقية واني اوصي الصحافة العراقية بان لا تعلق على القرار". (اذ سبق ان شنت حملة معادية للكرد في الصحافة المأجورة بتوجيه من الوزارة) "... وفي الوقت ذاته اعرب عن رأيي من جديد لتهدئة الكرد ولو كانت آرائي قد اتبعت لما حلت النكبة. لقد حذرتكم من اعفاء الكولونيل توفيق وهبي متصرف السليمانية و عزله من وظيفته. واما استعمال اللغة المحلية من الناحية التشريعية وفي المناطق التي يسكنها الكرد فقد رفضتها اللجنة البرلمانية دون ادخال التعديلات التي طالباها الكرد، فهم يتألمون من ذلك كثيرا وينبغي ان يزداد عدد مفتشي الشرطة الكرد وعدد مساعدي المفتشين. كما ينبغي تأسيس قسم كردي في وزارة الداخلية." كان هذا قبل اعلان قبول العراق عضو في عصابة الامم. (رامبو الكرد والقانون الدولي - ص 64).

كان توفيق وهبي من اشد المتفقين الكرد تعاوناً مع السلطات البريطانية. ولقد كانت هذه النصيحة وما تضمنته من لوم، مسألة سطحية بالنسبة الى التغييرات التي هيأتها السلطة البريطانية بما في ذلك تأليف وزارة نوري السعيد واختيار اعضائها لعرض معاهدة حزيران 1930 التي تتالت بعدها الاحداث الدرامية.

وقد استمرت انتفاضة الجبال حتى تموز 1932 اذ شاركت في اخمادها اضافة الى قوة الطيران البريطانية كل من تركيا وايران.

### احداث لاحقة شملت معظم العراق

كما توقع ناجي السويدي تفاقت ازمة الغلاء، فحصل الاضراب العام في 13 تموز 1931 ضد الغلاء و ضد قانون الضرائب الجائر الذي فرضته حكومة نوري السعيد. وعلى سبيل المثال من مهزلة ذلك القانون اعتبار الحلاق من ذوي الدخل العالي. وكانت شدة الاضراب في البصرة والعشار. واذ كان نوري السعيد يرافق الملك في زيارة لانقرة، امره بالعودة لمعالجة الوضع. فعاد وقام بتصرفه العشوائي دون اي تروي فقد توسع في اعماله القمعية. فأضافة الى الانتقام ممن يضرهم حتى بتبديل ملابس اجراءته اشخاصاً بعيدين عن السياسة فتم نفيهم بصورة مزرية دون ان يسمح لهم حتى بتبديل ملابس النوم حين القي القبض عليهم في دورهم.

### انتفاضة البارزانيين عام 1931

بعد ماساة قمع انتفاضة السليمانية، والقضاء على الانتفاضة بقيادة الشيخ محمود. بدأت السلطة البريطانية وصنيعتها حكومة العراق، في حركاتها العسكرية ضد البارزانيين. كان للمقاومة الكردية مركزان رئيسان، هما مركز برزنجية بقيادة الشيخ محمود الحفيد، وكان المركز الاقوى نفوذاً والوسع نطاقاً. ويأتي بعده مركز بارزان، الذي بدأ في قرية بارزان ثم امتد حتى اصبح يشمل مناطق واسعة. لمحة تاريخية: يعزي إلى البارزانيين وحلفائهم قتل الضابط البريطاني الكابتن بيرسون في منطقة زاخو في اذار 1919 وقتل الكابتن اوللي في العمادية في تموز 1919 وقتل الضابطين الكابتن سكوت، والكابتن بيل في منطقة (العقرة - زيبار) في تشرين الثاني. وتكررت المجاهبات في عام 1920 فقام الجيش البريطاني بالنتكيل بالقبائل الكردية في منطقة بارزان، واحرق دار الشيخ احمد البارزاني. وفي جميع الغارات البريطانية كانت تستخدم قوات الليفي المؤلفة من الاثوريين الملحقين بالقوة الجوية البريطانية. وفي عام 1922 عزي الى البارزانيين غارة على مواقع الجيش البريطاني فاحتلت بارزان قوة من السلاح الجوي البريطاني مستخدمة كما في العادة قوات الليفي. وقد كانت هذه مساهمات في انتفاضة الشعب الكردي الاولى التي كانت قيادة الشيخ محمود الحفيد تشيرها حتى وقوعه اسيراً بأيدي القوات البريطانية فنفية إلى الهند.

كانت للبارزانيين خصوصيتان ينفردون بها عن كثير من قادة القبائل الكردية الاخرى هما: اولاً وقبل كل شيء لم يقيم نفوذهم على إمتلاك الاملاك واستخدام الفلاحين، وانما كانوا يعيشون على الزكاة تقدم لهم طواعية من قبل المزارعين وليسوا بها حاجاتهم. ثم تطور هذا الى استضافة الضيوف في التكية، واخيراً الى تقديم الهدايا الى الضيوف المرموقين. فلم ينغمسوا كما انغمس كثرة الزعماء القبليين بالجانب الانحلافي من مظاهر الحضارة، فلم تكن لهم محظيات، اوبيوت سرية في المدن. وبالارتباط بهذا الاسلوب من الحياة المرتبطة بجمهور الشعب توطدت لدى البارزانيين ظاهرة الصلابة الفريدة قيادة وشعباً – كما وصفها الرحالون الاوروبيون.

ليس فيما تقدم عرض واف او دقيق للاحداث، وانما الغرض منه عرض صورة لانتفاضات الكرد في هذه المنطقة ضمن انتفاضاتهم في المناطق الاخرى. وقد اكد تسلسل هذه الحوادث على استمرار السياسة البريطانية ذاتها في عهد الاحتلال الاول واستمرارها في عهد المملكة العراقية التي اقيمت في عام 1921.

المصالح الذاتية: في عام 1923 دخلت القوات البريطانية راوندوز وهو عام انتهاء الانتفاضات الاولى في هذه المنطقة. وتم تعيين السيد طه حفيد الشيخ عبد الله النه ري قائم مقاماً في راوندوز. وكان يطمح اقامة حكومة كردية تحت الحماية البريطانية. وبقي يحتل هذا المركز حتى كانون الثاني 1938. وقد شملت مدة وظيفته هذه فترة النضال العراقي ضد معاهدة 1930 بلوغاً الى انتفاضة السليمانية ومأساة قمعها، والتطورات التي اعقبها وفي ضمن ذلك بلوغ الاخائيين الى السلطة مرتين في عامي 1933، 1935، فانقلاب بكر صدقي، وقسم من عهد السلطة التي اعقبته. ولكن لم تنسب اليه مشاركة في قمع الانتفاضات الكردية.

بدأت الحركات القمعية ضد البارزانيين في تموز 1931 بعد الفراغ من قمع انتفاضة السليمانية – في عهد وزارة نوري السعيد الاولى. لقد قامت السلطة الحكومية بغارات تأديبية من الجيش والشرطة تعززها الطائرات البريطانية وقوات الليفي. ولكن الحرب لم تنته بنهاية حاسمة، لان السلطة البريطانية ورجال الحكومة كانوا في شغل (ونزاع احياناً) في التحضير لربط العراق بمعاهدة جديدة حتى كان فرضها في حزيران 1930، وما تبعها من مأساة انتفاضة السليمانية. ثم مكافحة انتفاضة الجبال التي امتدت اليها الانتفاضة. فلما فرغت من ذلك كله توجهت لقمع البارزانيين بقوة وبصورة حاسمة.

بدأت السلطة خطتها على خطين اثنين متوازيين معاً. هما تعبيد الطرق واقامة المخافر لتوطيد المراكز الادارية. وكانت منذ العهد التركي ادارة رمزية وخضوع اسمي كدفع ضريبة تحت عنوان ضريبة الحيوانات (كودة). اما على الخط الثاني فقد وجدت السلطة من رئيس الصوفييين – رشيد لولان المنافس والحليف المنشود. وقد كان حليفاً عميلاً لكل سلطة حتى بعد قيام الجمهورية الاولى 1958، اذ انتقض على السلطة مرة واحدة حين كانت تسير على خط تقدمي فطورد ولجأ الى ايران. ثم عاد من ايران ليكون الى جانب السلطة عند نشوب الحرب الكردية الحديثة الاولى عام 1961.

ادعى هذا الحليف العميل ان الشيخ احمد البارزاني اخذ يبشر بالاحاد والاباحية. أما الاباحية فكانت إفتراء محضاً، لأنه كان يسود البارزانيين قانون للاخلاق. لم يكن له مثل آخر في المناطق المجاورة. كانت العادة لدى كثرة القبائل ان على من يخطف بنتا (او بتعبير آخر من يهرب مع بنت) ان يدفع إلى اهل البنت بندقية او يقدم لهم امرأة يتزوجها احد ابنائهم. فيعقد في الوقت ذاته عقد زواجه من البنت التي هربت معه. اما القانون الذي اشاعه البارزانيين، فهو إذا كانت البنت حرة غير مرتبطة بزواج من احد فيعقد لمن هربت معه الزواج منها دون دفع فدية (بندقية او امرأة). اما إذا كانت مرتبطة بزواج من شخص آخر فلا محل للفدية، وإنما يحكم عليها بالقتل – ولسنا في معرض مناقشة هذه القسوة.

أمما الإلحاد فقد كان غير مبنياً على شعرة من الواقع. ذلك ان جمهور البارزانيين كانوا ينظرون الى الشيخ احمد نظرة تقديس. ويسمونه "أي سد بارزان" أو "صاحب بارزان" بمعنى المالك ... وقد شهدت في حالة التاهب للحرب او لمعضلة ما، اقامة تجمعات للذكر والتقديس، وحتى عدم الجواب ردا على سلام القادم الابعد انتهاء الذكر.

كتب سر ا. ويلسون مقالا تحت عنوان الازمة في العراق ذكر فيه ان المجرى الواقعي للاحداث كذب جميع التأكيدات التي قدمتها الحكومة البريطانية الى لجنة الانتداب في عصبة الامم. ومما جاء في مذكرة (همفريز) المندوب السامي السابق الى عصبة الامم في ايار 1931 حول مسؤولية الحكومة الداخلية ما يلي: "ففي الواقع وبالرغم من معاهدة حزيران 1930 بقيت المسؤولية مشاركة بين حكومة جلالته والحكومة العراقية. فمن المعروف ان قوات العراق وحدها لم تصبح بعد قادرة على مجابهة الكرد او عرب صحراء العراق على الحدود النجدية. ان الكرد ضد الحكام العرب بصورة عنيفة في عواطفهم. وهم محاربون جيّدون سيما في جبالهم. وليس للجيش العراقي قيمة في الحرب الجبلية ولم تستطيع الحكومة بعد انشاء جيش من الجنود قادر على مجابهة هجوم جدي من جانب الكرد. وتحاول حكومة العراق تكوين قوة طيران لهذا الغرض. ولكن ذلك لم يزل في الحالة الجنينية. وليس في الامكان القول بانها ستكون موثرة.

ان الكرد دوما على اهبة الانتفاض، وعندما يقع اضطراب ما تقمع معالجته بوجه خاص من قوات الليفي الاثورية المستخدمة من قبل البريطانيين، او من قبل القوات الجوية الملكية او الاثنين معا. اما الجيش العراقي فانه يلعب دورا اصغر. وفي خلال الشهر الاخير قامت قوة الطيران البريطانية بقصف الموالين للشيخ محمود الرئيس الكردي "المنفض" وبدا اختلاف كبير من المعاهدة والترتيبات المتخذة وفقا لها. وان شيخا معروفا هو الشيخ احمد البارزاني، قد واجه هجوما في 31 تموز من عام 1931 من رئيس اخر هو رئيس الصوفيين. وقد استولى هذا على اغنام وبغال ونساء واطفال، فطلب الشيخ احمد من الحكومة العراقية ان تنصف له ولكنها لم تستجب لاستنجاهه. فقرر انئذ ان يقتص بنفسه. وكان الضرر الذي الحقه بخصمه اعظم كثيرا مما وقع عليه فقررت الحكومة العراقية ان تقتص منه ولذلك كان اختيار منتصف الشتاء لانه كان عسيرا على رجال القبائل ان يقاموا هجوما طويل الامد في

ذلك الفصل. وقد بدأ الجيش العراقي العمليات الا انه هزم هزيمة نكراء حتى تم انقاذه من المأزق بالقوة الجوية الملكية التي قصفت بارزان. وقد اصبح موقف الشيخ احمد حرجا جدا، موقف المذنب وكل ما اراده هو تهدئة الحكومة والمحافظة على الاستقلال الذي هو ثمين جدا له ولرجالها. وقد تم اطلاق الاسرى وردت جميع الاموال المستولي عليها، وبدا ان الحادث قد انتهى. الا ان الحكومة العراقية كانت قليلة الاهتمام بتحقيق السلام. فقد استعدت لعمليات عسكرية جديدة في ربيع 1932، معتمدة دوما على القوة الجوية البريطانية لتساعدها عند الاقتضاء. وقد عادت الطرق واستنفرت الجنود، وتم القاء البيانات من الطائرات. وفيما يلي نموذج منه "الى شيخ احمد البارزاني وانصاره. بما انكم لم تبدوا اهتماما بالوامر والبيانات السابقة، فاعلموا بان الهجوم الجوي عليكم سيكشف. يوازيه الهجوم عليكم وعلى قراكم وقطعانكم بالرشاشات والقنابل التي لاينفجر بعضها في الحال، بل يتاخر بضع ساعات ويشار عليكم بان تضعوا واطفالكم بعيدا. وستستمر العمليات حتى ايقاف كل مقاومة، ويعلم رؤسائكم الخضوع. خذوا حذرکم. ان الحكومة متشددة جدا اذا ما حاولتم المقاومة وان كل مقاومة عبثا. فلماذا اراقة الدماء من جديد.

ولسوء الحظ هزم الشيخ واستسلم (كذا) ولكن لم يتم ذلك الا بعد ان القيت اطنان القنابل دون تمييز على القرى وعلى القطعان والتجمعات البشرية سواء. وبعد بضعة اشهر كتب مراسل بارز لجريدة التايمس اللندنية مقالا حول الموضوع مبينا "ان تلك كانت مظاهرة لاتساع الحضارة وللمثال عليها في العراق" (رامبول الكرد والقانون).

والواقع ان الشيخ احمد البارزاني لم يستسلم وان هزمت قوته. كانت موقعة مضيق ما مشك يوم 19 اذار 1931 وتكبد فيها الرتل (المرسل لمهاجمة الكرد) خسائر جسيمة. اذ سمحوا لتلك المقدمة بالمرور بعد ان احتلوا جميع المرتفعات المسيطر عليها من الجانبين وظلوا مختبئين بين الصخور والاشجار الكثيفة حتى اصبح القسم الاكبر منه ضمن المضيق، هاجموه فوق ارتباك بين اجزائه. وأدى ذلك الى استيلاء القوة الكردية على كميات كبيرة من مواد الاعاشة والتجهيزات والى ارتفاع معنوياتهم.

وفي 18 حزيران 1932 انسحب الشيخ احمد الى منطقة زينا قرب الحدود العراقية التركية. وفي يوم 22 حزيران كان الشيخ احمد مع اخوته ملا مصطفى والشيخ صديق وبعض اتباعهم قد دخلوا الحدود التركية. ومع ان حركات بارزان اعتبرت منتهية في اليوم السادس من تموز 1932 فان ذيولها استمرت. وكانت السلطات التركية قد ابعدت الشيخ احمد مع بعض اعوانه الى منطقة ارضروم الا ان ملا مصطفى والشيخ صديق واولوبك وخليل خوشوي بقوا قرب الحدود وصاروا يتسللون الى الحدود العراقية. (المجلة العسكرية عدد (1) السنة العاشرة بقلم مظفر الدين ابراهيم رئيس اول ركن وضابط استخبارات).

في مذكرة قدمها معروف جاويك الى رئيس مجلس النواب جميل المدفعي، ذكرت في كتابه (بارزان والبرزانيين) بيّن فيها ان الغرض من الحرب هو اقامة وطن قومي للاثوريين في منطقة بارزان.

فيذكر جاويك: كان ذلك في عهد وزارة نوري السعيد الثانية التي ضمت كلا من محمد امين زكي وجلال بابان. وكان وزير الداخلية ناجي شوكت وبعد نحو عام اطلع الترك على خطة الانكليز لاسكان الاثوريين في منطقة بارزان فنقل البارزانيين الى منطقة محادية لوطنهم فتراجع الانكليز وبناء على اتفاق بين الترك وحكومة العراق صدر العفو العام دون قيد او شرط في 13 ايار 1933 في عهد وزارة الاخائيين الاولى فاعيدوا. فاسكنتهم الحكومة في الموصل ثم نقلتهم الى الناصرية وكانوا نحو 90 شخصا. وبعد اربع سنوات نقلوا الى الحلة، فالى الديوانية، ثم الى كركوك، فآلتون كبري، فالى السليمانية.

لقد كان هذا خلافا لما بينه ناجي شوكت الذي عين وزيرا للداخلية في وزارة نوري السعيد الثانية بعد ان استقالت الاولى لاجراج مزاحم الباجه جي، بعد فضائح نسبت اليه في 29 تشرين الاول 193. (ناجي شوكت ص 194 – 198) فقد ذكر ان الحركات ضد بارزان ابتدأت بعام 1932 وعزا الدور القمعي الى كل من وزارة الداخلية ووزارة الدفاع مهملا الدور الاساسي الذي قامت به القوة الجوية البريطانية.

ويذكر و.ج الفنستون (المسألة الكردية – لندن 1946، ص 99) استمرار حركة التحرير الكردية في منطقة بارزان في عام 1934 حتى 1935، ولم تنته الا بعد معارك دامية وقصف شديد من قبل القوة الجوية البريطانية وهدم القرى وتشريد سكانها (عن خابات 28 اب 1960). وفي عهد وزارة ياسين الهاشمي جرت الاتصالات بين الحكومتين العراقية والتركية اثناء (تمرد) البارزانيين في آب 1935، الذي انتهى بمقتل خليل خوشوي في آذار من السنة التالية (1936). وكذلك اثناء تمرد الايزيديين في جبل سنجار عام 1935، واخماده بسرعة (مذكرات نادي شوكت ص 273 "سير وذكريات").

## الفصل الثالث: الصراع على السلطة بين رجال العهد الملكي

### حزب الاخاء الوطني

في 20 تشرين الثاني 1930 وافقت وزارة الداخلية على إجازة حزب الاخاء الوطني ونظامه الداخلي. وفي ليلة 22 – 23 تشرين الثاني عام 1930 إتفق حزب الاخاء الوطني مع الحزب الوطني العراقي على وثيقة لغرضين هما:

1 – إعتبار المعاهدة التي عقدها حكومة نوري السعيد عام 1930 جائرة يجب تعديها. 2 – حل مجلس النواب الحالي لأنه لا يمثل البلاد وعلى الوزارة التي تؤلف ان تعمل على الاساسين المذكورين. وقد وقع على الوثيقة كل من رشيد عالي الكيلاني وحكمت سليمان عن حزب الاخاء الوطني. ووقعها عن الحزب الوطني جعفر ابو التمن ومولود مخلص ومحمود رامز.

وكان ناجي السويدي من مؤسسي حزب الاخاء إلا انه توقع ان سيأتي وقت تصبح به المعاهدة صكاً معترفاً به. فلم يوقع على الوثيقة وإنما وقعها نيابة عنه اخوه توفيق السويدي. (الوزارات العراقية الحسيني ص 108).

ولما جرت الانتخابات الثانية لهيئة الحزب العليا اصبح ياسين الهاشمي معتمداً عاماً وعلي جودت الايوبي سكرتيراً والدكتور عبد الاله حافظ محاسباً – والسادة رشيد عالي وحكمت سليمان والشيخ محمد رضا الشبيبي والسيد عبد المهدي والسيد محسن ابو طيبيخ والسيد حسين النقيب والسيد كامل الجادرجي ويوسف غنيمة اعضاء.

وكانت الهيئة العليا لحزب الاخاء الوطني في عام 1931 مؤلفة من الذوات الآتي ذكرها، وذلك حسب تقرير الشرطة وقم 173 (نقله بطاطو في ذيل ص 200):

رشيد عالي الكيلاني، محسن ابو طيبيخ، عبد المهدي الياسري، حسين النقيب (وكلهم من السادة من اصحاب الاطيان)، ومن الشيخ رضا الشبيبي وهو من علماء الدين الشيعة، ومن حكمت سليمان السياسي وصاحب الاملاك والاراضي الزراعية، وكامل الجادرجي صاحب الاملاك الواسعة ايضاً. وكان منهم الضابط الشريفي السابق علي جودت الايوبي.

يذكر ناجي شوكت ص 274 – 275 عن المسؤولين عن بدء الاقطاع في العراق: "كانت لياسين الهاشمي شراكة مع علي الكريم احد رؤساء القبائل في سامراء في مقاطعة مكيشيفة، وكانت لحكمت سليمان اراضي زراعية تمتد من ساحل دجلة الايسر في محلة الصليخ حتى نهر ديالى جنوباً بمساحة تقرب من 17 الف دونما. اما رشيد عالي فقد كانت له اراضي مقاطعة شادي بناحية النعمانية في لواء الكوت يشاركه في الانفاق عليها التاجر السوري المعروف جورج عابدين وجميع هذه الاراضي اميرية بالاصل. ولما استولى عليها المشار اليهم وضعت عدة قوانين لتثبيت اقطاعهم مثل قانون واجبات الزرع. وقانون اللزمة يساعدهم على ذلك الموظفون الاداريون. ... وهكذا اصبح لافندية بغداد اراضي واسعة وبساتين منقطة بالفواكه. مثال ذلك موظف بسيط في الشرطة استولى على اراضي اميرية في



لواء الكوت تقدر ب 60 ألف دونم. واحد شيوخ ربيعة محمد الصهيوذ امثلك مساحة تتجاوز 200 ألف دونم، وموحان الخير الله من رؤساء المنتفك يملك نحو نصف مليون دونم. ومثال آخر باع العم حكمت سليمان قطعة من اراضيه الزراعية باكثر من مليون دينار.

كانت تلك نظرة محدودة، فقد بدء الاقطاع المدني او اقطاع الافندية والبيكات منذ العهد العثماني. فعلى سبيل المثال، املاك الجادرجي كامل واخوه: فقد ذكر ابنه رفعت في كتابه صورة أب ( ص180) ما يلي "...وعند تطبيق الاصلاح الزراعي قمت باعداد الاقرار اللازم دون مراجعة الوالد. وهي تتعلق بنحو 250 قطعة من الاراضي وهي تمثل ثروة طائلة (على حد تعبيره) ثم يذكر ان في هذه الاراضي توجد حصص شائعة مع والده وزوجة روف الجادرجي. كان هذا عدا البساتين المزروعة بالنخيل. واذ كنت حاكماً في محكمة بداءة الحلة احيلت الي دعاوي كامل الجادرجي قد اقامها على المغارسين لاجراجهم من تلك البساتين. ولا اتذكر العدد بالضبط، واذ لم تخني الذاكرة فقد كانت نحو خمسين دعوى. وكان وكيله عبد الوهاب مرجان .... واذ ادرك مرجان ان اتجاه المحكمة نحو عدم اخراج الفلاحين أخذ يبتعد عن حضور المحاكمة بحجج مختلفة، حتى اسقطت الدعاوي دون حسم لتغيب المدعي دون عذر ودون حضور وكيل عنه.

ذكر ناجي شوكت في ص 229 – 232 من مذكراته وكان رئيساً للوزراء فيقول انه:

بعد ان قابل الملك واحس بضرورة استقالة وزارته عقد مجلس النواب، وأبت المعارضة الا ان تتحدى طويلاً وتوجه الانتقادات الى الوزارة القائمة "... وكان واضحاً أن رشيد عالي الكيلاني – وكان رئيساً للديوان الملكي – سيولفها. وسيكون الهاشمي احد اقطابها، وسيشترك فيها نوري السعيد عاقد معاهدة 1930 وزيراً الخارجية."

في 18 اذار 1933 قبلت استقالة ناجي شوكت، وفي 20 اذار 1933 تألقت الوزارة الاخائية وكان في منهاجها عبارة صريحة وهي "احترام العهود الدولية" وقد اعلن الهاشمي في مجلس النواب ان انتقاد الاخائيين للمعاهدة لايعني انها واجبة الالغاء بعد ان تم ابرامها من قبل المجلس السابق واصبحت عهداً دولياً واجب الاحترام.

ضمت وزارة رشيد عالي، ياسين الهاشمي وحكمت سليمان كما ضمت عميد حزب العهد نوري السعيد وسكرتير الملك ومعتده الخاص رستم حيدر، والعضو الكردي جلال بابان وكان عضواً في وزارة ناجي شوكت. واذ تقدمت الوزارة الى مجلس النواب بمنهاجها الوزاري في 16 اذار تضمن فقرة في السياسية الخارجية تقول: "احترام العهود الدولية .. " ومعنى ذلك احترام معاهدة 1930. فكان نقضاً صريحاً لميثاق التاخي بين الحزبين. فنشر جعفر ابو التمن زعيم الحزب الوطني نص ذلك الميثاق فاضحاً انقلاب الاخائيين ونكثهم للعهد.

فرضت معاهدة 1930 في عهد وزارة نوري السعيد الاولى. وبعد مآسي فرض هذه المعاهدة وقمع الاحتجاجات بسبب الازمة الاقتصادية استقالت وزارته. ثم تم تأليفها للمرة الثانية بعد اقضاء مزاحم الباجه جي وزير الداخلية اذ عزيت اليه تصرفات سيئة.

كان الملك فيصل يرى ضرورة تنحية نوري السعيد كي لا يصاب بالغرور اذا ما قبل العراق عضو في عصبة الامم (حسب مذكرات ناجي شوكت ص 198-202). وفي ايار 1932 اقر مجلس النواب الضمانات التي طلبها مجلس العصبة بخصوص حقوق الكرد والاقليات الاثنية. وفي 3 تشرين الاول اعلن قبول العراق عضواً في العصبة. وفي 27 تشرين الاول قدم نوري السعيد استقالة وزارته الثانية. يذكر ناجي شوكت (أ) لامكان حل مجلس النواب الذي كان مؤيداً لنوري السعيد، فقد اقصى في مهمة خارج العراق خشية مما قد يثير من المشاكل. وتم حل المجلس في غيابه.

(ب) حصل خلاف بين الوزارة الجديدة والسلطة البريطانية حول موضوع الضباط والجنود العراقيين الذين سيتولون حراسة المطارات البريطانية.

(ج) وقع خلاف مع الحزب الوطني العراقي الذي اشترط للمشاركة في الانتخابات شروطاً منها الغاء قانون الدعايات المضرة.. فلم توافق وزارة ناجي شوكت على طلبه واعتبرت ذلك تطرفاً. وباشرت بعملية الانتخابات التي عبرنا عنها – بعملية اختيار النواب كما هو الواقع.

(ع) اما المعضلة التي واجهتها الوزارة وادت الى استقالتها في اليوم التالي لاجتماع النواب الجديد، فكانت اقتناع الملك بضرورة ان تكون الوزارة ائتلافية. وحسب اعتقاد ناجي شوكت كان ذلك بتأثير الاخائيين بطريق رشيد عالي الكيلاني الذي كان رئيساً للديون الملكي. فعند افتتاح المجلس كانت حملة المعارضة شديدة. فاستقال ناجي شوكت في 18 اذار 1933. ولف الكيلاني الوزارة الاثنية الاولى في 20 اذار 1933. هكذا اجتمعت النقائض في موضوع الذوات التي تألفت منها الوزارة، وفي موضوع المبادئ بين ماضي عهد الاخائيين وواقعهم الحالي. فكان ذلك ما اثار احتجاجاً شديداً من الحزب الوطني العراقي.

كانت ابرز الاحداث في عهد الوزارة الاثنية الاولى (أ) سن قانون لصالح الاقطاعيين. (ب) القمع الوحشي لتمرّد الاثوريين. سنت الوزارة قانون واجبات الفلاحين رقم 28 لعام 1933. وبموجبه لايجوز للفلاح ان يهجر الارض التي كان يعمل فيها الا بعد تسديد ديون الاقطاعي، ولايجوز تشغيله في عمل ما الا بعد ابراز شهادة براءة ذمته من المالك (الاقطاعي) الذي كان يعمل لديه. لقد كان هذا ذروة تعزيز الاقطاع لم يبلغه في العهود السابقة. لقد كان تعزيز وتطوير الاقطاع بجانبه المدني (الكومبرادور) والقبلي منذ العهد العثماني، كما كان في عهد الاحتلال البريطاني. ولنا عودة بخصوص هذا الموضوع.

وانما نذكر الملاحظات التالية: منذ وصولي الى البصرة في شتاء 1931 شاهدت الحي الكبير من الصرائف اشبه في سعته بمدينة من مدن ذلك العهد. والصريفة حصير من القصب او حصيران اقما

على اعمدة من جريد النخيل معدة لمن يأوى اليها من الفلاحين العراة الجياع. وقد اطلق وصفهم عليها (المصاليخ) وهؤلاء هاربون من مناطق الاقطاع، وفي الغالب من اقطاعي العمارة. وفي التقرير عن الميزانية السنوية لمديرية ميناء البصرة، الذي كان يعده مديره البريطاني (وهو ضابط برتبة كولونيل من بقايا جيش الاحتلال، يدخل في حفل المصروفات مبلغا لشراء التمر ليوزع على (المصاليخ) ويبرر التقرير بان ذلك ضروري لابقاء جيش من العاطلين المستعدين للقيام باعمال الميناء كالتحميل والتفريغ، بأجور يسميها (ملائمة) بدلا مما يعتبره اجور زائدة للعمال الاعتياديين. ولم يكن يهتم ايا من رجال الحكم (الوطني) ان يرى ان في ذلك **سخرة مخططة**.

ولمشاكل الفلاحين في الجنوب وجوه اخرى حسب تجربتي منها مشاكل مربى الجاموس الذين لم تكن لهم ارض يحق لهم الاستقرار فيها. وانما ينصبون صرائفهم حيث يسمح لهم اصحاب الاملاك المهجورة غالبا لقاء شروط يفرضونها عليهم، ويضطرون الى الهجرة منها متى ما شاء المالك. وثمة مشاكل المغارسين (التعابة)، الذين كانوا عرضة لانتزاع الاراضي منهم بعد ان يغرسوها لقاء تعويض رمزي تقدره المحكمة حسب تقدير خبراء يتم اختيارهم من بين الملاكين. كان يجمع بين هؤلاء جميعا كونهم شعب بلا وطن يحق لهم الاستقرار فيه. وكانوا يعبرون عن الحرمان من "الوطن" في كل مناسبة اي انهم يطمحون الى وطن — اي الارض التي يحق لهم الاستقرار فيها. وقد كانت هذه المشاكل موضوع خطاب لي في برلمان عام 1937.

### وفاة الملك فيصل وتتويج الملك غازي

ب وفاة الملك فيصل في 8 ايلول 1933، تم تتويج الملك غازي وحلفه اليمين الدستوية في 11 ايلول 1933. وفي هذا الوقت وجد الاخائيون ان الاكثرية في مجلس النواب لاتؤيدهم، فطلبوا الى الملك غازي استصدار ارادة ملكية بحل المجلس لاجراء انتخابات جديدة. فرفض، فاستقالت حكومتهم وتألقت الوزارة الجديدة في تشرين الثاني 1933 من جميل المدفعي رئيسا، ناجي شوكت للداخلية نوري السعيد للخارجية، نصرت الفارسي للمالية، جلال بابان للعدل، صالح جبر للمعارف.

قام حزب الاخاء الوطني بعصيان قبلي ضد حكومة جميل المدفعي بتدبير من رشيد عالي الكيلاني وعبد الواحد الحاج سكر آل فنتلة — زعيم انتفاضة الشامية ( في ثورة العشرين) وبالاتفاق مع الهاشمي —. فاستقالت وزارة المدفعي يوم 15 اذار ولم يمضي على تأليفها للمرة الثالثة سوى 11 يوما. فكلف الهاشمي بتأليف الوزارة. وفي اليوم التالي دخلت بغداد قوة من رجال آل فنتلة المسلحين يستقلون 80 سيارة في مظاهرة لاستعراض القوة. وعقدوا مع رجال الحكومة مؤتمر الصليخ. ثم توجهوا الى دار الحكومة يقدمون التهاني الى حليفهم في العصيان رشيد عالي الكيلاني وزملائه الاخرين.

وبعد بلوغ الاخائيين الى السلطة في 17 اذار 1935 نتيجة العصيان القبلي وتوزيع المناصب حرم حكمت سليمان من منصب وزير الداخلية الذي كان لا يرضى بديلا عنه. لذا إستقال حكمت سليمان من حزب الاخاء.

ومنذ كانون الثاني 1935 اي قبل العصيان القبلي بنحو شهرين، قابل ياسين الهاشمي السفير البريطاني (سر ف. همفريز) فقال له انه (الهاشمي) اعاد النظر في موقفه من معاهدة 1930، فأصبح مقتنعاً بأن "المعاهدة قد اوجدت التحالف بين العراق وبريطانيا بشروط ملائمة." ثم اكد ذلك للمرة الثانية بعد تأليف الوزارة. (نقل ذلك بطاطو في ص 200 – 203 وما بعدها).

إن هذا التأكيد حول افضلية معاهدة 1930 "للتحالف بين العراق بشروط ملائمة" تجاوز سبق الاخائيين إعتبارهم "المعاهدة عهداً دولياً واجب الاحترام." وهكذا كان الارتداد بقفتين كبيرتين: من "المعاهدة صك جائر يجب النضال لتحرر منه" الى "أن المعاهدة عهد دولي واجب الاحترام" ثم إلى "التحالف بين العراق وبريطانيا بشروط ملائمة."

لقد كانت الوزارة فيمن ضمنهم جعفر العسكري وزيراً للدفاع ونوري السعيد وزيراً للخارجية وكان منظوراً في هذا إرضاء السلطة البريطانية. وكان هذا التأليف ملغوماً بالتناقض بين ياسين الهاشمي ومؤيديه من جانب ونوري السعيد ومؤيديه من جانب آخر. إذ كان ياسين الهاشمي مسند من أخيه رئيس الاركان العامة طه الهاشمي، كما كان له من أنصار بين ضباط الحيش وقوات الشرطة أيضاً. ولكن هذا التناقض لم يؤد الى نتيجة حاسمة. لإنشغالهم جميعاً بمشاكل اعظم.

في 29 نيسان 1935 إستصدر ياسين الهاشمي قراراً بتوقيف جلسات حزب الإخاء الوطني وتعطيل اعماله السياسية ولذا فالاصح ان يسمى هذا العهد (عهد وزارة الهاشمي) بمن ضمت معه من وزراء بدلاً من (عهد وزارة الاخاء).

في 24 – 3 – 1935 وقع إضراب في الكاظمية فتم قمعه بالنار وقد قيل أن عدد القتلى تجاوز الستين قتيلاً. وفي رسالة للهاشمي إلى ناجي شوطت في 19 – 4 – 1935 "..... إن الامور هدأت من كل الجهات، وليس الهدوء ناشئاً من إرشاد وإقناع فحسب، بل من إجراءات إتخذت في الديوانية وفي المنتفك بواسطة الشرطة وحدها. والشدة التي اتخذت في بغداد، حيث لم يخرج ولا موكب عزاء هذه السنة بل جمعت القراءات في مسجد الخلاني والكاظمية في الصحن نفسه. ومرت ايام محرم على بغداد كأن محرم لم يمر عليها. والناس مرتاحين لهذا المنع الشديد والآن تهئى إجراءات صغيرة كالتي حصلت في جهة الحلة لإفهام بعض النواب ان الحكومة تفعل ما تقوله لهم."

في رسالة من رشيد عالي الى ناجي شوكت في 8 حزيران 1935 "اضطرت للذهاب بنفسي" الى جهات الرميثة حيث الاضطراب كان اخذ ما اخذه وبعد ان بقيت اسبوعين وبعد توفيق الله بالقضاء عليه، رجعت الى العاصمة ولم امكث فيها الا يومين (كذا). واضطرتنا الحالة للذهاب بنفسي الى الناصرية، حيث وقع الاضطراب في اطرافها. بل وفيها، في سوق الشيوخ، فبقيت مدة اسبوعين تقريباً.

ان الحالة اليوم في البلاد على احسن ما يرام من حيث استتبات الامن. ان الاضطرابات كلفتنا خسائر ولكن انتجت لنا ثمرة. إن الحالة كانت غير طبيعية حيث خرج العشائر – لاكلهم طبعاً – عن حدود

النظام بطبيعة الاحوال التي احاطتهم من التفكك الاداري – فكان من الضروري ان تظهر الحكومة قوتها وسطوتها وتبرهن لهم ان جيشها وشرطتها قادران على اخماد اي حركة تمردية. ... والان نحن مشغولون بالاجراءات الفعالة في تحصيل الغرامات وجمع الاسلحة والتأديب من شنق وحبس وترحيل". وفي تعليق لناجي شوكت ص 264:

"صدرت في حوادث الفرات الاوسط 1935 احكام قاسية بحق اكثر من 150 شخصا كان بينها 63 حكما بالاعدام نفذ في 19 منهم واستبدل بالسجن المؤبد بحق الاخرين، مضافا الى احكام بالسجن تتراوح بين الثلاث والعشر سنوات. والغرامات الثقيلة، ومصادرة الاملاك، والابعاد عن الديار، وبالجد احيانا" (ياهل المهزلة المؤلمة).

في رسالة الهاشمي الى ناجي شوكت في 13 حزيران 1936 "لابد وقد اطلعت على تأديب عشائر الاقارع وقد سلموا جميعا الا شعلان العطية. .... انهم لم يتركوا في القلب رحمة ....". وفي رسالته في 9 تموز 1936 "لم نقصر مع المتمردين ولا مع غيرهم، وباشرنا بجمع السلاح في الفرات ايضا. المخلصون (كذا) من رجال العراق فاهمون (كذا) الموضوع".

وبالنسبة الى كردستان "تمت الاتصالات بين الحكومتين العراقية والتركية اثناء (تمرد) البارزانيين في آب 1935 الذي إنتهى في السنة التالية 1936. وكذلك اثناء تمرد الايزيديين في جبل سنجار عام 1935 ..... وقد تم إخماده بسرعة". مذكرات ناجي شوكت (ص 273). هكذا كان القمع بقوة السلاح ضد القبائل المتمردة، وضد مظاهرات الشيعة التقليدية، وضد الانتفاضات الكردية ..... دون محاولة لمعالجة ايجابية.

### الهاشمي والمسألة الفلسطينية

مساعدة الانتفاضة الفلسطينية في عهد حكومة الهاشمي عام 1936 كان عملاً هامشياً لا يصح تكبيره. لموضوع المسألة الفلسطينية بحث مستقل عديد الجوانب يخرج عن مجال هذه الملاحظة. وليس يجوز جمع الحكام العرب في الحكم بتجربدهم من العطف على نضال الشعب الفلسطيني. فقد كان بينهم من حاول تأييد هذا الشعب من خلال التفاهم مع ممثلي الاستعمار البريطاني، وبطبيعة الحال ضمن مخطط السياسة البريطانية. ومن هؤلاء حكومة ياسين الهاشمي التي حاولت ذلك بواسطة وزير خارجيتها نوري السعيد المعروف بإصراره حتى آخر ايام حياته على ان المسألة الفلسطينية "من صنع بريطانيا وهي المسؤولة عن حلها". هذا الى جانب الحكام الذين كانوا يطمعون بضم جزء من فلسطين. وإنما تنحصر ملاحظتنا الحالية في موضوع إرسال اسلحة خفيفة الى فلسطين: لقاسم حسن حديث مع بطاطو عن هذه المساعدة وكانت معلوماته مستمدة من ناظم حميد – لا نقره عليها. ولا نرى الحاجة الى الاطالة في التعليق عليها.

اما ما عرفته مباشرةً من ناظم حميد الذي كان مديراً لكمارك الرمادي في تلك الفترة، فهو "أن أسلحة خفيفة كانت ترد من بغداد في صناديق تحت عنوان تمور. وقد امرتنا السلطة بتمريرها حتى الحدود، وكانت ثمة جماعات من المناضلين الفلسطينيين يتسلمونها ويدخلونها إلى فلسطين بوسائلهم الخاصة." ليس مستبعداً ان يكون إرسال هذه المساعدة بعلم من ياسين الهاشمي. وإن كان مرجحاً ان الضباط الشباب – العقيد صلاح الدين الصباغ ورفاقه هم الذين ارسلوها. وتلك ليست عملية مهمة. فحتى 1939 في عهد وزارة نوري السعيد وحين كان غائباً في لندن، وكان وكيله ناجي شوكت: يذكر في صفحة 24 من كتابه سيرة وذكريات ما يلي:

"كان الدكتور امين رويحه بين قيادة الثوار الفلسطينيين والقوميين في العراق. وقد إتصل بي ذات يوم اثناء غياب نوري السعيد عن العراق. وطلب مساعدة الثوار ببعض السلاح والعتاد والمال فإتفقت مع طه الهاشمي على أن تقوم مديرية الشرطة العامة بتجهيزهم ببعض البنادق والرشاشات على أن تعوض من وزارة الدفاع فيما بعد. كما قدمت الى الدكتور رويحة "1000" دينار من المخصصات السرية، وقد نقلت الاسلحة بسيارات الشرطة الى الحدود الاردنية وسلمت إلى الثوار.

عاش ان التعاطف مع الشعب الفلسطيني ونضاله ضد الصهيونية لم يكن بدءاً وحكراً للقوميين العرب. ففي عام 1928 لم تكن ظهرت او برزت حركة القوميين العرب الجديدة ومن نشط فيها من الشباب القومي العربي. وقد قمنا نحن الطلاب والجماهير البسيطة بالمظاهرة ضد زيارة الفريد موند للعراق. وتحدينا الشرطة الخيالة التي داهمتنا في علاوي الحلة – وقد اصلنا المظاهرة حتى تهريب الفريد موند بطريق آخر. وقد افسدت زيارته، ونالنا عقوبات. لقد كنا مدفوعين ضمن الدفاع الوطني العام المتعاطف مع الشعب الفلسطيني والعداء للصهيونية بكونها قوة عدوانية مستتدة بالمخطط الاستعماري ودعاه المادي.

اما في عام 1936 فقد تصاعدت الانتفاضة الفلسطينية بسبب اعمال الارهاب والتكيل الواسعة التي لقيها الشعب الفلسطيني من العصابات الصهيونية بمساعدة وكلاء الاستعمار البريطاني الذين يمثلون سلطة الانتداب. ولذلك إجتذبت الانتفاضة عطف وتأييد شعوب المشرق العربي.

### ظهور الشعبية وانقلاب بكر صدقي

#### الشعبية

بعد ان تفرق كثرة العاملين في جريدة الاهالي بعد تعطيلها في 1932 ألف عبد الفتاح ابراهيم كراساً في "الشعبية" في العام ذاته. وقد ميز به الشعبية عن القومية وعن الشيوعية وان اخذ بالمبادئ الديمقراطية وبعض الوجوه الاجتماعية للاشتراكية. فأسس ومعه بقية جماعة الاهالي: واشهرهم محمد

حديد وعبد القادر اسماعيل وحسين جميل: الشعبية التي تحول اسمها الى جمعية الاصلاح الشعبي، التي تزعمها جعفر أبو التمن.

يذكر الحسيني في (تاريخ الاحزاب العراقية – ص 118). ان رشيد عالي بعد ان الف الوزارة في 20 اذار 1933: "استصدر ارادة ملكية باسناد منصب رئيس الديوان الملكي الى علي جودت الايوبي فغضب الجادرجي، واستقال من لجنة الحزب العليا ثم من الحزب نفسه واختار الانضمام الى جماعة الاهالي (كذا)". ويضيف الحسيني "ان الجادرجي استطاع ان يستدرج ابو التمن الى جماعة الاهالي (كذا)". وهذا ما لم نقره عليه، لان تسلسل الحوادث الذي استعرضناه يدل على اتصال الشعبين بابو التمن، قد سبق استقالة الجادرجي من حزب الاخاء الذي تم بعد اسناد منصب رئاسة الديوان الملكي الى الايوبي.

وفي 1 – 11 – 1933 اعلن ابو التمن اعتزال العمل السياسي. وفي 5 – 11 – 1933 طالب ممثلو فروع الكوفة والناصرية والبصرة وديالى للحزب الوطني وقف العمل السياسي. وفي هذه الفترة عرف اتساع حركة مكافحة الامية التي بداها الشعبيون الى انحاء عديدة مثل الكوفة والناصرية وبعقوبة.

عانى ابو التمن من تذبذب كوادره القيادية وبخاصة انتساب مزاحم الباجه جي (وزير الداخلية) لوزارة نوري السعيد التي فرضت معاهدة 1930 وكان من قادة الحزب الوطني البارزين. وقد نشر اسرار الحزب، ثم نسبت الى الباجه جي فضائح مكاتبات سرية مما اقتضى اخراجه من الوزارة. ويكون بذلك قد انفصل عمليا عن الحزب الوطني العراقي.

لقد كانت لجعفر تجارب سلبية من صنفين من الساسة، من الشباب الطموح الى البروز في الحقل الوطني ينتمون الى الحزب الوطني، حتى اذا بلغوا مركزاً مرموقاً، واغراء من السلطة تركوا الحزب وراء المناصب المغرية. وكانهم ساروا على سياسة قمع الحزب الوطني. وكانت تجربته السلبية الاخرى مع الساسة التقليديين وكما رأينا تجربته مع حزب الاخاء ومناورات قاداته وراء المناصب والمكاسب الكبرى في السياسة.

ذات يوم من عام 1933 قابلني عبد الجبار الملاك احد افراد عائلة الملاك الشهيرة من البصرة وبين لي ان ثمة جمعية سرية من الوطنيين تعمل لصالح الشعب والوطن، وعرض علي الانتماء الى هذه الجمعية، ولم يذكر شيئاً عن قيادة هذه الجمعية. ولم اشأ ان انضم الى جماعة لا اعرف اي شيئاً عنها. فاعتذرت.

وفي احدى زياراتي لبغداد دعاني عبد الفتاح ابراهيم الى لقاء مع جعفر ابو التمن وكامل الجادرجي – وكانت صلتي بعبد الفتاح ابراهيم وطيدة منذ عملنا في جريدة الاهالي. وعند اللقاء تناول الحديث الوضع السياسي في العراق بعامة وفي البصرة بخاصة. وكان الراي بيننا متقفا حول كل ما دار

الحديث حوله. الا انهم لم يذكروا لي موضوع الجمعية. ولو انهم ذكروا واقترحوا على الانتماء اليها لما كان لدي مانع من ذلك.

فمن لايعرف الزعيم الوطني ابو التمن؟ فضلا عن صلتني الوطيدة بعبد الفتاح ابراهيم، ولم اكن اعرف شيئا يدعو الى التحفظ ضد كامل الجادرجي، اذ كان اول لقاء بيننا. ولم يذكروا لي شيئا عن فروع البصرة. اذ استعرض الاحداث اللاحقة، ارى ان الجماعة كانوا يعتبروني واحد منهم، دون حاجة الى طلب صريح. وحين حل عهد الترشيح للنيابة بعد الانقلاب 1937 كنت مرشحهم عن مدينة البصرة.

لقد كان بين جعفر ومؤسسي الشعبية تقارب في التفكير وان اصبح عبد القادر شيوعيا. وبالنسبة الى المستوى الطبقي، كان عبد الفتاح يعيش من راتبه في العمل في وظائف الدولة وكذلك محمد حديد وان كان ابوه من كبار اثرياء الموصل. ومثلهما حسين جميل الذي يعيش من عمله حاكما في المحاكم العراقية او محاميا. وكان عبد القادر اسماعيل يعيش من دخل ابيه الذي كان وكيلا لاوقاف الكيلاني. اما جعفر ابو التمن الذي تراس جمعيتهم بعد فترة، فرغم انه كان تاجرا، ولفترات رئيس لغرفة التجارة، ورغم عدم تبنيه افكار شيوعية او راديكالية يسارية او قومية، الا انه كان له ايمان وطني شعبي لا يتزعزع للتحرك من الاستعمار لم ينش عنه طيلة حياته.

اما التحاق الجادرجي بالشعبية فقد كان بدءاً لاعطائها طابعا جديدا وان لم يكن الطابع السائد. فقد كان اخائيا في ايدولوجيته وفي المصالح الطبقيّة، بل كان من اغنى الاخائيين، واكثرهم تمسكا بالارستقراطية التي ورثها من العهد التركي. ولم يفارقه هذا الاعتزاز بالارستقراطية التركية طيلة حياته. وقد اكد موقفه الطبقي عند اختيار مؤسسي الحزب الوطني الديمقراطي. وكانت للجادرجي مواقف ايجابية ضد المؤتمرات الاستعمارية. ولكنه لم يكن بعيدا عن موقف بعض اقطاب الطبقة الحاكمة، ولكل من هذه تفاصيل بوثائق دونها نفسه حتى اخر حياته.

بدا الخلاف في الشعبية بين عبدالفتاح ابراهيم وعبد القادر اسماعيل لانتمائه الشيوعي ولتبنيه لنشاطات شيوعية كانت في بدء نشوئها. اما الخلاف الاشد فقد كان (حسب ما اتضح في ظروف لاحقة) بين عبد الفتاح ابراهيم وكامل الجادرجي فكل منهما ينتمي الى طبقة ومدرسة ايدولوجية مختلفتان كلياً. وكانت الدلالة العميقة اضطرار عبد الفتاح ابراهيم الى الخروج من الشعبية، بينما كانت بالدرجة الاولى بنت افكاره.

ولما كان اسناد وزارة الداخلية في 17 اذار 1935 الى رشيد عالي، بينما كانت هذه الوزارة المنصب الوحيد الذي يرضي حكمت سليمان، إذ بها ترتبط اجهزة الادارة في البلاد، فضلاً عن الاشراف على القبائل — وكان وزنهم في الدولة كبيراً. لذا إستقال حكمت سليمان من حزب الاخاء والتحق شكلياً بالشعبيين. فكان ذلك سببا لاغراق الشعبية بقوة فوقية تعتمد على سياسة المغامرات والانقلاب العسكري.



لم يكن من طموح حكمت سليمان ان يكتفي بالانضمام إلى حركة متواضعة، بل كان يخطط لدراما اكبر، لإنقلاب عسكري. لم يكن مستبعد حدوث خلاف في الراي داخل الشعبية، وليس لمثل هذه الخلافات شأن في نظر حكمت سليمان لانه شغل بمغامرات الانقلاب العسكري.

ذكر ناجي شوكت في مذكراته (ص 277) بأنه حين كان ممثلاً للعراق لدى تركيا زارها حكمت سليمان للإصطياف في صيف 1935. فبين له ان اسقاط الوزارات بالهوسات العشائرية قد إنتهى. وسيكون التدخل هذه المرة بقوة اعظم وهي الجيش. فأخبر ناجي شوكت ياسين الهاشمي بإحتمال تحرك الجيش دون ذكر مصدر الخبر. ولكن ياسين كان ثملاً بما كان يتمتع به من قوة.

### العوامل المساعدة على نجاح إنقلاب بكر صدقي

كما تم ذكره اعلاه قام حزب الاخاء الوطني بعصيان قبلي ضد حكومة جميل المدفعي ادى إلى إستقلالها في يوم 15 اذار 1935 وبلوغ الاخائيين الى السلطة في 17 اذار. كان إنقلاب 17 آذار 1935 إنقلاب ردة من وجوه عديدة نذكر اهمها كما يلي:

اولاً: التنكر للنضال الطويل الذي خاضه الشعب العراقي ضد ربطه بقيود إستعمارية تحددت أخيراً بمعاهدة 1930، واسفرت عنها إنتفاضة السليمانية فمأساة قمعها.

ثانياً: اللجوء الى المؤامرات مع القبائل ضد قبائل أخرى، وفتح باب العصيانات القبلية ضد السلطة المركزية. لقد كانت بريطانيا تعزز مراكز الاقطاع الكبرى بينما كان الملك فيصل يسعى في حدود مجاله لتقليل الدور القبلي ورجحان الاجهزة المدنية في توجيه سياسة البلاد.

ثالثاً: وهذا عامل اساسي وهو لجوء الاخائيين الى الفتك دون حدود لقمع حركات (التمرد). وقد استخدمت الفريق بكر صدقي اربع مرات: اولها ضد الآثوريين والثلاثة الاخرى في عهد وزارة الهاشمي ضد قبائل الفرات. وبذلك هيات لبكر صدقي فرص الصعود على سلم السلطة بطريق الفتك حتى وضعته على عتبة الانقلاب.

إستخدم بكر صدقي في قمع الآثوريين في تموز 1932، وذلك عند غياب الملك فيصل للمعالجة في برن (سويسرة) ومعه كل من رئيس الوزراء ورستم حيدر. كان الوزراء الباقون من الوزارة الاخائية الاولى آنذاك قليلي الخبرة. ومن جهة اخري كان فريق من المتطرفين الآثوريين، وكثرتهم ممن خدموا في الجيش البريطاني منذ اوائل عهد الاحتلال الاول بوصفهم قوة إضافية، حيث ساهموا في قمع الانتفاضات الكردية. ثم قام المتطرفون من هذا الفريق بإنتفاضة ضد السلطة العراقية. فاوكل الامر إلى بكر صدقي لكونه قائداً للفرقة الاولى. فقام بعملية إبادة لم يسلم منها حتى النساء والاطفال والشيوخ. وقد تم ذلك قبيل وفات الملك فيصل في 8 ايلول 1932.

رابعاً: بعث الطائفية في العراق: لقد قضى على الطائفية الموروثة من عهد الصراع التركي الفارسي بنضال الشعب العراقي المشترك ضد الاحتلال البريطاني منذ دخول إسطولها البصرة. إذ شارك

المجاهدون، وهم بوجه رئيس من الشيعة، في مقاومة الاحتلال. وإتخذت المقاومة الوطنية صوراً مختلفة حتى ثورة العشرين، إذ كان من مقدماتها قيام المصلين سنة وشيعة في مساجد كل منهما. ومنذ تأليف الدولة العراقية عام 1921 كان النضال المشترك ضد المشاريع البريطانية المعروضة على المملكة الوليدة. وقد اكد وحدة نضال العراقيين ضد الاستعمار وعملائه دون تفريق طائفي او ثنائي. ومع ذلك كان فيصل يدرك عدم التوازن في الجهاز البيروقراطي للدولة. فكان يحاول تطيف الوضع بالزيارات الودية لزعماء الشيعة. إلا ان النضال المتواصل ضد معاهدة 1930 قد غطى على موضوع عدم التوازن. حتى بعد حكومة الاخائيين الاولى آذار 1933. إذ إستمر النضال الشعبي ضد هذه الحكومة.

ولكن بعد وفاة فيصل في 8 ايلول 1933، أصبح قادة النظام البيروقراطي يتذمرون من ظهور الطائفية في العراق. ذلك انهم أنصرفوا بصورة أشد إندفاعاً في الصراع على السلطة والحصول على المغنم على حساب تدني مستوى حياة الجماهير الكادحة من فلاحين وعمال وكسبة.

لقد كان الجهاز البيروقراطي من قمته إلى كوادره من الدرجة الثانية مكوناً — بوجه رئيس — من بقايا الاورستوقراطية التركية او كبار الملاك من العهد العثماني وبقايا الضباط الشريفيين وفي مقدمتهم شخصيات مثل نوري السعيد وجعفر العسكري وعلي جودت. ومع ذلك كله لم تبلغ الطائفية الذروة التي بلغت في عهد حكومة ياسين الهاشمي الذي كان نفسه من ضباط الجيش العثماني. ولكن اكثرهم كفاءةً ونهماً. بينما كانت جماهير الشيعة وكثرتهم من الفلاحين وكادحي المدينة يعانون من الضيق الاقتصادي. وقد اضافت إليه السلطة الجديدة عامل القمع. إن قمع المواكب في ذكرى إستشهاد الإمام الحسين مثال على أشد اساليب العنف لخلق الطائفية. أما مايصاحب تلك المواكب من مظاهر لا تتألف وروح العصر، فإنما تتم معالجتها بالتنقيف والاناة والدعوة بين ابناء الشيعة انفسهم. فضلاً عن معالجة مشاكلهم المعاشية.

وليس يجوز الخلط بين هذه المعضلة الايديولوجية وعصيان القبائل. وللعصيان سببه المباشر والاساسي من تحزب "السلطة" إلى قبيلة ضد قبيلة اخرى، وإستخدامها في الصراع ضد خصومها.

اما إستئناف قمع الحركة الكردية في عامي 1935 و 1936 فقد كان جرياً على السياسة التقليدية التي سار عليها الاستعمار البريطاني وسير عليها حكومة العراق مع فارق واحد هو ان هذا القمع الاخير قد اتخذ طابعاً دولياً — إذ شاركت فيه كل من ايران وتركيا.

كان ياسين الهاشمي يعتقد ان بقاءه في السلطة منوطاً بما يمارس من قوة ومن يضم في وزارته من رجال الحكم. وبناءً على هذا الوهم القى في 7 ايلول 1936 خطابه المشهور الذي جاء فيه: انه يحتاج إلى عشرة اعوام لكي يتفرغ لمطالب اهل البصرة. وفي رواية نقلها بطاطو (ليتفرغ لإجراء ما يتقي لخير العراق).

## إنقلاب بكر صدقي

منذ إنضمامه الى الشعبية بدأ حكمت سليمان بالتخطيط لإنقلاب عسكري. لقد كان بكر صدقي يقضي معظم امسياته في دار حكمت سليمان يحتسي الكؤوس ويأكل الطعام ويتبادل المعلومات مع صاحب الدار. كما كان يمر اولاً على دار رشيد عالي الكيلاني التي لاتبعد عن دار حكمت إلا بضعة خطوات، فيتظاهر بالثقة به والاعتماد على حكمته وإخلاقه.

لقد سيرت الشعبية اي "جمعية الاصلاح الشعبي" بالقوة الاخائية الفوقية، وبصورة ادق بمؤامرات حكمت سليمان، خلف قوة عسكرية لا سبيل الى معرفة أغراضها او فهم حدود مغامراتها، إذ فرض عليها ان يكون منضماً إليها رسمياً بكر صدقي. فتم إنتماءه إليها حتى كان الانقلاب العسكري في 29 تشرين الاول 1936.

كان رئيس اركان الجيش طه الهاشمي في مهمة رسمية خارج العراق (تركيا). وقد تأخرت عودته لقضاء وقت من الراحة فيها، فأوكل إلى قائد الفرقة الاولى بكر صدقي نيابة رئاسة الاركان وقيادة المناورات التي إعتاد الجيش العراقي أن يقوم بها على إفتراض زحف جيش العدو من الشرق متجهاً نحو بغداد. ولكن بدلاً من ان يكون الزحف في حدود المناورات المضادة كان حقيقياً متجهاً لدخول بغداد فعلاً. وفي الوقت ذاته القت الطائرات العراقية بعض القنابل على سراي الحكومة.

كما القت منشورات بضرورة إسقاط الوزارة، وقد صيغت من قبل جمعية الاصلاح الشعبي. كان الانقسام في قيادة الحكومة، إذ كان موقف ياسين الهاشمي ضرورة مقاومة الجيش بقوات الشرطة. وكان إلى جانبه جعفر العسكري الذي توجه شخصياً الى غربي بغداد معتمداً على نفوذه على ضباط الجيش بأمل التأثير عليهم. فكان نصيبه القتل. فإستولى الرعب على نوري السعيد ولجأ إلى السفارة البريطانية التي نقلته إلى القاعدة الجوية في الحبانية غربي الفرات ومنها إلى مصر.

وتم إلقاء القبض على ياسين الهاشمي ورشيد عالي ونقلهما بسيارة عسكرية إلى الحدود العراقية وراء الرطبة، وللمفارقات شوهد حشد من الرعاع يرحمون دار الهاشمي بالحجارة.

وقد لقي جمهور الشعب والتقدميين بخاصة الانقلاب بالاستبشار والآمال العريضة، ولسببين إثنين هما الضيق الهائل الذي كانت تفرضه قيادة الهاشمي على الحريات، مقروناً بتعاضم الضيق الاقتصادي. أما السبب الثاني فكان الغطاء الذي غطى به الانقلاب بالمنشور الذي كان يحمل طابع جماعة الاصلاح الشعبي.

وبإيجاز: بعد ان تضاعف دور الشعبيين تحت الغطاء الفوقي الذي طرأ بإنتماء الاخائيين ثم بكر صدقي (شكلياً) إلى منظماتهم، إتسع التأييد الشعبي لجمعية الاصلاح الشعبي بعد الانقلاب. ولكنه لم يسلم من الانتفاخ غير الصحي بمن إنظم إليهم ممن تصيدوا المغنم على هوامش اليسار.

وكان تأليف الوزارة بالصورة التالية:

حكمت سليمان رئيساً لمجلس الوزراء ووكيلاً لوزارة الداخلية، محمد جعفر ابو التمن للمالية، ناجي الاصيل للخارجية، كامل الجادرجي للإقتصاد والمواصلات، يوسف عز الدين للمعارف، عبد اللطيف نوري للدفاع، صالح جبر للعدلية.

ويلاحظ أنها كانت خلواً من وزير كردي خلافاً للمعتاد. لقد كان الانقلاب بالنسبة إلى كثيرين محض فرصة لخلط الأوراق وإعادة تصفيفها كما يقال في المثل الانكليزي.

فإذ تم الانقلاب نشر روفائيل بطي صاحب جريدة البلاد مقالاً تهكمياً تحت عنوان عشرة ايام وليس عشرة اعوام مشيراً إلى تصريح ياسين الهاشمي الذي اطلقه على مدينة البصرة بأنه يحتاج إلى عشرة أعوام لكي يتفرغ إلى معالجة مشاكلها. وقد كان روفائيل بطي وجريدته بوقاً لياسين الهاشمي والسلطة التي كان يقودها. ثم اصبح احد نواب البرلمان في عهد بكر صدقي ومن ابرز المحرضين ضد جمعية الاصلاح الشعبي وضد الشيوعية. ومثل روفائيل بطي كثيرون ممن اخلصوا للسلطات الموالية للإستعمار البريطاني. ومنهم من كان لهم تأريخ مضاد للحزب الوطني. إذ تسلقوا إلى البروز بإنتمائهم إلى الحزب الوطني، حتى إذا حانت الفرصة خرجوا منه وإنقلبوا ضده.

فإذ اجريت الانتخابات للبرلمان فاز بالنيابة 12 شخصاً فقط من مرشحي جمعية الاصلاح الشعبي من مجموع 198. كان كاتب هذه الصحائف أحدهم. كما كان بينهم من لم يكن لهم شأن في السياسة وإنما تظاهروا بتأييد الاصلاح الشعبي. فلما إشتدت الحملة ضد الجمعية وضد الشيوعية تخلوا عن الجمعية دون الانتقال إلى موقف مضاد. أما الكثرة التي فازت بعضوية المجلس فقد كانوا من العناصر التي ساعدها الضباط الملتقون حول بكر صدقي من مختلف الجماعات الموالية للحكومات السابقة وللإستعمار البريطاني.

ومنذ الايام الاولى لافتتاح البرلمان ظهر التباين بين نواب كل من الجانبين. ومن بين تلك الكثرة الساحقة من النواب الموالين لبكر صدقي بدأ التحريض ضد جمعية الاصلاح الشعبي وضد الشيوعية، إذ كانوا يخطون بينهما.

ولم يكن لبكر صدقي حزب او برنامج سياسي محدد. وإنما كان ضد إرتباط العراق بالحركة القومية العربية. وقد رأى بعض الملاحظين أنه كان يميل إلى القومية الكردية، ولكنه في الواقع لم يقدم للشعب الكردي أي مساعدة. وعدا الضباط الملتقون حول بكر صدقي بقيت في الجيش عناصر قومية عربية لم تكن معروفة من جانبه وصحبه. وهي التي قامت بالقضاء عليه عندما حانت الفرصة.

لقد كان ضباط بكر صدقي يتصرفون كأفراد عصابة دون رادع قانوني او أخلاقي، مستهينين بصورة فوضوية مطلقة ضد حريات الناس وكرامتهم، وحتى إستباحة بعض الاعراض. من ذلك انهم إغتالوا ضياء يونس سكرتير مجلس الوزراء. ولم يكن له اي نشاط ضد الانقلابيين. ولم يقدم الى محاكمة ما ولو صورية لإسناد تهمة ما إليه. وبعد ايام اطلقوا الرصاص على دار مولود مخلص وهو من

الشخصيات القومية العربية ولكنه لم يصب ولم يعرف اكانت العملية إرهاب محض ام كانت لأجل تصفية حياته.

ومن ذلك التجمع الذي إنتف حول قيادة بكر صدقي بدأ التحريض على الشيوعية وعلى جمعية الاصلاح الشعبي. ففي جلسة النواب في أيامه الاولى وجه روفائيل بطي سؤالاً إلى رئيس الوزراء حكمت سليمان حول موقف الوزارة من خطر الشيوعية. فكان جواب حكمت سليمان نفياً لوجود خطر من الحركة الشيوعية. أما الافكار: فقال ان الاثير يحمل أفكاراً من كل نوع. من شيوعية ومضادة للشيوعية من جميع أنحاء العالم. ولا مجال للسيطرة على الاثير.

بعد ذلك بدأ بكر صدقي ذاته الحملة على الشيوعية. ففي 17 آذار 1937 صرح "أن ثمة من يتحدثون عن الشيوعية هي هذا البلد. ولكن اين معاملنا وأين هم رأسماليونا ورأس المال الذي يمكن ان يتم به الاستقلال. إن اولئك الذين يفضلون الشيوعية إنما ينتمون إلى أحد فريقين. إما ان يكونوا سذجاً لا يعلمون ماذا يريدون، وإما ان يكونوا ممن يريد بالبلاد شراً. إن الشيوعية لا تتآلف مع حكومة ملكية. ولذا فإنني اعلن ان الجيش مستعد لسحق كل حركة شيوعية او غيرها مما يهدد العرش مهما كانت تلك الحركة طفيفة."

في 24 آذار 1937 كان إضراب عمال الميناء. وفي 5 نيسان إضراب عمال السيكايير في بغداد وعمال نفط كركوك. ثم انتشرت الاضرابات في مناطق الضخ وفي الكوت وعمال السكك في بغداد وعمال النسيج في النجف وفي قاعدة الحبانية العسكرية. وقد دلت هذه الاضرابات على بدء تطور وعي الطبقة العاملة. وكان العمال "المصاليخ" يتقاضون 45 فلساً لقاء 14 ساعة عمل. وفي 8 نيسان 1937 القي القبض على محمد صالح القرزاز وكان من المنتسبين الى جمعية الاصلاح الشعبي.

في اواسط حزيران 17 او 18 1937 حاولت بعض القبائل في الفرات الاوسط الهجوم على مركز للشرطة فعومل المهاجمون حسب التاكتينات العسكرية التي سبق ان قام بها بكر صدقي. إذ كان الهجوم عبر نهر الفرات. فلم يجر إطلاق النار عليهم من قبل الشرطة في الجانب الثاني، حتى إذا اصبحوا غير بعيدين عن المركز تم إطلاق المدافع الرشاشة عليهم. كما قامت الطائرات بقصفهم حتى ابيدوا. فأستقال في يوم 19 حزيران وزراء اربعة هم جعفر ابو التمن، وصالح جبر، وكامل الجادرجي، ويوسف عز الدين. وكانت إستقالة صالح جبر مبنية بحسب صلاته المذهبية لا غير. كما جيئ به الى الوزارة للسبب ذاته.

وتلا ذلك حل المجلس النيابي وعينت وزارة المعادين للإصلاح الشعبي و(للشيوعية) وجرت حملة دعائية ضد الشيوعية. وفي 12 تموز اعلن حل جمعية الاصلاح الشعبي رسمياً، على انها كانت معطلة فعلاً. وكان جو الارهاب فريداً حتى ذلك الوقت.

في 7 آب 1937 كان بكر صدقي في الموصل وهو في طريقه الى تركيا لمشاهدة المناورات العسكرية. وقد تم قتله في يوم 11 آب 1937 في مطار الموصل وتم معه قتل الطيار محمد علي جواد

الذي هم بقتل قاتل بكر صدقي. وقد قتلها عريف من تلغفر يدعى نصر الله وقد استخدمه الضابط محمود هندي لهذه الغاية. ولا يستبعد ناجي شوكت ان لنوري السعيد وطه الهاشمي يداً في هذا الاغتيال (ناجي شوكت سيرة وذكريات ص 306).

ويرد في هذا الخصوص احتمال دور للعقلاء الذين سبق ان انضموا الى الحركة القومية ونادي المثني، إذ اصبح نفوذهم قوياً بعد القضاء على بكر صدقي وفي مجرى الصراع اللاحق على السلطة. لقد كان انقلاب بكر صدقي والقمع الذي قضى به على العصيان القبلي في الفرات قد انهى عهد النفوذ القبلي في السياسة. وبدا عهد الانقلابات العسكرية - كما صرح بذلك حكمت سليمان قبل الانقلاب منذ عام 1935. وقد تأكد دور الانقلابات العسكرية بالكيفية التي قضى بها على بكر صدقي كذلك. مهم: لم تقدم دكتاتورية بكر صدقي بديل للسياسة البريطانية في موضوع العلاقات الدولية. فمنذ اواسط الثلاثينات كانت بريطانيا تستعد لمواجهة التطورات التي تتبئ بدنو الحرب العالمية الثانية، ومما قامت به في منطقة الشرق الادنى ووسط آسيا هو إعداد لحلف يتفق مع سياستها.

وفي ضمن ذلك سعت في عهد وزارة ياسين الهشمي إلى تطبيع العلاقات بين العراق وإيران. وقد اسفرت هذه المساعي عن إتفاق سعد آباد في 8 حزيران 1937. إذ وقعته كلاً من تركيا وإيران والعراق وأفغانستان برعاية بريطانيا. وقد نصت المادة السابعة من البيان على أن كلاً من الموقعين يتعهد باتخاذ التدابير في نطاق مجاله ضد تكوين او نشاط العصابات المسلحة والتجمعات او المنظمات التي تهدف إلى تغيير المؤسسات الحالية التي هي مسؤولة عن ضمان النظام والامن في أي قسم من حدود الدولة المجاورة. نقلاً عن (ايس. ايس. كروان "كردستان امة مقسمة في الشرق الوسط" 1958، ص 35). وتلاه التوقيع على إتفاق الصداقة وعدم الاعتداء بين العراق وإيران. وقد تضمن تعديل الحدود في شط العرب امام عبادان، بحيث يمر خط الحدود فيه بمجرى المياه العميق (ثالوك) بمسافة يقرب طولها 4 اميال.

وأصبح هذا الاتفاق نافذ المفعول بعد تبادل الوثائق بشأنه في عام 1938 في العهد الذي ساد بعد القضاء على حكومة بكر صدقي. وبتعبير صريح إن تبدل الانظمة والصراع على السلطة لم يؤثر في السياسة الخارجية التي كان خيوط تحركها المنظورة وغير المنظورة بيد الممثلين البريطانيين.

### حركة نيسان - ايار 1941

زعزعت الازمة الاقتصادية العالمية 1929 - 1933 نظام العلاقات الدولية الذي وضعته الدول المنتصرة في الحرب العالمية الاولى. لم يكن العراق في فترة الازمة الاقتصادية المذكورة ثم في فترة صعود الفاشية والنازية الى الحكم في معزل من تلك الاحداث، وذلك بسبب المخاطر المتعلقة بخطر الزحف البريطاني لإعادة إحتلال العراق بتأييد الزمرة الحاكمة المرتبطة بالاستعمار وتحت تبرير ممارسة بريطانية بموجب معاهدة 1930.

فرضت هذه المعاهدة على العراق بقوة السلاح في عهد رئيس الوزراء نوري السعيد. وكان من قيود تلك المعاهدة ان يقدم العراق الى بريطانيا في حالة الحرب او التهديد بالحرب جميع التسهيلات والمساعدات التي يمكن ان يقدمها العراق في اراضيه. وبناءً على تلك المعاهدة سمح لبريطانية إبقاء قاعدتي الحبانية على الفرات قرب الفلوجة والشعبية قرب البصرة الجويتان. هذا فضلاً عن السيطرة على ميناء البصرة وعلى السكك الحديدية العراقية وطرق المواصلات باتفاقات خاصة.

ففي اوائل تلك الفترة كان الدور الاول في للعوامل المحلية والصراعات على السلطة في حدود السياسة البريطانية. وفي هذا المنعطف من التأريخ العالمي كان بين الديموقراطيين والقوميين تضاد في تقييم الوضع الدولي الخارجي. كما كان بينهم مشاركة في تقدير المهمة الوطنية المباشرة. اما الاتجاه الاقوى في الميدان الشعبي فقد كان إتجاه القوميين العرب. كان القوميون العرب يرون في ظهور الفاشية جانباً واحداً وهو تحديها ضد الاستعمار البريطاني، الذي كان يسعى إلى إقامة الدولة اليهودية على الارض الفلسطينية. وبطبيعة الحال كان للانعطف مع النازية جانبه السلبي وهو معادات الشيوعية. وكان الشباب القومي متأثراً بالدعاية النازية وإعلانها العداء ضد اليهود. وذلك في الوقت الذي تم قمع الانتفاضة الفلسطينية عام 1936 من قبل بريطانيا صاحبة وعد بلفور. وكانت للشباب القومي قاعدة هامة في نادي المثنى وفرعيه الفتوة والجوالة. وقد بلغ نادي المثنى اوج قوته في 1938 – 1941.

تركزت قوة القوميين الحقيقية في الجيش. وكان العقيد صلاح الدين الصباغ المحور الحقيقي للضباط القوميين في عام 1929. وقد إتصل الصباغ لوقت ما بجعفر ابو التمن (نقلاً عن صديق شنشل). ولكنه في عام 1935 – 1936 ايد ياسين الهشمي الذي كان ذي إتجاه قومي عربي وفي الوقت ذاته إتصل بنادي المثنى.

وتتكون قيادة الضباط القوميين إلى جانب صلاح الدين قائد الفرقة الثالثة من: كامل شبيب قائد الفرقة الثانية، محمود سلمان قائد القوة الجوية وفهمي سعيد قائد القوات المدرعة. وعرفت هذه القيادة "بالضباط الاربعة". وكان للضباط الاربعة قاعدة من القوميين في رأسها مفتي فلسطين ويونس السباعي.

كان صديقي مصطفى اليوسف آل إبراهيم من العائلة المعروفة في البصرة قد ذكر لي انه قابل نوري السعيد في لبنان بعد إقصائه المؤقت. ومما قاله له نوري السعيد: "إنه لن يستطيع الإستقرار في العراق إلا إذا اقيم وصي على العرش ونقل السفير البريطاني من العراق. لأنه يرى ان الملك غازي قد شجع الإنقلاب الذي قاده بكر صدقي وان السفير البريطاني لم يقف موقفاً حازماً ضد الإنقلابيين.

عاد نوري السعيد إلى العراق في 25 تشرين الثاني 1937. وعزز علاقته بالعقداء. وبإتفاق المدفعي والإنكليز عين نوري السعيد وزيراً مفوضاً في لندن في كانون اول 1937. وكان في هذه الفترة يتصل بالمخابرات البريطانية ويخلق الإفتراءات ضد جميل المدفعي. عاد نوري السعيد في تشرين الثاني 1938. وفي 24 كانون الاول تمكن من تهيئة إنقلاب ضد المدفعي.

ثم بدأ الصراع بين علي جودة ونوري السعيد. وحضى نوري السعيد بتأييد العقداء الاربعة. واخذ نوري السعيد يحوك المؤامرات ويعلن إكتشافها ضد الملك حتى تسنى له تصفية قيادة الجيش الذين هم اعلى من الصباغ.

ومنذ وصوله إلى السلطة قبل إغتيال الملك غازي اخذ يبرز إسم عبد الإله على المسرح. واخيراً في ليلة 3 – 4 نيسان 1939 تم قتل الملك غازي. وفي صباح 4 نيسان 1939 اذيع خبر وفاة الملك غازي بحادث وهو يقود سيارة في حدائق القصر. واذيع ان الحقائق مفتوحة لمشاهدة الجمهور. فأسررت لصديق لي من المحامين "إذا صار عبد الإله وصياً، فإن الحادث جريمة مدبرة".

وسافرت في مساء اليم ذاته إلى بغداد. فوقفت كما وقف آخرون عند السيارة التي لم تصب بخدش ما في مقاعدها الامامية وحتى الخلفية وإنما اصيت بعطب جانبي ضئيل، إذ كانت إصطدمت بجانبها الايمن بعمود للكهرباء فسقط على الجناح. وتوصلت من تفحصي للسيارة ومواقع الإصطدام فتأكدت ان السيارة فقدت المقود بعد ان تمّ ضرب الملك الذي كان يقودها. ثم كان إصطدامها بالعمود، فكان الإصطدام نتيجة وليس سبباً. وبعد هذا الإصطدام توقفت عند شجرة. ولم يعرف شيئ عن مصير الشخصين المرافقين للملك وكانا يجلسان وراءه. وللمفارقات الغريبة ان التحقيق بخصوص حياة الملك وإصدار القرار حول الحادث قد تم في يوم واحد ..... بينما كنا نقوم بالتحقيق أشهراً لمعرفة الحقيقية حول حوادث ثانوية.

كان الإتفاق بين رشيد عالي الكيلاني ونوري السعيد وناجي شوكت على التخلص من العائلة المالكة بصورة من الصور. وإصطلحوا في مراسلاتهم حول هذا الموضوع بكلمة (الاساس). (انظر في ذلك ص 312 من كتاب ناجي شوكت سيرة وذكريات)

كان يجمع العقداء الاربعة مع نوري السعيد العداء المشترك لبقايا حركة بكر صدقي بجانبها اليميني الذي سار وراء بكر صدقي واليساري الذي إختلف معه، والحقد على الملك غازي الذي ايد الإنقلاب. ثم تم تعيين عبدالإله وصياً بناءً على رغبة الملكة عالية وضغط الضباط الاربعة. وقد تفرغ نوري السعيد في الفترة التالية لملىّ الدوائر العليا برجاله وبمساعدة بريطانيا.

وفي اليوم الثالث من أيلول 1939 أعلنت بريطانيا الحرب على المانيا. فقرر نوري السعيد بوصفه رئيساً للوزراء قطع العلائق مع المانيا. وتم تسليم الرعايا الالمان المقيمين في العراق الى القوات البريطانية باعتبارتهم اسرى حرب وارسلتهم إلى الهند. ومن المرجح انه قام بذلك بالاتفاق مع ممثلي بريطانيا. وكان ذلك مغاير للعرف الدولي – ولا ريب انه لم ترق للعقداء الذين كانوا يتعاطفون مع المانيا بسبب موقفها من اليهود وتصريحاتها بشأن فلسطين.

كان الخلاف بين القادة الذين قادوا الانقلاب من جانب والاستعمار من جانب آخر ملموساً في هذه الفترة. ففي 1937 كنت طالباً في دورة ضباط الإحتياط في الكلية العسكرية في بغداد، وكان يتردد على الكلية العقيد صلاح الدين الصباغ للإشراف على سير الدراسة والتوجيه فيها. وكان راديو الكلية



يفتح لإستماع راديو برلين حصراً. إذ كان يونس بحري يعلن الإنتصارات النازية ومنها إغراق البواخر البريطانية فيما كان يسميه (مقبرة بحر المانش).

وعلى مفارقة مما فعله نوري السعيد تم وصول الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين إلى بغداد في 15 تشرين الاول 1940 مع رهط من جماعته. وكان ذلك بتسهيل من حكومة العراق وبسبب مضايقة الحكومة الفرنسية اثناء إقامته في لبنان. ولاريب ان ذلك كان بسبب ضغط العقءاء.

وقد اصبح المفتي طيلة مكوثه محوراً هاماً لمواقف الحكومة وسلوكها من الاحداث التي جرت في العراق حتى غادره في 29 ايار 1941 في قمة الازمة مع بريطانيا، وقبل هزيمة الجانب العراقي. قام العقءاء الاربعة في الاول من نيسان 1942 بإنقلاب عسكري. فإستولى الجيش على السلطة واعلنت حكومة برئاسة رشيد عالي الكيلاني الذي كان رئيساً للديوان الملكي منذ 1939. وهربت الزمرة الموالية لبريطانيا إلى الديوانية، ثم إلى البصرة. وحاولت دون نجاح تأليف حكومة في البصرة تحت حماية الاسطول البريطاني.

لقد حضرت الإجتماع المفتوح الذي عقد في بناية مجلس النواب من قبل حكومة الدفاع الوطني لإعلان عزل الوصي عبد الإله وإدانة زمرة نوري السعيد ومن ساروا معها في ركاب بريطانيا. وسمعت الإيضاحات الحقوقية لإقصاء عبد الإله عن العرش وتنصيب وصي الشريف شرف.

وقد بدأ ناجي السويدي إيضاحاته بالقول ان إهتمامي بالدستور العراقي وحرصي على صحة تطبيقه حمل البعض على تسميتي بأبي الدستور. موضحاً ضرورة إختيار وصي على العرش بعد فراغ الوصاية بهرب عبد الإله. وقد تم إختيار الشريف شرف.

وحظيت الحركة بتأييد شعبي واسع. وايدها أعداء القومية والرجعيين، كما ركب الموجة إنتهازيون حتى ممن كانوا يتمكسون على موائد الزمر الموالية لبريطانيا.

لي علاقة قديمة مع رشيد عالي الكيلاني تعود إلى وقوفه إلى جانبي حين كان استاذاً في كلية الحقوق. وذلك بعد إختفائي عن مطاردة الشرطة في عام 1929. طلبت مقابلته لأستوضح منه اسباب تطور الوضع إلى ما اصبح عليه. فإستقبلني في داره في الصليخ.

وقد بين لي مايلي فيما بين:

ثم قال: "كنا إتخذنا في مجلس الوزراء قراراً بإقامة علائق الدبلوماسية مع الإتحاد السوفياتي، بينما كانت الامور تتطور نحو المواجه مع بريطانيا. وكلفنا نوري السعيد بوصفه وزير الخارجية بتنفيذ القرار إلا انه إحتفظ بالقرار ولم ينفذه. فإضطرت ان آخذ الامر على عاتقي شخصياً، فكلفت قريبي يوسف الكيلاني سفيرنا في انقرة فقام بالواجب".

وقد تتابعت الحوادث المؤيدة لإيضاحات رشيد عالي. ففي 3 ايار ابلغ الإتحاد السوفياتي بطلب الحكومة العراقية بالاعتراف بها. وفي 13 ايار اعلن إعتراف الإتحاد السوفياتي. وفي 18 منه تم تبادل الوثائق في انقرة. (هذه المعلومات على درجة كبيرة من الاهمية من وجهة النظر التاريخية. فالعلائق

الدبلوماسية مع الإتحاد السوفياتي بدأت بموجب بطاطو بعد شباط 1944، ص 518 و ص 528 "الناشر"

وقد ارتكب قادة الحركة خطأين كبيرين، اولهما المغامرة التي إستدرجتهم اليها بريطانيا. وكما بين تشيرشل في مذكراته بما معناه (لقد كانت في العراق دملة ففجرناها). كان الخطأ الثاني الاعتماد على مساعدة تأتيهم من حكومة فيشي (صنيعة المانيا) من سورية.

تجمع الديموقراطيون في دار الزعيم ابو التمن. وكان الاجتماع بدعوة منه لإتخاذ موقف موحد من الحرب التي خاضها العراق ضد بريطانيا بقيادة حركة نيسان – ايار 1941. فبهذه الحركة يرتبط مصير العراق إيجاباً او سلباً لأمد لا يعرف مدها. كما ان هذه الحركة كانت موضع خلاف في موضوعين متناقضين: اولهما انها تجابه الاحتلال العسكري البريطاني الجديد الذي كان جزءاً من الحرب العالمية الثانية. وكان واضحاً انه سيسخر العراق بشعبه وثرواته ومواقعه الاستراتيجية ومؤسسات مواصلاته للاغراض العسكرية الامبريالية. ومن جانب آخر كان يبدو على الحركة جانب المغامرة، فضلاً عن تعاطفها الصريح مع المانيا الهتلرية. وقد تمت مناقشة هاذين الجانبين دون ان تكون لنا معرفة اعمق فيما كان بين قادة الحركة من وفاق او خلاف. وقد رجح لدينا تأييد الحركة بسبب جانبها الاول وكان الاله في نظرنا. وهو مجابهة الاحتلال البريطاني. وبقدر ما اذكر كان الشخص الوحيد الذي تحفظ ولم يبدي تأييداً او رفضاً هو صادق كمونة، الذي سأله جعفر ابو التمن: ما الموقف في النجف؟ فأجاب النجف واجمة.

انزلت قوة بريطانية في البصرة في 17 نيسان 1942. ولم تسمح بريطانيا للبصريين بتكوين لجنة للدفاع عن الذات. فتمت إستباحة البصرة ونهب اليهود. وفيما كان ضباط المقدمة في الفلوجة القت الطائرات البريطانية المضليين من الجيش الاردني ومن القوات الاضافية من الأثوريين في الحصوة جنوب شرقي الفلوجة. كما تعقبت القوات المشتركة البريطانية وعملائها فلول الجيش. ولكنهم لم يتقدموا لإحتلال بغداد. فلغرض إشاعة الفوضى تأخرت القوات المشتركة دخول بغداد من أجل تأديب سكانها. فكانت فترة يومين بعد إنسحاب قادة حركة نيسان – ايار نشط فيها المخربون واعملوا المذابح باليهود بزعم انهم كانوا يؤيدون الجيش.

لقد كان دخول الجيوش البريطانية على اساس الاحتلال الثاني في 2 حزيران 1941 مستنداً على القوة العسكرية من الناحية الشكلية وعلى تأييد اسوأ بقايا العهد الملكي وفي مقدمتهم نوري السعيد والوصي عبد الاله والزمر المتهافنة معهما.

تعلمت ازمة النظام الملكي منذ الاحتلال الثاني للعراق وعودة عملاء بريطانيا إلى السلطة واندفاعهم في الاقتصاص من قادة الحركة ومؤيديها. وقد شمل ذلك قطاعات واسعة من الشعب العراقي. وكذلك الاقتصاص من الجيش العراقي بإنقاص قوته العددية والاقتصاص من بعض قادته بالاحالة على التقاعد او بإختلاق المؤامرات لإنهاء الخصوم حتى كان إعدام قادة حركة نيسان – ايار.

تم إعدام كل من العقيد محمد فهمي سعيد ومحمود سلمان ويونس السبعوي في 15 ايار 1944. وتم إلقاء القبض عليهم في إيران. وادم العقيد كامل شبيب يوم 20 آب 1844. وكان منفيًا إلى سالسبوري في افريقيا مع بعض الفلسطينيين.

ادم العقيد صلاح الدين الصباغ في 16 تشرين الاول 1945. ذلك انه هرب إلى تركيا حتى تسلمه الانكليز في نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد صلب على باب وزارة الدفاع. وفي الليلة السابقة للإعدام إستدعاه الوصي عبد الاله للإهانة وهو في بدلة السجن.

ذكر الدكتور محمد حسين الزبيدي في كتابه ثورة 14 تموز ص 295 بأن العقيد المتقاعد فاضل المختاري قال: "كنت في وزارة الدفاع وإستدعيت مع من إستدعى من الضباط للخروج إلى باب الوزارة، وقد وجدنا جثمان العقيد صلاح الدين الصباغ معلقاً في باب وزارة الدفاع على خشبة الإعدام. وطلب منا الفريق إسماعيل نامق الاصطفاة خلف المشنقة .... في إنتظار الوصي عبد الإله إذ يمر من باب الوزارة لنؤدي له التحية العسكرية. وفعلاً مر بسيارته من امامنا وكانت تسير على مهل فدق البوق مؤدياً التحية العسكرية، وأدى العسكريون التحية ايضاً. وكان هذا المنظر المؤلم المثير للشعور مثاراً لنفسية الضباط. واقسموا يومها على أن يعلقوا عبد الاله في نفس المكان الذي علق فيه جثمان صلاح الدين."

وبعد إعدام قادة حركة نيسان – ايار 1941 شنت حملة إنتقام من الجيش ومن الشعب العراقي بصورة عشوائية، ثم نشأ صراع على السلطة بين الوصي ومثيديه ونوري السعيد ومؤيديه. وفي الوقت ذاته تعاضم النفوذ البريطاني وسيطرة وكلاء بريطانيا على العراق سياسياً وإقتصادياً تحت ظل سيطرتهم العسكرية.

وضعت إدارة العراق بوجهيها السياسي والاقتصادي تحت إشراف إدارة الشرق الاوسط التابعة لوزارة المستعمرات. وترتب على الاشراف الاقتصادي وضع التموين بالمواد الغذائية والتصدير والاستيراد تحت إشراف وكلاء بريطانيا. وقد نشطت الشركات البريطانية الاحتكارية، ومن بعدها الكوميرادور العراقيون في تكديس الارباح على حساب إنتقاص مواد التموين. حتى كان الحصول على الحاجة الكافية من الخبز غير ميسور، مما ضاعف مأسى الشعب. فتفاقم الغلاء والتضخم النقدي وإستشرى الفساد في الجهاز الاداري البيروقراطي من اعلى مراتبه حتى افراد الشرطة. وقد لعب الموظفون المشرفون على توزيع الاغذية دور الشريك.

## الفصل الرابع: الإنتفاضة الكردية عام 1943

### مقدمات الإنتفاضة

لإنتفاضة 1943 مقدمتان مباشرتان من ظروف كوردستان والعراق بعامة ومن التطور الذاتي في الحركة التحررية الكوردية. فبعد الاحتلال الثاني للعراق وتعاضم النفوذ البريطاني وسيطرة ممثلي الاستعمار البريطاني على التموين بالمواد الغذائية ومطالب العيش الأخرى إنعكست المآسي على الشعب الكردي مضاعفةً. ويعود ذلك إلى سبب هام وهو التسلط البيروقراطي وعدم إمكان إيصال أصوات الاحتجاج في الاطراف. ولسبب اخص وأهم وهو سياسة التمييز ضد الشعب الكردي إقتصادياً من إنتفاضاته المتتالية. وقد كان للموظفين المحليين دور بارز وبخاصة الكورد منهم مثل سعيد قزاز الذي سيأتي ذكر مواقفه.

وللإشراف العسكري – السياسي تم تعيين بريطانيين بصفة مستشارين ومعاونين للمستشارين في المتصرفيات وحتى الاقضية حسب ما كانوا يحسبونه ضرورياً. "وقد كان المستشار البريطاني في شمالي العراق ومقره الموصل. وله نواب او معاونون في راوندوز وكركوك وأربيل والسليمانية. ويمتد نطاق نفوذه حتى مه آباد." (في مجموعة شعب بلا وطن ص 126).

وكما تقدم التنويه: بعد قمع الحركات الكوردية الاسبغ في بارزان ثم نفي القادة والكوادر البارزانيين وعوائلهم إلى الموصل فالى الناصرية ومنها إلى الحلة فالى الديوانية وإخيراً إلى السليمانية في ظرف الحرب عام 1940.

وكان الوعي القومي الكردي يرتفع بمد سريع. وانعكس هذا التطور بين المنتمين إلى منظمة هيفا (الامل) التي اعيد تأسيسها في السليمانية عام 1930. وكما هو معلوم اسست منظمة هيفا (الامل) في إستانبول عام 1910. ثم توقفت اثناء الحرب عام 1914، فأعادة نشاطها بعد إستسلام تركيا بإتفاق مودروس عام 1918.

وقد نشأت اندية كوردية في مختلف انحاء كوردستان ومن ذلك نادي في السليمانية. ومن خصوصيات السليمانية انها كانت مركز الانبعاث الفكري الكردي منذ عهد إمارة بابان. (ينظر التنويه الاوسع بهذا الخصوص في مقدمة إنتفاضة السليمانية عام 1930). ثم تجدد الانبعاث الثقافي في السليمانية. وفي ضمن ذلك إعادة تأسيس هيفا عام 1930. فكانت الفترة من عام 1940 حتى عام 1943 ظرفاً لتلاقي البارزانيين بالعناصر القومية التقدمية، وكانت السليمانية بودقة التلاحح بين التقاليد البارزانية والفكر القومي التحرري الحديث.

### مسيرة البارزاني نحو قيادة الإنتفاضة

خرج البارزاني سراً من مدينة السليمانية بمساعدة منظمة امل متوجهاً نحو بارزان عبر المنطقة الكوردية – الايرانية المحاذية. ونظراً إلى شعبيته في مختلف مناطق كوردستان والتي شملها النهوض

القومي الاحداث خلال الحرب، فلقد لقي المساعدات في تنقله حتى دخل الجانب العراقي في 28 – 7 – 1943.

وطوال شهري آب وأيلول قام بالعمل التمهيدي للإنتفاض المسلح. بما في ذلك إستكشاف نقاط ضعف قوات السلطة وإختيار مواقع المجابه، وبخاصة التحالف مع من امكن من قادة القبائل. لقد كان للقيادات القبلية في كردستان اهمية في إصطفاف القوى على خلاف ما كان في العراق العربي، حيث سبق التطور المادي وتطور العلائق الطبقية. فقد إنتهى دور القيادات القبلية في إحداث الانقلابات بالعصيان إلى جانب هذه الزمرة او تلك من رجال الحكم. وقد كانت آخر حركة من هذا القبيل في عام 1937 في الفرات الاوسط ضد حكومة بكر صدقي وقد تم سحقها بمنتهى الشراسة. فأصبحت المؤامرات والتجمعات المضادة تتم في بغداد والمدن الاخرى ، بينما بقي إصطفاف القوى في كردستان قليلاً. هذا اولاً، وبما ان القيادات القبلية إنما تحدد مواقفها على أساس المصالح الآنية وهي شديدة الحساسية لشم الروائح التي تقتضي مواقف آنية (برغماتية – ذرائعية) دون نظرة مبدئية إلى الافق الابعده. وإذ كانت الظواهر الآنية إلى جانب حركة القيادة البارزانية ومؤيديها، كان للعمل التمهيدي الذي قام به البارزاني نتائج إيجابية.

كانت المجابه العسكرية الاولى بإحتلال مخفر (شانه در) في 2 – 10 – 1943 تبعتها معارك في 13 و 15 و 20 من الشهر ذاته. تم فيها إستيلاء الانصار على معظم مناطق بارزان (مناطق نفوذ البارزانيين) بإستثناء ميركة سور وقرية بارزان ذاتها وبله. وفي الفترة التالية حتى 10 – 11 – 1943 كان النصر حاسماً. فإضطرت الحكومة الى وقف الحركات العسكرية.

كان العنصر الجوهري لتحقيق هذه الانتصارات هو أنها كانت حرب انصار بما فيها من مقومات: الايمان بالقضية التي يناضلون من أجلها والوحدة بين القيادة والكوادر وجمهور الانصار وإلتحاق جماهير الشعب حول الحركة ومساهماتهم فيها بمن في ذلك النساء. وحتى العناصر الكردية الوطنية المستخدمة في الجيش والشرطة مثل عبد الرحمن القاضي الذي كان أمر بطارية مدفعية في ميركة سور وغيره كثيرين.

ومن الناحية الفنية كانت تاكتيكات حرب الانصار مبنية على الإستفادة من الطبيعة الجغرافية لكوردستان، وعدم التعرض للقوات الحكومية إلا حيث يكون النصر ملموساً، وبخاصة إستدراجها حتى يتم الانقضاض عليها فجأة من مكامن. وكان دائماً شتاء كردستان صالحاً لحرب الانصار افضل منه لحرب الجيوش التقليدية.

وإزاء عجز الحكومة العراقية عن معالجة المشكلة في كردستان إستعرض السفير البريطاني كورنواليس إفلاس الحكومات التي كان يؤلفها نوري السعيد برسالته التي وجهها في تشرين الثاني 1943 الى انتوني ايدين مندداً بعجز تلك الحكومات عن معالجة التضخم النقدي المتفاقم معالجة امينة وحازمة، وإنعدام الامانة والكفاءة في الخدمات الاجتماعية ونتيجة ذلك ضعف وفساد الشرطة وإنعدام

الاعتماد على الجيش وسوء معالجة موضوع الكورد والإستيلاء المخجل على الاراضي من قبل الشخصيات المرموقة، والهوة الساحقة بين الحكومة والشعب. (نقلها بطاط في ص 247).

اما ما لم يستطع — او لم يرد — التنويه به، ورؤسائه في لندن هو ان هذه المساوء إنما كانت مرتبطة عضويًا بنظام الحكم الذي اقامته بريطانيا ونتيجة حتمية لتطور ذلك النظام تحت النفوذ البريطاني. وإذ كانت ذروة مساوء ذلك النظام تستفحل في عهد وزارة السعيد المعروف بعنف إستعماله السلطة، فإن الواقع هو أن النظام بأجمعه اصبح غير قابل للإصلاح.

وبناءً على ما تقدم من سوء معالجة الوضع في كردستان إضافةً إلى المشاكل الأخرى التي تقدم التنويه بها. تم إعادة تأليف وزارة السعيد بإيجاد حقيبة وزارية لمعالجة المشكلة في كردستان وعين لها ماجد مصطفى ذي الماضي المرموق في الحركة القومية الكوردية، كما دخل الوزارة أحمد مختار بابان من العناصر الكردية الموالية للوصي.

وبعد تمهيد اولي تم اللقاء بين البارزاني وماجد مصطفى في مير كه سور في 7 — 1 — 1944. وبناءً على إتفاقه مع قيادة هيفا (الامل) قدم البارزاني مطالب القيادة الكردية. وكان منها ما يتعلق بالإصلاحات الضرورية العاجلة مثل توزيع مواد التموين على سكان المنطقة، وإستبدال الموظفين الذين اساءوا إستعمل السلطة، وفتح المدارس والمستشفيات وشق الطرق وإعادة المبعدين الى المنطقة وأطلاق سراح السجناء السياسيين.

لا توجد معطيات على وقوع إتفاق بين الجانبين ولذا فإنني أعتبر ما قدمه مسعود البارزاني في كتابه (ثورة بارزان 1943 — 1945 ص 128) وما قدمه رامبو في كتابه (ل. رامبو ص 73) محض (مطالب) عرضت على ماجد مصطفى لنقلها إلى المسؤولين في بغداد.

وإضافة لما تقدم ذكر مسعود البارزاني مطالب (او إقتراحات) بتشكيل ولاية كردستان للإدارة الذاتية الداخلية. وإعتبار اللغة الكردية رسمية في الولاية — وإستحداث وزارة يتولاها وزير كردي تتاط به شؤون كردستان المقترحة، وتعيين معاون وزير كردي في كل وزارة من الوزارات .... (وإن لم يرد هذا في مراجع اخرى).

وبعد هذا اللقاء إتخذت السلطة الإجراءات التي تلائم رؤيتها بشأن حل المشاكل في كردستان: فصدر الامر بإنسحاب الوحدات العسكرية المرابطة في المنطقة إلى تكنتاتها. وفي 25 — 1 — 1944 قرر مجلس الوزراء تعيين عناصر إدارية جديدة بدلاً من إداريي العمادية وراوندوز وميركه سور وعقرة الذين اساءوا إستعمال السلطة، وإعادة مخافر الشرطة في منطقة بارزان وإعادة العوائل البارزانية وعلى رأسها الشيخ أحمد إلى برزان، إذ كان نفي أثناء الانتفاضة إلى الحلة، والموافقة مبدئيًا على العفو العام عن المشاركين في الحركة بإستثناء من كان منهم في وظائف الحكومة ثم إتحموا بالحركة، وإسترداد اسلحة الحكومة ..... وتعيين ضباط إرتباط كرد مرتبطين بوزير الدولة في الوحدات الادارية التالية:

بهاء الدين نوري للسليمانية، العقيد أمين زاوندوزي لراوندوز، العقيد سيد عزيز سيد عبد الله لمير كه سور، النقيب مير حاج احمد لعقرة، النقيب خوشناو لبارزان، الرائد عزت عزيز لبله، النقيب مجيد علي للعمادية، النقيب فؤاد عارف لبيشدر. وتدفقت الارزاق إلى كردستان وجرى توزيعها بأشرافهم. (مسعود البارزاني).

وفي 22 - 12 - 1943 إستصحب ماجد مصطفى البارزاني إلى بغداد، فقابل كلاً من الوصي ونوري السعيد. وهياً إجتماعاً في كركوك جمع البارزاني والسعيد وعدداً كبيراً من رؤساء العشائر الكردية، خطب فيه السعيد خطاباً مسهباً مشيداً بالشعب الكردي.

### ظواهر الارتداد في عهد نوري السعيد

منذ شباط 1944 بدأت الإجراءات ضد بعض ضباط الارتباط، إذ صدر الامر إلى أمين راوندوزي بوجوب العودة إلى وحدته العسكرية و امر آخر إلى سيد عزيز سيد عبدالله للإلتحاق بدورة عسكرية. وأهم من هذا ما شاهده بنفسي. سافرت في 4 نيسان إلى كودستان بطريق الوصل وبعدها إلى العمادية وقد تجلت امام عيني صور ثلاث. كانت الصورة الاولى إستعداد الحكومة، طبعاً حكومة نوري السعيد ومرترقتها من (الجاهش) لإستئناف القتال، إذ شاهدت تحشدهم في اروقة متصرفية الموصل والساحات المحيطة بها يتسلمون الاسلحة والمخصصات، ولم يكن هذا سراً يكتشف وإنما يجري علانيةً ويراه أي ملاحظ.

وكانت للصورة الثانية دلالة على مدى نهب الموظفين لارزاق الناس (مخصصات التموين) في كردستان. وصلت العمادية يوم 5 نيسان وكان القائم مقام الكردي احد اولئك الاداريين الذين صدر الامر بإقصائهم بسبب الفساد. إلا انه رفض ترك المدينة متحججاً بشهادات صحية. ف جاء إليها عبد الوهاب الدباغ، معاون متصرف الموصل - وكانت صلتني به منذ عهد إصدار جريدة الاهالي عام 1932، إذ كان من مؤيديها. جاء فحاول إقناع القائم مقام بإخلاء المدينة.

لقد كانت هذه المحاولة ذاتها دليلاً على ضعف موقف الحكومة من أولئك الفاسدين .... وبعد جدل وإحراج صرح القائم مقام كما ابلغني الدباغ بأنه لن يترك المدينة حتى يغيب عنها ضابط الارتباط ولو لفترة .... وكان واضحاً انه يريد ان ينقل ما سبق ان سرق من مواد التموين.

أما الصورة الثالثة: فكانت الافراح بما كان يبدو انه (عهد جديد). كان ذلك ملموساً لدى جمهور الناس، وزادني وقوفاً عليه التقائي بعدد من الشباب الديموقراطيين الذين كانوا على إتصال ومشاركة بالحركة الديموقراطية الوطنية في بغداد. وتاكّد حضوري حفلة عشاء اقامها ضابط الارتباط محمد علي ودعا إليها الشخصيات المرموقة في المدينة. وفي ذلك الوقت كانت العمادية والبراري المحيطة بها تزدهو بحلل من الربيع: ربيع الطبيعة مضافاً إلى ربيع الافراح والتفاؤل. ولكن بعد هذا بشهرين كان تغير السياسة والتمهيد لحرب عام 1945.

بعد خمسة وعشرين عاماً، أي بعد إتفاق آذار 1970 بأيام كنت في طريقي إلى منطقة مقر البارزاني وكنا نسميها "دار السلام". البيت البسيط الذي تم فيه توقيع إتفاق آذار .... كان الشعور ذاته بعيد متعدد الحل، عيد بدء عهد آذار الذي كان عيداً مضاعفاً بالفأل العظيم بحل السألة الكردية. وعيد نوروز عيد العام الجديد او الحياة الجديدة في تقاليد الشعب الكردي، كما كان عيد الطبيعة التي سبق ان سكبت امطار غزيرة بعد إحتباس طويل فبعثت الاعشاب والزهور بين رماد الحرائق السابقة، الذي اصبح غذاءً للطبيعة المستيقضة.

### دور هيفا - الامل في إنتفاضة 1943 والنضالات اللاحقة

نشرت خابات عرضاً عن منظمة هيفا أثناء أنتفاضة 1943، ومما جاء فيه: (.....) في عام 1943 أثناء الثورة في منطقة بارزان بدأت الازمة الداخلية في الحزب. وكان الخلاف حول مسألتين هما أولاً: الموقف بين المعسكرين. فقد كانت العناصر اليسارية ترى ضرورة إعتقاد حركة التحرر الكوردية على الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي، وليس على الإستعمار البريطاني والمعسكر الإمبريالي.

ثانياً: كانت ترى ضرورة إشتراك الحزب في الثورة الكوردية ومساندتها بكل ما لديه من القوة ومحاولة قيادتها وتوجيهها.

بينما كان الرئيس رفيق حلمي يمثل الجناح اليميني ويرى عدم إغاضة الانكليز .... وعدم الإعتقاد على الإتحاد السوفياتي لبعده عن إمكان المساعدة. وكان يرى عدم الإشتراك في الثورة إلا بمساعدات طفيفة لا تجلب نظر الطبقة الحاكمة. وقد تم الإنشقاق بين الجانبين.

وفي شهر شباط 1944 إذ إجتمع الكونغرس الحزبي العام في مدينة كركوك. وإشتد الخلاف وأدى إلى الإنشقاق، حيث انفصل عن الحزب الجناح اليميني بزعامة رفيق حلمي الذي عارض جميع مطالب الجناح اليساري. وظل الجناح اليميني محتفظاً بإسم هيفا، وسرعان ما إنحل. وتكونت من الجناح اليساري منظمات مختلفة بأسماء وبرامج ومناهج مختلفة.

وذكر ماجد عبد الرضى عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في القضية الكوردية في العراق ص 85 و 86 مقتطفاً من مقال في جريدة القاعدة عدد نيسان 1945 بقلم فهد ندد فيه بنادي الإرتقاء ومما جاء فيه حول منظمة (أمل - هيفا): "أن هذه الزعامات لاتمثل الحركة الكردية ولاتمثل الشعب الكردي الذي هو واحد من تلك الشعوب التي تريد ان تخلع اثوابها البالية، اثواب الفقر والجهل والمرض والتأخر. إن رغبات الشعب الكردي ومصالحه يمثلها حملة مشعل الروح الجديدة ومنهم تنتظر الحركة الكردية التوجيه والقيادة الصحيحة لا من (الامل) الذي يأمل (كذا). إن الشعب الكردي بحاجة إلى حزب فعلي لا حزب أمل، ليعالج قضاياها المستعجلة ولا إلى زعامات من أجل المناصب." إنتهى الإقتباس.



إنه حكم خطير بخيانة عناصر قومية كان لها دورها. فقد ضمت (أمل) تلك العناصر التي تقدم الحديث عن دورها في إنتفاضة 1943. فالحكم المطلق بالصورة المتقدمة فضلاً عما فيه من جور يلقي ظلاً على تأريخ حركة التحرر الكردية. ليس ينكر أن للرئيس رفيق حلمي مصالحه الطبقية والذاتية، ولكن لم يكن دوره دور خيانة، وإنما قام والكوادر الملتفة حول قيادته ل (أمل) بالتاكتيكات الملائمة لظروفهم تلك. وقد خدموا فعلاً حركة التحرر الكردية. هذا فضلاً عن العناصر التقدمية الكثيرة التي ابقت على إرتباطها بالمنظمة وآزرت الإنتفاضة ومنهم الضباط القوميون والتقدميون الذين كانوا سندا إلى جانب قيادة البارزانيين المسلحة للإنتفاضة في الميدان المدني أولاً ثم المشاركة في مه آباء، باللجوء إلى الإتحاد السوفياتي.

فإذا كان الإنشقاق في (أمل) قد تم في شباط 1944 والحكم اللاحق بإدانة المنظمة وقائدها من قبل (فهد) في نيسان 1945 فأين هذه الاحكام من الاحداث السابقة واللاحقة؟ فكما تم التنويه به سبق لقيادة أمل أن أرسلت الرئيس مصطفى خوشناو والرئيس مير حاج إلى مه آباء لتأسيس العلاقة مع قادة الحركة الكردية في كردستان إيران المحررة بالجيش السوفياتي.

وفي تموز 1942 خرج البارزاني من السليمانية سراً بمساعدة (أمل) باتجاه مه آباء ومنها دخل منطقة بارزان وياشر عمله في تهيئة إنتفاضة 1943. وفي تشرين الاول 1943 كانت الإتصالات بين قيادة (أمل) وخوبيون للتنسيق بين نشاط المنظمين. وكان ذلك أثناء الإنتفاضة المسلحة التي إنتهت بالنصر في تشرين الثاني. وعلى اساس الإتفاق مع أمل قدم البارزاني مطالبه إلى الحكومة العراقية في 7 - 1 - 1944. أي قبل إنشقاق اليساريين بشهر واحد وقبل مقالة فهد (نيسان 1945) بخمسة عشر شهراً. وكانت كثرة الضباط الذين قدمهم البارزاني من كوادر أمل ليكونوا ضباط إرتباط. فأين هذه الاحكام بالإدانة المطلقة من تلك الاحداث؟ بل حتى أيام إنشقاق اليساريين كان رفيق حلمي قد حرر رسالة إلى قيادة خوبيون في شباط 1944 لمواصلة التنسيق والتضامن بين المنظمين. وكان رفيق حلمي ورفاقه أرسلوا في ذلك الشهر أحد كوادرهم النقيب عزت عبد العزيز إلى مركز خوبيون للإتفاق على أعمال موحدة.

وبعد سقوط وزارة نوري السعيد في 3 حزيران 1944 إستمر التعاون بين المنظمين. وأثناء إستعداد السلطة للهجوم على الحركة القومية الكردية لتصفيتها إستمرت الإتصالات بين (أمل) وقيادة البارزاني في 30 - 1 - 1945. أي بعد الإنشقاق بنحو عام وقبل مقال فهد بإدانتته أمل بثلاثة أشهر يطالب بها وضع برنامج مشترك وتوحيد أمل ولجنة الحرية التي ألفها البارزاني. ثم رسالة البارزاني إلى أمل في 3 - 3 - 1945 يتوقع فيها نشوب الحرب الثانية ويذكر ما ينبغي من أعمال ويخولها القيام بما ينبغي من نشاطات. (ينظر نصوص الرسائل المتبادلة في مسعود البارزاني، ثورة بارزان ص 45 - 46).

والسؤال الذي يفرض نفسه هل كانت المخابرات البريطانية على علم بتطور الوعي القومي التقدمي في كردستان وبخاصة في السليمانية وبنشاطات منظمة أمل و إلتفاف المتقنين حول قيادتها؟

ينقسم الجواب في نظري إلى فقرتين: الفقرة الأولى في عهد إنتفاضة 1943 ونجاحها. يبدو أن المخابرات البريطانية لم تكن عارفة بما يجري، ولكنها لم تتوصل إلى النشاط الفعلي والاتصالات السرية لقادة (أمل) ولم يكن ذلك مهماً في نظر وكلائها في تلك الفترة، لأن المهم كان حل المشاكل الإدارية – التموينية، كما تقدم الحديث عن رسالة المعتمد السامي البريطاني إلى انتوني ايدن. وتحت نفوذهم إتجهت الحكومة العراقية إلى حل هذه المشكلة بنجاح.

أما بعد ذلك وفي فترة التحضير للمجابه العسكرية فكان قد إتضح كثير مما كان خافياً. ولذلك كانت السياسة البريطانية ترى ضرب الحركة القومية الكردية كلياً. وقد شنت وعمالها حرباً ضروساً في عام 1945 إنتهت بإلتجاء البارزانيين وحلفئهم إلى بارزان في شتاء كردستان القاسي. كما سنبينه في موضوع تلك الحرب. بل إن الإقتصاص وأحكام الإعدام والنفي لحقت بمن تم إلقاء القبض عليهم بعد القضاء على جمهورية مهاباد حيث نفذ حكم الإعدام بهم.

### موضوع قومية الايزيديين

أول برنامج للحزب الشيوعي العراقي بما في ذلك المسألة القومية في كردستان: وضعه فهد سكرتير الحزب الشيوعي العراقي للمؤتمر الحزبي (الكونفرنس) الاول الذي عقد في فترة إنتصار إنتفاضة 1943.

وقد جاء في المادة العاشرة في البرنامج موضوع المسألة القومية بالصيغة التالية:  
 "تناضل لأجل مساواة حقيقية في الحقوق للإقلية الكردية مع مراعاة حقوق الجماعات القومية والجنسية الأخرى الصغيرة كالتركمان والارمن واليزيدية." (ص 123 مؤلفات فهد).  
 لا ريب في أن هذه العرض للتكوين القومي لكوردستان لم يكن من منطلق إنتقاص حقوق الشعب الكردي. فقد كانت للحزب مواقفه وتصريحاته العديدة ضد الشوفينية ومن أجل حقوق الشعب الكردي والصدقة العربية الكوردية. ولكن هذه العرض على ماهو واضح تتقصه المعرفة بالتكوين الاثني لكردستان، وبخاصة كيان القومية الكوردية. وهو بعيد عن وضع ضيغة مبدئية للمسألة القومية.  
 فأولاً إن السألة القومية هي مسألة شعب وارضه في القطر الذي يعيش فيه. فإذا ما جزأ هذا الشعب وجزئت ارضه كما ذكر بإخراج الايزيديين من موطنهم، فأين تبقى مقولة المساواة في الحقوق؟ وثانياً انه انزل الايزيديين مع التركمان إلى مستوى الجماعات القومية والجنسية الصغيرة الأخرى. ولم يعترف بالمساواة في الحقوق بل منحهم نصاً غامضاً "مع مراعاة حقوقهم .." فما هو التحديد الواقعي لمراعات الحقوق؟

ولاريب أنه لو تسنت لواضع البرنامج معرفة أفضل بالنضال الذي خاضه لنين للحل الماركسي للمسألة القومية قبل ثورة اكتوبر، ولاسيما عند نجاح تلك الثورة وخلال التكوينات السوفياتية الأولى حتى وفاته، وما جرى في ذلك النضال والتطبيق العملي من مراعاة دقيقة حتى التفاصيل الثانوية بشأن

الديموقراطية في العلائق القومية وحرية الإختيار ..... الخ. ولو تسنت لواضع الميثاق معرفة كافية بتكوين العراق القومي – الاثني، لكانت صياغته لموضوع المسألة القومية غير هذه. لم يكن ثمة جدل في الهوية الكوردية للطائفة الايزيدية. ولمحض التذكير لا البرهان نشير إلى المراسلات التالية:

في 22 حزيران 1945 (أي في فترة وضع برنامج فهد للمسألة القومية). أرسل انور شيخ طاهر برواري رسالة إلى البارزاني ولم تكن لمحض التأكيد على هوية الايزيديين الكوردية، بل إعراباً عن التضامن مع القيادة البارزانية في ظرف عصيب، وذلك اثناء الاستعداد للمجابه العسكرية، يذكر فيه: أن الاميرة خاتون الوصية على امير الطائفة الايزيدية والرئيسة الاعلى للطائفة وكذلك عبد الله آغا الشرفاوي كلفاني لاكون حلقة الإتصال مع البارزاني .... وأعربا عن رغبة الاميرة في أن يوفد احد معتمديه إليها او أن ترسل هي معتمداً عنها لدى البارزاني لأنها لا تستطيع ان تسافر إليه بالنظر إلى كبر سنها وانوثتها ... ويضيف صاحب الرسالة مؤكداً "ارى من الضروري تلبية رغبة الاميرة لمتانة مركزها وتأثيرها الديني والدنيوي العظيمين على طائفتها الكرد الايزيدية البالغ عددهم نحو 600000 في مشارق الارض ومغاربها. (ص 125 و ص 126 من مسعود البارزاني ثورة بارزان 1943 – 1945، نسخة مصورة بالزنك.)

وقد كانت لي تجربة خلال السنوات 1066 – 1968 حين تنقلي بين كوردستان والاقطار العربية (سورية ومصر) مع المسلحين الكرد الذين رافقوني. أذكر ان احدهم وهو ايزيدي كان صاحب قطع اغنام، وقد فقده واصبح بيشمركه بسيطاً.

وختاماً لم تكن هوية الايزيديين الكوردية موضع شك او جدل قط، حتى ان بعثة عصبة الامم التي زارة ولاية الموصل عام 1925 اي قبل ميثاق فهد بنحو عشرين عاماً، لم تتجاهل التكوين الاثني في المنطقة. ومن ذلك ان الايزيديين كرد يدينون بديانة مختلفة عن بقية الكرد.

وكما سيأتي الحديث عن احداث سنجار لم تكن الديانة الايزيدية معزولة عن تأثير الديانة الإسلامية. ومن هنا نجد من يسمى (عمر). وأكثر من ذلك إنتقال جزء من الفخذ الواحد من العشيرة الواحدة إلى الدين الإسلامي. إذ توجد بالإضافة إلى القواعد الدينية العامة طقوس قبلية مشتركة ورجال دين قبليون وإعياد قبلية خاصة. فان عشيرة زيلي تتفرع إلى عدد من الافخاذ يعرف الواحد منها بال (سبيكي) الذي ينتمي قسم منه إلى الايزيدية، ولهم عيد موحد وعبادة موحدة. اما القسم المنتمي من هذا الفخذ إلى الشافعية فله طقوسه ومعابده وعقائده العامة بالنسبة له وهي تختلف عن ال (سبيكي) الايزيديين. (ا. شامبليون، حول مسألة الإقطاع بين الكورد. ترجمة وتقديم د. كمال مظهر ص 67).

في 1950 – 1953 اصبح بهاء الدين نوري مسؤولاً للحزب الشيوعي العراقي. وفي آذار 1953 أصدر ميثاقاً في المسألة القومية (ميثاق باسم) ووصف المادة العاشرة الخاصة بالمسألة القومية من ميثاق فهد بالإنتهازية (كذا) وبالخطأ لأنه إعتبر الكرد والاييزيديين الاقليات القومية في حين أن الكرد

قومية خاصة وإن كانت القومية الصغيرة في العراق وأن الايزيديين اكراد لا يختلفون عن بقية إخوانهم الكرد إلا بالدين.

ونص في المادة 12 من برنامج (باسم) على الاعتراف بحق تقرير المصير بما فيه حق الانفصال للشعب الكردي. (يراجع: حول تعديل ميثاق الحزب الشيوعي العراقي، آذار 1953 ص 5). ولكن ميثاق باسم كان وحيد الجانب، إذ ان الحزب الشيوعي حزب عراقي للعرب والكرد والمجموعات القومية والاثنية عموماً، فإن على من يضع صيغة للمسألة القومية بإسم هذا الحزب أن يؤكد على جانبي المسألة القومية، اي تربية الجماهير العربية بحق تقرير المصير للأقليات القومية، وتربية الاخيرة بالاتحاد الاختياري.

### المجابه العسكرية عام 1945

استقالت وزارة نوري السعيد في حزيران 1944 والقي تأليف الوزارة على حمدي الباجه جي، فلم يكن من أعضائها ماجد مصطفى الذي قام بدوره المعروف في تسوية المشاكل الإدارية والتموينية في عهد الوزارة السابقة. وإنما أصبح الوزيران الكرديان: أحمد مختار بابان – وكان معروفاً بعلاقته الوثقى بالوصي وتوفيق وهبي وثيق الارتباط بممثلي بريطانيا. ولم يكن هذا التبدل الوزاري مرتبطاً بالوضع الداخلي وإنما بتطور الحرب العالمية الثانية.

فمذ عام 1943 تقررته نهاية الجيوش الهتلرية والرايخ الثالث إجمالاً. وفي ايلول 1943 انسحبت ايطاليا من الحرب. وسنرى أن إستسلام المانيا الهتلرية في ايار 1945 دون قيد او شرط قد وضع حداً نهائياً في السياسة انكلو – امريكية للوضع القائم في كردستان ايران وفي كردستان العراق معاً. ومن حيث التاكتيكات لم يبق في تقدير ممثلي بريطانيا متسع لممارسة سياستهم من وراء وزارة عراقية كما فعلوا في عهد إنتفاضة 1943. بل اخدوا على عاتقهم التدخل المباشر رغم قيام الوزارة العراقية بأعمال إضافية وتسخير الجيش العراقي كواجب لذلك التدخل.

ولكن لم يكن بالإمكان المادي المباشرة السريعة بالحرب، إذ كان الجيش العراقي يعاني نقصاً في الجنود والتجهيزات والعتاد والحيوانات والسيارات. ولم يكن مهيناً للتعبئة في المواقع الضرورية من جبهات القتال. كما ان الوقت الملائم للحركات العسكرية التقليدية هو اوائل الصيف وليس اوائل الشتاء. وهذا ما يؤكد ان السلطة لم تكن تريد إستعجال القتال في هذا الوقت وإن كانت ترى الحرب محتمة.

بدأ السباق اولاً إلى كسب تأييد رؤساء القبائل الكوردية فقام البارزاني بجولات لتهيئة تعبئة قادة القبائل إلى جانب الحركة القومية. وكانت هذه مثار شكوك السلطة وإستيائها. وقامت السلطة بنشاط معاد واقوى. فقد بذل وزير الداخلية مصطفى العمري الاموال لشراء رؤسب القبائل. وقام ممثلهم محافظ أربيل سعيد قزاز الكردي المعاد بعنف للحركة القومية الكردية بالإغراء والضغط على القادة القبليين. وفي هذه الحال لم تبق لرؤساء القبائل حاجة إلى حاسة شديدة للشم، فإن ورائح الطرف الجديد وعزم السلطة على الحرب وشراء العملاء كانت تملأ الجو. فكان اول من إنحاز إلى السلطة الصوريون،

الاعداء التقليديون للبارزانيين، وقد كانوا عملاء السلطات المتعاقبة. ولما يزالوا حتى كتلية هذه السطور. وكذلك فعل الريكانين. ووقف بعض رؤساء القبائل مترددين بفترة حتى إنحازوا إلى السلطة تحت الضغط والإغراء.

وقد حاولت السلطة تضليل القيادة الكردية، كما لو كان عهد السلام والوفاق مستمراً. فكانت تطلق سراح بعض الضباط الكرد بعد إلقاء القبض عليهم وفي الوقت ذاته كانت القيادة الكردية تسعى لنيل تأييد القوى الكردية خارج العراق. فإضافة إلى سبق الإتصال بقيادة الحركة الديمقراطية في مه آباء أرسلت هذه القيادة ممثلها إلى لبنان للإتصال بقيادة خوبيون وتنسيق التعاون بين القيادتين. فكان هذا ما أثار السلطة في بغداد ودفعتها إلى الإسراع في مضاعفة إجراءات الضغط على العناصر الوطنية الكردية. وكان من إجراءاتها تقليص التموين للمنطقة الكردية.

### تأليف لجنة الحرية

في 15 - 1 - 1945 قررت القيادة الكردية تأليف (لجنة الحرية) برئاسة البارزاني وكان من برامجها: تأليف فصائل للدفاع عن كردستان وتحريره وإقامة علاقات اخوية مع جميع المنظمات والاحزاب الوطنية والتقدمية الكردية في جميع أجزاء كردستان ... الخ. (مسعود البارزاني ثورة بارزان ص 53).

ولكن ظرف عمل هذه اللجنة ونشاطها وإمكاناتها - لا تدل هذه كلها على تأليف حزب ذي برنامج ونظام للعمل لتحقيق هذه الاهداف. وإنما كان هدفها الاساس في رأيي هو الدفاع عن مكاسب إنتفاضة 1943 وفضح تراجع السلطة عنها. والضغط على السلطة بأمل إستبعاد المجابه العسكرية قدر الإمكان. وقد توجه البارزاني رئيس اللجنة إلى منظمة هيفا للتعبئة الفكرية وبواسطتها إلى الجماهير الكردية وبخاصة الطلاب والمتقنين. وقد لقيت زيارته إستجابة واسعة كان صداها لدى الشباب الكردي حتى في بغداد.

هكذا تم فصل المياه كلياً بين الحركة القومية الكوردية بقيادة البارزاني ومساندة حزب هيفا من جانب والسلطة في بغداد وعملائها من رؤساء القبائل الكردية وموظفيها المعادين لحركة التحرر في كردستان من جانب آخر. وأصبح التوتر شديداً عرضة إلى الإنفجار.

### الشرارة - فإنفجار البارود (الحرب)

في 8 - 8 - 1945 كان ولي بك الشخصية الهامة من قادة الحركة البارزانية قد راجع مخفر مير كه سور لبعض القضايا المعتادة فحصل نزاع (أو إفتعل) فحدثت معركة بينه ومرافقيه من جانب وشرطة المخفر من جانب آخر. وقد تسبب هذا النزاع في إستشهاد ولي بك. وفي اليوم ذاته أعلنت وزارة

الباجه جي قراراً بإحتلال المنطقة البارزانية والقبض على المجرمين ملا مصطفى البارزاني وأعوانه. ووجه سعيد قزاز متصرف أربيل إنذار إلى البارزاني لتسليم نفسه.

ورغم إن هذا الفصل افضل لحرب الانصار، إلا ان القيادة البرزانية لم تكن مستعدة ولا راغبة في القتال، ليس بسبب الرجحان الكبير في توازن القوى في الميدان لصالح السلطة، بل لما هو أبعد من ذلك بسبب ما كان واضحاً من أبعاد الحرب ودور بريطانيا فيها ورجحان ميزان القوى ضد صالح إنتفاضة كردية على المدى النهائي مهما طالت الحرب.

لذا بذل البارزاني آخر جهد لتحاشي الإصطدام، فأرسل مذكرة إلى الحكومة العراقية في 11 - 8 - 1945 إستعرض فيها رجوعها عن الإجراءات التي تمت سابقاً وتوالي الحوادث السلبية في عهد وزارة الباجه جي .... حتى إستشهاد ولي بك. وطالب الحكومة بوقف الحركات العسكرية وأرسل نسخاً من المذكرة إلى السفارات الاجنبية في بغداد.

وما جاء فيها: "... إستشهد ولي بك في 8 - 8 - 1945 داخل مخفر مير كه سور، حيث إعتاد زيارته كلما دعت الحاجة لحل مشاكل المواطنين، فوجد معاون المخفر فرصته بناءً على توصية من سعيد قزاز فإفتعل مشكلة وأطلق النار عليه ... الخ." (مسعود البارزاني ثورة بارزان ص 69 - 70).

### الإنسحاب نحو منطقة كردستان - ايران

لم يكن قرار الإنسحاب نتيجة لمعركة من تلك المعارك او لمجموعها. أكد ذلك ان الإنسحاب - خلافاً لكل ما سبق - قد شمل عوائل البارزانيين وحلفائهم بمن فيهم الشيوخ والاطفال والنساء. يدل هذا في تقديرهم على أن المجابه العسكرية الحالية لا تشبه ما سبقها. وقد تم الإنسحاب وفق خطة محكمة لضمان امن الطريق حتى الحدود الإيرانية. إلا أن الطائرات البريطانية والعراقية تابعتهم بالقصف حتى الحدود. وقد إستشهد من البرد والجوع اعداد من الشيوخ والاطفال والنساء الحوامل. (مسعود البارزاني).

وكان طريق الإنسحاب كليه شن - مه ركه قه ر (جبل دالامير) حتى الوصول إلى كردستان إيران يوم 11 - 10 - 1945. وحسب أرجي روسفلت كان مع البارزاني 1000 من المسلحين وعوائلهم عندما دخلوا شمالي اوشنه وإلى جانبهم عدد من صغار الموظفين والمعلمين والأفراد الذين خرجوا من الجيش والشرطة عدا 12 من ضباط الجيش وكان هؤلاء من مراتب عالية كثير منهم سبق وأن دربوا في بريطانيا وكان بعضهم ضباط أركان من مستوى عال.

غير أن وثائق مسعود البارزاني عددت أولئك القادة بالاسماء وهم عزت عبد العزيز سيد عبد الله ومصطفى خوشناو وميرحاج ومحمد محمود قدسي وعبد الرحمن المفتي ونائب الضابط شوكت افندي. ولم تكن بينهم ذي رتبة عالية في الجيش.

وقد انضم إليهم من سبق ان كانوا في ايران قبلاً وهم بكر عبد الكريم وخير الله عبد الكريم ونوري احمد طه ومحمد صالح ونائب الضابط احمد افندي كوبي. وكان من النازحين من العشائر وهاب محمد اغا جنديان وسليمان بك ده ركه لي مع اقاربهما.

وبعد القضاء على جمهورية ماهاباد توجه مصطفى البارزاني مع مجموعة من رجاله إلى الإتحاد السوفياتي، حيث وصلوه بعد مشاق هائلة عبر إيران والعراق وتركيا. وتم الاقترصاص من الذين عادوا إلى العراق. ففي 19 - 6 - 1947 اعدمت حكومة صالح جبر مصطفى خوشناه الذي قاد معركة (كورد مامه شي) وعزت عبد العزيز وخير الله عبد الكريم ومحمود الخطيب.

وحكمت بالإعدام على الشيخ أحمد البارزاني دون جرئة على التنفيذ. وقد بقي سجيناً في سجن البصرة دون ان يرفع عنه حكم الإعدام حتى ثورة 14 تموز 1958. وحكمت بالسجن على آخرين وشردت العوائل البارزانية وهجرتها إلى الجنوب.

## الفصل الخامس: جمهورية 14 تموز

### ثورة 14 تموز

حالما اعلن البيان الاول لثورة 14 تموز تألفت لجنة على وجه السرعة لوضع الدستور المؤقت للجمهورية. وانجزت اللجنة وضع الدستور خلال ايام قليلة. ونصت المادة الثالثة من الدستور المؤقت على التالي:

"يقوم الكيان العراقي على اساس التعاون بين المواطنين كافة واحترام حقوقهم وصيانة حرياتهم ويعتبر العرب والکرد شركاء في الوطن ويقر الدستور حقوقهم القومية ضمن الوحدة العراقية." كانت الثورة فرصة تاريخية نادرة في تاريخ العراق. وقد نال الشعب الكردي في العراق مكاسب لم يعرفها في تاريخه الطويل. وكان ذلك على الرغم من الصيغة المحدودة في الدستور المؤقت. فاصدر العفو عن المساهمين في إنتفاضة 1943 – 1945 التحررية وإعادة إعتباراتهم إليهم. ورجع المناضلون المغتربون مصطفى البرزاني ورفاقه. واستقبلوا إستقبلاً حافلاً من الشعب والحكومة. واطلقت حريات المهجرين فعادوا إلى ديارهم. كما افرج عن المحكومين منهم وفي مقدمتهم الشيخ أحمد البارزاني. إذ كان محكوماً بالإعدام. وبنيت للبارزانيين دور عصرية ونال المثقفون منهم الوظائف المناسبة واعطيت لهم دور سكن باجور منخفضة. واطلقت صحافة الحزب الديمقراطي الكردستاني وحرية التنظيم السياسي والمهني.

كانت ثورة 14 تموز قد حققت بالاضافة إلى ذلك عدداً من الإنجازات مثل الخروج من حلف بغداد ومن منطقة الإسترليني وإعلان قانون رقم 80 لعام 1961 الخاص بتحرير 99.5% من مناطق إمتياز شركة نفط العراق. وإعترفت الحكومة العراقية بحكومة الجزائر وقدمت مساعدات لشعب عمان وللشعب الفلسطيني. كما عقدت في 1958 أول إتفاقية إقتصادية مع الإتحاد السوفياتي وسن قانون الإصلاح الزراعي ..... إلخ.

ولكن الثورة عانت منذ الأيام الاولى من الإنقسام والاحتراب الداخلي. فمنذ اليوم الأول إستأثرا بالسلطة العليا منذاً الانقلاب الزعيم عبدالكريم قاسم والعقيد عبد السلام عارف متجاهلين زملائهما من الضباط الاحرار وفيهم من سبقهم في تنظيم الحركة. فكان ذلك بداية تفكير الضباط القوميين منهم في العمل لإنتزاع السلطة.

وتعرضت ثورة 14 تموز إلى مؤامرة مزدوجة. فمن ناحية الزعيم عبد الكريم: طموح ساذج للإستئثار بالسلطة بمساعدة عبد السلام عارف الذي كان يده اليمنى وقد ظن انه سيبقى يده اليمنى. ومن ناحية عبدالناصر وطموح نابوليوني (دون المعرفة لمقومات ذلك الطموح) إلى ضم الاقطار العربية (وفي موضوعنا الحالي العراق) تحت قيادته ضمن الجمهورية العربية المتحدة.

وكان رد الفعل المقابل والتطرف اليساري قد فصح المجال لبعض من ركبوا موجة المد بغية منافع ذاتية أضرت أبلغ الاضرار بقوى اليسار ذاتها.



ولم تلبث ان نشأت الفرقة بين قائدي الانقلاب. إذ إنحاز عبد السلام إلى المعارضة القومية، فاقصي من مناصبه على مراحل حتى حكم عليه بالإعدام دون تنفيذ بتهمة محاولة قتل الزعيم.

لعبت الجمهورية العربية المتحدة دوراً تخريبياً هائلاً في العراق، مما أدى دفع الزعيم عبد الكريم إلى إعدام القوميين. وفيما يلي ساوضح المقدمات التي سبقت الإعدام.

أثناء وجودي في بيروت مع الوفد العراقي المساهم في مؤتمر المحامين العرب في ايلول 1959 بين لي السفير العراقي نجيب الصائغ أن المدعو محمد جميل وهو سوري كان سائقاً في السفارة المصرية، التي اصبحت سفارة الجمهورية العربية المتحدة، قد ارسل رسالة إلى رئيس المحكمة الخاصة (محكمة الشعب) بأن لديه شهادة بشأن إتصالات سرية كان يعقدها السفير مع بعض القوميين المعارضين للجمهورية العراقية. ثم أخذت قوات الامن اللبناني تشدد المراقبة عليه، فلجأ إلى السفارة العراقية. فإستعانت السفارة بوزير داخلية لبنان للمساعدة على تسفير محمد جميل خارج لبنان. فهياً له جوازاً بإسم آخر، إلا انه (محمد جميل) أحس وهو في المطار انه يوشك ان يقبض عليه فهرب عائداً إلى المدينة.

إستعانت السفارة مرة اخرى بوزير الداخلية، فمنحه ورقة مرور بإسم مستعار بغية مساعدته على الخروج من لبنان. وحسب تفسير الصائغ كانت الحكومة اللبنانية تريد التخلص من هذا الموضوع. بينما كانت المخابرات المصرية (الجمهورية العربية المتحدة) قد إشترت عملاء لها في جهاز الامن اللبناني. وإذ كنا في طريقنا إلى المطار للعودة إلى بغداد، وإذ كنا نقترّب من المطار سمعت إطلاق عيارات نارية ثم رأينا دخول كثير من الناس بناية المطار، ثم رأينا رجالاً يخرجون من المطار ويستقلون سيارة تعود بهم مسرعة إلى المدينة.

دخلنا المطار فعلمنا ان شخصاً قد قتل بينما كان يجري معاملة وزن امتعته تمهيداً للوصول إلى الطائرة. وكان في المطار ومن حوله أفراد من رجال الامن لم يتحركوا، فاجري لنا إستجاب، كما استجوب كثير من الناس عما سمع كل منا وما رأى. .... وكان في الواقع عملاً فارغاً (شكلياً وسطحياً صرفاً)، وقد تبين أن القتل هو محمد جميل.

وبعد العودة إلى بغداد كانت لي مقابلة مع الزعيم. وبعد الإنتظار في غرفة السكريتاريين دعيت فلقيت فاضل عباس المهداوي (رئيس محكمة الشعب) خارجاً وهو في حالة عصبية فقال لي "هذا المجنون يريد أن يعدم عدداً من القوميين. وهذا خلافاً لما سرنا عليه. فنحن لم نعدم حتى عملاء الإستعمار من العهد البائد. ولم أستطع إقناعه بالعدول عن عزمه هذا. ففعلك تستطيع أن تؤكّد ما حذرته منه."

دخلت غرفة الزعيم وكان في سورة من الغضب. فكرر امامي ما أخبر به المهداوي. فحاولت أن اقنعه بالعدول عما اراد. .... وبعد يأس من إقناعه حاولت إقناعه بتأخير ما عزم عليه إلى فترة اخرى أملاً مني بأن تمضي سورة الغضب فيعود الى الصواب في التفكير .... فلم افلح.

وكان مما قاله لي: ارادوها تحد ليتلقوا تحدياً مقابلاً. قلت يا سيادة الزعيم : لا يوجد تناسب فيما تسميه التحدي. لا في مسؤولية من هو المتحدي ولا في أهمية من هو المتحدى. وقد خرجت من لقائه دون أن يتزعزع عن إصراره.

وفي يوم العشرين من أيلول 1959 تم إعدام عقيد الركن ناظم الطبقجلي والعقيد رفعت الحاج سري (اول واضع حجر لحركة الضباط الاحرار)، وإلى جانبها وزير الداخلية (في العهد الملكي) سعيد قزاز ومدير التحقيقات الجنائية بهجت العطية ومدير الشرطة عبد الجبار أيوب (الذي قتل السجناء بالرشاشات في العهد الملكي).

إعدام القوميين وقع في حالة إنفعال من جانب قاسم. فكان شبيهاً بخنجر وجهه الزعيم إلى صدره. وكان أحد أهم عمليات الإنتحار .... مسهماً في تدبير عمل قوى الردة للقضاء على الجمهورية الاولى. وكانت محاولة إنقلاب 8 آذار 1959 التي قام بها عبد الوهاب الشواف أمر حامية المصل والتي لقت منذ الإعداد والإعلان تأييد الجمهورية العربية المتحدة ومخابرات الولايات المتحدة مرحلة جديدة في مجابهة ثورة 14 تموز.

وقد تبع إحباط المؤامرة والايام التالية أعمال عنف من اليسار شملت القوميين المؤيدين للمؤامرة وحتى بعض أغنياء الموصل غير السياسيين. وسادت هستيرية وعدم فهم او تمييز بين الاشخاص والحوادث. والكلمة السريعة جواباً لكل من ينطق بكلمة إعتراض "إذا ما يعجبك فالحبال موجودة". ومن المؤسف أن الفوضى شملت المحكمة العسكرية الخاصة. ومن تجربتي الخاصة: بينما كنت مختفياً في بغداد عند إعلان الاحكام العرفية بمناسبة إعلان الحرب الفلسطينية الثانية من قبل النظام الملكي في 1949 أعلن وزير الداخلية سعيد قزاز تجريدي من الجنسية العراقية بزعم إنني تعاونت مع دولة أجنبية (وكان المقصود انها سورية). فأرسلت إحتجاجاً في اليوم ذاته مسجلاً من بريد بغداد.

وإذ كانت تجري محاكمته عن تجاوزاته إستدعيت إلى المحكمة الخاصة (محكمة الشعب) لإداء الشهادة بخصوص تجريدي من الجنسية العراقية. ولكن لم تكن لي فرصة لإيضاح الموضوع، كما لم تكن للمتهم سعيد القزاز فرصة للدفاع عن نفسه. فقد كان بعض الحاضرين يوجهون إليه الشتائم. وصاح بعض المستمعين: "إن هذا الشخص (سعيد قزاز) لا يستحق المحاكمة والسؤال والجواب. فله الحمد توجد في الشوجة كميات كبيرة من الحبال. فلماذا ولأمثاله الحبال فقط ..... " فما هي هويات هؤلاء الذين عطلوا المحاكمة وحولوها الى المصير الذي آلت إليه؟ المسؤولية الوحيدة كانت في تقصير رئيس المحكمة عن إسكاتهم وإخراجهم من قاعة المستمعين. لقد كان الشهيد فاضل المهداوي شعبياً ببساطته. ولم يكن ذا تفكير عميق يحلل ما وراء هؤلاء الفوضويين.

قامت محكمة الشعب بعمل عظيم في التحقيق عن مؤامرة قادة العهد الملكي، وعن المتآمرين على الجمهورية بعد قيامها في 14 تموز 1958. ولكنها كانت محكمة شعبية بما يحدث من الإنفعالات لدى الجماهير المكبوتة ومن يندس بين تلك الجماهير من عناصر همها التخريب.

كانت حركة أنصار السلام قد أصبحت ضحية الإنقسام بين اليمين واليسار. فحركة السلم في العراق إتخذت هوية شيوعية. في حين كان قد اريد بها حركة عامة تشمل اوسع ما يمكن من المؤيدين ودون زجها مباشرة في الخلافات الحزبية.

كانت كثرة انصار السلم من قواعد الحزب الشيوعي وإن ضمت أعداداً غير كبيرة من مؤيدي الحزب الوطني الديموقراطي. وفي النطاق العالمي ان الاحزاب الشيوعية تبني وتعزز نشاط الحركة من أجل السلم إلى جانب أحزاب ومنظمات اخرى. فتبني العمل في سبيل السلم رأسماليون كبار حتى في الولايات المتحدة. كما تبناه رجال دين ونشأت حركة دينية من أجل السلم.

وكان جميع اعداء الجمهورية من محافظين وبقايا العهد الملكي وقوميين — وبخاصة البعثيين — وعملاء الإمبريالية الصريحين لا يعادون حركة السلم فحسب، بل ويعتبرونها جزءاً من الحزب الشيوعي او وجهاً من وجوه نشاط الحزب الشيوعي. كما إعتبرت أجهزة الشرطة والامن انصار السلام إحدى القواعد الشعبية للحزب الشيوعي. ومن السخرية أن قيادة الحزب الشيوعي كانت تعمل على وجه تؤولد ما كان يريده الاضداد. وبعد إنحسار اليمين وتكامل تحول القوميين ضد قيادة الجمهورية في خريف 1958 حتى مؤامرة الموصل بقيادة عبدالوهاب الشواف ومواصلة بعدها حتى أحداث كركوك في تموز 1959 عقدت إجتماعات لأنصار السلم في مراكز الالوية تدعوا إليها اللجان المحلية ويشارك فيها أنصار السلم من أطراف العراق المختلفة يقدرون بعشرات الالوف. وكان ذلك واضحاً أن ذلك كان يتم بتوجيه من قيادة الحزب الشيوعي. وهكذا تم إستخدام حركة السلم من اجل إستعراض قوة الحزب الشيوعي.

أذكر على سبيل المثال إجتماع مدينة الحلة، وقد سافرت بالسيارة للمشاركة فيه. وإذ افتتح الإجتماع صعد على منصة الرئاسة الشهيد حسين أبو العيس وأعضاء آخرون من قيادة الحزب الشيوعي. وخلال الإجتماع كانت تطلق النداءات ضد القومية الزائفة. وكان هذا خلافاً لرأي في كون حركة السلم حركة عامة تشمل اوسع ما يمكن من المؤيدين دون زجها مباشرة في الخلافات الحزبية. وعلى هذا الخط اعتبرت حركة السلم حركة شيوعية على غرار ما تفعله الحكومات الرجعية غير مميزة بين كون الحركة تعبر عن مصالح الوطن والمجتمع ككل، وكون الحزب الشيوعي يعبر عن النضال الطبقي. وليس من ذنب الشيوعيين الإستفادة من نشاط ديموقراطي يفيد حركتهم. إنما يوجه النقد إلى سلوك القيادة التي تتصرف في تجمعات حركة السلم تصرفات تؤكد للأعداء انها تقود الحركة.

وفي مثال تجربة المؤتمر الثاني لأنصار السلم في نيسان 1959 يتضح مدى الضرر الذي الحق بحركة السلم العراقية من جراء هذه الفوضى. نظمت مسيرة قدرت بمئات الالوف. وفي مثل هذه الحال لم يكن

بالامكان معرفة هويات المشاركين في المسيرة. فالمفروض ان كثرتهم من أنصار السلم. ولكن كم كان من بينهم من المندسين من اعداء الجمهورية ومن اعداء الحزب الشيوعي؟ وبخاصة وكلاء المخابرات الاجنبية؟ ففي هذا المؤتمر دعيت وفود من مختلف انحاء العالم. وقد خصصنا شرفة لجلوس الضيوف في شارع الرشيد. ... فجاءت زمر تقوم بتمثيلية التعليق بالحبال وبالسلح وتنادي إعدم إعدم. .... لقد كان العمل تخريبياً دون خفاء، مضاداً للغرض من إجتماع أنصار السلم وللمسيرة، ضاراً بالحزب الشيوعي ذاته.

وعلى الرغم من تعمق الهوة بين الزعيم عبد الكريم والحزب الشيوعي بقي الزعيم يتعاطف مع أنصار السلم. وكان يبلغني من بعض الوزراء ان الزعيم كان يقول "ان انصار السلم هؤلاء جماعتي ويستثنىهم من غضبه على اليمين واليسار."

كان الزعيم عبد الكريم مدركاً بدعم الحزب الشيوعي لهذه الحركة. فالزعيم لم يكن عدواً للشيوعية. وقد اخبرني عاصم فليح انه نظم قاسماً في التنظيمات الشيوعية الاولى حين كان طالباً في الكلية العسكرية. وكان إبعاده الشيوعيين في البدء عن الاسهام في السلطة خوفاً من تهمة نظام 14 تموز بالشيوعية.

إن استخدام حركة السلم من اجل إستعراض قوة الحزب الشيوعي بعد تدهور الاوضاع عمل في إنهاء نشاطها. وأخيراً في السابع من ايار 1961 اغلقت جميع مكاتب انصار السلم خارج بغداد بأمر من الحكم العسكري. ومع تطور الانتكاسة اخذ مدير الامن العام يشدد مضايقاته على مكتب انصار السلم في بغداد.

كانت الفوضى سبباً لحلول مرحلة جديدة من الانقسام — ليس لمستوى كيفي جديد بين فصائل القوميين من جانب وقوى اليسار من جانب آخر فحسب — بل وكذلك في تعميقها مع الفرقة بين الحزب الوطني الديموقراطي من جانب والحزب الشيوعي والقوى الديموقراطية من جانب آخر، وإنحياز الزعيم الى القوى المعادية لليسار.

وفي هذا الجو المضطرب فقد الزعيم عبد الكريم قاسم زمام التفكير العقلاني وما عرف عنه من تأن وبعد نظر، فوقع اسير مختلف القوى والعناصر الرجعية للمعادية للديموقراطية ولجمهورية 14 تموز وللزعيم ذاته.

وكان من بين القوى المعادية للجمهورية عملاء للإمبريالية وفيهم قوى عراقية وعربية. كما كان من بينهم ذوي اطماع ذاتية فردية، وتجري نشاطاتهم داخل وخارج اجهزة الدولة ومن خارجها وداخل العراق ومن خارجه.

ومن الاطراف المواجهة للجمهورية العربية المتحدة وإيران تعمقت الاعمال التخريبية وكان بعضها مرتبط بالتآمر على الجمهورية والبعض لمحض المكاسب الشخصية. وقد تختلط الاغراض فلا مجال

للتعريف. اما بعد احداث الموصل فقد اصبح ممثلوا السلطة لا يغضون الطرف عن نشاط المهريين والمخربين فحسب وإنما يحظون بحمايتهم. ومن ذلك على سبيل المثال دعم مهربي السلاح من القوائم. فعلى خط الفرات الممتد من حدود سورية في القائم حتى عنه وهيت فإلى الرمادي كانت منطقة تهريب منذ العهد الملكي. وكان يقوم بالدور الرئيسي فيه رؤساء قبيلة الدليم — عفتان الشرجي وجماعته — وهم فرع من قبائل الدليم التي كان يرؤسها العميل البريطاني الشهير — علي السليمان — ومن بعده إبنة عبد الرزاق.

وفي عهد الجمهورية تحول النشاط إلى تهريب السلاح وبدعم ممثلوا السلطة. ومن ذلك على سبيل المثال إن مأمور مركز شرطة القائم قاد حملة مقابلة بالسلاح ضد جماعة تهرب حمولة شختور (سفينة نهريّة) ودامت المقابلة نحو ساعتين ..... ونظم تقريراً بالواقعة. فتم نقله. ونظم تقريراً مخالفاً لتقرير المأمور الاول. فكان محظر التحقيق ان الحادث مختلق ولم يكن ثمة تهريب.

وبعد تفاقم الوضع وتعاضم شكاوي الديموقراطيون مما يحدث في منطقة الحدود بين عنه والبوكمال، وعن إضطرار الكثيرين الى اللجوء إلى بغداد ارسل الزعيم صديقه (جبار حمزة) لكي يعطي إنطباعه الشخصي. وعند عودة جبار حمزة قدم للزعيم رأيه بإيجاز وهو لا يوجد ما يقلق بالامن وإنما ينحصر الموضوع في ان اهل عنه والمناطق الحدودية لا يحبون الشيوعية.

كانت الموصل اشد المراكز التي إنتشرت فيها جرائم الفوضى المخططة من قبل ممثلي السلطة. وبتفاقم أعمال الفوضى في الشمال كثرت ضحايا الكرد. فضلاً عن تشديد الحرب الإعلامية ضدهم.

وأخذ التخريب في داخل الاجهزة ابعاداً خطيرة. ولعل تعيين هاشم جواد وزيراً للخارجية احد اهم هذه الامثلة في هذا الخصوص. كان هاشم جواد قبل ذلك ممثلاً للعراق في هيئة الامم المتحدة. إذ عين بدلاً عن الممثل السابق عبد المجيد عباس. ومن الارجح انه لم تكن لهاشم جواد صلة بقيادة الجمهورية قبل تعيينه وان تعيينه تم بمشورة محمد حديد. إذ كان محمد حديد اهم الوزراء تأثيراً على عبد الكريم. فقد ذكر لي الزعيم "ان الثورة مدينة لمحمد حديد بالتوفيق في إدارة الدولة من الناحية المالية لأننا لم نكن نحسن هذا الامر. وقد قام محمد حديد بهذا الواجب." وقد كانت صلة محمد حديد بالزعيم عبد الكريم اوثق من كثيرين إن لم تكن اوثق الجميع إطلاقاً.

ثم مالبتت إرتباطات هاشم جواد بالإنكشاف. ففي عام 1960 نشرت جريجة صوت الاحرار بصيغة الاستفهام عنوانه (هل ان "راج Raj" عميل للمخابرات المركزية CIA) وكان ذلك إشارة إلى موضوع أثاره رسمياً القنصل العراقي العام في نيويورك.

ثم قص لي القنصل العام فيما بعد تفصيلات الحادث كالاتي: "إنه كان ليلاً عائداً بطريق القنصلية فإستغرب لوجود ضياء في دارها. وإذ دخلها وجد شخصاً غريباً ادعى انه صديق ل (راج) سائق الممثلة العراقية في الامم المتحدة. وكان راج يتقاضى راتبه من القنصلية لانه كان يعمل فيها. فطلب القنصل العام التحقيق مع راج.

كان ممثل العراق في الامم المتحدة الذي عينه هاشم جواد بعد إستيزاره هو عدنان بن مزاحم الباجه جي. وقد رفض إجراء التحقيق وإتفق مع السائق راج على ان يستقيل من القنصلية العامة. ثم اصدر امراً بتعيينه سائقاً في الممثلة العراقية في الامم المتحدة ليقطع صلته بالقنصلية العامة. إلا ان القنصل العام اصر على ضرورة التحقيق لأن الموضوع لايتعلق بالراتب وإنما بالعمل التجسسي. ثم رفع الخلاف إلى وزارة الخارجية. فإستدعت الوزارة القنصل العام إلى ديوان الوزارة حتى اتمت إجراءات إحالته على التقاعد. وفي تصريح لوزير الخارجية هاشم جواد ان سبب إحالة القنصل العام على التقاعد هو فضح اسرار القنصلية.

لعب هاشم جواد دوراً تخريبياً هائلاً في صالح المخابرات المركزية من خلال توريثه للزعيم عبد الكريم قاسم في موضوع ضم الكويت إلى العراق. إذ قدم له وثائق مثيرة معززة ببعض الخرائط التي تجلب الإنتباه. وترتب على ذلك إعلان الزعيم عبد الكريم قاسم إعتبار الكويت قائم مقامية تابعة للعراق. وكان ذلك إعلاناً مفاجئاً لم يسبق ولم يتبع بجهد ما. فأدى إلى فتح جبهة جديدة لإفلاق الجمهورية.

ومن أجل عزل العراق دبلوماسياً للزيادة في إضعافه، طرح هاشم جواد مشروعاً على مجلس الوزراء طالب فيه الموافقة على إعادة النظر في علائق العراق الديموماسية مع كل دولة تعترف بالكويت. وكان قد اقنع الزعيم عبد الكريم فيما بعد بسحب سفراء العراق من جميع الدول التي إعترفت بالكويت. أدت عزلة الزعيم عبد الكريم وسذاجته إلى وقوعه ضحية نشاطات مختلف المخابرات الاجنبية. ومثال كمال عثمان يلقي بعض الضوء على سهولة وصول المخبرين الحثالات إلى الزعيم.

أعلن الزعيم عبد الكريم أن مؤامرة إيرانية ضد الجمهورية العراقية قد كشفها مواطن شريف يدعى كمال عثمان. وخلاصة الخبر ان هذا المواطن كان في منطقة الحدود العراقية الايرانية فإتصل به ضابطان ايرانيان يحملان خريطة العراق وطلبا إليه ان يتعاون معهما على التغلغل داخل العراق. وانهما قدما له مبلغاً كبيراً من التومانات الايرانية.

فأعلن الزعيم شكره وتقديره لهذا المواطن الشريف. وإنه ترك له التومانات الايرانية تقديراً لعمله. واصبح كمال عثمان موضع ثقة الزعيم في كل ما يتعلق بالشؤون الكردية. وكان يدخل وزارة الدفاع، حيث مقر الزعيم دون موعد. وبعد أن يترك مسدسه يصعد إلى حيث سكريتاري الزعيم ريثما يتفرغ الزعيم لمقابلته. وقد إكتشف ذوو المصالح مركز عثمان المرموق فأخذوا يقدمون له الهدايا النفيسة.

قام الزعيم عبد الكريم في عهد الارتداد بتشجيع ورعاية الصحفيين والصحف المعادية للديموقراطية. فاسهموا جميعاً في الحملة ضد الشيوعيين وضد القوى الديموقراطية والكرد مثل طه الفياض صاحب جريدة الفجر الجديد ويونس الطائي صاحب جريدة الثورة.

كان طه الفياض الذي اصبح ذو حظوة لدى الزعيم يمتهن التجارة في حقول ثلاثة، لم يكن نظيفاً في أي منها. حقل التجارة المعتادة – البيع والشراء – وإلى جانبها كان يتاجر بالدين ويتخذة وسيلة

لمعاملته التجارية والوشاية بالديموقراطيين ومكافحة الاتجاهات الديموقراطية. وإلى جانب ذلك كان من المتاجرين بالنازية، ولم تكن هذه موضوع خفاء وإنما كان يفتخر بها على صفحات جريدته. ومن المفارقات ان الزعيم عندما وضع الحجر الاساس لجامعة بغداد وضع نسخة من العملة العراقية الجديدة التي صدرت بعد خروج العراق من نظام الاسترليني. وكان ذلك من اهم مظاهر الاستقلال. ووضع إلى جانبها نسخة من صحيفة طه الفياض (الفجر الجديد).

قام يونس الطائي بشن حملة إعلامية ضد الديموقراطيين والشيوعيين والكرد. ثم تبين بعد إنقلاب 8 شباط 1963 بأنه كان في خدمة البعث، حيث كان حزب البعث هي الجهة الفعلية التي كانت تنشر في جريدة الثورة.

وكان جاسم العزاوي السكرتير الصحفي للزعيم عبد الكريم طيلة حكمه الممهد لوصول هؤلاء الصحفيين إلى الزعيم. وكانت لي تجربة مع جاسم اعزاوي. ففي صيف 1960 كنت في سفرة للمشاركة في إجتماع أنصار السلم في المكسيك. فكانت لي فرصة للسفر إلى هافانا. إذ يسر لي دعوة للتعارف على فيديل كاسترو وكنا كلانا قد نلنا في العام ذاته جائزة لنين الدولية لتعزيز السلام بين الشعوب. فحضيت باهتمامه وإصطحبني في جولة في أنحاء كوبا. وقد إهتم بأن يرسل رسالة شخصية إلى الزعيم عبد الكريم ومعها هدية (حقيبة من صناعة يدوية من جلود الضفادع ومزهرية كبيرة من الزخف من صنع يدوي على إرتفاع قامة الإنسان). وقد عنيت بنقلها معي من كوبا إلى دلهي ومنها إلى بغداد. وقدمتها إلى الزعيم.

وبقي السفير الكوبي يذكرني بإنتظار جواب رسالة كاسترو إلى الزعيم. وقمت بدوري اذكر جاسم العزاوي الذي كان جاف الجواب في التسوية. وذات يوم قابلت الزعيم فذكرته برسالة فيديل كاسترو وبإنتظار جوابه عنها. ففوجئت بجواب الزعيم "إن كاسترو هذا رجل أهوج".

تكررت تجربتي المباشرة لدور جاسم العزاوي السلبي. فقد أهدى الشاعر اللبناني رثيف خوري بواسطتي نسختين إلى الزعيم من تأليفه. وكنت اراجع الزعيم طالباً إستجابة ما لهدية رثيف خوري. وقد إتضح لي أن جاسم العزاوي قد ألب الزعيم ضد رثيف خوري على أنه شيوعي.

ذكر إسماعيل العارف في مذكراته (ص 415) الآتي بخصوص نهاية عبد الكريم قاسم:

"طلب عبد الكريم قاسم مسجلاً وسجل خطاباً سلمه إلى الرئيس سعد الدوري المسؤول عن تدوين خطابه وطلب من المذيع قاسم نعمان السعدي إذعته، إلا أن هذا سلمه إلى بعض الضباط الموجودين هناك فإحتفظوا به ولم تذع كلمة. ثم إتصل عبد الكريم بالمقدم جاسم العزاوي سكرتيره والمشرف على الإذاعة والتلفزيون وقال له سيصلك شريط مسجل عليه خطابي وعليك إذاعته. إلا ان العزاوي امر المشرفين على التلفزيون بإخراج صورة عبد الكريم على شاشة التلفزيون ولم يذع كلمة".

### التوجه نحو الحرب ضد الحركة القومية الكردية

في ظروف الإحتفالات الكبرى بالبارزاني بعد عودته من الإتحاد السوفياتي بدأت حساسية لدى الاحزاب العربية وحتى الضباط اليساريين من حول الزعيم عبد الكريم وكثرتهم كانوا من مؤيدي الحزب الشيوعي. وكانت عناصر تستغل الخلافات والحوادث الملائمة لأحداث وتطوير الشعور السلبي لدى الزعيم. وذلك من اهداف اوسع. فمنذ اوائل عهد الجمهورية كنا نسمع من بعض قادة الجيش ان مصطفى البارزاني إنفصالي.

وفي تيار تلك الاحتفالات الحاشدة اقيمت حفلة عشاء على شرف البارزاني في الامبسي في المسبح. وللغرابية لم يحضرها اي من الضباط العرب المقربين من الزعيم، كما لم يحضرها اي من قادة الحزب الوطني الديموقراطي، الذين كانوا جميعاً مدعوين إلى الحفلة. فكانت الظاهرة ملموسة ان الحفل يكاد يكون قاصراً على الكرد ضباطاً ومدنيين.

وكثرة ما كنت اسمع ما يذكره الكادر القيادي في الحركة الكردية وحتى البارزاني في تصريحات متطرفة معزوة إلى الشوفينيين العرب ضد الحركة القومية الكردية. ومن ذلك التصريح المعزور إلى اللواء محمود عريم الذي ارسل على رأس الجيش العراقي إلى الجبهة العربية في حرب حزيران 1967. ففي حفلة تكريم اقيمت في دمشق، نسب إليه القول: "لقد ساعدتمونا في القتال ضد إسرائيل الثانية (أي الإنتفاضة الكردية المسلحة). وها إننا جئنا لمساعدتكم ضد إسرائيل الاولى".

وبعد محاولة إغتيال الزعيم عبد الكريم في 7 تشرين الاول 1959 توطدت علاقته مع الحزب الديموقراطي الكردستاني ومع البارزاني. وقد أصبح البارزاني يتردد على الزعيم في مستشفى دار السلام دون القيود المعتادة، على أن البارزاني قد بالغ في قدر هذا التقارب. وقد ذكر لي ذات يوم انه إقترح على الزعيم ان يزوده بحرس خاص من البارزانيين. وإذا كان الزعيم يرى في ذلك حرجاً لانهم كرد ففي الإمكان أن يرتدوا ملابس مدنية عادية.

لم يحسب البارزاني دور جهاز الامن العام وعلى رأسه عبد المجيد جليل في عزل الزعيم عن القوى الحريصة على الجمهورية. كما انه لم يعلم أن اصابع الإتهام كانت توجه إليه وإلى جهازه بشأن إهمال مراقبة مسيرة الزعيم وخلو الجو للمتآمرين عليه. لقد كانت هذه المبادرة من امثلة التناقض الكبير بين نظرات البارزاني الحادة حيناً وتقديراته الساذجة حيناً آخر.

ومنذ تدهور الاوضاع بعد مؤامرة الشواف اخذت اجهزة الامن تتكل بالديموقراطيين وبأنصار السلم والشيوعيين وبالکرد.

ومع تراكم المشاكل والإضطهادات ضد البارزانيين قدم الشيخ أحمد البارزاني إلى بغداد في ربيع 1960 لمقابلة الزعيم عبدالكريم. فانزل ضيفاً على الحكومة في إحدى الفنادق المطلة على نهر دجلة. وقد إستقبله بمعاملة دون إفساح المجال للبحث فيما جاء يشكوه.



ثم إستقبلني الشيخ أحمد في فندقه وأبدى لي حيرته من التناقض بين حسن اللقاء وغموض نتيجة الزيارة. أجبته الشيخ أحمد محذراً من سوء الوضع الذي ينتظرهم بقدر ما إستطعت أن أفهمه رأي بدون صراحة في التعبير. فشكرني بما يفيد انه فهمني.

وإذ أن الامور تعقدت أكثر مما يطاق تحمله فقدم الشيخ أحمد مرة اخرى إبتغاء مقابلة الزعيم. فأبلغني بوصوله على طريقته، "تأتينا ام نأتيك؟" أجبته أن اصطحب معي عوني يوسف لعلمي بصلته بالبارزانيين وقد عين وزيراً بترشيحهم. زرت عوني يوسف في مكتبه في الوزارة لهذا الغرض. فأجابني مشيراً إلى صورة الزعيم عيد الكريم معلقة فوق رأسه وقال: "أنا مخلص للجمهورية ولا شأن لي بما سوى ذلك."

ذهبت لوحدي إلى حيث يقيم الشيخ أحمد لدى أخيه الملا مصطفى في أحد دور السكك الحديدية التي خصصتها له الحكومة. كنا اربعة: الشيخ أحمد وأخوه مصطفى وأنا وكان معنا مير حاج، وكان يقوم بواجب السكرتير الشخصي للبارزاني. وذكر الشيخ احمد تفاقم حوادث الاعتداء التي يقوم بها الاعداء التقليديين للبارزانيين بإسناد من جهات حكومية.

ومما ذكره: "ان لجنة حكومية الفت برئاسة قائد الفرقة في شكوي البارزانيين وكان قائم مقام عقرة الشخصية الثانية في اللجنة. وقد عرضت عليه 107 حوادث، منها 51 حادثة تخص منطقة عقرة. وجرى البحث في 22 شكوى من تلك الشكاوى فأيد القائم مقام معظمها. وقال للشيخ احمد أنه طلب إلى رئيس اللجنة أن يتوسط لدى الزعيم لتعيين ضابط إستخبارات لمعرفة الحقائق ومنع الإضطرابات فأجابه رئيس اللجنة بتهكم: "إن عبد الكريم قاسم يعين قوة إستخبارات وليس قوة إستخبارات. أما القائم مقام فقد نقل إلى منطقة اخرى وبقي التقرير مهملأ في مكاتب الحكومة.

ثم تناول الحديث بيننا ما اشيع عن تجمع القبائل المتحالفة مع البارزانيين في منطقة الموصل إستعداداً لهجوم اوسع على القبائل المعادية التي كانت تسندها أجهزة الدولة. فبين البارزاني أن ذلك إنما جرى بطلب منه، نظراً إلى تفاقم الوضع وخيبة الامل من قيام السلطة بأي عمل يساعد على وقف الإعتداءات.

وبعد المذاكرة حول مضاعفات مثل هذه الخطة تم إتفاقنا على ان النزاعات الجارية في كردستان ليست نزاعات قبلية صرفاً، وأن الذين يقومون بالإعتداء على البارزانيين إنما يقومون بدور الواجة، وذلك جزء من حملة واسعة ضد نظام الحكم تشترك فيها قوى رجعية عديدة لزعة الجمهورية. وإذا كان بعضها مستقلاً عن الآخر في الدوافع المباشرة، فإنها تشترك في نتيجة واحدة لزعة الجمهورية. وقد يكون الوجه غير المنظور واحداً لكثير منها.

وفيما يتعلق بكردستان حصراً، فإن القتال لن يكون في مجابهة قبلية فحسب، لأن الجهة الحكومية التي تحرك الاعداء ستوسع إسنادهم. والنتيجة المحققة أن ليس لمثل هذه المجابهة من نتيجة حاسمة، وإنما ستكون عنصراً إضافياً لزعة الجمهورية وميسراً للقوى المتآمرة عليها. فليس من الصالح

العام للعراق ولا من الصالح الخاص بالشعب الكردي او بالبارزانيين تحمل مسؤولية مثل هذه المضاعفات. وتم الإتفاق على أن يطلب البارزاني إلى القبائل الصديقة أن تبتعد عن المجابه قدر الإمكان.

واصل الأخوان الشيخ أحمد وملا مصطفى محاولة مقابلة الزعيم ... ومن ذلك أنهما أرسلتا إليه رسالة إستعطاف مطولة إستعرضا فيها تأريخ إضطهاد البارزانيين في العهد الملكي وأنهم لايمكن أن ينسوا فضل العهد الجمهوري بقيادة الزعيم، إذ تم تحريرهم من السجون ووزنانات إنتظار الإعدام واعيدت اسرهم من المنافي واعيد مغتربيهم إلى الوطن، وردت كرامتهم إليهم .... فهم يرجون من سيادة الزعيم مساعدتهم على أحد أمرين: فأما أن تساعدهم سلطة الجمهورية أن يعيشوا في ظلها في أمان وإما أن تقسح لهم المجال للرحيل خارج الوطن.

وبعد إنتظار طويل تمت موافقة عبد الكريم قاسم على مقابلتهما، فكانت المقابلة فاترة لم يجري فيها أي بحث جدي في أسباب النزاعات أو الرغبة في البحث عن وسائل درئها، بل كان الجواب في حدود إنكار تشجيع الحكومة للمعتدين والنصح بضرورة الصفاء والتآخي. وقال في الختام "إن الحكومة فوق هذه النزاعات". .... على غرار كلمته الشهيرة "انه فوق الميول والإتجاهات".

عاد الشيخ أحمد إلى بارزان يائساً. وبعد فترة عرف أن مصطفى البارزاني خرج سراً إلى منطقة بارزان. وثمة من يعتقد أنه قام بتجمعات محدودة لمجابهة غارات الاعداء.

يعود غضب الزعيم عبد الكريم على البارزانيين إلى قتل الشيخ أحمد الزبياري. إذ أقدم أربعة من مسلحي البارزانيين على قتل الشيخ أحمد في وضح النهار على مقربة من مركز مديرية الموصل. لقد كان الشيخ أحمد من أعداء البارزانيين. وكان هذا العداء قد بلغ الذروة في فترة إنتفاضة 1943. فقد أقدم أتباعه على قتل والي بك أحد حلفاء البارزانيين.

القي القبض على قتلة الشيخ أحمد الزبياري ثم فروا وهم في طريق نقلهم من موقف إلى آخر. فكانت الفرصة مؤاتية لإثارة غضب الزعيم. فأشاعت دوائر الشرطة أن القتل كان من الشيخ أحمد البارزاني الذي لم يحترم أمن الدولة حتى داخل مدينة الموصل.

وسنرى أن هذا العداء مع اولاد الشيخ أحمد الزبياري قد إستمر حتى بعد إتفاق آذار 1970 وأنهم كانوا من الادوات الهامة في تخريب عهد آذار. فلقد كانت هذه العائلة تقدم للحكومة عناصراً أصبحوا ضباطاً وقادة عسكريين لجميع الحكومات لمحاربة الحركة القومية الكردية. وقد أصبح زعيمهم ارشد بن الشيخ أحمد قائد فرقة.

وفي حديث لمصطفى البارزاني مع آدم سمدت مراسل (نيويورك تايمس) ذكر له أن أربع شاحنات محملة بالبنادق الاتوماتيكية كانت متجهة إلى الزبياريين (حلفاء رشيد لولان). وأن البارزانيين قطعوا الطريق واستولوا عليها. وأنه قد ذكر ذلك للزعيم عبد الكريم، فأنكر علمه بما حدث.

كان لرشيد لولان رئيس قبيلة الصوفيين عداء تقليدي للبارزانيين وكان يقدم خدماته المسلحة إلى السلطة البريطانية ووليدها الحكومة العراقية في أعمالها التأديبية ضد البارزانيين. وقد أعلن العصيان عندما قامت سلطة 14 تموز 1958. فكان للبارزانيين الدور الأهم في مطاردته وقواته المسلحة حتى لجوئه إلى إيران التي كانت أولى الواجهات التي تحركت من ورائها القوات البريطانية والأمريكية. ولكن سلطة 14 تموز استعادته في صيف 1959 بعد أحداث كركوك وساعدته على تحدي البارزانيين. وعلى الرغم من غضب الزعيم على البارزانيين فإنه لم يعلن عدائه للشعب الكردي وإنما بالعكس كان يمتدح الكرد. مثال ذلك خطابه في مؤتمر نقابة المعلمين في شباط 1961 الذي جاء فيه: أن العراق شركة بين العرب والكرد والأقليات الأخرى. ولكنها غير قابلة للقسمة بأي حال من الأحوال. فأخواننا الكرد .... إنني أوضح لكم سبب تسميتكم، ..... إنني أوضح لكم أيتها الأخوات وأيها الأخوان سبب تسميتكم الكرد بهذا الاسم ..... إن هذا الاسم متأني من القاب الشجاعة التي كانت تضاف إلى ملوك آشور والبابليين كسناحاريب و سرجون وغيرهم. فمعنى اللقب المحارب أو المحارب الشجاع. وكان يضاف عليه هذا اللقب بإسم (كوردو) ... ولما جاء الإسلام إندمج هؤلاء مع جيش المسلمين وذهبوا في الفتوحات الإسلامية ... إن هؤلاء من السكان القدامى في العراق. فمن يريد تفرقة الصفوف فهو ليس من سكان العراق.

إلا أن الزعيم أثناء عزلته عن قوى الشعب ترك العنان للصحافة الرجعية التي قامت بحملة إعلامية ضد القوى التقدمية. وقد استهدفت الحملة الإعلامية بقدر تعلق الأمر بالكرد التزييف الفكري حتى نكران القومية الكردية.

في 29 آب 1961 نشرت جريدة بغداد بحثاً عن عروبة القبائل الكردية. فبينت إن أصل البهوانيين من العباسيين، وأصل السورانيين من الطائيين، وأصل البابانيين والبيشور وخوشناو بلباس وكيري من الخالديين (نسبة إلى خالد ابن الوليد). وفي 7 آب 1960 نشرت الصحف اليمينية دعوة إلى طرد البارزانيين من وطائفهم. وفي هذه الفترة نشرت مقالات مختلفة بشأن إنكار القومية الكردية.

وفي 20 تموز 1961 قدم المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني إلى الزعيم عيد الكريم مذكرة ذكر فيها بعض مظاهر سياسة الإضطهاد القومي ضد الشعب الكردي. وكان في مقدمة هذه المظاهر تجريد أعمال المديرية العامة للدراسات الكردية وحرمان الطالب الكردي من الدراسة بلغته القومية وإهمال استعمال اللغة الكردية كلغة رسمية في الدوائر الحكومية. بالإضافة إلى عدم تعيين الموظفين الكرد في منطقة كردستان وإبعاد الموظفين الكرد إلى جنوب العراق والتشدد في قبول الطلبة الكرد بصورة خاصة في الكلية العسكرية وإحتضان العناصر الإقطاعية الكردية وتشجيع الموظفين المعادين للقومية الكردية. كما أكدت على مسألة مكافحة الصحافة الكردية والوقوف موقف المتفرج من الصحف والمجلات المسيئة للاكراد وثوراتهم التحررية الوطنية. كما أكدت على مسألة توقيف

وإبعاد وحجز الوطنيين الكرد بالجملة وسكوت الحكومة على الإعتداءات والإغتيالات التي وقعت على الكرد في كركوك.

يتبين من هذه المذكرة أن الحزب كان يحاول التوصل إلى حلول مع الحكومة عن طريق الدبلوماسية وليس المجابهة الحربية. والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف بدأ القتال في يوم 11 أيلول 1961؟ لقد كان إنفجار القتال في 11 أيلول 1961 في خريف كردستان دليلاً واضحاً على أن ذلك لم يكن بتخطيط عسكري من قيادة عبدالكريم قاسم، وهو الضابط المتدرب على القتال في جبال كردستان. ولم يسبق لحكومة أن بدأت القتال في الخريف في هذه المنطقة، إذ كانت الحروب تبدأ من قبل الجيش في أوائل فصل الصيف. وليس يغير من هذه الحقيقة القصف الجوي الذي مارسه سلاح الطيران البريطاني ضد القرى البارزانية في شتاء 1943 - 1945. فقد اختير فصل الشتاء لأنه لم يقصد به حركات عسكرية على الأرض، وإنما محض ضرب البارزانيين وتدمير قراهم وتشريدهم وتعريضهم لبرد جبال كوردستان قاسية البرد. وذلك ما حدث، إذ تم لجوئهم إلى مه آباد في إيران.

لقد أكد لي كثيرون ان شرارة الحرب صدرت من قبل احد أعضاء المكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكردستاني بالتحالف مع بعض القيادات القبلية، وذلك خلافاً لرغبة البارزاني. ثم رد الزعيم على بدأ القتال من الجانب الكردي بحملة قصف عشواء بالطائرات وبزحف الجيش دون خطة معقولة عسكرياً. فتصور انه بإمكانه القضاء على الثورة بهذه الطريقة. فعلى حد قوله المشهور "قضينا عليهم في ثلاثة أيام بدلاً من ثلاثة أشهر".

يذكر نوري شاويس بمذكراته: "قرر الحزب ان يحتفظ بعلاقات جيدة قدر المستطاع وأن لا يكون البادئ في استخدام السلاح. هذا في الوقت الذي كنا قد هيينا أنفسنا للدفاع عن بارزان في حالة قيام الحكومة بشن الحملات عليها. وقد ذهب وفد حكومي للإجتماع بشلة من الاغوات الكرد. وقدم الاغوات إلى الوفد الحكومي جملة من مطالب تافهة. نحو تعديل قانون الإصلاح الزراعي ... بناء المساجد، إعادة المنقولين وإطلاق سراح المعتقلين. الامر الذي كان يصعب على الفرد الكردي تأييدهم او الإنضمام الى حركة مسلحة تقودها عناصر إقطاعية من أمثال شيخ حسين بوسكين، عباس أغا، علي أغا المنكوري، إسماعيل سوار أغا وأنور بك بيتواته.

قامت هذه الجماعة بتشكيل وحدات مسلحة وكانوا يشجعون الناس على حمل السلاح. فصعدوا جبل هيبب سلطان ووزعوا عناصرهم في طقطق ومناطق من كركوك. وشكل حمه رشيد خاني قوة مسلحة أخذت مواقعها في دربندخان، كما انتشر مسلحوا إبراهيم جرمكاه وكويخا إسماعيل التلاني في منطقة دربندبازيان.

ومن مذكرات نوري شاويس:

"كنا في تلك الفترة نقوم بتنظيم الإتصالات مع الأعضاء الحزبيين في بغداد وغيرها من المدن، أرسلنا جلال الطالباني إلى كردستان ليحول دون تأزم الوضع في كردستان وتهدئة الجماهير الغاضبة وعدم

حمل السلاح ضد الحكومة. إلا أنه فاجئنا برسالة موضحاً فيها بأنه يلتزم بقرارات اللجنة المركزية، ولكنه يرى نضوج الوضع الثوري وإستعداد الجماهير لحمل السلاح، بيد اننا لم نكن نملك أنصاراً مسلحين منظمين بإستثناء الجماعة التي إغتالت صديق ميران وكان يترأسها عسكرياً (ملا ماطور). بعثنا برسالة إلى جلال الطالباني بواسطة عمر دبابة وكتبنا فيها بأنه خالف سياسة الحزب، إضافة إلى أن البارزاني لا يرضى بما يدعو إليه. إلا ان عمر وصل بعد فوات الاوان، حيث بدأ الهجوم قبل وصوله.

كنا نحاول إقناع الناس بخوض النضال السياسي الجماهيري والتخلي عن التجمعات العشائرية. أعلننا إضراباً شاملاً في السليمانية وكركوك وأربيل وبادينان بمناسبة ذكرى إنتفاضة – بردكي سرا – في 6 أيلول 1961. إلا ان الحرب بدأت حيث قامت طائرات قاسم بقصف دربندبازيان في هذه الايام. وبناءً عليه إعتبر 11 أيلول 1961 يوم إندلاع الثورة.

وقد ذكر لي هازار الشاعر المعروف بولائه للبارزاني أن نوري شاويس قدم إلى بغداد بدعوة من الزعيم عبد الكريم. وأنه (هازار) قابله ومعه عبد الله على كاني مراني المحامي وسألاه عن سبب بدء القتال إذا كنتم غير متهيئين؟ فأجابهما نوري شاويس بجواب مماثل لما نقله من مذكراته مع إختلاف في بعض التفاصيل.

وقد عرف أن بعض القبائل الايرانية قد عبرت الحدود وإنضمت إلى الحركة المسلحة تشجيعاً من حكومة الشاه المعروفة بإرتباطاتها بالامبريالية الامريكية. وفي حديث مع نوري أحمد طه وجهت إليه السؤال: بماذا تفسرون إنضمام تلك القبائل من إيران إلى جانبكم؟ أليس في ذلك دليل على تشجيع من إيران ومن وراء إيران؟ أجب إن الثورة تستغلهم آنياً وبعدهنذ يمكن التخلص منهم. ولم يكن عسيراً منذ البدء فهم: "من يستغل من؟"

وليس ينكر أن قد إنظم آنذاك إلى الحركة بعد نشوب القتال قوميون من الحزب الديمقراطي الكردستاني في إيران بدوافع قومية ... ولكن لم يكن في حدود تفكيرهم أكثر من كونهم يؤيدون ثورة بني قومهم.

ورغم أن بدء القتال حدث قبل أوانه وبالإرتباط مع عناصر رجعية، إلا أن تقاوم الضغط على الشعب الكردي وقيادته متعدد الصور والجهات ووقوع الزعيم في مخططات أعداء الجمهورية كان سيدفع هذا الشعب إلى اللجوء إلى حمل السلاح للدفاع عن الذات في فترة لاحقة.

وقد طالب الحزب الشيوعي بحل المسألة الكردية سلمياً ببيان اصدره في آذار 1961. كما وقّع بناءً على مبادرة الحزب الشيوعي عدد كبير من انصار السلم والشخصيات الديمقراطية على بيان للغرض ذاته. إلا ان الزعيم تلقى هذه المطالب بإستياء. فكان مصير بعض الموقعين على بيان السلم الإعتقال حتى تسلمتهم سلطة ردة شباط. وإستمرت الحرب على تزايد في خسائر الجيش وإنحياز بعض ضباطه

سراً إلى جانب الاعداء. وتدهور الإقتصاد الوطني حتى كانت النهاية المأساوية بالقضاء على بقى من ظل للجمهورية.

غير ان الوضع قد إنقلب عاجلاً. فمذ تشرين الثاني 1961 اخذ الجيش يمنى بالفشل ويرتد عن مواقعه. وقد اضطر الزعيم إلى إعلان وقف القتال اكثر من مرة. ولكنه لم يسلك إلى ذلك سبلاً عقلانية، بل كان يطالب الجانب الكردي بالقاء السلاح دون النظر في موضوع المسألة الكردية.

### انهيار نظام جمهورية 14 تموز

وبينما كان نظام قاسم يزداد عزلة ويزداد التآمر على الجمهورية أعلن قاسم في كانون الثاني أن حكومته ستقوم بتأسيس شركة النفط الوطنية لإستغلال الاراضي المنتزعة من اراضي إمتياز شركة نفط العراق بموجب القانون رقم 80 لعام 1961، فكان ذلك من أسباب التعجيل بالإطاحة بحكومته. الزعيم عبد الكريم إذ إنتهى بتأثير اعدائه واعداء الجمهورية وبإنفعالاته الذاتية إلى العزلة عن مختلف قوى الشعب وعن اصدقاء الشعب العراقي، في الفترة ذاتها التي كانت تواجه خطر الاحتكار النفطي العملاق، حتى إنتهى به الامر إلى أن زج مع الحركة القومية الكردية في حرب إنتحارية تسببت في الإجهاز النهائي على الجمهورية الاولى. وقد كان إصدار القانون رقم 80 في وقت لم تكن للحكومة اي سند شعبي.

كانت علائم انهيار نظام جمهورية 14 تموز عديدة ومتواترة. فعدا تكرار المؤامرات بدأ بثورة الردة في الموصل ومضي أجهزة الدولة في تشجيع إضطهاد الشيوعيين والديموقراطيين الآخرين وحتى إعتداء محترفي القتل على المواطنين بالاجرة. وعدا غرق النظام في الحرب الاهلية وظهور عجزه اكثر من مرة.

عدا ذلك التأريخ الطويل لمرض الجمهورية أصبح التآمر للإجهاز النهائي على ذلك المريض واضحاً منذ اواخر عام 1962 وأوائل عام 1963. كان الختام إصطناع البعثيين إضراباً للطلاب بدؤوه في المدرسة الثانوية الشرقية في 19 - 12 - 1959. ولم تستطع قواة الحكومة حماية الطلاب الذين حاولوا مواصلة الدراسة. ثم فرض البعثيون الإضراب على المدارس الاخرى والمعاهد العالية. وقد كانت تلك علامة حاسمة على عجز النظام كلياً.

وفي تلك الظروف أصدر الحزب الشيوعي بيانين متتاليين في 3 و 5 كانون الثاني 1963 نبه كل منهما إلى إشتداد التآمر وحدد بعض الإستعدادات البعثية للإنقلاب. وفي الوقت ذاته كان الحزب يبلغ منظماته بأنها (تحت الإنذار).

يوم الجمعة 1 شباط 1963 دعاني إلى الغداء السفير السوفياتي في بغداد. ومما جرى بالحديث حوله سؤاله عن مصدر القوة التي يركن إليها الزعيم عبد الكريم: فهو يقف ضد الشيوعيين ويخوض حرباً ضد الكرد ويعادي البعثيين. فقلت له إن الزعيم يتصور بأن الجيش بيده، ولكن تجربة عجز شرطة

الجيش عن حماية الديموقراطيين الذين لم يرغبوا في مشاركة البعثيين في الإضراب يكفي للدلالة على عدم صحة تقديره. ثم بينت بأن مجمل العلائم تؤكد أن الإنهيار أصبح على قاب قوسين أو أدنى. و يوم الخميس 7 شباط كنا نقيم مجلس عزاء بوفاة نصير السلم زلزلة في مقر لجنة السلم. فزارنا مساءً ماجد محمد امين (المدعي العام) أمام المحكمة العسكرية الخاصة (محكمة الشعب). وذكر أن الحكومة إكتشفت مؤامرة يشترك فيها بعض الضباط في القوات المسلحة، فصدر الامر بإحالتهم على التقاعد، غير أن الامر تأخر تنفيذه إلى السبت (9 شباط) بسبب تأخر طبعه وتوقيعه من قبل الزعيم. وفي صباح الجمعة 8 شباط كنت منذ الصباح الباكر في مقر لجنة السلم. فاتصلت بي زوجتي بالتلفون وطلبت مني أن أفتح الراديو لأسمع ما يجري من إذاعات. ومنها علمت أن عملية الإنقلاب جارية. فتاخرت قليلاً لاحتراق أسماء انصار السلام لكي لا تقع بأيدي المتآمريين، وكان الإنتماء إلى حركة السلم في نظرهم جريمة. وكان معي في المقر الدكتور أحمد الجليبي. فطلب إلي أن أنقله بسيارتي إلى أي موقف للسيارات ففعلت.

كانت الشوارع آنئذ تموج بالمواطنين يسرون بإتجاهات مختلفة بأية وسيلة متيسرة وحتى مشاة. كان واضحاً أن كل منهم يريد الوصول بيته او مأمّن ما. وكان أفراد الشرطة واقفين امام المراكز مذهولين لايعرفون ماذا يجري وماذا ينبغي أن يفعلوا. وبإيجاز كان الناس في حالة إرتباك دون حوادث وصدام.

### نجاتي من الموت المحقق

وصلت الدار فارتديت على عجل ملابسني العربية التي كنا نعدّها للتكر في مثل هذه الحال. وكان قد زارنا احد الاصدقاء (إسمه منكر) فنقلني بسيارته إلى حيث اريد. وكان اول شئ فعلته التوجه إلى دار شريف الشيخ الذي كان آنئذ مسؤولاً عن لجنة العلائق الوطنية في الحزب الشيوعي، لأن المفروض ان تكون لديه خطة بشأن سلوك العاملين في المنظمات الوطنية مثل لجنة السلم. فخرج إلي وما زال مرتدياً البجاما. وإلى جانبه شاب يانع فهمت أنه يسكن معه للحماية. فلم تكن لدى شريف الشيخ أي معلومات عن خطة للحزب الشيوعي. ولم يكن إتخذ أي إستعداد حتى لحماية نفسه. فما معنى الإنذارات إذن؟

آنئذ أدركت أن الامر يتوقف على مبادرة كل شخص لحماية ذاته وما يستطيع أن يفعل في هذا الظرف. طلبت من الصديق أن يوصلني نحو دار في الكرادة الشرقية لصديق متعاطف مع الديموقراطيين وأنصار السلم دون نشاط سياسي. وكان يدعوني الى المبيت لديه في ظروف لم تكن في مثل الدرجة الحالية للخطر. وما كنت راغباً في فرض نفسي عليه في هذه الحال التي نحن فيها. وعند طرفنا الباب قدرت انها باب داره فكان الجواب بأن هذه ليست الدار التي أسأل عنها. فكان ذلك مريحاً لنفسي.

وفي طريق العودة وجدنا لأول مرة الحرس القومي بخرقهم الخضراء على أذرعتهم يحتلون الازقة المحيطة بدار محمد فاضل المهداوي ويحملون الرشاشات. وقادني الفشل مرة اخرى نحو دارنا فوجدت شخصاً مر بنا من معارفنا (إسمه منكر) يطرق الباب. والارجح أنه جاء يعرض نفسه لخدمة ما. ولكن لم تكن بيننا وبينه تلك الصلة التي تبرر الإعتماد عليه فلم أشأ أن يراني. .... وطال بالصديق وهو ينقلني في سيارته. وأخذت الشوارع تخلوا من الناس بالترديج ويزداد إنتشار الحرس القومي. وخلافاً لقراري بأن لا ألبأ إلى دار قريب أو صديق قررت أن احزر صاحبي الذي ينقلني بسيارته. فطلبت إليه أن يتركني في شارع موازياً للشارع الذي تسكن فيه الحاجة مريم الحاج طه، أم زوجتي. فدخلت دارها من دار مجاورة مدخلها من الشارع الموازي. وكانت لوحدها. وكنت مقتنعاً أن هذا ليس مستقراً لي ولكن اردت أن أبقى فترة افكر فيها بما سأفعل.

بقينا تلك الليلة يقضين حتى الصباح. وكلما توقفت سيارة كنا نخشى أن يكون فيها من تبعني. وفي الصباح زارها ابنها باسل سليمان فيضي لينتقد امه فوجدني مصادفةً. .... فعرض علي أن ننقل إلى داره ريثما نفكر في مستقر آخر.

كان يقابل داره حوض ماء الكراة (التانكي). وكان العمال جالسين في الشوارع عندما دخلنا الدار. وكانت تقابلها من إحدى الجوانب عمارة ذات اربعة طوابق.

ولما حل الظلام وقفت أمام العمارة سيارات حمل ونزل منها جنود يتحركون بعنف وكأنهم في حالة حرب .... وأخذوا يقذفون في سياراتهم اشخاصاً أخرجوهم من الدار وكما تقذف الاوساخ.

طرق باب الدار فعلمت من باسل بان الطارق سيدة إنكليزية. وقد طلبت إسكانها معهم لأنها كانت وصلت بغداد منذ يوم او يومين وأن السفارة جمعت جميع موظفيها في دار السفارة ومنهم زوجها وأنها مضطرة أن تطلب اللجوء إلى هذه الدار المجاورة لانها غريبة والظرف موحش وخطر. فأدخلها في إحدى غرف الدار وأخبرني بما وقع.

ثم طرق باب الدار في ساعة متأخرة صلاح الملاك ابن حبيب الملاك وله مع العائلة علاقة صهرية. وكان قد لوحق بسبب نشاطه الشيوعي في مجال الطلبة. وقد طلب صلاح الملاك إخفاءه في هذه الدار مؤقتاً ريثما يجد ملجأً. فأخفاه في غرفة اخرى دون أن يعلم بوجودي او بوجود السيدة الإنكليزية. منذ البدء كنت قررت مع نفسي عدم الإختفاء عند قريب او صديق. أما الآن فقد إتضح ان الإختفاء في هذه الدار كمن يضع رأسه في الرمل لكي لا يرى الخطر بينما يضيق حوله طوق الخطر من كل مكان.

بين لي باسل أنني قد أستطيع الإنتقال من فوق السطوح إلى دار مجاورة إذا ما تم إقتحام الدار. فرفضت الفكرة لأنها عرضة للرؤية من الشارع والتعرض للرصاص.

سألته هل أنه مستعد لتسليم نفسه إلى قوات السلطه إذا ما طرقوا داره أم أنه سيحاول الإختفاء او التهرب منهم بصورة أخرى. أجاب أن وسادتي وبطانيتي وآلة الحلاقة مهيئة وسأنام عند عتبة الدار



لتسليم نفسي متى طرقوا الباب. كان في جوابه بعض الطمأنينة لأنهم قد لا يحتاجون إلى تفتيش الدار إذا ما القوا القبض على صاحبها.

لا أستطيع أن أتذكر الايام والساعات إذ لم ادون الحوادث في وقت قريب من حدوثها. .... وقد كانت قصيرة جداً في حركة الساعة إلا أنها كانت طويلة في ظروفنا وما فيه من توقعات.

زار باسل صديقان منذ أيام الدراسة في لندن. وهما سميرة وزوجها سعدون وهو رسام. وكانت لسميرة اخت زوجها قومي. وكان القوميون في مأمن وإن لم يكونوا بعثيين. قال لها باسل لدي رجاء اود عرضه عليكما. فكان جوابهما – والقول الاول لسميرة – لقد فهمنا أن رجائك يتعلق بعزيز شريف ونحن نرحب به وبيتنا في مأمن.

كان مضيفاي يتركان الدار فترات طويلة من النهار. وذات يوم إنقطعنا دون إخباري. .... والظاهر أنهما اصبحا يخشيان العواقب. وفي يوم 16 شباط اذيع من الراديو البيان بعدم إلقاء المطلوبين وبعقوبة من يلجؤهم وبعدم جواز تأجير دار إلا بموافقة قوات الامن.

وكانت الإذاعة توالي إعلان البيانات ومنها: مصادرة أموال عزيز شريف وإخوانه وزوجاتهم وأولادهم. ثم بيانات بذكر الاسماء فرداً فرداً.

وأخذت دائرة الخوف تتسع حتى شملت كثيرين ممن لم يكن لهم نشاط سياسي وحتى من كانوا يتصورون أنهم في أمان. وشمل الاعتقال بالجملة والمفرد كثيرين لا يخطر ببال أحد أن لهم علاقة بالسياسة.

بقيت لوحدي في الدار ليلة .... واخرى .... فإذا بسميرة تدخل الدار لتطلب مني التهيئ للإنتقال إلى جهة أسكن فيها أكثر أمناً من هذه الدار. ... فغيرت ما إستطعت سيماء وجهي وأنفي بالمكياج الذي إتخذته من أدوات الرسم الخاصة بزوجها الرسام سعدون.

خرجنا من الدار وتقدمتني دون أن تلتفت حتى وصلت سيارة كانت تنتظرنني فإستمطبتها وسارت سميرة في طريقها. .... فكان سيرنا عبر نقاط عديدة للمراقبة في الساحات ورؤوس الجسور ... حتى تم وصولي بسلام.

لقد كانت حياتي معلقة بخيط دقيق، فكانت الخطوة الاولى للإنقاذ باسل وكان الدور الختامي لسميرة. وإذا آسف فمن أسفي أنني لم أنتهز الفرصة المؤاتية لتدرك مدى شكري لعملها.

أما قصة باسل فإنها لم تكتمل. لقد اوقف بعد فترة قصيرة من تركي داره. كما اوقف فيما بعد صلاح الملاك. وكان توقيف باسل في البدء بسبب تذكر أحد الذين أصبحوا قادة في عهد شباط أن باسل كان منتخياً إلى جمعية الطلاب الديموقراطيين العراقيين في لندن وكانا خصمين.

### موقف القيادة الكردية من إنقلاب 8 شباط

لقد كانت مفاجأة عنيفة للشعب العراقي الذي واجه جحيم انقلاب 8 شباط إعلان راديو بغداد الذي سيطر عليه الانقلابيون برقية الى مجلس قيادة الثورة بإسم صالح اليوسفي وفؤاد عارف ذكرا فيها إن الثورتين، الثورة الكردية وثورة شباط 1963 قد التحمتا. وابدى موقعا البرقية اتفاهما بأن الانقلابيين سيقومون بحل المسألة الكردية على أساس الحكم الذاتي. تليت البرقية من راديو بغداد عدة مرات. وقد اعلن تأليف الوزارة الاولى وفيها كل من فؤاد عارف وبابا علي بن الشيخ محمود. وكان الاخير من الكرد المعروفين بإنتمائهم الى العهد الملكي.

ذكر لي الضابط العربي الملازم خضر أنه كان في إجازة في بغداد، وقد رأى صباح 8 شباط 1963 دبابات الانقلاب وهي تمر في ساحة التحرير. وكان على احد الدبابات الملازم صبحي وهو عربي. والى جانبه ضابطان كرديان. ويتابع الملازم خضر انه إلتحق بوحدته في منطقة دهوك. وفي يوم 15 شباط 1963 حيث واجه رشيد دوسكي وكان قائد قطاع دهوك. وكان ذلك في دار اخيه ديوالي في دهوك وهو نائب من العهد الملكي وكان جاشاً في زمن قاسم. وقال محدثي العربي: قلت لرشيد دوسكي لقد كان قاسم هو العدو، وقد زال، وأن البعثيين لا يمكن ان يعطوا الكرد اي حق. وإقترحت عليه ان تقف الثورة ضد البعثيين. فأجاب رشيد دوسكي ان ثورة البعث هي ثورتنا وسوف نسحق كل من يتصدى لها.

كما روى لي الرئيس كمال نعمان انه كان يقود سرية في الجيش العراقي في احدى قطعات المنطقة الكردية. وعندما حدث الانقلاب حدثت فترة من التردد فأخذ البعض بجمع التواقيع بتأييد الانقلاب فتمنع عن التوقيع. فعلم آمر الفوج فأمر بإعتقاله فأختفى في المنطقة. وبقي على إتصال ببعض زملائه الذين يؤيدون موقفه. ثم قام بإتصل بممثلي الثورة الكردية وبين لهم إستعداده وزملائه للالتحاق مع قسم من الجيش في المنطقة بالثورة الكردية. وأخذ ممثلوا الثورة يسوفون في الجواب إنتظاراً منهم لتلقي أمر من القيادة. وبعد طول إنتظار لم يتلق جواباً.

ذكر نوري شاويس عند إجتماع طاهر يحيى بالبارزاني قال إن الحكومة وافقت على جميع مطالبنا، ولكنني لا أستطيع ان اتعايش معها ولسوف اطلب اطلاق سراح جميع الشيوعيين. فأقنعناه بأن يطلب اطلاق سراح المعتقلين السياسيين بدلاً من التركيز على الشيوعيين.

وقد حضر اريك روكلو فكتب ان البارزاني صرح له ان وضع العراق لا تحله سوى حكومة ائتلافية تشترك فيها جميع الاحزاب وتطلق سراح جميع المعتقلين السياسيين. وفي يوم 5 آذار 1963 ارسلت الحكومة وفداً الى القيادة الكردية ضم كلاً من طاهر يحيى وفؤاد عارف واللواء طاهر يحيى رئيس اركان الجيش وعلي حيدر سليمان وكان سفيراً. وكان مطلب القيادة الكردية يتركز حول الحكم الذاتي بصورة مشروع تمهيدي.

ثم ارسلت الحكومة وفداً ثانياً مؤلفاً من محمد رضا الشيببي والمحامي فائق السامرائي، احد قادة حزب الاستقلال "سابقاً" والمحامي حسين جميل سكرتير الحزب الوطني الديموقراطي "سابقاً" والمحامي فيصل حبيب الخيزران احد اقطاب حزب البعث وعبد العزيز الدوري رئيس جامعة بغداد "سابقاً" وزيد احمد عثمان احد الشخصيات الكردية في العهد الملكي وقد سمي الوفد "الوفد الشعبي".

وكان الاجتماع الاول في قرية "جوار قورنة" يوم 7 آذار 1963 وقد حصل تقارب اولي بين الجانبين، غير أن إنقلاباً حصل في سورية في اليوم التالي "8 آذار" وقد وصل به الى السلطة حزب البعث العربي الاشتراكي. فقطع الوفد المحادثات وعاد الى بغداد.

كان وصول البعثيين إلى السلطة في دمشق في آذار 1963 عنصراً هاماً في ظهور التناقض بين القوى التي ساهمت في إنقلاب شباط 1963. وبخاصة في إنقلاب سياسة حكومتي البعث عن الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية — مصر إلى سياسة توتر العلاقات معها، حتى كان إنقطاع المفاوضات فالتطيعة والحرب عندما حل فصل الصيف الملائم في 10 — 6 — 1963.

وقد اسهم الجيش السوري في هذه الحرب التي كانت اشد وحشية ضد الشعب الكردي واقوى تنظيمياً وزحفاً عسكرياً بما لا مجال فيه للقياس مع الحرب الاولى (1961 — 1963).

## الفصل السادس: عهد العارفين

### إنقلاب تشرين الثاني 1963

بدأ عهد العارفين عبد السلام ثم عبد الرحمن بحمل النقائص منذ الإنقلاب على سلطة شباط 1963 في تشرين الثاني 1963. فقد جمع الضباط القوميون والبعثيين المتذمرين من السياسة الإرهابية والناصريين والمتعاطفين مع الناصرية إلى جانب الضباط الجميليين وفي مقدمتهم عبد السلام عارف وأخيه عبد الرحمن عارف وسعيد صليبي أمر حامية بغداد، وقد قلبت إلى إسم الحرس الجمهوري. ومن قبل كان الجميليون من ضباط وضباط صف ضمن اللواء العشرين الذي زحف على بغداد صباح 14 تموز 1958، بعد ان آلت قيادته إلى عبد السلام عارف في صباح اليوم المذكور.

والمعروف ان الجميليين ينتمون إلى قبيلة صغيرة في قرية قرب سميحة في شمال غربي الرمادي، غير أنهم إمتدوا إلى منطقة الكرمة. ولكن لهم بقايا مساكن في أقصى الجنوب الشرقي لعانة. وكثير منهم يعتقد إن الاصل هو عانة ثم رحلوا عنها.

هكذا تكون التجمع الجديد بإنقلاب تشرين الثاني من زمر متضاربة المقاصد. لقد كان هؤلاء على جانب كبير من الفكر الرجعي. وقد واصلوا سياسة الإرهاب ضد القوى الديمقراطية. إلا ان عهدهم كان متنفساً لا يستهان به من كابوس الحرس القومي الرهيب.

وتم في فترة قصيرة بعد الإنقلاب تقليص كبار البعثيين فأقصاؤهم. فأصبحت للناصريين والقوميين المتعاطفين مع الناصرية يد طولى في سياسة الدولة وعلى ذلك تم التقارب مع الجمهورية العربية المتحدة – مصر حتى الإتفاق على بعض مقومات الوحدة. كما تمت إجراءات في ميدان السياسة الإقتصادية على غرار ما كان يجري في مصر، بما في ذلك الإعلان عن تأسيس الإتحاد الإشتراكي العربي وتأميم عدد كبير من المؤسسات الصناعية والتجارية الكبرى والبنوك وشركات التأمين. كما أنه سار إلى جانب سورية ومصر في تفضيل التسلح من المعسكر الإشتراكي.

غير أن نفوذ الضباط المحافظين في الجيش وفي سياسة الدولة كان سبباً لعرقلة تلك الإجراءات بشقيها: في التعاون مع مصر وفي السياسة الإقتصادية التي سارت في الواقع على خط معاكس بما في ذلك إعادة نفوذ شركة نفط العراق وإطلاق يدها في ضمن ما ترك لها القانون رقم 80 لعام 1961 والتراخي في إجراءات الوحدة.

أدت هذه السياسة إلى إستقالة الوزراء الناصريين والوحدويين في الرابع من تموز 1965. ذلك ان الناصريين لم يكتفوا بالعلاقة الوحدوية الشكلية. غير ان الرئيس عبد السلام عارف لم يذهب إلى القطيعة مع الناصرية، فرفع عارف عبد الرزاق هي 6 أيلول إلى منصب رئيس الوزراء ووزير الدفاع إضافة إلى منصبه السابق قائد القوة الجوية العراقية. وفور سفر عبد السلام عارف إلى المغرب قام عارف عبد الرزاق بمحاولته الانقلابية بإسناد من الناصريين. إلا أن محاولته فشلت، وفر بطائرة إلى مصر في الرابع عشر من ايلول عام 1965.

### عبد الرحمن البزاز

كان لرئيس الوزراء عبد الرحمن البزاز دور متميز في عهد العارفين. تعرفت على عبد الرحمن البزاز اثناء مؤتمر الحقوقيين الديموقراطيين العالمي في دمشق. وكان إنعقاده مظاهرة تضامن مع سورية التي كانت تواجه مؤامرات الإمبرياليين الامريكيين والبريطانيين. وكانت تركيا تحشد جيشاً في منطقة الحدود السورية.

وقد شارك في المؤتمر فيمن شارك عبد الرحمن البزاز الذي قدم من بغداد، وكان سبق وأن إستقال من وظيفته مع أساتذة من جامعة بغداد. وكانت افكار البزاز تحررية على عكس إتهامه بالعمالة. وعند زيارتنا لحمص للوقوف على معالم التطور في سورية، وكان مما رأينا معملاً حديثاً للسكر بني بمساعدة جيكوسلوفاكيا. وأثناء هذه الزيارة زار المدينة بعض البحارة السوفيات الذين كانوا في ضمن باخرة سوفياتية زارت اللاذقية في مظاهرة تضامن ضد التحدي الإمبريالي. وكان مما قاله لي البزاز إذا إستمر هؤلاء السوريون على صلاتهم بالشرق بإنهم سيحرزون تقدماً سريعاً لا نلح فيه نحن في العراق.

لم تكن حكومة البزاز متحدة. فهي لم تكن ممثلة لحزب ولم تأت بها طبقة وإنما إنتمت كلها (بإستثناء شخص البزاز) إلى بقية التجمع الذي أطاح بقاسم. ومنذ شباط 1963 جرت عدة إنقلابات ومؤامرات داخلية وتصفيات ولم تكن مؤامرة عارف عبد الرزاق آخر المؤامرات. وقد رأينا في موضوع الحرب في كردستان جناحين على الأقل: جناح عارف – البزاز الذي كان واقعياً أكثر من غيره وأدرك قبل الجناح الآخر ضرورة وقف القتال. إن الذي فرض وقف القتال هو العجز العسكري والإفلاس المالي والخراب الإقتصادي.

وكانت قوة البزاز داخل التجمع الحكومي تعود بالدرجة الاساسية إلى قوة جناح عارف وكفائته كمتقف بين ضباط اميون وواقعيته التي تريد التعايش مع الجميع: الإستعمار الانكلو – امريكي، حكومتي السننو، إحتكارات البترول، البرجوازية العراقية، الإشتراكية، الجمهورية العربية المتحدة، الإتحاد السوفياتي ضمن جبهة الحكومات العربية التي تدرك أهمية التعاون السوفياتي – العربي (سيما في التسلح)، وكذلك مع الكرد. وهو ايضاً غير ميال إلى التطرف في العنف. وفي هذا الإطار يتحدد معنى الإستقلال الوطني لدى البزاز.

### معركة هندرين

واجه هذا العهد اعباء الحرب المتزايدة فكانت هدنة 10 شباط 1964. وترتب على هذه الهدنة رفع الحصار عن المناطق الشمالية. وقد لقي ذلك إستحساناً من الرأي العام العلمي الذي يقدر اهمية السلام، لا بالنسبة إلى إنقاذ الشعب العراقي، وبخاصة الكردي من تخريبات الحرب وآلامها فحسب، بل ولتخليص العراق من المؤامرات والاطار الامبريالية. ولكن الهدنة إتخذت طابع إنقاص الانفاس بدلاً من المعالجة الحاسمة لحل المسألة الكردية بسبب تناقض الاهداف بين الجانبين، الذي تعمق مع تطور

الصراع داخل المركب الحكومي وتعاضم اليمين فيه، حتى وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود في مطلع عام 1965. وتأهب الجيش في المراكز الاستراتيجية. فكان إستئناف الحرب في 4 نيسان 1965 بذريعة وسبب مباشر من عمل إجرامي طائش قام به المدعو طارق احمد.

لقد وضع طارق احمد كميناً لقافلة ضباط وعدد من الجنود المجازين — كما بينت الاوساط الحكومية — وقتلهم جميعاً. وكان ينتمي رسمياً آنئذ إلى قيادة الحركة الكردية. ولكن هذه القيادة إتهمته بعنء بتعدد العلائق المشبوهة. وأخيراً عندما اقيمت في بغداد كتل معادية للحركة القومية الكردية مثل كتلة حميد عثمان — عوني يوسف، كان طارق احمد في قيادة إحدى تلك الكتل.

وبوفاة الرئيس عبد السلام عارف في حادث سقوط الطائرة في نيسان 1966 وانتقال الرئاسة إلى اخيه عبد الرحمن عارف في صراع على السلطة وإحتفاظ عبدالرحمن البزاز برئاسة الوزراء ضمن ذلك الصراع ورث عهد ال (عبد الرحمنين) أعباء الحرب ومضاعفاتها المتزايدة.

وقد كانت آخر محاولة في عهدهما لحل المسألة الكردية عسكرياً بالخطة التي هدفت إلى تصفية القوات المسلحة في محور راوندوز — حاجي عمران لعزل هذا القوات عن طريق الإتصال بأيران. إلا ان معركة هندرين الشهيرة قد قلبت ميزان القوى بما اصيب فيها الجيش من هزيمة.

كانت معركة هندرين حسب الخطة الحكومية بدأً لأعظم حرب خاضها الجيش العراقي حتى وقتها. كما تبين من الوثيقة التي تم الإستيلاء عليها. وقد سميت "خطة توكلت على الله". فقد كان المقرر أن يصل الجيش العراقي إلى حاجي عمران ويقطع الطريق بين القوات الكردية وإيران على ست مراحل. وكانت المرحلة الاولى إحتلال مرتفع جبل هندرين ومنه يمكن السيطرة والتقدم في المراحل التالية. ولذا بدء بالحملة في وقت مبكر، فتم تنفيذ المرحلة الاولى بإحتلال قمة جبل هندرين في 3 — 4 ايار 1966. وقد اصيبت القيادة الكردية بهلع شديد فأصدر البارزاني امراً بإسناد قيادة الجبهة إلى فاخر ميركة سور. ومعنى هذا إلقاء واجب المواجهة الامامية في الجبهة على الفصيل الشيوعي الذي ينتمي إليه فاخر ميركة سور. فأبدى هؤلاء شجاعة وتاكتيكات بارعة. فكان لهم الدور الاساس في هزيمة الجيش العراقي.

لقد كان الملازم خضر مدفعياً ماهراً. وقد اوقع إصابات مباشرة في اول ربية للجيش. فكان على الجنود أن يخرجوا إلى العراء مشنتين ويواجهوا برد هندرين ونيران المدفعية دون أنتظام او قيادة. وفي الوقت ذاته تسلس الانصار الشيوعيون خلف مقدمة الجيش وبأيديهم مذيعات (ووكي توكي) يذيعون بين الجنود أخباراً مثبطة. وأذكر من بين اولئك الانصار العريف يونس ذي القدرة الخارقة. فقد كانت لي تجربة سابقة عن قوته. وقد قيل انه كان يريد إقتناص أمر الفوج وأسره فإستشهد هو.

لقد كانت خسائر الجانبين غير جسيمة ولكن الجيش خسر المعركة بسبب فقدان الموقع المحصن في شدة البرد ومن ثمة فقدان الجنود العزيمة والإنضباط. وقد سمع بعض قادة الفصائل في الجيش يهيبون بجنودهم لتشديد العزائم ولكن دون جدوى.

فرضت معركة هندرين وقف القتال. وشرع البزاز بالمفاوضات التي ادت إلى إصدار بيان 29 حزيران 1966. ونال هذا البيان بسبب التقييم الايجابي للحقوق القومية للاكراد اعترافاً وتأييداً حتى من قبل اعداء الجانيين: نال اعتراف وتأييد جماعة الطالباني (وكانت وقتها إلى جانب الحكومة) في مؤتمرها السادس، كما نال اعتراف وتأييد حزب البعث في مؤتمره القطري السابع.

وعلى الرغم من عدم اعترافه بالحكم الذاتي، فانه تقدم على جميع الوثائق الرسمية السابقة فيما تضمن من حقوق قومية للاكراد. وقد لقي هذا البيان إلى جانب إجراءات اخرى إستحساناً من القوى الوطنية والرأي العام العالمي المقدر لأهمية السلام ليس بالنسبة إلى الشعب العراقي فحسب بل وإلى أمن وسلام شعوب الشرق الاوسط. فقد رفع الحصار عن كردستان وجرى إنفراج واسع داخل العراق. ورجع الكثيرون إلى اعمالهم. وكانت للحزب الديموقراطي الكردستاني صحيفته التي تصدر بصورة شرعية في بغداد.

غير ان هدنة أيار وبيان البزاز في حزيران 1966 لم يضمن السلام المنشود. فكان الوضع في هدنة قلقة على غير امان. إذ كان عرضة إلى محاولات التخريب الاجنبية وفي مقدمتها شركات النفط بالاستناد إلى العناصر الرجعية في المركب الحكومي. وبقي بيان حزيران يواجه العقبات، بل وكانت تحدث بين حين وآخر صادمات مسلحة غير مباشرة بين قوات الطالباني من جانب وقوات القيادة الكردية من جانب آخر. فكانت القيادة الكردية بين نارين.

إلى جانب نجاحه بوقف القتال ببيان حزيران 1966 كان رئيس الوزراء عبد الرحمن البزاز يحاول إشاعة الليبرالية والحكم المدني في البلاد وإرضاء مختلف الجهات. مثال ذلك قيامه بإجراءات لصالح كبار ملاك الأراضي. وكان في الوقت ذاته يسعى إلى الإنفتاح نحو الغرب سياسياً وإقتصادياً. كما قام البزاز بالتوجه إلى الإتحاد السوفياتي. ونجح خلال زيارته للإتحاد السوفياتي في 27 تموز - 2 آب 1966 في حل كثير من المسائل المتعلقة بتعزيز العلاقات الإقتصادية والتجارية والعسكرية والثقافية بين البلدين. فكان مجمل هذه الامور سبباً لتألب زمر الضباط ضده وإقصائه من السلطة في 6 آب 1966، أي بعد ثلاثة أيام من ختام زيارته للإتحاد السوفياتي

وقد خلفته وزارة الفريق ناجي طالب في 9 آب 1966. ووقفت إلى جانب سورية في نزاعها مع الإحتكار النفطي. وأعلنت منهاجها بعدم الإنحياز إلى الأحلاف وبالتقارب مع الجمهورية العربية المتحدة وتأييد التسوية السلمية للمشكلة الكردية حسب بيان حزيران 1966 وإقرار قانون لإنتخابات المجلس الوطني.

إلا ان هذه الوزارة لم تستطع الوفاء بما أعلنت عن الإنتخابات وإنما ظلت تراوغ حتى نهاية عهدها في أيار 1967. كما أنها لم تستطع التقدم في تطبيق بيان حزيران بشأن المسألة الكردية.

### شركة النفط الوطنية

بعد عدوان حزيران 1967 ألف طاهر يحيى وزارة الدفاع الوطني. فقامت بإجراءات مضادة للدول الإمبريالية التي ساندت العدوان. كما قامت وزارته بتطبيق منهاج للتنمية يقوم على الإستقلال الوطني ل النفط الاراضي المنتزعة من الإحتكار النفطي.

في عهد الرئيس عبد السلام عارف تم تأسيس شركة النفط الوطنية في 8 شباط 1964 وإعلان سيطرتها على جميع حقول النفط التي انتزعت بموجب قانون رقم 80، إلا أن تحولاً يمينياً في الحكومة جرها إلى تسويق تطبيق القانون وإعادة المفاوضات مع شركة نفط العراق.

إلا ان العدوان الإسرائيلي عام 1967 حرك من جديد توجهاً معادياً للإمبريالية في عهد الرئيس عبد الرحمن عارف. فأصدرت وزارة طاهر يحيى في 28 تموز 1967 القانون رقم 97 الذي تسلمت به شركة النفط الوطنية الاراضي التي إنتزعت من شركة نفط العراق (بموجب القانون رقم 80 – في عهد الجمهورية الاولى). ومنحت شركة النفط الوطنية حق إستخراج النفط والغاز في جميع الاراضي. وفي 4 ايلول 1967 نشر القانون رقم 123 الخاص بشركة النفط الوطنية. وبموجب منح رئيس المجلس الإداري للشركة حقوق وصلاحيات وزير. وسمح لشركة النفط الوطنية بزيادة مبلغ رأس المال المسجل من 25 إلى 150 مليون دينار، وخولت حق ممارسة كافة أنواع الاعمال المرتبطة بالتنقيب عن البترول وإستخراجه وتكريره وخبزته ونقله وتوزيعه مع مشتقاته. وحق تأسيس شركات تابعة وتوقيع العقود وأستلام القروض من الخارج ومن داخل العراق.

لم تعد شركة نفط العراق الإحتكارية تشعر بأنها هي السيدة في البلاد. فقد حرمت من 95% من أراضي الإمتياز ومن حق التنقيب عن النفط وإستخراجه في المناطق الجديدة. غير أن شركة نفط العراق وفرعيها إستخرجت من القسم الباقي من أراضي الإمتياز خلال عام 1968 وحده 72.5 مليون طن من النفط، فدفعت لحكومة العراق زهاء نصف مليون دولار، مما يشكل 80% من مداخيل العراق.

وفي شباط 1968 وقعت شركة النفط الوطنية متجاهلة شركة نفط العراق إتفاقيات مع شركة النفط الفرنسية الحكومية (أيراب) بشأن التنقيب عن البترول وإستخراجه على مساحة 10800 كيلومتر مربع ونقله وتصديره طوال 26 عاماً. علماً بأن الإدارة تنتقل منذ العام السادس إلى شركة النفط الوطنية مباشرة. وضمنت أيراب تصريف 30% من النفط المستخرج ودفع جميع نفقات عمليات التنقيب وإستخراج النفط ومد أنبوب النفط وبناء ميناء التعبئة على ان تسدد هذه النفقات من جانب العراق بالنفط الخام حسب أسعار أدنى مما في السوق العالمية. وعند توقيع الإتفاقية سلمت إيراب إلى الحكومة العراقية 15 مليون دولار دون مقابل.

سعت شركة نفط العراق إلى إسترجاع حقول البترول في شمالي الرميثة واعدة بالإعتراف بالقانون رقم 80. وحاولت الإحتكارات الغربية الاخرى الحصول على إمتياز في جوهرة نفط العراق هذه، إلا ان



الحكومة قررت أن تمارس شركة النفط الوطنية بنفسها إستخراج النفط هذا. وطلبت المساعدة من الإتحاد السوفياتي لهذا الغرض. وفي 24 كانون الاول عام 1967 احرز إتفاق بهذا الخصوص بين حكومتي البلدين، تضمن تجهيز وتقديم المساعدة التقنية والمكائن للحفر في حقل شمالي الرميطة. كان خير الدين حسيب وزيراً في وزارة طاهر يحيى بدأً من 10 تموز 1967. وفي 6 آب حولت الحكومة جميع حقوق إستثمار شمالي الرميطة الغني بالنفط إلى شركة النفط الوطنية بموجب القانون رقم 97. وفي 23 تشرين الثاني 1967 منحت شركة إيراب إتفاق حول التنقيب والإستخراج ل 18000 كيلومتراً مربعاً في وسط العراق وجنوبه.

إلى جانب هذا الإتجاه التقدمي في السياسة الخارجية وفي سبيل الإستقلال الإقتصادي لم تكن للحكومة قاعدة شعبية تستند إليها وكانت سياسة الحكومتها رجعية في الداخل. فمنذ البدء لم تكن للنظام قاعدة شعبية، وإنما قام على تجمعات من الضباط المتنافسين وعبر خلط الأوراق وإعادة خلطها بين اولئك الضباط الذين تزايدت أطماعهم الذاتية ونهمهم إلى الكسب بخاصة الأشهر الاخيرة من عمر النظام (اواخر 1967 حتى صيف 1967)، إذ تعاضم تذمر الشعب من تفاقم دكتاتورية عهد رئاسة طاهر يحيى التي شددت الإرهاب، بينما زاد الصراع على السلطة بين الضباط، وتعاضم نفوذهم وتفشى الفساد من وراء أطماعهم الذاتية.

ولقد كانت الظاهرة المستمرة المعروفة داخل العراق وخارجه عن ذلك العهد – بما في ذلك تبدل الوزارات – هي الصراع بين زمر الضباط وتسايقهم وراء أطماعهم الذاتية. ففي حديث لي في 15 – 5 – 1968 مع إبراهيم ماخوس وزير خارجية سورية في عهد رئاسة نور الدين الأتاسي، قال لي حرفياً: "يظهر أن الإستعمار قد ترك وراءه ركائز كثيرة في العراق. فهناك كفاءات عظيمة في تخريب الإقتصاد. وهناك ثروات دون إستغلال. وهناك فساد مريع. وكل واحد منهم ينهم الآخر بكونه سارق وعميل. وعلى سبيل المثال ان إسماعيل خير الله يتكلم ضد طاهر يحيى بحضور السفير السوري ويتهمه بأشنع التهم. وهكذا تطلق الإتهامات رخيصة ضد بعض من بعض آخر. لقد كانت تلك الزمر سبباً في مضاعفة نفقات الجيش وتضاؤل قدرته القتالية. وقد كان لعدم حل المسألة الكردية دور خطير في شل الجيش العراقي وتضخم النفقات العسكرية وما يتصل بها من أسباب الإنفاق وتبديد أموال الدولة. فضلاً عن بقاء بيان حزيران 1966 دون تنفيذ كانت المجابهات العسكرية تقتعل بين قوات القومية الكردية وقوات الجيش غير النظامية وفي مقدمتها قوات جلال الطالбاني.

### أنشاق الحزب الشيوعي

بدأ الإنقسام في الحزب الشيوعي أثناء المد اليساري في عهد ثورة 14 تموز. وقد انفجر في عام 1959 إذ إنتقد عامر عبد الله عضو المكتب السياسي اليسارية الإنعزالية في الحزب. وقد سوي هذا الإنشقاق بطريقة قمعية قام بها السكرتير العام. إذ فرق ناقدسي سياسته اولاً. ثم فرض عليهم عقوبات

مختلفة تتراوح بين إنقاص الدرجات الحزبية وحتى التهديد بالطرد مع طلب نقد الذات. وقد تم بعض هذا النقد بصور تحقير الذات.

وفي أوائل الستينات تشتت الآراء بصورة عفوية. إذ تبنى البعض موقف الصين الشعبية فيما نشرته جريدة جيمي جيباو حول "فلتحميا اللينينية" دون تفهم ابعاد الإنحراف الصيني. وقد غطى على هذه الخلافات إنقلاب ردة شباط 1963، بما فيه من إرهاب دموي وحتى موضوع الإنحراف الصيني قد فضحته القيادة الصينية بتأييدها للإنقلابيين ضد الحزب الشيوعي.

أما سبب الإنشقاق الأهم فهو تبنى ما عرف بخط آب 1964 الذي بارك الإتحاد الإشتراكي العربي الذي أعلنه عبيد السلام عارف. بينما كان نشطاً في مكافحة الحزب الشيوعي. وقد إستطاعت القيادة ان تحافظ على مظاهر الوحدة بالعبارات اليسارية التي كانت تصيغ بها منشورات الحزب. ومنذ عام 1964 في عهد عبد السلام عارف حين كان عزيز الحاج ممثل الحزب الشيوعي في براغ في مجلة "قضايا السلم والإشتراكية" أخذ مع لفيف من مؤيديه بنشر نشرة معارضة لخط آب.

وعند عودته إلى بغداد في كانون الثاني 1967 انيطت به وسؤولية تنظيم بغداد. وفي شباط أصبح عضواً في المكتب السياسي. وفي نيسان إتقى عزيز الحاج بحبيب محمد كريم سكرتير الحزب الديموقراطي الكردستاني، وذلك بتوجيه من عزيز محمد لكي يكون عزيز الحاج مسؤولاً عن العلاقات مع الحركة القومية الكردية (انظر مذكرات عزيز الحاج ص 281).

ونظراً إلى نقده لأخطاء الحزب فقد لقيت حركته صدى إستحسان لدى الكثرة من غير المقتنعين بسياسة الحزب، من العناصر القيادية والكوادر والاعضاء وحتى كثير من الذين لم يتبعوه. كان تحفظهم على حركته بسبب الإجراءات المتطرفة في الإنشقاق وفي ضمن ذلك ما جرى من محاولة للقبض على بعض قادة الحزب.

وقد تم حسم الإنشقاق نهائياً بالإجتماع غير الإعتيادي للجنة الحزب الشيوعي المركزية في أيلول 1967 ثم بمؤتمر كونفرنس الحزب في كانون الاول، إذ أصبحت كتلة عزيز الحاج تسمى **بالقيادة المركزية** وتسمى الباقون في الحزب **باللجنة المركزية** التي حافظت على خط الحركة الشيوعية العام.

وفضلاً عما أدت إليه هذه الإجراءات من شق تام للحزب دون لقاء وقعت هذه الحركة في أخطاء سياسية عظيمة منها الموقف المتردد بين خط الإتحاد السوفياتي والشوعية العالمية من جانب والإنحراف الصيني من جانب آخر. رغم أن هذا الإنحراف قد تم فضحه منذ أوائل الستينات. وقد فضح نفسه في ميدان العراق منذ إنقلاب ردة 1963. إلا أن الخطأ القاتل كان في إتخاذ الكفاح المسلح بالطريقة التي عرفت وإنتهت بإنهاء قيادة الحركة.

وإذا كانت حركة عزيز الحاج قد عبرت في نقدها لسياسة الحزب عما يشعر فيه كثيرون في العراق ولا سيما لخط الحزب منذ آب 1964، فإن لصداها في كردستان سبباً آخر. لقد علمت من متحدثين كثيرين أن حبيب محمد كريم قد نقل عزيز الحاج من بغداد إلى مقر البارزاني بسيارة البارزاني التي

أهداها إليه الرئيس عبد الرحمن عارف. وقد وجدت أن فاخر ميركة سور قائد الفصيل الشيوعي العسكري في معركة هندرين قد أعلن إنفصاله عن الحزب وإنظم إلى قيادة البارزاني. وفي الوقت ذاته إنظم إلى جماعة عزيز الحاج. وإنظم معه عدد ممن كانوا منتمين إسمياً إلى الحزب الشيوعي مثل صهره حميد بابكر وآخرين لا شأن لهم بالشيوعية سوى الإنتماء الإسمي. وقد أخذ هؤلاء يسمون من لم يفصل معهم من الشيوعيين بالإنتهازيين.

لقد أثرت لدى البارزاني موضوع إنشقاق الحزب الشيوعي وبينت له ان محض الإنشقاق بقطع النظر عن أسبابه يضر الحزب الشيوعي وينزل من شعبيته. ومن ثم يضر الثورة الكردية لأنها تخسر قدرات حليف لها. فبين لي البارزاني انه إتخذ من الإنشقاق موقفاً محايداً وحاول الجمع بين عزيز الحاج وعزيز محمد لتسوية الخلافات بينهما فلم يجد إستجابة.

إلا ان الواقع يؤكد تحزب القيادة الكردية او على الاقل المكتب التنفيذي لجماعة عزيز الحاج حتى في قضايا صغيرة. فقد تضارب بالاكف أحد أتباع عزيز الحاج مع أحد أتباع اللجنة المركزية ولم تكن آنئذ قد إخذت التسميات بالقيادة المركزية واللجنة المركزية. فإشتكى الشخص من جماعة عزيز الحاج لدى المكتب التنفيذي بأنه قد اعتدي عليه. فتمت المصالحة بين الجانبين بالتوسط مع حسين الكمر الذي كان الممثل القيادي لجماعة عزيز الحاج، فأبدى المسؤولون في المكتب التنفيذي إستيائهم على زعم "أن هذا تدخل في سلطة قضاء الثورة". وقد قيل لي ان محمد حبيب ارسل رسالة إلى عزيز الحاج ينتقد فيها حسين الكمر لانه وافق على المصالحة.

وبعد تصفية قيادة عزيز الحاج في الميدان العراقي ظل قسم من جانب القيادة الكردية يحاولون إغتيال العناصر الكردية التي يهيم هذه القيادة إغتيالها وكانوا يعلنون "أنه إذا كان عزيز الحاج قد أخطأ بعد إستسلامه للحكومة فليس معنى هذا أن الحركة كانت على خطأ."

اما الباقون من جماعة عزيز الحاج الذين واصلوا نشاطهم تحت عنوان "جماعة الكفاح المسلح" فقد كان لهم إسهام لاحق — على قدرهم — في تطور الخلافات بين الحكومة وقيادة القومية الكردية وتخريب العلاقات التي رسمها إتفاق آذار 1970. ففي اللقاءات التي كانت تجري في "الهيئة العليا لشؤون الشمال" في عام 1970 بين ممثلوا الحكومة ان جماعة الكفاح المسلح قد قاموا بنسف قطار في منطقة جلولاء. وذكروا ان ملا حيدر احد المنتسبين إلى الحزب الديموقراطي الكردستاني كان شريكاً في ذلك العمل. وأن رشيد الاتروشي واسطتهم بالقيادة الكردية. كما ذكروا أن الحكومة إستولت على كمية كبيرة من الغدارات كانت مرسله إليهم عبر سورية. وأنهم يقومون بمحاولات إغتيال ضد العناصر الموالية للحكومة.

وينبغي الإشارة إلى أن كثرة هذه المجموعة التي واصلت الكفاح المسلح، وإن لم نقل جميعها كانوا من العرب. أما العناصر الكردية الهزيلة التي أعلنت إنحيازها إلى حركة عزيز الحاج فقد ذابت في وقت قصير.

### ضباط القصر الجميليين

وجد الرئيس عبد الرحمن عارف وهو جميلي ان السند الرئيس الذي يركن إليه هم ضباط القصر الجميليين، كما كانوا لا يستفيدون من نفوذ الناصريين والموالين للناصرية المساندين للإجراءات شبه الإستراتيجية. كما وجدوا منافساً لهم خارج السلطة وهو تكتل البعثيين الذين لهم أعوان في الجيش أيضاً. وكان لسعيد صليبي وهو من اهم الضباط الجميليين الدور الاساس في إحباط محاولة أنقلاب الناصريين بزعامة عارف عبد الرزاق في 14 أيلول 1964. وهو الذي عين كلاً من ضباط القصر الآخرين الجميليان عبد الرزاق النايف، المشرف على جهاز المخابرات العسكرية وإبراهيم الداوود، نائب رئيس الحرس الجمهوري.

وكانت المنظمات السياسية ضعيفة تكاد تكون محض إسمية. وكان الحزب الشيوعي بدأ يعاني العزلة بعد أقل من عام من عهد جمهورية 14 تموز ثم لاقى ضربات عنيفة في اواخر ذلك العهد وبخاصة في أنقلاب 8 شباط 1963. ثم أصبح يعاني الإنقسام وإختلاف الرأي ولم يكن في الافق القريب منظور تعاون بينه وبين الاحزاب الأخرى. وإجمالاً لم تكن أية محاولات جدية لقيام جبهة او شبه جبهة بين القوى السياسية المدنية. ورغم ما كان واضحاً من ضعف اساس السلطة كان القيام بمحاولة إنقلاب او حتى حرب إنصار مغامرة غير صائبة – وقد جربتها جماعة عزيز الحاج، وكانت النتيجة بعثاً معروفة.

في ذلك الجو نما السباق على المؤامرة لقلب النظام بين ضباط القصر والبعثيين. إن دوافع البعثيين إلى السلطة لا تحتاج إلى إيضاح. أما دوافع ضباط القصر الجميليين فقد أجملها الرئيس عبد الرحمن عارف في حديث له مع حنا بطاطو في لقاء تم في إستانبول في شباط 1970. يقول عارف: إن عبد الرزاق النايف قد تم شراؤه بالنقود من قبل شركات النفط الرئيسية والقوى الإمبريالية التي ورائها. فمنذ الإتفاق مع شركة إيراب والتفاهم مع الإتحاد السوفياتي على المساعدة التقنية لتطوير العمل في حقل شمالي الرميطة وكذلك رفض حكومته إعطاء الإمتياز إلى شركة بان اميركا (PAN AMERICA) بخصوص الكبريت أخذت تلك الشركات ومن من ورائها يفتشون عن عملاء لتخريب حكومته. وقد وجدوا أخيراً في عبد الرزاق النايف الشخص المطلوب. لقد إشتروه بواسطة العربية السعودية وبتوسط بشير طالب الملحق العسكري في بيروت وقائد الحرس الجمهوري سابقاً وبتوسط ناصر الحاني سفير العراق في لبنان. وقد إدعى عبد الرحمن عارف ان لديه ما يثبت به حديثه دون ان يشير إلى معطيات. (بطاطو ص 1074) ولكن الحديث ينسجم مع مجرى الحوادث التي تقدمت الإشارة إليها.

ولم ينقل حنا بطاطو رأياً في حق سعدون غيدان. وهو الشخصية التي لعبت دوراً هاماً قد يزيد عن غيره في مساعدة البعثيين على دخول قصر الرئاسة وحسم الإنقلاب. فقد كان يقوم بدور مزدوج. وقد كان يغازل البعثيين منذ إنقلاب 8 شباط 1963. ومن المحتمل ان صلته بأحمد حسن البكر قد إستمرت بعد إنقلاب 18 تشرين الثاني 1963. كما كان في الوقت ذاته مقرباً إلى رئاسة القصر مع الضباط

الجميلين وهو يمت إلى العارفين بقرابة المنطقة. إنه ابن غيدان الكروي الذي خدم في سلك الشرطة في عانة حتى بلغ درجة ضابط صف وسكن بغداد.

### اوليات صلتي بالبارزاني في منطقة الثورة

في اوائل تموز 1965 بلغتني رغبة الحزب الشيوعي أن اسافر إلى مقر البارزاني وامتلهم لديه. فقبلت السفر على أن اكون إلى جانب البارزاني وليس ممثلاً للحزب الشيوعي. وكان غرضي ان يكون لي مجال لتبادل الرأي وتقديم المشورة التي استطيعها دون ان يعرفها ما قد يكون ثمة من سلبيات بين الجانبين وحتى في هذه الحالة يتيسر لي تذليل السلبيات.

كان من ضرورات الرحلة الانتقال إلى دار اخرى في بغداد. وكان هذا الانتقال عسيراً بين جانبي بغداد عند الجسور ومفترقات الطرق. وإختيار الوقت مهم: فنور النهار الفاضح يبسر إكتشاف وسائل التتكر والمنتكرين. والليل يزيد الشك ويشدد المراقبة. خابت التجربة الاولى. ولكل تجربة خائبة اسباب من التعقيد. وهي تصبح سبباً لتعقيدات اشد. ... وأخيراً تم الانتقال إلى الدار وكانت صاحبها شابة كردية. قدرت من صغر الاطفال الذين كانوا معها إنها كانت متزوجة من بضعة أعوام. ويؤسفني انني لم أعرف عنها شيئاً بعد ذلك. لقد كانت امية منهمة بتعلم القراءة والكتابة.

ولتيسير السفارة تم إرسال شخص إلى كركوك ليبسر تعقيدات الطريق وليهيئ كيفية إستقبالنا عند الوصول وإخفائي. وبعد عودته بدأنا السفر. لقد احضرت لي هوية شخص متقاعد. وتم إستبدال صورتي لابساً صدارة بصورته. وفي الخامس من تموز 1965 ركبنا سيارة تاكسي خاصة انا وزوجته وأولاده وسافرنا باتجاه كركوك.

جلست إلى جانب السائق متظاهراً بعدم التخفي وبيدي هويتي وهويات أفراد العائلة. وكان السائق مدركاً لما ينبغي ان يفعل. فكان يصل إلى كل مركز للمراقبة في إثر تجمع عدد كبير من السيارات. إذ كان رجال المراقبة يميزون بين السيارات التي ينبغي أن لا تبقى طويلاً مثل سيارتنا التي تحمل شيخاً وأطفالاً وما أشبه. فكانوا يستوقفون هذه السيارات قليلاً للتحقق البسيط، ولينقرغوا للسيارات الاخرى لفحص أعمق وتحقيق مع ركبها. فكانت مسيرتنا متيسرة طيلة الطريق إلى كركوك.

ولكن عند وصولنا مدينة كركوك بدأت مشكلة جديدة. إذ لم نجد في المحل المتفق عليه الشخص الذي ينبغي ان يكون بانتظارنا. وإنما كان الوسيط بيننا وبينه وحده في الإنتظار. ولم يكن من السلامة التوقف في السيارة طويلاً. فتم الإتفاق على النزول في نزل من مستوى ما يسمى مسافرخانة. وطال مكوثنا في غرفة المسافرخانة وطوال الزمن لايقاس بالساعات بل حتى بالدقائق حسب تعاضم الحرج والقلق.

اخذ الوسيط وسائق السيارة يفتشان عن الشخص المطلوب ويترددان على غرفتنا - أنا والسيدة والاولاد. وقد فوجئنا بوجود شخص في الغرفة المقابل لغرفتنا. وكان فضولياً يرصد الذهاب والآتي

إلى غرفتنا. فأوحى ذلك إلينا انه من رجال الامن. فإتفقنا ان نترك السيدة واولادها وحدهم في المسافرخانه. وذهبت مع الوسيط إلى مطعم من المطاعم الشعبية. وطال مكوثنا اكثر مما ينبغي في العادة. إنتقلنا إلى مقهى وطال المكوث اكثر.

تذكر الوسيط ان لوالده اصدقاء وإقترح اللجوء إليهم. لم اعد إلى المسافرخانه، وإنما ذهب السائق وحده لنقل العائلة إلى الدار التي إستضافتنا. وفي الصباح سافر الاولاد وامهم بالتاكسي، اما انا — رب العائلة — فأخذني صاحبي إلى خان حيث اسكنني في غرفة. وقامت سيدة تسكن مع إبنها بالعاينة بي. وقد كان واضحاً لكل من في الخان انني غريب وانني متكرر. ولقد قدرت ان روح التضامن تسود الجميع، وبيدهم عن الفضول ولو لمعرفة الضيف الغريب.

لقد كانت السيدة إنساناً رائعاً. عاملتني بعطف وإهتمام لايمكن ان ينسيان. ومررت بضعة ايام وكانت دهرأ، لأننا نخشى الإنكشاف، بل كان الإنكشاف واقعاً مع التستر الصامت من السكان. وكانت ظاهرة هذه فريدة جربتها اكثر من مرة تركت في إنطباعاً عميقاً عن طبيعة الناس وعزلة الحكومة في تلك الظروف. وقد عززت هذه التجربة واخرى قبلها وبعدها ثقتي بالناس وبالحياء. فكلما إشتد امر وصرت على شفا الضياع إمتد إلي منهم ايد كريمة.

لقد عرفت بعد فترة انني كنت في بيت هندي هندو وامه. وهو من الشيوعيين الذين إلتحقوا بحركة عزيز الحاج وقد قتل في إحدى المصادمات ضد الحكومة. وكما كان مريحاً لنفسي انني إستطعت التعرف على اهله ووالدته بعد إتفاق آذار 1970.

وأخيراً أن لنا ان ننتقل إلى السليمانية. فجيئ لي بسيارة تاكسي، جلس إلى جانب سائقها شخص وجيه بملابس مدنية (وقدر الذين سألتهم بعد سنين انه ينبغي ان يكون حنا بطرس اخا لزوجة يوسف حنا شير).

اجلست في نهاية السيارة . وجلست إلى جانبي سيدة كهلة بملابس كردية من الطراز غير المبهرج، والسمت يسودنا طول الطريق. وعند بلوغنا مدخل السليمانية، اخرجنا هوياتنا. وتصفحها العريف العسكري المراقب وكان عربياً. فقال سائلاً وملقناً "متقاعد مدني يا عم؟" لقد لقنني جواباً لم اكن متهيئاً له. قلت نعم. علمت بعدئذ ان المتقاعدين العسكريين يخضعون لإجراءات خاصة، لمنع سفرهم إلى منطقة (الثورة). وقد طلب المفتش فتح حقيبتي اليدوية، ثم اعادها إلي دون تفتيش وكانت فيها نسخة من القرآن الكريم. بعدئذ وجدت ان في الحقيبة ورقة بإسماء اشخاص مطلوبين من السلطة. ولم استطع حتى الآن ان اتذكر كيف صارت الورقة في حقيبتي.

مرت بنا السيارة في أزقة فرعية. ولما توقفت خرجت السيدة المسنة وحملت امتعتي بيد حازمة و اشارت بحزم ان اتبعها. ولم تنطق ونحن في السيارة ولم تنطق ونحن في الطريق. دخلت وانا في اثرها داراً بسيطة. كانت السيدة باجي منيرة اخت الدكتور عز الدين ملا مصطفى رسول من امه.

ولما أن الرحيل إلى الجبال جيئ بعربة مكشوفة من النوع القديم الذي تجره الخيول. وجلست إلى يميني باجي منيرة وإلى يساري من كانت تدعى برفين. وقد وضعت عند أقدامنا حقيبة امتعتي. لقد إختاروا الإنتقال قبيل الغروب. لأن النهار كشاف ووقت الظلام مدعاة للشكوك. كانت السفرة قصيرة ولكنها لا تخلو من المغامرة. فالمسلحات العسكرية تجوب شوارع المدينة. وكلما إقتربنا من نهاياتها المؤدية إلى الجبال زاد الخطر، لأن المراقبة هناك تشدد، وما امر سيدتين تتجهان إلى خارج المدينة في ذلك الوقت المتأخر؟

كانت محطة الإنتقال إلى الجبال إصطبلاً للخليل التي تجر العربات نهاراً في المدينة. وقد علق مصباح كشاف في محل مكشوف امام الإصطبل ينور إعلاناً عن ان لا شيء مكتوم. وضعوني بين الامتعة، حتى تمت تهيئة الحيوانات لنقلنا. وكان علينا ان ننقل خبياً على الاقدام حتى نقطع المسافة إلى خارج نطاق تجول السيارات المصفحة. وتقسمنا على ثلاث وجبات: تقدمنا شخصان لإكتشاف ما عسى ان يكون في الطريق، وبعد فترة تبعتهما مع شخص كان يجرنى فيما يشبه الركض. وقد البست البزة الكردية وشد الحزام حول صدري شداً ضيق انفاسي. وقد انساني ضيق التنفس القلق الذي قد يشدد في لحظات الخطر.

بلغنا مستقر صاحبنا فيما اعتبر المنطقة الاولية لشبه الامان. وطال تأخر الوجبة الثالثة. وكانا شخصين وامتعنا والحيوانات. وبإيجاز كانت ورائنا بضاعتنا والفضيحة فتضاعف قلقنا عليهم وعلى انفسنا ايضاً.

وقد تجمعنا، وكنا قافلة صغيرة خليطاً، لم يمر على التعارف بين بعضنا غير ساعات: كهل ملتح يلبس بزة تنطق بأنها مستعارة، رغم اها سبق أن فصلت عليه، وإثنان من البيشمرکه الشيوعيين، من المؤكد انهم يعرفون شيئاً عنه وإن لم يرههم من قبل. وجندي هارب من منطقة البصرة يحدوه (اللاحق بالثورة). ومن هنا الثقة به. وكان من بضاعة الشيوعيين انابيب قصيرة من الحديد عرفت انها ستحشى بمادة متفجرة — ليصنع منها مدفع بدائي ومادة للتطعيم ضد الكوليرا ويا ويل من يطعم بها بعد طول طريق وحفظ بدائي.

بدأنا الرحلة حال تجمعنا لكي نكون في مأمن تام. وبعد إستراحة قصيرة إستحثنا المكارى (صاحب البغال)، فواصلنا السفر متجهين إلى منطقة قيادة البارزاني (منطقة بالك). وتعالى الشمس ولم تكن لدينا زاد من الماء. ولم يكن من عادة الادلاء الذين صحبتهم في هذه الرحلة والرحلات التالية ان يحملوا معهم ماءً. وإنما كانوا يشربون من أي منبع او حتى بركة مستنقع على طريقهم. وقد يكون هذا بعد ساعة من النبع الاول او ساعات. أبلغنا المكارى اننا على مقربة من نبع ماء غزير حوله ظل واراف. ولكن مرت ساعة واخرى وساعات ... والشمس شديدة الحرارة والعرق ينزف من الرجال المشاة. وقد نال بهم الإعياء والعطش. أما أنا فقد كنت أقل تأثراً لأنني كنت راكباً. على انه لم يكن لي ريق أبتل به الشفة. حتى إذا مررنا بمحاذات قرية، ذهب الرجال يطلبون ماءً. فانكر عليهم اهل القرية ان يكون

لديهم ماء. وقد عرفت بعدئذ وأكدت التجربة اكثر من مرة ان اهل القرى قد ملوا ضيافة البيشمركة، وسائر عابري الطريق (في المنطقة المحررة) او لنقل عجزوا، رغم انني كنت ابلغت ان البيشمركه موصون ان لا يتقلوا على اهل القرى كما كان يفعل (الجندرمه).

عجز بعض مرافقي عن مواصلة السير وإستقوا على الارض. وواصلنا مسيرتنا مع من إستطاع حتى جئنا إلى بركة. وإستطعنا الحصول على وعاء من القرية المجاورة ملأناه بالماء وارسلناه إلى رفاقنا المتخلفين. لم يكن لي تجربة سابقة بقضية شح الماء. وإنما كانت عدتي بهذا الشأن إبريق من الالمينيوم اغلي به الماء كلما وجدنا ماءً. وهكذا فعلت لأنني حذرت من ذي قبل من المياه الملوثة.

كان طريقنا في الجبال طويلاً متعرجاً بإتجاه الشمال في محاذات الحدود الشرقية مع إيران، للإبتعاد عن مناطق نفوذ الحكومة. وكانت سنكه سر اول بلدة إتخذناها محطة وقتية للراحة. وبقدر ما يستطيع عابر ان يلاحظ لفت نظري الظواهر التالية: اولها الإزدهار النسبي. اما الثانية فهي وجود قنابل ساقطة في حواشي المدينة لم تنفجر، وفي ظني ان المكلف بالقصف قد القاها بهذه الصورة قاصداً. وقد تكرر المنظر بعدئذ في قرية دركه له. اما الظاهرة الثالثة فهي إستماع كثرة من الناس ببيشمركه واهالي في الجايجانات إلى اغاني عراقية من راديو بغداد.

عندما كنا متجهين في الرحلة نحو قلعة دزه وبعد ان قطعنا مسافة، سألت أدلائي كم ساعة بيننا وبين قلعة دزه؟ قالوا سبع ساعات. ولا حاجة إلى تكرار الوصف حول صعوبة الطريق — إن صح ان يسمى ما سلكناه طريقاً. وكذلك العطش وإدخار الماء في معد الرجال سواءً أكانت المسافة بين نبع وآخر ساعة او بعض ساعة او ساعات. ومرت الساعات السبع وسألت ادلائي كم تظنون بقي بيننا وبين قلعة دزه؟ اجاب احدهم لا اكثر من سبع ساعات. بلغنا قلعة دزه وكان الملاحظ — بقدر ما يستطيع عابر سبيل مثلي — تدمر الناس من كساد التبغ، فزراعة التبغ في هذه المنطقة مصدر إقتصادي رئيس.

نزلنا في دار كان قد تزوج فيها حديثاً دكتور حسن. وهو عربي من عائلة موسورة. وقد ترك الدار ليلتحق بالمقاتلين وأعاد زوجته إلى بغداد. وكان كل شيء كما لو كان صباح العرس. الاثاث والملابس.... لقد تعرفت على الدكتور حسن بعدئذ في ناوبردان. كان رجلاً بسيطاً يفرض إحترامه دون كلفة. وكانت تحت تصرفه مخصصات ضئيلة للمستوصف الذي كان يديره. ولكنه كان يعوض بالتدبير عن شحة المادة.

كانت دركه له آخر طريقنا إلى مقر البارزاني. ولكننا لم نستقر فيها. واصلنا السير حتي نهر راوندوز عند جسر ريزانوك. فأبقاني ابو حكمت في كوخ لأحد الانصار عند النهر. وذهب لإخبار البارزاني بمقدمي. وقد قرر البارزاني ان انزل لدى فاخر بن محمد بيك صاحب ميركه سور.

كان فاخر شيوخياً يسكن وعائلته في قرية باش كوس التي لي حديث عنها. وفي المساء ذهبنا لزيارة البارزاني في مستقر وقتي له. وكان في حرش على نهر راووندوز بين ناوجاليكان وريزان. كان ذلك



في 16 آب 1965، في اليوم التالي لمعركة الكورك التي منيت بها قوات الثورة بخسائر فادحة بسبب أخطاء تاكتيكية. كان البارزاني متأثراً ومعظم حديثه حول تلك المعركة والاختفاء التي ارتكبت وادت إلى الخسائر.

اسكنني فاخر ميركه سور في كبرة وهي كوخ صيفي من الاغصان على شاطئ النهر أقامها لإستقبال الضيوف. فكان علي ان اترك الكبرة كلما جاء ضيف، وهم كثرة وزياراتهم متوالية. وليس في القرية سوى دار كبيرة في احد طرفيها. يتكسد فيها الحاج مصطفى واولاده وزوجاتهم. وغرفة يسكنها فاخر وعائلته. وهم والدته وزوجته وبنته روش التي كان عمرها ثلاثة اعوام وكان ذكاًؤها وشخصيتها اكبر من عمرها كثيراً. ومع العائلة بابكر وهو اخو زوجة فاخر. وهو موصلني كان صاحب مسافرخانه في الموصل.

وعندما حل برد اوائل الشتاء إضطر فاخر ان يقيم لي خيمة صغيرة كانت لديه. وكانت مهترئة فيها خروق واسعة. فالمطر لا يسقط كما ينزل من السماء نقطاً وإنما يتجمع فينهمر مثل ما ينزل من المزاريب. فأبعد ما استطيع من امتعتني عن المطر ثم أخذ بتجفيف ما إيتل بعد الإنقطاع. وذات مرة زارني البارزاني ليلاً فوجدني في هذه الحال فتأثر. ولست أدري ما دار في ذهنه إذ سألني ما حال فلان الآن؟ وذكر إسم شخص من الديموقراطيين العراقيين وقد عرف بمحتده الاورستقراطي وتنظيم اسباب راحته إلى حد الكمال في ظروف العراق آنذاك.

ولما إشتد برد الشتاء إنتقلنا جميعاً إلى قرية ناوجليكان. وهي على خلاف باش كوس إذ كانت الاولى بستاناً للفاكهة ولزراعة التبغ والخضار، كانت هذه القرية بيوتاً متلاسقة لها زقاق ضيق وعلى جانبيه إصطبلات الحيوانات. وفوق الإصطبلات المساكن. الهواء فاسد والروائح تزكم الانوف. سكنت في غرفة من غرف الدار لها باب مستقل وبيني وبينهم ناقدة صغيرة نحو قدم مربع واحد. كنت اكفهم بإعداد الطعام لي. وكنت في شبه إختناق. اما الدار التي سكنها فاخر وعائلته فكانت افضل نسبياً. وقد سكن القرية في دار اخرى محمد بك ميركه سور. وقد شعر فاخر بسوء وضعي فدعاني إلى السكن في دارهم. وكان ذلك مدعاة ضيق لي أكثر مما كان لأهل الدار الذين لقيت منهم إهتماماً لا ينسى. لقد كان مدخل غرفتي من داخل غرفة فاخر التي يسكنها مع جميع عائلته. وكنت معتاداً الخروج مع الفجر. فكنت أشعر بالخرج من إقلاقهم. ولكن والدة فاخر ذاتها كانت تتناديني "وره وره" اي تفضل فأخطاهم وهم ما زالوا نائمين.

لقد كان في مستطاعي الحصول على كوخ مستقل او غرفة في المسافر خانه في مثل دربند التي كانت في منطقة الثورة. والاجور رخيصة جداً لاثقل منها علي. ولكني تجنبت ذلك. لكي لا يؤخذ مأخذ الإحتجاج تجاه فاخر الذي لم يدخر وسعاً في الترفيه عني وتجاه البارزاني الذي كان يرسل إلي رسائل من مناطق الجبهة يبين فيها ضرورة الصبر. على اني لست انسى الرغبة الصادقة في تيسير حياتي من قبل فاخر واهله: امه وزوجته ما إستطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

كانت في القرية غرفة منفردة تقع على الطريق العام. وهي واسعة اقيمت فوق أحد البيوت. وقد اتخذت عيادة طبية. اما الدكتور وكما يدعونه فكان جندياً امياً مساعداً لمضمد في الجيش. وذات يوم إقتضى نقل العيادة إلى جهة اخرى. فإستئذنت من اصحابي واستأجرت الغرفة. وقلت لهم إنها لنا جميعاً. وقد اخذ بعضهم يتردد علي.

كان إنتقالي إلى غرفة الدكتور تغيراً جذرياً في الهواء الطلق بمعنييه المادي والتنفسي. وصرت اخدم نفسي بما تيسر في القرية. كنت ابتعد عن القرية فجر كل يوم لأغطس في ماء نهر راوندوز المنحدر من الجبال. فكان ذلك لي وقاية من البرد. إذ كنت احس بالدفء بعد الإستحمام. وقد واصلت هذا حتى صباح 21 – 12 – 1965، إذ تم نقل امتعتي إلى مقر البارزاني في ديلمان.

### القيادات القومية العربية والمسألة الكردية

في الفترة العلنية لإغترابي الثاني في سورية 1955 – 1958 تكرر إتصالي بممثلي الرئيس عبد الناصر في دمشق، فؤاد جلال نائب رئيس مجلس الامة وكمال رفعت ممثل وزير رئاسة الجمهورية علي صبري.

وفي خريف 1957 سافرت إلى مصر للمشاركة في اللجنة التحضيرية، ثم في المؤتمر التأسيسي لمنظمة تضامن شعوب افريقيا وآسيا في أيلول 1957 وأواخر كانون الاول 1957 حتى اليوم الاول من عام 1958 على التوالي. وفي ذلك الوقت رتب لي كمال وفعت لقاءً مع الرئيس عبد الناصر في داره في منشية البكري. وقد بدأ الحديث عن العراق وبشائر النهوض الشعبي ضد النظام هناك. ثم إنتقلت بالحديث عن موضوع المسألة الكردية في العراق وكذلك عن تجربتي لوضع الكرد في سورية وسياسة التمييز ضد الكرد في الشمال والتسميم الفكري في بعض الاوساط ضد القومية الكوردية. وفيما يلي الآراء التي أبديتها خلال لقائنا. ولم تكن تقريراً من جانب واحد، إنما اوردها بهذه الصورة لبيان تسلسل رأبي:

بينت ان اكراد العراق يخوضون نضالاً ضارياً إلى جانب مواطنيهم العرب ضد النظام القائم هناك. وقد اوردت امثلة من مشاركات الطلاب الكرد مع زملائهم في مظاهرات بغداد في فترات عديدة وبخاصة في فترة النهوض العام ضد العدوان الثلاثي. ومن ذلك المظاهرات الصاخبة في تشييع جثمان الشيخ محمود الحفيد من بغداد إلى السليمانية. وبينت انهم يسهمون في زعزعة النظام. وفي الوقت ذاته يلاقي ابناء قومهم في شمالي سورية تميزاً وإضطهاداً يهون عنه كثيراً ما يلاقون في العراق. ويجري في الوقت ذاته تسميم فكري منظر ضد القومية الكردية. وذلك خلافاً لوقوف الكرد في شمال سورية ضمن القوات الشعبية ضد التهديد التركي في الصيف الماضي (1957).

وإنتقل الحديث بنا إلى وضع الشعب الكردي الجغرافي – السياسي. ومما بينته: إن الشعب الكردي يمتد على طول البر الآسيوي من مشارف الإسكندرونه شمالاً حتى الخليج جنوباً. وهو بذلك يقع –

مجزءاً – بين سورية من جانب والعراق وايران وتركيا المرتبطين ارتباطاً وثيقاً بالامبريالية واحلافها من جانب آخر. وفي عصرنا الحالي عصر يقضة ونهوض القوميات في سبيل حقوقها لا يمكن ان يكون الكرد معادين بالنسبة إلى الإتجاه الذي تأخذه حركة التحرر العربية. فهم قد يجدون منها موقفاً ديموقراطياً وتفهماً لمطامح القومية فيكونوا حلفاء لها. وهذا هو منطق التأريخ الحالي الذي يضعهم معاً في جبهة واجدة ضد الإمبريالية والقوى العميلة. فضلاً عن خبرة التأريخ المشترك للعرب والكرد. وإذا لم يدرك هذه الحقيقة من بأيديهم قيادة حركة التحرر العربية، فيقعون في مزالق التنكر لحقوق الشعب الكردي القومية. فإنهم سيخلقون بعملهم عدواً من صديق وحليف تاريخي.

وقلت للرئيس: أنتم تدركون خيراً مني ومن كثيرين غيري الأهمية العسكرية لكل من المنتجتين. ولكن المسألة العسكرية ليست إلا امراً وقتياً وثنائياً. اما الاهم فهو الخط التاريخي الأعم الذي سستير فيه العلائق، ليس بين طموح شعوب الامتين العربية والكردية فحسب، بل بالنسبة إلى القوميات والمجموعات الأثنية اللغوية والدينية ... الخ، التي ترتبط بالعالم العربي، وتتبادل معه المصالح والتأثير المتقابل في مجمل الوطن العربي. وستكون لصورة هذه العلائق إنعكاس على خط المواجهة مع الإمبريالية سلباً أو أيجاباً.

خرجت من لقائي مع الرئيس بإنطباع انه كان يأخذ اقوالي بتفحص. وبعد المقابلة بأيام بين لي كمال رفعت ان لي موعداً في قصر القبة. فذهبنا بسيارة كان يقودها هو. فكان اللقاء مع مجموعة من الذوات اذكر ممن عرفت منهم بعدئذ دكتور مراد غالب فناقشوني حول الناحية العملية لتبني المسألة الكردية – ناحية رد الفعل الذي قد يحدث لدى حزب البعث في سورية. بينت رأيي في ان ليس للكرد في سورية اي مطالب يمكن ان تتطوي على ضرر بسورية. وأعدت ما قلته للرئيس: "عندما قامت تركية بتهديد سورية وحشدت قواتها على حدودها الشمالية كان السكان الكرد في المقدمة بين القوات الشعبية التي تصدت للتهديد التركي. وللقسم الاعظم من الشعب الكردي في سورية تأريخ طويل في النضال ضد الإضطهاد التركي".

بعد عودتي إلى سورية حيث اقيم قدم من مصر احد موظفي إذاعة راديو القاهرة لمقابلتي. وقد تبين من سلوك هذا الشخص ومن الإجراءات اللاحقة ان الموضوع بالنسبة إليهم قد إقتصر على تخصيص فترة قصيرة في راديو القاهرة لإذاعة بعض الاغاني الكردية. وعلمت بعدئذ ان الإشراف على هذا البرنامج قد انيط بقومي عراقي لا شأن له بالسألة الكردية. ورغم ذلك اثار هذه الإذاعة قلقاً لدى الاوساط الحاكمة في ايران.

يذكر عبد الرحمن قاسم في كتابه "كردستان والكرد ص 222 – 224" ان تأسيس إذاعة كردية في راديو القاهرة كان له رد فعل قوي في ايران وقد قررت الحكومة الايرانية القيام بجولة دعائية في كردستان اعقبها تخصيص 7 ملايين دولار مساهمة في تطوير القطر. واسست في طهران 7 محطات للبث بالكردية. كما ظهرت مجلة بالكردية في طهران بتوجيه الحكومة. وقد نشرت بامشاد جورنال في

26 - 6 - 1958 "يبدو ان المصريين قد طاب لهم إبتلاع القسم الكردي من سورية. ولو اننا إحتجنا عندما ارادت القاهرة ان تبثلغ سورية لما تجرأ المصريون الكلام الآن عن كردستان". وفي 1 - 7 - 1958 نشرت مجلة كيهان الصادرة في طهران انه: "إذا ما خلقت حركة تدعى الحركة الكردية فمن الإمتياز الطبيعي لإيران أن تبدأ هذه الحركة. ذلك ان الكرد ايرانيون بقطع النظر عن أي قسم من العالم يعيشون فيه، والدم الإيراني يجري في عروقهم. ومن الطبيعي أن من حق ايران أن تكون الطليعة وأن تدعو إلى تجميع الكرد المتفرقين في الاقطار الاخرى تحت علمها المقدس". وقد اعلن وزير الخارجية آنذاك (حكمت) في المجلس الوطني: "تبرز المسألة الكردية احياناً من قبل اشخاص معادين ومشبهين ليس لهم ارض في ايران". (كيهان الصادرة في طهران في 20 - 6 - 1958). المصدر السابق.

ويشير قاسملى إلى رسالة سرية قديمة كتبها م - فروغي في عام 1927 ونشرتها باغما الصادرة في طهران عدد 8 تشرين الاول 1958 يقول فيها : "فيما يتعلق بكردستان مستقل، ينبعي في نظري ان يعد هذا الخطر واضحاً. ينبغي ان يكون في أذهاننا اولاً كردستاننا نحن، وإذا كان في الإمكان ان نكسب إلى جانبنا الترك. لا من أجل تحطيم الكرد، فليس ذلك سوى وهم بل من أجل ربطهم بإيران، بأن نعطيهم ثقافة ايرانية، وهذا ايسر كثيراً لنا مما هو للترك. لأن الكرد ايرانيين من ناحيتي اللغة والرس. فإذا ما إكتسبت فكرة إستقلال كردستان قوة، فلن تكون امامنا صعوبة مع الكرد القاطنين في ايران، ومن الممكن ان العنصر الإيراني فيهم سيكون الغالب. وأئذ ليس علينا ان نخسر شيئاً، وليس هذا فحسب بل إننا قد نكون رابحين".

إن رد الفعل العنيف هذا، وان انصب علي القلق من يقضة قومية كردية في ايران، إلا انه في الواقع يردد اصوات إصطفاف اوسع للقوى في المنطقة. فقد كانت ايران الشاه محمد رضا بهلوي وزمرة الإقطاعيين والرجعيين والعملاء الآخرين قد خرجت منذ وقت قصير من تصفية إنتفاضة إيران بقيادة حكومة محمد مصدق، وقد وثقت إرتباطها بالقوى الإمبريالية وفي المقدمة مع الولايات المتحدة. وكان صوت الحرية ما زال عالياً ينبعث من مصر بعد إندحار قوى العدوان الثلاثي. ولم يكن للملاحظين الإيرانيين من بعيد أن يدركوا بذور الردة في كيفية ظهور مصر على مسرح سورية وما تبع ذلك من احداث فاجعة.

وفي كانون الثاني 1960 حدثت مظاهرات طلاب في طهران وجرت إعتقالات وحكم على ستة عشر طالباً، منهم اربعة حكموا بالإعدام. اما الآخرون فحكموا بالسجن لمدد مختلفة اقلها عشرة اعوام.

### سفري إلى خارج العراق للإتصال بالاوساط العربية والسوفياتية

كانت الحركة الكردية بقيادة البارزاني في ضائقة مادية وسياسية. وكانت تأتيهم بعض المساعدات من جهات خارجية من الصليب الاحمر وما كان يستطيع تقديمه الديموقراطيون الكرد في ايران. وكانت

السلطة الايرانية المركزية ورؤساء المراكز الإدارية والعسكرية على طريق مرور المساعدات يفرضون قيوداً ويتقاضون رشاوي كي يسمحوا بمرور تلك المساعدات. بل ان البارزاني كان يشعر فوق كل ذلك بالمعاملة المهينة من المتحكمين الإيرانيين.

لم يحدث قتل عبد السلام عارف في 12 نيسان 1966 في حادث الهليكوبتر الغامض توقع تبدل ملموس في موقف العراق. ولذا قررنا البارزاني وانا ان اسافر إلى خارج العراق للاتصال بالاطراف العربية والسوفياتية للمساعدة على مخرج ما من الحرب.

ورغم علاقة الثورة بايران رأى البارزاني ان سفري بطريق ايران محفوف بخطر جدي متى ما إكتشف شخصي. وكان طريق سورية لا يقل خطراً في عهد البعث القديم. ثم فكرنا في السفر إلى الإتحاد السوفياتي بالطرق الجبلية الملتوية ومنه قد يمكن الوصول إلى مصر. وكان ذلك محفوف أيضاً بالمخاطر وقال: "أنك قد تمر بقريّة صديقة تحميك وتكرمك، قد تمر باخرى تقضي على حياتك". وأخيراً تقرر السفر إلى سورية بعد حركة التصحيح في آذار 1966، إذ خرجت من النظام السابق بقيادة ميشيل عفلق المعروف بعدائه الشديد للتقدميين العرب وللكرد معاً.

كلف البارزاني الدكتور عز الدين ملا رسول بمرافقتي في هذه السفرة. خرجنا من ديلمان في يوم 20 نيسان 1966، وكان يوماً قائضاً شديد الحر. والمنطقة معروفة بنعت (كرميان) أي المنطقة الحارة. وفي الطريق قابلنا كل من نوري شاويس وعلي عبد الله ونوري أحمد. جلسنا قليلاً وكان نوري شاويس يحمل نسخة من جريدة نشرت في بغداد وفيها تصريح لجلال الطالباني. وقال قررنا التخلي عنه. وكان إنشقاق المكتب السياسي القديم المتألف من جناح إبراهيم أحمد – جلال الطالباني عن البارزاني قد تم عند توقيع الهدنة مع حكومة عبد السلام عارف في 10 شباط 1964.

كلما إبتعدنا عن منطقة راوندوز كانت مظاهر المجابه والحرب تخف ونحن نمر بحواشي القرى والمدينات .... ميركه سور، بارزان ..... فعند إندارنا قبيل الغروب من الجبل، تلاقينا في وادي بارزان قبل بلوغ البلد مع المعلمين وبعض الموظفين الآخرين وجهاً لوجه، وكان بعضهم يحمل بنادق الصيد ونحن بملابس البيشمركه وجماعتي بسلاحهم. تبادلنا السلام بالإيماء، ومر كل في طريقه.

إنتظرنا الظلام فوصلنا دار الشيخ أحمد. وكان بيني وبينه حديث وجه فيه تلميحاً إنقاد الملا مصطفى في عام 1963، إذ سحب المسلحين قبيل وصول الحكومة إلى المنطقة وترك بارزان عزلاء. وقد بين لي الشيخ أحمد التالي: فوجئنا بإحراق الجيش قرية مجاورة فهربنا على غير تأهب إلى الجبل المقابل – باتجاه تركيا.

كان مروري عند الشيخ أحمد بإقتراح من البارزاني ولم يوصيني بشيء معتمداً على معرفتي بكثير من علائق العائلة. أجبته الشيخ أحمد بما سبق أن أخبرني به ملا مصطفى. إذ قال كان زحف الجيش سريعاً بقواته المختلفة وأسلحته الحديثة وإستطاعت هذه القوات الوصول إلى مشارف بارزان مباغتة. فرأيت أن من الضروري الإنفاف وراء القوات الحكومية المتقدمة. وقدرت أنني مقبل على عمل

صعب يتطلب تحضيرات وصبراً. فأخبرت البيشمركة بأنني آخذ هذه الخطة على عاتقي. ولا أنصح أحداً بما يفعل فلكل منكم حرية البقاء أو اللحاق بي مع تأكيدي على المصاعب. إنسحبت وتبعني عدد قليل من المسلحين. فأخذنا نهجم المناطق خلف النار. وتزايدت اعداد المنضمين إلينا. وبذلك تم إحباط مخطط الحكومة بسحق رأس حربة الحركة القومية الكردية المسلحة.

أن وقت صلاة العشاء، ولم أر الشيخ أحمد قط يصلي بحضور الناس، وهكذا دخل ليصلي وحده. بعد العشاء إنتقلنا إلى دار دكتور طاهر بابان. وفي الصباح واصلنا السير شمالاً.

وأبرز ملاحظة لي هي مييتنا في مربع وقتي لأحمد شاه باز في منطقة سر عمادية. كان الربيع شديد الغرور – إذا صح التعبير – العشب يغطي ظهور الحيوانات. وقد اطلقت خيلاً وبقراً دون راع يرعاها. ومع المساء تزايد اريج العشب والزهر. وقد إقتضى برد المساء إيقاد النار.

كان مضيفنا شيخاً كريماً وقد فقد احد اولاده من وقت غير بعيد. وقد قاده الحديث عن السياسة، وحديث السياسة هنا بسيط خال من كل عقدها. قال: "أنا صديق البارزاني، ولكني ارسلت احد اولادي مع عدد من رجالنا إلى حكومة عبد السلام عارف لسد حاجاتنا إلى بعض النقود. فقيدوا فرسان (هذا تعبيره). وقد إرسل لنا ثلاثة آلاف دينار." ثم عاد إلى وصف حياته فقال "سنبقى هنا لفترة ثم نتبع الربيع مع تقدم الصيف إلى أعالي الجبال." وهناك لا يعترفون بالحدود السياسية. وقال: "فإذا ما حل الخريف، وأقبل الشتاء، تابعنا الديرء مرحلة بعد اخرى حتى نكون في سهول كرميان." فكرت في وضع الرجل، في حياته وأفكاره الاولية، وتساءلت ماذا يغريه في المدن والسياسة والثورة او ضد الثورة .... الخ.

وبعد ارتفاعنا إلى سر عمادية كانت تبدو لنا بيوت العمادية مثل علب الكارتون على صغر حجمها ... حتى نحن الآن مرة اخرى بعيدين عن مناطق المواجه .... وبإتجاه النزول على السفوح .... وليس في هذا الحديث تسلسل للتواريخ والمناطق .... وإنما هو ذكر لأبرز الملاحظات وأبرز الإنطباعات.

بتنا في قرية مسيحية وكانت معظم البيوت من طابقين. الطابق الاول مع ساحة الدار للحيوانات. والطابق الثاني لسكن الناس. فرشوا لنا على ارض غرفة. وفي الصباح الباكر مع اول إنحسار الظلام طفق النسوة يكنسن ساحات الدور والممرات من اوساخ الحيوان، وكدسن ما جمعن في ثل في حاشية القرية. وعند خروجنا من القرية كان النسوة بملابسهن النضيصة الملونة يأخذن الماء. ثم لاحظنا لأول مرة الطيارات تقصف قرية بعيدة. وكان القصف مركزاً على محل واحد تتعاقب عليه الطائرات رف بعد آخر، لمدة طويلة.

وعند وصولنا مقر عيسى سوار علمنا أن القصف كان على مقره. وقيل لنا أنه كان مركزاً على كوخ يبات فيه شخصياً. وقد اصابت شضية قذيفة صف الرصاص الذي قرب رأسه، فأصابه مس خفيف على جانب أنفه. فخرج من مخبئه إلى الاشجار حتى إنتهى القصف.

وقد إستنتجوا أن أحد البيشمركة كان جاسوساً للحكومة وينبغي أنه كان دقيق الملاحظة قادراً على رسم المواقع، فإستطاع أن يرسم بالدقة مكان عيسى سوار ذاته فضلاً عن مقره العام. هكذا كانت احاديثهم.

وجدنا عيسى سوار يتخذ مقره في كهف على مرتفع يشرف على المنحدرات من خلف ومن امام. وقد حفر الرهبان الذين سكنوه في قديم الزمن منامات لهم في الصخر. فكان حصناً من إعتبرات عديدة. ومن تحت الكهف ينبع ماء بارد رقرق. فكان مصيفاً جميلاً بالإضافة إلى كونه حصناً.

لقد كان الحديث عن عيسى سوار بين أتباعه ملء اللسان والأذان. وكانوا ينعته بالقائد. وقد نظم الجباية من الكرد في منطقتي الموصل والجزيرة. يجمع منهم الزكاة والمفروض انها 10% سواء أكان الفلاحون دفعوا للحكومة ضريبة ام لم يدفعوا. وكما قال المتكلمون ان معظم تموين (الثورة) من الحبوب بأنها من هذه المنطقة. ولقد تلاحقت لي عن عيسى سوار ملاحظات اخرى سيأتي الحديث عنها في محلها.

جهز لي عيسى سوار - بناءً على توصية البارزاني قوة من المسلحين نحو عشرين مسلحاً ورشاشاً من النوع الثقيل مع بغال تحملنا وأتقنا. وكان الدكتور عز الدين ملا رسول ما زال يرافقتي. ومع الظلام بدأت مسيرتنا. كانت المسيرة على بعد ولكنه مرئي من ربايا الجيش العراقي. والتوصية هي أن نتجنبهم قدر الإمكان. فإذا ما بودرنا بإطلاق النار وفرضوا علينا المعركة خضناها. وقد تكرر المنظر بعد هذه المرة ايضاً. الجيش يتغاضى والبيشمركة تتغاضى كأن لم ير بعضهم بعضاً. وكان هذا في نظري بوضوح بلوغ الحال العزوف عن المجاهبات والقتال.

كان إستقرارنا في النهار في واد ضئيل على نبع من الماء. ومع إقتراب الظلام نزلنا إلى السهل، ومرة اخرى كانت ربايا الجيش ظاهرة للعيان وكأن لم يشعر أحد منا بالآخر. دخلنا قرية ديريون المسيحية وبتنا في دار المختار. وكانت مع امثال لها داراً للمآسي منذ نشوب حرب 1961. حكى لنا اهل الدار فيما حكوا أن رئيس الجاش قدم إلى القرية وبعد نهب ما نهب طاب له فدية من الرجال. وجرت المساومة. ثلاثمائة دينار على هذا الشخص ومائتان على آخر وخمسمائة على ثالث. فعندما كان يمل من المساومة يطلق النار على رأس الضحية. وقد ذكروا أن قد تعاقب على المنطقة من رؤساء الجاش كل منهم مشير الروفي وزبير الزبياري ثم اخوهما. ولتفاصيل هذه المأساة حديث.

وهنا كان لعيسى سوار ذكر آخر. فمنذ وقت غير بعيد تسلل مع قوة له ليلاً حتى بلغ نهاية جبل مطل على إحدى الربايا فأصلاها بنار كثيفة من مدفع وقضى على جميع الجنود ولم يسلم سوى ضابط واحد جريح إستطاع أن يجر نفسه خارج الربية. وكان البيشمركة الذين معنا ينعته بالذئب إعجاباً بشراسته. لقد كان علينا عبور الخابور إلى الجانب السوري قبيل غروب الشمس، على ان نصل اول قرية نلجأ إليها قبل الصباح. سرنا عصراً في قافلة صغيرة من المسلحين. جمعوا ثلاثة أنابيب لإطارات سيارة شحن على صورة دوائر متماسة وشدت على أغصان الشجر. وفرشت بالحشائش. ووضعت عليها امتعتنا وانزلت في النهر. وكان علينا أن نسبح جميعاً وندفع سفينتنا نحو الشاطئ السوري.

لقد كان عبورنا الذي تكرر اكثر من مرة عند ملتقى الحدود العراقية التركية السورية. وهي تقع بعد مرور الخابور من زاخو مغرباً، وهو رافد لدجلة عراقي، غير الخابور السوري. فيكون حداً بين

العراق ورأس شبه الجزيرة التركية، حتى يلتقي بدجلة الذي يجري من تركيا، مكوناً حداً قصيراً بينها وبين سورية. ومن عند الجزيرة حتى يلتقي بالخابور قبل (فيش خابور)، إذ يصبح الجانبان بعدئذ في داخل العراق.

والمنطقة محاطة بنطاق حراسة عسكرية في كل جزء من أجزاء الاقطار الثلاثة، تركيا والعراق وسورية. فإذا كان الموسم موسم فيضان وكما حدث هذه المرة الاولى كان علينا أن نبدأ عبرتنا باتجاه شبه الجزيرة التركية. وكان على الرجال أن يسحبوا سفينتنا في شبه الجزيرة إلى الشاطئ الآخر. ومن هناك علينا أن نكرر العبور مرة اخرى حتى الشاطئ السوري. وقد تم ذلك وتم إخفاء سفينتنا بين الادغال والصخور وما زال الظلام مخيماً. وبدأت مسيرتنا صعداً إلى القرية المقصودة. وكانت تمر في الطريق الموازي لمسيرتنا دوريات السيارات السورية المسلحة. فكنا ننبطح على الارض ريثما نتبعد. حتى إذا وصلنا القرية أخفانا أهلها في دار بين الامتعة حتى المساء. ثم كانت مواصلتنا إلى خان حواشي (القبور البيض). وطال بقاؤنا في الخان، وطول البقاء يكشف الاسرار.

وأخيراً جاء المنطقة قدري بك جميل باشا. وكان اعتماد السفارة منذ البدء على تدبيره. فأرسل إلينا قريبه مصطفى بن محمد جميل باشا. وكان هذه شخصاً كفوئاً واثقاً بنفسه يسوق سيارته الكاديلاك. عرج بنا على مربع مثل مربع البدو. خيام من الشعر وأغنام. وقدم لنا خضيض اللبن. ثم واصل السير بنا في طرق غير معبدة حتى مدينة حلب.

كان علينا أن نتجنب الحامية العسكرية التي تسيطر على الطريق في نقطتي مراقبة. ففيما يتعلق بنقطة المراقبة الاولى - وهي الاقل رقابة ترجلت وسرت منفرداً إلى الجهة المرسومه لي، وقد تم ذلك بسلام. أما المرة الثانية، وهي الاله فقد إختار صاحبنا مصطفى جميل باشا نقطة التفتيش. وكان إختياراً جمع بين الصحة والجرأة. ودون أن يؤمر بالتوقف أوقف السيارة فجأة عند باب الحامية. فأشار عليه الحارس بمواصلة السير دون ان يتقدم إلينا. وفي الرقة كان التفتيش على السيارات دقيقاً عند المرور على الجسر الممتد بين شاطئ نهر الفرات. فترجلنا أنا والدكتور عز الدين. ولإنشغال المفتشين بتفتيش أهم - على ما بدا لنا - كان مرورنا سيبيراً.

جاء مصطفى جميل باشا إلى العراق بعد آذار 1970. وبناءً على وشاية من احد الكرد من سكان أربيل المعادين له والموالين للبعث، إختطفته قوات الامن، دون أن يكون له نشاط سياسي ضد الحكومة. وكان إختفاؤه مجهولاً من قبلي. ولست أستطيع الزعم بأنني لو علمت بذلك لإستطعت إنقاذه. على أن مسألته اثيرت مؤخراً في لجنة السلام فأنكر الجانب البعثي وجوده في مراكز "الإعتقال الحكومية - كما كانت العادة دوماً". وبعد فترة اطلق سراحه بعد التعذيب. فقد كان اصبع احد رجليه مقطوعاً.

لقد كانت السفارة شاقة ومنهكة نفسياً وطويلة في الزمن بسبب ضرورات التنقل في طرق غير مطروقة، والتوقف والتخفي قبل الإنتقال من محل إلى آخر. وأخيراً وصلنا دمشق ودخلنا في وقت



متأخر من الليل. وكان قدري بك قلقاً في إنتظارنا. بتتا في داره وفي الصباح إفترق عنا صاحبي. ثم إنتقلت إلى دار فؤاد قدري وهو ابن أخي قدري بك وإبنه بالتبني. ولو شئت وصف كرم العائلتين وعنايتهما التي تفوق الوصف لتعذر علي ذلك.

قبل وصولنا دمشق حدثت معركة هندرين التي شنتها حكومة الدكتور عبد الرحمن البزاز في 3 — 4 أيار 1966. ومما سمعته من راديو بغداد من مبالغات، وذكر وقائع وأسماء مناقضة للواقع الذي اعرفه جيداً إستدللت على أن الجيش العراقي قد مني بالفشل او الإندحار وأصبح العمل من أجل تحقيق السلام ممكناً، وقد كان اهم غرض لسفرتي. ثم سمعت أن عبد الرحمن البزاز قد قرر السفر إلى الإتحاد السوفياتي.

### أهمية الفرصة وضرورة بذل أقصى الجهود لإحلال السلم

ومن أجل ضمان دعم سوفياتي لتحقيق السلم ارسلت الرسالة التالية إلى الإتحاد السوفياتي بواسطة السفارة السوفياتية في دمشق.

1966 — 5 — 26

بعد التحية

سمعت ان زيارة عبد الرحمن البزاز، رئيس وزراء حكومة العراق، لموسكو ستتم في نهاية شهر أيار الحالي. وحيث يبدو أن لن يتيسر لي السفر قبل هذا التاريخ، فإني اود إبداء الملاحظات التالية: يبدو لي أن فرصة إحلال السلام في كردستان العراق اقوى اليوم مما مضى. فإن البارزاني مقتنع منذ زمن بعيد أن لا مخرج من هذه المعضلة في الظروف الحاضرة إلا بالعمل السلمي. وهناك أدلة على أن من بين رجال الحكومة من يميلون إلى الحل السلمي. وإن كانت اسس هذا الحل وكيفيته غير واضحة لديهم. وإن معركة اوائل أيار الحالي في قطاع "راوندوز" التي منيت فيها قوات الحكومة بخسائر فادحة في الارواح والمواد، من شأنها أن تعزز الجانب الذي يميل إلى الحل السلمي، بين رجال الحكومة، وأن تضعف موقف الضباط الأشد تعصباً. على أن ثمة معضلتين ينبغي التغلب عليهما: اولى المعضلتين: أن الحكومة العراقية وكذلك من يعتبرون زعماء القومية العربية — مثل عبد الناصر وسائر القوميين العرب لا يسلمون للكرد بكل ما هو انفصال او في حكم الانفصال او يؤدي إلى الانفصال.

اما البارزاني فانه يقدم إسهاماً كبيراً في تذليل هذه المعضلة. فهو لا يتمسك بالحكم الذاتي: وتكون بقية الحقوق القومية الكردية دون الحكم الذاتي موضوع المفاوضات.

أما المعضلة الثانية: وهي الأشد تعقيداً، التي تحتاج إلى جهود صادقة لكي تذلل فهي: "الضمانة". ضمانة الحقوق التي يتم الإتفاق عليها. إن فقدان الثقة بين الجانبين، وجود الحكم العسكري العرفي

الإرهابي المطلق يجعلان مسألة الضمانة في غاية العسورة. كما يجعلانها ضرورية للغاية. وليس لدى البارزاني أي مشروع محدد لهذا الغرض. وذات مرة كان يقول بضرورة ضمان الإتفاق من قبل الإتحاد السوفياتي وعبد الناصر والولايات المتحدة. غير أن هذا شيء غير معقول.

إن الضربات التي تلقاها الجيش العراقي لا توصل حتماً إلى السلام، وإن اضعفت مركز الضباط المتشبهين بالحرب. وإن إستمرار الحرب وإن اضعف مركز الحكومة بوجه عام إلا أنه يزيد من فرص الإستعمار والقوى الرجعية المتحالفة معه لتوطيد نفوذهما، وحتى لإنضاج مؤامراتهما في سبيل حكم أشد رجعية وأمتن إرتباطاً. فينبغي أن نتظافر جميع الجهود لكي لا تفوت هذه الفرصة دون إحلال السلام.

تقبلوا احر تحياتي.

التوقيع

عزيز شريف

كما وصلت دمشق متكرراً، بقيت متكرراً، رغم التبدل في القيادة. وقد دلت تجاربي مراراً، وقدرت هذه المرة ليست إستثناءً — إن التبدل الفوقي في القيادة لا يغير كثيراً في الاجهزة التحتية. ولذا فقد ارسلت رسالة البارزاني إلى الرئيس الاتاسي بواسطة الشيوعيين. وكلفتهم بأن يعلموه بوجودي وبرغبتني في أن اوضح ما يرغب في إستيضاحه. فبلغوني اصدقائي الشيوعيون أن رئيس الوزراء الدكتور يوسف الزعين يرغب في إستقبالي في داره.

تريثت اول الامر لاني خشيت أن تكتشفي المخابرات السورية، وقد الاقي على ايديها ما لا يصل إلى علم الرئيس. وأخيراً تمت المقابلة في داره بعد أن ابلغت بصيغة التعريف التي ينبغي أن اعرف بها شخصي لحرس الدار.

وقد إستقبلي إستقبلاً حاراً. فعرضت له مهمتي وأوضحت له ما أعرف عن وضع الحركة القومية الكردية دون موارد، ورغبة قياداتها في التخلص من الوضع السيئ الذي يزداد عليها ضيقاً. ورغبتها في التعاون مع القوى العربية في مجابهة الإمبريالية والصهيونية. وبينت له أن وقف القتال في العراق هو المهمة الاولى التي ينبغي ان تنصب عليها الجهود اليوم من أجل تجميع القوى العربية ومن ضمنها العراق. ثم بينت له رغبتني في مواصلة السفر إلى الإتحاد السوفياتي للغرض ذاته. وربما تتسنى لي الفرصة للإتصال بمصر.

بين لي الرئيس الزعين أن البحث في موضوع رسالة البارزاني سيتم بعد عودتي من الإتحاد السوفياتي. ثم أجرى ما يقتضي لتهيئة جواز السفر وأرسله لي. فأخذت الطائرة وأنا مستمر على تنكري، وإن كنت أحمل جواز سفر سوري.

### تكليفي من قبل البارزاني لتمثيله في البلاد العربية

لقد كانت للقيادة القومية الكردية فرصة تاريخية لتوطيد نفوذها بين الشعب العراقي وبخاصة في كردستان. وكان إلى جانبها متسع نسبي للمحافظة على السلام لو أنها إتجهت إلى القوى التي كان يهملها السلام. فلقد حدث ما توقع في أيار 1966. إذ توقف القتال واعلنت الهدنة ببيان عبد الرحمن البزاز في 29 حزيران 1966.

قدم عبد الرحمن البزاز إلى موسكو في زيارة رسمية في 27 تموز - 2 آب 1966. وقد نجح في حل كثير من المسائل المتعلقة بتعزيز العلاقات الاقتصادية والتجارية والعسكرية والثقافية بين البلدين. وأدت هذه المواقف الإيجابية إلى رفع سمعة العراق على الصعيد الدولي وتخفيف حدة التوتر في الداخل لدرجة كبيرة.

كنت قد سبقت زيارة البزاز إلى موسكو بزيارة غير معلنة لمتابعة جهودي بالإتفاق مع البارزاني لإحلال السلم في كردستان. وتمت مقابلة بينه وبين احد قادة الحزب الشيوعي العراقي. ومن موسكو تأهبت للعودة إلى كردستان عن طريق دمشق على أمل مواصلة التقدم اكثر نحو توطيد السلام. وقد وصلت دمشق في 13 - 10 - 1966. وكانت لي تجربة وصعوبات شخصية. كما كانت لي لقاءات مع القادة السوريين تم الحديث عنها في محل آخر، وخصوصاً ما تعلق بالمسألة الكردية. فكان توجيهي إلى كردستان في اوائل شباط 1967. وقد إستصحبت معي هدايا اقدمها لمن يستضيفوننا، وليس من اللائق تقديم نفود إليهم.

أخذت الطائرة إلى القامشلي وبمساعدة القوميين الكرد إنتقلت إلى قرية عند الحدود السورية - التركية. وعند الظلام سرنا نحو نهر ضيق ضحل على مقربة من حامية تركية. كنا نسمع نبح كلاب. وكما كانت العادة مراراً جمع كل منا ملابسه ومحتوياتها في سراويل طويلة وعبرنا مخاضاً، ومعنا البغال وعليها اثقالنا.

وكانت اكواخ الكرد غير بعيدة عن هذا المعبر فكانت مسيرة الخطر قصيرة. حتى إذا بلغنا الاكواخ اخفاني مضيفوننا بين الاثاث خشيةً أن نكون متبوعين. كما قاموا بترتيبات اخرى لإخفاء ما قد ينم عنا. ولما اصبح الصباح كان الجميع مطمئنين. فخيرني صحتي (الدليل والمرافقون) بين السفر صراحةً في سيارة في القسم التركي حتى الحدود، مع إحتمال أن يطلب مني وثيقة هوية، أو أن نسير ليلاً على البغال بصورة غير مشروعة ففضلت الاخيرة. ولقد تركت معظم ما لدي من أثقال دفناً للشبهات على أن ترسل بعدي. وفي ليلة شديدة الظلام بدأ رحيلنا في واد ضيق بين مرتفعين صخريين. وكان يزيد بالوحشة اصدااء وقع حوافر البغال يرددتها الجبلان على جانبي الوادي.

سألت صاحبي هل أمامنا إحتمال خطر؟ فقالوا الخطر محتمل في أي وقت وأي لحظة. ولكننا طرقتنا هذا السبيل مراراً فكان مرورنا بسلام والامر بيد المصادفة. أجتزنا الوادي وخرجنا إلى السهل الواسع. وكان الليل شديد الظلام، وقد هبت ريح عالية وإن إبتعد الدليل جانباً لقضاء حاجة. غاب عن أنظارنا،

فصرنا نناديه فلا يسمع لنا صوتاً بسبب عصف الريح. وبعد أن يأسنا من اللقاء به وكانت دوريات فوج الحدود التركي تجوب الطريق بسياراتها، وتكشفه بأنوارها إلا ان مسيرتنا كانت خارج الطريق المعبد فلا تقع الانوار الكشافه علينا.

سرنا على غير هدى حتى إذا بدت لنا انوار قرية توجهنا إليها فاستقبلنا أهلها باهتمام، وبسرعة تم إخفاء ما قد ينم عن وجود غرباء. وكان المهم لديهم إخفائي. فأجلسوني في معالف الحيوانات ووضعوا حيواناتنا بين حيواناتهم. أما صاحبي فقد إختلطوا بالآخرين. وفي الصباح جاء دليلنا وقد قادته المصادفة إلى قرية اخرى.

ومن الملاحظات المتكررة ان القرويين الكرد يعطفون على الحركة القومية الكردية، ودون سبق إعلام يستقبلون رسلها وييسرون مهماتهم، وهكذا كان شأنهم معنا. ولم اصادف في جميع أسفاري إستثناءً لهذه الحالة.

وفي النهار جيئ بسائق تراكاتور فاردفني ورائه على إعتبار أنني مساعده. وسار الاخرون في طريق آخر. فكان إجتماعنا قبيل الغروب في كوخ يشرف على نهير بين العراق وتركية. والارجح انه فيش خابور. وقد أخبرونا ان للجيش التركي نقاط مراقبة على طول الحدود مع العراق لا تبعد احدها عن الآخري أكثر من كيلو متر واحد.

عين صاحبي مسيرة الهبوط على أن تكون بين نقطتين بين نقاط المراقبة. ولكن ظلام الليل كان شديداً مثل الليلة السابقة. فضلنا الطريق وكان هبوطنا إلى إحدى النقاط المراقبة مباشرة. فخرجت الكلاب تتبحنا. وهكذا قامت بتبنيها إلى خطأنا دون أن ينتبه الجند داخل مقرهم لنبحها او أن يهتموا به.

عدنا إلى المرتفع ثم صححنا مسيرتنا وكانت في منحدر بين الكهوف حتى إذا وصلنا النهير اخرج أحدهم سكيناً وقرأ عليها صورة ياسين من القرآن الكريم لكي تلجم الوحوش عن إفتراس حيواناتنا التي سنتركها في هذه الضفة ريثما يعود صاحبي إليها. جمع كل منا ملابسه ووضعها في سراويلهم مع شد نهايات المحاجل لحفظ محتوياتها وعبرنا خياضة لأن الثلج لم يذب بعد وكانت الانهر ضحلة. وحمل صحتي أمتعتي حتى إذا وصلنا الضفة الثانية سجد اصحابي وقبلوا الارض وقالوا "الحمد لله وصلنا كردستان". فسألتهم ايننا كنا إذا؟ قالوا تلك كانت تركستان.

قضينا بقية الليل في دفاء وأمان على مقربة من نهر في كردستان. واصلنا السفر في امان عبر منطقة زاخو باتجاه سر عمادية. وكانت آخر ليلة لنا في معنياه المادي وحسن اللقاء، في قرية على مقربة من نهر روشل. ودعني أهل الدار حتى النهر وقالوا لا تنسى ان يكون مبيتك عندنا كلما سافرت إلى هذه الانحاء.

قطعنا الطريق من هنا حتى مقر البرزاني في ايام لا حاجة إلى الحديث عنها. ولكن ما يلي ابرز الحوادث فيها:

ان ماء النهر شديد الإنحدار، فأطلقنا الحيوانات فعبرت النهر سباحةً وقد إعتادت على ذلك. أما الرجال فكان عليهم ان يعبروا إلى الجانب الآخر بعبارة معلقة بحبل من أسلاك الحديد، تتسع لإثنين يعبران بها. ثم يعود بها أحدهما ليعبر بها آخر. وهكذا حتى تم عبور الجميع. وبدأ الصعود على طريق ملتوي حول مرتفع شاهق وقد قطعوه أجزاءً تلتوي حول الجبل ولكن البغال جزأت بحسها كل التواء لتيسير الصعود. وكنا نسير وننظر ورائنا فيبدو لنا إننا لم نزل على مقربة من النقطة التي بدأنا منها الطريق. ولم يكن هذا إلا ايسر المشقة.

أما الصعوبة الاشد فكانت بعد نذ. لقد بدأ تساقط الثلج ونحن نتسلق طريقنا. وكانت البغال بادئ بدء تتفضه عن رؤوسها، وقد بدأ على الأشجار اول الامر أشبه بزهر الربيع. ولكن سقوط الثلج إستمر فطال المسير وأصبحت الحيوانات تعجز عن نفضه فأخذت تطأطئ رؤوسها مستسلمة. قضينا النهار كله، وفي المساء جننا قرية واملنا الاستراحة فيها. فإعتذر القرويون وقالوا نستطيع ان نستضيفكم ولكن لا مكان لدينا للحيوانات. فإن بقيت بدون حركة تموت برداً. لقد كان إعتذاراً عن الإستضافة فلم يكن لنا محيل من التسليم بهذا الامر الواقع . فكان علينا أن نواصل السير الليل كله. وقد نال منا الإنهاك اقصى مدى. ولا نتحدث عن إنهاك الحيوانات وعن شعورنا بما تقاسي إضافةً إلى ما تقاسي.

وجننا قرية وجدنا فيها بعض الدفاء والراحة. واخيراً إذ كان طريقنا يمر عند المكتب التفتيدي وكان في محل بعيد عن ناوبردان، مرت بنا إحدى السيارات التي يستعملها أعضاء المكتب فلم يكلمونا. فلما دنونا من مقر هذا المكتب وكان الوقت ليلاً فكنا منهكين طلب إلي صحبي أن نستقر هنا. فأخذتني العزة ورفضت. وكان مقر البارزاني بعيداً. وكنا منهكين وحيواناتنا منهكة. وواصلنا السير حتى جننا ناوبردان، ومنها إلى قصري فالى مقر البارزاني. وكان وصولنا مع الفجر وأنا أعترف بان ذلك كان خطأً بحق أصحابي على الأقل.

كان لقائي بالبارزاني في 26 شباط 1967. عندما تلاقينا قص علينا قصة خلافه مع الحزب الشيوعي. وقال أنذرتهم بأن يتركوا المنطقة في فترة آخرها نهاية شباط. فإن لم يتركوا طوعاً طردتهم حرباً. وقال لقددد حددت هذا الموعد حتى لايبقى مجال لتدخلك، ولكي لا يشك أحد بان لك علاقة بهذا الامر. قلت له أرجوك أن لاتفعل. قال لا تقل أرجوك بل قل أمرك لأن أننذ اقول في نفسي أن صديق أمرني فنفذت امره رغم علمي بخطأ ما امر. أما الرجاء فيعني حرية الإختيار ولن أخطأ مختاراً. وطال النقاش بيني وبين البارزاني حول الموضوع. وافق بادئ الامر ان يؤجل موعد رحيل الشيوعيين شهراً. ثم وافق على أن يكون التأجيل إلى أمد غير مسمى. بعدئذ تكشفت حقائق اخرى.

اولاً: بدأ الخلاف بعد معركة هندرين. وحسب ما قص لي الملازم خضر ذاته كان الشيوعيون ينطلقون آنذاك من موقف المسؤولية عن مصير الحركة الكردية، وليس من موقف الحصول على أمجاد ذاتية، فقد ذكر لي أنه رأى إدريس البارزاني على مقربة من الجبهة فصرخ في وجه إدريس. لا يجوز أن

تكون هنا بل ينبغي أن تبقى بعيداً في المؤخرة. فكيف إنقلب الامر من الإعتماد على الفصيل الشيوعي إلى القطيعة وإنذاره بالخروج من المنطقة؟

لقد قيل لي ان الشيوعيين قد اصابوا بالغرور بعد الإنتصار في معركة هندرين. وهذا غير صحيح، لقد كانت ايران على علم بوجود الفصيل الشيوعي، وكان وكيل المخابرات الايرانية علي المدرس يزور مقر الشيوعيين. ولكن يبدو من معطيات اخرى عديدة ان ايران اصبحت لا تستسيغ وجود الفصيل الشيوعي بعد ما ابدى من قوة في المعركة.

إستطعنا أن نتوصل إلى إتفاق بين ممثلي الحزب الشيوعي من جانب وإدريس البارزاني والمكتب التنفيذي من جانب آخر بموافقة البارزاني، على وقف التدهور في العلاقات بين الثورة والحزب وعلى قبول الطرفين بأن وجود الحزب الشيوعي شرعياً في منطقة الثورة امر مهم جداً. وان السماح بتطور الاسباب السلبية نحو التباعد والقطيعة بين الحزب والثورة امر ضار بالثورة لأنه يضعها في صفوف اعداء الشيوعية وضار بالحزب لأنه قد يؤدي إلى فقدان الشرعية في منطقة الثورة. ولذلك فإن كلا من المكتب التنفيذي ومكتب الحزب الشيوعي في كردستان يتحملان مسؤولية الوقوف بحزم ضد تدهور العلاقات بين الحزب والثورة. وقد تم الإتفاق بين الجانبين على نظام للتلاقي مرة كل إسبوعين لحل المشاكل الناشئة او التي قد تنشأ.

**فرصة إيران:** فضلاً عن سياسة ايران المعتادة في العمل لتخريب كل هدنة تقع بين الحكومة العراقية والقيادة الكردية، مستغلة الثغرات لدى كل من الجانبين ..... كان لها هذه المرة فرصة اعظم بسبب ما تقدم من أعمال زمر الضباط. فقد زادت نفوذها في كردستان العراق وتدخلها في سياسة القيادة القومية الكردية بمختلف وسائل الضغط .... بالمساعدات المادية والسلاح كما وكيفاً وبعملائها داخل المركب القيادي. وقد رأينا صدى هذا الضغط في مكافحة العناصر الكردية الايرانية الوطنية اللاجئة إلى الجانب العراقي. كما إنعكس في الموقف من الحزب الشيوعي، على ما رأينا بعد معركة هندرين.

اسكنني البارزاني هذه المرة ايضاً في قرية (باش كوس) التي يحتل بيوتها (موقتاً) فاخر ميركه سور ووالده محمد أغا ميركه سور. ثم نقلني البارزاني إلى أحد البيوت التابعة لمقره في ديلمان. وكان يزورني في كثرة الايام إن لم أقل في كل مساء. وإذ كنت إعتدت النوم مبكراً والنهوض مبكراً، فقد كان يسترق خطاه عندما كان يقترب من باب غرفتي لكي لا يزعجني إذا ما كنت نائماً. ثم يتم سهرته في ديوانه العام حتى ساعات مبكرة من الفجر.

في اواخر ايار 1967 تم إنتقال الجميع إلى حاجي عمران. وكان مسكن البارزاني المختار على رابية عالية. أما أنا فقد نصبت لي خيمة تطل على الطريق الموصل بين منزله من جانب والمفرق بين حاجي عمران والحدود الايرانية من جانب آخر. وعدا زيارته المعتادة لي كل مساء كان البارزاني يعرض علي إذا كنت ارغب في الحضور في منتجعه حينما يحضر زائر من بغداد يقدر إنني اهتم بلقائه.

وذات مرة اطلعني البارزاني على خندق حفر بالالغام تحت الجبل الصخري الذي بنى فوقه مسكنه. وكان الخندق مبنياً بصورة فنية فلا مجال لأي طائرة عسكرية عادية ان توصل القنابل إليه. قلت للبارزاني اني قلت لكم ذات يوم عن المدافع الثقيلة: إنها سلاح رجعي بسبب الإضرار إلى الحصول على تموين العتاد من مصدر هذا السلاح . والاضطرار إلى الإرتباط بطريق محدد لحركة المدافع ومصدر تموينها. وفي هذه المرة اقول ان هذا الخندق اشد رجعية من المدفع. أنه يفترض بقائكم وإعتمادكم على مجابهة الهجوم في هذه الرقعة الضيقة المستندة إلى الظهر الإيراني ولا تبعد عن الحدود سوى بضعة كيلومترات. أن حمايتكم الحقيقية في تلك الجبال والوديان الوسيعة من كردستان التي حمت حركاتكم وتقلاتكم واعجزت حكومات عديدة عن الانتصار عليكم. كنت لازال في حاجي عمران عند وقوع العدوان الاسرائيلي في 5 حزيران 1967. ارسلت ثلاثة رسائل بواسطة زوجتي في بغداد الى كل من رئيس وزراء سورية يوسف الزعين ورئيس وزراء الاردن وخالد محي الدين رئيس المجلس القومي المصري للسلم. وطلبت منها ان تسلم مع كل رسالة مساعدة رمزية (100) دينار عراقي للهلال الاحمر. فسلمتها الى سفارات الاقطار الثلاثة في بغداد.

### الإنتقال الى دمشق والإتصال بالاوساط العربية

وفي آب قررت اتخاذ سورية مسكناً لي. وعندما بدأت بالتهئ للسفر طلب مني البارزاني ان احزر رسالتين: واحدة الى الرئيس الاتاسي واخرى الى الرئيس عبد الناصر بشأن العلائق العربية الكردية وضرورة قيام تضامن بين القوميتين – حسب الاراء التي كنت ابيها له. وطلب ان تتضمن كل من الرسالتين تخويلي بالحديث مع كل من الرئيسين باسمه. وكذلك طلب مني تحرير بيان بتوكيلي عنه بصفة عامة بشأن التفاوض مع الجهات الوطنية العربية الحكومية والشعبية من اجل الصداقة والتضامن بين الشعبين العربي والكرد. فحررت الوثائق الثلاث في 26 – 8 – 1967. وطلب مني ان اوصل المراسلة معه بواسطة بينها لي.

ثم اثار الحديث حول نقد الاتحاد السوفياتي لعدم تقديره الكاف للثورة الكردية وكونها اولى بالاعتماد عليها من القيادات العربية ولاسيما قيادة الرئيس عبد الناصر، هذه القيادات التي لم تثبت كفاءة. وفي صباح 26 آب 1967 كان سفر قافلتنا الصغيرة، انا ومرافقي صالح وكان ينظم الينا بعض الادلاء في بعض الطريق. واهم ما يذكر في هذه المسيرة ان البغل الذي كان يحملني مع امتعتي قد فوجئ ببركة ماء على الطريق الذي ينحدر نحو سهل زاخو، فقفز بعنف وما كنت راكبا عليه وانما كنت جالسا فوق اكداس من الامتعة. كما كانت ضرورات السفر كل مرة. واذ كانت يدي اليمنى مشغولة تشبثت باليسرى ورغم تدريبي منذ الصغر على ركب الخيل، انتهى بي التشبث الى خلع ذراعي اليسرى. فسقطت مغشياً علي. وبعد فترة وضعت على البغل وواصلنا المسيرة وانا محمول.

وفي اليوم التالي مررنا بقرية فيها موظف صحي وقد عالج ذراعي قدر استطاعته. وبالتدريج زالت الحمى. ولكن يبدو ان ذراعي لم تعد الى حالها الطبيعي وهي ماتزال انقص امكانا للحركة من اليمنى. افتترقت مع مرافقي صالح عند الحدود وكان وصولي اول قرية سورية فجر يوم 7 أيلول 1967. ومنها نزلنا الى القامشلي فتركني دليلي في خان كبير تسكنه عوائل عديدة. وذهب ليخبر عني الحاج يوسف المكلف من قبل القوميين الكرد باخفائي. وقد ظهر ان الدليل غير حذر اذ قال للحاج يوسف ان شخصا قادما من كردستان يريد الاختفاء لديك. والحاج يوسف متمرس بقضايا التهريب من كل نوع. فرفض الطلب وانكر انه يعرف شيئا عما يطلب الدليل. فطلبت من دليلي هذا ان ياخذني الى دار رمو شيخو (وكان مسؤول الحزب الشيوعي السوري في المنطقة). فرحب بي واسكنني لدى عائلة من فقراء الفلاحين. فتألفنا وتعاوننا على العيش وكنت ايسر منهم حالا. ولست انسى زيارات ام جنكو زوجة رمو تحمل الينا هدايا من اللبن. طال بقائي لدى هذه العائلة 28 يوما. حتى اذا جاء احد الشيوعيين السوريين بمهمة حزبية فاصطحبني. وكان وصولنا دمشق يوم 5 - 10 - 1967 .

#### نص رسالة البرزاني إلى الرئيس الاتاسي.

سيادة الاخ الدكتور نور الدين الاتاسي، رئيس الجمهورية العربية السورية المحترم  
تحية مخلصه وسلاماً جزيلاً.

وبعد، فإن حرصنا على توطيد العلاقات العربية الكردية على أسس التآخي الصميم يقتضي منا جميعاً مواصلة الجهود وتسخير كل الإمكانيات من اجل تحقيق هذا الهدف الجليل. فإذا كان تأريخ شعبينا المشترك قد وحد بين مصيريهما في منعطفات تأريجية حاسمة من السراء والضراء على إمتداد خمسة عشر قرناً منذ فجر الحركة الإسلامية، فإن الظروف التاريخية المعاصرة قد ربطت أكثر من أي وقت مضى بين مصائر حرية كل من الشعبين، فنحن أكدنا مراراً ونؤكد دوماً ان لا حرية للشعب الكردي في ظرف لا يبلغ فيه الشعب العربي حريته، ونرى أن العكس صحيح ايضاً. ولا ريب أن مصير الشعب الكردي في العراق يرتبط قبل كل شئ بمصير حركة التحرر والديموقراطية في العراق ذاته. ولكن كل ظرف سليم ستقفه الجمهورية العربية السورية وقواها التقدمية، وكذلك القوى التقدمية في البلاد العربية الاخرى سيسهم دون ريب في قيام ظرف سليم في العراق ذاته.

وأن الظرف الدقيق الذي تمر به بلادنا لا يسمح بالتراخي، وهو لا يوجب توطيد اخوة الشقيقين فحسب، بل تضامنها في النضال ضد قوى الإستعمار والرجعية. ولا ريب أن تضامناً عربياً كردياً وطيداً سوف تكون له نتائج ايجابية على حركة التحرر في المنطقة. ويأمل السير بخطى سديدة على هذا السبيل. فقد إعتدنا على أحنينا عزيز شريف وخولناه أن يبحث معكم كل ما من شأنه توطيد الاخوة



الصميمة والتضامن الوطني بين شعبينا وسنرحب بكل إتفاق تتوصلون إليه بهذا الخصوص. وتقبلوا تحياتنا المخلصة وأمانينا بالنجاح والسعادة لشعبكم الشقيق ولشخصكم الكريم ولزملائكم المحترمين.

26 – 8 – 1967

التوقيع

المخلص

مصطفى البارزاني

لم اقطع الامل في السفر الى القاهرة رغم الموقف السلبي من جانب السلطة المصرية تجاه محاولة سابقة في صيف 1966. واخيرا استطعت الاتصال في آذار 1968 بالدكتور مراد غالب الذي كان آنذ سفير الجمهورية العربية المتحدة في الاتحاد السوفياتي فرحب بسفري. وقد سبق ان تم التعارف بيننا في قصر القبة قبل اكثر من عشرة اعوام، في اوائل كانون الثاني 1958. اذ كان بين مستشاري الرئيس عبد الناصر الذين تم البحث بيني وبينه حول موضوع المسألة الكردية .

بينت للسفير انني واصلت مع البارزاني الجهود من اجل التعاون العربي – الكردي وقد حملت الى الرئيس عبد الناصر رسالة بهذا الشأن في ربيع 1966. ولكنني لم افلح في إيصالها. اما اليوم وبعد العدوان الاسرائيلي وقد مضت عليه تسعة اشهر، وحدث تغير جذري في الوضع الدولي والعربي فقد اصبح الاهتمام باعادة النظر في كثير من المواقف السابقة ضرورة حاسمة. ويبيدي رسالة اخرى من البارزاني بهذا الخصوص، وارجو ان لا يكون نصيبها نصيب جهود سابقة. رحب الدكتور مراد غالب بسفري واصر لي جواز مرور باسم شخص فلسطيني. وصلت القاهرة بعد منتصف الليل الخميس 28 آذار 1968 .

كان لي لقاء مع فتحي الديب وزير الوحدة سابقا والمسؤول عن الشؤون العربية في الاتحاد الاشتراكي آنذ. وقد افهمت في اللقاء الاول واحد نيسان 1968 انه مكلف بان يسمع مني ما لدي نيابة عن الرئيس. وكانت خلاصة رأي كما يلي:

انطلق من كوني عربي عراقي. كما ان لي صلة وثيقة بمصطفى البارزاني قائد الحركة القومية الكردية. وهو يتفق معي على ان بين مصالح التحرر العربي ومصالح التحرر الكردي اساسا موضوعيا مشتركا للتضامن الكفاحي ضد الامبريالية والصهيونية وليس يوجد بين مصالهما موضعيا اي تناقض يجوز تعميقه للاخلال بهذا التضامن. وإن الحكومات المتعاقبة على السلطة في العراق، لم تقدر هذه الحقائق بحق قدرها. فقد عقدت الهدنة مراراً بين الجانبين، ولكن دون تقدماً لإزالة العقبات المصطنعة.

ونحن ندرك أن المسألة الكردية في العراق مسألة عراقية بالدرجة الاولى. ولكن لها تأثيراً متبادلاً سلباً وإيجاباً مع حركة التحرر العربي في منطقتنا. فمن ناحية أننا لا يمكن أن نكون أحراراً ونحن نتنكر

لحرية شعب آخر، وخاصة مع الشعب الكردي الذي تربطنا به روابط تاريخية قوية، ولن يقف عدونا دون إستغلال موقفنا هذا. ومن ناحية اخرى لن يكون شعب من شعوب المنطقة وفي مقدمته الشعب الكردي حراً إذ يسود العدوان على حركة التحرر العربي. وأشرت إلى حديثي مع الرئيس عبد الناصر في عام 1958، بأن الكرد في عصرنا، عصر نهوض الشعوب في سبيل تحررها لن يكونوا محايدين بالنسبة إلى نضالنا، وبلادهم تقع على طول المنطقة اليابسة بيننا وبين بقية آسيا. واما أن نؤيد حريتهم ويتجدون معنا في مواجهة قوى العدوان وأما أن نتنكر لحريتهم فتستغل تلك القوى موقفنا هذا ... الخ. فالمسألة الكردية بهذه الصورة مسألة شعوبنا جميعها في منطقتنا. ثم ذكرت مثلاً حديثاً بخصوص ضلالة إسهام الحكومة العراقية في مجابهة العدوان الإسرائيلي في حزيران 1967. وبينت أن أسباب العدوان ووسائل تنفيذها كانت بعيداً عن نطاق الإسهام العراقي او عدم إسهامه، إلا أن ما كان يشغل الزمر المتنافسة على الحكم في العراق بالدرجة الاولى هو قمع الحركة الكردية بالسلاح فما كان لهم سوى إسهام رمزي في الجبهة العربية.

ومنذ ايام الهدنة التي اعلنتها حكومة البزاز في 29 حزيران 1966 لم يحصل أي تقدم في سبيل حل المسألة الكردية. وإذ تتوجه الجهود اليوم من أجل جبهة شرقية لمجابهة الخطر الإسرائيلي، وقد أصبح من حق الجمهورية العربية وواجبها ممارسة نفوذها للمساعدة على حل المسألة الكردية على وجه يزيل العقبات أمام الوحدة العراقية. ومن ثم إسهام العراق في كل جهد عربي مشترك لمجاهة المخططات الأمبريالية - الصهيونية.

وبينت أن هذا ليس رأي فحسب، وإنما يشاركني فيه البارزاني. وقد سبق له أن توجه إلى الجمهورية العربية المتحدة والرئيس عبد الناصر مراراً. ومنذ وقت طويل فقد اوفد قبلي ابنه لقمان في عام 1963 مع رسالة إلى الرئيس. ثم كلفني بحمل رسالة اخرى إليه في عام 1966 ولم افلح بالوصول إلى هنا. ولقد بقيت لدي. وهذه الرسالة الثالثة كلفني بنقلها منذ صيف 1967. فاوزر فتحي الديب رأي الجمهورية العربية المتحدة بشأن المسألة الكردية بمبدئين إثنين:

اولهما إنها ضد الصراعات الداخلية. وثانيهما إنها ضد الانفصال. فكان علي أن أسهب في تحليل المواقف الكردية، وأي المواقف تؤدي إلى الانفصال وأي المواقف تؤدي إلى الوحدة مما لاحاجة عن إعادته.

وتسلم مني رسالتي البارزاني ليوصلها إلى الرئيس. وهما مؤرختان في نيسان 1966 وآب 1967 ووعد بنقل رغبتي في مقابلة الرئيس على أن نجتمع في يوم 4 نيسان 1968. وفي اليوم المذكور بين ان الرسالتين اوصلتا إلى الرئيس وأنه يعتذر عن مقابلتي لكثرة لقاءاته بالشخصيات الاجنبية حول بيان 30 آذار وانه الان في إجازة. ووعدني بأن يبلغني بما سيجد بواسطة الدكتور مراد غالب سفيرهم في الإتحاد السوفياتي.

### نص رسالة البارزاني إلى الرئيس جمال عبد الناصر

سيادة الاخ الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المحترم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فإنني أتوجه إليكم برسالتي هذه مواصلة لرسالتي السابقة بشأن توطيد العلاقات بين الشعبين العربي والكردي وتقديراً لموقفكم في هذا الخصوص. ولقد أكدنا مراراً ان وقف القتال بين الاخوة كان نصراً مبيناً للشعب العراقي عربيه وكرده، وان القوى السوداء التي أشعلت الحرب مراراً وغذتها ما زالت تعمل من إشعالها مرة اخرى. وإن على كل المخلصين ان يبذلوا الجهود من أجل عزل تلك القوى وإجتثاث اسباب الفرقة وبدون الفتنة لضمان الاخوة الصميمة بين الشعبين الشقيقتين. اما اليوم فقد اصبح من الضروريات الملحة الحادة، ليس ضمان التآخي بين الشعبين بل التضامن بينهما ضد قوى الإستعمار والرجعية. وليس من ريب في ان موقفاً توفقه الجمهورية العربية المتحدة وقيادتها الوطنية في هذا السبيل سيسهم إلى درجة كبيرة في قيام رأي عام سليم. أننا لقد أكدنا مراراً ونؤكد مرة اخرى اننا نعتبر قضية الشعب الكردي ترتبط إلى درجة كبيرة بنجاحات كفاح الشعب العربي من أجل الحرية والديموقراطية. ولا ينكر أيضاً أن كفاح العرب في سبيل الحرية والديموقراطية سيتيسر إلى درجة كبيرة جداً بقيام تضامن عربي كردي. أما خلق التناقضات بين الشعبين فليس من شأنه سوى عرقلة قضية حريتهما. وليس بخاف على سيادتكم ما تقتضيه هذه المسألة من عاجل الإهتمام في هذا الظرف الدقيق.

لقد إعتدنا على أحنينا عزيز شريف كي يبحث معكم كل ما من شأنه توثيق الصداقة والتضامن بين الشعبين الشقيقتين. وسنرحب بكل إتفاق تتوصلون إليه وتقبلوا تحياتنا المخلصة وامانينا الحارة بالنجاح والسعادة لشعبكم الشقيق ولشخصكم الكريم.

26 – 8 – 1967

التوقيع

المخلص

مصطفى البارزاني

اما رسالة البرزاني الاقدم تأريخها فقد كان تحريرها بروح ومنطق ما قبل عدوان حزيران. وقد برز فيها الكلام عن تعاون الحكومة مع عناصر كردية وتسليحها ... إلخ، مما لاحاجة إلى أعادته. يقصد جماعة جلال الطالباني. وفي الرسالة شكر الرئيس عبد الناصر لموقفه إلى جانب حل المسألة الكردية سلمياً.

## لقاء مع حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الاهرام: الثلاثاء 2 - 4 - 1968

بينت لحسنين هيكل أنني أبنى حديثي على مواصلة لمقالات نشرها في أعوام 1963، 1966 و 1967 بشأن حل المسألة الكردية والعلائق بين العرب والكرد. وبلغته مضمون احاديثي مع فتحي الديب. سر لكوني منتبع لمقالاته ورحب بالحديث وقال: أن صديقك قاسم وصديقنا عبد السلام محمد عارف لم يكونا اهلاً لمسؤولية الحكم السليم. وكان مكن آثار ذلك تعقيد السألة الكردية. وتطرق بالحديث إلى علاقة المسألة الكردية بإيران فلم احاول تجنب الحديث عنها وإنما اكدت بصراحة علمي بذلك. وأنا افترض، دون معطيات خاطئة ان يكون وراء ايران قوى اخرى، كالولايات المتحدة. وبينت أنني اقف بوجه حاسم ضد اللجوء إلى مثل هذه العلائق واناضل ضدها في داخل الحركة الكردية. ولكنني لا أرى من الصواب او المفيد لحركة التحرر العربي حصر الموضوع بالنتيجة دون البحث عن السبب. السبب الاول هو محاولات خنق الحركة الكردية العربية من جانب الرجعية العراقية وتشجيع الدوائر الإمبريالية لإيران، التي لها ورابط متينة مع الولايات المتحدة وإسرائيل، لإنتراع العراق من الحبهة العربية. وإن البارزاني يوافقني على الرأي الذي أكدته مراراً وأكدته الآن، وهو لو قامت في العراق حكومة موالية للإستعمار كلياً ومعادية لحركة التحرر العربي، آنئذ سيكون اتفاق كامل بين حكام العراق وحكام إيران على حساب العرب والكرد معاً، وعلى حساب شعوب المنطقة بأجمعها. وزدت: أن طريق ايران يجب أن يغلق في بغداد وليس في اي محل آخر. قال هيكل: موضوع إيران لدينا معروف ونعتقد أن الكرد في وضع كالاتي: فالقاء في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء.

## لقاء مع هيئة تحرير الاخبار: الثلاثاء 2 - 4 - 1968

إستقبلني محمود أمين العالم ومن حضر من هيئة تحرير الاخبار إستقبلاً حاراً، وأذكر بينهم خصوصاً حسين فهمي الذي تعمق التفاهم والتعاون بيني وبينه مع الايام. وبعد شرح مهمتي والواقع في كردستان جاوا بمصور وإلتقط لنا صوراً ودونوا على لساني حديثاً أكدت به على ضرورة العمل الكردي العربي المشترك لتصفية العدوان، ولمواجهة أخطاره اللاحق.

غير أن ما صدر في الجريدة كان مقتضباً، إذ ظهر في عددها ليوم 3 - 4 - 1968 نبذة من حديثي مع صورة لي. وكان نص النبذة ما يلي:

سكرتير مجلس السلم العراقي يقول العدوان الصهيوني مشكلة العرب الاساسية: قال عزيز شريف سكرتير مجلس السلم في العراق أن المشكلة الاساسية التي تواجه الامة العربية كلها الآن هي العدوان الإمبريالي الصهيوني. أضاف أن هذه الحقيقة ينبغي أن تكون بالحساب عند اي عمل يتخذ لمواجهة هذا العدوان. أكد ان التلاحم بين شعوب الامة العربية كلها مطلب ضروري عاجل، لأنه الطريق الوحيد

والسريع لإزالة آثار العدوان. بالإضافة إلى ذلك ينبغي أن تكون وحدة فكر ووحدة عمل في كل قطر من الاقطار العربية. أعلن أن الكرد في العراق يعتبرون أنفسهم مجندين لمعركة النضال العربي ضد الإستعمار والصهيونية.

وفي لقاء آخر قال لي اصدقائي هذا كل ما امكن نشره. لقد كان الإقتضاب حتى التشويه دليلاً على عقلية المسيطرين على الإعلام في مصر.

### خطورة الوضع في مصر

كان إنطباعي السبلي الاول عند إلقاء الرئيس عبد الناصر خطابه المشهور في 30 آذار. وقد حدد به سياسة مصر المقبلة. فالواضح وجدت بأن الخطاب قوبل بعدم الإهتمام من كثرة الناس، على خلاف خطبه السابقة والتجمعات الهائلة للإصغاء إليها أيام تعاضم مقام مصر بعد العدوان الثلاثي، وحتى اوائل عهد الجمهورية العربية المتحدة. وكان رد الفعل الاهم لدي أن الرئيس لم يتعمق إلى الاسباب الحقيقية لمأساة الهزيمة وإنما أشار إلى ما سماه مراكز القوى. وعزا إليها أسباب تردي الوضع في الجمهورية العربية المتحدة حتى هزيمة حزيران. وإعتذر ضمناً عن إمكان تصفية تلك المراكز رغم ما إتضح اثناء عدوان حزيران وبعده بدور المخابرات الامريكية والإسرائيلية في ذلك العدوان وتيسير بعض من سماهم مراكز القوى لعمل تلك المخابرات. بينما كانت جماهير مصر قد عبرت عن إدراك المؤامرة بمظاهراتها الهائلة في مختلف انحاء القطر رداً على محاولة إقصاء الرئيس عبد الناصر.

وكما هي الحال في التطورات التاريخية الهامة، كان الوضع في مصر نتيجة تطور سابق، قبل عدوان حزيران، بفترة طويلة. فقد ركن الرئيس إلى الإعتزال عن القوة الوطنية اليسارية الحية، وإعتمد على العناصر اليمينية المطاوعة التي كان أبرز مثال لها انور السادات — بما عرف من تأريخه اليميني ومطامعه الشخصية، وعلائقه الخارجية المشبوهة. فلم يكن مصادفة انه أصبح نائباً لرئيس الجمهورية في حياة الرئيس عبد الناصر، ثم صار رئيساً بحكم القانون عند وفاته.

ولم يكن الرئيس عبد الناصر دون مسؤولية في النكبة في سياسته الخارجية في الفترة السابقة، وحتى في فترة أيار — حزيران 1967 مما يخرج عن موضوع حديثنا. وحدد الرئيس العمود الفقري لسياسة الجمهورية بأنه سيكون المؤتمر القومي للإتحاد الإشتراكي، الذي سيكون مقام مجلس الامة إلى ان يزول العدوان. ومعنى هذا أن الزمر التي كانت تتمتع بالنفوذ قبل العدوان والتي اسهمت بالتمهيد للعدوان ستبقى ذات نفوذ الى امد غير محدود. فمتى سيزول العدوان؟

وقد اعربت عن رأي هذا إلى الرئيس نوري الدين الاتاسي ورئيس الوزراء يوسف زعين بعد عودتي إلى دمشق، وكانا على اهبة السفر إلى القاهرة. وكان لهما فرصة للوقوف على ما كان عليه الوضع داخل القيادة. ولما عادا قال لي الرئيس الاتاسي "عند زيارتنا لمصر كفوا كمال رفعت لمفراقتنا وقد سألته عن منهم الذين يقودون الإتحاد الإشتراكي وتنظيم الإصلاح الزراعي والمؤسسات التعاونية،

فأخبرني كمال رفعت أن النفوذ في جميع هذه المؤسسات في أيدي العوائل ذات النفوذ من القديم. فهم الذين يدخلون في هذه التنظيمات وهم الذين يستولون على قياداتها. وأضاف الاتاسي لماذا لا يتخلص الرئيس عبد الناصر من هذه العناصر الذين تقدموا إلى القيادة من أمثال محمد فوزي. وهم ليسوا افضل من سابقهم. أن محمد فوزي مستعد لتمديد دوره في عشرة هزائم مثل هزيمة حزيران وهو مرتاح كأن لم يحدث شيئاً. ومثل هذا أكد لي رئيس الوزراء يوسف الزعين. وإذا كان قد تيسر للقائدين السوريين ان يعلموا من الوسط الرسمي أكثر مما علمت، فقد كانت لي فرصة أكبر في دراسة ما تحت ذلك الوسط. فلقد لمست طغيان اليمين بمظاهر ومظاهرات مختلفة في السوق وفي المساجد والجوامع الكبيرة والساحات المجاورة لها وفي حقل الإعلام والهيمنة على الصحافة... الخ. ولم يكن الامر في حدود طغيان اليمين فحسب، بل وفي إستئثار الفساد الذي كان ينهش الجمهورية بصور مختلفة. ولقد دونت ملاحظاتي تحت عنوان خطورة الوضع في مصر وشبهت الجمهورية بسفينة افلت مقودها من يد الربان. وشبهت النظام بهرم علق رأسه ظاهرياً بأصابع الرئيس. أما ثقله الحقيقي فإنه على تل سائب من الرمل.

وقد تيسر لي أن اعود إلى مصر في اوائل 1969 للمشاركة في أعمال المؤتمر العالمي الثاني لنصرة الشعب العربي. وإضطرت إلى البقاء فيها طويلاً فجريت ما كان أشد ترويعاً. فكانت هذه التجربة موضع مذكرة شخصية حول مايعانيه الشعب من ضنك وما إطلعت عليه مباشرة من ظروف ومشاكل حياة الملاء الاسفل، التي كانت سكناهم المقابر واحدة من صورها العديدة.

### تقييم الزيارة

لم يكن في طموح هذه الزيارة دفع القيادة المصرية إلى عمل هام بشأن حل المسألة الكردية والتضامن العربي الكردي. فذلك كان خارج إمكان نفوذها في عام 1968. والوضع فيها كما تقدم الحديث عنه وإنما كانت محاولة لخرق جدار الدعاية المظلمة بشأن هذه المسألة. ورغم كربة حزيران 1967، لم تزل مصر اهم بلد عربي في تأريخها وموقعها الجغرافي وفي نفوذها. وقد أكد وجود هذا الجدار او بقاياها فتحي الديب بقوله إننا ننطلق من مبدئين: ضد الصراعات الداخلية. وضد الانفصال.

فهل امكن خرق ذلك الجدار؟ فمذ كنت في مصر ثمّن نتيجة خالد محي الدين رئيس المجلس القومي للسلم. وكنت اخبره بعلمي وما الاقي، إذ قال ان نتائج هذه اللقاءات كانت إيجابية إلى اقصى حد ممكن بالنسبة إلى ما نعرفه عن الوضع القائم الآن.

وقد ثمّن الزيارة القادة السوريون بوجه ادق بعد عودتي إلى دمشق. وكانوا قد زاروا مصر بعدي. ففي 18 — 5 — 1968 كانت مقابلي مع يوسف الزعين. ومما قاله لي في هذا الخصوص سمعته من محمد فوزي ايضاً عن قناعة المصريين بأن الكرد لا يتحملون مسؤولية عن موقف الحكومة العراقية.

وأن الحكومة العراقية تتخذ من التوتر حجة للتملص من واجباتها القومية. ولقد إعتقدت أن البارزاني قد إتصل بواسطتك وابلغهم مثل التأكيدات التي ابديتها لنا.

وابدى الزعين سروره لمقابلتي في دار الاخبار وعلق بان نشر اسمي واسم حركة السلم حتى مع الاقتضاب الذي حدث، سيكون لكمة لحكام العراق. كما كان غير مريح للرجعية المصرية.

وعند مقابلتي الرئيس الاتاسي يوم 20 - 5 - 1968 : قال "لقد وجدنا عند زيارتك لمصر ان المصريين وخصوصا الرئيس عبد الناصر مقتنعين بان الكرد لا يتحملون مسؤولية التوتر في شمال العراق. وان الذي يخلق هذا التوتر هم فئات الضباط المسيطريين على الحكم. واني اعتقد ان زيارتك لمصر قد ساعدت المصريين على هذا الاقتناع." وينبغي ان اشير الى ان مما يسر عملي حقيقة عدم وجود مشكلة تنظيم فكري في مصر لتعقيد المسألة الكردية، عدا ما وقع في فترة انتكاس الجمهورية العربية المتحدة واسهامها - بعد فترة قصيرة من التأييد - في زعزة الجمهورية العراقية الاولى. وذلك خلافا لمحاولات التنظيم الذي غرسه في سورية ثم في العراق مشيل علق وجماعته، وكذلك بعض من راجت لهم بضاعة في سوق المتاجرة بالقومية العربية. وقد ورد الحديث عن بعض هذا عند تواجدي في سورية ومصر في اعوام 1955 الى 1958 ، وكذلك في موضوع التامر على جمهورية 14 تموز في العراق.

ونظرا الى تواتر الانباء عن تفاقم التوتر بين قوات البارزاني وقوات الحكومة غير النظامية فقد ارسلت برقية الى البارزاني حالة وصولي عائدا الى موسكو رجوته فيها ان يكون على اقصى درجة من ضبط النفس وبيئت راي في "ان اعداء شعبنا يوقدون نار التوتر وهم انفسهم يروجون نشر اخباره ويستغلونه لاغراضهم."

لاحقة: ارى من واجبي الاعتراف بالجميل بالمساعدات القيمة التي لقيتها في مصر من ابراهيم عبد الحليم ومحمد علي عامر (شيخ العرب). لقد يسر هؤلاء اتصالي بالوسط الشعبي ووقوفهم على ما يتيسر الوقوف عليه من ظواهر القيادة السياسية. كما كان للظفي الخولي وصحبه (مجموعة مجلة الطلبة) فضل في تيسير اتصالاتي بالاوساط الرسمية .

### نتائج المساعي الدبلوماسية

في مساء 24 أيار 1968 كان اخر لقاء لي مع القادة السوريين في دار رئيس الوزراء يوسف الزعيين. وفي صباح 25 أيار اخذت الطائرة الى القامشلي ومنها نقلني الكرد السورييون الى قرية على مقربة من مثلث الحدود بين تركيا وسورية والعراق. وفي الليل تم عبور الخابور فأخر المثلث التركي فدخلت الى منطقة زاخو بسلام. وقبل الفجر كنا نتجه عبر الجبال.

وفي يوم 26 أيار 1968 مررنا بقرية (فاديا) في طريقنا الى مقر عيسى سوار. وعلى طريقنا في قرية هيزاوة كان مركز لانصار الحركة الكردية. وقد كتب على الجدار بالعربية العامية " يابناء الشعب الكردستاني ناضلوا من اجل وطن الام وتعزير الوحدة الوطنية. اخوا العربي والكردى".

كان ادلائي في كل سفرة غيرهم في السفرة الاولى. وكان كل فريق منهم يختار طريقا غير الذي اختاره غيره، حسب اهوائهم. فاما لان لهم ذوي قربي على الطريق الذي يختارونه. واما لعلمهم ان على الطريق مضييفا رحباً. وقد اختاروا هذه المرة طريقا وعرا شديد الارتفاع لم نالقه من قبل. سألت صحبي عن علة اختيار هذا الطريق فقالوا انه قصير. وربما كان الامر كذلك. بيد اقصر الطرق في منطقة جبلية هو في الغالب اسوءها وكان الامر كذلك هذه المرة.

طال بنا المسير والارتفاع على الصخور وبلغ بي الإنهاك شأوا حتى وصلنا بعد هزيع من الليل دار أحد الزعماء وكان غائبا. وإستقبلتنا زوجته بالترحاب وأخذت مساعداتها ينصبن النيران بجانب من ذلك المضيف الرحب.

لقد كنت منهكاً غاية الإنهاك، فأعذرت من مضيفنا وصحبي عن مشاركتهم العشاء. فبدا لي أنها صدقت قولي. وإستلقيت على وجهي. بعد أن أخذت قسطاً من الراحة كان الضيوف قد إنتهوا من العشاء. وإذا بمضيفتنا تبدأ بإخضار الطعام لي وحدي. ولن يجد الإعتذار امام كرم مضيفتنا الملحاح. لشد أسفي أنني لم أحتفظ بعنوان تلك السيدة الكردية الكريمة.

وفي مساء يوم نزلنا في مضيف لم يخفي اهله ضيق الذرع بنا رغم ما يبدو عليهم من الغنى بما لديهم من كثرة الخيل والماشية. شاركت الاخرين في تناول الطعام رمزيا دون رغبة لشدة استيائي من تلك الضيافة. وقررت اننا لم نصبح عندهم حتى وقت الافطار. ومنذ الفجر شددنا الرحيل. وما كان صحبي يعرفون الطريق التالي. فسالنا عن الطريق بعض من لاقيناهم فوصفوه لنا وقد اخطوا او اخطئنا فهم وصفهم. فكانت مسيرتنا في وسط غابة ليست فيها معالم للطريق وكان شهر حزيران شهر ذوبان الثلوج فكانت النهيرات عنيفة الجريان. وكلما فؤجئنا بنهير قفز البغل الذي كنت اجلس عليه فوق الامتعة مثل قطعة متاع. فيلقيني والامتعة من على ظهره. تكررت الحالة لعدة مرات ولم اصيب بسوء على ارض الربيع الهشة.

وصلت مقر البارازاني في الثلث الاخير من شهر حزيران وانتهت مشقة الطريق وسلبياته. وبدء اللقاء العسير سياسيا ونفسيا. وانتهى الى ما دون الفشل الذريع بقيد شعرة. لقد كان لمهمتي شقان اولهما رغبة القادة السوريين في حمل الحكومة العراقية على المشاركة في تأليف الجبهة الشرقية في مواجهة اسرائيل.

وبناء على توطيد الثقة بيني وبينهم ولعلمهم باعتماد البارزاني علي واعتمدوا على موافقتي بان يؤكدوا الى حكام العراق باسم البارزاني انه لم يبادر الى مقاتلة الجيش العراقي اذا ما اشتبك في حرب ضد



اسرائيل. وسافر الرئيس الاتاسي الى بغداد لهذا الغرض في بغداد في 10 - 10 - 1967. وحررت رسالة الى البارزاني في 13 - 10 - 1967 اعلمعه بما حدث.

اما الشق الثاني لمهمتي: فكان محاولة حمل البارزاني على ان يصرح شخصيا لاستنكار العدوان الاسرائيلي. وذلك لضرورة مواجهة الحكومة العراقية التي تتهم الحركة الكردية بالارتباط باسرائيل. ولمواجهة الاوساط القومية العربية التي لاتبدي اهتماما بالتعاون العربي الكردي بسبب خلفياتها الايدولوجية. وكذلك بسبب الدعاية الرائجة حول ما يسمونه ارتباط الحركة الكردية باسرائيل. واذ كان في نجاح هذه المهمة خير للحركة القومية العربية فان بها خيرا اكثر كثيرا للحركة الكردية وللبارزاني شخصيا.

عند لقائنا والبارزاني كان المطلب الاول يسيرا اذ أيد تصريحه باسمه بشأن الجبهة الشرقية بدون مناقشة. ولكن الخلاف كان شديدا والنقاش متوترا حول طلب استنكاره شخصيا العدوان الاسرائيلي. ومما قاله لي: لقد كنت حددت موقفي من العدوان الاسرائيلي ابان الحرب في حزيران 1967 ببرقية وجهتها الى الحكومة العراقية. وان هؤلاء الذين يعترفون بمسؤولية الحكومة العراقية عن التوتر في كردستان لم يفعلوا شيئا للضغط على هذه الحكومة. وان السوريين والمصريين يعترفون ان حكومة عبد الرحمن عارف كذابة ولكنهم لم يفعلوا شيئا لحملها على حل المسألة الكردية.

**ملاحظة:** إضافة إلى اي سبب آخر ثمة حقيقتان لا يجوز التغاضي عنهما لمن يتصدى آنذاك لإلتخاذ عمل جدي بهذا الخصوص: اولى الحقيقتين ان القيادة الكردية قد استدرجت بسبب الحروب ومضاعفاتها وبسبب ايدولوجيتها إلى التورط بقبول المساعدة الايرانية، وقد تورطت عبر مراحل ثم من وراء ايران من قوى عدوة. وثانية الحقيقتين أن الاوساط القومية العربية التي تطالب القيادة الكردية للوقوف إلى جانبها لم تقم بعمل جاد لتغيير وضعها نحو الخروج من ذلك المأزق. هكذا كان لسان حال البارزاني. إذ يجد في المطالب العربية ما قيل بالمثل إعطني حقي. اما حقك فإنه موضع نظر.

وإنقذ البارزاني الإتحاد السوفياتي بقوله "ان السوفيات لا يريدون ان يفهموا أن هذه الثورة هي القوة الوحيدة التي لو ساعدوها لتمكن الإعتقاد عليها لمواجهة الإستعمار في الشرق الاوسط. إنهم لم يستطيعوا ان يفهموا حتى الآن أن الاسلحة والمساعدات الهائلة الاخرى التي يقدمونها إلى حكام مصر لا فائدة منها كليا. ولو انهم اقنعوا أصدقائهم في مصر وسورية بالضغط على حكومة العراق او بالتحالف مع الثورة لتغيير الوضع كليا في مصلحة القوى المعادية للإمبريالية".

وكانت لي أجوبة على كل ما قال حسب قناعاتي لا حاجة إلى الإستفاضة فيها. لقد تباينت المواقف بيني وبين البارزاني ومؤيديه من جانب والقادة القوميين العرب من جانب آخر. كنت اريد للقوميين العرب موقفاً مبدئياً من حقوق الشعب الكردي القومية بقطع النظر عن موقف هذا القائد الكردي او ذاك. وكنت اريد للقيادة البارزانية موقفاً مبدئياً من العدوان الإمبريالي الصهيوني بقطع النظر عن موقف هذا القائد العربي او ذاك من القضية الكردية. ولم أكن حدياً في موقفي هذا. فأما الوصول إلى (نعم) وأما (لا).

بل كنت احاول بلوغ ما أمكن من هذا الجانب او ذلك. ومواصلة الجهود في سبيل التقدم نحو الغاية المبتغاة. وما كنت أنقل لهذا الجانب او ذلك الصورة الحادة لموقفه من الجانب الآخر. بل كنت اهن من موقف كل منهما وأدعوا إلى فحص الاسباب قبل القفز إلى النتيجة لتلك المواقف.

وكانت العزلة بين الجانبين قد تعمقت بالحروب والمواقف الشوفينية من جانب الحكومات العربية، وبمواقف قيادة لبارزاني المنطلقة من المنطق التجريبي (البراغماتي) في العلائق الدولية دون النظر إلى النتائج البعيدة.

وكدنا ان نفترق على غير إتفاق وعزمت على العودة بعد بضعة أيام من النقاش غير المثمر. إلا أن البارزاني تراجع أخيراً عن تصلبه. وكلف اولاً داراً توفيق بالإتفاق معي على صيغة توفيق بين مطلبي وموقفه.

ثم طلب البارزاني ان تعرض الصيغة على المكتب التنفيذي. فجاء إدريس البارزاني وحبيب محمد كريم وسامي (محمد محمود) فعادوا الموضوع من ألفه إلى يائه. ومما قاله أحدهم أن لإسرائيل حق الوجود. فاستثارتني هذه المقولة المعادة التي كررها المعتدون وما زالوا يعيدونها. وأخيراً توصلنا إلى الصيغة التالية في صورة الإجابة عن سؤالين موجهين إلى البارزاني من قبلي.

السؤال الاول: في الظرف الحالي الذي يسود فيه التوتر في الشرق الاوسط ويتلبد الافق بأخطار القوى الإمبريالية، يثار السؤال بين حين وآخر عن الموقف بين الثورة الكردية والحكومة العراقية، وفي ضوء إتفاق وقف القتال الذي اعلن في 29 حزيران 1966 فما هو الواقع الآن؟

الجواب: لقد إعتبرنا — وما زلنا نعتبر — إتفاق وقف القتال حدثاً عظيم الأهمية في تاريخ شعبنا العراقي بعربه وبكرده، رغم الثغرات الكثيرة لذلك الإتفاق ورغم إفتقار المسؤولين في الحكومة العراقية الجد وصدق النية في تنفيذ بنوده. ذلك لاننا نعتبر هذا الحادث نقطة إنطلاق لوقف إهراق دماء الإخوة ولوضع حد لعمليات الدمار. ولانه يفتح السبيل امام القوى الخيرة لتضميد جراح الشعب العراقي ولتمكينه من الانصراف الى العمل البناء، ولاعادة تشييد الاخوة العربية الكردية على اساس الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردي والمساوات والتعاون المخلص بين الشعبين الشقيقتين من اجل توطيد الاستقلال الوطني والديمقراطية. ولكن حقن دماء الاخوة لم يكن ليروق لبعض العناصر العسكرية المشبوهة ذات النفوذ في الحكم. فقد بذلت قصارى جهدها للحيلولة دون وقف القتال، كما كشف ذلك المسؤولون انفسهم في حينه. ولما كان الإتفاق قد تمّ رغم انوف ذلك النفر من المتنفذين دون ان يتخلص الحكم من نفوذهم، وقد طفقوا منذ الايام الاولى التي تلت الإتفاق وحتى الان، يضعون العراقيين دون تنفيذ بنوده ويخلقون الاسباب لاحداث وتشديد التوتر، بما في ذلك الصدامات المسلحة. فالقتال ان توقف في نطاقه الشامل، لم يتوقف في صور صدامات متفرقة ذهب ضحيتها مئات اخرى من ابناء الشعب العراقي.

وبدلاً من المحاولات المخلصة لبناء الثقة التي عصفت بها اعوام من الحرب واهراق الدماء والتتكيل والدعايات المضللة، كما امل كل مخلص للشعب العراقي سارت الامور نحو تعميق الشكوك. وكل ما بدا ان التوتر موشك على الارتخاء كانت تفتعل الحوادث حتى بدا مراراً ان الحرب بمعناها الواسع وشيكة الاندلاع. ان الادوات المباشرة اليوم للتوتر هي زمر المرتزقة التي كان يجندها الاستعمار البريطاني والحكومات المعادية للشعب على اساس سياسة خلق وتعميق الثارات القبلية وتمزيق وحدة الشعب. بل انهم طوروا هذه السياسة اذ لجؤ الى تكوين زمر مسلحة من المرتزقة غير القبليين، من العناصر الانتهازية الهزيلة التي اشترىوا ضمائرهم بثمن بخس وسلحوها ودفعوها نحو افتعال الاحتكاكات المسلحة لادامه وتشديد التوتر في منطقة كردستان.

ان للتوتر والحرب منافع ومالب لتلك العناصر المشبوهة. منها ادامة نفقات الحرب ومنها الانفاق على المرتزقة. ومن ثمة الاتراء من هذا المصدر بمشاركة رؤساء المرتزقة، والمتعهدين، ومن بيع الاسلحة والعتاد والرشاوي. ومنها ادامة المبررات لبقاء الحكم الاستثنائي الذي لابقاء لهم بدونه. واطر من هذا كله عزل العراق عن الجهد المشترك للشعوب العربية والقوى المعادية للامبريالية لمواجهة الاخطار الجسيمة التي تهدد حركات التحرر في هذه المنطقة ابتداءً من حركات التحرر العربي. فما دام للعناصر المشبوهة المنتفعة بالتوتر والحرب نفوذ حكم العراق سيبقى خطر اندلاع الحرب ماثلاً، وليس ثمة داع للاطمئنان الى ان هذه العناصر لن ترفع التوتر الى حافة حرب واسعة كما فعلت مرارا حتى تقيدها شاملة مرة اخرى.

اما من جانبنا، فان ادراكنا لاضرار الحرب التي جربنا مرارتها منذ ان فرضت على شعبنا العراقي قد جعلتنا نناضل دون هوادة من اجل وقفها، وسنواصل النضال للحيلولة دون اندلاعها. وحتى حين كانت الحرب مشتعلة كان نضالنا دفاعياً، لان وقودها من الطرفين هم جماهير شعبنا، والمنافع المباشر منها هم العناصر الفاسدة المشار اليها، اما المنتفع منها على المدى البعيد فهو الاستعمار الذي يتخذ منها فرصة لادامة نفوذه واستغلاله لبلادنا. وقد كان وقف القتال في كل مرة - في نظرنا - انتصاراً للشعب العراقي عاماً وللشعب الكردي خاصة.

وبعد مأساة حزيران 1967 اخذنا ننظر الى التوتر والحرب في شمال العراق بحذر اعظم، ولقد اكدت انذ ثم كررت التاكيد للمسؤولين في الحكومة العراقية اننا سنقف بحزم أشد ضد التوتر وإستئناف القتال. ولن نكون البادئين في إطلاق النار، ولن نلجأ إلى ذلك حتى إذا بدأ بها الجانب الآخر إلا بعد استنفاد الجهود لدرئها، ولن نحيد عن هذا الموقف.

بيد أن المحافظة على السلام هي هدنة مسلحة يثار فيها التوتر باستمرار، وتبقى الاصابع على الازندة ليس أمراً يسيراً. ولا ريب أن هذا امر غير طبيعي، بل أن وجوده في داخل بلد واحد جريمة. الوضع الطبيعي الذي تقتضيه مصالح شعبنا العراقي هو تصفية بقايا الحرب وإزالة أسبابها وإطلاق الحريات الديموقراطية للشعب العراقي بأجمعه، وإخلاء السجون من السجناء الوطنيين، هو في تصفية شرانم

المرتزقة المسلحين في جانب الحكومة، وإمتصاص البيشمركة بالتعاون بين الحكومة والثورة، وإتخاذ الجيش العراقي مراكزه وتوجيه مدافعه لا نحو الشعب العراقي او قسم منه، بل نحو القوى الخارجية. إن سياسة بهذا الإتجاه فقط تتيح لحكم وطني تقدير مسؤولياته والإنصراف إلى دمل جراح الشعب العراقي وتمكينه من المساهمة الجدية للجهد المشترك التي تواتجه ضروراته الشعوب العربية الشقيقة. وشعوب المنطقة وقوى السلم لإزالة آثار العدوان الإسرائيلي الإمبريالي ولدرء الاخطار الإمبريالية التي تهدد شعوب هذه المنطقة بأجمعها.

السؤال الثاني: ما ذا يجب أن يكون موقف الشعب الكردي من الاخطار الماثلة في هذه المنطقة، تلك الاخطار التي تبينت ابعادها الخطيرة منذ عدوان حزب بران؟  
الجواب.

أن فيما بينته أعلاه جواباً على هذا السؤال. مع ذلك إنني اشير إلى حقيقتين عن الشعب الكردي. فمن الناحية النفسية، ان جماهير الكرد ترى في العرب اخوة متوارثة من افضل التقاليد المشتركة بينهما منذ أن ساهم الشعبان في مكافحة الغزو الاوروبي في صورة الغزوات الصليبية. ولكن ما هو أهم من هذه التقاليد المجيدة، ان الشعب الكردي في العراق جزء من الشعب العراقي، ومصالحتهما واحدة في التحرر وتوطيد الإستقلال الوطني والديموقراطية، وإن على هذا الشعب بعربه وكرده أن يتحمل واجبه في المساهمة الجادة في مواجهة هذه الاخطار بشرف وأمانة. واني لأؤكد مرة اخرى ان خلق أي مبرر من جانب أي طرف كان للتملص من هذا الواجب جريمة لن يستطاع إخفاؤها ولن تغفرها شعوبنا.

4 – 7 – 1968

التوقيع

مصطفى البارزاني

وحرر البارزاني في التاريخ ذاته بمشاركتي رسالتين احدهما إلى نور الدين الاتاسي والاخرى إلى عبد الناصر. وقد دونت ملاحظاتي حول تطور العلاقات بين الحركة الكردية بقيادة البارزاني والقوى الاجنبية. وسافرت عائداً إلى سورية حال توقيع التصريح والرسالتين. وفي طريق العودة وأنا ما أزال في المنطقة الكردية سمعت بالراديو الإطاحة بحكومة الرئيس عبد الرحمن عارف، فقررت عدم نشر تصريح البارزاني لأنه مركز بوجه رئيس على حكومة لم يبق لها وجود.

ونظراً إلى عدم قناعتني بما لمست من موقف المسؤولين المصريين عند زيارتي مصر في آذار – نيسان 1968، ولعدم رضاي عن مستوى صيغة تصريح البارزاني لم أهتم بإيصال الرسالة إلى الرئيس عبد الناصر. وقد كانت الثالثة بواسطتي عدا ما قد سبقها قبل ذلك.

أما القادة السوريون فقد رحبوا بمساعي وقد واصلنا تبادل الرأي حول الموضوع. وتم تسليمهم رسالة البارزاني ادناه إلى الرئيس نور الدين الاتاسي.

سيادة الاخ الرئيس الدكتور نور الدين الاتاسي المحترم

احبيكم واحي رفاقكم المحترمين، وخاصة الاخ يوسف الزعين والاخ الدكتور إبراهيم ماخوس.

لقد أخبرني صديقنا وصديقكم الاخ عزيز شريف عن تقديره لنتائج لقاءاته معكم، حيث تركت لديه إنطباعاتاً إيجابياً في إمكان تعميق التفاهم المتبادل بشأن الوضع في العراق وفي المنطقة، وما تفرضه الاخطار الإمبريالية. سيما منذ العدوان الإسرائيلي في حزيران العام الماضي، من ضرورة التلاحم بين الشعبين الشقيقين العربي والكردي في جبهه نضالية للإسهام في تصفية نتائج ذلك العدوان ودرء تلك الاخطار. ولا حاجة إلى التأكيد على حقيقة ان في العرق عناصر ذات نفوذ حاسم في الحكم توجهه إتجاهاً آخر: نحو إفتعال المبررات لعزل العراق عن واجبه التاريخي في هذا الظرف، وفي مقدمة وسائلها خلق وتشديد التوتر في شمالي العراق وإبلاغ هذا التوتر أحياناً حافة حرب واسعة. ولا حاجة إلى إيضاح أضرار هذه السياسة المدمرة القائمة على تمزيق وحدة الشعب العراقي وعلى عزله عن أشقائه وحلفائه الطبيعيين، وشله عن القيام بواجبه التاريخي في هذا الظرف الدقيق. إن تلك العناصر المنتفذة في الحكم والمشبوهة تحاول، دون جدوى، تشويه موقفنا لستر اغراضها المناقضة لمصالح تحرير الشعب العراقي ولمصالح النضال العربي المشترك.

واني لاود ان اوضح حقيقة لم تبق خافية على الرأي العام العراقي والعربي، وهي: اننا أكدنا للمسؤولين في العراق مراراً، وأؤكد الآن ايضاً، اننا لا يمكن ان نقوم بأي عمل معاد من وراء ظهر الجيش العراقي إذا ما إشتراك مع الجيوش العربية الاخرى في مواجهة العدوان الامبريالي الإسرائيلي. ولن نلجأ إلى السلاح، حتى لو بدؤوا هم القتال ضدنا، إلا بعد إستفاد كل الجهود لإحباط اية محاولة لإستئنافه. ويبدو أن تلك العناصر تنتقل الآن إلى مرحلة اخرى في محاولاتها لعزل العراق عن الجهود المشتركة لمواجهة الاخطار. إنها تفتش عن حلفاء لا بين القوى الوطنية والتقدمية في المنطقة، بل بين القوى الرجعية المعادية لحركات التحرر الوطني. إننا نؤيد ان ما يخرج العراق من هذا الوضع المؤلم هو قيام جبهة متحدة من القوى الوطنية التقدمية.

واني لأعلن باسم الشعب الكردي إستعدادنا للمساهمة في هذه الجبهة. ولكني لا أستطيع، بهذه المناسبة، ان اغض النظر عن حقيقة ان بعض القوى القومية العربية تخطئ خطأً عظيماً إذ تستعيب عن التعاون مع الشعب الكردي وقواه الحقيقية، بالتعاون مع زمرفضها هذا الشعب بعد ان حملت السلاح ضدنا لإحباط إتفاقنا مع الحكومة على وقف القتال في شباط 1964. وقد لجأت إلى ايران ثم إلى العراق لتعيش على حساب حكام العراق بصفة مرتزقة.

وإنني لأؤكد ما ذكرته لكم في رسالتي السابقة (آب 1967) بشأن إعتماذي على اخي عزيز شريف إعتماًداً مطلقاً بشأن العلائق العربية الكردية والتعاون بين الشعبين الشقيقين. وكل إتفاق بينكم وبينه

سبنال موافقتنا التامة. واذما صحّ التقدير وصدق العزم من كل منا بشأن النضال من أجل مصالح الشعب العربي والشعب الكردي الشقيقين، فلا بد من أن نلتقي، فمصالح تحررنا واحدة وعدوهمما واحد. وتقبلو تحياتي المخلصة.

1968 – 7 – 4

المخلص

مصطفى البارزاني

## ملحق خاص بالمراسلات المرتبطة بالجزء الاول

ملاحظة: كان قائد الحركة القومية الكردية مصطفى البرزاني يخاطب عزيز شريف برسائله حين كان مختفياً بإسم حاج محمد.

صفحة الأذخ البليد الحاج محمد المدم  
بعد تقديم السلام وجريد الاضام  
رؤسوا به تلوونوا في أتم الصوره والسلام  
والشكره عند بخير

نود باصا طيتم علماً بأنه يوجد قاصد أمين الى بغداد ويمكنه نقل  
الرسائل و بكل أمانه وانتا والله الى الضارة لنا يرجه  
ترتيب حاليتكم وتليمه الى حاصل رسالتنا هذه لارساله  
الى المطاه المطلوب .

لكننا وتقبلوا فانه الاضامات

أخي المدم  
ارجو عند لقابته الرسالة أنه توضيها  
لهم وضفا الاقتصاري الخيطه و  
أظه بأنه لديهم بعض التلوك لنا  
ارجوا أنه توضيها وتعرضوا لهم صب  
الاصطاه لرفع هذه التلوك الموجوده  
عندكم وبشكر

أخوكم  
البارزاني مصطفى  
ع

و د م م بخير  
٦٥/١١/٢٩



540  
540

الرفعة الناضل الأخر الفاني عالي محمد المحترم

حبة واحتراما

ونحن بخير ونتمنى لكم الصحة والعافية عزيزي لماذا ما تفضلون  
وتخبروني عن أحوالكم من جميع النواحي وحقا يجب عليكم ان تسبون  
باني أصدقكم والأولاد اولاد اقبلهم وكلما يلزم لكم شيئ بدون تردد  
ارجوكم ان تأمرون علي ادريس وسعود لقضاء الخرابح من جميع  
النواحي وسرة اخرى اتمنى لكم الصحة والسعادة وأقدم لكم

السلام والاحترام بصميم القلب اخوكم البارزالي مصطفى

مطابق

١٩٦٦

بعدما فتح المعاهدة الصداقة

تقال صليب الأحر نرسل الى الأكراد

المساعدة

وبعد خطاب صليب الأحر

فقال جريدة براودا يجب حل القضية

الكوردية بطريق السلمية أظن انهم الآن قاموا من النوم ويسمعون

ويسمعون بعض الأمور الخطيرة وأنهم ضرب الصد صار قبل ضربهم

وإذا غاب الآوان الهن لا يستفيدون في غير الآوان . أظن انهم الاعداء

هو مساعدة الأعداء .

541-541

على حضرت الفاضل ابي الفاي الحاجي محمد الترم

تحيةة واحتراما اليكم

واسئل الله تعالى دوام صحتكم وسلامتكم عزيزي من حفظ الله امتنا بجز وصحتنا جيدة  
 واصبر يا ابي الى ان ارجع الي عندكم ولا تكونوا في قلق البال الجهد مع الصبر وان كان  
 عليكم صعوبات ولكن يلزم الصبر مهما يكن واظن ان الأمور يكون في صالحنا والأصل هو دوام  
 الصحة والسلامة وانت الله الى آخر شهر الحالي اصل في خدمتكم ونساور من جميع الوجوه  
 ونقرر الأمور في خصوص الداخلي والخارجي على احسن الوجه ونبهه بأشتغال حسب الأصول  
 ولين دائما وصيته الخادمين ادريس وسعود بقيام خدمتكم ويقولون نحن ما قصرنا على ما في وسعنا  
 بخدمت العم حاجي محمد وعليه اسئل من خدمتكم هل كان جوابها صحيح املا هل لها قاعا برسم  
 الخدمة لشرفكم الكريم ارجو باعلاي عن ذلك واشكركم سلفا واقدم احتراماتي القلبية  
 الى ابي الفاي العزيز والسلام عليكم المجلس اخوكم مصطفى البارزاني

مصطفى

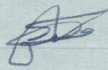
١٤٢٦ ر ١٩٦٦

543  
544والله اعلم  
بالحق  
والصواب

الى حضرة الفاضل اخي العزيز حاجي محمد المحترم

تحية واحتراما

اسئل عن صحتكم وَاَتَمَنُّنْ لَكُمْ دَوَامَ الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ لِلَّهِ الْحَمْدُ صَارَ يَخْفَى  
يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ وَإِنِّي الْآنَ فِي حَالَةٍ حَسَنَةٍ لَا بِأَسْرَ بِهِ عَزِيْزُ الْاَخِ اِنِّي مُشَاقٌّ لِرُؤْيَاكُمْ  
وَلَكِنِ الْمَرَضُ حَالٌ دُونَ ذَلِكَ وَإِنِّشَاءً اللَّهُ عَن قَرِيْبٍ نَزُوْرِكُمْ بِالصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ .  
حَضْرَةُ الْاَخِ الْيَوْمَ جَادَنِي الْبَرْفِيَّةُ مِنْ مَحْسَنٍ دَهْرِيَّةٍ وَيَقُوْلُ فِيهَا اَنْ خَاطَبَ السَّامُوْرَائِيَّ  
رُئَسَ نَقَابَاتِ الْمَحَابِيْنِ يَتَوَجَّهُ غَدًا اِلَى عَمْدِنَا اِسَ فِي يَوْمِ ٧-٧-١٩٦٧ وَيَتَفَدَّى لَعْنَانَا  
وَإِذَا تَرَعْبُونَ وَتَرَوْنَ الْمَصْلَحَةَ فِي مَوَاجِهَتِكُمْ مَعَهُ لَا بِأَسْرَ بِهِ وَلَكِنِ ذَلِكَ سَوَآلٌ مِنْكُمْ  
وَإِسْتِفَارٌ فِي رَأْيِكُمْ لِأَخِي اِنِّي اَعْرِفُ بِأَنَّهُ مَوْجَلٌ غَيْرُ رَجْعِي لِأَسْمُوْرَائِيَّةٍ وَلَكِنِ  
قَدْ كُنْتُ نَاقِشٌ مَعَهُ حَوْلَ رَأْيِي الْعَامِ الْعَرَبِيِّ حَسْبَ مَصْلَحَةِ الْجَمِيْعِ وَعَلَيْهِ أُرِيدُ رَأْيَكُمْ  
بِدُونِ تَحْفِظٍ وَإِذَا تَرَعْبُونَ فَلَكُمْ كَامِلُ الْأَفْتِيَارِ حَوْلَ مَوَاجِهَتِهِ أَوْ عَدَمِ مَوَاجِهَتِهِ  
وَتَقْبَلُ مِنِّي فَائِقُ الْاِحْتِرَامِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكُمْ الْخَادِمُ أَوْفُوكُمْ مَطْفُونُ الْبَارِزَانِي



٦/٧/١٩٦٧

وَأَمَّا قَضِيَّةُ مَجْلِسِ رُئَسِ جُمْهُورِيَّاتِ الْاِتِّحَادِ السُّوْفِيَّاتِيَّ بَنَكُولَانَ بُوْدُكُوْرِيَّ اِنِّي بَعْدَ مَا كَانَ شَيْئًا  
فَجَائِئًا وَلِذَا مَا كَانَ لِأَصْدِقَائِنَا اَنْ يُوَاجِهَهُ . وَلَكِنِ الْاَخِ دَارًا قَدْ قَدَّمَ لِي الرِّسَالَةَ بِاسْمِ نَائِبِ وَكِيْلِ  
مَنْ قَبَادَةَ الثُّورَةِ الْكُوْرْدِيَّةِ وَهَذَا قَدَّمْتُ اِلَى خِدْمَتِكُمْ صُوْرَةَ الرِّسَالَةِ لِتُظَلِّمُونَ عَلَيْهَا .

١٩٧٧/٧/٤

الرفيق العزيز نيفولا يودعوري المحترم

باسم قائد شعبي مصطفى البارزاني أود أن أرحب بخدمكم إلى  
بغداد. آملنا أن تتفضل عنه ما يفيد قوى الحزب والحرر  
وأود أن أعرض على سفارك بأن زيارتكم بحري في ظروف نادر أن تكون  
من أرحمنا أصعب منه. وإن لم تتداركوا الزمور بسرعة وهذا من خسر  
القوى الثورية والمكافحه ضد الاستعمار الكثرة موقعا. وإن الثقافة  
والعمل المشترك للقوى الوطنية والثورية جباهه بكم هي من أكثر الأهمية  
كم من الأهمية المطلقة. ولا تخفى أن دور دولكم الصديقه في هذا السيل  
هو في الحفاظ الدول.

واعتقد بأنه لم يمر طرف أكثر مواتيه لكي تلعب دولكم الصديقه دورا  
سياسيا إيجابيا للتأثير على حكام العراق وحكام العرب الصديقه لكم لتفسير  
نظرم الظالمه والنقصه تجاه الحركة الوطنية الكردية، وربما فتح زيارتكم  
الفرصة لكي تؤشروا على الشؤون المناهضة للإمبرياليه العالميه وحل بصورة  
وعمقاً فيه. وربما تكون قد اقتربنا التي من سرحله تتطبعون من أن تلعبوا  
دورا مباشرا للتحرك في حل المسألة الكردية ديمقراطيا، لتبني للتوجه الكردية  
التعاون مع القومية العربية. والاعتماد المتبادل بينهما في حركة النضال الثورية  
وحسن من جانبنا على استعداد أن نلهم دورنا المتواضع في خدمة الوطنية  
والنقد فيه وعملنا الاستغناء في المنطقه.

وربما أيضا أن يؤثر زيارتكم لبعده ايجابيه على تحقيق الصلح  
على القوى الديمقراطية والوطنية العربية والكردية المؤيدة لكم وحسن فهمهم، والتي  
تعالى كل أنواع الكبت والعتق والظلمة البلد  
وكم كنا نحتره سرفا عينا لدماءكم فدركم لا يمنع من التشنج بتناياتكم في  
بغداد. لتبادل وجهات النظر حول ما يربطنا بيننا من شراكه. ولتجديد العهد على احترامنا  
ومسانتنا وشرح مبادئنا

ترجمتكم مرة أخرى إقامه موقفة في لبنان  
والنظر لصدينا الأستاذ البازي

المخلص  
دارا توفيقه  
فضل مصطفى البازي ---

٥٩٥٠٠٠٠

أخي الفاضل المحترم عزيزي الشريف

بجانب أخوتي فإلهه وافتراضاً لا نقا إليكم

أن داراً قال لي ما تفضلتم ولكن تعرفون حقاً بأننا  
 المتفقين مع جميع القوى الديمقراطية ولا نخالف  
 بأي شيء من الأشياء لأجل مصلحة العام  
 لسبب العراق بأجهمهم والدفاع المشترك  
 ضد الاستعمار ولكن الحساب ما هو بيننا  
 بل بين الحكومة ويتوقف الأمور على حسن بين  
 الحكومة ومعاملتها معنا لا على أساس الدساتير  
 والخيانات فعلية دائماً ان جئناكم أخي الأكبر ورأيكم  
 المصيب ونحن موافقين بما ترون فيه المصلحة العامة  
 وهذا ما لزم عرضاً بأختصار والسلام عليكم

أخوكم البارزاني مصطفى

~~مصطفى~~

١٩٦٤

547

حضرة الأخ الفاضل صديق الحميم عزيز شريف المحترم

تحية أخوية واحتراماً صادقا

إننا نبحر وكلنا في صحة وعافية ونتمنى لكم الصحة والعافية والاولاد كلهم يقدمون لكم الاحترام  
وسلمون عليكم كما يدخلكم بأن الوضع الراهن كما في السابق وحضرتكم عارفة بالجميع وحسب  
الامكان اريد منكم أن تفضلوا الى مكو وتشرح لهم الأوضاع بكاملها وأطلب منهم المساعدة اللازمة  
من حيث المجموع لجميع النواحي وأرجو بقدر الامكان أن تبرأ الصدق من الجبانة وتميز لهم الواقع  
ولاحظة أن ابين لكم لذن المعلومات وا في عنكم والسلام عليكم ونتمنى لكم والاخواننا المخلصين  
الموفقية في أمور الجز لصالح الجميع في جميع الجهات وفي جميع المجالات .

الخلص أذكركم مصطفى البارزاني

مصطفى

١٩٦٤/٩/٢٠

وهذا داخل الطرف التخويل منا اليكم .

حضرة الأخ السيد عزيز شريف المحترم

تحية واحتراماً

لقد آتمردنا عليك بأن تنوب عنا للتفاوض مع الجهات  
الوطنية لبرية الشبيبة والحلومية واليوث في كل مامد سأنه توسطيد  
الدعوة والقضايا بين الشبيبة الصربي والدردي الشقيين  
وسندرب بطل واقفاه يتم الوصول اليه في هذا الخصوص

الخلص

مصطفى البارزاني

مصطفى

٩٦٧/٨/٢٦

عبدرك القطر

١٩٦٧ / ٩ / ٢٥

رسالة السيد

حضرة الأستاذ عزيز المحتار

تحية واحتراماً

أرجو لكم وللعائلة الصحة والحياة اللئنه ، إننا متفقون دوناً  
 قبل أيام كنت في زيارة أخونا الكبير البارزاني ، وقبل سفي  
 كنت أعرف شيئاً بفرمكم الى حبه معلمه ، فقبل مدة استلمت  
 رساله لدينقله إليكم منه أبناء العم يتعلقه بحالة طلب البارزاني  
 من الحكومة لاصار عضو عنكم ، إلا انني أرجعت الرساله الى مصدرها  
 عندما سمعت بخبر فرمكم . ولكني عرفت ان أبناء العم إيجابيين  
 لصد طلب العنود ، ويفقدون موقف البارزاني ، على أن يراعى  
 سلامتكم في لفظه .

مع عننا البارزاني جرى الكثير من التهاديت عنكم ، وقد كان  
 متأثراً جداً لعم استطاعته رؤيتكم بصورة كافية في الفقه الشيخيه  
 بسبب مرضه ، وهو يذكركم بخير ، وقد أخبرني البارزاني  
 بانكم ربما سوف تبقون في دمشق مدة من دون التوجه  
 الى موسكو ، إلا اننا اتفقنا معاً بصدوره فرمكم الى تلده  
 الجبه ولد لفته قليله لشرح وجلت نظرنا لدهواتنا الأغراء ،  
 وكل عقد وشرح التأمل المعقده التي نواجهه ، وتنظيم علاقاتنا  
 كما نعاوننا مصمم في السنه الحاقه القادمة ، على كل حال فإن  
 رسالتى البارزاني المرفقه بهذه الرساله يفرما أقول .



لادب انكم قد سمعتم عن زيارة طاهر يحيى للبارزاني ،  
 وقد دعوت المحكمة كثيراً من الزمراء فبما يتعلق بتنفيذ إنفاقه ، فقبل  
 دخل زمان صلاح الدين وتجريد جماعة الطالباني من السلاح ، وإرجاع  
 العائز الكوردي الى المناطة المستولى عليه من قبل العائز العربي وكما  
 طالبنا ايضاً - وبالغالب تجمع اليه ركة في مناقضه معينه .

اما البارزاني فقد طالب في اجتماعه الخاص بضرورة العمل على تشكيل  
 محكمة ائتلافية تضم جميع القوى الرضوية ، والحنو العام عن جميع  
 الجناح الباسيين .

على كل حال ان الجوسجاً جيداً ، بالرغم بان البارزاني لا يزال  
 نافذ المثل بالحكمة ، وعضواً باربناطاً المشبهه ،

اما فيما يخص مسألة الحنو عنكم فقد الم البارزاني وأكد على هذا  
 الطلب ، وقد وعد ربه الذراء باصدار عنو عنكم ، وقال البارزاني  
 ان له موجود معكم ، فأجابه بالديان الا انني قد بعثته بمهمه  
 خاصه ويرجع بعد أيام .

حضرة الذخ المحتام : - اني اعتقد ان الدفاع العامة في  
 سوريا غير متفره ، وربما تكون اقامتكم فيل غير امينه ، فيرجي  
 ملاحظه ذلك ، وقد عرضت رأي على البارزاني ، ووافقني على ذلك  
 وطلب مني ان انقل موافقته على رأي اليكم .

وأخبرني البارزاني عن تكليفكم بالقيام بالاضاكات مع  
 الجبلت السورية والمصريه والحريه ، من ناحيتي فأنا مستعد

٢  
 لمعتكم من بغداد ، وكذلك لنقل آرائكم ورأيكم الى البارزاني ،  
 أرجو ان تبلغ نجاتي الى ابو عمار ، اننا متاتفون اليه دوماً  
 وقد سبق ان كتبت اليه رساله قبل حوالي السنه ، أرجو ان يكون  
 قد ابله ، وأرجو ان ياعدنا حسب الذمكان ، وللازال ما جاء  
 في رساله بطابقه الظروف اكاله .

البيانات الحفائديه داخل الحزب الشيوعي العراقي قد وصل  
 مرحلة خطيره في القدره النخبه ، وصل الى مصادمات ملحه بينه  
 بعضه الذفوار القيايينه .

هذا وأرجو ان اسمع اخباركم قريباً ، وأرجو ان  
 تبلغوا نجاتي الى الزوجه المحترمه ، والى جميع الذخوف الذعراء  
 وأرجوكم الموفقيه ، وإقامه طيبه ،

المخلص  
 اخوكم دارا نوسه

542

١٩٦٨

هفنة أفرى الضيف المحب المخدم  
 بعد الحكمة والمودة الم  
 نذبولكم دوماً الصحة والمغضية  
 خي أعمالكم دغني بخير و صحة بيدة  
 لو سلمنا - سالتم المؤرضه في  
 ١٠١٨ | ١٩٦٧ ومع الأصف  
 بصراً في حليل بسبب عدم وجود  
 والظن نقل أضيئه ولقد نغنا ما جبار  
 في - سالتم و سالكم على الرجود  
 التي بذ لعونها في إتصالاتكم لسترح  
 وضع كراتمان وموقفنا من اللونه  
 الطامية و أضاف العورة بصوره عامه  
 والعلاقات المعينه الدويه وكيف أننا  
 العورة صمفصالح الصبا الراهي بصوره

542

586

عامه ولسية صله عضويه وبتهدن  
 انضال ضد النظام الدكتاتورس الذي  
 لضطه العرب والأكراد صفاً ونأمل أن  
 لسترحوا في إتصالاتكم وكرصوا  
 ل م و صة نظانا وموقفنا الطالي مع  
 اللونه وكيف أننا أضطرنا إلى  
 القليل من إتصالاتنا مصل بسبب عدم  
 تنفيذها لأي من البنود الواردة  
 في سردج ٥٩ ضيران و كجيت  
 المتزقة للبرئان من الاعتدالات  
 والكرتاء في منطقتنا ونسبو  
 إظلام الإفوان الذين يتصلون  
 بل بأنا مسعدونا على الدوام  
 لقوية أحاصد الصداقه مع الإفوان

العرب وكيف أنَّ الحلة الدرية التورية  
 هي هليفة لكلمة العوبية التورية ولن  
 تتسع الأضدة النجاش والوصول إلى  
 أهداف بصيرة كاملة إلا بتجاوز  
 مع هكتنا وتورنا ونحن من هكتنا  
 مكدون لعل أي شيء يدونه  
 ضابجا للإثبات هنا نيتنا وارفلا هنا  
 ضيا نصول و للعل على توحيد العداجات  
 كد من أي وقت رضا وبكل  
 يؤمن صالح الطرفين ويبر الأعداء  
 في المنطق.

هذا وفي الختام تصلوا فله التقدير  
 والإيماء .  
 الخلف أ فوكم  
 البارزاني صديق

1978/1/10



مصنعة الأفعى العزيزة بحمد الخدم  
 بعد تقيم السلام والاصطدام الضوي  
 أسأل عن صحتكم وأرجو لكم دائماً كل الخير  
 والهدوء كلنا بخير .

وصلتني رسالتكم الدعوية الكريمة وآظمت على ط  
 جاء فيلأ برور وآلهتمام وقد فرحت كثيراً عندما  
 علمت بأنكم قد سافرتم الى بلاد الاصدقاء وكل  
 ما نرجوه أن تتوقفوا في سرح وجهته نظرتنا وأنتم  
 أعرف الناس بها وتتعرون بما نحن فيه من حال  
 وما نفاينيه من مصائب ونرجو أنه نسمع عنكم في  
 المتفيل الصريب أظبار سارة . أمان  
 أظبارنا فقد كلفنا الأفعى أبو آزار أن يكتب اليكم  
 حول التطورات الأخيرة بصورة مفصلة .

نرجو أن تصدوا ، اصطحاباتنا وتمنياتنا القلبية الطيبة  
 الى جميع الاخوان والاصدقاء . لهذا وتقبلوا من  
 أظيم فائقه الاصطدام والتقدير ودعتم موقنين

أصوكم المخلص

مصطفى البارزاني ٦٨١٠١٥



545  
 334 335  
 4  
 334  
 يا دكتور  
 حضرة الأديب العزيز الأستاذ عزيز شريف (عجبتكم) المحترم  
 بعد التحية والسلام والتحيات الطيبة والدعاء  
 لكم بالتوفيق الدائم .  
 لستُ وأنتُم على اطلاع كالم بالأوضاع  
 عندنا وبالمشاكل والصعوبات التي نتعرض نحن  
 لها بصورة خاصة <sup>العراق</sup> رثيب إن بصورة عامة .  
 واعتقد أنه لا داعي لتذكركم بكل زعمت لأنهم  
 يتكلمون المرأة التي تنفك عليها أحوالنا خارج  
 الوطن وأرجو أن تكونوا وكثيراً عنا لعرض الحقائق  
 والوقائع عن الوضع وفي كل ما من شأنه خدمة العرب  
 والأكرار وجميع المواطنين . وفي الختام أجدد تقديم تحياتي  
 القلبية إلى لسة بدارتم موفقين .  
 المحقق  
 أصدقكم صليحة البارزاني  
 ٦٨ / ٢ / ٢٧

**الجزء الثاني: الحرب والسلم في كردستان العراق**

## الفصل السابع: اوليات توسطي من أجل حل المسألة الكردية في عام 1968

### طرح فكرة توسطي من أجل حل المسألة الكردية

كنت مشاركاً في مؤتمر المحامين العرب في دمشق في ايلول 1968، وقد شارك فيه محامون ديموقراطيون من العراق وفي مقدمتهم عبد الوهاب محمود صديقي القديم نقيب المحامين. وكانوا يوجهون نقداً إلى البارزاني لموقفه من السلطة الجديدة بعد إنقلابها على حليفها زمرة عبد الرزاق النايف في تموز 1968.

ولأهمية التطورات الجديدة قررت تحرير رسالة إلى البارزاني من دمشق في 23 - 9 - 1968. وفي ادناه اهم ما ورد في هذه الرسالة:

"لقد أثار إنقلاب 17 تموز شكوكاً قوية بكونه مرتبط بالإستخبارات المركزية، لأنه حدث بعد توقيع عبد الرحمن عارف على إتفاق القيادة العسكرية الشرقية المشتركة مع سورية، ولأنه وقع بمشاركة زمرة عبد الرزاق النايف المعروف بصلاته مع هذه المخابرات.

أما بعد إنقلاب 30 تموز وإقصاء زمرة النايف فإن اسئلة ثلاثة تفرض على الملاحظ بشأن هذا الحكم: أولاً هل سيواصل ما بدأ بشأن الإنفتاح وصولاً إلى قيام علائق ديموقراطية في البلاد؟ وهذا ما لا يتوقع من المنظور الحالي. اما السؤالان الآخران فإنهما يتطلبان الجواب منذ الآن. وهما هل تلتزم السلطة الجديدة بإتفاق القيادة الشرقية المشتركة وتعمل جادة في سبيل التضامن العربي لمجابهة العدوان الإمبريالي الإسرائيلي؟ وهل ستعمل جادة في سبيل حل المسألة الكردية؟

ويهمني ان أوكد على السؤال الاخير. فينبغي ان لا نسمح للسلطة بأية ذريعة تتذرع بها لتشديد التوتر وتحميلها مسؤوليته. فينبغي ضبط النفس وعدم السماح بأي عمل من جانب القوات الكردية من شأنه ان يشرك هذه الحركة في مسؤولية التوتر. إن الرأي الديموقراطي العام ينظر بقلق إلى مسرح العراق وينظر بوجه خاص إلى موقف البارزاني في هذا الظرف الحرج".

وذكرت في رسالتي انني لم اقدم رسالته إلى المسؤولين في دمشق بشأن عدم مباشرة الحرب ضد الجيش العراقي إذا ما إشتراك في حرب ضد إسرائيل إلا في حالة الدفاع وإستنفاد كل الجهود لتجنب الإحتكاك او القتال. ذلك انها كانت متقلة بالتهم على حكومة زالت وهي حكومة عبد الرحمن عارف ولأنها خلت من إستنكار العدوان الإسرائيلي. وبينت له "إن الحجة اصبحت اليوم اشد إلحاحاً لضمان تضامن القوى العربية مع حركة التحرر الكردي بقيادنتكم." وذكرت: "أن الاعداء كانوا دوماً يتهمون هذه الحركة بإتهامات لم تكن خافية عليكم. اما اليوم فإن الاصدقاء يتسائلون بعد الإجراءات الإيجابية التي حدثت على سبيل إطلاق سراح الموقوفين والسجناء السياسيين، وبخاصة ما بدا منكم من تشدد تجاه الحكم بعد إنقلاب 30 تموز. وعلى كل: فإذا لم نأخذ درساً من إتهام العدو فليس من الصواب تجاهل تساؤل الصديق".



شاركت في المؤتمر العربي الثاني الذي عقد في القاهرة. وكان في ظن الوفد القادم من بغداد انهم وحدهم لهم حق تمثيل العراق. فوجدوا ان قيادة المؤتمر وهي من مجلس السلم العالمي، غير ما كانوا يرغبون، إذ اصبحوا يوسطوني لقبول هذا العضو اوزاك من اتباعهم.

ثم جاء عبد الستار الجوارى وزير الاوقاف واصبح الإتصال بيني وبين الجوارى كثيراً. فأفصحت له عن رأيي فيما أعلنت عنه السلطة الجديدة بخصوص حل المسألة الكردية والدعم للحازم لنضال الشعب الفلسطيني.

وكانت خلاصة رأيي: أن كل حديث عن دعم فعال لنضال الشعب الفلسطيني من جانب العراق إنما يتوقف أولاً على حل المسألة الكردية لتحرير الجيش العراقي للقيام بهذا الواجب، بل ولإستعادة تضامن الشعب الكردي مع حركة التحرر العربي ضد الإمبريالية، كما سعى إلى ذلك البارزاني وخولني بالإتصال والعمل في هذا السبيل مع من امكن من قادة البلاد العربية.

وثانياً — تصفية الوضع السلبي بين العراق وكل من سورية ومصر، بلدي المجابهة مع إسرائيل. وإقترحت على الوزير ان يبلغ المسؤولين عن إستعدادي للتوسط مع قيادة الحركة الكردية لهذا الغرض. فوعدني بذلك. ومر وقت طويل ..... ثم قدم الدكتور عزت مصطفى بزيارة لمصر. فعرضت عليه ما عرضت على الجوارى فوعد ..... وبعد إنتظار طويل حاولت الإستفسار عن رد حول الموضوع. فأعلمني السفير ان امراً وصلهم من بغداد، وأنهم كانوا ينتظرون حضورى، فأصدر لي جوازاً للعودة. وكنت قد وقعت مريضاً فسافرت إلى برلين للإستشفاء.

عدت إلى بغداد في ايار 1969. إستبقاني ضابط الجوازات بعد ان إنتهى من معاملات جميع الركاب. وكان صحبي الذين جاؤا لإستقبالي ينتظرون بقلق وقد ادخلني غرفة اخرى. سألتني بجفوة "أين كنت في غيابك ... وكيف عدت؟ أجبت بإقتضاب وعدم مبالاة: هذه امور تخص الجهات التي امرت بمنحي جواز السفر. ولم ازد .... وبعد صمت وتأفف سلمني الجواز وسمح لي بالخروج.

### اهم العوامل الدافعة إلى التفاوض بالنسبة إلى سلطة البعث الثانية

بتعاضد اعباء الحرب وتفاقم مضاعفاتها الإقتصادية والسياسية على كل من الحكومات المتعاقبة وعلى القيادة الكردية معاً. وبتعاضد خطر حكومة الشاه على العراق وتزايد غطرسة مخابراته على القيادة الكردية. وفوق ذلك وهذا تعاضدت وطأة تخريبات الحرب وآلامها على الشعب الكردي خصوصاً وعلى الشعب العراقي عموماً. ولكل من هذه الموضوعات تفاصيل تم التنويه بها في مواضعها. وإنما اوجز فيما يلي خلاصة نتائجها.

اولاً حرب 1961 — 1963: منذ الايام الاولى لتوريط الزعيم عبد الكريم قاسم بالحرب التي مهد لها ودفعه إليها اعداؤه، اعداء الجمهورية العراقية الاولى. قال كلمته الشهيرة "قضينا على العصاة في ثلاثة ايام بدلاً من ثلاثة اعوام". وقدعبر بهذا عن الذعر الاولي الذي احدثه قصف الطائرات النفاثة

العشوائي وتقدم الجيش بالدبابات والمدفعية. وإستمرت الحرب على تزايد في خسائر الجيش وإنحياز بعض ضباطه سراً إلى جانب الكرد. وتدهور الإقتصاد الوطني حتى كانت النهاية المأساوية بالقضاء على ما بقي من ظل لجمهورية 14 تموز.

كان وصول البعثيين إلى السلطة في دمشق في آذار 1963 عنصراً هاماً في ظهور التناقض بين القوى التي ساهمت في إنقلاب شباط 1963. وبإستئناف الحرب في 10 - 6 - 1963 اخذت التطورات السلبية بين قوى سلطة شباط بالتعمق، مما يسر الإنقلاب الذي قاده عبد السلام عارف وزمرة الضباط الملتفين حوله في 18 تشرين الثاني 1963.

وقد واجه العهد الجديد اعباء الحرب المتزايدة. وغيّرت القيادة العسكرية التكتيكات العسكرية دون جدوى. كما كانت القيادة الكردية تعاني من مضاعفات الحرب. فكانت هدنة 10 شباط 1964. ثم العودة إلى الإقتتال ثم بيان ايار 1966. غير ان البيان لم يوطد السلم بسبب المجابهات العسكرية الجانبية بين قوات جلال الطالباني وقوات القيادة الكردية. وبخاصة ضمن الصراع على السلطة في بغداد. وقد تكررت تلك المجابهات حتى قبيل عدوان حزيران 1967 وبعده، وحتى بعد مجيء البعثيين إلى السلطة وإنفراهم بها في 30 تموز 1968.

لقد كانت قيادة البعث في عام 1968 مركباً جديداً متكوناً بإيجاز من الجناح المعتدل العملي من حزب البعث يقوده الرئيس احمد حسن البكر والملتفين حوله وكثرتهم من الضباط. وقد رأى هذا الجناح، وكانت له القوة الحاسمة، ضرورة الإستفادة من تجربة ردة شباط 1963 وإنهاء الحزب إلى العزلة والتمزق وضياع السلطة، فعمل للإنتفاح على القوى الديمقراطية من موقف تجريبي. وإلى جانب هذا الجناح عناصر كانت تعاني تحولاً ايدولوجياً نحو الديمقراطية، وكذلك عناصر لا تستسيغ الإرهاب. كما ضمت هذه السلطة عناصر مصرّة على رجعيّتها وحقدّها على كل ما هو ديموقراطي وفي مقدمتها صدام حسين. وبإيجاز كانت هذه السلطة الجديدة تجمعاً غير منسجم وإن كان الدور الاول الحاسم في البدء للجناح الاول. فكانت الدعوة إلى الإنفتاح بتأثير ذلك الجناح والقوى المؤيدة له.

أيدت الحكومة بيان الهدنة الخاص بحكومة البزاز في 29 حزيران 1966 معلناً بذلك عزمها على إحلال السلم في كردستان. وفي ايلول 1968 اعلن العفو عن المعتقلين السياسيين وقد قدرت الصحافة عددهم بنحو 1000 شخص وكثرتهم من الشيوعيين او ممن إتهموا بالشيوعية من الديموقراطيين المتعاطفين مع الحزب الشيوعي. واغلق سجن نقرة السلطان. وفي 12 ايلول اعلن حق اللاجئيين خارج العراق بالعودة إلى الوطن. وصدر قرار الحكومة بالعفو عن الجنود والضباط الكرد الذين رفضوا القتال ضد الشعب الكردي وفروا من الجيش. ووضعت العسكريين منهم في وظائف مدنية. (وفي تجربة لي لم يكن هذا الإجراء شاملاً). وقررت الحكومة إعادة المفصولين لأسباب سياسية إلى أعمالهم في دوائر وأعمال الدولة وكانت فيه إستثناءات في التطبيق. والغيت ضريبة الدفاع الوطني، وخفضت الضرائب الاخرى على فئات الشغيلة ذوي الدخل المحدود.

وفي تموز 1969 صدر قانون الضمان الإجتماعي وعلى سبيل سياسة الإنفتاح أجازت السلطة للحزب الشيوعي إصدار مجلة الثقافة الجديدة. وقامت السلطة بإجراءات تقديمية أسرع وأوسع في العلاقات مع العالم الاشتراكي والقوى التقدمية الأخرى. وسنرى إنجازات إيجابية أخرى سواء في العلاقات مع الدول الاشتراكية أم بالنسبة إلى القوى الوطنية.

لم يكن إنفتاح السلطة سياسة منسجمة بالنسبة إلى الحزب الشيوعي وإنما كانت تجري إلى جانبها حوادث قمع، وقوام هذا الجانب من سياسة السلطة القوات الخاصة المرتبطة بصدام حسين والمنوط بها القمع السري والقوات المرتزقة.

فمن نشاط (قوات القمع الخاصة) التي كانت تقوم بأعمالها سراً، وأحياناً علانية أيضاً. فلقد اطلق الرصاص في 5 تشرين الثاني 1968 على عمال معمل الزيوت النباتية الذين كانوا مضربين إضراباً إعتصامياً، فسقط منهم قتيلان وعدد من الجرحى. وفي الذكرى الحادية والخمسين لثورة اكتوبر (7 تشرين الثاني 1968) اطلق مجهولون الرصاص على المجتمعين في ساحة السباع فسقط منهم ثلاثة شهداء وعدد من الجرحى. وفي حزيران 1969 اغتيل الشهيد ستار خضير عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي. وبعده تم إختطاف عبد الامير سعيد عضو الكادر الشيوعي. وكانت اصابع الإتهام توجه دوماً إلى القوات الخاصة المرتبطة بصدام حسين رغم ان رجال الحكومة ينكرون ذلك.

وقامت الحكومة بخطوات أسرع وأوسع في العلاقات مع الدول الاشتراكية. ففي نيسان 1969 تم الإعتراف بالمانيا الديمقراطية وإقامة علاقات دبلوماسية كاملة معها. وكانت اول دولة قامت بهذا الإعتراف خارج الدول الإشتراكية. ثم إعترفت بالحكومة المؤقتة لجمهورية فيتنام الديمقراطية. وعند تأسيس الحكومة الثورية المؤقتة كلفتني الحكومة بواسطة شفيق الكمالي إذ كنا في وفد مشترك في مؤتمر السلم العالمي في برلين، فابلغت وزيرة الخارجية مدام فينة بإستعداد العراق للإعتراف بهذه الجمهورية. وقد تمت بعد ذلك الإجراءات الرسمية للإعتراف.

وواصلت السلطة سياسة التعاون مع الدول الإشتراكية. ففي الاول من ايار تم الإتفاق مع بولندا على تطوير صناعة الكبريت. وفي اواخر ايار عقد ميثاق التعاون مع المانيا الديمقراطية التي وافقت به على إقراض العراق 30 مليون دولار لإقامة معمل لوزارات النفط والإصلاح الزراعي والمواصلات ووزارة الشؤون البلدية والقروية. وفي 5 تموز 1969 تم توقيع إتفاق التعاون الإقتصادي والفني مع الإتحاد السوفياتي وكان مواصلة للإتفاق الاولي الذي تم في عهد العرفين.

### حاجة الجماهير الكردية إلى السلم

لقد كانت للحرب في كردستان مضاعفات متعددة الجوانب. فإضافة إلى التأريخ الاقدم المرير، تطورت وتفاقت محصلاتها السلبية طوال الاعوام التسعة منذ إنفجارها حديثاً في فترة إنتكاسة الجمهورية الاولي. وان هي مرت في فترات فتور ومحاولات للهدنة وحتى إتفاقات، فإنما كانت فترات سلام قلق.

لقد كانت معانات الجماهير الكردية من مآسي الحرب كبيرة. إذ كان إنتقاص الحقوق الديموقراطية لمجموع الشعب العراقي في فترات السلم ينعكس مضاعفاً على الشعب الكردي. ففي ظروف التوتر والحرب يتقلص ما قد يكون في ظل الحرية النسبية في البلاد جميعها. فينعكس ذلك على الشعب الكردي بمضاعفات لا يمكن تحديدها، حيث تسود لغة المدفع والحصار الاقتصادي وتتفاقم شراة تجار الحرب من كل صنف: بدءاً من رؤساء الإدارة المحلية وكبار ضباط الجيش إلى المرتزقة المأجورين وإلى المهريين بين جانبي خطوط المجاهبات العسكرية.

وقد وقفت بنفسي على بعض ما كان من إحراق القرى والمزارع التي تجري حولها المجاهبات العسكرية، وحتى المراعي التي يقرر قائد الجيش انها مفيدة لحركات الانصار. ومن ذلك استعمال قنابل النابالم .... إلى إبادة قطعان الماشية وتعذر الزراعة في مناطق وإستحالتها في مناطق اخرى. وبقاء محاصيل التبغ دون إمكان تصديرها موسماً بعد آخر، وهي مصدر عيش الفلاحين وتوفير حاجاتهم في بعض المناطق — إلى إنتشار الامراض الضارة بالبشر والمحاصيل بسبب إهمال المكافحة وتفشي الامراض وفي مقدمتها الملاريا — وهي في الغالب الملاريا الخبيثة — والديزانتريا وحتى الكوليرا (كما حدث في بعض المناطق في الستينات). وتعذر الحصول على الدواء او مراجعة الطبيب إلى الحرمان من الدراسة .... إلى إستباحة القرى من قبل القوات المرتزقة.

وكان لتوقف الخدمات الصحية بسبب الحرب آثاراً مدمرة. فعلى جدار قرب ناوجاليكان كتبت العبارة التالية "تمت المكافحة با (دي دي تي) في تموز 1961" أي قبل شهرين من بدء الحرب المعلنة. معروف ان مكافحة الحشرات كانت متواضعة على امتداد العراق كله. وهي اكثر تواضعاً في كردستان. ومع ذلك إنقطعت حتى تلك الجهود المتواضعة منذ ذلك التاريخ. ونظراً إلى إهمال تنظيف المجاري وإعادة ترميمها — كما يتطلب الامر كل عام بعد إنحسار الثلج — كنا نجد المياه متجمعة عند الينابيع في برك كبيرة. وقد إختلطت بها فضلات حيوانات السابلة الذين يردون تلك الينابيع. ومنها يشرب الناس.

وفي برك الماء الساكن يعشعش بعوض الملاريا. وقد كانت متفشية في قرى عديدة. فعلى الطريق من شمال شرقي البلاد (منطقة حاجي عمران) إلى شمالي غربيها (منطقة زاخوا) تتكرر امام العابر مناظر بؤس المرض بالملاريا، اينما وجدت ينابيع الماء. فهذا شخص نائم على الطريق، يذكر انه مصاب بالملاريا وينتظر من قد يمر ويعطيه كنيماً. وقد كنت ادعى إلى البيوت في بعض القرى فيطلب إلى ان اعطي كنيماً لمرضى يقولون إنهم مصابون بالملاريا. وكنت اصحب معي كميات من الكنين — لاقدمها لاولئك المرضى — على غير إعتقاد مني بجدوى مثل هذه المعالجة العابرة، وإنما كنت اجد فيها مساعداً نفسياً لهم.

كان في احد مراكز البيشمركه صبي في الثالثة عشر من العمر يساعدهم بإحضار الماء والحطب وبما لاتحصى من الخدمات. وذات يوم إنفجر بالبكاء وصار يدعوا الله ان يقضي على عبد السلام عارف.

سألته لماذا؟ قلال انه إضطر إلى ترك بلدته مع من تركها عندما بلغتها الحرب. وانه حرم من الدراسة منذ ثلاثة اعوام ولولا ذلك لأصبح في الصف ...

وكنت إقترحت على البارزاني ان يفتح مدارس لاولاد القرويين وأن يرسل إلى الخارج من امكن ولا سيما من اولاده للدراسات الجامعية. ولكن ذلك كان خارج افضليات الحركة المسلحة.

في إحدى القرى كان فلاح يقطع اغصان التوت لينظم عليها اوراق التبغ، فسقط وإنكسرت إحدى ذراعيه. زرته ذات يوم وكان يتكلم الكردية فترجم الحاضرون لي ما قال: إنه يدعو الله ان يميت عبد السلام عارف او ان يتوحد هذا البلد فيكون جميعه تابعاً للبارزاني او لعبد السلام عارف. وجواباً على سؤاله قال ان ذراعي كسرت وهذا لايمهم فإن ذراع المرء تكسر وتجبر. ولكن المهم اننا نعمل دون جدوى. واثار إلى جوانب كوخه مبيناً - ذاك هو محصول التوتون (اي التبغ) قبل عامين. وذلك محصول العام الحالي. وليس لنا امل في بيعه وتلافي حاجتنا.

وقد كان لتعطيل تصريف التبغ إحدى النتائج الحربية المرموقة. ذلك ان إقطاعي قلعة دزة الذين إشتهرت حقولهم بزراعة التبغ قد ضاقوا ذرعاً بتكدسه عاماً بعد عام، فتآمروا مع الجيش العراقي. وبدلاً منهم تم عبور القطعات العسكرية الميكانيكية من بحيرة دوكان وإحتلال مناطقهم.

أما المنظور المحدد فشيئ آخر. عند بدء حرب 1961 حلت حالة رعب وإنهيار معنوي. إلا انه بعد إسترداد العزائم من جانب المتمردين الكرد أخذ قادة الجيش في المواقع الامامية يتصرفون حسب شهواتهم. ومن ذلك ما قصه لي اهل قرية شيارة الواقعة قرب دربندخان. إذ قالوا وقعت في عام 1962 خسائر للجيش في كمين نصبه الانصار غير بعيد عن قريتهم فنقدم إلى القرية الزعيم صديق مصطفى أمر اللواء العشرين بنفسه على رأس قوة وأمر بالقبض على جميع الرجال وكانوا تسعة عشر رجلاً. فأمر بقتلهم جميعاً بالرشاش.

اما قيادة الجيش بعد إنقلاب 1963 فكانت تاكتيكاتها الحربية اشد عنفاً وأشمل. إذ خطت على اساس الزحف المنظم بجميع الاسلحة، الطيران والمدفعية والمشاة. وما يعبرون عنه (بتمشيط المناطق التي يتم الإستيلاء عليها). اي القضاء على اي اثر للمقاومة. وقد شمل ذلك إحراق اكواخ القرويين لإشاعة الرعب وتطويق (قوات المتمردين) في الوقت ذاته.

وقد قص عليّ الشيخ احمد كيف جرى إحراق اكواخ إحدى القرى قبل وصول الجيش إلى بارزان بمثابة إنذار للبارزانيين. فهربوا بعوائلهم إلى الجبال. وقد ذكروا لي عند مروري بمدينة السليمانية ما يلي: كان الزعيم صديق مصطفى ذاته أمر اللواء العشرين عند إستئناف الحرب من قبل حكومة ردة 1963 قد اعلن يوم 9 حزيران منع التجول في مدينة السليمانية وجمع 167 رجلاً وأمر بإعدامهم بالرشاش فاودعوا في حفرة جماعية. وبعد فترة حاول ذووهم التعرف قدر الامكان على جنث قتلهم لينقلوا إلى قبور منفردة.

وهكذا تبدو السخرية، القائد العسكري ذاته يقتل الشعب الكردي بإسم الجمهورية الاولى. ثم يمارس عملية القتل ذاتها بإسم السلطة التي قضت على هذه الجمهورية.

وفي عهد العارفين تغيرت التاكتيكات العسكرية المركزية. إذ اصبح الاسلوب السائد تحصين مواقع عسكرية (ربايا) وربطها بالطرق لتسيير القوافل العسكرية بينها. ولكن اساليب امراء الجيش في المواقع لم تتغير. وكذلك الامر بالنسبة الى اساليب زعماء المرتزقة. فبعد معركة هندرين 1966 كان غانم مصباح الامين أمراً للواء العشرين. وإذ تقدم الجيش إلى سرجاوة قرب دربندخان خرج اهالي القرية بمن فيهم من شيوخ ونساء وبأيديهم المصاحف لطلب الامان. فأمر بتجميعهم ووجهت إليهم الرشاشات. وقد قيل ان الذين ابيدوا بهذه الحادثة قد بلغ عددهم مائة وأربعة رجالاً وإمرأة.

وفيما يلي نماذج من برقيات رسمية بشأن استعمال قنابل النابالم المحرمة في الحروب بين الدول. فكيف استيبح استخدامها من قبل حكومة ضد مواطنيها.

اما ما كان يجري من إحراق القرى والمراعي بمختلف وسائل الإحراق، وهي لا تخص عهداً من العهود وإنما هي اساليب الجيش في العهود المختلفة وكما يتبين من البرقيات ادناه:

#### البرقيات العسكرية

— من طيران الموصل (التجهيز) العدد 89 — ج — ت: 8 — 3 — 1966 — إلى طيران دفاع (التجهيز) وفق 4 كتاب فق 4 96 — السري وعلى الفور في 5 — 3 — 1966. حاجياتنا:

1 — (20) نابالم حارقة 2 — (10) نابالم انفجار عالي. نرجو سرعة تأمينها وإعلامنا.

— من قوة عبد الرزاق العدد 31 — ت: 14 — 3 — 1966 إلى ل 27 وقوة دربندخان وصلت الطائرات وباشرت بقصف القرى. نرجو من قوة دربندخان استخدام المجال الجوي للدلالة على الاهداف إضافة إلى استخدام قنابل الدخان المرمية من قبل قطعائنا. نرجوا من قوة دربندخان انباءنا الاستلام والتنفيذ.

— مقر ف 3 ل — 4 الرقم — ق — 4 — 6 — 70 التاريخ 20 — 4 — 1966.

إلى السيد الأمر الموضوع — معلومات طبوغرافية عن منطقة بديس — رولة كتاب لواء المشاة الرابع عن طبوغرافية منطقة بديس — رولة يرجى الإطلاع.

توقيع

المقدم الركن

إبراهيم كامل كوثر أمر ف 3 ل — 4

المعلومات — 3 — اهداف المدفعية:

ا - ..... ب - يستحسن ضرب المناطق المذكورة بقنابل (الناپالم) تعقبها المدفعية بمزيج من قنابل الدخان والمهداز.

### برقيات من مقرات المقاومة الكردية

— إلى — م. ت — بارزاني — كافة المقرات — صوت كردستان

من — لشكرا العدد — 180 تاريخ 20 — 3 — 1966

في يوم 18 — 3 — 1966 قصفت طائراتا هنتير منطقة الدوسكي فقتلت ستة اطفال وجرحت اربعة عمر اكبرهم خمسة سنوات وفي يوم 19 — 3 — 1966 قصفت طائرتان ميك منطقة برواري بالا فجرحت امرأة عجوز وقتلت قطيع من الاغنام العائدة للفقراء. هذه هي جرائم عارف الذي يدعي الإسلام.

مفتوحة

— إلى — م. ت — مكرر البارزاني — مكرر إدريس

من — لشكرا العدد — 204 ت 27 — 3 — 1966

في فجر يوم 30 — 3 — 1966 طوقت قرية كاني بردينه من قبل العدو وبضمنها 4 دبابات وقاموا بأعمال بربرية من القتل والسلب وحرق قسم منها سنوا فيكم بتفاصيلها عند ورودها إلينا وهذه حرمة وقدسسية الاعياد عند حكومة عدو السلام.

مفتوحة

— إلى بارزاني. م. ت — كافة المقرات

من — هيزي خه بات العدد — ف ت — 12 — 4 — 1966

في صباح هذا اليوم تقدمت مرتزقة عارف من الجيش والجاش في معسكر سيد صادق إلى قصبة خورما الأمنة وبإسنادهم الدبابات. وقد طوقوا القصبة على المواطنين بالجملة كما نهبوا وسلبوا ما في الدكاكين والبيوت وبعد ذلك احرقوها. كما قتلوا المواطنين بالجملة بعد القبض عليهم وتنفيذ حكم الإعدام بحقهم. وقد بلغ عدد القتلى تسعة بضمنهم طفلان. كما جرحوا عدداً كبيراً من الشيوخ والنساء والاطفال واثناء عودتهم إلى سيد صادق احرقوا قريتين كردكو وتيه ريزيتو الموجودتين على الطريق العام بعد نهبها، وقتلوا آخر في قرية كردكو. هذه هي إشتراكية وديانة عدو السلام.

مفتوحة

— إلى — هيزي قوة داغ — بارزان — م. ت. كافة المقرات

من — ب 9 هيزي قره داغ العدد — 57 ت — 14 — 4 — 1966

في يوم 12 - 4 - 1966 تقدم جحفل فوج مع عدد كبير من الجحوش تساندهم الدبابات والطائرات في منطقة شيخان في قضاء طوزخرماتو وتوجهوا إلى سيد ناصر وكوره مور السفلى والعليا وقرية جاز وبدأوا بالسلب والنهب وحرق القرى الآمنة وتصدت لهم فصائلنا فصيل اول بقيادة عريف عزيز وفصيل الثاني بقيادة باوه سليمان ومحمد عزيز خسرة. ودامت المعركة من الساعة 9 صباحاً حتى الثانية بعد الظهر. تكبد العدو خسائر كبيرة بالارواح. مكاسبنا 6 قنابل هاون عقدة (2) مع باتري لجهاز اللاسلكي وكما تركوا خوذة فولاذية في ساحة المعركة. خسائرنا شهيد واحد وهو البطل محمد امين.

مفتوحة

— إلى البارزاني — ت. م — كافة المقرات —

من — ب 6 بيتواته العدد — 112 ت — 26 — 5 — 1966

في 25 - 6 - 1966 تمكنت ابطال العروبة والإسلام في غفلة الزمن الدخول بدباباتهم وبحماية طائراتهم ومدفيعتهم إلى قرية سرجاوه وأحرقوا الدور ونهبوا ما فيها وقد تمكنوا من قتل (23) شخصا كلهم من الشيوخ والعلماء الذين إلتجأوا إليهم رافعين القرآن طالبين الرحمة فما كان من جنود المسلحة الذي يعلن عن صلاتهم بالرادو إلا ان أخذوا القرآن وقذفوه أرضاً وقتلوهم بنيران رشاشاتهم ومن بينهم إمرأتان فمرحباً بالعروبة والإسلام ويدعيان الوحدة الوطنية وعندما تصدى لهم قواتنا لاذوا بالفرار كالجرذان المذعورة تاركين قتلاهم وراءهم لايلون على شئى هذا نموذج بسيط من بطولات جيش ومرترقة عارف والبرزاز الذين يتبجحان بسيادة القانون والإستقلال ولكن لا بأس فان يوم الحساب قريب.

وبعد آذار 1970 كنت امتطي طائرة عمودية. فطلب إليّ قائدها ان اجلس إلى جنبه وأشار إلى الحقول والمراعي المحروقة وكان يقبلها بإشارة بيده على فمه في الهواء. وقال كانت هذه الجنة لولا الحرائق. وقد صادف إحتباس المطر في اوائل ربيع 1970. ولكن بعد أتفاق آذار بفترة قليلة هطلت امطار غزيرة. فكانت تلك مصادفة حسنة. وإذ كنت اعود إلى المنطقة في ايار 1970 كانت الاعشاب تغطي الرماد. وكان القرويون والقرويات يسوقون قطعانهم وورائها صغارها. لقد كان منظراً رائعاً من عودة الحياة.

**التهجير:** لم نذكر صوراً من التهجير من ضمن صور لمآسي الشعب الكردي. رغم ان اللجوء إلى التهجير او الإبعاد كان وسيلة السلطة المركزية منذ عهود طويلة. وإنما يهمننا منها ما تم بدءاً من إنتكاسة سلطة جمهورية 1958 وعبر متغيرات الحكم حتى اليوم. ولقد بلغ احياناً كثيرة فضائع ممارسات وحشية لا إنسانية. إذ يتم إقتلاع عوائل او قرى بأجمعها وإبعادها عن محل عملها وحرمانها



من وسائل رزقها والارض التي عاشت عليها جيلاً بعد جيل ... ونقلها احياناً إلى مناطق لم تألف مناخها. كما تم احياناً إبعاد المهجرين كلياً خارج العراق. ويتعرض المهجرون احياناً إلى السجن وحتى الموت.

**فضائع القوات المرتزقة:** لقادة القوات المرتزقة طرائقهم في إستباحة القرى. فقد قص علي اهل قرية (هالو نصاري) ما حدث لهم في الحرب في عهد الجمهورية الاولى. قالوا وقع الهجوم علينا في كانون الاول 1961 من رئيس قوة كردية نظامية (جاش) قتل من الرجال ثلاثة اثناء الهجوم وأسر منهم عشرة. إذ لم تكن لديهم ما يدفعونه فدية. وذكروا اسمائهم: زيا إسخاريا، دلفيد سادا، إختيار كيوركيس، مرقوس لازر، حيواً وردا، وردا كيوركيس، هو فاشا، كيوركيس مندو، يونان صليو، يوخنا صليو، دنخا جندو. ولم يعودوا، إذ تم قتلهم اثناء الاسر. ولم تكن القرية منتمية إلى الإنتفاضة او إلى الحكومة. وإنما كانت محض ضحية يسيرة لقائد الجاش. ومثل هذا قص علي اهل قرية (سردشت) الذين فقدوا سبعة اشخاص عند الحصار وثلاثة اسرى قتلوا، وكذلك قرية (خوارا). هكذا كانت وحشية الحرب على القرى المسيحية مضاعفةً.

في بارواري قص علينا اهل القرية التي مررنا بها مايلى: قالوا كان عبد العزيز ملو خارجاً على الحكومة — دون إنتماء إلى (الثورة) وذلك بسبب جريمة إرتكبها ضد إحدى العوائل الاورستقراطية في (الموصل) كانت قد إستعانت به بعد تمرد الشواف. وبقي يمارس في المنطقة غزو القرى والنهب وفرض الفدية على الرجال. ولما إشتدت وطأته على اهل القرية تم إخبار السلطة عن منطقة تواجده. فأخذت السلطة تطارده. وقد وقع حدسه على ان الإخبار كان من قريتنا. فدخل القرية وجمع الرجال الذين كانوا فيها وفرض عليهم مطالب بفتح الفدية عن كل رأس. وبينما كان الرجال يجمعون النقود ويسلمونه ويرجون العفو او إنقاص مقدار الفدية عن بعض .... تضايق فأمر رجاله دون مبالاة بإطلاق النار. فقتلوا جميع الرجال دون تفريق بين من دفع الفدية ومن لم يدفعها.

وإذا كان مروري بقرية ديريون في طريقي الاول إلى دمشق. قص على اهل القرية ما عانوه عند إستئناف القتال عام 1963. فبينوا لي مايلى:

جاء محي الدين الهيركي مع الجيش السوري وإحتل القرية بحجة ان احد جماعته كان يصلي عند العين المجاورة، فاطلقت عليه رصاصة لم تصبه. وإذ دخل القرية لجأ الناس إلى الكنيسة. فنهب جميع الاغنام ومحتويات البيوت. وقد قتل الشخص المدعو نيسان اوشابه وأسر اربعين رجلاً ممن لجؤا إلى الكنيسة وساقهم إلى ربية الجيش، وهناك مات منهم رجلان تحت التعذيب هما (صبري فتحي) و(جوكه متي). وقد اعاد جثتيهما للإرهاب. ولم يجرء احد على دفنهما.

وفي العام ذاته جاء زبير محمود اغا الزبياري وإحتل القرية. وقد اباحها ما عدا الإعتداء على النساء — وكان ممن قتلهم (شماس إيليا وكولان كوورة له) زوج شبيته. وشبيته هذه إمراة بخلت عليها

الطبيعة فيما تزهر به النساء. اما المجتمع فكان اقسى. كانت عند مروري تخدم عند اخيها مختار القرية وتقدم العلف للبقر وتنظف الإصطبل وتجلب الماء من العين وما لا يحصى من الاعمال اليومية. وإلى جانب كل هذه المآسي كان على الفلاح تحمل أعباء البيشمركة. لا سبيل إلى المقارنة بين الاعمال الإجرامية التي كان يرتكبها مرتزقة الحكومة والمجازر التي نفذها بعض قادة الجيش من جانب وابعاء البيشمركة من جانب آخر. ولكن لم يكن البيشمركة منزهين. فمن المرتزقة الذين ارتكبوا الفضائع في عهد سابق اصبحوا قادة بيشمركة. فهل تبدل هؤلاء بين عشية وضحاها منذ ان غيروا الولاء من جانب إلى آخر. فإذا كانت ظروف هؤلاء في ظل قيادة القومية الكردية لا تسع بالمجازر والإستباحة، فإنهم كانوا يشبعون نهمهم بصور اخرى وإن كانت اقل وحشية في ظاهرها.

وفي طريقي إلى سورية في صيف 1967 بينما كنا في منطقة بروراي بالا – التي تكثر فيها اشجار الفاكهة ، كنا نقرب من إحدى القرى المسيحية. وقد شهدنا في الطريق صبيين دون العاشرة من عمريهما يحملان سلة صغيرة من المشمش. وكانت من اوائل طلائع الموسم. تناول السلة احد مرافقي البيشمركة من الصبيين وافرغها في كيس لديه دون كلام. ولعجبي لم يبك الطفلان ولعل الخوف افقدتهما القدرة حتى على البكاء. فأعطيت الطفلين نقوداً، تسلماهما بنظرات من فوجئ بمعاملة لم يألفها. دخلنا القرية وتوجهوا للإستقرار في احد البيوت. رحب بنا اهل الدار على تضاييق محسوس. وتظاهرت إحدى النسوة بأنها تريد ان تمسك بدجاجة لتهدئ لنا منها عشاء. حلفت أننا لن نأكل شيئاً، وإنما نريد ان نستريح قليلاً. فبان الإرتياح على وجه السيدة وتشجعت بأن تقول لماذا، يجب ان تكونوا في ضيافتنا. أحتج مرافقي من البيشمركة وقالوا إن كانت تلك معاملتك فإننا سنموت جوعاً. قلت لهم إنكم ثوار وليس جندرمة. ثم ارسلت ادهم مع نقود ليحضر لنا طعاماً.

لقد بلغ إرهاب القرويين احياناً حتى طلب المكس ممن يمر في الطريق من قرية إلى اخرى. وقد قص عليّ البارزاني مايلي: قال "قدم ليّ دكتور .... و ..... وهما من قادة الحزب إقتراحاً بفرض المكس على الاموال بين منطقة (الثورة) وخارجها، وهي بوجه رئيس على التبغ. وقالوا ان مدخول هذا المكس يكفي لتلبية حاجات الثورة من المال. فوافقت. ولكن كيف كان التطبيق؟ جائي شخص يشتكي من ظلم الجباة: قال انه كان يحمل كيساً من التبغ. وفي طريقه من قرينته إلى القرية التالية إستوقفه الجابي وأخذ منه ربع دينار. وفي القرية الاخرى اخذ منه الجابي نصف دينار وفي الثالثة إذ إمتنع بدعوى انه دفع الضريبة اكثر من مرة ضربه الجابي وإستوفى منه ربع دينار". قال البارزاني "دفعت لذلك المشتكي المبالغ التي استوفت منه وقلت له بقي لك حق واحد وهو ان تضربني".

ليس من الضروري ان يكون هذا المثال دقيقاً او كثير التكرار. ولكنه يدل على واقع الفساد في أجهزة الحركة وإنعكاسه على القلاحين بإرهابهم.

وثمة فريضة (الزكاة) التي فرضت على جميع القرويين. واكبر مثال لهذه ما فرضه عيسى سوار قائد هيز – لواء – منطقة زاخو. لقد كان على المزارعين الكرد الذين يعيشون في محافظة الجزيرة

السورية ولواء الموصل العراقي ان يدفعوا الزكاة إلى وكلاء (الثورة) وأن يدفعوا الضرائب المعتادة إلى الدولة التي يعيشون في ظلها. فكان عيسى سوار أشبه بزعماء السلاح القداماء يدين بالولاء (للثورة) ويتفضل عليها بما يجبي من اموال دون محاسب.

وكان جباة الثورة في تلك المنطقة يتعاطون مهنة تهريب الذهب بين الاقطار الثلاثة، العراق وسورية وتركيا. كما نشأ في المناطق التي تقع تحت سيطرة الحكومة اغنياء الحرب من قادة الجيش والإدارة المحلية وعملائهم المرتزقة. وكان ذلك على حساب نفقات الحرب ومن التهريب في الوقت ذاته. نشأ كذلك اغنياء (الثورة) من رؤساء الهيزات ومن المهريين على الحدود بين الاقطار الثلاثة ولا سيما بين منطقة (الثورة) ومراكز سيطرة الجيش العراقي. وكل هذا ينعكس على إفقار الفلاحين.

### حالات إستثنائية

عند بدء المفاوضات كانت منابع الماء في منطقة مقر راونددوز دون مصادمات عسكرية. وقد ذكر لي أمر الحامية آنذاك في 15 – 16 تموز 1969. "إنني قدرت ان الماء حيويًا لسكان المناطق المجاورة، فإن نحن منعناهم عنها اصبحت هذه المنطقة ملتقى كفاح الحياة والموت. فغضضت الطرف عنهم وهم قابلوا هذا العمل بالمثل. بأصبحت هذه الناحية هادئة."

وفي ضواحي سنكة سر وضواحي دركه له وجدت قنابل ثقيلة لم تنفجر. وحسب تقديري ان الطيارين الذين القوها قصدوا عدم إيذاء السكان فالقوها خارج منطقة المساكن ودون تفجير.

كانت منطقة بارزان إذ مررت بها في نيسان 1966 هادئة لم تبلغها الحركات العسكرية. فكانت على ولاء إسمي للحكومة مع إنفتاحها لمواصلات الانصار. إذ كانت فيها إدارة محلية رمزية، مدرسة ومدير ناحية وعدد قليل من الشرطة. ومركز صحي فيه طبيب (طاهر بابان). كانت تحت إدارة طاهر بابان صيدلية متواضعة. وكان مركزه هذا إستثناء ايضاً من ظاهرة أنتفاء الاطباء.

وكان قائد القوة غير النظامية (المرتزقة – الفرسان) خالد بن الشيخ احمد البارزاني. فكان واقع عملي بعدم الهجوم عليها من قبل القوات الحكومية وبعدم التحرش برسل الحركة الكردية عند مرورهم من تلك المنطقة.

اما المثال التالي فانه يصور وضعاً بين الإستثناء وواقع الحرمان من المعالجة الطبية. كانت في ناوجليكان (على الطريق إلى كلاله) غرفة لمن كان يتسمى (بدكتور). وقد عمل مساعداً لمضمد في الجيش. وقد رأيتة يقوم بعملية جراحية بالصورة التالية: كان شخص قد اصيب بجرح في قدمه وقد تعفن الجرح. وصار له خراج يسيل قيحاً. غسل (الدكتور) قدم المريض بالماء العادي ووضع القدم على خشبة في الارض. واخذ بيده سكيناً غسلها بالماء كذلك. واخذ يقطع بها الاجزاء المتعفنة. ثم سكب صبغة اليود على الجرح ولفه بلفاف من الضماد (الكوز).

## مقابلة الرئيس احمد حسن البكر وإقتراحي لحل المسألة الكردية

انتظرت فترة حتى عاد الدكتور عزت مصطفى من سفرة خارج بغداد فرتب لي موعداً لمقابلة رئيس الجمهورية. دخلت ممرات القصر وكان الجنود يحيون الداخلين كما هي عادتهم. وكان شأني شأن غربي. ولكن إذ وصلت غرفة سكرتاري الرئيس وعرفتهم بنفسي وبحضوري لمقابلته وجدت نظرات الإستغراب تفوق المجاملة المصطنعة. لقد كنت مثل (طير غريب) بالنسبة إليهم. ولم تكن وجوههم أقل غرابة بالنسبة إليّ.

ادخلت غرفة الرئيس ولم يكن بيننا تعارف من قبل. ولكنه فاجئني بإحترام وود ملموسين مجردين عن تكلف الرسميات. واسترسل بالحديث عني شخصياً. ومما ذكره إنه يعرفني ويقدرني منذ كان تلميذاً في المدرسة الابتدائية في تكريت حين لجأت إليها متخفياً عن ملاحقة الشرطة في عام 1928.

بينت للرئيس احمد حسن البكر بإيجاز سعي البارزاني لوقف الحرب ورسائله التي حملتها منه إلى قادة حكومتي سورية ومصر، وتخويلي عنه لتكليف اولئك القادة بالتوسط، لا لوقف الحرب وحل المشكلة الكردية فحسب، بل ولتأكيد التضامن العربي – الكردي ضد العدوان الإمبريالي الصهيوني. ومما ذكرته للرئيس تعاوني بإسم البارزاني مع حكومة الرئيس الاتاسي لإقناع حكومة الرئيس السابق عبد الرحمن عارف بتأليف الجبهة الشرقية في مواجهة إسرائيل.

فأجاب البكر إن الدكتور عزت قد ابلغه بما بينته له. غير إننا يائسون من الإتفاق مع البارزاني. وقد تأكد لنا يقيناً انه لا يريد وقف القتال. فكلما قدم مطالب وكدنا ان نصل إلى إتفاق عليها قفز إلى مطالب اخرى.

أجبتة: أن لدي من المعرفة السابقة الطويلة بوضع البارزاني والحركة الكردية ما يعزز لدي الثقة بأنني سأنال تشجيعاً في مساعي. فبقي عليكم ان تقررروا إذا ما رأيتم تجربة هذه الفرصة. فطلب إليّ تقديم تقرير تحريري بما ارى في وضع المسألة الكردية والسبل إلى تناولها وحلها.

### إعداد التقرير

لم تكن تحت يدي المراجع الضرورية لوضع التقرير الذي حاولت ان يجمع بين قناعاتي العلمية للشروط الديمقراطية لحل المسألة القومية بوجه عام والظروف المعقدة لحل المسألة القومية الكردية بوجه خاص، من ناحية، ومن ناحية اخرى العرض الذي استطيع ان انال به الموافقة على العمل في هذا السبيل. وأنا على علم بدقة هذا الجمع. فالتقرير يقدم إلى حكومة حزب البعث ذي الإيديولوجية القومية العربية المعروفة. كما ان البحث العلمي ليس يسيراً. ولم يكن لدي بعد بيت وجميع كتبي واوراقي قد نالتها يد العدم تلفاً تحت الارض او نهباً او إلقاءً في نهر دجلة.

حررت التقرير بقدر ما اسعفتني الذاكرة محاولاً الجمع بين المبدأ العلمي والصيغ المقبولة فكان نصه التالي:

### إقتراح لحل المسألة الكردية

إن بلادنا تواجه تحدياً متزايداً العنف من قبل الدوائر الإمبريالية والقوى الرجعية العميلة. وهي تتخذ من المشكلة الكردية وعلى وجه التحديد في حالة الحرب وشبه الحرب، مجالاً ووسيلة لزعة الإستقلال الوطني، ولإضعاف الجمهورية وشلها عن مواجهة التحرشات العدوانية الإيرانية على حدود وطننا، والخطط التوسعية الإيرانية في اقطار الخليج، ولسل العراق وجيشه الوطني عن الإسهام المناسب في مواجهة العدوان والتهديد الإمبريالي الإسرائيلي.

فحل المسألة الكردية، ابتداءً من وقف القتال وتصفية حالة الحرب وإنهاءً إلى إعادة الوحدة إلى شعبنا عربيه وكرده، يقع في مقدمة الواجبات العاجلة التي ينبغي اتحاد جهود القوى الخيرة لإنجازها. من اين نبدأ؟ ينبغي التفريق بين امرين عند البحث في المسألة الكردية: هما اصل هذه المسألة والمشاكل الآنية التي تنشأ عن هذا الاصل اوتثار بالاتصال به بين حين وآخر، وفي قطر وآخر من الاقطار التي يعيش الكرد فيها.

إن الذين ينكرون وجود المسألة الكردية في الأساس يقعون في اخطاء جسيمة عندما يواجهون المشاكل المتعلقة بها. فقد يؤدي بهم ذلك إلى عزو تلك المشاكل إلى روح العصيان لدى هذا الزعيم او تلك القبيلة، او إلى مؤامرات قوى اجنبية. وبذلك يستعصى عليهم الحل السليم. ولا ريب ان بقاء المعضلة الاساسية دون حل يجعلها بؤرة لتكاثر طفيليات التآمر وإستغلال ذلك من قبل القوى العدو. وعلى كل حال لا سبيل إلى التغلب على تلك المشاكل إلا بتحديد اصل المسألة وحلها حلاً مبدئياً.

إن عنصري المسألة الكردية الاساسيين هما: ا – وجود شعب مجزأ الوطن محروم الحقوق القومية جزئياً او كلياً. ولم تخلق هذه المسألة الان بفعل متمرد او تأمر عدو. وإنما خلقتها المطامع الاجنبية على مدى تأريخ طويل: اولاً بزحف الدولتين الجارتين تركيا وايران ونزاعاتهما طيلة عدة قرون. ثم بزحف الدول الإستعمارية والإمبريالية وخاصة في القرن التاسع عشر والرابع الاول من القرن العشرين. ولقد اتمت هذا بالنسبة إلينا في العراق السلطة البريطانية ثم وليدها العهد الملكي. ب – اما العنصر الثاني للمسألة الكردية فهو الطموح المتزايد لدى هذا الشعب لتثبيت كيانه القومي، وتطويره بسبب إدراكه لواقعه، وذلك بفعل تعاظم زخم حركات التحرر الوطني التي اصبحت تياراً جباراً مؤثراً في مجرى العلائق الدولية. ولقد اكد معي تقديره لهذه الحقيقة بوضوح السيد رئيس الجمهورية المهيب احمد حسن البكر عندما تشرفت بمقابلته في حزيران 1969، إذ أعرب "عن تقديرنا نحن العرب للطموح القومي المشروع للشعب الكردي، ما لا يتخذ سبلاً تتناقض مع نضالنا التحرري". ووضح ان نكران الحقوق القومية للشعب الكردي هو الذي يفرق بيننا. واقام مثلاً من حركة التحرير العربية في

العهد العثماني. فقد كانت مطالب هذه الحركة اول الامر منصبة على الإصلاح والإدارة اللامركزية ضمن الدولة العثمانية. ولكن سياسة التمييز التي سار عليها قادة "الإتحاد والترقي" وسيرهم على خطة تتريك العناصر غير التركية، دفع القوميات الاخرى إلى النضال من اجل الانفصال. وهكذا سلكت حركة التحرر العربي هذا السبيل.

الاهداف التي اقصد تحقيقها في الإقتراح: أ – الهدف المباشر العاجل هو وقف القتال حالاً. ب – الهدف النهائي إزالة حالة الانفصال وتحقيق الوحدة الوطنية.

اما الهدف المباشر العاجل: فهو وقف القتال حالاً وتصفية العواقب التي خلفتها الحرب. لقد تأكد بتجربة اكثر من ثمانية اعوام منذ بدء الحرب رسمياً انها لم تكن ولا يمكن ان تكون وسيلة لحل المسألة الكردية. بل انها كانت وسيلة لتفاقم المشاكل والتناقضات المتصلة بهذه المسألة او المتعلقة بحجتها وبالتالي من اجل تعقيد حلها. وإذا كان حل هذه المسألة عسيراً في السابق: بسبب رواسب الإيديولوجيات المتقدمة وبسبب المصالح الطبقية والفردية لبعض الفئات ذات النفوذ. فقد تضاعفت وستتفاقم اكثر فأكثر كلما طالت حالة الحرب.

إن قوى الردة الاجنبية والداخلية تجد في الحرب وسيلة للتآمر على الجمهورية العراقية، فضلاً عن انها تتخذ من ظرف الحرب وسيلة لإضعافها في وجه التحرشات العدوانية الإيرانية، وشلها عن الإسهام الفعال مع الاقطار العربية التي تواجه الاخطار الإمبريالية الإسرائيلية. لذلك فان الواجب الاول الذي تواجهه كل القوى الوطنية دون إستثناء، هو بذل اقصى الجهود لوقف الحرب ولتصفية عواقبها ومخلفاتها. ومن ثم لتصفية مؤسساتها. وذلك شرط جوهري لوضع الاقدام على الطريق إلى حل السألة الكردية والسير نحو إعادة الوحدة بين شقي شعبنا، بل وكذلك لمواجهة مؤامرات قوى الردة على جمهوريتنا وعلى حركة التحرر العربي.

ب – الهدف النهائي: إزالته حالة الانفصال وتحقيق الوحدة الوطنية: وحدة الشعب ووحدة الوطن. فلا وحدة ارض دون وحدة شعب. أن شعباً تعبت فيه النزعات القومية الدامية، يستحيل عليه ان يحقق وحدة وطنية. سيما من مثل وضع بلادنا. إذ اصبح في مستطاع الدوائر الإمبريالية الرجعية ان تنشط بمؤامراتها للتفريق وخلق التناقضات واسباب القطيعة. ينبغي التأكيد بأن إنماء الثقة والتضامن بين الشعبين هو الطريق الوحيد إلى الوحدة ومكافحة الانفصال.

لست في هذه العجالة في معرض العرض النظري لتحقيق الوحدة على اساس المبادئ الديمقراطية لحرية تقرير المصير والاتحاد الإختياري بين الشعوب. إن امه كالامة العربية كبيرة فيما تواجه من واجبات تاريخية تحتل ركباً جغرافياً ممتداً من المحيط الاطلسي إلى البحر العربي، امة لها إرتباطات تاريخية بأقوام وشعوب عديدة تتطلع مثلها إلى الحرية، وفي مقدمتها الشعب الكردي – إن امة هذا شأنها لا تجوز ان يغيب عن اعينها النضال مهما بعد المدى.

ففي بلد كالسودان فرضت الضرورة إعلان منح الحكم الذاتي، وذلك بعد ان عجزت الحكومات السابقة عن حل هذه المشكلة التي حولت المنطقة إلى بؤرة لتآمر الإمبريالي وعملائهم.

**ملاحظة:** لقد تمت لي زيارة لجنوب السودان – فرأيت ان الواقع شيء آخر لا يمكن ان يرقى إلى مثل الحلول التي نحن في صدها.

وعلى كل حال، ينبغي عدم الإنتقاص من جانب القومية الاكبر لحقوق القومية الاصغر، مهما بدا هذا الإنتقاص طفيفاً. والميل إلى العزلة والشك لدى القومية الاصغر تجاه القومية الاكبر. وفي جميع الاحوال إن المسؤولية الاولى تقع على القومية الاكبر التي بيدها مقاليد السلطة.

وإذ يدور الحديث اليوم حول شعار الحكم الذاتي لكرديستان في إطار الجمهورية العراقية فإني ارى ضرورة التنبيه إلى تحرك الطرف بإتجاه سيئ ضد هذا الشعار. فأولاً: إن إنفصلاً واقعياً يقوم الآن في جزء من الجمهورية. وإن التوازن في حل هذه المسألة سيجعل هذا الإنفصال الواقعي مضافاً إلى أستمترار الحرب، بديلاً عن الحكم الذاتي الذي هو موضوع الحديث. وهو بديل غاية في السوء. وإذ لم نكن طوبائين خياليين فينبغي ان نسلم بأنه واقع حتماً. وان أزلته ستقتضي جهداً كبيراً وصبراً وحكمةً وظرفاً مساعداً.

وثانياً – أن الإستقلال الذاتي الذي قد ينتزع او يسلم به إضطراراً نتيجة للضغط لن يحل المسألة وذلك بسبب بسيط. وهو انه لن يزيل ازمة إنعدام الثقة ولن يكون طريقاً إلى الإتحاد بين شعبينا. إن مثال التلاحم الذي جرى بثورة 14 تموز 1958 يوضح كيف ان جواً مفعماً بالامل "بالديموقراطية وبالتآخي" قد يحدث ما يشبه المعجزة في سبيل بناء الثقة بين الشعبين. وقد حدث هذا بينما كان كل ما قدمه الدستور المؤقت للكردي هو ما جاء في المادة الثالثة بأن "العراق وطن مشترك بين العرب والكردي...". من هذه التجربة الحية ينبغي ان نفهم ان **الكيف اي الديموقراطية وروح التآخي** الذي تحل به هذه القضية، وهو اساس الثقة والوحدة الوطنية لا **الحكم** الذي يصرار إليه بضغط المساومات في جو عدائي.

وينبغي ان نوضح ان حركة "التحرر القومية الكرديّة" وهي حركة شعب يطمح إلى الحرية، إنما هي حليف **موضوعياً** لحركة التحرر العربية. وهي في العراق جزءاً من حركة الشعب العراقي الديموقراطية الوطنية. فليس في هذه الحركة حالياً، ولا في مطامحها البعيدة ما يناقض موضوعياً مصالح شعوب الامة العربية وطموحاتها إلى التحرر والوحدة، وطموح كادحها إلى إقامة مجتمع إشتراكي. كما ان هذه المطامح العربية لا تتناقض موضوعياً بل تتطافر مع مطامح الامة الكرديّة. وإذا ما حدث إفتراق بينهما، فإنما هو قائم على إنحراف عن الخط التحرري، حرّي ان يجري النضال في سبيل إزالته على جبهتين: على الجبهة العربية لإزالة اسباب تدمير الشعب الكردي، لإزالة كل درجة مهما صغرت من عدم المساواة والإضطهاد او التمييز القومي. وعلى الجبهة الكرديّة بالتحالف مع الجماهير الكرديّة لإزالة الشكوك وفضح الإنحراف حيث يوجد وإزالة كل سبب لعدم الثقة. وينبغي ان نوّكد في هذا المقام ان الزمر المأجورة لا يمكن ان تكون بديلاً للصلات الاخوية مع الجماهير الكرديّة،

بل انها تؤلف عقبة ضد تلك الصلات. وبما ان القومية الكردية هي اكبر القوميات المرتبطة بالعالم العربي، وهي تحتل موقعاً ستراتيجياً بالغ الاهمية، فحرّي ان ينظر إلى الرابطة الاخوية معها، لا في حدود مصالح الدولة العراقية فحسب، بل وفي الافق الاوسع للنضال العربي العام، ولنضال شعوب الشرق الاوسط. وان حلاً ناجحاً للمسألة الكردية – بمعنى انه يحقق الإلتحام الاخوي بين الشعبين – سيكون له رد فعل إيجابي لدى كافة القوميات والاقليات القومية والجماعات الاثنولوجية المرتبطة بالعالم العربي. وسيضع القومية الكردية في مركزها الطبيعي في جبهة النضال ضد الإمبريالية ورأس حربتها المسمومة إسرائيل.

الوسائل والسبل: في ضوء ماتقدم ارى ان السير نحو حل المسألة القومية الكردية في العراق ونحو تصفية المشاكل المتصلة بها، نحو تصفية المشاكل المتصلة بها، نحو تصفية حالة الحرب وإعادة الثقة بين شعبينا، نحو تصفية حالة الانفصال وإعادة الوحدة الوطنية، ينبغي ان يتم على سبيل المثال في آن واحد، وهي: ا – التفاوض. ب – التوجه إلى جماهير الشعب الكردي بالإصلاحات الاجتماعية الجزرية. ج – التوجه إلى جماهير الشعبين لزوجها في حملة توعية ضد خطر بقاء هذه المشاكل وضد المؤامرات الإمبريالية الرجعية التي تستغلها.

ا – التفاوض مع من؟ إذا كان الغرض من التفاوض الوصول إلى طريق لوقف القتال فإنه ينبغي ان يكون مع القوة التي تسيطر عسكرياً على قسم من ارض العراق وتشغل جبهة في وجه القوات العراقية المسلحة، هذه القوة التي يقودها مصطفى البارزنتي. فالإعتراض الاول الذي يثار بنطاق واسع هو ان البارزاني يتلقى المساعدات من ايران ومن قوى امبريالية عن طريق ايران. إن البارزاني ذاته لم يحاول إخفاء هذه المساعدات وقد صرح بها للصحفيين مراراً. في محل آخر لي حديث طويل حول هذه المساعدات. ولكنه يعللها بمنطق الإضطرار. خلاصة هذا المنطق هو " أن الحرب وغلق باب الجنوب إضطره إلى التوجه إلى "الشرق" – إيران. والبارزاني يعترف عند الحديث معه بما تحمله تلك المساعدات من ضرر وخطر، ويسميها "السم" يقدم للجائع في لقمة خبز – اما انا شخصياً فلا أؤيد تبرير كل وسيلة بأي إضطرار. ولكن المهم في نظري هو قطع كل ذريعة او تبرير. وذلك بحملة عملية للسلم يكسب بها الرأي العام العربي والكردي والاممي ايضاً. اما الإعتراض الثاني الذي يثار ضد قيادة البارزاني فهو انه قائد قبلي، يتصرف كما يتصرف اي رئيس قبيلي.

وهنا ارى ايصاح نقطتين هما:

اولاً – التأخر النسبي في التطور الإقتصادي – الإجتماعي في كردستان، وبوجه اشد وضوحاً في المناطق الجبلية، حيث يسود الإقتصاد شبه البدائي. وأن القوات الكردية المسلحة التي يقودها البارزاني يتكون من الفلاحين، والنواة الصلبة لهذه القوات هي المنطقة العسكرية البارزانية. ولقد بدأت الحركة المسلحة رسمياً في 9 – 9 – 1961 قبل ان يشارك فيها البارزاني رسمياً في 12 – 9 – 1961 بعد ان تم قصف بارزان – ومع ذلك إنتقلت إليه القيادة عبر خلافات ومعارك مع الذين خاصموه في داخل



الحركة. ولجوء من لجأ منهم إلى ايران معروف. وثانياً — إن الحركة الكردية المسلحة ليست حركة قبلية ضد قبيلة او مجموعة قبائل، وأن كان للقبليين مركز بارز فيها. أنها بدأت وما زالت تحمل مطالب قومية. وهي رغم السلبيات العديدة والمآخذ التي بعضها خطيراً جداً إذا صح، تتمتع بتأييد الرأي القومي الكردي على وجه العموم، وبتأييد مطلق من مناطق المواجه الذين يصطلون بمآسي الحرب ومضاعفاتها على وجه الخصوص. والحركة قد فقدت إلى مدى غير قليل تأييد اكراد ايران بسبب التعاون مع السلطات الايرانية. ولكن الحرب لا تحرم الحركة من تأييد كثرة الرأي الكردي العام، بل انها تزيد في هذا التأييد. وحتى الإعلان المتكرر عن المآخذ التي تعزى إلى الحركة او إلى البارزاني، لا يعزل هذه الحركة ما دامت الحرب مستمرة، بل ان الحرب ذاتها تقلل من الإهتمام بتلك المآخذ او من الاعتقاد بصحتها، لدى الجمهور الكردي. وبإيجاز: إن الحرب ليست الطريق إلى عزل القيادة الحالية عن الشعب الكردي. اما البديل الاول لها فهو التفاوض. وهو البديل المباشر فقط. وليست الوسيلة الوحيدة ولا النهائية لمعالجة المشاكل القائمة.

وينبغي ان اشير إلى ان وقف القتال إنما وقع مراراً، ولكنه كان حالة مؤقتة بسبب عدم الوصول إلى المشاكل المتصلة بالمسألة القومية. لقد توقف القتال عملياً في اواخر عهد قاسم. ومن 8 شباط حتى 10 حزيران 1963 — ومن 10 شباط 1964 حتى نيسان 1965 — ثم في 1966. فينبغي ان يكون التفاوض الوسيلة المباشرة لوقف القتال دون ان تتوقف عليها الوسائل الاخرى: اي الإصلاحات التي هي الطريق الاضمن على المدى البعيد لحل المسألة الكردية في العراق.

ب — الإصلاح: ينبغي القيام بإصلاحات جذرية في المناطق التي تحت سيطرة الحكومة: إصلاح زراعي اعمق جذرية من الإصلاح الزراعي في الجنوب. ونظراً إلى الضيق النسبي للأراضي الزراعية في المناطق الكردية الجبلية خاصة — لا بد من ان يرفق الإصلاح الزراعي بمشاريع ري صغيرة غير مشاريع الري الكبرى التي لا تغذي المنطقة، وذلك لتوسيع رقعة الاراضي التي يمكن توزيعها. والقيام بإصلاح مدرسي ليدفع بمؤسسات التعليم إلى ابعد زوايا الريف، وتطلق فيه اللغة الكردية من كل قيد يعرقل تطورها او سعة إستعمالها، وبإصلاح إداري يهدف إلى إسهام المواطنين في تقرير إدارة مناطقهم بطريق مؤسسات ديموقراطية منتخبة بحرية. وبإصلاح صحي ... الخ. وإعادة النازحين إلى قراهم، وتعويض المتضررين بالحرب تعويضاً سخياً ... الخ. هذه الإصلاحات ستهدد الجماهير بنسبة جديتها وعمقها وتنتزعها من سبابة القرون. وترزع العصبية القبلية والإنعزالية القومية. وسيكون مثلاً للفلاح الذي يعيش تحت سلطة القيادة الكردية المسلحة. والنتيجة احداث إنعطاف شديد إلى تحرير الفلاحين من الولاء لبقايا مؤسسات القرون الوسطى وتحويلهم إلى ولاء المواطنة والإرتباط بالوطن بطريق المؤسسات الديموقراطية الحديثة. لا ريب ان هذه الإصلاحات لن تروق للاغوات الذين يرأسون فصائل ما يسمى بالفرسان في المناطق التي تحت سيطرة الحكومة. ولكن شأن الاغوات والبيكات ... الخ ليس بالاهمية التي تبدو لاول وهلة، ولا سيما في المناطق التي تسربت إليها

الحياة الحديثة – فهم على وجه العموم – يعودون إلى عصر مضى، وإنما تطيل عهدهم المقومات المصطنعة واهمها على وجه التحديد: الحروب. إن إصلاحاً زراعياً جدياً سينتزع منهم الفلاحين دون عناء.

ج – التوجه إلى الجماهير العربية والكردية وإلى القوى والشخصيات الديمقراطية في الشعبين للإسهام في حل المشاكل التي يواجهها وطننا، إن لم تكن أهمها جميعاً. كما تواجهها بصورة غير مباشرة حركة التحرر العربية. ينبغي رفع السياسة لحل هذه المسألة إلى مستوى غير افق الدعاية الرسمية. (ولست أذكر الدعاية على سبيل إنتقاصها لمحض أنها دعاية، فكل حقيقة تحتاج إلى دعاية تنشرها إلى الرأي العام)، وإنما ادعو إلى زج الرأي العام في حملة توعية ضد الاخطار الإمبريالية الرجعية التي يواجهها وطننا. واضيف إلى ما تقدم: أهمية التوجه إلى القوى والعناصر الديمقراطية الثورية في إيران، من أجل التضامن مع الجمهورية العراقية وقواها التقدمية ضد الحكم الإيراني الرجعي العميل، وضد المؤامرات الإمبريالية التي تحاك ضد مصالح تحررنا بالتعاون مع هذا الحكم. واني لاقول بكل إخلاص:

"حذار من تكوين صلات مشبوهة عن طريق الزمر الإيرانية المأجورة في العراق". فليس لهذه الزمر اية شعبية، ولن يكون في استطاعها الإتصال إلا مع عناصر هزيلة مأجورة كذلك. وهذا ما سيؤدي إلى الحكم الوطني في العراق. إن حلاً ناجحاً للمسألة الكردية في بلادنا سيفتح لنا طريقاً رحباً للتعاون مع القوى الثورية في إيران. وخصوصاً بين جماهير الكرد. إنه سيساعد على نهوض القوى التقدمية الثورية الإيرانية والكردية ضد الحكم الرجعي العميل، وضد القوى الإمبريالية التي يعمل في خدمتها. إنه سيساعد على تحويل مركز هذا الحكم من موقف الهجوم ضد الجمهورية العراقية وتهديد المصالح الوطنية العربية في الخليج – إلى موقف الدفاع تجاه هجوم القوى الوطنية الثورية. إن المسألة الكردية ذاتها ستصبح – إذا ما نهجنا بها نهجاً صائباً – منطلقاً وقوة دفع لقوى الثورة والتحرر في هذه المنطقة، ونقطة هجوم على معازل الإمبريالية والرجعية فيها.

لمحة تاريخية عن أصل القضية الكردية: يرجع أصل المسألة الكردية اول الامر إلى ظهور دولتين قويتين هما: تركيا وايران على جانبي الاقاليم الكردية. والحرب التي وقعت بينهما للسيطرة على تلك الاقاليم. وبالمقابل: نضال القبائل الكردية من اجل الحفاظ على إستقلالها. وان إنحاز بعضها إلى جانب هذه الدولة او تلك احياناً.

ثم دخلت المسألة الكردية طوراً ثانياً، بالزحف الكولونيالي ثم الإمبريالي على منطقة الشرق الاوسط، ولا سيما خلال القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الاولى وبالتسويات التي اعقبتها. هذا كله قد أدى إلى ان تصبح الاقاليم الكردية جميعها مجزأة بين الدول المجاورة. ولم تراع في تلك التسويات مصالح شعوب تلك الدول، فضلاً عن رغبات ومصالح الشعب الكردي. وقد كان هذا يحدث في وقت

كانت فيه افكار التحرر القومي والطموح إلى الإستقلال قد بلغت المتقفين الكرد كما بلغت إخوانهم من متقفي القوميات الأخرى كالعرب وغيرهم. فلقد إنضموا إلى الجمعيات السياسية التي تألفت في الدولة العثمانية من أجل الإصلاح اول الامر. ثم الفوا الاندية والجمعيات القومية، كما فعل زملائهم العرب. وبذلك اغني النزوع الكردي الاولي إلى الإستقلال بالافكار القومية الواضحة بعد ان كان هذا النزوع يعبر عنه بانتفاضات قبلية. ولقد اغنت ثورة اكتوبر في روسيا حركات التحرر الوطني بمادة جديدة وخاصة بفضحها المؤامرات الإمبريالية والمعاهدات السرية التي قصد بها تقسيم البلاد العثمانية العربية والكردية بين الإستعمار البريطاني والإستعمار الفرنسي. وأغنت هذه الثورة حركات التحرر الوطني بإمكانات جديدة بتحطيم السلسلة الإمبريالية العالمية. وقدمت مثلاً عملياً من اجل حل المشاكل القومية، إذ حررت كافة الشعوب التي كانت تحت نير الإستعمار القيصري. ومن تلك الشعوب الشعب الكردي ذاته رغم قلة عدده. وجاءت الحرب العالمية الثانية بزخم جديد لحركات التحرر القومي على النطاق العالمي. إن تأريخ الشعب الكردي مليء بالإنفاضات القومية المسلحة. وإن لم تتم بعد تصفية القاعدة القبلية لتلك الإنفاضات. ولتحديد المسألة الكردية تحديداً صحيحاً ينبغي التأكيد على الشخصية القومية للشعب الكردي. وفي قمة الإعتراف بأن له مطامحه في التطور بكل صوره ودرجاته كأبي شعب آخر. ينبغي ان ندرك بكل بساطة ان طموح العربي المشروع يوازيه طموح كردي وهو مشروع ايضاً.

وفي لقاء لي مع السيد عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية في اوائل كانون الثاني 1958 جرى فيه الحديث في المسألة الكردية، فأعربت له عن رأيي التالي وهو ان الكرد يحتلون منطقة تكون أعظم إمتداد بري (وهو جبلي بوجه اساسي) بين البلاد العربية والاقطار الآسيوية، وعلى وجه التحديد مع تركيا وإيران. فهم إما ان يجدوا لدى الحركة القومية العربية تقديراً صحيحاً لمطامعهم ولحقيقة الارتباط المصيري بين حريتي الشعبين. هذا الارتباط الذي توثقه أسباب تاريخية عديدة وأنذ سيكون حلفاء للشعب العربي وأما ان تقاد حركة التحرر العربية في طريق منحرف بالنسبة إلى الشعب الكردي، لأسباب لا تمت بصلة إلى مصالح التحرر العربية. وأنذ سنتشأ لدى الكرد شكوك وإتجاه إنغزالي قد ينتهي إلى العداء ضد الحركة القومية العربية. ولا محيد عن احد هاذين الخيارين. ولقد خرجت من ذلك اللقاء بشعور ان الرئيس عبد الناصر قدر رأيي هذا الذي لم يخامرني شك قط في صحته.

### السياسات الدولية بشأن المسألة الكردية

#### اولاً السياسة الإستعمارية – الإمبريالية:

#### المرحلة الاولى – التنافس والحرب.

بدأت المسألة الكردية تدخل حلبة السياسة الدولية مع إمتداد التنافس الإستعماري الكولونيالي فالإمبريالي على منطقة الشرق الاوسط. وبوجه خاص خلال القرن التاسع عشر، وحتى الحرب العالمية الاولى. وأخص بالذكر الرواد البريطانيين ثم المقيمين البريطانيين – تؤازرهم البعثات التبشيرية الامريكية. وكانت روسيا القيصرية اهم منافس للإمبريالية البريطانية، حتى ظهور الإمبريالية الالمانية بخطتها

للتغلل نحو الشرق، عن طريق نفوذها على الحكومة العثمانية، إذ أصبحت أخطر منافس لبريطانيا حتى نشوب الحرب العالمية الاولى وخلال فترة منها.

إن إتفاق ساكس بيكو الذي تناول فيما تناوله تقسيم الاقطار العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية قد شمل كردستان. وحتى عند إنتهاء الحرب العالمية الاولى وبعد توقيع إتفاق هدنة مودروس مع تركيا. وخلافاً لذلك الإتفاق، توغل الجيش البريطاني شمالاً لضمان التصرف بالمنطقة المحتلة فيما بعد حسب المصالح البريطانية الإحتكارية – الإستراتيجية.

### المرحلة الثانية

(أ) التسويات: لقد عُدل إتفاق ساكس – بيكو في مؤتمر سان ريمو الذي عقده الحلفاء المنتصرون لإقتسام الأسلاب وكان القول الحاسم فيه للمصالح البريطانية التي ضمنت لنفسها السيطرة على العراق، وعلى سهم الاسد في إحتكار البترول. إن الحكومات المنتصرة بقيادة الإمبرياليين الإنكلو – فرنسيين قد أقرروا في معاهدة سيفر، تمزيق تركيا. ووضعوا بنوداً خاصة بمصير كردستان الجنوبي. وكان الغرض من هذه البنود هو الإحتفاظ بهذا القسم الجنوبي لكي يقرروا مصيره في ضوء ما تستقر عليه المساومات بينهم. إن بعض القوميين الكرد يقدرون معاهدة سيفر قدراً خاطئاً غير معيرين إهتماماً لحقيقة ان واضعي هذه المعاهدة لم يكونوا مدفوعين بأي دوافع ترمي إلى حرية الشعب الكردي، وإنما كانوا يضعون مستقبل هذا الشعب في سوق المساومات الإمبريالية. ولذا تم بسهولة تمزيق "ورقة" معاهدة سيفر، فيما يتعلق بمصير كردستان الشمالية. وذلك بالمفاوضات لأجل معاهدة لوزان (التي حلت محل سيفر). ولكن المفاوضات البريطاني أصر على التحفظ بشأن جنوبي كردستان، الذي احيل تقرير مصيره إلى عصابة الامم في ضمن ولاية الموصل. وما كانت قرارات العصابة حسب تكوينها سوى تلبية رغبات اللصوص الإمبرياليين. وهكذا قرر مجلسها إبقاء الولاية ضمن الدولة العراقية الفتية بشروط تتعلق بحقوق السكان، سيما موضوع إستعمال اللغات المحلية. كما ضمنت التسويات اللاحقة لتركيا حصة من عوائد النفط.

اما الثمن بالنسبة إلى العراق – كما إدعى المسؤولون في حكم العراق وقتذاك – فهو إعطاء إمتياز النفط إلى الإحتكار الإنكلو – فرنسي – الهولاندي. وتم بعدئذ إشراك المصالح الامريكية فما سمي بسياسة الباب المفتوح. وربط العراق ببريطانيا بمعاهدة طويلة الاجل.

واضح ان الإمبرياليين – منذ ان توجهوا إلى التغلغل في هذه المنطقة، ثم بالحرب التي خاضوها والتسويات التي اجروها – لم يكن يحدوهم غير توطيد نفوذهم وضمان مصالحهم الاستراتيجية والإستثمارية. وانهم لم يأخذوا بعين الإعتبار بأي وجه مصالح الشعب العربي او الكردي او اي من شعوب المنطقة. فلم يكن التمزيق نصيب الشعب الكردي وحده. بل لقد ختمت هذه المرحلة بتمزيق البلاد العربية بين الكواسر المنتصرين. فاعطي لبريطانيا الإنتداب على فلسطين لكي تربط مصيرها

بالاطماع الصهيونية. وقد فعلت ذلك بإقامة وطن قومي لليهود، ثم أقيمت المؤسسات الصهيونية برعايتها تمهيداً لإقامة ما أصبح دولة إسرائيل. كما قسمت الاقطار العربية الاخرى بين بريطانيا وفرنسا تحت ستار الإنتداب.

(ب) - سياسة المحافظة على الوضع القائم: بعد التسويات التي تقدمت الإشارة إليها، أخذت السياسة الإمبريالية (تمثلها في العراق بريطانيا العظمى) تعمل للمحافظة على الوضع الراهن. وبموجب هذه السياسة تم الإتفاق والتوقيع على المعاهدة التركية - البريطانية - العراقية عام 1926 (لمكافحة الاعمال المخلة بالامن في مناطق الحدود)، وقد أضعفت نسبياً ووقتياً التناقضات بين الدول المنتصرة ونعني بوجه خاص بريطانيا وفرنسا بتقسيم اسلاب الحرب. وفتح الباب في الاقطار المنتدب عليها للمصالح الإمبريالية الامريكية. واعتبرت الانظمة المحلية بعد التسويات - ولا سيما النظام الملكي في العراق - كافية لحراسة المصالح الامبريالية الإستراتيجية والبتروولية. ولقد عبر المندوب السامي البريطاني في العراق عن السياسة الإمبريالية بهذا الخصوص في خطاب القاه في مدينة السليمانية مصرحاً بأن كل حركة من جانب القومية الكردية ستضرب لأنها ليست ضارة بالنظام القائم في العراق فحسب، بل بالنظامين القائمين في تركيا ويران.

كما عبرت عن تلك السياسة الإتفاقات اللاحقة التي ادخل العراق طرفاً فيها، ومنها .... إتفاق الحدود ومياه شط العرب بين العراق ويران لصالح هذه الاخيرة في عام 1937. وإتفاق سعد آباد بين العراق وتركيا ويران وافغانستان عام 1938.

اما بعد الحرب العالمية الثانية - فقد إتخذت سياسة المحافظة على الوضع الراهن صورة جديدة قصد بها ان تلائم الاوضاع المستجدة. فلقد إنحصرت الحرب عن تغيير في الموازين. ونعني هنا تغييرها بين القوى الامبريالية ذاتها من جانب، وبينها وبين قوى التحرر وفي ضمنها حركات التحرر الوطني من جانب آخر. ولاجل مواجهة الوضع الجديد لجأ الإمبرياليون إلى محاولات جديدة. منها (مشروع قيادة الشرق الاوسط). وقد مات قبل ان يولد. ثم الإتفاق التركي - الباكستاني الذي ولد كسيحاً بسبب التناقض الانكلو - امريكي. وقد خلفه الإتفاق العراقي التركي الذي كان النواة لحلف بغداد سيئ الصيت "شباط 1954".

### المرحلة الثالثة -

التحول نحو تغييرات جذرية: وكان هذا بالنسبة إلى العراق بعد 14 تموز 1958. فمن جانب: شمل التطور العالمي حركة التحرر العربي حيث زالت من الوجود كلياً او تعرت وافلست زمر عديدة كانت حراجة الوضع سبباً لوجودها. وإستقلت سياسياً اقطار كانت تابعة. وسارت اخرى في طريق التحرر

التام من نفوذ الإمبريالية، وتعاضم الإتجاه التقدمي في طريق التحرر التام من نفوذ الإمبريالية وتعاضم الإتجاه التقدمي المعادي للإمبريالية في الميدان الدولي.

ومن جانب آخر، تعاضم التغلغل الأمريكي في المنطقة مع تزايد عجز بريطانيا عن رعاية وقيادة المصالح الإمبريالية. وظهر حلف جديد ديناميكي للإمبريالية الأمريكية في الشرق الوسط وأفريقيا فضلاً عن أوروبا هو ألمانيا الغربية. وتقدم العمل لإعداد إسرائيل بوصفها قوة صدام وقاعدة امامية وشريك إمبريالي ثانوي في المنطقة. لقد سارت الإمبريالية الأمريكية على سياسة التغلغل والحلول محل الشركاء السابقين على مراحل، يهمنها منها ما تم بعد عدوان 1956، ولا سيما بعد ثورة 1958، إذ تيسر للإمبريالية الأمريكية سبيل شق جبهة التحرر العربية، ولا سيما بمغازلة بعض الحكومات المتحررة. وقد قطع التمزق العربي شوطاً كبيراً لدى الاقطار المواجهة لإسرائيل. لقد كانت نهاية تكتيكات الخداع والمغازلة بالنشاط الذي قام به إمبريالوا الولايات المتحدة اثناء أزمة ايار - حزيران 1967. حتى تم الكشف عنها كاملة بعدوان 5 حزيران 1967. وإذ كانت الإمبريالية الأمريكية وحلفاؤها قد قاموا بضربتهم الاولى من تكتيكاتهم الجديدة من الباب الامامي في المنطقة من الخطوط المواجه لإسرائيل، حيث نفذوا عدواناً غادراً قضى على كل نفاق سابق بخصوص سياسة التوازن بين حكومات المنطقة، اي إسرائيل والاقطار العربية التي تحيط بها. (كما يحلو لبعض مروجي السياسة الإمبريالية ان يعبروا عنه). فاي مانع يمنع الاوساط الإمبريالية ذاتها ان تجرب عندما يحين الوقت لضربة مماثلة من الباب الجانبي او من البابين معاً؟ إن الحلقة المركزية في السياسة الإمبريالية في الشرق الاوسط هي (اليوم، كما كانت منذ سنين عدة) مواجهة لحركة التحرر العربية والمحافظة على المصالح الإستراتيجية الاساسية ولا سيما البترولية للإمبرياليين. ولا ريب ان تحطيم كيان العراق الحالي سيكون إحدى خطط المواجه لإنقاذ تلك المصالح إذا ما يؤسس الإمبرياليون من إمكان إعادته إلى **حاضرة نفوذهم**. او إخراج قسم هام من العراق (أهم منطقة إستراتيجية) خارج مجال الدفاع عنه، يعد هذه الجمهورية للضربة العنيفة في اي وقت يختاره الإمبرياليون والقوى الرجعية العميلة في المنطقة.

### الخلاصة:

ليس يصح ببقاء ستراتيحية الإمبرياليين المحافظة على الوضع الراهن في الشرق الوسط، فإن هذه الستراتيحية تعود إلى مراحل إنتهت. اما المرحلة التي تلتها وستتطور بنسبة صعود المد التحرري فهي مرحلة المحافظة على المصالح الإمبريالية لا بالكيانات الراهنة بل بإحتواء وحتى تحطيم كل كيان لا يصلح للمحافظة على تلك المصالح إذا لم يبق امل في إعادته إلى الحظيرة الإمبريالية، وبناء كيانات ثلاثم مصالح الإمبرياليين في المرحلة الجديدة لإصطفاف القوى في النطاق العالمي وفي المنطقة والقطر.

## القيادات القبلية: واقع الحياة الإجتماعية – الإقتصادية ظرف موضوعي لبروز القيادات القبلية في كردستان

إن الحركات القومية الكردية من أجل الإستقلال قد سبقت تطور الإقتصاد البرجوازي كما سبقت إنتشار الافكار القومية الحديثة. فلقد خاضت تلك الحركات قبائل قادها امراء وأغوات إقطاعيون او قبليون دينيون، كان مفهوم الإستقلال لديهم منبثقاً من تقدير مصالحهم انفسهم. معروف ان قيادة اي حركة ضد السيطرة الاجنبية تطبع تلك الحركة بطابعها، وتحملها نواقصها وسلبياتها إلى مدى كبير جداً. إلا ان هذه الحقيقة لا تنفي الاساس الموضوعي للحركة وهو أنها حركة شعب ضد السيطرة الاجنبية. وفي التاريخ العربي امثلة كثيرة مماثلة. إذ خاضت الكفاح ضد السيطرة الاجنبية قبائل كانت قيادتها بأيدي زعامات قبلية. ولقد ضعفت العلاقات القبلية في شتى انحاء العراق ولكن شماليه قد تخلف عن جنوبه في هذا الموضوع لأسباب اهمها: اولاً تخلف التطور الإقتصادي – الإجتماعي وضعف وسائل المواصلات، خصوصاً في المناطق الجبلية حيث يسود الإقتصاد شبه الطبيعي. وثانياً تشجيع السلطات للعداوات والثارات القبلية بلجوتها إلى تسليح هذه القبيلة او تلك، لمقابلة ثورة قبيلة اخرى. لقد بدأت سلطات الإحتلال البريطاني هذا الاسلوب، وخلفته للحكومات التي جاءت من ورائها، فكان جزءاً من التراث الإستعماري في العراق.

وفي الظرف الحاضر نجد ان للعنصر القبلي مكاناً مرموقاً في قيادة القوات المسلحة الكردية. ولكننا نجد ايضاً ان السلطات الحكومية لجأت كالسابق حتى قبل ايلول 1961 إلى إستخدام القوات القبلية تحت عناوين مختلفة، قوات الشرطة غير النظامية، الفرسان ... الخ.

ينبغي ان يكون احد الاهداف الرئيسية التي على كل حكم وطني ان يحققها في هذا الموضوع هو العمل الحازم لتقويض المجتمع القبلي او بقاياه في كردستان. وليس يمكن القضاء على القبيلة بتوجيه النزاعات على اساس قبلي. إن هذه الاسلوب يوطد القبيلة. اما ما يقضي على القبيلة فهو تطوير المجتمع وتحويل الافراد من الولاء القبلي إلى ولاء المواطنة، إبتداءً من القضاء على الإقتصاد شبه الطبيعي فألى تصفية العلاقات الإقتصادية شبه الباترياركية (الابوية) ... الخ. ويتم ذلك بخطة تحويل جذري للإصلاح الزراعي، الإداري، المدرسي، الصحي ... الخ.

**الحرب الحالية:** المعروف رسمياً ان الحرب بدأت في 9 – 9 – 1961 وقد كانت مقدمتها مظاهرة قام بها منتسبون إلى الحزب الديموقراطي الكردستاني في كلاله ونواحي اخرى. ثم قطعت الطريق – كما قيل – شردمة من منتسبي هذا الحزب وحلفائه عند دربندبازيان. وهذا ما يعبر عنه "ببدء الثورة". اما الواقع فهو إستئناف النزاعات الدامية واعمال الفوضى في كردستان قد سبق ذلك التاريخ بأكثر من عام، منذ صيف 1960. ولكن لفهم تأريخ هذه الحرب والاهداف التي وراء إثارتها يفتضي ان نسأل: ليست القوى المنتفعة الرئيسية من حالة الحرب ومن تعميقها وإدامتها هي ذاتها الدوائر الانكلو – امريكية وعملاؤها؟ تلك الدوائر التي حاولت الإجهاز على الجمهورية غداة 14 تموز وإحتلت من أجل

ذلك الاردن ولبنان؟ ليست هي تلك التي حركت رشيد لولان ليرفع السلاح ضد الجمهورية في نيسان 1959؟ ولكن حركة رشيد لولان احبطت بسهولة وبسرعة بسبب إنعزالها عن الشعب الكردي؟ فإلتجأ قائدها وقواته إلى ايران التي فتحت حكومتها صدرها رحباً لكل الخونة منذ إزالة عهد مصدق الوطني. لكن تردي السلطة الجمهورية وإنعزالها بالترديج عن مختلف القوى الوطنية يسر للعناصر الرجعية ان تترج بها في سياسة إنتحارية. ولا يمكن الإغضاء عن حقيقة تلاقي تلك العناصر الرجعية مع المخططات الإمبريالية. فكان من فصولها تطوير الوضع في كردستان نحو الحرب مرة اخرى، ولكن بصورة كفاح واسع. لقد تم السير إلى هذا الهدف من جانبيين متناقضين ظاهرياً، فمن جانب نشطت العناصر الرجعية الفاسدة التي اصبحت ذات حظوة لدى الزعيم عبد الكريم قاسم في جهاز الحكم ولا سيما في ميدان اجهزة الإعلام، وبوجه ملموس جداً في الصحافة. وقد إتضحت صلة بعض الكتاب فيها بالدوائر الاجنبية. كما نشطت تلك العناصر في اجهزة الامن ومسؤولي الإدارة في الالوية الشمالية. فعجل كل ذلك برفع وتائر الإضطهاد القومي ضد الشعب الكردي. ولقد بلغ الامر حتى الدعوة إلى ما عبروا عنه "بحرية إنصهار القومية الكردية". وكذلك لجأ المسؤولون إلى إحياء النزعات القبلية. فعلى سبيل ابرز الامثلة أن رشيد لولان قد إستعيد من ايران ومعه الاغوات الذين رافقوه. وقد تم تسليح هؤلاء، بدلاً من تسليح سابق للبارزانيين. ومن جهة اخرى إستغل بعض الإقطاعيين الكرد والقوميين المتطرفين التوتر الناشئ عن الإضطهاد القومي والنزاعات القبلية، فعملوا لإعداد الرأي القومي الكردي من اجل حمل السلاح ضد السلطة. وإستغلوا بوجه خاص محاولة الإصلاح الزراعي وضريبة الارض. هكذا تم الجمع بين القوميين الذين تضطهدهم السلطات إلى جانب الإقطاعيين اعداء ثورة 14 تموز، وقد زج الجانبان في معركة مشتركة. هكذا تبدو السخرية واضحة: الذين حملوا السلاح لتقويض الجمهورية اول الامر يستعادون من ايران لكي يقوموا بدور ظاهره كونهم حلفاء السلطة. ويقوم اغوات آخرون بتشجيع من ايران وكذلك إقطاعيون او قبليون من إيران ذاتها، فينضمون إلى جانب القوى القومية المتدمرة من الإضطهاد. ويضطلع هؤلاء جميعاً بالتمرد او (الثورة) لتقويض تلك السلطة ذاتها. فماذا كان حصاد هذه الحرب على مدى اكثر من ثمانية اعوام منذ إعلانها الرسمي؟ غير الضحايا الكثيرة من ابناء شعبنا بالدماء والارواح وعدا الإنهاك المالي والتدمير الإقتصادي، ونشوء فئات طفيلية اصبحت الحرب عنصراً اساسياً لحياتها ولإمтиاراتها ونفوذها؟ ولا سبيل إلى تحديد النتائج السياسية المدمرة لهذه الحرب. ولكنني اشير إلى نقطتين جوهريتين جداً: اولهما ان الحرب دمرت وما تزال تدمر وحدتنا الوطنية. إن لجماهير الشعب الكردي تقاليد طيبة في العطف على الشعب العربي متناقلة من حيز تقاليد النضال المشترك للشعبين، وبوجه بارز قيادة صلاح الدين الايوبي لشعوب المنطقة ضد الزحف الاوروبي. وقد تعززت وحدة نضالنا في الظروف التاريخية الحديثة، ظروف النهوض العام لتصفية الإستعمار. فلقد ساهم الكرد بإخلاص في المظاهرات الصاخبة في بغداد ضد الحكم العميل الذي مضى بعدئذ في التواطئ مع بريطانيا إبان العدوان الإمبريالي الإسرائيلي على مصر عام



1956. وقد كان الكرد آنئذ يتابعون راديو صوت العرب كما يتابعه العرب. وقد إتخذوا من نقل جثمان الشيخ محمود الحفيد فرصة للقيام بتظاهرات جماهيرية ضد الحكومة على طول الطريق بين بغداد إلى السليمانية. وقد إصطدموا بالشرطة فوق منجم جرحي وقتيلة. وكان إنتصار الثورة في 14 تموز عيداً مشتركاً عظيماً للكرد كما كان للعرب. اما الحرب فقد تركت آثاراً معكوسة لدى الرأي القومي الكردي، وما زالت تؤثر فيه بإتجاه مضاد. فيكفي ان نقارن بين موقف الكرد غير المكترث من عدوان حزيران 1967 وبموقفهم الذي بلغ ذروة التضامن مع الشعب العربي تجاه عدوان 1956. فما هي علة التغير؟ هل تغيرت طبيعة الشعب الكردي، كلا. وإنما غيرت الحرب شعوره تجاه قضية الشعب العربي تجاه مأساة عاناها هذا الشعب في العصر الحديث بعد مأساة فلسطين. ان كل محاولة لإلقاء مسؤولية هذا التغير على دعاية يبثها هذا الزعيم او ذلك لا تساعد على تجلية الواقع المؤسف الذي خلقته وتخلقه حالة الحرب. وإلى جانب هذا الشق الشاقولي الذي احدثته الحرب بين الشعبين الشقيقين، ونتيجة له عرقلت الحرب عملية الإنقسام الطبقي بين جماهير كادحي الكرد والطبقات والفئات التي تستغلهم. وبنسبة هذه العرقلة تزداد العقبات امام وحدة كادحي الشعب العراقي. بكل حديث عن الوحدة الوطنية لا يأخذ بنظر الإعتبار وحدة الشعبين، وحدة جماهيرنا، يبقى بعيداً عن الواقع، وفقاً بإتجاه مضاد للطريق الموصل إلى هذه الوحدة. **اما النقطة الثانية:** فهي ان الحرب وسعت بالتدرج المجال للقوى الرجعية والعميلة لإستغلال المشكلات الناشئة عن عدم حل المسألة الكردية، واطمأن بالذكر حكومة ايران من قوى معادية للشعب العراقي ولطموحه إلى الحرية ونضاله في سبيلها. هنا اري ضرورة التنبيه إلى الخطأ الذي يقع فيه كل من يقفز إلى النتيجة بعد ان يغض النظر إلى السبب. فما لم نقف بحزم ضد الحرب، نكون مشاركين عن وعي او دون وعي في الاسباب التي ادت إلى تلك النتائج — إنني احدد مجال القوى المعادية لشعبنا لإستغلال حالة الحرب بالعبارات التالية: 1 — إستغلالها ضد الجمهورية لنسف الحكم الوطني فيها تمهيداً لقفز حكم عميل إلى السلطة. 2 — إستغلال العبئ الثقيل الذي تفرضه حالة الحرب على طاقات البلاد لشل الجمهورية عن مجابهة مطامع ومؤامرات الحكم الايراني الرجعي العميل في اراضيها وفي اقطار الخليج العربي وشل الجمهورية العراقية عن الإسهام المناسب في مواجهة الخطر الإمبريالي الإسرائيلي. 3 — وضع الجمهورية العراقية تحت خطر دائم لمغامرة إمبريالية رجعية ليس لفصل قسم من اراضي هذه الجمهورية فحسب، بل ولغزو خارجي يهدد شمال العراق بأجمعه.

واوضح ذلك بما يلي: أ — ان مساحة واسعة من اراضي الجمهورية العراقية قد اصبحت مفصولة فعلاً وهي تغطي المنطقة الممتدة من زاخو حتى مشارف خانقين. هذه المساحة خارجة عن نطاق حماية الجيش العراقي، وهي عديمة الدفاع ضد غزو اجنبي سيما بمقاييس الجيوش العصرية. ب — ان الوعي الوطني بين القوميين الكرد قد اصبحت بسبب الحرب وما رافق الحرب من مآسي ودعايات عرضه للتشويه والإنحراف. ان الوعي ضد الإمبريالية يضعف في ضوضاء الحرب التي تصور بأنها

حرب بين العرب والكردي. فلم يبق خطر الإمبريالية – في نظر القوميين المتطرفين – الخطر الاول، بل ان ثمة من يحسبون ان في الإمكان إستغلال التناقضات الإمبريالية – العربية. وهناك من اصبحوا يعربون عن افكار إستعمارية صريحة. يقول هؤلاء: لقد كان خيراً للأكراد لو انهم نالوا إستقلالاً تحت سلطة إستعمارية. إذ لكان لهم مجال للتطور الجزئي تحت ذلك الإستقلال، كما فعل العرب في ما بين النهريين، ثم التحول إلى النضال من اجل (إستقلال افضل). بل ان بعض دعاة الإستعمار اخذوا يتجرأون على الزعم ان الإستعمار المباشر كان يفسح لهم مجالاً اوسع للتطور. ينسى هؤلاء ان المسألة ليست "لو" وإنما هي المصالح الإمبريالية التي تسمح بأي درجة من التطور. ويتعبير ادق إن المصالح الإمبريالية هي التي تحدد على مدى إستطاعتها عرقلة التطور. فما هو التطور الذي سمح به الإستعمار البريطاني للشعب العربي في وطنه فلسطين؟ وماذا كان يمنع الإمبريالية البريطانية من ان تسمح بتطور الشعب الكردي طيلة وجود نفوذها في العراق؟ هل كانت زمرة نوري السعيد هي المانع؟ إن حملة الافكار الإستعمارية موجودون بين شعوبنا عربيها وكرديها. ولكن المهم في هذه المناسبة، هو ان الحرب وما رافقها من مآسي ودعايات فسحت لهم مجال البروز على المسرح. ففي مثل هذا الوضع يتهدد شعبنا بعربه وكرده خطر تعميق الاسفين في وحدته، يتهدد هذا الخطر ماهية جمهوريتنا. كما تستغله الإمبريالية العالمية وإسرائيل ضد حركة التحرر العربية الصاعدة. إنه يتهدد مستقبل امن ووطننا بكليتيه. في هذا الوضع تقع المسؤولية الاولى علينا نحن الشعب العربي، لدفع هذه الاخطار، لإذابة ثلوج عدم الثقة التي تراكمت عبر النزاعات الدامية، لعزل العناصر الرجعية والعميلة التي تبشر بالافكار الإستعمارية. لذا فإن جهوداً عظيمة جداً وسخاءاً صادقاً وتضحية كبيرة يجب ان يبذلها الحكم الوطني. الحكم الذي ينتمي إلى الشعب الاكبر – الحاكم، من اجل وقف هذه الحرب وكنس جماع هذه التركة وما تراكم عليها. من اجل إعادة الثقة بين الشعبين والقضاء على الميول الانفصالية التي غذتها نيران الحرب والدعايات والافكار الانفصالية المرافقة للحرب.

إنتهى التقرير.

### تكوين المجلس الوطني للسلم والتضامن في الجمهورية العراقية

سبق لممثلي حزب البعث ان لمسوا اهمية دور مجلس السلم العالمي ومركزي فيه في إجتماع القاهرة في كانون الثاني 1969، كما تقدم ايضاحه في موضوع توسطي لحل القضية الكردية. وبعد ذلك عقد مؤتمر عالمي للتضامن مع الشعب السوداني إبان التغييرات التقدمية في عهد قيادة النميري الاولى. ولمس ممثل البعث غانم عبد الجليل مركزنا كذلك.

كانت السلطة البحثية قد الفت لجنة للتضامن، ولكنها بقيت دون نشاط. ولذلك وافق البكر على إقتراحي بتكوين وفد مشترك إلى مجلس السلم العالمي الذي عقد في برلين في 22 – 28 من حزيران 1868. ثم وافق على إقتراحي بإلغاء لجنة التضامن المذكورة وإقامة مجلساً للسلم في العراق.

وبناءً على الإتفاق مع البكر بدأت تكوين الوفد مع وزير الإعلام عبدالله السلوم. وأذكر ان اخي الدكتور حكيم شريف قد رافقتني إلى وزارة الإعلام في الصرافية، إذ قال لي "أخشى عليك من جهل بعض الجهال" وكان على حق، لأن الجو السائد لم يكن كما اعلن وإستبشر به المستبشرون. لم يقع حادث ما ولكن كما حدث لي في القصر الجمهوري. كان صغار الموظفين ينظرون إلي نظرات من يقول (وجه غريب). حتى إذ دخلت غرفة الوزير فوجئت بالنقيض إحتراماً ووداً ملموسين.

إقترحت تكوين الوفد مبدئياً من ممثلي اصناف اربعة: البعثيين والشيوعيين وأنصار السلم القدماء والکرد. سأل الوزير بخصوص التغيير دون إصرار: اليس الاصح ان يتكون الوفد من ممثلي البعثيين وأنصار السلم القدماء؟ وكان واضحاً ان كثرة انصار السلم إنما كانوا من الشيوعيين او الديموقراطيين المتعاطفين مع الحزب الشيوعي.

وبناءً على تأكيد رأيي إتفقنا على المبدأ الذي عرضته. وقد ابدت للوزير إبقاء مكان الكرد شاعراً من اجل إشغاله في المستقبل من قبل الموالين للحركة القومية الكردية. وهكذا كان.

وفي إحتفال رسمي بعد العودة من برلين حضره الرئيس البكر اعلن تأسيس المجلس الوطني للسلم والتضامن في الجمهورية العراقية. وكان اول مجلس يضم الحركتين (حركة السلم وحركة التضامن الآسيوي الافريقي). وكان قوامه على الاساس ذاته الذي قام عليه تكوين وفد السلم إلى برلين. فكان اعضاء المجلس اربعين عضواً يمثل كل من القوى الاربعة (حزب البعث العربي الإشتراكي والحزب الديموقراطي الكردستاني والحزب الشيوعي العراقي والمستقلين). وضم مجلس السكرتارية تسعة اشخاص، يمثل كل قوة شخصان بالإضافة إلى السكرتير العام (عزيز شريف). وتقرر ان يكون عمل المجلس بالمشاركة الجماعية دون اللجوء إلى التصويت.

وفي نظري كان تكوين المجلس ومبدأ عمله مساعداً للتقارب بين السلطة والقيادة الكردية إضافة إلى الاسباب الاخرى التي كانت من دوافع كل منهما إلى قبول الوساطة والتوجيه الإيجابي في المفاوضات.

## الفصل الثامن: المفاوضات بين السلطة والقيادة الكردية

### السفرة السرية الاولى

وبعد العودة من برلين ابلغني الرئيس انه لم ينتهي من دراسة التقرير وطلب الانتظار الى فترة اخرى. سافرت الى المانيا - عاصمة كازاخستان - للمشاركة في اجتماع مجلس العالمي. بعد العودة من اجتماع المانيا، ابلغني الرئيس ان الحزب (حزب البعث) يعتبر التقرير الذي قدمته يصلح ان يكون اساساً للمفاوضات.

ولكنه اشترط ان لا اعلن للبارزاني سبق اتفاقي مع الجانب الحكومي على بدء المفاوضات، لان ذلك (في نظر البكر) قد يتخذ من قبل البارزاني علامة ضعف في الجانب الحكومي. فوعده بان اتصرف قدر الامكان بوجه لا يوحي بما يحذرونه.

هيئ لي دفتر هوية معلم وسيارة تاكسي ومرافق. وقد ادركت بداهة انه من موظفي الامن، كانت مهمته الاولى تيسير المرور من نقاط المراقبة اذا اقتضى الامر. ولا ريب ان كانت له مآرب اخرى.

وفي طريقنا عند مدخل كلي علي بك استوقفنا رئيس مجموعة الجاش - او كما يسمونهم الفرسان وطلب بلهجة الامر نقله وجماعته بسيارتنا. قال له المرافق ان هذا شخصية حكومية مهمة، معذرا عن امكان نقلهم. غضب رئيس المجموعة، واخذ يضرب السيارة باخمص بندقيته ويردد: انا (فرسان) فمن يكون الشخصية الحكومية. وهم يستخدمون كلمة فرسان للمفرد وللجمع. وبعد توسل طويل من جانب المرافق، سمح لنا السيد (الفرسان) بمواصلة السير. بلغنا مركز مراقبة ديانا. وهو يقع على مفترق طرق ثلاث، احداها تتجه يمينا نحو مرتفعات منطقة سيطرة (الثورة) الكردية عند جسر جنديان. وتتحدر الطريق المتوسطة نحو مدينة راوندوز وحامية راوندوز. كما تتحدر الثالثة يسارا نحو ديانا - وكانت هذه احدي مراكز القوات الجوية البريطانية في كردستان.

اتخذنا طريق مدينة راوندوز لمقابلة امر الحامية والتعرف منه على امكان مواصلة السير نحو منطقة (الثورة). قلت لآمر الحامية ان لي ابن اخ في منطقة البارزاني ارغب في زيارته. قال اظن ان من اقبله عزيز شريف. انكرت ذلك واريته هويتي. تظاهر بقبول جوابي. ومن المحتمل انه كان على علم من جانب الحكومة بهويتي الحقيقية.

كنت في الفترة الطويلة من وجودي في منطقة الثورة اعرف ان الحرب تشتد في مناطق وتخف في اخرى. اما فيما يتعلق بمنطقة راوندوز فقد بين لي امر الحامية "ان المنطقة هنا في شبه هدنة". فمن ناحية ان شبه اتفاق واقعي يسود بيننا وقوات البارزاني على فتح الطريق بين مفترق ديانا وجسر جنديان، ساعات محدودة من النهار لتمكين السابلة من التنقل بين الجانبين، والحصول على حاجاتهم. ومن وراء هذا غرضنا، كما اعتقد انه غرض قوات البارزاني ايضا، تمكين كل من الجانبين لعملائه من التنقل ونقل الاخبار. ونحن نرقب عملاء البارزاني، كما نفترض ان البارزاني يراقب عملائنا."

وواصل الأمر الحديث قائلاً "اما السبب الاخر لضعف الاحتكاك او توقفه تقريبا فانه ناشئ عن تصرفي انا. فهناك منابع مياه هي تحت مرمى مدافعنا ونستطيع لو شئنا ان نحرمهم منها وهي بالنسبة لهم حيوية. وقد رأيت ان اغض النظر عن ورودهم. وقد قابلوا موقفنا هذا بموقف مماثل، فنشأت حالة من شبه الهدنة غير المعلنة".

لقد بلغ بي الحذر الساذج ان اتوجه الى جهة (الثورة) نحو جسر جنديان بعد غلق الحدود وانقطاع السابلة. حرصاً مني على ان لا اكشف وتكشف مهمتي، فيتصدى اعداء السلام لاحباطها. اقول الحذر الساذج. اذ تعلمت بالتجربة اللاحقة ان القدرة التخريبية لاعداء السلام، لا تنحصر في اكتشاف السفارة الاولى، بل ولم تنحصر في أي فترة لاحقة ما داموا يجدون من يدقون الاسافين بوساطاتهم.

عند وصولنا أول مقر لقوات البارزاني عند جسر جنديان جرى لنا استجواب بسيط، ثم سمح لنا بمواصلة السير. فكان علينا ان نعبر جسر جنديان ونتجه يسارا نحو منطقة الثورة. ولكن السائق وقد كان غريبا عن المنطقة، أخطأ فاتجه بالسيارة يمينا. فعدنا في محاذاة الجانب الايسر لنهر راوندوز باتجاه مفرق ديانا مرة اخرى. وقد كان الظلام كثيفا، والريح شديدة، فلم نسمع صوت حرس المفرق يأمرنا بالوقوف. فاطلقوا علينا النار بصليبات من الرشاشات. وعندئذ افقنا على الوضع. فتوقفت السيارة. وتقدم اليها جنود شاهر والرشاشات. وطلبوا اليها ترك السيارة والسير رافع الايدي الى مركز المراقبة. تظاهرت بالمرض وبعد اقناعهم استصحبوا معهم السائق والمرافق. وقد سمعت صليات رشاش فوق رأسيهما. وبعد تأكدهم اننا نحن الذين دخلوا راوندوز في اليوم ذاته وافقوا على عودتنا باتجاه النقطة الامامية (للتورة)، واعتذروا بان الصليات الاخيرة انطلقت خطأ.

بلغنا مرة اخرى نقطة المراقبة عند جسر جنديان. فاصبحت المشكلة اشد تعقيداً. اذ ان المراقبون الكردي شكوا باننا كنا نقوم باستطلاع لصالح الحكومة. اذ ما معنى قدومنا الاول وعودتنا الى جهة نقطة مراقبة الحكومة ثم عودتنا اليهم ثانية وبخاصة لان ذلك كله حدث ليلا. واخذوا يفتشونا بانفعال يجمع بين مظاهر الدقة المتناهية حتى اجزاء الملابس ومسارات خياطتها، وبين البدائية الساذجة التي لاتؤدي في الواقع الى نتيجة. وبعد وقت طويل من التفتيش والاستجواب سمح لنا بمواصلة السير بشرط ان نكون في حمايتهم. وتكدسوا في السيارة وتعلقوا بها من الخارج.

وصلنا اول مركز بعد تلك النقطة الامامية، وقد بدت بوادر الصباح. وكان المركز برئاسة عزت بك بن سليمان بك دركه له. وكان يعرفني. فقال " انشأ الله رسول سلام" انكرت ان لي رسالة للسلام او غير السلام. وبينت له انني انما جنيت في زيارة شخصية للبارزاني واولاده. واصلنا السير حتى (برسريني) فقضيت وقتاً عند صديقي ملازم خضر. وامرت مرافقي بالعودة بسيارته. ثم واصلت السير نحو مقر البارزاني.

وعند وصولي واد بين قصري وديلمان وهي مشتى البارزاني، وجدت البارزاني في مؤتمر مع قادة (الهيئات) والمسؤولين الاخرين. فقطعوا المناقشة لتحيتي. وكثرت الاسئلة "انشأ الله رسول سلام". انكرت ان لي مهمة ما. وتظاهروا بتصديقي. وبعد انقضاء المؤتمر انفرد بي البارزاني وجرى بيني وبينه حديث طويل خلاصته: اقتراحي بوقف القتال ومحاولة اجراء مفاوضات لحل المسألة الكردية سلمياً. وبينت له ان هذه مبادرة مني وكنت صادقاً. لم يكن صعباً على البارزاني ان يحزر بان لا بد أن كان لي اتصال سابق مع الحكومة. ولكنه وافق على التحدث في الموضوع من اولياته. وبين انه لا يثق بهذه الحكومة وقد توصل بالتجربة الى يأس تام من استعدادها لاعطاء الكرد حقوقهم بطريق السلام.

قلت: اذ كنت تمنحني ثقتك كما كنت في السابق فساعدني على سير الموضوع هذه المرة. قال اوافق بشرط واحد. هو سحب قوات جلال الطالباني من موقعها بين قوات الجيش وقوات (الثورة). فأيدت مطلبه على انه مقدمة للحوار.

عدت الى بغداد فقابلت الرئيس ثم نائب الرئيس صدام حسين وذكرت لهما ما حدث. اجابني صدام حسين انا اعرف نوايا هذا الشخص (يقصد البارزاني) وهذا المطلب البسيط لا ينسجم مع تلك الاغراض. قلت ان الموضوع ليس موضوع مطالب نهائية. انما هو مطلب للبدء ولتجلية الامر دون تدخل قوة ثالثة بين قوات البارزاني وقوات الحكومة. وبذلك يتحدد الالتزام ومسؤولية خرق الالتزام.

### السفرة الثانية شبه السرية

بعد عودتي بفترة استدعاني الرئيس البكر وقال "اننا قررنا وقف القتال من جانب واحد وذلك عربون لعملك" يقصد مقدمة لتيسير عملي". وكان ذلك يصادف بدء شهر رمضان، شهر الصيام. سافرت وبينما كنت ابلي البارزاني حديث الرئيس البكر، فتح جهاز راديو ترانزيستر وهو يحمله باستمرار كما يحمل سلاحه. سمعنا اذاعة راديو بغداد تنشر حديثاً لابراهيم احمد منشوراً في جريدة الثورة ومما جاء فيه. "ان ملا مصطفى البارزاني العميل ..... " فقال البارزاني منفعلاً ماذا قلت لك عن صدق هؤلاء؟ فاين العطاء الذي ابلغوك به من هذه الشتائم؟ لقد كان وقع ذلك علي مؤلماً ومحرجاً. وبعد صمت انتقلت بالحديث الى امور شخصية.

ثم قلت للبارزاني هب اننا نحاول زرع القمح في ارض سبق ان نبت فيها الزوان واصناف من النباتات الطفيلة والضارة، فكيف تتوقع ان تتطهر بين عشية وضحاها؟ ولم اقل هذا لمحض اقتناع البارزاني بمواصلة الحوار، بل ولاني كنت مقتنعاً بهذه الحقيقة، وبرغبة السلام التي حدثني عنها الرئيس البكر وما اعلم سلفاً من طموح البارزاني الى السلام.

عدت الى بغداد بهمة متضائلة... ذكرت لصدام حسين ما حدث. قال " كان ما نشر ضد البارزاني داخلاً في نهجنا السابق. وللاسف ان المسؤولين عن الاذاعة ساروا على القديم دون ان يدركوا توجهنا الحديث. وسوف نحاسبهم".

**ملاحظة:**

لقد تعلمت خلال عملي مع السلطة انها تسير على اكثر من خط، في موضوع العلاقة مع الحركة القومية الكردية. قبول توسطي وتكليفي بالتفاوض واجراءات واتصالات دون اخباري بها. وعلى اسس لاتنسجم مع المبادئ التي بينت للسلطة كيفية تناول المسألة الكردية بها.

فمن ذلك بيان صدر من مجلس قيادة الثورة برقم 484 وبتاريخ 9.10.1969 وذلك بعد وقت طويل من تقديم تقريري التحريري الى الرئيس البكر. وقبيل ابلاغي ببضعة ايام من قبله بموافقة الحزب على ان يكون تقريري اساسا للمفاوضات. ولم ادر لماذا صدر البيان ولماذا لم ابلغ به مع ان الاساس الذي اعتبره البيان حلاً للمسألة الكردية يتناقض مع تقريري فقد كان مضمون ذلك البيان تكراراً وتوسيعاً للمواقف السابقة منذ عهد الرئيس عبد الرحمن عارف ووزارة عبد الرحمن البزاز.

صدر البيان بمقدمة عامة ... بايمان الثورة .... بحق الامم في تحقيق وجودها وتأكيدها خصوصيتها. ولذا فان الثورة في حرصها على ازالة كل شكل من اشكال الظلم القومي الاجتماعي قررت نقاطاً كان اهم ما فيها تدريس اللغة الكردية في الصف السادس للدراسة الثانوية وكافة الجامعات ومعاهد المعلمين والكلية العسكرية وكلية الشرطة، اي ان اللغة الكردية ستكون لغة ثانية في تلك المؤسسات.

وحتى بعد ابلاغي بقبول تقريري اساساً للمفاوضات وبعد سفرتي الاولى والثانية، علمت بغير طريق الحكومة انها ارسلت الى قيادة البارزاني كلا من سمير النجم وفؤاد عارف. ثم نشر خبر من ذلك في جريدة الثورة، ذكر فيه ان مطالب الجانب الكوردي كانت في حدود قضايا مرحلية، وانها تدور بوجه اساسي حول مستقبل العلاقة بين السلطة وجماعة الاستاذين ابراهيم احمد وجلال الطالباني وكذلك مستقبل العلاقة مع الفرسان السابقين.

ولقد تكررت هذه الصورة بعدئذ اكثر من مرة. مفاوضات بوساطتي، وتوقف او انقطاع ثم اتصالات حتى بوساطة بعض الموظفين الثانويين.

**بدء المفاوضات الرسمية**

**اللقاء الاول:** سافرت والوفد الحكومي وكان برئاسة الفريق حماد شهاب وعضوية عبد الخالق السامرائي وآخرين عرفت منهم بعدئذ مرتضى الحديثي وسمير عبد العزيز النجم وطارق عزيز وآخر عرفت مؤخراً انه خبير عسكري.

ولم تكن بداية مرنة لان الوفد الحكومي ركز الحديث منذ البدء حول نزع اسلحة الجانب الكردي. فآثار ذلك انفعال البارزاني. وكان جوابه جافاً وموجهاً إلى الوفد دون تمييز، رغم سبق تعريفه له بمزية عبد الخالق السامرائي.

وكان اللقاء الثاني في 21 كانون الاول 1969. وعند بلوغنا مداخل المنطقة التي تحت سيطرة القوات الكردية استقبلنا وفد كبير برئاسة ادريس البارزاني. فبادرني ادريس بالتهنئة. وكانت مفاجأة لي. علام التهنئة قال لقد سمعنا بالراديو تسميتك وزيرا للعدل. فكان وقع الخبر علي سينا جدا. ولم استطع المشاركة في احاديث الجانبين، اذ كنت اعاني اضطرابا نفسياً. ولم يستحق الذكر في هذا اللقاء سوى تبادل الاراء انما كان ايجابيا ووديا على عكس ما حدث في اللقاء الاول.

**حادث جانبي على هامش المفاوضات:** عدت الى بغداد مضطربا، ولم احضر في اليوم التالي مراسيم اليمين مع الوزراء الاخرين. وانما اردت ان اذكر الدكتور عزت مصطفى بجوابي الرفض كليا. اذ كان قبل فترة قال لي ان الجماعة معجبون بك وهم يرغبون ان يسندوا اليك منصبا.

وبعد يوم اخر ذهبنا معا لمواجهة رئيس الجمهورية فطلبت من د. عزت مصطفى ان يعيد ما كان قال لي وجوابي له. فأعاد ذلك حرفياً. فابقت ان د. عزت برئ من الخطأ فيما حدث.

قال الرئيس البكر: انا وحدي المسؤول عن هذا الموضوع. فرجوت ان يعفيني من هذا المأزق، أي وزارة العدل، التي لااستطيع تحملها لاسباب عديدة شخصية وموضوعية.

قال الرئيس وأنا ارجوك ان تساعدني على تجنب مأزق قد تضعني فيه اذا رفضت. وقال اني بناءً على ثقتي بك واعتمادي على انك لن ترد هذه الثقة، فقد اسندت اليك هذه الوزارة وكان اختياري مبني على اعتقادي انك خير من يشغلها. فإن رفضت ذلك الآن فسيكون لذلك رد فعل سيء لدى الرأي العام. ولكنني أعدك، ان كنت مصرا على موقفك بان اعفيك من الوزارة بعد ان نجد معاً الفرصة والكيفية المناسبتين. فوافقت على مضمض. كان لوجودي في وزارة العدل حديث طويل ملئ بالمرارة ومحاولات لاصلاح جهاز الوزارة وخوض صراع مع اجهزة السلطة المتدخله في شؤون العدل في الوقت ذاته. ولقد كان مما خاطبت به الرئيس البكر برسائل رسمية ذات مرة ارجو انفاذي من هذا القبر - أي وزارة العدل ومرة اخرى اطلب احالتي لمحكمة الثورة شخصيا بدلا من احالة موظفين قاموا بواجبهم. وذلك ما قد يتسنى لي لقاء نظرة عليه في غير هذا الصدد. ولكن كان لهذا الموضوع حديث آخر مع قيادة الحزب الشيوعي العراقي.

اليوم التالي لمقابلة الرئيس زارني حبيب ثابت عضو القيادة في الحزب الشيوعي. وقال جنئت لااكلفك بان ترفض الوزارة. قلت له لقد فعلت ما استطيت قبل ان تكلفني. وقد عاهدني الرئيس البكر على الخروج منها بالطريق الذي لا يحدث له حرجا. فقال يجب ان ترفض بتحدٍ. قلت انا لااستطيع ذلك بعد ان اتفقتنا، ولاتنسى ان بايدينا موضوع المفاوضات لحل المسألة الكردية، وقد اخذت تتجه اتجاها ايجابياً. قال التحدي ضروري مهما كان الثمن، وقد افترقنا دون ان يحاول فهم موقفي، ولم استطع حتى الان فهم مطالبتي بالتحدي.



بعد ذلك اللقاء مع ثابت حبيب صدر بيان من الحزب الشيوعي مؤرخ في اوائل كانون الثاني 1970 تحت عنوان "ايضاح للرأي العام حول التعديل الوزاري" جاء فيه "اتخذت في اواخر الشهر الماضي بعض الاجراءات التي تتعلق بسلطة الدولة فقد ادخل تعديل اخر على الدستور الموقت ركز سلطات جديدة بيد رئيس الجمهورية تمشياً مع اتخاذ النظام الرئاسي اسلوباً للحكم في التعديل السابق. كما اجريت بعض التبدلات بين المناصب الوزارية وقد عين السيد عزيز شريف وهو شخصية مستقلة وزيراً للعدلية. ومما يلفت النظر هو ان هذه التعديلات والتبدلات قد سبقها تصريحات من مصادر رسمية بان تعديلاً وزارياً مهماً سيجري في مطلع السنة الجديدة وان حكومة ائتلافية سوف تشكل في هذه المناسبة. وقد قابل حزبنا هذه التصريحات بتحفظ تام بالطبع ليقينه ان الاتجاه الحالي للحكم لا يهدف الى اقامة ائتلافية تضم ممثلي الاحزاب السياسية الوطنية او مرشحيها ولا إلى تطبيق الديمقراطية او اشاعة الحريات للشعب."

ولم يكن ما طلب إلي منسجماً مع الوضع القائم آنئذ بين السلطة والحزب فقبل زيارة ثابت حبيب بايام وفي يوم الزيارة وبعده كانت تجري جهود مشتركة بين ممثلي الحزبين للدعوة لمرشحيها لانتخاب نقابة المحامين التي تمت 9 كانون الثاني 1970. فتم انتخاب الشخصيات التي اتفق على ترشيحها. ففاز برئاسة النقابة عبد الوهاب محمود الشخصية التقدمية المتعاطف مع الحزب الشيوعي. وعضوية الهيئة الادارية عامر عبدالله عضو اللجنة المركزية وكذلك توفيق الالوسي والثلاثة من الشخصيات الديمقراطية. الى جانب مرشحين من حزب البعث واصدقائه. انظر حنا بطاطو ص 1101 نقلاً عن جريدة الجمهورية 10 كانون الثاني 1970.

وقبل هذا التاريخ بنصف عام عبر الحزب الشيوعي عن محاولات التقارب مع حزب البعث بأنه غير غافل عن الجوانب السلبية لهذا التقارب. فقد نشرت جريدة الحزب (طريق الشعب) في ملحقتها الصادر في اوائل حزيران 1969 مقالاً تحت عنوان 5 حزيران و مفرقوا الصفوف. وذكر المقال ان الحزب اقترح عقد إجتماع تحظيري من ممثليه وممثلي حزب البعث العربي الاشتراكي لتأليف لجنة لقيادة مسيرات بغداد في ذكرى عدوان 1967. إلا ان محاولة تخريبية جرت من قبل جماعة النور (جماعة إبراهيم احمد وجلال الطالبناني). واستعرض مقال طريق الشعب الحادث وختمه بما يلي: "ولهذا السبب انسحب ممثل حزبنا من اللجنة التحضيرية في حين بقيت منظمات حزبنا مساهمة في المسيرة بنشاط وتحت شعاراتها الثورية ..... ومهما فعل المخربون ومفرقوا الصفوف فلا بد للقوى العازمة على اللقاء ان تلتقي بعد عزل مفرقي الصفوف."

ولعلي لست بحاجة إلى التأكيد بأنني لم يكن يهمني منصب ما، فما كان لهذا الحادث او البيان ان يغير من موقعي قيد شعرة. وذات مرة كنت اراجع الرئيس البكر بشأن قضية تخص بعض الشيوعيين المظطهدين، فتضايق من إلحاحي وقال لي " لماذا تلح على هذه الامور، فإنك لم تسلم من تهجماتهم في جرائد لبنان كما لم اسلم انا." فاجبته "ولو قطعوني إرباً إرباً لما عدلت عن طريقي هذا الذي اخترته في كل الظروف."

كان الإجتماع التالي في نابوردان وقد كان رئيس الوفد العراقي حردان ايضاً. وقد احضر معه عبد الفتاح الزلط. وهو حقوقي كان عضواً في حزب البعث في سورية وقد إنشق عن حزبه ولجأ إلى العراق فعين مستشاراً قانونياً لمجلس قيادة الثورة. فلم يرتح للمشاركة إذ رأى ان المسألة ليست مسألة إبداء رأي قانوني، ولم يعد في اللقاءات الاخرى.

### نوبة إرتداد

كانت اللقاءات تقع بالتناوب في مقر البارزاني وفي بغداد. وفي يوم 11 - 1 - 1970 وصل الوفد الكردي إلى بغداد، ولم يستقبل بالحفاوة المعتادة. وإنما انزل في مايسمى (القصر الابيض) وهو كان سوقاً للخضار واللحوم، وقد حول إلى دار متواضعة للضيافة. وبقي الوفد طويلاً دون لقاء وحتى دون زيارة من المسؤولين. ثم حدث إنفراج مفاجئ، إذ دعي الوفد إلى إجتماع بحضور صدام حسين. وكان يتحدث بلهجة إستخفاف بالنسبة إلى ما كان يطلبه الوفد الحكومي من القيادة الكردية حول تسليم اسلحتها. وابلغ المجتمعين بضرورة صرف النظر عن الاسلحة الخفيفة كلياً. اما الاسلحة الثقيلة وجهاز إذاعة الراديو فيرجأ تسليمها إلى مابعد الإتفاق وفي مجرى تنفيذه. وقد علم بعنذ أن صدام حسين قد سافر إلى كردستان مسطحياً د. عزت مصطفى وسعدون غيدان، وجرى بينهم والبارزاني لقاء وتفاهم ودي. بعد ذلك جرى إجتماع في يومي 15 و 16 - 1 - 1970. وكان رئيس الوفد صالح مهدي عماش. وقد قطعت المفاوضات في هذا الإجتماع شوطاً كبيراً. ثم تم إكمال كثير من المسائل المتعلقة في إجتماع 7 - 2 - 1970. حتى بدأ الإقتراب من اللمسات الاخيرة للإتفاق النهائي.

وفي تلك الفترة، بينما كانت المحادثات تجري في طريق إيجابي وردت تقارير من قيادة الحركة الكردية تبين تجدد الإصطدامات المسلحة. ومما جاء في احد تلك التقارير: في 4 - 2 - 1970 قام معسكر قلعة دزة بقصف مواقع جماعتنا. واعقب ذلك هجوم من قبل جحوش 66 - يقصدون قوات الطالباني - بدون مبرر ودون ان تقوم قواتنا بأي عمل يستوجب ذلك.

وردتنا معلومات تفيد بأنه في 3 - 2 - 1970 قامت جحوش 66 غير النظامية في بكرة جو بإعدام ثلاثة اشخاص من جماعتنا كانوا مسجونين في بكرة جو منذ سنة تقريباً وهم: برهان شواني وصالح منصور ومحمد حجي صالح. نطالب السلطات بإجراء تحقيق وإعلامنا. وبينما كان عدد من البيشمركة مجازين في قرية جوارتاق منطقة عربت هاجمتهم دبابات الجيش وقوة قوة من الجحوش يوم 6 - 2 - 1970 وأدى ذلك وقوع إصطدام، ثم طردت عدة عوائل البيشمركة من مدينة حلبجة بعد سلب اموالهم إلى خارج البلدة وإسكان الجحوش في دورهم. وفي 2 - 2 - 1970 قتل الجحوش طالبين وشخصين آخرين من الاهالي داخل مدينة السليمانية وأمام انظار السلطات. وليلة 8/7 - 2 - 1970 قام جحوش جعفر بيسفكي في مانكيش بحرق دارين في قرية (دير كثر نيك).

إن تلك الاخبار مع ظواهر اخرى تدل دلالة قاطعة على ان المفاوضات كانت تجري عبر عقبات، وحتى إرتدادات، رغم عدم إمكان التحقيق آنئذ بين ما كان منها عرضياً وما كان نتيجة تخطيط مركزي.

وفي نوبة المفاوضات وصل الوفد الكردي يوم 28 - 1 - 1970 فانزل كما هي العادة في القصر الابيض، وتكرر السيناريو، إذ بقي الوفد دون إستقبال او زيارة من احد المسؤولين سوى ضابط الامن المرافق للوفد، وكان كردياً يعتز بإنتمائه إلى عائلة الحفيد. وكنت والوفد في ترقب عما حدث وعما سيحدث. حتى كان يوم 13 - 2 - 1970 إذ دعي الوفد إلى وزارة الخارجية وكان في مقدمة الوفد محمود عثمان وإدريس البارزاني وكنت معهما إلى جانب آخرين. وجدنا وزير الخارجية عبد الكريم الشихلي في مكتبه ومعه كل من مرتضى سعيد الحديثي وسعدون غيدان. فسلم الوزير إلى الوفد نص بيان مطبوع وطلب الموافقة عليه. وفي البيان رجوع عن بعض المسائل التي تم الإتفاق عليها. كما كانت فيه مطالب تناقض ما تم الإتفاق عليه. وقد ختم بصيغة تسيئ إلى الشعب الكردي، على ما ستأتي الإشارة إليه.

لقد كان ذلك لي مفاجئة شديدة. اما إستغرابي الاشد فكان من الهدوء الذي قوبلت به من الجانب الكردي. فلقد كان جوابهم موجزاً: "لقد تضمنت هذه الوثيقة شروطاً لم نكن مسبوقين بها، فينبغي ان نعود إلى كلاله لأخذ رأي إخواننا في الحركة وعلى رأسهم البارزاني."

وفي اليوم التالي عاد الوفد إلى كردستان. وكنت ابغيت الرئيس البكر انني ارغب في مرافقتهم. وعلى غير العادة لم يكن احد في توديع الوفد سوى المرافق ضابط الامن. وكانت بيده رسالة قال إنها من الرئيس احمد حسن البكر إلى البارزاني. اقلعت الهلكوبتر وكان الوجوم يسود الجميع، فلا كلام ولا تعليق طيلة السفارة ... حتى إذا هبطت على الارض في منطقة الثورة انفجروا بالضحك والتعليق. وقد فسروا لي سلوكهم بأنهم منذ تسلم الوثيقة كانوا يتوقعون القبض عليهم وسجنهم، وحتى التعذيب على غرار ما حدث عند إنقطاع مفاوضات عام 1963.

### الشعور بالخيبة

لقد كان ما في ذلك البيان خيبة أمل للبارزاني ولجميع من حوله دون إستثناء. فقد صيغ في صورة بيان صادر من مجلس قيادة الثورة، وغيرت فيه امور جوهرية عما تم الإتفاق عليه حتى يوم 7 - 2 - 1970. وفيما يلي اوجز تلك التغيرات:

اولاً - حذفت من المادة (5) الفقرة التي نصت على ان "تسمح الحكومة للحزب الديموقراطي الكردستاني بممارسة نشاطه بشكل علني. وتكون له صحيفته الخاصة.

ثانياً - حذف التفصيل الذي جاء في المادة (4) بخصوص افضلية تعيين المسؤولين الاساسيين: محافظ، قائم مقام، مدير امن، وما اشبه ذلك ... وحل محل ذلك تعميم لايفي بالقصد.

ثالثاً - حذف المادة (14) بخصوص تعديل الدستور الذي نصت على ان (أ) "يتكون الشعب العراقي من قوميتين رئيسيتين هما القومية العربية والقومية الكردية وهما شريكان في هذا الوطن. ويقر الدستور

حقوق الشعب الكردي وحقوق جميع الاقليات كافة ضمن الوحدة العراقية . (ب) إضافة فقرة إلى الدستور تنص على ان اللغة الكردية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية. وقد وضعت الفقرتان في الملحق السري الذي يوقع بنسخة واحدة إشتراط ان تحفظ لدى رئيس الجمهورية.

رابعاً - غيرت المادة (7) الخاصة بتصفية المظاهر العسكرية الفاضية بسحب الجيش إلى الثكنات المعتادة وسحب البيشمركة من الطرق العامة. ووضعت محلها المادة (7) التي اضيف فيها مايلي: "وتعمل الدولة على تصفية جميع الاجهزة المسلحة غير النظامية وفق الاحكام المقررة في البيان العام لمجلس قيادة الثورة وتتولى إستلام جميع الاسلحة والذخائر وجهاز الإذاعة."

كما اضيفت مادة 14 نصها: "تعمل الحكومة بعد صدور هذا البيان على تصفية جميع القوات المسلحة غير النظامية وتتولى تجريدتها مما بحوزتها من اسلحة وذخائر ومعدات." وذلك خلافاً للإتفاق الذي تم على ان إعادة الإذاعة وللأسلحة الثقيلة إلى الحكومة تكون مرتبطة بتنفيذ المراحل النهائية للإتفاق.

وكذلك وردت هذه المادة في البيان العام برقم (51) وبالشكل التالي:

تبادر قيادة الملا مصطفى البارزاني بعد إعلان هذا البيان إلى تسليم جهاز الإذاعة وجميع الاسلحة والذخائر التي بحوزتها إلى السلطات المختصة.

وختم البيان بمخاطبة الشعب الكردي : ... إن طريق التآخي والتقدم والسلام من اجل الوصول إلى امانكم القومية المشروعة في هذا الوطن هو خير من طريق التخريب والذعر والفوضى.

واضح ان السيناريو بأجمعه والبيان لم يكونا من فعل الوزير، وإنما كانا بتخطيط مركزي. " لقد كانت القيادة الكردية بادئ الامر تحت دافع الإنفعال وبخاصة البارزاني. فماذا كنا نعمل خلال نحو تسعة أشهر، وأي ثقة تبقى بالإتفاق ولماذا كان ذلك العمل المضني حول صياغة هذه المادة او تلك؟

لقد اراد البارزاني ان يرد على رسالة الرئيس البكر وهو منفعل. وعلى مدى يومين امكن إقناعه. وتمت قناعة الجميع بضرورة التحدي بإصرار على خط المفاوضات وإنقاذها من المأزق. وهكذا كان.

### محاولة للعودة إلى المفاوضات

حرر الجانب الكردي مذكرة في 17 - 2 - 1970 يهيب بها بالحكومة بأن تواصل المفاوضات. ورافق بها ايضاحاً مفصلاً قارن فيه بين النقاط التي تم الإتفاق عليها حتى يوم 7 - 2 - 1970 وصيغة الإرتداد التي قدمت لهم يوم 13 - 2 - 1970.

أخذت معي الوثيقتين إلى بغداد ووجهت من قبلي رسالة إلى الرئيس البكر واعضاء مجلس قيادة الثورة بتاريخ 25 - 2 - 1970 اهاب بهم بالعودة إلى المجرى الإيجابي الذي سارت عليه المفاوضات حتى بإنتكاسة يوم 13 - 2 - 1970.

فيما يلي اهم ما جاء في مذكرتي التي قدمتها بتاريخ 25 - 2 - 1970 بعد حذف بعض التفاصيل الثانوية:

الإخوان المحترمون، السيد الرئيس، السادة اعضاء مجلس قيادة الثورة

تحية

إنني ارغب ان نلتفت قليلاً إلى الوراء لنقدر الشوط الكبير الذي قطعناه في السبيل إلى حل المسألة الكردية في العراق. فقد كان هذا يبدو شبه مستحيل منذ بضعة اشهر، ولكنه اصبح اليوم حقيقة واقعة. وهذا ما يؤكد قولنا ان خطوة صحيحة في السياسة تخلق ما يشبه المعجزات. ان المواطنين اخذوا يوقتون الاعياد في مناسبة بعد اخرى لإعلان حل المسألة الكردية وإطلاق طاقات الشعب وقواه المادية في سبيل البناء ومجابهة العدو الحقيقي - الإمبريالية والصهيونية العالمية ورأس رمحها في بلادنا (إسرائيل) والرجعية العميلة. لقد قلت قبلاً ان المكسب الواحد ذاته الذي تناله القومية الكردية قد يكون خطوة إلى الانفصال إذا ما إنتزع إنتزاعاً، او خطوة إلى الوحدة الوطنية بين الشعبين إذ يكون نيله نتيجة تقدير صائب لحقوقها من القومية الكبيرة وسخاء في التعاون معها. ولذلك لم اكن مرتاحاً من بعض صفحات المفاوضات إذ كانت تتخذ طابع المباريات. وعلى كل حال لا يبدو لي إننا نواجه مأزقاً ما دام الإخوان الكرد قد ابدوا إلتحافاً على مواصلة المفاوضات. اما نقاط الخلاف فإنني ارى من اليسر تذليلها. وسأحصر التنويه بالنقاط التالية:

اولاً: مسألة المنطقة التي ينبغي تطوير الوضع فيها نحو الحكم الذاتي.

لقد كان واضحاً منذ بدء المحادثات حتى الآن ان الحكومة لاتعترف بضم كركوك إلى هذه المنطقة، بينما يصر الكرد على ضمها ضمن المنطقة إستمراراً على وضعها التاريخي. فإذا ما توقف كل العمل على حل هذه النقطة، فلن يكون هناك إتفاق. ولذلك إقترحت خطأً ثالثاً، وهو عدم تحديد الاماكن التي تشملها المنطقة الكردية بل الإكتفاء بذكر كونها تقطنها كثرة كردية. وهنا ظهر خلاف جديد حول تحديد من هي كثرة السكان. فقد كان في الوفد الحكومي من إشتراط لقبول الصيغة التي التي قدمتها ان يكون على اساس الإستفتاء. فماذا يقصد بالإستفتاء؟ فإذا كان القصد منه الإستفتاء حول ما إذا كان بعض الناس يرغبون في الإنضمام إلى المنطقة الكردية التي يراد تطويرها نحو الحكم الذاتي او لا يرغبون. فإن هذا الإستفتاء سيلغم كل عملنا وتتحول العلاقة بيننا وبين الجانب الذي إعترفنا له بتمثيل الحركة الكردية إلى علائق سلبية. بل عدائية لأن (الفرسان) سيصوتون بالضرورة ضد الحكم الذاتي من اساسه. ومهمتنا ليست شق وحدة الشعب الكردي، بل إيجاد المناخ الديمقراطي لوحده. ومن ثم للتوجه نحو الإتحاد مع الشعب الشقيق الاكبر.

وقلت: إننا ينبغي ان لانعمل على النزاع الآن والحصول على وثيقة توضع في خزانة بل لتطوير العلائق بين القوميتين تطويراً ديمقراطياً نحو إتحادهما. وفيما يتعلق ببعض الفصائل كالفرسان .... إن تشجيعهم من جانبنا للإفصال عن الكتلة الكبرى لقوميتهم، يتضمن في الوقف ذاته دفعاً لتلك الكتلة للإفصال عنا. ولما تقدم اقترح مايلي بشأن هذه النقطة:

1 - عدم ذكر الاجزاء الكردية بالإسم بل يقال "المناطق التي كثرة سكانها كرد."

2 - ان يصار إلى التنسيق بين هذه المناطق تدريجياً لتجنب الخلاف حول هذه المنطقة او تلك قبل ان تنبنى الثقة والتعاون والوحدة بين الحركة القومية الكردية والحكم الوطني في العراق.

3 - إذا اريد ذكر الإستفتاء فليكن لتحديد قومية المرء كأن يكون كردياً او غير كردي لا اكثر.

اما النقطة الثانية التي ينبغي ان اشير إليها فهي قطع العلاقات كلياً بين الحركة القومية الكردية ومصادر المساعدة الاجنبية. وبتحديد ادق غلق طريق إيران بشأن هذه المساعدات. إن هذا الهدف اساسي جداً، ومالم نبليغه فكل عملنا غير مجد. ولكن الطريق إليه ليس طريق إشتراط إحتلال الجيش العراقي لمناطق الحدود. فإن هذا الشرط وحده يلغم كل اساس وضعناه او نضعه من اجل الثقة. فالجيش العراقي يجب ان يحتل اي ارض من ارض العراق. ولكن ليست هذه هي المرحلة الصالحة لتقديم هذا المطلب. فإن محض تقديمه معناه بالنسبة إلى الطرف الآخر "إننا لا نثق بك، وإنما نثق بقوة السلاح لعزلك عن مصادر تموينك السابقة." وهذا مخالف لأبسط قواعد علم النفس. بينما نقول له "ثق بنا وبوعودنا المتعلقة بالمستقبل ايضاً." النقطة الثالثة: مسألة الاسلحة والإذاعة التي لدى الحركة الكردية المسلحة. لقد تم الإتفاق في اللقاءات السابقة قبل 13 - 2 - 1970 على عدم تسليم الاسلحة الخفيفة. اما الاسلحة الثقيلة والإذاعة فيتم في المراحل الاخيرة من تنفيذ بيان الحكومة الذي سيتم الإتفاق عليه بشأن حل المسألة الكردية. لذا لا ارى مبرراً للرجوع عن هذا الإتفاق.

وينبغي ان اوكد مرة اخرى ان الوصول إلى إتفاق وإلى إذاعة بيان لن يكون سوى بداية صفحة جديدة في عملنا من اجل تطوير وضع القومية الكردية على اساس ديموقراطي ليس فيما يتعلق بالعلائق بين القوميين العربية والكردية فحسب، بل ومن اجل تطوير الظروف المادية وللإزدهار الثقافي والتطور الإيديولوجي بإتجاه تقدمي للقومية الكردية. وذلك بإتجاه تصفية الاوضاع القبلية وتشجيع تطور قيادة الحركة الكردية تطوراً تقدماً وحدوياً.

إن الإتفاق رغم اهميته لن يضمن تغييرات بصورة ذاتية (اوتوماتيكية) بل انه سيفتح الطريق ويبسر العمل من اجل هذه التغييرات. وسيتوقف هذا التطور على الإدراك الصائب والعمل والمثابرة والكفاءة في قيادة هذه المتغيرات. ولقد قطعنا معظم الطريق وبخطوة صائبة وسنقطع الباقي. وتقبلوا تحياتي.

1970 - 2 - 25

عزيز شريف

### إتفاقية آذار

يوم 6 - 2 - 1970 اخبرت ان صدام حسين قد ابلغ اهلي على التلفون بتعبيره "باجر مسافرين خلي يتوكل على الله." وقد علمت بعدئذ ان الحكومة إتصلت بواسطة محافظ الموصل بقيادة البارزاني بأنها على إستعداد لمواصلة الحوار. اقلتنا الطائرة، الوفد الحكومي برئاسة صدام حسين، وأنا معهم. وعند تفتيش حرس الشرف امام مدخل قيادة القاعدة من قبل صدام حسين وبالطبع كان بصحبته اعضاء الوفد وأمر

الحامية: اعلن صدام حسين للجنود المصطفين "أن الحزب قرر حل المسألة الكردية وان وزيركم لا يستطيع عرقلة ذلك."

لقد استغربت كيف يعلن مسؤول من مستوى عالي رأياً ضد وزير الدفاع امام الجنود وضباط ذي رتبة أقل. وقد اعرب لي صدام حسين ونحن في الهيليكوبتر انه يقدر لي رؤية العضلات من جانبيين جانب الحكومة وجانب الحركة الكردية.

وفي نابوردان بدأت المحادثات برئاسة صدام حسين للوفد الحكومي و برئاسة البارزاني للوفد الكردي. وكان العمل يسيراً. تم انجاز ما تم الاتفاق عليه حتى لقاء 7 - 2 - 1970. أي قبل حادث الارتداد في 13 - 2 - 1970. وواصل الوفدان الجلسات حتى يوم يوم 9 - 2 - 1970 فتم مبدئياً الاتفاق على معظم النقاط وبقي الخلاف حول مصير كركوك وحول الاعلان عن بعض المسائل المتفق عليها او وضعها في ملحق سري.

ففيما يتعلق بموضوع كركوك، كان البارزاني مصراً على ان تكون كردية. ومما قاله "إن كركوك كردية وقد عرفت جميع اجيال الكرد انها جزء من كردستان. فإذا وافقت على إخراجها من المنطقة الكردية فإن اجيالهم سوف تبصق على عكسي (يقصد صورتي)". وقال "إن اصررتم على إخراجها من كردستان فاتفقوا مع غيري على ذلك." وعلى موقف مضاد قطعي وقف صدام حسين وقال "إننا لا نتحمل مسؤولية إخراج كركوك من صلب العراق.

وجرياً على ما سبق، إذ كان الخلاف يتعقد حول بعض المشاكل، كان يقرر إحالتها إلى اللجنة الثنائية، ويعني بذلك: البارزاني وعزيز شريف. إقترحت انا إحالة موضوع كركوك إلى تلك اللجنة الثنائية فتمت الموافقة على ذلك.

بينت للبارزاني ان ثمة جانبيين لقضية كركوك. جانب الثروة المعدنية والجانب الإداري - الإجتماعي بما في ذلك من مؤسسات ثقافية .... الخ. ففي نظري ينبغي الاعتراف باستغلال الثروة المعدنية من قبل السلطة المركزية في العراق. وبعد هذا يتيسر حل المسائل الإدارية - الإجتماعية.

وافق البارزاني على تأجيل البت في موضوع كركوك لسببين: اولهما انه لم يكن له مبدئياً اعتراض على إستغلال الثروات المعدنية مركزياً. وثاني السببين هو ان ذكر هذا الموضوع يؤكد حقيقة ان الجانب الكردي لم يتنازل وان الجانب الحكومي لم يعتبر الموضوع منتهياً بالتنازل عن كركوك وهي مهد الثروة المعدنية. اما ما بقي غامضاً ولم نفكر به جميعاً فهو ماهي كركوك؟ أهى المدينة وضواحيها؟ ام المنطقة التي تمثلها الحدود الإدارية للمحافظة آنئذ. وبناءً على إتفاقنا التمهيدي مع البارزاني بينت في الإجتماع التالي إننا حين بدأنا المفاوضات كانت امامنا اكداس من المشاكل. فإذا أضفنا إليها مشكلة كركوك منذ الآن فإن في ذلك إضافة تعقيدات جديدة. اما إذا إتفقنا على حل جميع المشاكل وسرنا في الطريق الإيجابي العملي لحلها تتضائل مشكلة الخلاف حول مصير كركوك.

وعلى هذا تم الإتفاق نهائياً على تأجيل البت في تحديد المنطقة الكردية. وقد ورد تفضيل ذلك في المادة 14 من الإتفاق الذي اعلن بصيغة بيان. كما تم الإتفاق على ان يكون البت في مصير كركوك على اساس إحصاء عام 1957 لأن تغييرات كثيرة حصلت في الفترة اللاحقة. عمال كرد نقلوا من بعض المواقع القريبة من عمليات النفط وعمال غير كرد دخلوا كركوك ... الخ. كما تم الإتفاق على ان يتم الإحصاء في خلال عام من توقيعه اي قبل حلول آذار عام 1971.

وقد كلفت بوضع مسودة للمواد التي تم الإتفاق عليها قبل إنتكاسة يوم 13 - 2 - 1970 وللمواد التي جرى الإتفاق عليها خلال إجتماعنا في ناوباردان حتى يوم 10 - 3 - 1970. على ان يتم تحريرها نهائياً في ضيغة بيان يعلن من جانب مجلس قيادة الثورة. وكان ذلك بناءً على إصرار الجانب الحكومي من قبل (على إعتبار عدم الرغبة في إعلان إتفاق بين الحكومة والمواطنين). كما طلب إلي وضع مسودة لبعض المواد التي رأى الجانب الحكومي (حرجاً) في إعلانها. كيما تدرج في ملحق سري.

ولم يكن خافياً ما في ذلك من إنتقاص للديموقراطية. ولكن الرغبة في بلوغ هذا الهدف العظيم قد فاقت كل تحفظ بشأن النواقص. ومنذ بدء عملنا كان واضحاً اننا لن نصل إلى الحل المبتغى بقرار او إتفاق او وثيقة توضع في خزانة وإنما هي مرحلة هامة نقطعها على ان يواصل النضال في سبيل إكمال كل نقص. وقد كانت مسودة المواد السرية المقترحة كالآتي:

ملحق بالمادة (5) تسمح الحكومة للحزب الديموقراطي الكردستاني بممارسة نشاطه بصورة علنية وتكون له صحيفة او صحفه الخاصة.

ويلحق بالمادة (6) ما يلي: فقرة (ج) وتعتبر مدة إلحاق المذكورين في الفقرة (ب) من هذه المادة بالحركة الكردية المسلحة او فصلهم بسببها خدمة فعلية لغرض الترفيع والتقاعد. وكذلك التسريح بالنسبة إلى المكلفين بخدمة العلم.

فقرة (د) اما من يتبقى من مسلحي الحركة الكردية فتجري ادارتهم بالتعاون مع قيادتهم. وتقوم الحكومة باعاشتهم. ويجري تنظيم من يتبقى منهم بعد اعادة الاوضاع الطبيعية الى المنطقة بصورة حرس حدود بموجب قانون خاص، على ان لايتجاوز عدد هؤلاء عن 50000 شخصا، اول الامر وان يجري استخدام بعضهم في اعمال انتاجية ليتنازل عددهم في مدة ..... على ما لا يزيد عن 30000.

فقرة (ه) تعمل الحكومة لتصفية الوجود العسكري للقوات غير النظامية فور اعلان هذا البيان، وبياسر بسحب قطعات الجيش الى ثكناتها الاعتيادية. ويبعد البيشمركة عن الطرق العامة والمدن الى اماكن تجمع يتفق عليها.

(و) يبقى من البيشمركة ستة الاف لتؤلف منهم قوة حرس الحدود. اما من زاد عن هذا العدد فتستلمهم

اللجنة المشتركة العليا مقسطين على خمس دفعات بما لا يقل عن 3000 شخص شهريا. على افتراض ان



عدد البيشمركة 21 الفا. وتتعهد اللجنة المشتركة العليا بتأهيلهم في الاعمال الملائمة وتنفق عليهم حتى يتم ذلك.

#### ملحق المادة 14

فقرة اضافية (أ) وسيتم تطوير الوضع حسب هذه المادة في اقصر الفترتين:  
 اما في مدة اقصاها اربعة اعوام من اعلان هذا البيان. واما عند اعلان الوحدة مع اول قطر عربي.  
 فقرة اضافية: (ب) يتم الاحصاء في فترة اقصاها عام واحد ينتهي في 11 آذار 1971.  
 مادة منفردة: يذيع الملا مصطفى البارزاني بيانا يؤيد فيه بيان مجلس قيادة الثورة.  
 اقتراح: تؤكد الحكومة منح الجنسية العراقية للکرد الذين كانوا مجردين منها رغم توفر الشروط القانونية فيها. تلك مسودات اولية.  
 وبعد تحرير المواد واطافة مقدمة مطولة حول مآثر الثورة ومواقفها من المسألة الكردية، صدر القسم العلني منها بصورة بيان كالآتي:

#### بيان آذار 1970

اتفاق آذار في صيغة بيان:

بعد المقدمة .....

لما تقدم فان مجلس قيادة الثورة اجرى اتصالات بينه وبين قيادة السيد مصطفى البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني. وتم تبادل وجهات النظر واقتنع الجميع بضرورة قبول محتويات هذا البيان وتنفيذها. وهو يؤكد عزمه على تعميق وتوسيع الاجراءات الفعالة لاستكمال اسباب النهوض الثقافي والاقتصادي والتطور العام في المنطقة الكردية مستهدفا بالدرجة الاولى تمكين الجماهير الكردية من ممارسة حقوقها المشروعة واشراكها عمليا في المساهمة الجادة في بناء الوطن والكفاح من اجل اهدافه القومية الكبرى لذا قرر مجلس قيادة الثورة:

- 1- تكون اللغة الكردية لغة رسمية مع اللغة العربية في المناطق التي غالبية سكانها من الاكراد وتكون اللغة العربية لغة التعليم في هذه المناطق وتدرس اللغة العربية في كافة المدارس التي تدرس اللغة الكردية. كما تدرس اللغة الكردية في بقية انحاء العراق لغة ثانية في الحدود التي يرسمها القانون.
- 2- إن مشاركة إخواننا الأكراد في الحكم وعدم التمييز بين كرد وغيرهم في تقلد الوظائف العامة بما فيها المناصب الحساسة والهامة في الدولة كالوزارات وقيادات الجيش وغيرها، كانت وما زالت من الأمور الهامة التي تهدف حكومة الثورة إلى تحقيقها. فهي في الوقت الذي تقر هذا المبدأ تؤكد ضرورة العمل من أجل تحقيقه بنسبة عادلة مع مراعاة مبدأ الكفاءة ونسبة السكان وما أصاب إخواننا الكرد من حرمان في الماضي.

**3 -** نظرا للتخلف الذي لحق بالقومية الكردية في الماضي من الناحيتين الثقافية والتربوية توضع خطة لمعالجة هذا التخلف عن طريق:

أ - الإسراع بتنفيذ قرارات مجلس قيادة الثورة حول اللغة والحقوق الثقافية للشعب الكردي وربط اعداد وتوجيه المناهج الخاصة بالشؤون القومية الكردية في الاذاعة والتلفزيون بالمديرية العامة للثقافة والاعلام الكردية.

ب - اعادة الطلبة الذين فصلوا او اضطروا الى ترك الدراسة سبب ظروف العنف في المنطقة الى مدارسهم بغض النظر عن اعمارهم او ايجاد علاج ملائم لمشكلتهم.

ج - الاكثار من فتح المدارس في المنطقة الكردية ورفع مستويات التربية والتعليم وقبول الطلبة الاكراد في الجامعات والكليات العسكرية والبعثات والزمالات الدراسية بنسبة عادلة.

**4 -** يكون الموظفون في الوحدات الادارية التي تسكنها كثرة كردية من الاكراد او ممن يحسنون اللغة الكردية ما توفر العدد المطلوب منهم ويتم تعيين المسؤولين الاساسيين ( محافظ، مدير شرطة، مدير أمن، وما شابه ذلك) ويباشرون فوراً بتطوير اجهزة الدولة في المنطقة بالتشاور ضمن اللجنة العليا المشرفة على تنفيذ هذا البيان بما يضمن تنفيذه ويعزز الوحدة الوطنية والاستقرار في المنطقة.

**5 -** تقرر الحكومة حق الشعب الكردي في اقامة منظمات طلبة وشبيبة ونساء ومعلمين خاصة به وتكون هذه المنظمات اعضاء في المنظمات الوطنية العراقية المتشابهة.

**- 6**

أ - يمدد العمل بالفقرتين (1) و (2) من قرار مجلس قيادة الثورة المرقم 59 والمؤرخ في 5 - 8 - 1968 حتى تأريخ صدور هذا البيان. ويشمل ذلك كافة الذين ساهموا في اعمال العنف في المنطقة الكردية.

ب - يعود العمال والموظفون والمستخدمون من المدنيين والعسكريين إلى الخدمة ويتم ذلك دون التقييد بالملاك ويستفاد من المدنيين في المنطقة الكردية ضمن إحتياجاتها.

**- 7**

أ - تشكيل هيئة من ذوي الإختصاص للنهوض بالمنطقة الكردية من جميع الوجوه بأقصى سرعة ممكنة وتعويضها عما اصابها في السنوات الاخيرة وتخصيص ميزانية كافية لتنفيذ ذلك وتكون هذه الهيئة تابعة لوزارة شؤون الشمال.

ب - أعداد الخطة الإقتصادية بشكل يؤمن التطور المتكافئ لأحاء العراق المختلفة مع مراعاة ظروف التخلف في المنطقة الكردية.

**ج -** تخصيص رواتب تقاعدية لعوائل الذين إستشهدوا في ظروف الإقتتال المؤسفة من رجال الحركة الكردية المسلحة وغيرهم وللعجزة والمشوهين بسبب تلك الظروف وفق تشريع خاص على غرار القوانين المرعية.

**د -** العمل السريع لإغاثة المتضررين والمعوزين عن طريق إنجاز مشاريع سكنية وغيرها تؤمن العمل للعاطلين وتقديم معونات عينية ونقدية مناسبة وإعطاء تعويض معقول للمتضررين الذين يحتاجون المساعدة ويناط ذلك باللجنة العليا ويستثنى ذلك من شملتهم الفقرات السابقة.

**8 -** إعادة سكان القرى العربية والكردية إلى اماكنهم السابقة اما سكان القرى الواقعة في المناطق التي يتعذر إتخاذها مناطق سكنية وتستملكها الحكومة لأغراض النفع العام وفق القانون فيجري إسكانهم في مناطق مجاورة ويجري تعويضهم عن ما لحقهم من ضرر بسبب ذلك.

**9 -** الإسراع بتطبيق قانون الإصلاح الزراعي في المنطقة الكردية وتعديله بشكل يضمن العلاقات الإقطاعية وحصول جميع الفلاحين على قطع مناسبة من الارض وإعفاؤهم من الضرائب الزراعية المتراكمة عليهم خلال سنين القتال المؤسفة.

**10 -** جرى الإتفاق على تعديل الدستور المؤقت كما يلي:

**أ -** يتكون الشعب العراقي من قوميتين رئيسيتين هما القومية العربية والقومية الكردية ويقر هذا الدستور حقوق الشعب الكردي القومية وحقوق الاقليات كافة ضمن الوحدة العراقية.

**ب -** إضافة الفقرة التالية إلى المادة الرابعة من الدستور: تكون اللغة الكردية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية في المنطقة الكردية.

**ج -** تثبيت ما تقدم في الدستور الدائم.

**11 -** إعادة الإذاعة والاسلحة الثقيلة إلى الحكومة ويكون ذلك مرتبطاً بتنفيذ المراحل النهائية من الإتفاق.

**12 -** يكون احد نواب رئيس الجمهورية كردياً.

**13 -** يجري تعديل قانون المحافظات بشكل ينسجم مع مضمون هذا البيان.

**14 -** إتخاذ الإجراءات اللازمة بعد إعلان البيان بالتشاور مع اللجنة العليا المشرفة على تنفيذه لتوحيد المحافظات والوحدات الإدارية التي تقطنها كثرة كردية وفقاً للإحصاءات الرسمية التي سوف تجري وسوف تسعى الدولة لتطوير هذه الوحدة الإدارية وتعميق وتوسيع ممارسة الشعب الكردي لمجمل حقوقه القومية ضمناً لتمتعه بالحكم الذاتي و إلى ان تتحقق هذه الوحدة الإدارية يجري تنسيق الشؤون القومية الكردية عن طريق إجتماعات دورية تعقد بين اللجنة العليا ومحافظي المنطقة الشمالية. وحيث ان الحكم الذاتي سيتم في إطار الجمهورية العراقية فإن إستغلال الثروات الطبيعية في هذه المنطقة من إختصاص سلطات هذه الجمهورية بطبيعة الحال.

**15 - يساهم الشعب الكردي في السلطة التشريعية بنسبة سكانه إلى سكان العراق.**

إنتهى نص البيان.

ثم اتبع ببناء إلى الشعب الكردي وإلى الجماهير العراقية ...

وجاء في ختامه ... فالى نضال مشترك ... وآمال مشتركة وانتصارات قومية وإنسانية مشتركة.

بيان رقم 288

11 - 3 - 1970

مجلس قيادة الثورة.

### لجنة السلام واللجنة العليا للإشراف على تنفيذ إتفاقية آذار

من اجل تسهيل امر إجراء المفاوضات تم تشكيل لجنة السلام. وكانت هذه اللجنة تشتمل على ممثلين للسلطة وعن الحزب الديموقراطي الكردستاني. ولم يصدر امر بعصويتي في لجنة السلام، إنما كنت فيها عضواً ومشاركاً واقعياً. ومما تجدر الإشارة إليه ان لجنة السلام ليس لها قوام ثابت، فكل من يحضر الإجتماع من ممثلي حزب البعث يعتبر عضواً في ذلك الإجتماع.

في مجرى المفاوضات تم في لقاء 16 - 1 - 1970 الإتفاق على المادة الرابعة من البيان وكانت خاصة بتغييرات إدارية. وقد تضمنت ملاحظتين: نصت الاولى على ان تصدر الحكومة بعد إذاعة هذا البيان مباشرة بياناً آخرأ تشكل بموجبه لجنة مشتركة عليا للإشراف على تنفيذ هذا البيان.

غير ان النص على هذه اللجنة ورد في البيان الختامي بصورة مغايرة. إذ سقطت سهواً او اسقطت كلمة مشتركة. فوردت في المادة 14 منه على الوجه التالي: إتخاذ الإجراءات اللازمة بعد إعلان البيان بالتشاور مع اللجنة العليا المشرفة على تنفيذه لتوحيد المحافظات والوحدات الإدارية التي تقطنها كثرة كردية ... الخ. ولم يلتفت أنياً إلى سقوط كلمة "المشتركة".

وبعد التوقيع على إتفاق (بيان آذار) تشاور البارزاني وصادم حسين وابلغني البارزاني انهما إتفقا على إختيار عزيز شريف لرئاسة هيئة الإشراف. وفي مساء 11 آذار 1970 كان الرئيس احمد حسن البكر ونائب الرئيس صدام حسين وممثلا القيادة الكردية يزفون من دار الإذاعة بشرى بيان آذار.

وفي الوقت ذاته عقد نائب الرئيس صالح مهدي الفريق صالح مهدي عماش إجتماعاً في القصر الجمهوري دعا إليه إليه الوزراء وكثرة من قادة حزب البعث العربي الإشتراكي. وقد إستعرض بصورة موجزة مجرى الحرب في كردستان. وذكر "أن الحزب كان يرغب في حل المسألة سلمياً وان عزيز شريف قد عرض وساطته وقدم تقريراً عن تصوره لضرورة حل هذه المسألة ولصورة حلها. فكان ذلك التقرير مقبولاً لدى قيادة الحزب ليكون اساساً للمفاوضات. ثم وصف دور عزيز شريف في المفاوضات بما لاحاجة إلى ذكره .... حتى تم الإتفاق على البيان الذي يذاع الآن. وستؤلف لجنة

للإشراف ومواصلة التنسيق بين الجانبين لتنفيذ البيان والتعاون على حل المعضلات التي قد تنشأ في التطبيق. والمفروض ان عزيز شريف سيكون رئيساً لهذه اللجنة.

وقد كان حرياً ان تدرك السلطة ان حل المسألة القومية إنما يتطلب التعاون على اسس ديموقراطية مع جميع القوى التي يهملها حل هذه المسألة، لا سيما الحزب الشيوعي الذي بادر منذ الساعات الاولى لإعلان بشرى بيان آذار إل الترحيب به، وقد سماه البيان التاريخي.

غير اننا رأينا ان الجانب البعثي قد سار على العكس. إذ حصر حل المشاكل الناشئة بيد مجلس قيادة الثورة. فكان موقفه يهدف إلى إستبعاد مساهمة القوى الاخرى في هذا الحل. وقد عبر عن ذلك صراحةً ناظم كزار (مدير الامن العام، عضو لجنة السلام) في جواب عن إقتراح بشأن ضرورة إشراك غير البعثيين في إدارة اجهزة الدولة الهامة.

## الفصل التاسع: التردّي على خط آذار حتى نقطة اللقاء

### الحرب في بيرس وبيرة كبرة وعلى مشارف بارزان

لهذه الحرب اهمية خاصة لسببين خطيرين،

**اولمهما:** ان هذه هي الحرب الصريحة الاولى (والاخيرة) بعد بيان آذار 1970 حتى الهبوط الى هاوية حرب 1974 – 1975 ، وقد اشتركت فيها صراحة ومباشرة مختلف اسلحة الجيش البرية والجوية. بخلاف الحروب الاخرى التي كان دور اجهزة الحكومة وراء قوى مأجورة. **وثاني السببين:** انها كانت تحديا وتدخلًا مباشرًا في صميم العائلة البارزانية.

منطقة بيرس وبيرة كبرة عقدة جبال تشرف على بارزان، وهي عقدة تلاقي قبائل تعمق بينهما العداء في فترات الحرب العديدة. ولذلك فقد رأيت بعد اتفاق آذار ان ينظر الى هذه المنطقة باهتمام خاص، ليس في حدود اعادة توطين الفلاحين في القرى التي جلوا او اجلوا عنها، واعادة السلام، بل ولمنع ما قد يحدث من تصادم بسبب ثارات عهود الحرب السابقة.

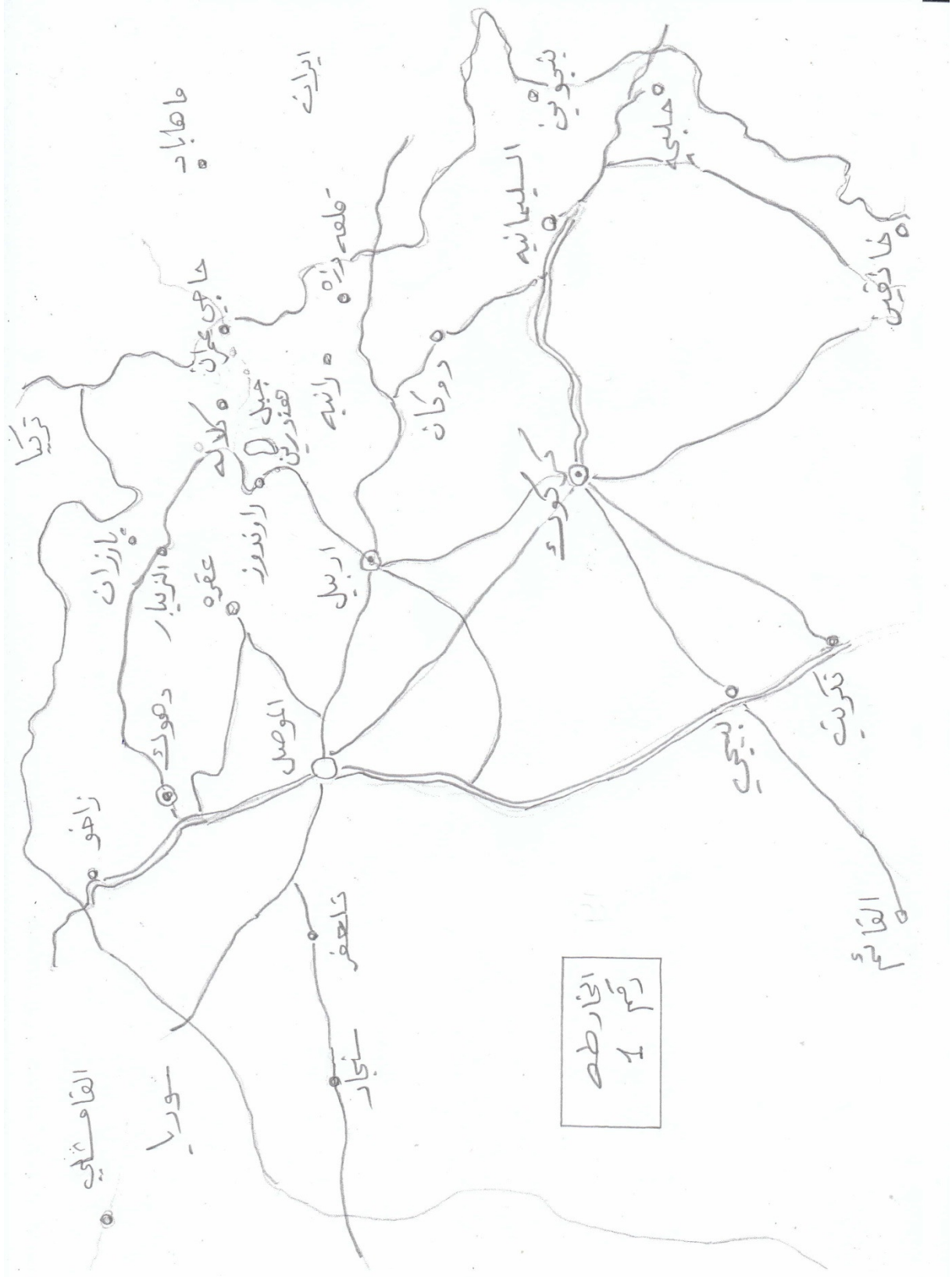
فقدت الى الرئيس احمد حسن البكر اقتراحا بوضع قوة من الجيش في هذه المنطقة لمراقبة الوضع. وقد لقي اقتراحي قبولا من لجنة السلام وتبناه، برضى ممثلي الجانبين الحكومي والقومي الكردي. غير ان الرئيس احمد حسن البكر، مع عدم اعتراضه على اساس الاقتراح لم يقتنع بكفايته. قال لي: "وربك لو وجدت جيوش وليس جيشا واحدا، لن يغني ذلك للتغلب على المشاكل دون وجود عزيز شريف". ولكن المجابهة في هذه المنطقة اتخذت صورة اخرى. فبدلا من التصادم بين القبائل المتنافسة، اوبين الفرسان (مأجوري الحكومة) والموالين للقيادة الكردية، حدث الانفجار داخل العائلة البارزانية ذاتها. ولذلك كان له أثر اعمق من كل المصادمات التي حدثت من قبل.

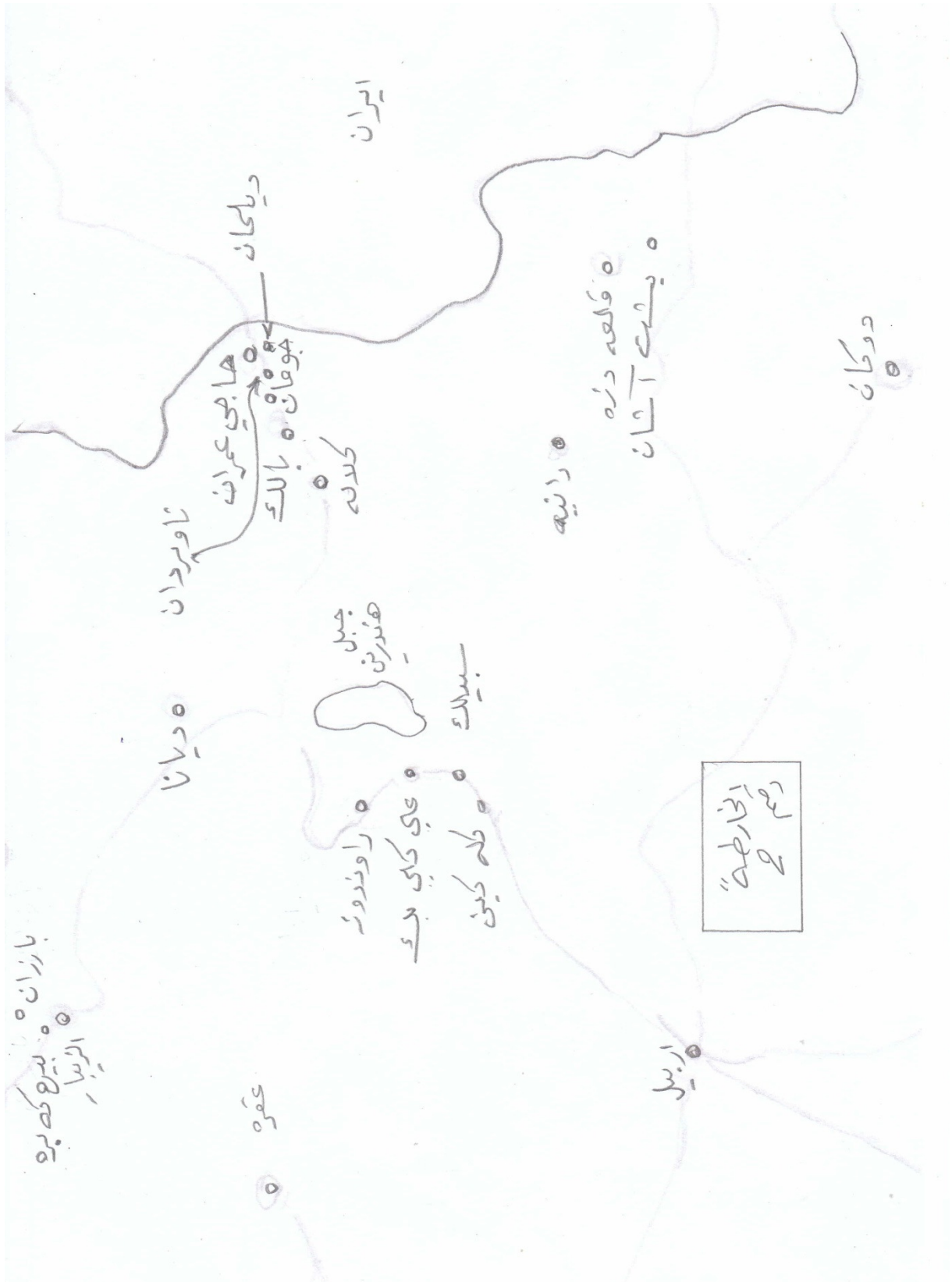
وقد كان مصطفى البارزاني قد اخبرني قبلا "ان خالد عبد الحليم محافظ نينوى، على اتصال بعثمان بن الشيخ احمد البارزاني للتأمر ضدنا. وقد استطاعوا تهريب عبيد الله وهو احد ابناء مصطفى البارزاني، (ولقصة خروجه على العائلة تفصيل سيأتي) بمساعدة سعيد محمد ميركه سور وهو اخو فاخر محمد ميركه سور. فارسل علي العبيدي سكرتير صدام حسين طائرة عمودية الى بارزان فنقلت الاثنتين مع عماد بن عثمان الى بغداد.

وفي صباح يوم 8 – 7 – 1971 اخبرني احسان شيرزاد انه عاد توا من منطقة (قيادة الثورة) وانه يتوقع ان الحرب بدأت فعلا بين الجيش وقوات الحركة الكردية. وان جميع المسؤولين الكرد تجمعوا في الشمال. اما هو فقد عاد الى بغداد لقضاء حاجة هامة وسيعود في اليوم ذاته.

أبرقت الى الرئيس احمد حسن البكر والى رئيس اللجنة العليا لشؤون الشمال صدام حسين باني قررت السفر الى كردستان لمحاولة عمل ما استطيعه. وطلبت تكليف من يرافقني من القيادة البعثية. ابلغني مرتضى سعيد الحديثي ان القيادة كلفته بالسفر معي ، ولكنه لم يسافر. لان الموضوع قد وصل الى

طريق مسدود. فقد كان الامر قد صدر بتحريك الجيش. ثم جاء طلب من البارزاني بتوقفه تحاشياً للتصادم مع قوات البيشمركه.





وقال مرتضى الحديثي ان ابو عدي (يقصد صدام حسين) يرى ان للدولة الحق بتوجه جيشها الى حيث نشاء، ولكن اذا كان ابو ادريس (يقصد البارزاني) يرى ضررا من ذلك فليتوقف الجيش. وقال مرتضى في اليوم التالي صدر الامر بتقديم الجيش. وجاء تحذير من البارزاني بان مسلحية سيتصدون للجيش اذا تقدم، ولكن هذا التحذير قد رفض. فلست ارى فائدة من السفر. لان كل من الجانبين مصر



على رأيه. وأضاف مرتضى ان ابو عدي بيّن لممثلي البارزاني بان للحكومة حرية الاتصال بمن تشاء من المواطنين. واننا إن لم نجد من يستجد بنا سيفسر الحكم الذاتي بأوسع من مضمونه، وان اليمين سيتهمنا بتشجيع الانفصال.

سافرت لوحدي وفي المساء عقد اجتماع موسّع ضم قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني والوزراء الكرد وشخصيات قومية كردية اخرى، وبعض رؤساء الهيئات. وبأمر من البارزاني وافقوا على مشاركتي في الاجتماع، خلافاً لرغبة البعض في اقصائي. وكما حدث اكثر من مرة كان السليبيون يضعون الوقود على نار الحرب، بينما حاول قليلون تهدئة الغليان. وكان البارزاني يتقد غضبا لان الموضوع لم يكن محض مجابهة بين قوات السلطة والحركة الكردية بقيادته، وانما كان تحدياً وتخريباً في صميم العائلة البارزانية.

وقد اشار المتكلمون اثناء الاجتماع الى اشتداد الازمة بدا منذ اوائل عام 1971 – أي بعد نحو عشرة اشهر من اتفاق آذار 1970. وأكدوا ما سبق ان بيّنه البارزاني ان المشكلة مع الحكومة في هذه المنطقة تدور حول اتخاذها من عثمان ابن الشيخ احمد البارزاني أداة للتدخل. وقد حاول البارزاني مرتين ردع عثمان بضغط العائلة. ولكن عثمان ادعى انه اصبح (الصاحب) بعد وفاة والده. وقد عجزت العائلة البارزانية عن كبحه.

وعندما بلغ التوتر احتمال المواجهة كلف البارزاني الوزيرين صالح اليوسفي واحسان شيرزاد الاتصال بالحكومة لوقف حركة الجيش نحو بارزان. فاتصل الوزيران بعلي العبيدي سكرتير صدام حسين. وقد كرر لهما، نقلا عن صدام حسين ما سبق ان قاله لي مرتضى الحديثي أي ان من حق الجيش العراقي التواجد في أي بقعة من العراق. ومع ذلك تمت موافقة صدام حسين على توقف الجيش. ولكنه أعاد الامر في اليوم التالي بتحريك الجيش. وبيّنوا ان ما قاله العبيدي نقلا عن صدام حسين في تبرير هذا التحرك. اولاً ان البارزاني لم يعترض قبلاً على اقتراح عزيز شريف بايجاد قوة عسكرية في المنطقة. وثانياً ان عثمان البارزاني وجماعته قد اكدوا الاستغاثة بانهم في خطر. فمن واجب الدولة انقاذهم. "فاذا تقاعسنا عن ذلك فأن بيان آذار سيفسر بأكثر من مضمونه، كما ان قوى اليمين سنتهمنا باننا تهاونا في انفصال شمالي العراق".

وقد وصلت إلى السلطة برقية من ممثليها في المنطقة في 5 – 7 – 1971 مفادها:

انه لاتوجد مناطق دفاعية من بيرس الى بيرة كبرة. كما ارسل البارزاني برقية يحذر بها السلطة في بغداد بانه سيضطر الى ضرب الجيش اذا تقدم. وقد مضى على البرقية 48 ساعة دون جواب.

طال النقاش وانا أزحزح البارزاني عن موقفه خطوة بعد اخرى، يؤيدني الايجابيون مثل فؤاد عارف وصالح اليوسفي واحسان شيرزاد. وبناء على تزايد أمني بانتصار الرغبة في وقف الحرب، ارسلت الى الرئيس البكر بوساطة جهاز السلام البرقية الاتي نصها: وقد كانت تحت تصرفي لفترة وسائل الابراق مع شفرة للاتصال برئيس الجمهورية، بوساطة لجنة السلام وللاتصال بمقر البارزاني كذلك.

الى لجنة السلام

مستعجل

ارجو ان تكونوا بانتظار برقية منا، واخبار الاخ مرتضى الحديثي بان يكون على اتصال مستمر بكم هذه الليلة. ومحاولة اوصول بريقتنا الى السيد الرئيس والى اللجنة العليا لشؤون الشمال.

مساء 9 - 7 - 1971

عزيز شريف

وفي ساعة متأخرة من الليل تمت موافقة البارزاني على ارسال البرقية التالية:

الى مسعود / السيد عزيز شريف

العدد / 95

من / البارزاني

التاريخ 9 / 10 - 7 - 1971

يرجى اخبار الاخوان في منطقة بيبة كبرة بعدم اطلاق النار على قطعات الجيش الا دفاعاً عن النفس.  
مفتوح

وكان الغرض من توجيه البرقية مفتوحة إلى مسعود وإلى عزيز شريف بينما كنا حاضرين، هو تمكين اجهزة الحكومة من إلتقاطها. وفي الوقت ذاته وجهت برقية إلى الرئيس البكر ذكرت فيها ان البارزاني أمر بإيقاف النار من جانب واحد - هو جانب القوات الكردية.

وفي الصباح الباكر وردتني برقية من بغداد تفيد ان الرئيس البكر امر بوقف حركات الجيش. وأن مرتضى الحديثي قد توجه إلى كركوك للاجتماع بي وبممثلي الجانب الكردي.

كانت نفسية الحذر من إعتداء اجهزة الحكومة سائدة لدى الجميع. فكان جوابهم لي انه لن يذهب احد منهم إلى كركوك، بل إلى اربيل فقط. بينما كانت للحديثي شكوكه ايضاً، ومخاوفه من السفر إلى ما بعد كركوك. وبعد نقاش وافق الوزراء الكرد على مصاحبتي إلى كركوك فتوجهنا.

اخذنا مع مرتضى الحديثي طائرة عمودية إلى بارزان. فوجدنا البيادر تحترق بسبب القصف في اليوم السابق، دون تمييز بين ان يكون اصحابها من هذا الفريق او ذاك. ولم افهم آنذاك ولست افهم حتى الآن لماذا الإحراق، فالبيادر ليست لشخص البارزاني ولا للبيشمركة، بل انها لسكان المنطقة وكثرتهم فلاحون باقون في منطقة نفوذ عثمان.

وقد كانت هذه العملية الضربة القاضية نهائياً على كل نفوذ لعثمان: فقد تخلوا عنه جميعاً. وحتى ابنه عماد إضطر ان ينظم إلى الجميع. وقد تم بينه وبين مرتضى الحديثي لقاء قصير، ثم وافقا على مشاركتي الحديث معهما.

سألت عثمان: ماذا يريد: اجاب عدم وصول مصطفى البارزاني إلى منطقتنا فإنه مخرب. ومتى جاء لابد من تجدد القتال.

قلت: هب انه اراد زيارة مريض من العائلة، قال لا اسمح بذلك.

قلت: وما هي حدود منطقتكم؟ إحتار اين يقف بهذه الحدود، فأخذ يمدّها شمال غرب العمادية ... ومن الجانب الآخر اوصلها إلى بافستيان. فكان هزة في نظر الجميع.

وبعد العودة قدمت تقريراً إلى الرئيس البكر. وهو وإن صيغ معبراً عن رأي الشخصي في تطور الحادث، إلا انه كان قريباً على ما ارى من قناعة الجميع. وقد وردت فيه كلمة (الکرد) موجزة تعبيراً عن (قيادة مصطفى البارزاني القومية الكردية). وجاء في التقرير بعد المقدمات ما يلي:

لقد تطور الحادث بالصورة التالية: قررت لجنة السلام إعادة القبائل النازحة بسبب الحرب إلى قراها السابقة. ظهر فيما ظهر ... تطور للتناقض بين البارزانيين (عثمان الشيخ احمد يدعي إنتقال سلطة المنطقة إليه من ابيه). وزبير زيباري تمسك بالبقاء في قرى لم تكن له وبخاصة قرية شيرمن في منطقة عقرة، وتحدى عثمان البارزاني عودة زبير زيباري إلى منطقتة - دياره الاصلية -.

ينبغي ان نذكر ان طموح عثمان البارزاني قد اوصله قبلاً إلى إرسال مسلحين حتى قرية شوشي وغيرها من القرى المجاورة لعقرة التي يوجد بين قادتها فرسان (جاش) معادون للحركة الكردية بقيادة البارزاني.

وبناءً على إقتراحي قررت لجنة السلام ووافقت الحكومة والقيادة الكردية على وجود قوة من الجيش او الشرطة لمراقبة الوضع في المنطقة قبل عودة زبير زيباري لمنع التصادم المحتمل.

إن عثمان البارزاني يلقي إهتماماً من بعض المسؤولين في المنطقة. وقد حدثت تحشّات من الجانبين (الحركة الكردية وعثمان البارزاني). وارسل عثمان البارزاني ابنه عماد وكلا من عبيد الله بن مصطفى البارزاني وسعيد ميركه سور إلى بغداد بالتعاون مع بعض المسؤولين، فاعلنت السلطة عن وجود تحشّات متحدية لعثمان في المنطقة، وبناءً على ذلك وجهت السلطة فوجاً نحو المنطقة. فإحتجت القيادة الكردية على تقدم الفوج للإنتظام إلى قوات عثمان، وطالبت بتوقفه.

لقد تأكد لنا جميعاً أنا والسيد مرتضى الحديثي والوزراء الاكراد الاربعة ان عثمان غير سوي التفكير. فمن ناحية إدعى انه يريد ان تكون المنطقة الممتدة من العمادية حتى بافستيان تحت نفوذه بإعتبار انها بارزان. وإدعى ان وصول ملا مصطفى إلى هذه المنطقة يحتم إستئناف القتال. ومن جهة أخرى تراجع بعد دقائق من لقاء خاص بينه وبين افراد العائلة البارزانية، إذ اجمع كبار العائلة على تحييته

وتتصيب اخيه الاكبر محمد خالد (ومن ضمن الذين عارضوه ابنه عماد). وأكد عثمان انه يسير وراء محمد خالد.

### الخلاصة

لقد ادى حادث الإصطدام الاخير إلى عزلة عثمان وإفلاسه. ولكن بعد خسائر في الأرواح وخسائر مادية، فضلاً عن التخريب السياسي. وليس من المصلحة الوطنية او مصلحة اي من السلطة والاكراد او العلاقات الكردية العربية إفساح المجال له او لبعض من يساعدونه بأن يلعب مثل هذا الدور الصياني – الجنوني الذي لعبه.

ملاحظة: كنت قبل وقوع هذا الحادث أؤدي للجانب الحكومي بتقارير عديدة "إن حل المسألة القومية لا يمكن ان يدخل إليه من شبك تكية، إشارة إلى الخلاف في العائلة البارزانية حول الخلافة على القيادة الروحية، وإنما يسار إليه من الطريق العريضة، طريق تحرير الفلاح الكردي والمواطنين الكرد الطامحين إلى الحرية وإجتذابهم إلى الوحدة الإختيارية."

### الإقتراح

ارجو ان ينظر في الإقتراح التالي:

إني اضع نفسي مرة أخرى في العمل من اجل الإتصال المباشر بين الجانبين:

- 1 – للنظر في كل خبر او حدث سلبي، وإيصال كل مايشعر به جانب إلى الجانب الآخر.
- 2 – ولتقديم الإقتراحات لا لمنع السلبيات فحسب، بل ولمواصلة البناء الإيجابي.

إني اسلم بوجود تناقضات، ولا ارى ان من الضروري لكل من الجانبين كتمانها، لأن في الكتمان والكبت مضاعفة لمفعولها. إنما يمكن إضعاف السلبيات من خلال التوسط لإزالتها.

ومما تضمنته رسالتي، إني اذكر بمسألتين:

اولهما: إنني منذ التقرير الاول قد بينت ان كل مكسب يناله الكرد سخاءً من القومية الاكبر سيكون خطوة نحو الوحدة واقول الآن "حجراً في بنائها." وكل مكسب ينالونه أنتزاعاً سيكون خطوة نحو الإنفصال.

اما المسألة الثانية: فهي إغام الحقائق وتسميمها من قبل العناصر الثنوية. ولست ازعم ان ليس ثمة اي تناقض بين الجانبين (الحكومة والحركة القومية الكردية)، ولكني اجزم ان ليس ثمة تناقضاً موضوعياً حرياً بتدهور العلاقات إلى ما تدهورت إليه.

وأضفت: "هناك حوادث منسوبة إلى كل من الجانبين لم يكن في مقدور الجانب الآخر فهم وقوعها من حليف. والامثلة على ذلك كثيرة. فلم يكن بمقدور السلطة فهم لجوء مجرم مثل العريف بكر وإحتمائه لدى الاخوان الكرد رغم ان جريمته عادية وكان مأجوراً لإرتكابها. ولم يكن في مقدور الإخوان الكراد كذلك فهم تمسك السلطة في سنجار بإبقاء شرطي امن إستقزازي، بل مجرم جماعياً (إذا كان العريف بكر مجرماً فردياً) وإبقائه في سنجار على رغم كثرة تشكيهم منه، حتى تطورت العلاقات إلى قتال

وسفك دماء واصبحت اساساً لأحداث لاحقة مماثلة. إن كل جانب يستطيع ان يقدم قائمة كبيرة بأمتة سلبية تعزى إلى الجانب الآخر، احياناً بحق، و احياناً أخرى بالظن.

### لاحقة

بعد فترة طويلة من هذه الحوادث في إجتماع للهيئة العليا لشؤون الشمال حول تطبيق الحكم الذاتي، اكد صدام حسين ما نقله مرتضى الحديثي وما نقله صالح اليوسفي وإحسان شيرزاد على لسان العبيدي فقال:

"تعلمون ان علي العبيدي ارسل رسالة إلى عبيد الله - ولم تكن ندري ما جرى في المنطقة. وان عثمان إدعى انه مطوق لأنه مع الدولة وإستجد. فنقرر تقدم الجيش، ثم اخبرني صالح اليوسفي ان القضية بيى الاخوين (يقصد بين مصطفى البارزاني وإبن اخيه عثمان) فأمرنا الجيش بالتوقف. وفي اليوم التالي جائتنا برقيات الإستجداد منه ومن امن المنطقة بأن الوضع اصبح خطيراً فأمرنا بتقدم الجيش."

## صفحة من مأساة العائلة البارزانية

### شرحان في العائلة البارزانية

#### احداث الشرخ الاول عثمان بن الشيخ احمد البارزاني:

كان الشيخ احمد الزعيم الروحي والزمني للعائلة البارزانية منذ اعدم اخيه الشيخ عبد السلام من قبل السلطة العثمانية عام 1914. ولم يكن البارزانيون قبيلة ولم تكن علائقهم قبلية، بل علائق قيادة الطريقة القادرية. وقد إتسع نفوذ العائلة القائدة إلى مناطق مجاورة إتسعت مع تأريخ الصدمات ضد السلطات الحكومية وحلفائها ومأجوريها، واصبح تعبير البارزانيين يشمل مناطق نفوذهم. وكان الشيخ احمد يسمى (خدان) او (صاحب) بارزان. وفي الكلمة خليط غامض من السيد والمالك او البالغ الإحترام. وكان الشيخ احمد يتمتع بقوة إرادة إستثنائية فكان يتحدى بإصرار وإحتقار قرارات الحكومة بإعدامه. كما كان يتمتع بغموض السلوك وإقتضاب الحديث شأن القادة اللاهوتيين. وللبارزانيين تقاليد شديدة الإلتباع في إحترام التسلسل القيادي وقد حدث اكثر من مرة انني إذ اجتمع معه في دار إقامة مصطفى البارزاني في بغداد كان مصطفى يبقي واقفاً.

غير ان مصطفى البارزاني ابدى كفاءة إستثنائية في ميادين القتال، اوجدت له مركزاً قيادياً زمنياً واقعياً. وقد برز محارباً فذاً نادر النظير في المعارك الحربية ضد قوات الحكومة وعملائها. ومنذ إنتفاضتي 1943 و 1945 اصبح قائداً قومياً، ثم مشاركاً ووريثاً لما يعتز به الكرد في العراق وغير العراق من إسهام في جمهورية مهاباد الديمقراطية. ومن هنا إختلفت به السبل مع اخيه الشيخ احمد دون خلاف ملموس بينهما. إذ كان الشيخ احمد بوجه اساس قائد بارزان، بينما إندمج ملا مصطفى في الحركة القومية دون تغير لديه فيما ورث من تقاليد القيادة من عهد نضالات بارزان. ولسنا في صدد

الحديث عما تلى ذلك من قيادة المسيرة التاريخية إلى الإتحاد السوفياتي عبر عقبات جبلية شاقة، متخطياً جيوش العراق وإيران وتركيا التي تخلص منها حتى الوصول إلى حدود الإتحاد السوفياتي. ثم قيادته الإنتفاضات الحديثة منذ اواخر عهد الجمهورية العراقية الاولى حتى بلوغ قمة آذار 1070، ولكل من هذه الاحداث حديث في موضعه. إنما يهمننا ان نذكر ان هذا الإنقسام بين قيادة السلطة الروحية للشيخ أحمد وقيادة السلطة الرسمية القومية لملا مصطفى كان واقعياً ولكنه غير معلن، فكان إنتزاع السلطة الزمنية (القومية من قبل الاخ الصغير على غير قناعة في نفس الاخ الكبير)، ولكنه لم يبد اعتراضاً. وكان ملا مصطفى يغطي هذا الواقع بالرجوع إلى الاخ الكبير في كل ما يتعلق بالشؤون الشخصية للعائلة. وفضلاً على ذلك، كان يميز بارزان بالنصيب الاوفى من الاغذية وبما تحتاج إليه من اسلحة (بنادق وما إليها). هذا فضلاً عما تتميز به منطقة بارزان بوضعها المحايد. إذ كان الشيخ خالد بن الشيخ احمد يتقاضى من الحكومة رواتب واسلحة بوصفه رئيس فرسان، ولقاء ذلك يضمن عدم الإصطدام بين قوات الحكومة وقوات (الثورة الكوردية). ولذلك كانت بارزان في منأى عن العمليات العسكرية. وقد كان هذا الوضع ملائماً للسلطة وللقيادة الكردية معاً. إذ انهكتها سلسلة الحروب. فقد كانت الحكومة قانعة بوجود إدارة رمزية لها في بارزان نفسها، وبعدم وجود هجمات ضدها من قبل المتمردين.

فلقد كان في بارزان مدير ناحية وطبيب ومدرسة ومدرسون يعيشون في ظل عدم الإصطدام كما تستفيد المنطقة من خدماتهم. اما قيادة الحركة الكردية فانهما تستفيد من هذه الهدنة غير المعلنة لأن الوصول إلى المناطق الغربية حتى زاخو إنما يتم عبر هذه المنطقة ومنها يمر الإتصال بالخارج عن طريق سوريا، ومنها يرد ماياتي إلى (الثورة) من مؤن من كل من منطقتي الموصل والجزيرة (السورية).

وكما تم ذكره في الفصل السادس مررت ذات مرة بالمدينة ذاتها عند غروب الشمس ومعني حماية مسلحة من البيشمركه. وشاهدنا موظفي الحكومة يعودون إلى المدينة مسلحين ببنادق صيد. مر كل منا في سبيله دون تحرش من أي جانب، بل إكتفينا وإكتفوا بكلمتي "سلام عليكم، عليكم السلام". وفي ظل هذا الوضع الخاص ازدهرت المنطقة نسبياً وإنتعش فيها تجار التهريب بين منطقة (الثورة) والمنطقة الحكومية. وكان هذا الإمتياز موضع نقد من قبل بعض الكادر القيادي في قيادة البارزاني وقد اوضحه الدكتور محمود عثمان بعد الكارثة عام 1975.

ومنذ حياة الشيخ احمد كان ابنه الثاني عثمان يرشح نفسه للخلافة بشقيها الروحي والزمني، ويعتبر مصطفى البارزاني مختصاً للسلطة. اما بعد وفاة والده فقد اعلن عداؤه حتى النشاط العسكري. وقد اجهز مسلحون ذات مرة على شخص من الموالين لقيادة البارزاني وهو نائم على سطح داره. والامر ليس محض قتل شخص بل انه إعلان للتحدي.

وقد ادرك هذا الوضع المخططون في قيادة الحكومة للمواجهة مع البارزاني. فوطدوا علائقهم بخصمه عثمان على ما تقدمت الإشارة إليه. حتى ان عثمان ارسل قوات للمشاركة إلى جانب الإقطاعيين المواليين للحكومة في المعارك التي وقعت في سهل عقرة، وذلك قبل حرب بيرس وبيرة كبرة.

### المصير المأساوي لجميع العائلة البارزانية في العراق:

بعد إتفاق الجزائر في 1975 وإحباط (الثورة الكردية) صفي وجود العائلة البارزانية في كردستان ولم يسلم منهم حتى من كان موالياً للحكومة، وفي ضمنهم عثمان. فقد صودرت دورهم وإتخذت مقرات لأجهزة الحكومة، وكانت قد شيدت لهم بعد العودة من الإتحاد السوفياتي من قبل سلطة جمهورية 14 تموز. وهي تعتبر قصوراً بالنسبة إلى مستوى المنطقة. وقد وضعوا في دور في بغداد واجريت لهم جريات للمعيشة. فما شأنهم او كثرتهم الآن؟ بين من يعيش اسيراً او شبه اسير ومجهول المصير. اما من اصبحوا في إيران او إرتبطوا بإيران فقد اصبح لهم شأن وحديث آخرين.

اما الشرح الثاني في العائلة البارزانية: فقد قام به عبيد الله بن ملا مصطفى ذاته. فللعائلة البارزانية تقاليد اخلاقية صارمة لم يتفشى بينهم الفساد الجنسي الذي تفشى لدى رؤساء قبائل اخرى. كما كان زواج اولادهم خاضع لتقاليد العائلة وموافقة رؤسائها. إلا ان عبيد الله قد خرق هذه التقاليد، فتزوج سراً من فئات من الكرد الفويلية وأبقى على علاقته معها سرية حتى ولدت منه مولوداً ثم هجرها. وثمة روايات فيها بعض التناقض عن خيانتها لها وحتى عن قتلها ووليدها لانها فضحتته وأخبرت العائلة بالعلاقة. ومهما تكن الحقائق الدقيقة حول عواقب هذا الزواج فإنه من حيث النتيجة كان محل غضب العائلة. ففرض مصطفى البارزاني على عبيد الله الإقامة الجبرية في خيمة مستقلة في مناطق إستقرار البارزاني. وكان البارزاني قد اخبرني انه اراد قتل عبيد الله وإستأذن من الشيخ احمد فلم يأذن الشيخ احمد بذلك. وهكذا بقي عبيد الله تحت الإقامة الإجبارية حتى تم هربه من مقر البارزاني ونقله إلى بغداد، ثم تعيينه وزيراً للدولة بعد القطيعة مع البارزاني.

وليس في الإمكان إعتبار نقل عبيد الله محض تلبية للعدالة، فالعدالة مداسة كثيراً في كل مكان. وإنما هي مسألة تصد وهجوم إلى صميم العائلة، وكان هذا امراً فوق الإحتمال من قبل البارزاني. فماذا كان مصير عبيد الله؟

### صلة عائلة ميركه سور بالصراع الحكومي – الكردي وإرتباط مصيرها بمصير العائلة البارزانية.

ميركه سور قرية كبيرة (مركز ناحية) تحت السيادة الإقطاعية لمحمد بك. وهو والد فاخر ميركه سور. وقد كان محمد (بك او اغا) ميركه سور ينظم احياناً إلى جانب الحكومة في حروبها ضد البارزانيين، كما كان ينظم احياناً اخرى إلى البارزانيين. وقد اخبرني مصطفى البارزاني ان والدته من عائلة محمد ميركه سور. وقال "كنت ادعوه (خالي)". وقال إن تسميته (جاش شرطة) اطلقت اول الامر على محمد

ميركه سور. ومعناها الحرفي حمار الشرطة لأنه يحمل اوزارها. وفي حروب 1960 – 1970 كان محمد ميركه سور إلى جانب قوات الثورة الكردية يقود قوة صغيرة. ولم يكن إلتحاقه بها عن مبدأ، وإنما قاداته الظروف إليها. كما قاد بعض الإقطاعيين الآخرين. ولم يغير ذلك من طبيعته الفظة التي دونت بعض ملاحظاتي عنها في فترة 1965 – 1775. وقد كان له اولاد كبار من زوجاته السابقات، بقوا في منطقة ميركه سور بارزان. اما فاخر ابن الزوجة الصغرى فقد إلتحق بالثورة، إذ كان منتبياً إلى الحزب الشيوعي وكادراً متقدماً في منظمة الحزب في كردستان. ولكنه كان ضعيف الإنضباط الحزبي، فإينما حل يتصرف على الطريقة القبلية (إبن بك او اغا). وكان تعرفي الاول به في صيف 1965 إذ كما تم ذكره في الفصل الخامس انزلي البارزاني في مقره، في قرية (باش كوس) وقد لقيت منه ومن والدته وزوجته ام روش تعاملاً إنسانياً لا ينسى.

لقد كان لفاخر مقام وطلعة مرموقين، وكان يتمتع بذكاء وكفاءة قيادية عالية. فعندما تقدم الجيش العراقي في ايار 1966 وإحتل قمة جبل هندرين – في ضمن خطة (توكلت على الله) التي كان هدفها الوصول إلى حاجي عمران، حدث إنهيار معنوي لدى القيادة الكردية. فأمر البارزاني بإسناد قيادة الجبهة إلى فاخر ميركه سور. وفي هذا الامر إيكال جبهة الدفاع إلى الفصيل الشيوعي. وكان عمر فاخر 30 عاماً او اكثر بقليل على ما اخبرني. وقد تولى قيادة الفصيل الشيوعي في المجابه في الخط الاول. وتم هذا بكفاءة عالية جمعت بين الجرأة والتفنن في التاكتيك إذ تسلسل منهم افراد خلف الجيش. وبرز في هذا الخصوص العريف يونس الذي إستشهد في هذه المعركة. كما ابدوا دقه هائلة في الإسناد المدفعي. وقد برز في هذا وفي وقائع اخرى الملازم العربي خضر. ولقد اردت التنويه بهذين الشخصين لما لي من تجارب سابقة بكفاءة كل منهما. وكما تم ذكره في الفصل السادس إنتهت المعركة بإنهيار معنويات القوات الامامية من الجيش التي إحتلت مرتفعات هندرين. فأدى ذلك إلى هزيمة الجيش.

بعد معركة هندرين حصل إعتزاز لدى القيادة الشيوعية بمآثر الانتصار. ولكن افتراقا كفيما وقع من جانب قيادة البارزاني لا يتناسب مع التضايق من ذلك الاعتزاز. والسبب الاساس في نظري هو ضغط ايران.

لقد كانت ايران على علم من قبل بوجود الفصيل الشيوعي وقيادته في (برسريني) و (ده ركه له) ولم تبدأ اعتراضا. ولكن بروز الشيوعيين في معركة هندرين غير تقديراتها. وينبغي ان يضاف الى هذا غيرة الجانب القومي الكردي من بروز الشيوعيين بتلك الصورة. وعندما عدت الى (منطقة الثورة) في شباط 1967 اخبرني البارزاني بانه انذر الشيوعيين بضرورة ترك المنطقة والا فانه سيخرجهم حرباً. (انظر ما دونته عن هذا الموضوع ودوري في الغاء الانذار في الفصل السادس).



وفي هذا الخلاف انضم فاخر الى جانب البارزاني. وعندما حدث انشقاق عزيز الحاج انضم الى المنشقين الذين كانوا يتمتعون بانحياز ملموس الى جانبهم من قيادة الثورة. وقد لعب دورا رئيسا في ذلك حبيب محمد كريم الذي له رابطة قريى بعزير الحاج.

بعد اتفاق آذار 1970 عين فاخر المسؤول الحزبي لفرع الحزب الديمقراطي الكردستاني للسليمانية بينما كان علي عبدالله محافظا. وفي هذه الفترة نشأت معضلتان خطيرتان تطورت احدهما عن الخلاف بين فاخر وعلي عبدالله حول من له الكلمة العليا في شؤون المحافظة. المسؤول الحزبي ام المحافظ . (ولنتذكر ان ذلك كان في الفترة التي سيجري فيها تطوير الوضع نحو الحكم الذاتي).

اما المعضلة الثانية فانها تتصل باخوة فاخر الكبار الباقيين في منطقة (ميركه سور – بارزان). وكما ذكر اعلاه كانت المنطقة هادئة في وضع حياد غير معلن بسبب علاقة خالد بن الشيخ احمد بالسلطة بكونه رئيس فرسان. فانثرى بعض اولئك الاخوة كما اثرى امثالهم من تهريب البضائع العراقية والايرانية بين الجانبين. ولنتذكر ان معنى الاتراء نسبي. فلم يبلغ احد تملك المليون، ولا احسب انهم ملكوا عدة الاف. ومن المؤسف ان قيادة الحركة الكردية لم تبد اهتماما بعد آذار بعمل جاد لمنع التهريب. فمن كانوا (اغنياء الثورة) اصبحوا (اغنياء آذار). وكانت لهذا عواقبه الاليمة على اضعاف موقف الجانب الكردي.

وفي هذا العهد، في فترة التمتع بسلام آذار، حدثت مشادة بين احد اولاد محمد ميركه سور والشيخ خالد بن الشيخ احمد وهو والد زوجة مسعود البارزاني. وحسب معلومات البارزاني تطاول ابن محمد ميركه سور على الشيخ خالد بكلام غير لائق – فصدر امر من قيادة الثورة لاستخدامه ومحاكمته في محاكم الثورة. واوكل الامر الى مسلحين من البيشمركة فامتنع عن مصاحبتهم، فحاولوا إلقاء القبض عليه فجرى بينه وبينهما تبادل الرصاص في احد شوارع السليمانية، فسقط احد البيشمركة قتيلاً. ثم تبع ذلك حدثان خطيران وضعا حداً نهائياً لكل مجال للسلام مع فاخر وإخوته. أحدهما بلوغ اخبار إلى البارزاني بأن لفاخر صلة سرية بحزب البعث وأنه يجمع حوله تجمعاً سرياً مناهضاً لقيادة البارزاني.

اما الحدث الثاني، فهو مشاركة سعيد (الاخ الشقيق لفاخر) في هرب عبيد الله بن مصطفى البارزاني إلى بغداد بتواطؤ مع عثمان البارزاني. وهناك إختلاف بين اقوال البارزاني وأقوال آخرين حول التحديد الزمني لهذه الحوادث. ولكن صدام حسين اكد هذه الحقيقة إجمالاً، كما سبق الإعتراف بها من قبل عثمان البارزاني عند لقائنا معه في بارزان يوم 10 – 7 – 1971 عقب إطفاء لهيب الحرب في بارزان.

ولقد علمت في فترة لاحقة ان البارزاني امر بالقاء القبض على فاخر ميركه سور. وفي احد اسفاري إلى مقره كان البارزاني يصحبي بسيارته. فسألته عن مصير فاخر فأشار بإصبعه إلى الارض وقال أنتهى. لقد هزني ما قال البارزاني هزاً عنيفاً.

وعندما كنا نقترّب من دار الإقامة الجبرية التي وضع فيها محمد ميركه سور وجميع افراد عائلته (بمن فيهم زوجته ام فاخر وزوجة فاخر وطفليه روشن وهندرين وهي تقع على طريقنا، بينت للبارزاني أي لا اعطي لنفسي الحق بالتدخل في معضلاتكم الداخلية وإن كنت اتمنى لو ان لي قدرة على الإسهام في تذليلها. ولكني اود ان اعرب عن شيئين: اولهما إن محمد ميركه سور مسن ومريض مرضاً عضالاً وهو ميت إن لم يكن غداً فبعد غد. وبحكم إخوتي لكم ارى الافضل لكم، واقولها بإخلاص، ان لا يموت في سجن او ما يشبه السجن. فحبذا لو رفعت عنه الإقامة الإجبارية، ولن يغير ذلك من الامر شيئاً. اما الثانية فهي اني كما تعلمون قد كانت لي بهذه العائلة صلة إنسانية كنتم بدأتموها انتم.

كان بيت إقامة عائلة فاخر على مقربة من مهبط الطائرة العمودية التي كنت أستخدمها للوصول إلى قيادة البارزاني. فإذا ما نزلت الطائرة العمودية، اجد الطفلة روش وقد اصبحت صبية آنذاك، فاحاول ان ابعث السرور إلى نفسها. وكانت تخرج إلى إستقبالي ام فاخر ومعها رقيب مسلح، فأجلس إلى جانبها على صخرة واهدئ من روعها. وهي لاتفهم العربية فاطلب من الرقيب ان يترجم لها ما اقول. وذات مرة ذاق الرقيب بحديثنا ذرعاً فأمرها زاجراً بإنهاء الحديث. فصرخت به وقد فهمت انها تقول له انا اعز هذا الإنسان، ولا اخاف منكم فافعلوا ما تشاؤون.

وقد إنقطعت عن المنطقة عندما نشبت حرب 1974 – 1975. ونشرت المصادر الحكومية ان قيادة البارزاني تعقبت إخوة فاخر فقبضت عليهم واحداً بعد آخر ولم يستثنى منهم سوى نزار وهو الشقيق الاصغر لفاخر وكان تلميذاً في الابتدائية.

وعند إنهيار الحركة بإتفاق الجزائر 1975 نشرت الصحف (نقلاً عن وكالة الانباء العراقية) ان قوات التمرد اليميني العميل .... قد اجهزت على محمد بك ميركة سور ومن معه من اولاده في سجن خالان، عدا فاخر الذي لم يعرف مصيره. إلا ان ما كان يقيناً لدي اكثر من غيري هو مصير فاخر دون مصير الآخرين الذين لم تكن لي فرصة لتعقب مصائرهم.

### الإعتداء على حياة مصطفى البارزاني

#### مقدمة

بعد فترة طويلة من اعياد آذار 1970 وحلم بناء الجبهة بين حكومة البعث وقيادة القومية الكردية حصراً، وبعد فترة اطول نسبياً من الازدواج بين السير الايجابي على خط آذار وتعكيره بسلبيات أمكن لوقت ما اعتبارها جانبية، بلغت العلاقات بين الجانبين مرحلة طغيان المياه العكرة التي اخذت تعلقاً حاداً بعد آخر. نعيد منها امثلة بارزة:

مثل احداث خانقين ومساعدتها على تقدم القوات الايرانية في قطاع زين القوس، واحتلال مخفر بله جفت (آذار – أيلول 1970)، وتدبير الاعتداء على حياة أدريس البارزاني ليلة 6 على 7 – 12 – 1970 . وكذلك المجابهات المسلحة حول كله كين وعند قاعدة سبيلك بين مأجوري الحكومة التقليديين من جانب والموالين لقيادة الحركة القومية الكردية من جانب آخر، دون توقف بعد آذار 1970 حتى

بلغت ذروتها في ايام 25 – 27 كانون الاول 1970، ثم احدثت مستمرة في صور حروب اقطاعية في منطقة عقرة، وكذلك الحرب المحدودة في منطقة بارزان وبيرة كبرة الخ.

### أخبار العملية وردود الفعي الاولى:

في يوم 29 – 9 – 1971 وقعت محاولة للقضاء على حياة مصطفى البارزاني بعملية تفجير وقعت في آن واحد. وعندما عرف الحادث جرى انسحاب واسع الى منطقة (الثورة) من كبار الموظفين الكرد، بمن فيهم الوزراء والمحافظون، وحتى من كانوا اصغر من ذلك. كما قامت القوات العراقية باستعدادات كبيرة لاحتمال الطوارئ – على ما سيأتي الاشارة اليه.

وقد ارسلت القيادة القطرية برقية الى البارزاني باستتكار الحادث، وتهنئته على سلامته. واوفدت عبد الستار الجوارى وزير الاوقاف للتهنئة شخصيا والاستفسار عن تفاصيل الحادث. فعاد الجوارى بانطباع بان ما حدث لم يترك نتائج سلبية خطيرة.

وبسبب ملازمتي الفراش تاخر سفري حتى يوم 3 – 10 – 1971 وقد وجدت اجماعا لدى الجميع حتى التحليل المعمق ان الحادث مدبر من جهة حكومية. وكان الاختلاف محددًا بين العناصر السلبية التي اطلقت التعميم وادانة الحكومة دون تفريق. والعناصر التي رأت من المصلحة دفع الازمة نحو الانفراج، فحاولت تجزئة المسؤولية في الجانب الحكومي بين القيادة او بعضها وبين اجهزة الامن والمخابرات. وقد حاول فريق (وكنت بينهم) ارجاء البت في الموضوع الى التحقيق الموضوعي اللاحق.

وعند عودتي الى بغداد قدمت التقرير الاول التالي الى الرئيس احمد حسن البكر ونائبه رئيس الهيئة العليا لشؤون الشمال صدام حسين بتاريخ 7 – 10 – 1971، راعيت فيه تصوير الواقع في حدود هدف افساح المجال لردم الشقة بين الجانبين، وبخاصة بتخفيف رد الفعل لدى البارزاني، فكان بعد المقدمة على الوجه الاتي:

لقد لمست شعور القلق منذ وصولي كركوك، حيث كانت تجري التدابير الاحتياطية من قبل الجيش. وبعد وصولي مقر البارزاني كان التوتر شديدا الى درجة قصوى لدى الجميع. وكان يزيد في التوتر والقلق الاخبار عن تحرك بعض قطعات الجيش الى مراكز امامية وعن نشاط اجهزة الحكومة في القاء القبض على اعداد من الموظفين الكرد، ونزع سلاح المنتمين منهم الى الجيش. وطيلة يومي 4 ، 5 كان التزامي بصحبة البارزاني متواصلا، عدا فترات كنت اواصل فيها اللقاءات مع الاخرين.

وقد تبين لي ان الانطباع المتفائل الذي عاد به السيد احمد عبد الستار الجوارى انما عكس تجاوب البارزاني مع تهنئة الحكومة. بيد ان ما عبر عنه البارزاني كان الاستثناء الوحيد تقريبا عدا بضعة عناصر ايجابية في القيادة كانت تقف موقفا ميالا الى دفع الازمة. ولكن هذه الاصوات كانت ضعيفة جدا في وسط التيار السلبي العام. وكان بعضها مترددا غير حازم. وفي مساء 5 على 6 اكتوبر

انعقد اجتماع موسّع حضره جميع من كانوا في المنطقة من قيادة الحزب ( حتى مستوى عضو احتياط في اللجنة المركزية). وبطلب من البارزاني تمت الموافقة على حضوره هذا الاجتماع والمساهمة في المناقشة.

ان منطقتنا ان والبارزاني والعناصر الايجابية قد قام على ما يلي:  
 — كثيرون هم أعداء بيان آذار والمنتفعون من التخريب الذي كان مخططاً لهذا الحادث ان يؤدي إليه. ولذا فإن السماح بالإنفعالات والإعتقادات المسبقة يضر بالمصلحة الكردية الخاصة والوطنية العراقية العامة.

ب — إن السماح لتوتر بأن يستمر معناه إستفحال هذا التيار — سواءً اردنا ام لم نرد. وبهذا تتسع الفرص لكل المخربين — وفي مقدمتهم المسؤولون عن هذه المؤامرة.  
 وفي هذا الجو يصبح مصيرنا ليس في ايدينا بل بأيدي اي مخرب، مثل المجرم طارق احمد الذي قام بجريمة ادت إلى إستئناف القتال عام 1965 بعد هدنة شباط 1964 والمفاوضات اللاحقة بها.  
 وخلافاً للمعتاد كان واضحاً وقوياً الرأي المخالف لموقف البارزاني. ولكن تم التوصل اخيراً إلى القرارات التالية:

ا — منع إعطاء أي رأي او حكم مسبق بخصوص الحادث. ومنع اية إشاعة حول هذا الموضوع حتى تتجلى نتيجة التحقيق.

ب — محاولة التحرك الإيجابي بإتجاه إنقاذ الموقف من ازمة الثقة التي كانت تتردى منذ زمن. ولذا تقرر عودة جميع الموظفين — والحزبيين منهم إلى مراكز أعمالهم عدا أعضاء المكتب السياسي.

ج — إيفاد وفد (انا منهم) لمقابلة المسؤولين في قيادة الحكومة من اجل تحرك إيجابي مقابل ورفع جميع الإجراءات التي حدثت بعد 29 — 9 على التفصيل الذي سيبحث عند المقابلة.

إستأذنت من الإخوان الكرد بأن اقدم للمسؤولين رأيي المستقل عدا ما سيفدمه اعضاء الوفد. في رأي هذه القرارات مهمة جداً. فهي وإن لم تقض على التوتر كلياً، إلا انها اجتازت بالوضع قمة الازمة. إنها تمثل القرارات التي اتخذت من الجانب الكردي (بمشاركتي) في 24 — 9 — 1971 بإتجاه إعادة الثقة بخصوص احداث خانقين. إن اهمية هذه القرارات والقرارات السابقة وتأثيرها الإيجابي سيتوقف على التجاوب الإيجابي من جانب السلطة.

وينبغي ان اشير إلى ان برقية القيادة القطرية بتهنئة البارزاني وإستنكار الجريمة وإيفاد الرئيس موفداً خاصاً والإستنكارات الصادرة عن جهات حزبية بعثية — إن هذا كله قد اثر تأثيراً إيجابياً حسناً. وكان البارزاني يشير إلى هذه المبادرات لدعم موقفه. ولذا ارى ضرورة مواصلة التحرك الإيجابي من السلطة، وانا واثق بإمكان التحرك الإيجابي من جانب إخواننا الكرد صعوداً إلى مستويات اخرى. ان كل خطوة سديدة تذلل ما قد يبدو ان تذليله من المعجزات.

ينبغي ان نعترف ان في الجانب الكردي عناصر سلبية. وان الضرب على ايدي هذه العناصر إنما يتيسر في جو التجاوب من جانب السلطة. وعلى الضد ان الموقف السلبي من هذه القرارات إنما يشل ايدي القائمين على تنفيذها ويساعد على تفاقم العقبات.

واضح ان المسؤولين عن حوادث منطقة خانقين في ايلول الماضي — كانت صلتهم بالجانب الإيراني بينة. وكان إنطلاقهم في الوقت ذاته من مراكز الحزب الديموقراطي. ومسألة الارتباط بإيران يجب دراستها موضوعياً وبهدوء. وأنا مستعد للمساهمة في هذه الدراسة.

وختاماً اود ان اؤكد نقطة هامة جداً وهي اننا لا يمكن ان نعالج الوضع الحالي في ضمن معالجة عامة. انه وضع أستثنائي شديد الغليان وإن اجتاز ازمة الإلتهاب، إنه يقتضي معالجة آنية مباشرة وان كل معالجة آنية مباشرة في الخط الإيجابي من جانب الحكومة ستساعد المخلصين على وضع خطوة إيجابية اوسع من جانب الحركة القومية الكردية.

وفي جو جديد فقط يمكن معالجة مجمل العلاقات في ضمن نظرة عامة شاملة. واود ان اؤكد ان الجانب الكردي كان في كل مرة يساعدني مساعدة غير محدودة لأداء مهمني المتواضعة. (إنتهى التقرير).

وعند مقابلتي صدام حسين (نائب الرئيس ورئيس اللجنة العليا ... ) شرحت له كل ما رأيت وسمعت وعملت دون ذكر إستنتاجي حول محاولة الإغتيال. ...

نقل صدام حسين الحديث إلى مسألة أخرى ... وسألني عن رأي فيما نشرته الصحف المصرية حول محاولة إغتيال عبد الهادي الراوي. وكانت تلك الصحف نسبت إلى مسلحين يعملون لمصلحة العراق انهم حاولوا إغتيال عبد الهادي الراوي ولكنهم اخطوا في تعيين الشقة التي إقتحموها، فنبه ساكن الشقة عبد الهادي تلفونياً. وجاءوا خطأً إلى شقة اخرى .... الخ. اجبته بأن ما نشر لايلقي ضوءاً كافياً.

قال: الواقع هو ان المسلحين عملوا لصالح مخابراتنا ولكن ذلك كان إستمراراً لخطة قديمة كنا عدلنا عنها.

لقد كان حديث صدام حسين هذا ذا معنى واضح لدي بالنسبة إلى المؤامرة على حياة البارزاني. وفضلاً عما تقدم لم تجر أي إجراءات بشأن إستقبال وفد كردي لمعالجة الامر حسب إقتراحي. وإنما الفت لجنة حكومية للتحقيق سيأتي الحديث عنها.

### سيناريو الحادث ومقدماته

في فترة سابقة — قبل الحادث بحوالي إسبوعين — زار البارزاني وفد من رجال الدين قادماً من بغداد، إستقبلهم البارزاني في مضيفه (قصر السلام) قرب قرية ناوبردان. وهو بيت يعتبر عصرياً بالنسبة إلى مستوى ريف كردستان. ومن محتوياته غرفة شمالية واخرى جنوبية تفصل بينهما صالة، عدا المرافق.

وكان الإستقبال الاول في الغرفة الشمالية. وكان موضوع حديثهم السؤال من البارزاني عن "ماذا يطلب من الحكومة لإصلاح ذات البين بين الجانبين".

ويوم الحادث 29 - 9 - 1971 تكررت زيارة رجال الدين، وكانوا هذه المرة عشرة جاءت بهم سيارات ركاب عادية وسيارة بيك اب. وذلك بعد ان توقفوا في كلاله للصلات. وقفت سيارة البيك اب إلى جانب جدار الغرفة الشمالية التي وقع فيها الإستقبال السابق. اما السيارة الصغيرة فقد وجدت بعد الانفجار على بعد بضعة امتار بعيداً عن جدار الدار (ربما كان مقدراً ان يكون البعد الكافي لسلامتها عند التفجير).

ولسبب ما او لمحض المصادفة كان اللقاء الثاني بين البارزاني ورجال الدين في الغرفة الجنوبية بدلاً من الشمالية. فأعادوا الحديث حول ما يريد البارزاني من الحكومة لتسوية الخلافات بين الجانبين. وبينما كان الحديث يجري حدث إنفجار شديد من جسم احد رجال الدين، رفعه فوق الارض متراً او اكثر فوق اشلأء، وقد كان في الصف المقابل لمجلس البارزاني، فأصاب الانفجار الموجودين في الإجتماع بدرجات مختلفة.

اما البارزاني فلم يصب بأذى، وذلك لصدفة محض. فقد تقدم احد رجاله يقدم القهوة للضيوف. وقد حدث الإنفجار بينما كان الرجل واقفاً امام البارزاني يقدم له القهوة. فكان ستاراً للبارزاني. اما هو فقد تمزق اشلأء. وفي أثر الانفجار الاول إنفجرت كمية المتفجرات الكبيرة الموجودة في السيارة البيك اب. فهدمت جدران الغرفة الشمالية التي وقع فيها اللقاء السابق بين البارزاني ورجال الدين. وإتسع تأثيرها إلى الصالة المتوسطة. ولم يبلغ الغرفة الجنوبية إلا ضعيفاً.

قال البارزاني "أنئذ سحبت مسدسي وقلت انها إذا مؤامرة".

خرج البارزاني إلى خارج الدار مشهراً مسدسه، فالقيت عليه رمانة (قنبلة يدوية) من قبل سائقي السيارة والبيك اب. فأنفجرت في الهواء قبل ان تبلغه. ولم يصبه منها سوى مس سطحي على انفه أشبه ما يكون بجرح اثناء الحلاقة.

وفي لحظات إنطلق حراس البارزاني بغداراتهم يطلقون النار على الجميع. فمن لم يقتلهم الانفجار الاول قتلوا برصاص حرس البارزاني، حتى ان بعضهم هربوا إلى دورة المياه، ولم يحممهم من القتل بابها المصنوع من صفائح الحديد.

إن الإنفعال الشديد والبدائية في سرعة التنفيذ لم يسمح بأي تفكير في المحافظة على ارواح هؤلاء، وإلا لكانت بذلك خدمة كبيرة للحقيقة ولتحديد مسؤولية الجهة والاشخاص الذين كلفهم بالمهمة.

#### خطان متوازيان للتحقيق في الحادث:

اعلن مجلس قيادة الثورة تاليف لجنة للتحقيق في الحادث، من عدد من الموظفين وبعض مسؤولي حزب البعث، واطاف إليهم عبدالله محافظ السلمانية (وهو عضو في قيادة الحزب الديموقراطي الكردستاني).

وكانت هذه ثغرة واضحة من جانب الحكومة، فإن حادثاً مهماً مثل هذا كان ينبغي ان تؤلف لجنة للتحقيق ذات كفاءة عالية، وان يكون للجانب الكردي مشاركة اساسية فيها. بل كان حرياً ان يكون للجانب الكردي المساهمة الاساسية في التحقيق للوصول إلى قناعة مشتركة بالنتيجة ولإجراء التدابير المناسبة بناءً على تلك النتيجة. ولذا فقد امرت القيادة الكردية علي عبدالله بالإعتذار عن المشاركة الثانوية التي رشح لها.

حضرت اللجنة الحكومية إلى قصر السلام وكشفت على آثار الحادث والسيارة وسلمت إليها جثتا سائقي السيارة العادية والبيك اب، وجثت تسعة من رجال الدين. وإحتفظت قيادة البارزاني بالجثة العاشرة بزعم ان هذه هي جميع جثث القتلى الذين عثر عليهم. وذلك لكي توقع في روع الجانب الحكومي ان الشخص العاشر ما زال حياً، وقد ينطق بإعترافات تكذب النتائج التي ستعلنها لجنة التحقيق الحكومية. وقد فحصت اللجنة الحكومية السيارة فحصاً سطحياً وهي الاثر الوحيد الذي بقي سليماً. ولم يسمح لها بنقل السيارة. ولم تعلن الحكومة نتيجة التحقيق الذي توصلت إليه.

اما التحقيق من الجانب الكردي فقد توصل إلى ما يلي:

كانت قد سرقت سيارة من شخص من اهل السليمانية. وقد إستعان بقوات الامن فلم يعثر لها على اثر. وعند فحص السيارة التي وجدت اثناء الحادث، وجد ان الرقم الداخلي على الماكنة (وهو رقمها من المصنع) قد محي، ولكن الإمحاء لم يكن كافياً فامكن قراءته، وكان هو رقم السيارة المفقودة ذاتها. وقد طلي جسم السيارة بلون آخر ووضع امامها وخلفها رقم آخر من ارقام شرطة المرور. وقد وجد ان المصباحين الخلفيين قد إنتزعا ووضع في محلها صاروخان لأطلاقهما عند هرب السائقين وملاحقتهما. وقد وجدت في جيوب رجال الدين (وهم في نظري ادوات الحادث وضحاياها) اوراق شخصية تشير إلى ان همومهم بعيدة عن التفكير السياسي. فمن ذلك وجد في جيب احدهم دفتر يوميات يذكر صاحبة انه دعي يوم ... إلى جار .... للقراءة في مأتم لهم. وانهم قدموا له دينارين .. دفعه إلى القصاب لتسديد بعض دينه ... وهكذا ... .

اما ما غمض على الجانب الكردي فهو جهل رجال الدين بالمؤامرة وعدم علمهم انهم يشاركون فيها وكذلك جهلهم بكيفية التفجير. فقد تصورت القيادة الكردية ان رجال الدين شركاء في المؤامرة. وكان البعض مثل إحسان شيرزاد يميل إلى الإعتقاد بأن المؤامرة من صنع إيران لقرب الحادث من الحدود الإيرانية. ولأن احتمال هروب المتآمرين نحو الجنوب — اي باتجاه منطقة سيطرة الحكومة شبه مستحيل لبعدها عن محل الحادث. اما الصورة التي تكونت لديّ انا من الواقع فكانت كما يلي.

إن حامل الجهاز الملوغوم كان جاهلاً بحقيقته. وقد صور له بأنه يحمل جهاز تسجيل لنقل اقوال البارزاني. وأن الجهاز كان مغلقاً لا يستطيع تحريكه، حذراً من ان يدفعه إلى عبث يؤدي إلى تفجيره في غير الوقت والمحل الملائمين. ولا يوجد اي دليل على انه كان مقدرراً لعمله. ويزيدني قناعة بهذا

الرأي ان التفجير وقع بينما كان شخص يقف حائلاً بينه وبين البارزاني. ومن هنا قناعتي بأن التفجير قد تم باللاسلكي من قبل سائقي البيك اب والسيارة العادية.

اما بقية رجال الدين فالادلة المادية تشير إلى انهم كانوا مثل حامل الجهاز محض اداة جاهلة بالمؤامرة. ومن المرجح ان قد اعطيت لهم مبالغ طفيفه بإسم نفقات للجيب لكي لا يفطنوا إلى خطورة ما هم مقدمون عليه.

ورداً على تصور إحسان شيرزاد – ان مسألة هروب السائقين إلى المنطقة الحكومية رغم البعد والعقبات في الطريق، إنما هي مغامرة بهما وليست هذه اول مرة تتم فيها التضحية بمنفذي مؤامرة.

### النتيجة الحاسمة بالنسبة إلى البارزاني هي اللقاء.

لقد حدثت قبل هذا الحادث وبعده محاولات لتحسين العلاقات او لتجاوز العقبات. وقد كنت احركها مؤمناً بضرورتها مع قلة جدواها. ولكني كنت اعلم في الوقت ذاته بما قال لي البارزاني حرفياً: "ما دمت انا وما دام هذا (وهو يقصد صدام حسين) لن يكون بيننا لقاء".

إن هذا البيان الحاسم ينفي كل الإحتمالات والإفترضات اللاحقة لبعض المحللين من الجانب الكردي حول تحول البارزاني نحو الولايات المتحدة بعد الإتفاق العراقي السوفياتي والتعاون (في حزيران 1972) او نحو ذلك من الفرضيات.

لقد كان امام البارزاني طريق آخر. ولكنه يحتاج إلى صبر طويل. وقد سبق لي ان حاولت كثيراً جره إليه من قبل دون جدوى. ذلك هو اللجوء إلى القوى الديموقراطية – الوطنية في جانبي المنطقة: الكردي أولاً والعربي ثانياً. ولكنه طريق ليس بالسهولة التي تبدو لاول وهلة. إنه يقتضي فيما يقتضيه، تغييراً جذراً في اعمدة المؤسسة التي يقودها، ومن ثمة تغييراً في التعامل مع القوى الشعبية (الفلاحين بالدرجة الاولى). وكان من شأن هذا التوجه ان يلقي جواباً لا ينحصر في القوى الديموقراطية الوطنية العربية فحسب، بل وكذلك بين عناصر في حزب البعث ذاته.

ولكن البارزاني إستعمل الإستمرار بعمق أكثر على طريق – إعتبرته طريق الإنتحار. طريق تمتمين العلاقات الخارجية مع اعداء شعبه واعدائه شخصياً. فكانه يقول "علي وعلى اعدائي يا رب".

ولست اضع اللوم الاول في هذا الشأن على الجانب الكردي، بل على الجانب الحكومي الذي بيده زمام السلطة على الشعب الاكبر. ولست ابرئ العناصر السيئة في مؤسسة البارزاني او انتقص دورها في هذا الخصوص. وقد بينت احداث لاحقة ان اللقاء لم يكن معناه الحرب ولذا سميت موقف البارزاني بموقف "اللقاء ولا الاحرب".

مرت فترة طويلة من ايلول 1971 إلى حرب 1974، جرت فيها احداث متباينة. كان موقف البارزاني منها متناقضاً، وإن كانت مواقف بعض كوادر الحزب الديموقراطي الكردستاني سلبية على خط متواصل. إنظروا موقف البارزاني من زيارة الكسي كوسيجن عند زيارته بغداد للتوقيع على معاهدة الصداقة والتعاون في نيسان 1972 ثم قبول التدخل الامريكي لضمان التسلح الكردي في ايار –



حزيران 1972 – فموقف التأييد لقرار تأميم شركة نفط العراق في الاول من حزيران 1972 والموقف المضاد من عناصر داخل الحزب الديموقراطي الكردستاني. فالحروب الموضوعية بعد عقد الجبهة الوطنية مع الحزب الشيوعي صيف 1973. فوقف السليبيات عند حرب اكتوبر 1973 فالعودة إلى الإحتكاك ... للمقارنة بشأن خطر نتائج هذه العملية قول عبد الرحمن البزاز منذ عام 1966 "إني اترك للتأريخ رأي اولئك الذين يتصورون حل المشكلة الكردية بعد إنهاء او إنتهاء حياة البارزاني".

### المحاولة الثانية لإغتيال مصطفى البارزاني

كانت بدايات هذه المحاولة الموثقة ان موظفي الامن العام إشتروا خدمات لاجئ كردي سوري لإغتيال مصطفى البارزاني. وقد تطورت الامور إلى تواطؤ هذا العميل مع الحزب الديموقراطي الكردستاني لخداع الامن العراقي. ثم فضح الموضوع بمؤتمر صحفي. اما تأريخ هذا العميل وصلاته السابقة وهل كان يعمل لجهة ثالثة فقد بقي ذلك خارج إهتمام الجانبين.

في صباح 20 – 7 – 1973 نشرت جريدة التآخي التي تصدر في بغداد بلسان الحزب الديموقراطي الكردستاني ان سكرتير الحزب حبيب محمد كريم عقد مؤتمراً صحفياً في مقر الحزب في كردستان حضره صحفيون عراقيون واجانب. واعلن عن إكتشاف مؤامرة هيأتها مديرية الامن العامة العراقية لإغتيال البارزاني.

وخلاصة المؤامرة هي: ان موظفي الامن قد إشتروا لاجئاً كردياً سورياً، وكلفوه بعمية الإغتيال. فسلموه حقيبة من نوع (دبلوماسي) فيها كمية من مادة الديناميت ليفجرها على مقربة من البارزاني، كما اعطوه حقيبة اخرى مماثلة في امتعته بعيداً عن محل التفجير لتكون شاهداً على براءته من الحادث بعد ان يكون الانفجار قد افنى الحقيبة الملعومة وكل ما حولها.

وفي يوم 22 – 7 – 1973 نشرت مديرية الامن العامة بياناً مطولاً مرقوماً 12239 رداً على ما نشر في جريدة خه بات وأرسلته إلى جهات عديدة، ومن ذلك صورة إلى (عزيز شريف) ومما جاء فيه:

ان مديرية الامن العامة تتفي نفياً قاطعاً علمها او إشتراكها في المؤامرة المزعومة. "....." و"إننا نجزم ان المؤامرة مختلقة من قبل اجهزة إستخبارات الحزب الديموقراطي الكردستاني وبالإتفاق مع الشخص المزعوم والذي لم يذكر إسمه". .... "وان الهدف من إختلاق المؤامرة هو خلق غطاء سياسي يبرر تحديد وموقف على ضوء ما ستقرره المحكمة الخاصة في المستقبل في احداث سنجار. وللتغطية على مجمل التجاوزات التي تصاعدت بشكل واسع في الفترة الاخيرة والتي شملت قتل وخطف العديد من المواطنين الاكراد بحجة انهم من عملاء للسلطة. وحوادث النسف والتخريب في خانقين. وإرسال الرسائل الملعومة إلى السيد محافظ كركوك والسيد مدير امن محافظة نينوى ومحاولة تخريب منشآت النفط في فترة إنذار الشركات وغيرها من الحوادث".

".... ان جهاز الامن يعلم ان السيد البارزاني لا يقابل الصحفيين حتى العرب والاجانب إلا في حالات نادرة جداً وبعد تفتيش دقيق يشمل حتى المسجلات وآلات التصوير."... "وأن جميع مقابلات الصحفيين تتم بعد اخذ موافقة مسؤولي الحزب الديمقراطي الكردستاني في بغداد وبعد ذلك يذهب الصحفيون إلى اربيل للإتصال بمسؤولي الحزب هناك والمحافظ ومدير الشرطة لتسهيل مهمة سفرهم بعد إشعار المقر...." و"..... سبق ان اشاعت اجهزة إستخبارات الحزب الديمقراطي الكردستاني قبل اشهر عن إكتشاف مؤامرة (لم تعلن رسمياً من قبل قيادة الحزب) من قبل صحفيين ادعوا انهم فرنسيين وان جلال الطالباني قابلهم وإستطاع كشفهم وعثر على مواد متفجرة في آلات التصوير." و"..... ويتضح مما تقدم بطلان الإدعاء المذكور وأن هدف جهاز إستخبارات الحزب الديمقراطي الكردستاني خلق حالة تأزم وفوضى. وللتأثير على العناصر الوطنية المخلصة في قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني وكوادهم المتقدمة لنسف الوحدة الوطنية مستقبلاً وللإساءة إلى جهاز الامن ككل، وبصورة خاصة اجهزة الامن في المنطقة الشمالية والتحريض عليها، والتأثير على معنوياتها حيث ان منتسبها يبذلون قصارى جهدهم لكشف العناصر العميلة والمخربة والمسيئة في المنطقة والتي لا يروق لها إستتباب الامن والطمأنينة وتمتين عرى الوحدة الوطنية." إنتهى البيان.

وقد طالبت الحكومة بتسليم الشخص المدعي بأنه محور المؤامرة، إلا ان الجانب الكردي رفض (خشية عليه من التأثير، وخشية على مصيره) كما قيل آنذاك. وكما حدث مراراً قررت السفر إلى الشمال دون اية دعوة من الجانب الحكومي او القومي الكردي، محاولاً التحقيق في الموضوع. وقد طال عملي هناك عدة ايام.

### بدء عملي

وصلت إلى مقر المكتب التنفيذي للحزب الديمقراطي الكردستاني في ناوبردان، حيث كان الشخص الذي دارت حوله قصة المؤامرة. فسألتهم إذا كان بإستطاعتي ان استجوبه، فوافقوا دون تردد، ولم يحاول احد حضور الإستجواب الذي تم في غرفة منعزلة. وقد سجلت مناقشاتي وأجوبته بتفصيل مستوف مستعيناً بجهاز للتسجيل. ولي خبرة قديمة في التحقيق إذ عملت فيما مضى محامياً وحاكماً للتحقيق وعضواً في محكمة الجنايات الكبرى. وفيما يلي ملخص لأجوبته ومتابعتي:

إسم الشخص: إبراهيم محمد كيباري من كرد سوريا محافظة الحسكة ومواليد 1950. لجأ إلى العراق إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني لأنه اتهم بالمشاركة بحملة تبرعات لصالح (الثورة الكردية). وبقي في ناوبردان حتى بيان آذار 1970. وبناءً على طلبه ارسل إلى جامعة السليمانية. ولكنه لم يستطيع مواصلة الدراسة فيها لأن الدروس كانت تعطى باللغة الإنكليزية. فارسل إلى بغداد فلم يقبل. ولكن بناءً على توسط لجنة السلام قبل لاجئاً سياسياً. وكان قبوله بتاريخ 28 — 2 — 1971. فكان

يتردد على مكتب الشؤون العربية (قسم العلاقات السياسية) بوصفه لاجئاً. وقد تعرف على احد ضباط الامن الذي كان يدبر له مراجعاته. وبعد اربعة شهور - اي في حزيران 1971 طلب إليه الإنضمام إلى حزب البعث فوافق. ثم اخذه إلى مدير مكتب الشؤون العربية ، فسلمه إلى باسل الاعرجي - احد ضباط الامن العام واقنعه (باسل) بالإشتغال لحساب (الامن). وقد ذهب إلى الشمال واخبر قيادة الحزب الديموقراطي فشجعوه. ثم عاد إلى بغداد وبمساعدة الامن العام قبل مستمعاً في جامعة المستنصرية ثم رفض الإستمرار وعاد إلى الموصل وعمل في حزب البعث فتعرف بالدكتور عبد الحميد الصراف عضو فرع الموصل. وفي الموصل تلاقى مع درويش اليزيدي وهو بعثي كان لاجئاً في حلب عام 1966. وحوالي الشهر الخامس من عام 1972 نقل إلى بغداد ثانيةً لأن مسؤول الحزب الديموقراطي الكردستاني علي السنجاري شك في علاقته بالبعثي (درويش اليزيدي). وفي بغداد تطورت علاقته بباسل الاعرجي وباسم الحديثي (ضابط في الامن العام ايضاً). فقدماه إلى مدير الامن العام ثم عرضا عليه فكرة اغتيال البارزاني .... فوافق .... وقد وصف مداخل مديرية الامن العامة حتى بلوغ ناظم كزار وصفاً دقيقاً. وذكر بأن الفكرة كانت اولاً بإعطاء سم للبارزاني، ثم عدل عنها إلى تفجير الديناميت. وبين ان موظفي الامن العام طلبوا منه دليلاً مقنعاً على أستطاعته مجالسة البارزاني. فذهب إلى كردستان واخذت له صورة فوتوغرافية مع البارزاني. ثم عاد وقدمها إلى موظفي الامن. فهوأ له حقيبتين من النوع الدبلوماسي في احداها كمية من مادة الديناميت وجهازان للتفجير الموقوت لزيادة التأكد. وأما الثانية فلإحتفاظ بها بعيداً.

ثم ذهبوا به إلى وزارة الداخلية وقدموه إلى الوزير سعدون غيدان. وقد وصف وزارة الداخلية والمصعد حتى غرفة الوزير. وعند مناقشته حول موقع غرفة الوزير حدد الغرفة المقابلة لغرفة الوزير التي اعرفها. وذكر ان الوزير شرح له كيفية إستعمال جهازي توقيت التفجير، وقال له انه سيحرر له صكاً على بنك الرافدين بمبلغ 50000 دينار ..... وعند مقابلته لباسل الاعرجي اراه صكين محررين لأمره على بنك الرافدين بمبلغ 50000 ديناراً.

لقد داخني الشك حول مقابلة وزير الداخلية. فإذا كانت مقابلة مدير الامن العام ضرورية ليقدر هذا بحكم مهنته صلاح الشخص للمهمة التي تلقى على عاتقه، فما شأن وزير الداخلية بهذا الامر؟ وما شأن وزير الداخلية بالتعريف على كيفية إستعمال جهاز توقيت التفجير وهذه وظيفة فنية صرف؟

ثم وصف السفر بتفصيل وملاحظات دقيقة. ووصف من رافقوه من ضباط الامن والهوية التي هيئت له .... وقد سافروا متخذين طريق الموصل فأربيل وصلاح الدين ... فألى راوندوز ومنها سافر إلى ناوبردان. ووصف السيارات التي تنقلوا فيها وارقامها. وقد كان الشخص الذي تسلمه واوصله حدود (منطقة الثورة) حسيما افاد (ضابط امن راوندوز).

وعند السؤال من دائرة امن راوندوز انكرت صلة الضابط المذكور بالسفيرة المزعومة. غير اني واصلت التحقيق عن كل ما امكن التحقق من حدوثه. فطلبت من دائرة امن راوندوز دفتر شراء

البنزين. وقد كانت القاعدة المتبعة في شراء البنزين للسيارات الحكومية لقاء وصل تبقى منه نسخة في دفتر السيارة. وبمساعدة الشيخ رضا مدير شرطة اربيل فتشت دفاتر مراكز بيع البنزين لليوم الذي تم فيه السفر وقارنت ذلك مع دفتر السيارة لشراء البنزين. ثم قارنت ذلك بما ذكر في دفتر يوميات الدائرة عن تنقل الضابط فوجدت فيها مفارقات ونواقص تؤيد رجحان صحة ما بينه كيباري.

وقد عرضت الحقيبة على الضابط الخبير بالديناميت لدى القيادة الكردية فبين انها تحتوي على 2 كيلو غرام من المادة السمك. وهي كمية ذات تفجير كبيرة وفيها جهازان لتوقيت التفجير. وان المركب من صنع جهة ذات تقنية عالية، اعلى من القدرة الفردية.

### النتائج التي توصلت إليها:

اولاً – ثبت بالدليل المادي وترابط الحوادث حول ما ذكره محمد كيباري بشأن النقاط الاخيرة لسفره، وبخاصة علاقة امن راوندوز بإيصاله إلى منطقة (سيطرت الثورة). وقد تكونت لي من ذلك قناعة تامة بصحة دور موظفي الامن العام بشأن التحضير حتى السفر. ولم اقتنع بما ذكره عن وزير الداخلية ولم اتوصل إلى غرض إشراك وزير الداخلية في الموضوع.

ثانياً – بقي دور إبراهيم محمد كيباري بالنسبة إلى طرفي القضية: الامن العام العراقي وقيادة الحزب الديموقراطي الكردستاني اقل من دوره الحقيقي. لقد بدأ وكأن للقضية طرفين فحسب، هما جهاز الامن المبادر بالمؤامرة من جانب والقيادة الكردية المشجعة من جانب آخر.

وقد بدا وكأن أبراهيم محمد كيباري محض اداة بأيدي الطرفين. ولم يقع في روع اي منهما انه كان عنصراً هاماً في العملية، ولعله كان في بعض الاحيان المبادر إلى اولياتها. فما هي هويته الحقيقية؟ بمن كانت صلاته في سوريا؟ ولصالح من سافر إلى منطقة الثورة؟ (إنه لم يكن شخصاً بسيطاً ولا متوسط الذكاء. وكيف حدث انه تعرف في حلب على لاجئ سياسي وهو (درويش اليزيدي)؟ بينما كان يافعاً ومن سكان الحسكة. وما هي الحملة التي قام بها لجمع التبرعات للثورة الكردية وهو في تلك السن المبكرة. ثم إنكشفت هوية كيباري فيما بعد، إذ اقلت السلطات السورية القبض عليه بتهمة التجسس لدولة اجنبية.

ثالثاً – لست استطيع ان اصف الجانب الكردي بحكمة التصرف في هذا الموضوع. فلست اذكر في حدود تجربتي موقفاً صادقا من مواقف على السنجاري وإن لم يكن لي دليل على دور خاص له غير ما ذكره كيباري محور المؤامرة. ولكن ما الحكمة في عقد مؤتمر صحفي من قبل حبيب محمد كريم حول موضوع المؤامرة؟ فإذا كان المحيطون بالبارزاني قد اقنعوه بتشجيع كيباري على مواصلة عمله حتى إتمام مقدمات المؤامرة، فقد كان حرياً بقيادة البارزاني آنئذ الإتصال المباشر بقيادة الحكومة لإيقافها عند مسؤولية موظفيها ومسؤولية الحكومة ذاتها إن هي قصرت في معاقبتهم.

اما المؤتمر الصحفي وما إليه فإن نتيجته محض زيادة في تعكير العلائق وإبعاد الثقة. إنه حري ان يكون إعلان قطيعة ليس اقل. فلماذا إذن استمرار الحوار بين قيادة البارزاني والجانب الحكومي؟

**لاحقة:**

لقد طالما إستغربت عندما اذكر صبر دوائر الامن ومن قد يكون فوقها ممن شجعوا المضي في هذه العملية، على ما فعلت من تحقيق لم تكن لي به سلطة رسمية مثل تفنيش سجلات محطات بيع البانزين وسجل نشاط موظفي امن راوندوز ... الخ. على انني كانت لي في الحقيقة في نظر الدوائر الرسمية العديدة سلطات لا املكها في الواقع. وهكذا اصبحت كمن له شخصيتان، شخصية ذي السلطة الواسعة بكل ما يخص العلاقات مع القومية الكردية وشخصيتي الحقيقية وهي مجردة من كل سلطة. اما سلطتي الوحيدة فكانت قبول واقع تصرفي من كل اوساط في في الجانبين. ومحاولاتي المستمرة ان لا اقوم بعمل يكتشف إكتشافاً فيكون موضع متاجرة من يريد المتاجرة. وإصراري المتواصل على العمل لإزالة السليبات وقد وجدت مراراً تشجيعاً من الرئيس حسن البكر (كما تم الحديث عنه قبلاً) وتشجيعاً مطلقاً من مصطفى البارزاني — عدى حالات ورد الحديث عنها في محلها. اما ما سمي بلجنة السلام فقد كنت فيها مشاركاً واقعياً فحسب إذ انها اعتبرت لجنة تابعة للحكومة ولم يصدر اي امر بعضويتي فيها على ما سبق بيانه.

**تدبير الإعتداء على حياة إدريس**

لقد سبق هذا الحادث احداث اخرى كان في الإمكان إعتبارها من بقايا الماضي او ذات اهمية ثانوية نسبياً، مثل إعتداء قوة مسلحة من (الفرسان) على مقر الحزب الديموقراطي الكردستاني في الموصل دون ملاحقة جادة من قبل الاجهزة الحكومية المسؤولة في المدينة حتى ذات الطابع الاهم. ومثل الاصطدامات العديدة في منطقة سبيك وكله كين.

ولكن هذا الحادث كان ذا اهمية ودلالة كبيرتين ليس في زعزعة الثقة بين قيادة البارزاني والسلطة المركزية فحسب، بل وفي دلالاته على خلل في مراكز القوى داخل هذه السلطة، وكذلك من خارجها. لقد حاول البارزاني تعزيز الصلة بينه شخصياً وبين رئيس الجمهورية والشخصيات القيادية الاخرى. وكان في الوقت ذاته حذراً من الوقوع في فخ ما.

وفي التاريخ الكردي امثلة على وقوع القادة في الافخاخ. اقرب تلك الحوادث الى الذاكرة ما جرى لعبد السلام البارزاني الاخ الاكبر لمصطفى البارزاني، من قبل عملاء ليمتلي السلطة العثمانية أدى الى اعدامه وبعض رفاقه كما هو معروف. ولذا كان البارزاني ينيب عنه ابنه ادريس لرئاسة الوفود الى بغداد.

وفي احدى تلك المناسبات جاء ادريس الى بغداد على رأس وفد لمقابلة الرئيس البكر. وكان مقرراً ان يعود الى كردستان في صباح 7 — 12 — 1970. الا انه تلقى أمر من البارزاني بضرورة تقديم موعد العودة. فكان سفره صباح 6 — 12 — 1970 . وفي ليلة 6 على 7 بينما كانت السيارة المخصصة له ولمرافقيه تسير في شارع الاوبرا (الكرادة الشرقية) وجهت اليها صليات رصاص من كمين. فجرح بعض ركاب السيارة، وكان جرح احدهم (محمد برواري) خطيراً. وقد وجدت قرب

موقع الحادث الغدارات التي تم بها إطلاق النار. إذ يبدو ان المعتدين قد القوها للتخلص من دليل على الجريمة بعد ان اعتقدوا ان جريمتهم قد نفذت. ولكن قوات الشرطة والامن المسؤولة عن منع الجرائم وعن التحقيق عنها إذا ما وقعت، لم تبد الإهتمام الضروري بحماية الضيف ومراقبته. كما لم تبد الإهتمام بالكشف عن الجريمة. بل ان سلوكها كان على النقيض من ذلك. فلم تقم بالعناية الضرورية بحفظ الغدارات وحفظ بصمات اصابع من إستعملوها. وقد نشر خبر الحادث مشوهاً. فوصف اول الامر بأنه وقع في منطقة اخرى غير التي وقع فيها الحادث للإيهام بأن السيارة كانت تمر في منطقة لإرتياد دور اللهوغير المشروع. وكانت هذه إهانة مضافة تناقض ما عرف عن تقاليد البارزانيين الاخلاقية.

ولما لم تبد الحكومة الإهتمام بالكشف عن الجريمة فإن الجانب الكردي اجرى تحقيقاً مستقلاً. وبناءً على طلبه من وزارة الدفاع ظهر ان الغدارات الملقاة حسب الارقام المحفورة عليها كانت من جملة الاسلحة التي سلمت إلى لطيف ابن احمد الزبياري العدو التقليدي للبارزانيين منذ إنتفاضتي 1943 – 1945. انظر الملاحظة اللاحقة في ختام هذا الموضوع.

وقد طال التراخي والتسوية في التحقيق والمحاكمة حتى 20 – 4 – 1972 اي اكثر من ستة عشر شهراً بعد وقوع الحادث. وبعد وقائع مأساوية اخرى زادت في زعزعة الثقة بين الجانبين إلى مدى بعيد. ولا سيما بعد اكثر من نصف عام على المحاولة الاولى لإغتيال مصطفى البارزاني. ولم يخبر الجانب الكردي بنتيجة المحاكمة رسمياً اي بعد اكثر من عام ونصف من الحادث اي في 17 – 6 – 1072، وكان ذلك بعد نقاش طويل حول الموضوع في لجنة السلام ذاتها.

لقد كان قرار محكمة الثورة التي نظرت في الموضوع موجزاً لم يتعمق في تحضير المؤامرة وعلاقة جميع القائمين بها .... ورغم إقرار القرار بأن الجريمة مخطط لها من قبل، كان الحكم على مخططي الجريمة وهما عبد القهار فارس الزبياري ولطيف احمد الزبياري بالسجن سبع سنوات فقط. اما المنفذ عاصف احمد الزبياري فقد حكم عليه بالسجن المؤبد. انظر فيما يلي نصوص التبليغ والإدانة والحكم.

الجمهورية العراقية  
مجلس  
قيادة الثورة  
لجنة السلام

العدد : ل . س . ١٢٢١/٠  
التاريخ : ١٩٧٢ / ٦ / ١٧

سري للغاية

الى : -

السيد محمد محمود عبد الرحمن / السيد عزيز شريف

الموضوع : حسم قضية

بناءً على ما طرحتموه في اجتماع هذه اللجنة ...  
نرفق طياً قرار الحكم الصادر من محكمة الثورة بتاريخ ١٩٧٢/٤/٢٠ في  
قضية الاعتداء على سيارة اديس البارزاني ببغداد للاطلاع .

نسخة منه الى : -  
السادة اعضاء لجنة السلام  
سكرتير لجنة السلام  
عثمان محمد فائق

قرار الادانة بعد المقدمة ...

- ١- ادانة المتهم عاصف احمد الزبياري وفق المادة ٣٠/١٢٤ من ق . ع . وتحديد عقوبته بمقتضاها .
- ٢- ادانة المتهمين الهاربين محمد ديوانه وفرطوس موسى وفق المادة ٣٠/١٩٤ من ق . ع . وتحديد عقوبتهما غيابياً بمقتضاها .
- ٣- ولعدم ثبوت اشتراك المتهمين لطيف احمد الزبياري وعبد القهار فارس بارتكاب الجريمة بل ان دورهما كان هو الاعداد والتخطيط لها لذا قررت المحكمة ادانتتهما وفق الفقرة : من المادة ٥٦ من ق . ع . وتحديد عقوبتهما بمقتضاها .

قرار صدر باتفاق الراء وافهم علنا في ١٩٧٢/٤/٢٠ .

|                |                   |                           |
|----------------|-------------------|---------------------------|
| المقدم الحقوقي | العقيد            | الهاكم                    |
| راغب فنجرى     | يونس معروف الدوري | عبد الكريم ابراهيم النجار |
| عضو            | عضو               | رئيس محكمة الثورة         |
|                |                   | طبق الاصل                 |
|                |                   | مجلس قيادة الثورة         |
|                |                   | لجنة السلام               |

رئاسة محكمة الثورة

بغداد

عدد الدعوى : ١٧٥٨/ج/١٩٧١

التاريخ : ١٩٧٢ / ٤ / ٢٠

تشكلت محكمة الثورة بتاريخ ١٩٧٢/٤/٢٠ برئاسة الهاكم السيد عبد الكريم ابراهيم النجار وعضوية العقيد يونس معروف الدوري والمقدم الحقوقي راغب فنجرى واصدرت باسم الشعب القرار الاتي : -

- ١ - الحكم على عاصف الزبياري بالسجن المؤبد على ان تمسب له موقوفيته وفق المادة ٣٠/١٩٤ من ق . ع .
  - ٢ - الحكم على الهاربين محمد ديوانه وفرطوس موسى غيابياً بالسجن المؤبد وفق المادة ٣٠/١٩٤ من ق . ع .
  - ٣ - الحكم على كل من عبد القهار فارس الزبياري ولطيف احمد الزبياري بالسجن لمدة سبع سنوات على ان تمسب لهم موقوفيتهم وذلك وفق الفقرة ١ من المادة ٥٦ من ق . ع .
  - ٤ - مصادرة الاسلحة والاعتمدة والظروف الفارغة وارسالها الى مديرية العينة وفق الامول .
  - ٥ - اعتبار جريمتهم جنائية عادية غير مخرطة بالشرف حسب احكام قانون رد الاعتبار المرقم ٣ لسنة ١٩٦٧ المعدل .
- قرار صدر باتفاق الراء وافهم علنا في ١٩٧٢/٤/٢٠ .

|                |                   |                           |
|----------------|-------------------|---------------------------|
| المقدم الحقوقي | العقيد            | الهاكم                    |
| راغب فنجرى     | يونس معروف الدوري | عبد الكريم ابراهيم النجار |
| عضو            | عضو               | رئيس محكمة الثورة         |
|                |                   | طبق الاصل                 |
|                |                   | مجلس قيادة الثورة         |
|                |                   | لجنة السلام               |

لقد قال لي البارزاني ذات مرة ان جهاز مخابراته قد اطلع على موعد الإعتداء على الذي سيقع على ابنه إدريس فابلغه بذلك، ولذا امره بالعودة قبل اليوم المحدد. ومن هنا تبدأ سلسلة المعرفة الاوسع. ذلك ان جهاز البارزاني كان متصلاً بجهاز السافاك الإيراني. ومعروف ان للاغوات وفيهم من دبروا المؤامرة ونفذوها صلات عمالة بمختلف الجواسيس وكثيرا ما يعملون لصالح كل من الحكومتين العراقية والايروانية في آن واحد. فمن الممكن الافتراض ان عملاء ايران او عملاء فوق عملاء ايران، كانوا بين مخططي الجريمة، وعن طريقهم تمّ ايصال الخبر الى جهاز البارزاني. وهذا لايكشف الحقيقة كاملة.

فإضافة الى ما رأينا من محاولات طمس معالم الجريمة والتشويه والتسويق في التحقيق ثم التراخي الاطول في النظر في القضية لدى (محكمة الثورة). كان السجن لمن تمّ القبض عليهم من المجرمين، اقرب الى التحفظ الاحتياطي لضمان امنهم وراحتهم. وقد عرف انهم كانوا يعاملون معاملة استثنائية. ومنها تجهيزهم بوسائل الراحة واجهزة التلفزيون والراديو وحرية استقبال الضيوف وتقديم المرطبات. وقد شوهد ذوهم في المطار لتوديع حماد شهاب في احدى اسفاره. ومن يدري كم كرموا من شخصيات. فكم ابقى هذا الحادث مع مضاعفاته اللاحقة على بناء الثقة بين الحكومة والقيادة الكردية. وأخيرا عندما حانت الفرصة باتساع الهوة بين الحكومة والقيادة الكردية اطلق سراح اولئك الذين كانوا (ضيوفاً محترمين ) فيما كان يسمى (سجناً).

واضح ان هذه المشاهد (الشوهد) تؤكد ان من لهم فائدة اعظم بهذا الحادث كانوا اهم من الجناة المباشرين. وان لهم اذرعاً امتدت الى مراكز للقوى اعلى من اجهزة الامن والتحقيق ومحكمة الثورة وادارة السجن. والكل يعرف كيف تتحرك تلك الاجهزة باشارة من فوق.

**لاحقة:** في لقاء لي مع محمد محمود (سامي) في موسكو عام 1982 ذكر لي ان الذي أعلم الجانب الكردي بارقام الغدرات كان ضابطاً في وزارة الدفاع، وقد قدمها الى يوسف ميران. وسياتي الحديث عن يوسف ميران في احداث خانقين عام 1971. فلماذا تبرع هذا الضابط ومن من رؤسائه سمح باطلاعه على ارقام الغدرات المعطاة الى العملاء.



## المراسلات التي جرت بين البارزاني والرئيس البكر خلال الفترة آذار - تموز 1971

السيد رئيس مجلس قيادة الثورة - الاخ المهيب احمد حسن البكر المحترم  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . لا يخفى على سيادتكم الجهود والطاقت التي بذلت من اجل التوصل الى اتفاق الحادي عشر من آذار التاريخي الذي وضع قواعد واسس التلاحم والعلاقات الوطيدة بين شعبنا العراقي بعربه واكراده واقلياته المتأخية وبين حزبنا المتحالفين على اساس البيان المذكور .

وقد عشنا واياكم تلك اللحظات التاريخية التي كان لها الاثر الكبير على مستقبل وطننا العراقي المشترك . وتقديرا منا لعمق المسؤولية الملقاة على عاتقنا جميعا في المحافظة على حقوق ومصالح وحريات شعبنا العراقي باسره ولحرصنا الشديد على بقاء واستمرار التعاون الاخوي الوثيق بيننا ارى من الواجب بيان وجهة نظرنا في المسيرة التي قطعناها في العام المنصرم وتثمين الجوانب الايجابية فيها والاشارة الى الجوانب السلبية التي شابت العلاقات خلالها ايضا . اننا ولا شك نقدر كل التقدير الاجزاء الهامة التي نفذت من البيان وهي كثيرة ( والحق يقال ) غير ان بعض القضايا الاساسية الاخرى لازالت تنتظر المعالجة والحل ، وقد اضطررنا الى تقديم هذه المذكرة الى سيادتكم بعد ان تعذر علينا ايجاد الطول لها خلال المداولات التي جرت بين ممثلينا في لجنة السلام وفي اللقاءات الحزبية واثناء الزيارات التي قام بها الاخوان المسؤولون والمداولات التي جرت بيني وبينهم في منطقة كلاله . واننا نرجو ان تتكلم مساعيها المشتركة بالنجاح من اجل تذليل الصعوبات التي تكتنف علاقتنا في النقاط التالية .

١ - الاحصاء : - لقد تم الاتفاق كما هو معلوم على اجراء التعداد السكاني العام لكي يتضح واقع الشعب وانتمائه القومية من خلال ذلك ، وقد التزمنا بالاقترح الذي ورد من سيادتكم في حينه والذي يقضي بتأجيل الاحصاء الى فصل الربيع من هذا العام وعلى ان يقترن التأجيل باقامة ادارات مشتركة في المناطق المختلف على كون غالبيتها كردية او غير كردية مثل كركوك و خانقين وسنجار والشيوخان وغيرها من المناطق لتعكس هذه الادارات الواقع السكاني فيها ، الا ان ذلك لم ينفذ واستمر السير على ادارتها من جانب واحد والعمل بالتدرج على ابعاد المواطنين الاكراد عن الاسهام في ادارتها بشكل يوحى للمراقب المنصف ان هناك خطة مرسومة لذلك ، وكذلك بذلت محاولات لاسكان بعض العوائل او العشائر العربية في هذه المناطق الامر الذي يفسر لدى البعض بانها

تهدف الى تقليل نسبة الاكراد في تلك الاماكن. ان هذا الواقع الذي لايدعمو للارتياح قد تسبب في خلق اجواء غير مرضية في تلك المناطق والاحداث المؤسفة التي تكرر وقوعها في سنجار خير شاهد على ذلك . وقد جرى بالاضافة الى ذلك استحداث بعض الوحدات الادارية الجديدة خلال وبعد صدور البيان كما حدث في كلار والقوش بقصد اضعاف طابع غير كردي على هذه المناطق خلافا للواقع وللحقائق التاريخية في كيان العراق. وتكاد معظم المشاكل التي تحدث بين حين وآخر تعود في اساسها الى هذه السياسة . ان مقتضيات توطيد اواصر الاخوة العربية الكردية والعمل على تجاوز الحساسيات والسلبيات في الوقت الحاضر والتي عقدنا العزم حكومة وشعبا على تبديدها تستوجب تحديد موعد للاحصاء على ان يسبقه وبصورة عاجلة اقامة الادارة المشتركة في المناطق المنوه عنها والغاء الادارات التي تم استحداثها في المنطقة الكردية خلال وبعد صدور بيان آذار .

## ٢ - الاشتراك في مسؤولية الحكم :

سيادة الرئيس : - لقد تضمن بيان آذار نصا جاء فيه ( ان مشاركة اخواننا الاكراد في الحكم وعدم التمييز بين الكرد وغيرهم في تقلد الوظائف العامة بما فيها المراكز الحساسة والهامة في الدولة كالوزارات وقيادات الجيش وغيرها . . كانت وما زالت من الامور الهامة التي تهدف حكومة الثورة الى تحقيقها فهي في الوقت الذي تقر فيه هذا المبدأ تؤكد ضرورة العمل من اجل تحقيقه بنسبة عادلة مع مراعاة مبدأ الكفاءة ونسبة السكان وما اصاب اخواننا الكرد من حرمان في الماضي ) . وكلنا يعلم ان الحكم يعني السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية ولتحقيق هذا البند لابد من تمثيل شعبنا الكردي بنسبته الحقيقية في اشغال المراكز الحساسة في اجهزة تلك السلطات ، وقد ابدت اثناء المداولات والاعداد لبيان آذار بعض المعاذير المتعلقة بمجلسكم الموقر ، وقد وافقنا على تلك المعاذير في حينه بناء على الوعود التي ابدت لنا آنذاك حول مشاركتنا في تخطيط وتوجيه السياسة العامة للدولة على النطاق الداخلي والخارجي وفي سن القوانين عن طريق اللقاءات الحزبية التي عجزت عن توفير هذه الامكانيات الينا . اننا ندرك طبيعة النظام الرئاسي ودور الوزراء فيه . ان لنا خمسة وزراء في الحكومة وهم مجرد مستشارين لسيادتكم لذلك فاننا نشعر بعدم مشاركتنا في الحكم بصورة فعلية وليس لنا رأي في التشريعات التي تسن قي البلاد التي نكون جزءاً اساسيا ورئيسيا منها . وعليه فاننا نبدي ان ذلك يتنافى وطبيعة التكوين القومي لشعبنا العراقي ومقتضيات الوحدة الوطنية تستلزم اشتراكنا في مسؤولية الحكم

بصورة واقعية ويجاد صيغة ملائمة لذلك كما ونرى من الافضل اعطاء الصلاحيات القانونية المناسبة الى محافظي المناطق التي توجد فيها ادارات كردية حيث نلاحظ الان تقليصا في بعض صلاحيات اخواننا من هذه الناحية .

٣ - لجنة السلام : - لقد تمّ الاتفاق على ان تتولى لجنة مهمة الاشراف على تنفيذ البيان وقد جاء ذلك في البند الرابع عشر الذي نصّ على مايلي : ( اتخاذ الاجراءات اللازمة بعد اعلان البيان بالتشاور مع اللجنة العليا المشرفة على تنفيذه لتوميد المحافظات والوحدات الادارية التي تقطنها كثرة كردية وفقا للاحصاءات التي سوف تجري وسوف تسعى الدولة لتطوير هذه الوحدة الادارية وتحقيق ممارسة الشعب لحقوقه ضمانا لتمتعه بالحكم الذاتي . والى ان تحقيق هذه الوحدة الادارية يجري تنسيق الشؤون القومية الكردية عن طريق اجتماعات دورية : بين اللجنة العليا ومحافظي المنطقة الشمالية ) .

وقد كان المفروض ان تكون هذه اللجنة <sup>الاراء</sup> التي تنفذ البيان وقد خولت ~~هذه اللجنة~~ صلاحيات مجلس قيادة الثورة . الا ان الملاحظ ان قرارات اللجنة بصورة عامة تمس بتعقيدات الروتين السائدة في معظم دوائر الدولة في حين كان من الضروري ان قراراتها ملزمة لكل الدوائر والجهات الرسمية وليس هذا فحسب بل ان قراراتها عرضة للتجاهل في المناطق المختلف عليها وخاصة كركوك ونضرب لسيادتكم بعض الوقائع على سبيل المثال لا الحصر .

فقد قررت لجنة السلام تشكيل لجنة مشتركة في كركوك برئاسة السيد المحافظ وعضوية مدراء الشرطة وممثل عن حزبنا للنظر في مشاكل العمال الاكراد المفصولين الذين كانوا يعملون في شركات النفط في كركوك سابقا . الا ان اللجنة لم تجتمع لعدم وجود تفويل لدى ممثلي الجانب الحكومي للمساهمة في عمل اللجنة كما سبق ان قررت لجنة اعادة تعيين عمال الكوكاكولا في كركوك من اهل المنطقة المذكورة وعدم نقلهم منها غير ان قرار اللجنة بدوره لم ينفذ . كما قررت لجنة السلام اعادة كافة اشخاص من القوة الجوية الذين نقلوا من كركوك الى بغداد الى مقر عملهم الاصلي الى كركوك الا ان الجهات المختصة ضربت بقرار اللجنة عرض الحائط . كما قررت لجنة السلام تشكيل لجنة خاصة للنظر في الصدام الذي وقع في منطقة داقوق قبل بضعة اشهر الا ان جهات تولت التدخل في الامر بمعزل عن ممثلينا ووضعت معالجات مخالفة للموضوع تمثل وجهة نظرها فقط . كما ان لجنة السلام قررت فسخ المجال لسكان القرى في منطقة كركوك ، لاقامة مساكن لهم داخل عقار قراهم خارج المناطق المحرمة ، الا ان الجهات المختصة منعت سكان تلك القرى من ممارسة حقهم المشروع في البناء كما ولقد اصدرت لجنة السلام عدة قرارات بتفويل محافظ اربيل انجاز الاجراءات التي تطلبها ضرورات الامن في منطقة سبيلك ولكن لم تنفذ لعدم افساح المجال للمحافظ وتدخل الجيش في الموضوع . وبالإضافة الى ماتقدم فان جهاز لجنة السلام لا يضم احدا من ممثلينا لذلك فان اسلوب العمل الدارج في اللجنة المذكورة يضعف من مساهمة ممثلينا في اعمالها على المستوى المطلوب .

لقد تم مؤخرا تفويل الاخ مرتضى الحديثي عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس لجنة السلام صلاحيات جديدة واننا في الوقت الذي نرحب فيه بهذا الاجراء الايجابي الا اننا نعتقد ان هذه الصلاحيات ممنوحة ابتداء ومن الاساس ذاتها وفقا للبيان وانها جمدت خلال العام المنصرم وقد جاءت الان متاخرة ومقتصرة على شخص الاخ رئيس اللجنة لذا فاننا نجد من

للجنة السلام

الأفضل منح الاختصاصات والصلاحيات المذكورة للجنة السلام ذاتها لكي يتاح لممثليها أيضا فرصة اداء واجباتهم ودورهم على الوجه الاكمل .

٤ - الاعمار : - سيادة الرئيس ، لانجد أنفسنا بحاجة الى الاستشهاد بالبناود الواردة في بيان آذار حول قضايا الاعمار في المنطقة الكردية . الا ان مانستطيع ان نوكد بهذا الفصوص هو ان عمليات الاعمار كانت دون المستوى المطلوب بكثير كما ان مشاريع الخطة الخمسية التي لم تنصف فيها المنطقة الكردية بقيت على حالها دون تغيير وان نسبة ما خصص منها لكردستان لايتناسب مطلقا مع احتياجاتها ولا مع نسبة نفوسها الى سكان البلاد واذا اضفنا الى ذلك بوادر سوء الموسم الزراعي في هذه السنة وزيادة حصة العراق من عائدات النفط فان الحاجة الملحة تدعو الى بذل المزيد من الرعاية والاهتمام بسكان المنطقة عن طريق توسيع حركة الاعمار فيها والعمل أيضا من اجل تدارك مواد الاغاثة الى المتضررين المعوزين كما تقضي بذلك بنود البيان .

سيادة الرئيس - بالاضافة الى المحاولات الكثيرة التي تبذل منذ اعلان البيان من قبل بعض الاجهزة لفلق باب جميع المراكز الحساسة في الجيش بوجه اخواننا نرى من الضروري أيضا الاشارة الى ظهور بادرة مقلقة خلال الايام الاخيرة وهي اقدام الجهات المختصة على نقل ضباط الصف الاكراد الى خارج المنطقة الكردية . اننا بطبيعة الحال لانرغب في التدخل في شؤون القوات المسلحة اذا كانت اجراءاتها اعمتادية الا ان الملاحظ ان عمليات مثل هذه تطبق بحق الاكراد فقط وفي الوقت الذي ترابط فيه وحداتهم العسكرية في المنطقة الكردية ذاتها . اننا ياسيادة الرئيس اذ نستغل العام الثاني من عهد بيان آذار التاريحي لنا الامل والثقة بالمستقبل ويقدرتنا جميعا على التغلب على الصعوبات المشار اليها والتي نوهنا بها في مذكرتنا هذه واننا نعتقد ان بقاءها دون العمل لازالتها سيكون له مردود سلبي لدى الجماهير الكردية ويهيء للامداء تنفيذ اغراضهم الخبيثة لتصديق السلم الوطني الذي نحرص عليه جميعا .  
واننا لتنتطلع الى اجراءاتكم السديدة بهذا الخصوص ...

المخلص

17 / 3 / 1971

مصطفى البارزاني

فأجابه الرئيس البكر بما يلي :

السيد رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني الاخ مصطفى البارزاني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقيت مع الشكر رسالتكم المؤرخة في 17/3/1971 والتي تضمنت كما عبرتم فيها عن وجهة نظركم ( في المرحلة التي قطعناها في العام المنصرم وتثمين الجوانب الايجابية فيها والاشارة الى الجوانب السلبية التي شابت العلاقات خلالها ) .  
ويقدر ما سرنى والاخوة اعضاء مجلس قيادة الثورة اطلما على وجهة نظركم هذه فقد راعنا عدم وضوح كثير من الحقائق الجلية لديكم مما يدعوننا الى الاعتقاد بان اخوانكم المسؤولين في حزبكم لم يحيطونكم علما بها .

لقد اشترتم في رسالتكم الى الجوانب التالية التي اعتبرتموها سلبية وهي :-

- ١ - تأجيل الاحصاء .
- ٢ - التسريجات واستمزاج رأي الحزب الديمقراطي الكردستاني .
- ٣ - صلاحيات المحافظين .
- ٤ - تنفيذ قرارات لجنة السلام .
- ٥ - خطة التنمية الخمسية

واعمار الشمال . ٦ - اجراءات نقل بعض افراد القوات المسلحة .  
 ولكي نصل الى حقائق الامور ومن ثم الى فهم مشترك لها يسامدنا على العمل معا بكل ايجابية لتنفيذ ما تبقى من بيان ١١ اذار نصا وروحا أوضح لكم الامور التالية :-  
 ١ - في موضوع الاحصاء سبق وان استمزعنا رأيكم ورأي كافة الاخوة في لجنة السلام حول رغبتنا في تأجيل الاحصاء لاسباب اوضحناها في حينه واقتنعتم بوجاهتها كما استمزعنا رأي كثير من المسؤولين في حزبنا المتحالفين وفي الحكومة مؤمنين بان الامور التي قد تسبب نكسة أو تؤدي الى تطور اجواء غير ايجابية يجب تأجيلها بغية تذليل الصعاب التي تعترض ذلك وبغية تحقيق تقدم اكثر في المجالات الكثيرة الأخرى ولم يكن من بين مبررات تأجيل الاحصاء ايجاد ادارة مشتركة في كركوك والمناطق الأخرى التي اشترمت اليها كما ورد في رسالتكم ، وكما لا يخفى عليكم ان من الصعب جدا الاخذ سلفا بمبدأ الادارة المشتركة في منطقة ما لعل ظهور نتيجة الاحصاء فيها . هذا علاوة على اننا في دولة واحدة هي العراق وان المناطق المختلف عليها هي من وجهة نظرنا عربية حتى يثبت الاحصاء بان أكثريتها ليست من العرب أو ليست من العرب والتركان كما هو الحال بالنسبة الى كركوك - واذ كان موضوع الاحصاء حيوي لكم لعلاقته ببيان ١١ اذار فانه بالنسبة لنا أكثر حيوية لاسباب كثيرة أخرى تتعلق بخطة التنمية القومية . وان تأجيل الاحصاء لايعني الغاؤه ونحن على استعداد للبحث في لجنة السلام من اجل تحديد موعد له . وفيما يتعلق بالانفتاح الاداري فقد لمسنا ان الشكوك قد ساورتكم حول بعض التشكيلات الادارية ومستندين في ذلك الى اعتراضكم على تشكيل قضائي كلار والقوش والذي ذكرتم انه جرى بعد صدور بيان ١١ اذار في حين ان الحقائق تشير الى عكس ما ذهبتم اليه تماما . وتأكيذا لهذه الحقائق نقول ان ثورة ١٧ تموز قد اتجهت منذ قيامها الى احداث انفتاح اداري على المواطنين للتخفيف من وطأة الروتين وتسهيل المراجعات وكان ذلك ضمن خطة شملت العراق من اقص جنوبه الى شماله وقد جرى استحداث معظم النواحي والاقضية مسيما هو موضع في القوائم المرفقة قبل صدور بيان ١١ اذار ١٩٧٠ وكذلك الحال بالنسبة لاستحداث محافظات المثنى ودهوك ايضا وان الضرورات الادارية وتزايد السكان والحاجة الماسة لتطبيق النظريات الادارية العلمية الحديثة هي التي استوجبت ذلك .  
 مع هذا فان الموضوع قابل للمناقشة والفحص ضمن اطار واقع العراق والنظريات العلمية الادارية الحديثة .

٢ - وفيما يعلق بائتذريع فلا يخفى عليكم اننا درجنا على استمزع رأي حزيكم في التشريعات المهمة التي تصدر فقد جرى ذلك بطريقة أو بأخرى ، كما اخذنا بمبدأ استمزع رأي الجماهير احيانا في القضايا التي تمس حياتها كما جرى في تشريع قانون الاصلاح الزراعي . واذ حصل شذوذ عن ذلك في الماضي فقد حصل من غير قصد كما تعلمون الامر الذي كان يجب عدم ادراجه في قائمة السلبيات والاكتفاء بطرحه كمؤشر للمسيرة المشتركة في عامها الثاني . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان هنا منصرف لانجاز المجلس الوطني الذي يشكل احد اهم اركان السلطة التشريعية في البلاد والذي نأمل ان نجد التعاون اللازم والتجاوب الكافي من اجل اخراجه الى حيز الوجود في اسرع وقت ممكن .

٣ - وعن صلاحيات المحافظين : فان قانون المحافظات قد حدد ووضح تلك الصلاحيات

ولا ندري ما هو المقصود بتلك الاشارة الواردة في رسالتكم حول سمب صلاحيات بعض المحافظين اذ لم يجر أي تحديد ذي اهمية لصلاحيات المحافظين بل لم يجر اطلاقا أي تحديد لصلاحيات المحافظين في الشمال دون بقية المحافظات -

٤ - وفيما يتعلق بتنفيذ قرارات لجنة السلام فليس هناك من هو أكثر اهتماما منا في هذا المجال واذا كان لابد ان نأتي على ذكر القرارات التي تعثرت في سياق استعراضنا لاعمال اللجنة فمن الواجب تبيان اسباب ذلك التعثر وذكر الجهة التي تتحمل اكثر من غيرها مسؤوليته . كما ينبغي تعداد الكثير من القرارات التي اتخذتها اللجنة والتي اصبحت جزءا لا يتجزأ من واقع حياة اخواننا الاكراد - واذا حصل ان تعثرت بعض قرارات لجنة السلام فيجب ان لا يشار الى عدم اعادة عدد محدود من العمال على انه عمل سلبي بقدر ما يجب ان يشار الى الامور التي تحل بالسلام في الشمال من خطف واعتقال واغتتيال للمواطنين وعدم تجمع افراد البيشمركة واستمرارهم في التواجد - واستخدام السلاح بوجه الاجراءات الادارية في نواحي واقضية عديدة في الشمال .

ومع ذلك فقد اوعدنا الى كافة دوائر الدولة لتنفيذ قرارات لجنة السلام ونرجو ان تجد هذه اللجنة كل معونة من جميع الاطراف . ان لجنة السلام قد كلفت بموجب بيان اذار للاشراف على تنفيذ البيان وحرصا منا على ذلك فقد حولنا السيد رئيس اللجنة لصلاحيات مجلس قيادة الثورة لهذا الغرض ، ان قرارات اللجنة اصبحت واجبة التنفيذ من خلال الصلاحيات التي منحت لرئيسها والتي يتعذر دستوريا وقانونيا منحها لغيره تجنباً للملابسات التي قد تنشأ عن الاختلاف داخل اللجنة .

٥ - وفيما يتعلق بخطة التنمية : ذكرتم ان الشمال لم يشمل خلال الخطة الخمسية بسبب ظروف الشمال بما يجب ان يشمل ... واود في هذا المجال ان اشير الى الظروف المالية الصعبة التي كانت تمر بها البلاد ومع ذلك فان نظرة فاحصة لمجالات التنمية التي خصصناها للشمال والتي ادرجها في القائمة المرفقة توضح لكم ان مبلغ ( ٢٦٠ ) مليون دينار للشمال شيء واسع وكبير جدا . هذا علاوة على رصد مبلغ ( ٤ ) ملايين دينار خصصت للانعاش الفوري ومبالغ اخرى ننوي تخصيصها في المنهج الاستثماري للسنة القادمة ويمكن التأكد من ذلك من خلال التثمين والتقييم العالي التي قوبلت بها الخطوات الكبيرة التي خطتها الحكومة في هذا المجال في كافة انحاء العراق من كل المواطنين عربا واكرادا كما اؤكد بانه لم يجري أي رد لمطلب تقدمت به وزارة معينة في هذا المجال خصوصا طلبات وزارة شؤون الشمال ووزارات التنمية الاخرى .

٦ - وفيما يتعلق بنقل بعض افراد القوات المسلحة حسب خطة السوق او نقل الزائدين عن الحاجة فأود ان اوضح لسيادتكم ما يلي : -

أ - ان القوات المسلحة هي قوات مسلحة للعراق وليست لاقليم او محافظة .  
ب - ان خطة السوق قد لاحظت ضرورة وجود التمازج القومي للمواطنين وانه لمن الخطورة البالغة ان تكون هناك فكرة ضيقة متطرفة تؤدي الى وجود وحدات عسكرية عربية واخرى كردية في وطن واحد ونصارحكم اننا لم نجد اي سبب مقبول للاعتراض على نقل بعض الجنود من الاكراد للدفاع عن جنوب العراق في الوقت الذي يتواجد فيه اخوانهم العرب للدفاع عن الوسط والشمال ومع ذلك فقد اجرينا تحقيقا دقيقا حول الموضوع ولم يثبت وجود أي تقصير او قصد يسيء الى الوطن والتحالف وسلامة الوطن . ربما جرى نقل بعض ضباط الصف من العسكريين الاكراد اسوة بما جرى للاخريين من ضباط الصف العسكريين من

العرب بقصد امتصاص الريادة الكبيرة من القوات المسلحة واستخدامهم في مجالات أخرى بدلا من احالتهم على التقاعد لكي نوازن بين ضرورات العمالة والاستخدام وبين الاخطار الناجمة عن البطالة . وعلى الرغم من أن بيان 11 آذار جاء انتصارا ساحقا للقوميتين المتأخيتين العربية والكردية فمارالت هناك جيوب وأشخاص كثيرون ساء هم جدا النتائج الهائلة المباركة التي تمخض عنها بيان 11 آذار وهو ١٩٤٠ هم فصائل الردة والعمالة الرجعية والانتفاع وحرصا منا على تبيان الامور بكل صراحة وبروح نماية في الايجابية بغية خلق مناخ ورؤيا جيدة امامكم اوضح لكم كثيرا من الامور التي تعرقل كثيرا من تطبيق البيان المذكور وتطلق حواجز عالية مارلندا نتخطاها نحن من جانب واحد بينما تقضي سلامة المسيرة بان نتعاون لازالتها وهي : 1 - أن العقلية السائدة لدى بعض من الاخوة الاكراد في بعض المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية والحزبية والاعلامية تتصوران على حزبكم ان يتقدم بمطالب وان على الحكم ان ينفذها ويطبقتها والخطورة في ذلك هي اننا نخشى ان تسود العقلية النقابية لدى هذا البعض وتدفعهم نحو الحصول على مكاسب ضمن اطار يخل بموازين التأخي والترابط ووشائج الوحدة الوطنية مما يؤدي الى ضرر بليغ في تفكير وسلوك ونفسية المواطن العربي في العراق الموحد . ٢ - ان الصمت البليغ من لدن حزبكم عن اجتهادات وممارسات تعتبر خيانية وجارحة للشعور الوطني العربي بصورة عامة والعراقي بصورة خاصة امر يثير الاستغراب وهنا أود ان اشير الى تشكيل جمعية صداقة كردية امريكية أو الاشادة بذلك في وقت تعاني فيه الامتين العربية والاسلامية اشد الممن من السياسة الامريكية الاستعمارية . ٣ - أن الإخلال الخطير بموازين الوطنية وانعدام النظرة الموحدة لسلامة الوطن من قبل البعض في حزبكم تهدد سلامة العراق يابشع انواع الكوارث وهنا اشير الى الموقف النضالي الذي يخوضه عرب العراق وحزبهم القائد حزب البعث العربي الاشتراكي من السلوك الايراني تجاه العراق ومحاولة حكام ايران الذي يفترض ان يجد وسطا هائلا له للعمل داخل الاكثريية الكردية المتواجدة في ايران . يسكت هذا الحزب ووسائل اعلامه عن ذلك وكأن العراق في ظل بيان 11 آذار قد اصبح مقسما الى عرب يدافعون عن العراق واكراد يتحالفون مع اعدائه وتلك ولاشك مأساة يجب ان تنتهي باسرع وقت . ٤ - ان افشال مخططات الاستعمار تجاه العراق لا يمكن ان يتم بنضال العرب فقط بمعزل عن نضال الاكراد . ان مخلب القبط في ذلك حكام ايران والاحلاف التي تلفها فهل صحيح ان الحزب الديموقراطي الكردستاني يخوض نضالا في هذا الاتجاه . .

ان الامور الاربعة اعلاه التي اشرت اليها اكبر بكثير من جميع النقاط السلبية التي ذكرتموها ففضية حرية الشعوب والنضال ضد الاستعمار ، والقيم العالية في الدفاع عن الوطن والذود عن الحرية والدفاع عن الحدود والشرف وكرامة العراقيين لا يمكن ان يعادل بما تشيرون اليه من سلبيات ربما حدثت بسبب اخطاء غير متعمدة . .

ايها الاخ البارزاني : ولكي اضع بعض الامور التي نعاني منها اشد انواع العذاب ولكننا نصبر على امل انها مما يمكن تذليلها مع احساسنا بخطورة الدور الذي تلعبه الجيوب غير الواعية أو المنتفعة أو العميلة في الحركة الكردية والتي يهملها خلق هذه الاجواء السلبية والتي تقع عليكم بالدرجة الاولى مسؤولية تطهيرها . اذكر لكم مايلي بقصدان نعمـــــــــــــــــل متعاونين من اجل تجاوزها بروح عالية بروح نضالية اخوية صادقة نابعة من بيان 11 آذار ١٩٧٠ وهي :-

- ١- استمرار الاعتداءات من قبل افراد حزبكم في المنطقة الشمالية منذ صدور بيان 11 آذار حتى الان .
- ٢- تجزأة حدود العراق مع ايران . قسم مغلق يقف فيه الجنود والمواطنين العرب بشرف وشهامة

- للدفاع عن وطنهم وقسم مفتوح للجواسيس والتجار الايرانيين وهو القسم الكردي من العراق.
- ٣ - منع السلطة مع الاسف الشديد من التواجد في طرق التقرب من ايران الى العراق، بل وحجب حتى اساليب الرقابة الادارية الكمركية ولسنا بذلك في حاجة الى الاسهاب في بيان السبل والمسالك والطرق المفتوحة مع ايران في حلبجة - نوسود وبنجوين مريوان وجوارته - بانه وقلعة درة - سردشت وحاج عمران - مهاباد .
- ٤ - توسيع الصلات مع الرجعية وتشكيل جهاز خاص يرتبط بمسؤول بارز في الحركة الكردية تنطوي تحت تنظيمه هذا عناصر مشبوهة عربية وكردية .
- ٥ - لقد قمنا بتسريح الفرسان فداولتم وعلمتم جهدكم على كسب الفرسان لتخلقوا قوة منهم لاموجب لها .
- ٦ - لقد نزعنا سلاح جماعة الاخ الطالباني فعملتم بشتى السبل على ضمه الى صفوفكم متناسين اوصافكم له ولجماعته ( جموش ٩٦٦ ) ولا نعترض على ذلك .
- ٧ - غلقنا جريدة النور التي كانت تعبر بموضوعية عن المحنة الوطنية في العراق وسمحنا باصدار جريدة التأخي التي لم تعمل ابدا من اجل التأخي العربي الكردي بقدر ما اصبحت بوقا ومنبرا غير حر لقوى اندثرت . ان جريدة التأخي في سلوكها المالي تمثل قمة التنافس بين الحزبين المتحالفين . فهي وان كانت واجهة للتحالف ولكنها لم تستقطب غير الحاقدين على هذا التحالف . فأى تحالف هذا الذي تريده التأخي التي لم تشعر بمسؤولية الكلمة منذ صدورها وحتى الان .
- ٨ - لاحظنا مع مزيد الاسف ان الكردي في نظر حزبكم هو الذي لاتربطه علاقة مع حزب البعث او الحكم فالى اين نسير .
- ٩ - ان الكردي الذي يطرح الامور بموضوعية وتفتتح اذهانه عن افكار اخوية تربط الشعبين بروابط حياتية وعضوية . يعتبر خائنا وعميلا ويكون مصيره الاغتيال او التشريد والعذاب الامر الذي لايقركم عليه عدل او منطق او دين . .
- ١٠ - اتفقنا في بيان ١١ أذار على التسامح وتجاوز الماضي وتناهي الاحقاد وفسح المجال للمواطنين للعودة الى الحياة الحرة الكريمة واذا بسياسة تصفية الخمسوم وتشريدهم هي السياسة المتبعة من قبل بعض اجنحتكم مع الاسف في الشمال .
- ١١ - لم نذكر شيئا عن المدافع والاسلحة الثقيلة المتواجدة لديكم قبل بيان ١١ أذار وبعده مع ان بيان ١١ أذار وروحه تستوجب ولو من جانب اللياقة وضع حد لذلك الا اننا نرى مقابل ذلك امتعاضا من امتصاص الريادة عن الملاك الموجودة في ضباط الصف العسكريين في الوحدات العسكرية التي يفترض ان لايتدخل في شؤونها احد .
- ١٢ - نتحدث عن النتيجة وبناء عراق حديث واذا بالشمال يغرق بانواع لاحصر لها من المصنوعات الايرانية والاسرائيلية ونحن على ذلك صابرون على امل ان لايد لهذا الامر من نهاية .
- ١٣ - نتحدث عن السلام والحب والاخاء وتضميد الجراح وتأخي الشعبين الكردي والعربي واذا بنا مع كل الاسف نعلم تماما بوجود جهاز منظم بقصد الاغتيالات يمتد نشاطه عند الحاجة الى كافة انحاء العراق ويتناول اعضاء في حزبنا الذي خلق بيان ١١ أذار واحب الاكراد والشعب الكردي وأمن بالتأخي والحياة الحرة الكريمة للعراقيين .
- ١٤ - اتفقنا على ان يبقى من الجيش مهركه ( ٦ ) الاف فقط بعد مرور ( ٦ ) شهور على البيان واذا بنا لحد الان ندفع رواتب على حساب الفقراء والتنمية واذا بنا نتلقى وانتم تقارير يومية عن حوادث مثيرة تخل بالامن والاستقرار ، هذا علاوة على ان هؤلاء الاشخاص



لم يجبر تجميعهم في الاماكن التي يفترض ان يتجمعوا فيها للدفاع عن الحدود بكونهم حرس حدود ، ومع ذلك لم نجد من جانبنا الا المطالبة بذلك وبروح ملؤها الصبر والتقدير — لاهمية الصعاب التي نعانيها وتعانونها انتم ايضا ....

هذا ما اردت ان اشرحه لكم لكي اعطيكم انطبعا عن السلبيات الكثيرة المتعددة ، ومع ذلك لم يصدر منا لاتوجيه حزبي ولا حكومي كما تفعلون حول مفهوم الاستقلال الذاتي والامور المتعلقة به . وارجو ان اكون قد اوضحت مقصدي وابلغت ما ارى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . مع الاحترام والتقدير .

المخلص  
احمد حسن البكر

بغداد في ١٩٧١/٣/٠٠

لقد كانت لتوقيت الرسالتين اهمية إستثنائية، إذ جاء في وقت تلاحق الاحداث المؤسفة حتى المجابهات العسكرية. فلم يكن الامر في حدود ازمة الثقة بين الجانبين، بل كان بالغ الضرر بالوطن العراقي كله. وقد كثر الحديث قبلها من الجانب الكردي عن ضرورة لقاء قمة. وكان جواب البعث ان لا فائدة من اللقاء ما لم يسبقه (تمهيد) ....

فكم كان حرياً بالرسالتين ان تكونا وسيلة لمعالجة جادة وعزم مشترك على الخروج من مأزق ازمة الترددي. بل كان الامر يتطلب لقاءً او لقاءات شخصية، كما حدث عنه التفاوض للوصول إلى إتفاق آذار. فإن لم يكن بين القائدين وهو الاخرى فعلى الاقل بين من يقومون مقامهما. ففي ذلك مجال اولي للمصارحة، وللتطمين المتقابل، وللتعمق في الوقوف على الرأي الحقيقي للقيادتين دون توسط العناصر التي قد يهيمها الصيد في الماء العكر. ومع ان رسالة البارزاني قد صيغت بلهجة ودية، وتم التتويه فيها بما نال الشعب الكردي من مكاسب في ظل عهد آذار، إلا ان الرسالتين كانتا مثل سهمين لم يلتقيا على هدف مشترك. ففي كل منهما جرى التأكيد على شعور مصدرها بالمشاكل التي تخصه. ومن مجموعها تتكون صورة لعمق الهوة بين الجانبين وللوضع الذي يعانيه العراق وبخاصة على الحدود مع إيران.

وبعد الرسالتين حدثت أحداثاً مأساوية فعاد البارزاني إلى مخاطبة الرئيس البكر برسالة أخرى في 25 — 7 — 1971. واعاد الحديث عن مكاسب الشعب الكردي في ظل (إتفاق آذار). واعاد الحديث عن عدم إشراك الكرد في اجهزة الدولة العليا، وأكد على إستمرار التدهور وبخاصة الحملات الصحفية والمجابهات المسلحة في سبيلك (كله كين) وإستخدام الجيش في الحرب ضد بارزان. .... وقال "علينا إيجاد مخرج لهذه الازمة ... "

وفيما يلي نص الرسالة:

رسالة البارزاني في ١٩٧١/٧/٢٥

السيد رئيس مجلس قيادة الثورة

الاخ المهيب احمد حسن البكر المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لعل من نافلة القول الاشارة الى ان اتفاق الحادي عشر من آذار التاريخي قد أرسى قواعد واسس التفاهم والعلاقات الوطيدة بين شعبنا العراقي بعربه واكرده واقلياته المتأخية وبين حزبنا المتحالفين البعث والديموقراطي الكردستاني ، وكنا نتطلع ولانزال الى ان نجعل من الاتفاق المذكور القاعدة الصلدة التي ترتكز عليها قوى الشعب الوطنية في الداخل وتوفير مستلزمات الكفاح لشعبنا العراقي لكي يلعب دوره الفعال في قيادة الامة العربية في نضالها ضد اعدائها الكثيرين خاصة في هذه المرحلة الحاسمة من تأريخها المحفوفة بالمخاطر والصعاب .

واننا ولاشك نقدر كل التقدير المكاسب الكبيرة التي حصل عليها شعبنا منذ الحادي عشر من آذار في العام المنصرم ولحد الان نتيجة للخطوات الهامة التي اقدمت عليها حكومتنا الوطنية على طريق تنفيذ الاتفاق . فقد عادت الاحوال الطبيعية الى بلادنا وشرعت الحكومة قانون الاصلاح الزراعي الجديد وقانون تقاعد شهداء الجيش مهركة واتخذت التدابير اللازمة لحل تشكيلات الفرسان وتسريحهم وقامت بتنفيذ العديد من الانجازات في ميادين الاعمار وبناء الطرق والمدارس والمستشفيات والمشاريع الاقتصادية المختلفة وشاركنا بالمسؤولية في عدد من الوزارات والمرافق الحكومية الهامة الاخرى ، كما ساهمنا باشغال العديد من المراكز الادارية الرئيسية في المنطقة الكردية وتهيأت لحزبنا ومنظماتنا الكردستانية الجماهيرية امكانيات العمل العلني لكي تسهم مع المنظمات والهيئات الاخرى على نطاق القطر في بناء حياتنا الجديدة .

وقمنا من جانبنا بالعمل على اعادة سلطة الدولة الى المناطق التي افتقدتها في السابق وتنفيذ التزاماتنا الخاصة بتشكيل افواج حرس الحدود وسلمنا محطة الاذاعة الكردية ووجبة من الاسلحة الثقيلة الى المراجع الرسمية المختصة في اوائل هذا العام . سيادة الرئيس : انما عرضناه اعلاه هو سرد موجز للنقاط المتقابلة التي تتم تنفيذها من اتفاقية آذار . وتقديرا منا لعمق المسؤولية التاريخية الملقة على عاتقنا جميعا في المحافظة على مصالح واهداف شعبنا العراقي الاساسية في بناء سلم وطني وطيد ولحرصنا الشديد على بقاء واستمرار التعاون الاخوي الوثيق بين شعبينا العربي والكرد في ضمن اطار وطننا الواحد وترسيخ أسس التحالف بين حزبنا واستقطاب

القوى المخلصة الاخرى في بلادنا الى جانب هذا التحالف نرى من الواجب علينا الاشارة الى ان بعض القضايا الاساسية الاخرى من الاتفاق بقيت دون حلول جذرية لحد الان وان اهمالها او التغاضي عنها وعدم المطالبة المستمرة بتنفيذها أمر لاينطوي على الاخلاص والحكمة ويهيء لاعداء اتفاقية أذار ووحدة شعبنا العراقي الوطنية فرص التشكيك والكيد والسدس والتصيد في الماء العكر وافتعال الازمات والاحداث المثيرة بغية تعريض الاستقرار والامن في بلادنا الى الخطر .

وتأتي في مقدمة هذه القضايا عدم مشاركتنا الفعلية في الحكم والذي يعني حسب وجهة نظرنا وجوب اسهامنا في السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية وتمثيل شعبنا الكردي بنسبته الحقيقية في اشغال المراكز القيادية في اجهزة تلك السلطات بما في ذلك القوات المسلحة ودوائر الاستخبارات والامن والسلك الخارجي .

لقد سبق وأبدى الاخوان المسؤولون في الحكومة وحزب البعث العربي الاشتراكي اثناء المداولات والاعداد لاتفاقية أذار بعض المعاذير لعدم مشاركتنا في مجلس قيادة الثورة الموقر الذي تتركز فيه جميع سلطات الدولة وقد وافقنا على تلك المعاذير في حينه بناءً على الوعود التي قطعت لنا آنذاك في تعويض ذلك عن طريق مشاركتنا في تخطيط وتوجيه السياسة العامة للدولة على النطاقين الداخلى والخارجي وفي سنّ القوانين وذلك عن طريق اللقاءات الحزبية التي عجزت عن توفير تلك الامكانيات لنا لحد الان . كما اننا نعتقد بان اشتراكنا في المجلس الوطني المرتقب سوف لا يكون بمقدوره توفير ذلك ايضا بالنظر لاسلوب تكوينه وفي الصلاحيات والاختصاصات الممنوحة له .

اننا نرجو بياسادة الرئيس ان نتوصل من خلال تبادل الاراء ووجهات النظر الى ايجاد صيغة ملائمة لاشراكنا في الحكم بصورة فعلية لاننا نشعر بالكثير من الحراجة تجاه شعبنا الكردي وشعبنا العراقي بوجه عام من جراء حوماننا من هذا المطلب العادل .

ويلي هذه النقطة في الاهمية استمرار اجهزة الدولة على ممارسة سياسة التآثير على واقع الوجود القومي الكردي في مناطق مختلفة من كردستان مثل كركوك وسنجار وديالى واللجوة الى استعمال مختلف الوسائل والسبل لتحقيق هذه السياسة الضارة التي ادت الى ردود فعل سلبية لدى المواطنين الاكراد في تلك المناطق وخلق اجواء غير طبيعية فيها وساهمت في زعزعة الثقة والطمأنينة في نفوسهم وهي تثير لدينا ايضا الشكوك والمخاوف المشروعة .

سيادة الرئيس :

هناك نقطة هامة اخرى تتعلق بسياسة الاعمار في المنطقة الكردية . اننا لانشك في

ان اجهزة الدولة المختلفة بذلت جهودا مشكورة في اعادة اصلاح وبناء ماخربته ظـروف  
الاقتتال المؤسفة السابقة واتخذت الاجراءات اللازمة لاقامة الكثير من المشاريع الاقتصادية  
في كردستان . الا ان ظروف المنطقة وعدم انصافها في الماضي وتفشي البطالة في ربوعها  
والاثار السيئة التي تركتها رداة الموسم الزراعي لهذا العام على حياة المواطنين  
تستوجب بذل المزيد من الرعاية والاهتمام . ولا بد من الاشارة بهذه المناسبة الى ضرورة  
قيام الجهات الحكومية المختصة بتقديم مواد الاغاثة الى المتضررين المعوزين كما تقضي  
بذلك بنود الاتفاق والذي تأخر تنفيذه من جراء الاوضاع المالية غير الملائمة التي  
كانت سائدة في بلادنا في السابق ، وهناك بالاضافة الى ذلك الجوانب الثقافية من  
اتفاقية آذار التي لم تنفذ اجزاء هامة منها لحد الان كبرامج الاذاعة والتلفزيون  
باللغة الكردية وتأسيس المديرية العامة للاعلام والثقافة الكردية وانشاء دار للطباعة  
والنشر باللغة الكردية . لقد اقترن عدم تنفيذ هذه الفقرات بممارسة سياسة الاضطهاد  
ضد ابناء شعبنا الكردي من الفيليين والامريان والكويان حيث شملتهم حملات النفسي  
والتشريد والابعاد الى خارج الحدود .

لقد سبق ورفعت الى مقامكم يا سيادة الرئيس مذكرتين بهذا الشأن قبل بضعة اشهر  
غير ان الاوضاع استمرت على التدهور خاصة خلال فترة الشهور الثلاثة المنصرمة التي  
تميزت ببروز السلبيات في علاقاتنا اكثر من أي وقت مضى منذ صدور اتفاق آذار في العام  
الماضي ، وقد لاحظنا ذلك في سلسلة من الحوادث المتتالية بدأت من الحملات الصحفية  
التي شنتها جريدة الجمهورية وفي اصرار الاجهزة الحكومية على مواصلة سياستها السابقة  
في المناطق المختلف على نسبة التركيب القومي فيها ومطاردة الاكراد الذين لهم يحصلوا  
على الجنسية العراقية بعد ، والقاء القبض على بعض انصارنا المخلصين من الاكراد  
بحجة التجسس وغيرها من التهم التي تفتقر الى الادلة والمستمسكات الثبوتية وعدم  
استكمال تنفيذ الاجراءات الخاصة بمساعدة الجيش مبركة المسرحين ومشاكل منتسبي حرس  
الحدود وعدم سحب قطعات الجيش الى ثكناتها الاعتيادية مادامت الاوضاع طبيعية فسي  
البلاد وفي العقبات والعراقيل التي توضع في طريق انجاز المعاملات التقاعدية الخاصة  
بشهداء الجيش مكره سواء في بعض المحافظات او لجنة السلام او مديرية التقاعد العامة ،  
ولعل من المفيد ان نشير في هذا المضمار الى ان عدد المعاملات التقاعدية التي تتم  
انجازها لحد الان وبعد ستة عشر شهرا من صدور البيان بلغ ثماني عشرة معاملة فقط من  
مجموع ما يقرب من خمسة الاف معاملة . لقد اخذت هذه المشاكل مع الاسف وفي بعض المناطق  
طابع الاشتباكات المسلحة كما حدث في سبيك وسنجان وقد بلغ التدهور ذروته فسي

تدخل بعض الاجهزة الحكومية في شؤون بارزان واستخدمت الجيش والمدفعية والطائرات لاحداث التفرقة هناك دون الاستناد الى مبررات معقولة .

سيادة الرئيس :

اننا نرجو ان تسمعوا لنا ان نقول بصراحة ان كل هذه المشاكل ساهمت في هـدم الكثير من جسور الثقة بيننا واضعفتها الى ابعد الحدود ، ونرى لزاما علينا في الوقت نفسه ان نشير الى اننا لاندمي العصمة والبراءة من النواقص والاطفاء واننا على استعداد كامل للاستماع الى ما ينسب الينا بهذا الخصوص والعمل المشترك من اجل تصفية جميع السلبيات التي تشوب العلاقات بيننا .

لقد رفعنا هذه المذكرة الى مقام سيادتكم لتطلعوا على وجهة نظرنا في جميع المشاكل التي نشكو منها ولكي يامر مجلسكم الموقر بتشكيل وفد او لجنة تنوب عنه لبحث هذه النقاط مع ممثلينا في بغداد بمزيد من الوضوح والتفصيل لكي نبذل جميعا قصارى مالينا من جهود للعمل المشترك من اجل استعادة الثقة التي تزعزعت مؤخرا وانقضاء علاقاتنا المتردية من الانهيار والسقوط والذي لايمكن ان يستفيد منه في النهاية سوى اعداء شعبنا ووطننا ، واذا تعذر علينا ايجاد مخرج لهذه الازمة - وهذا ما سوف نتحاشاه بكل تأكيد - فاننا نجد انفسنا مرغمين على الاعتراف بعدم جدوى الاستمرار على مشاركتنا في المسؤولية وبهذه الصورة ، لاننا نرغب في ذلك بل لان الظروف تفرض علينا اتخاذ مثل هذا الموقف .

سيادة الرئيس :

لقد جاء اتفاق المادى عشر من آذار كما هو معلوم ليضع حدا لماسى الماضى وويلاته وقد اقتنع الجميع في حينه وسبقى جميعا على قناعة كاملة وثقة مطلقة بان تنفيذ نوا وروحا هو الطريق السليم الذي يجب علينا ان نسلكه حكومة وشعبا عربا واكرادا مع جميع الاحزاب والقوى الخيرة في البلاد لانه السبيل الوحيد الذي من شأنه ان يحقق لشعبنا الاستقرار والامن والازدهار وتفضلوا في الختام بقبول فائق الاحترام والتقدير .

١٩٧١/٧/٢٥

اخوكم  
مصطفى البارزاني توقيع

ملاحظة: لقد سبقت هذه الرسالة احداث هامة: كانت ذروتها الحرب في بارزان وبيرة كبرة ابتداءً من 3 - 7 - 1971، ثم تطور الخصام والإستقرار في خانقين وتفاقم المجابهات العديدة في منطقة عقرة ... ولكن ما وقع بعد هذه الرسالة من احداث كانت اعظم خطراً، طفى طوفانها فوق الجسور وإقتلع الكثير من اعمدتها. ومع انها كانت في ضمن مجرى التردي العام للعلائق بين السلطة والقيادة القومية الكردية.

## الفصل العاشر: إعتداءات من جانب السلطة وتفاقمها

### الحرب في كله كين

**مقدمة:** يلاحظ ان قرية كله كين المشرفة على احد اهم شرايين المواصلات في كردستان بقيت مصدر اعتداءات متفرقة على حياة المارة من اتباع القيادة الكردية منذ اتفاق آذار، حتى تفاقت في 4 — 10 — 1970، أي قبل تدبير الاعتداء على حياة ادريس. وفي موازات احداث خانقين الى ان بلغت مستوى الحرب في 25 — 12 — 1971. ومع ايقاف الحرب واصل اقطاعيو كله كين حسين خضر السورجي واخوته تخريب السلام في منطقة عقرة وما يجاورها حتى انفجرت الحرب الرسمية بين القيادة القومية الكردية والحكومة في 1970 — 1974. وما زالوا ادوات تخريب، وقد تحولوا الى اثرياء حرب كبار. قد يكون لموقع اهمية خاصة في فترة ما، وللحوادث فيه ومن حوله دلالتها الخاصة ايضا، اضافة الى المجرى العام للحوادث المتزامنة معه. ويتصف موقع كله كين، والحوادث فيه ومن حوله بمثل هذا الخصوص ودلالته.

ان كله كين تقع تحت مظلة قاعدة حامية سبيلك العسكرية. وهي على بعد بضعة مئات من الامتار من هذه القاعدة. ويمكن ضبطها واشاعة الامن حولها اكثر من أي محل آخر لو ارادت قيادة الجيش. ومن هنا بدء المعنى السياسي للحوادث التي تقع من هذه القرية وحولها.

وكما اسلفنا تشرف قرية كله كين على احد اهم شرايين المواصلات بين شمالي المنطقة الكردية من جانب، وجنوبها فسائر العراق من جانب آخر. فمن راوندوز يتفرع الطريق الى شمال شرقي كردستان حتى كلاله ورايات فحاجي عمران عند الحدود العراقية الايرانية الشمالية. ومن اربيل تتفرع الطرق الى الموصل ودهوك، فزاخو او غيرها حتى الحدود العراقية السورية التركية. ومن اربيل كذلك تتفرع الطرق الى السليمانية او كركوك، ومن كل منه تتفرع الطرق شرقا حتى الحدود العراقية الايرانية كذلك او جنوبا عبر كركوك الى بقية العراق.

وقبل آذار 1970 لم يكن لموقع كله كين هذا الشأن بالنسبة الى القيادة الكردية، لان الموالين للحركة الكردية كانوا يتجنبون الطرق العامة. اما بعد آذار 1970 فكان المفروض انفتاح الطرق العامة بين مناطق الحركات الكردية وبقية العراق. وكان المتوقع ان يصحب هذا الانفتاح حرص خاص لتجنب الحوادث المعكرة. ولكن الوقائع كانت شيئا آخر.

لقد تطورت صلات حسين خضر السورجي واخوته (اصحاب كله كين) بالسلطات الحكومية المتعاقبة في بغداد منذ زمن طويل، وتعددت وشائجهم الشخصية ايضا بشخصيات في اجهزة الدولة المركزية، فضلا عن كبار الموظفين العسكريين والاداريين في المنطقة ومن ابنائهم من التحق بالجيش فنال رتبة ضابط.

وقد اصبحت مصادر الاثراء من العلائق الحكومية بوصفهم رؤساء فرسان (جاش) وما يستلمون من رواتب واسلحة أهم من مصالحهم التقليدية من استغلال الفلاحين في الزراعة والرعي. بل تطورت

مصالحهم مع الدولة اكثر من ذلك فاصبحوا اثرياء حرب من مصادر مختلفة. وبعد اتفاق آذار 1970، ظل حسين خضر واخوته على عهدهم السابق. واحتفظوا باسلحتهم التي تسلموها من الحكومة في ظروف الحرب.

لقد اقام اصحاب كله كين ربايا على التلال التي تشرف عند قريتهم مباشرة على الطريق الموصل بين راوندوز واربيل. كانوا يتخذون من هذه الربايا كمائن، ويقومون بتحديات مسلحة ضد المواطنين المواليين للحركة القومية الكردية. وعلى سبيل المثال اذكر ما جاء في رسالة وجهتها الى الرئيس احمد البكر بناء على طلب البارزاني في 4 - 10 - 1970 وكانت جواباً على مطالب كلفني بها الرئيس واستجاب لها البارزاني ومما جاء في الرسالة:

وقال البارزاني اعتقد ان الاخوان في بغداد لايتقون بنا ولو كان الامر قاصرا على السيد رئيس الجمهورية وبعض رفاقه لامكن بناء هذه الثقة بصورة مرضية ولكن ممثلي السلطة المحليين يسرون على سياسة مناقضة، سياسة التعاون مع الاقطاعيين اعداء الوطن والاستقرار واعدائنا ايضاً.

وقد ذكر على سبيل المثال التعاون مع حسين خضر السوجي واخيه عمر ( اصحاب كله كين). فبين من الامثلة انهما مسؤولان عن سلب سيارة بين شقلاون وصلاح الدين، وان الشيخ احمد السورجي قد ارسل المنهوبات دون المجرمين. وبيّن ان هؤلاء يلقون تشجيعاً من بعض المحافظين. كما بيّن البارزاني ان حسين خضر قتل عدداً من جماعتنا وقد تحملناه من اجل السيد الرئيس. ولكن اذا استمر دون رادع فقد يفلت الامر من ايدينا. وبيّن لي البارزاني ايضاً ان الوضع في سنجار يهدد بالانفجار بسبب تعاون ممثلي السلطة الاقطاعيين على التتكيل بالفلاحيين مثل بيت شيخ خلف وامثالهم. وان اثنين من ممثلي الحزب الكردستاني قد قتلوا حديثاً في منطقة اخرى. إنتهى الإقتباس.

على ان الحوادث بقيت تأخذ مجراها من الاحتكاك المسلح بين فترة واخرى حتى تفاقم الامر وبلغ الانفجار الكبير في 26 كانون الاول 1970 اي بعد اقل من عشرين يوم على محاولة الاعتداء على حياة ادريس البارزاني. فقد اختطف رجال العائلة السورجية احد الرجال التابعين لقيادة البارزاني ولم يمكن استرداده وحتى العثور على مصيره. وقد يكون من المثالية الطوبائية مطالبتي البارزاني بضبط النفس وإيقاف الحكومة عند مسؤولية موظفيها بعد تجربة محاولة الإعتداء على حياة ابنه ومهزلة محاكمة المعتدين. على ان البارزاني سلك طريقاً آخر - طريق المجابه العسكرية.

كنت في سفرة إلى قيادة البارزاني بطائرة عمودية في ذلك اليوم دون علم بما هو جار. وقد رافقني حتى سبيك أمر الحامية محمد على السعيد. فواصلت السفر حتى بلغت مقر البارزاني فوجدت ان القوم في قلق وحركة غير معتادة. قال لي ادريس البارزاني "نحن والحكومة متورطان معاً في مجابه حول قرية كله كين. وقد بدأت الحشود صغيرة والخسائر من الجانبين قليلة، الا انها تتعاظم من كل الجانبين. عدت الى حامية سبيك وكان وصولي قبيل الغروب. ويا هول ما رأيت نساء واطفالا من عوائل السورجيين مع اغنامهم يلوذون في العراء قرب الحامية في اشد برد شتاء المنطقة. اما الرجال فقد

كانوا في الربايا يتبادلون النار مع قوات البارزاني. وقد حاولت ان استعين بقوات الحكومة للتدخل بين الجانبين وحملهما على وقف القتال. ولكن أمر الحامية محمد علي السعيد اعتذر عن التدخل بادئ الامر. فذكرني موقفه هذا بالحاكم الروماني اذ غسل يديه ليعلن برأئته من دم المسيح. فنكون لي اعتقاد من ملاحظات عديدة انه ساعد منذ البدء على تطوير الوضع نحو المجابهة. ولكن بعد اشتداد القتال أمر بالتدخل ضد قوات البارزانيين .

بقيت على اتصال مستمر باللاسلكي خلال الليل بمركز البارزاني وانا في مركز حامية سبيلك. وفي صباح يوم 27 سافرت الى مقر البارزاني واستحصلت منه تخويلا بالامر بوقف اطلاق النار من جانب قواتهم دون انتظار موقف الجانب الاخر. وصحبنى ادريس ومسعود للاشراف على تنفيذ الامر. وقد تم وقف القتال بعد الظهر. وتم الاتفاق على الانسحاب المتقابل خلال 24 ساعة.

وفي مساء 26 ذاته ارسل عبدالله بشدري الذي كان يقود قوات البارزاني بقرية الى كل من محافظ اربيل ومحافظ السليمانية وقائد الفرقة الثانية يشكو فيها عدم افساح المجال لسحب قواته بسبب مواصلة الرمي من ربايا السورجية. فاجابه قائد الفرقة الثانية بالبرقية التالي نصها برقم 930 وبالتاريخ ذاته. الى الاخ عبدالله البشدري. تم الاتفاق مع حسين السورجي وجماعته على سحب رباياهم الى قرية كله كين على ان يحتل الجيش التلول القريبة المحيطة بقرية كله كين منعاً لحدوث الإصطدام وإزالة التوتر لحين البت بالموضوع. ارسلنا إلى الاخ البارزاني ببرقية مماثلة. نرجو عدم إتخاذ اي موقف لحين صدور الاوامر من قبل السيد البارزاني وشكراً.

التوقيع

العميد قائد الفرقة الثابية

طلبت الى حسين السورجي مصاحبتي الى بغداد. فوافق ولكنه اخذ يسوف حتى الغروب. وكان قائدا الطائرة العمودية يحذرانني من خطورة التأخر لان المنطقة جبلية وللطائرة مدى محدود للارتفاع فاذا ساد الظلام اصبحنا في خطر الاصطدام باحد الجبال. وكنت افهم تقديرهم واشعر بالخطر، ولكني صممت على انتظاره حتى نتوجه معا.

وطيلة السفر من قاعدة سبيلك كان القلق سائدا بيننا حتى صرنا نرى انوار نفط كركوك. واصلت السفر في السيارة ومعني حسين السورجي. وتعشينا معا في داري. وقد كنت اعامله بعناية ملموسة واقنعتة بان نساقر الى كردستان للمصالحة بينه وبين قيادة الحركة الكردية. فوعدني ان ينظر في الامر.

وقد كان قصدي بتصالح الاغوات المعادين لقيادة البارزاني وقف الحرب القبلية بكونها ضرورية أنيا للسلام. ومن ثم للانتقال الى الاجراءات الضرورية على سبيل الحل الديمقراطي للمسألة الكردية



(سيأتي تفصيل هذه القضايا). في اليوم التالي اخبرني سعدون غيدان بالتلفون "ان حسين الصورجي لن يذهب معك الى الشمال".

لقد كان في جواب قائد الفرقة الثانية تأكيداً تحليلي للوضع: فلقد كان على الجيش ان يحتل الربايا قبل نشوب القتال ويحول دون الإشتباك بين الجانبين. على ان الجيش لم يفعل ذلك حتى بعد هذه البرقية. لماذا؟

عند عودتي إلى بغداد اوضحت إلى الرئيس احمد حسن البكر ما رأيت وقدرت. وقابلت صدام حسين وانتقدت لديه سلوك الأمر محمد على السعيد الذي كان عليه ان يحول دون التصادم. قال صدام حسين: بالعكس "لقد كان عليه ان يتصرف بحزم اشد ضد جماعة البارزاني، فهم مصدر المشاكل". وفي يوم 5 - 1 - 1971 ابلغنا وزير الداخلية بأن تصادماً واسعاً يهياً من قبل جماعة البارزاني في منطقة عقرة. فسافرت إلى المنطقة بعد ان وجهت الرسالة التالية إلى رئيس الجمهورية استعرضت بها الاحداث السابقة وعلاقتها الحوادث التي نواجهها.

المكتب الامامي التابع للجنة السلام. التاريخ: 12 - 1 - 1971، الرقم 33 - 1

السيد الرئيس المحترم

بعد التحية: لقد بدأ المكتب الذي امرتم به في اليم التالي لمطلع هذا العام. وبما انه مجرد من الرسميات ومن قوتها فإن نجاحه يتوقف على ما ينال من دعم من سيادتكم من جانب ومن إخواننا الاكراد من جانب آخر. وساحاول ان اعكس للجميع صورة صادقة عن كل ناحية اولاً فاول.

يتصف الوضع آنياً بالهدوء، ولكنه هدوء وقتي لأن ما امكن بناءه من الثقة قد هز في الفترة الاخيرة. أ - إن إنتكاسة الثقة بدأت بحادث الإعتداء على جماعة البارزاني في سيارة ابنه إدريس ليلة 7/6 - 12 - 1970.

إن البارزاني وذووه يؤكدون كون الحادث موجه إليهم وإلى السلطة معاً، ولكنهم يعتقدون ان في اجهزة الحكومة من يلتزمون جانب اعدائهم الذين قاموا بهذا الحادث. وذكرت في الرسالة المآخذ التي تقدم ذكرها حول التحقيق والمحاكمة والسجن في تلك القضية. ثم جاء في الرسالة:

" ... وقد تردى الوضع اكثر بسبب الإصطدام في منطقة سبيلك.

1 - إنني اعتبر هذا الحادث مرتبطاً بفسل التحقيق في حادث السيارة.

2 - لا أؤيد كونه بدءاً لسياسة قطعية او تحد واسع للسلطة كما ظن بعض الإخوان، او محاولة إكتساح لجماعة حسين سورجي، ودليلي ان الحدث وقع بأعداد محدودة في صباح ومساء 25 - 12 - 1970 وبضحايا متساوية من الجانبين وإلا لكان في إمكان جانب البارزاني ان يبدأ بتحشيد كاسح وهذا ما لم يحدث.

والدليل الثاني هو ان إدريس البارزاني نفسه نبهني يوم 26 - 12 - 1970 إلى أن تجمع جماعتهم اصبح بأعداد كبيرة. ولذا فإني عدلت عن العودة إلى بغداد وبقيت طوال ليلة 27/26 على إتصال مستمر بجميع الاطراف. وفي صباح 27 - 12 عدت إلى مقر البارزاني وأخذت منه امراً بإنسحاب جماعتهم وجاء معي إدريس ومسعود ليشرفا على الإنسحاب.

إن تدخل القوات الحكومية المسلحة اثناء التصادم كان خطأ. وقد حاولت منعه قبل وقوعه ولكن النتيجة كانت خلافاً لرأبي. وإني ارى ضرورة وضع قوى مسلحة كافية في اي محل نجد فيه حاجة قبل إنفجار الوضع. على اني ارى ان هذه التدابير يجب ان تكون وقتية، إذ ان المهم إزالة عوامل التوتر. ليس من الصواب إبقاء البارود والنار وفرق الإطفاء، بل يجب تصفية اسس النزاعات. وحيث ان الثقة قد تزعزعت فينبغي العمل من جديد لإعادتها. ويجب ان لا نقف مستائين من الظواهر السلبية بل ينبغي تصفيتها من خلال عملية البناء الإيجابي.

وتقبلوا تحياتي

#### في المنطقة بين مقر البارزاني وعقرة

كما بينت اعلاه سافرت إلى الشمال بناءً على مذكرة وزير الداخلية التي ذكر فيها "إن تصادماً مهماً يهياً من قبل جماعة البارزاني في منطقة عقرة" بغية معالجة ما امكن من الامر قبل تفاقمه. وقد حررت مذكرة عما وجدت وفعلت فيما يلي موجزها:

بدأت سفرتي بزيارة مقر قيادة البارزاني. فأكد لي من وجدت في المقر إستغرابهم ونفيهم للخبر. ولكن بعد إلحاحي الذي اردت به زيادة التحوط، ارسلت برقية إلى ممثلي الحزب الديموقراطي الكردستاني في عقرة بإستتكار التحشد، وبمنع اي حركة مخلة الامن.

ثم واصلت السفر إلى عقرة يوم 7 - 1 - 1971 فوجدت ان الجميع قد اجمعوا على تكذيب الخبر الذي ابلغنا به وزير الداخلية. وبينوا ان الهدوء سائد الآن، وليس ثمة حشود او إستعدادات للقتال. ولكنهم ذكروا وجود مشاكل ينبغي حلها حذراً من تفاقماتها في المستقبل. وقد ذكر لي كل من ممثلي البعث والاكرد ومعاون الامن - وهو بعثي - والقائم مقام ومدير الشرطة والحاكم وأمر الفوج بأن البرقية التي ارسلت من مقر البارزاني بالتحذير من التحشد والتحرك قد احدثت مفاجأة واثراً سلبياً، إذ لم يكن هناك تحشد ما. وبينوا ان من المحتمل ان يكون مصدر الاخبار هو (صابر سورجي) وهذا قد قاد بنفسه (حسب تقرير الحاكم) حملة مسلحة في عيد الفطر قتل فيها شخص يدعى شيخ مرشد. وقد اكمل التحقيق من الشهود ولكن المتهمين لم يمكن تبليغهم لأن التبليغات تذهب إلى دوائر الشرطة ولا تعود بإعتبار ان صابر غير معلوم السكن. وقد تبين مؤخراً ان صابر يقيم تحت ستار إقامة جبرية في بغداد. وهو يتمتع في ظل هذه (الإقامة الجبرية) بعدم التبليغ والمثول اما دوائر العدل.

**ملاحظة:** لقد كانت هذه بداية الانتقال إلى خلق الإضطراب إلى منطقة عقرة. اما ما حدث بعد ذلك فسيأتي الحديث عنه في مكانه.

عدت إلى مقر البارزاني لمواصلة الجهد معه من اجل تصفية ما امكن من عواقب الاحداث التي تراكمت سراعاً، ليس في المنطقة فحسب بل في مناطق اخرى. ومن اجل التحسب لما سيقع، قدمت إلى الرئيس البكر تقريراً مؤرخاً في 21 – 1 1971، ومما ذكرت فيه:

" ..... وبناءً على الاسلوب الذي إقترحته على البارزاني إتفقنا على ما يلي:

يوافق هو على كل مطلب اقدمه له بعد الدراسة دون إنتظار تنفيذ جانب الحكومة لأي مطلب يقدم من الجانب الكردي. وقد وعدته بأني سأتمتع بنفس الثقة من سيادتكم." وعلى هذا الاساس إتفقنا على ان بناء الثقة لا يمكن ان يتم بالمساومات او التحفظات.

وقد اعدت في التقرير عرض تفصيلات العُقد التي تهز البارزاني وهي الرعاية لمديري إغتيال إدريس في مراحل التحقيق والحكم والسجن ... إلخ. ثم اضفت "لقد تبين لي ان ما يرد إلى قيادة الحكومة من المسؤولين المحللين لا يعطي صورة حقيقية للواقع. ففي هذه الاخبار تكبير لمسؤوليات الاكرد وتصغير او إخفاء لمسؤوليات اولئك المسؤولين."

واعدت للرئيس ذكر حوادث الإعتداءات العديدة، وإنحياز ممثلي الحكومة إلى جانب المعتدين وتحريف الاخبار وحتى إختلافها لصالحهم. "وقلت: بناءً على ما تقدم، اني ارى – مع ضرورة الحذر من الإعتداد بالذات – ان توسيع عملي في المنطقة سيساعد على تحسين الموقف. ومتى رأيت ان عملي قليل الجدوى فسبادر في الحال بطلب إعفائي من هذه المسؤولية. وإنما ارجو شيئاً واحداً (وهو تأكيد لواقع اعتر به) وهو إستمرار ثققتكم ودعمي في كل مطلب اعد به الجانب الكردي. ولن افرط بهذه الثقة." (إنتهى التقرير.)

**عود إلى الوضع في كله كين:**

بعد إشتداد التآزم وبعد مخابرات طويلة مع ممثلي السلطة لإقناع حسين سورجي بتسليم الاسلحة الحكومية التي تسلمها في ظروف القتال، وعلى امل إنهاء خراج منطقة كله كين، سافرت إلى كله كين وهو في صحبتي. ثم حررت ما جرى في التقرير المؤرخ في 7 – 2 – 1971.

المكتب الامامي التابع للجنة السلام

التاريخ 7 – 2 – 1871

**قضية حسين السورجي**

بعد تردد ومخابرات إقتنع اخيراً حسين خضر سورجي بالذهاب إلى قريته لتسليم الاسلحة الحكومية. ولقد سبق ان بين هو وذووه عدم إمكان تسليم هذه الاسلحة إلا بحضوره هو لأنه الوحيد الذي يعلم لمن سلمت واين هي.

لقد وصلنا كركوك في يوم الخميس المصادف 4 - 3 - 1971، ومنها إلى سبيك، وذهبت انا وقائد الفرقة معه إلى داره. وكان اخوه (الضابط المجاز محمد) قد هياً (30) بندقية تم تسليمها حسب القائمة المرفقة طياً.

وبين ان اخاه محمد سوف يقوم بجمع وتسليم الاسلحة الباقية وقدرها (247) بندقية موزعة (حسب قوله) على مختاري القرى التابعة لهم. ولقد احضر مقر اللواء الثالث سيارات لنقل عوائل حسين سورجي وذويه الذين يرى ضرورة لنقلهم. ولكني نصحتهم بأن لا يتعجلوا السفر. وان يكون السفر قاصراً على اشد الناس حاجة إليه، على امل ان احاول عقد الصلح بينهم وبين خصومهم. فوافق حسين سورجي على تأجيل سفرهم إلى يومين كي يستشير اخاه عمر سورجي. وإصطحبته إلى بغداد يوم 6 - 3 - 1971 فوعدني بأن يتصل بي ويخبرني بما يقر عليه رأيه.

إنني ارى ان موضوع حسين سورجي وجماعته قد تأخر عن الحل كثيراً وكلف الدولة والحزب الديموقراطي الكردستاني - وجماعته ايضاً كثيراً من الجرحى والقتلى، وعرقل عملنا وعرضنا لمتاعب كثيرة. وكان إحدى العقد التي اساءت إلى العلاقات بين السلطة وإخواننا الاكراد.

لقد اوضح تلاحق الحوادث وما تكشف فيها من صلات ان في قيادة الحكومة سندا قوياً يرعى حسين سورجي واخوته وذويهم، ويرى فيهم احتياطاً يركن إليه عند إستئناف الحرب مع القيادة الكردية. وقد رأينا انهم عند تجميع الاسلحة التي تسلموها من الحكومة لم يسلموا منها إلا عدداً رمزياً وإحتفظوا بالباقي بذرائع واهية. وقد كان احد إخوة حسين (وهو ضابط في الجيش العراقي) قد نقل إلى الملحقية العسكرية في الاردن في اعقاب إتفاق آذار، ولكنه اعيد إلى العراق واعطي إجازة غير محدودة قضاها في كله كين في فترة تفاقم الاحداث هناك. فأى دليل اعظم من هذا برهاناً على تشجيع اعمال هذه الزمرة؟

ملاحظة: في محل آخر سأوضح وجهة نظري بشأن مسؤولية قيادة البارزاني عن الإنحدار في طريق الثارات القبلية، مع عدم تخفيف المسؤولية الاولى عن مراكز القوى في الحكومة. ولكن الاحداث اللاحقة اكدت ان ما وراء ما كان يجري قوى يتجاوز فعلها كل ما كنت اعمله واقترح العمل به. ففيما يلي عود على (او إستمرار) على ما كان يجري.

عاجلة جداً للغاية

1971 - 4 - 31

من لجنة السلام إلى مقر البارزاني ومجلس قيادة الثورة، مكتب السر وزارة الدفاع وزارة الداخلية ومراجع اخرى رسمية في الإدارة والجيش وإلى عزيز شريف.

لقد حدث رمي بين السورجية من قرية (كله كين) وبين البيشمرکه يوم 31 - 4. وقد اخذ الرمي يزداد بإستمرار. وتحاشياً لتطور الموقف وتفاقم الحالة في المنطقة نرجو تدخلكم الفوري والإيعاز إلى

البشمرکه لإيقاف الرمي بغية التمکن من معالجة الموضوع. تشكل لجنة برئاسة السيد عزيز شريف وعضوية محافظ كركوك واربيل مع أمر لواء المنطقة للتحقيق في الموضوع وإعلامنا نتيجة تحقيقاتها حتى يتسنى اخذ الإجراءات الرادعة بحق كل من يسيئ لبيان آذار.

**ملحق حول العميد محمد على السعيد** الذي كان أمر حامية سبيلك (في فترة إشتداد القتال). كانت الحكومة قد اعلنت احباط مؤامرة دبرتها المخابرات الامريكية والإحتكارات البريطانية وحكومة الشاه محمد رضا بهلوي. وان المأمرين قد تقدموا داخل بغداد من جهة المشتل (قرب بغداد الجديدة). فتم القضاء على المؤامرة في ليلة 22/21 - 1 - 1971 . ولم تعلن اسماء اي من المتأمرين، ولا اي تفصيل عن المؤامرة او عن كيفية إحباطها. إنما بلغني بطريق شخصي ان من المحتمل ان العميد محمد على السعيد كان احد رجال المؤامرة. وعندما رافقني في سفرتي في الطائرة العمودية العميد محمد على السعيد ذاته في 25 - 1 - 1971 كان يحمل نسخة من جريدة الثورة وقد نشر فيها خبر المؤامرة. وقال لي: انه إشتراك فعلاً في تلك المؤامرة ولكنه كان مدسوساً من قبل الحكومة على المتأمرين وانه إستدرجهم إلى (المشتل) قرب حي بغداد الجديدة، فتمت السيطرة عليهم. وبعد مرور وقت على حادث كله كين اشيع ان محمد على السعيد إشتراك في مؤامرة اخرى. والقي القبض عليه ولم يعلم مصيره بعد ذلك.

### مشاكل عقرة في عامي 1971 - 1972

تقديم: ريف عقرة، سهله ورباه، من اهم مناطق كردستان العراق لإنتاج الحبوب. وفيه إمكان لإنتاج الفواكه وغيرها من خيرات فيما لو جرى تطويره. والفلاحون هنا، كما هي حالهم في المناطق الاخرى جياح إلى الارض، جوع القرون. وهم عطاش إلى السلام، وبوجه حاد جداً خلال حروب الاعوام العشرة التي مضت قبل إتفاق آذار 1970. فكان بإتفاق آذار فرصة للحكومة في هذه البقعة اكثر من غيرها، لتوفير الارض للفلاح وتحويله إلى مواطن، لا كما كان قطعة سلاح بيد الإقطاعيين وزعماء الحرب، وتوفير السلام له. ولو تحقق هذا لكان له نتائج مادية ايضاً، اولها تغذية السوق ودوائر الإعاشة بكميات كبيرة من الغلال التي يبيعه الفلاحون.

كما كانت الفرصة مماثلة لقيادة القومية الكردية إذ تقدم للفلاح الكردي الذي كان اداة الثورة طيلة تلك الحروب. والمفروض ان يكون هدفها الرئيس ايضاً، نموذجاً حياً لأول ثمار الثورة وإتفاق آذار. يعزز هذا الإمكان ان هذه المنطقة ليست موضع خلاف في كريدتها. وليست فيها ذرائع للتعريب من منطلق الضرورات الإستراتيجية كالقرب من منشآت النفط او من الحدود الدولية وبخاصة مع إيران.

**ملاحظة:** وفي اول عهد آذار كان يراودني حلم زاه لهذه المنطقة في ضمن احلام مماثلة اخرى. ... إذ كنت اتصور إقامة قرى عصرية او اكثر على نهر الخازن - بالمعنى العصري حسب تخطيط الخبراء،

يجتذب إليها سكان القرى المبعثرة وتتشأ فيها مؤسسات عصرية، المدرسة والمستوصف ومولد الكهرباء والمقاهي ... الخ. كما كنت احلم في إقامة مصايف عصرية حول دوكان ودربندي خان وفي منطقة احمد اوه في موازات الحدود الإيرانية وإنشاء سدود مائية محلية ونظام نقال بالطائرات مدعوم من الدولة ... الخ.

على ان إتفاق آذار اشار إلى هذا التطور قاصراً في حدود التعويض عن التخلف الذي اصاب المنطقة خلال الحرب. فقد جاء في المادة السابعة بفقرتين:

نصت الفقرة الاولى على "تشكيل هيئة من ذوي الإختصاص للنهوض بالمنطقة الكردية من جميع الوجوه بأقصى سرعة ممكنة وتعويضها عما اصابها في السنوات الاخيرة وتخصيص ميزانية كافية لتنفيذ ذلك ...". ونصت المدة الثانية على ... "إعداد الخطة الإقتصادية بشكل يؤمن التطور المتكافئ لانحاء العراق المختلفة مع مراعاة ظروف التخلف في المنطقة الكردية."

ومع ان النص يقتصر عن التطور الضروري لكردستان، إلا انه كان شيئاً غير قليل، لو نفذ منه دون إستئناف الحروب وما إتصل به من سياسة التعريب.

ودون اي احلام او مشاريع تطوير كبرى، كان في ريف عقرة الذي نوهت به اعلاه إمكان عاجل لعمل نموذجي لمواطنة الفلاح وتمتعه بالعيش في سلام حتى قبل اي عمل تطوري. غير ان الواقع سار في طريق آخر:

#### ففي البدء كان تكديس البارود

ا — لقد كان ان إنظم إلى سكان عقرة وجبالها قبائل اخرى. اولها الهيركيون، وهم قبيلة رعاة لم يكونوا يتعاطون الزراعة. وإذ نشبت الحروب وحالت دون ترحالهم عبر المناطق المتحاربة استقروا في منطقة عقرة وتضائلت مواشيمهم فإمتهنوا الزراعة ... ونشبت النزاعات بينهم وبين الفلاحين سكان المنطقة الاصيلين.

وقبل آذار 1970 كان زبير بن شيخ محمود اغا الزبياري رئيس فرسان (جاش)، وقد رأينا انه وصل إلى ديريون (منطقة زاخو) على رأس قوة إستباححت القرية. وعند إتفاق آذار كان على رأس قوة من (الجاش) في مدينة الموصل — كما بين لي شخصياً. وبعد إتفاق آذار إنحاز إلى قيادة الحركة الكردية، واسكن في منطقة من خيرة مناطق عقرة وهي قرية شوش وما حواليتها. وذلك بعد طرد الرئيس الاقطاعي السابق (سليم شوش). ثم اصبح زبير بن شيخ محمود رئيس أمر هيز (فوج) عقرة ببشمرکه القيادة الكردية.

وبذا اصبح في المنطقة حسب تقرير قائم مقام عقرة يحيى الجاف الذي قدمه لي في 29 — 4 — 1971 القبائل التالية: الزبياريون (جماعة زبير بن شيخ محمود اغا الزبياري) والهركية والروفيين ..... من ناحية العشائر السبعة والكيج والرشكري والبوط وشارك وزنكنة. فضلاً عن قبيلة شوش. هذا فضلاً عن الشيوخ السورجيين في ناحية السورجية.

إن وجود الاسلحة الاميرية لدى عدد من رؤساء الفرسان السابقين، وهم مطالبون رسمياً بإعادتها، وكذلك الاسلحة الشخصية لدى القبائل، وبخاصة التي وزعها زبير الزبياري بكميات كبيرة على الموالين له. إن ذلك كله قد عقد الموقف كثيراً — حسب تقرير القائم مقام المتقدم ذكره.

ثم كانت الشرارات فالحرائق ....

لقد رأينا في موضوع الحرب في كله كين: انني إقترحت على حسين السورجي زعيم حرب كله كين وجماعته اصحاب قرية كله كين ان اجري مصالحة بينه وبين قيادة القومية الكردية وكانت تلك خطة رأيت ضرورة إتباعها. ابتداءً لوقف المصادمات العسكرية وإعادة الفلاحين إلى مناطقهم التي اجلوا عنها خلال الحروب ... وقد وافق حسين السورجي ابتداءً على إقتراحي وإصطحبته إلى بغداد. ثم طور الموضوع هو وأخوه عمر وإبن عمه صابر وإشترطوا ان تشمل المصالحة جميع قبيلة السورجية على اساس مطالب سيقدمونها. فرحبت بذلك، ولكنهم عدلوا أيضاً عن فكرة التصالح الجماعي التي إقترحوها هم.

وقد اخبرني عن عدولهم وزير الداخلية سعدون غيدان بالتلفون، إذ قال ضاحكاً "ان حسين سورجي وجماعته لن يذهبوا معك إلى البارزاني." وكان واضحاً لدي ان عدولهم كان بناءً على مشورة مركز قوة في الدولة. واحسب انه اعلى من سعدون غيدان.

ثم كان خلق هذه المشاكل ونقل الإضطدامات إلى منطقة عقرة. فإختلقوا اولاً زعماً بأن البيشمركة تحشدوا في إحدى المناطق بغية الهجوم على السورجية. وقد كذب ذلك البارزاني برسالة خاصة وجهها إليّ في ليلة 13/12 — 10 — 1970. وقد ظهر إفتعال هذا الزعم من تقارير الزعم من تقارير الحاكم ودوائر التحقيق (انظر موضوع الحرب في كله كين).

ولقد ادركت الدوائر الرسمية هذا الخطر فقرر المجلس الزراعي الاعلى منذ 28 — 7 — 1970 تأليف لجنة لدراسة مشاكل الاراضي المتنازع عليها في قضاء عقرة ... فتقررت إعادة قبيلتي الزبيارين والهيركيين إلى مواطن سكناهم الاصلية لتوفير الامكان لفلاحي المنطقة الاصيليين من ممارسة اعمالهم الزراعية. وقررت ان يتم ذلك قبل موسم البذار. واوصت بتجريد جميع الفرسان من الاسلحة الحكومية التي لديهم ... واوصت ان يحسم النزاع بين عثمان البارزاني والزبياريين تمهيداً لإعادتهم إلى وادي نهلة منطقة سكناهم الاصلية. ولكن هذه التوصيات لم تنفذ.

بدء الإشتباكات: حسب برقية متأخرة — بتاريخ 3 — 5 — 1971 صادرة عن رئيس لجنة السلام مرتضى الحديثي وقع الإشتباك الاول بتحرش من قبل السورجيين. ثم اعقبه حملة إنتقام واسعة من قبل (البيشمركة) فنهبوا اغنام السورجيين وابقارهم وخطفوا شخصاً يدعى محمد امين ماملوك واطفاله الاربعة. وقد كان معروفاً ان الحرب والإشتباكات الكثيرة من مختلف الجماعات قد سبقت تأريخ هذه البرقية. فكانت في المنطقة منذ يوم 29 — 4 — 1971 وقد إتصلت بمسؤولي الحكومة، وفي مقدمتهم قائم مقام القضاء وممثلي الحزبين الحليفين حزب البعث والحزب الديموقراطي الكردستاني.

إستدراك: بعد إشتداد المصادمات وتوسعها قررت لجنة السلام برئاسة مرتضى الحديثي في 21 – 4 – 1971 تأليف لجنة برئاسة عزيز شريف وعضوية كل من محافظ نينوى ومحافظه كركوك وأمر لواء المنطقة للتحقيق تمهيداً لإتخاذ ما ينبغي ... – انظر الصفحة الاخيرة من احداث كله كين –.

سافرت ومرتضى الحديثي يوم 28 – 4 – 1971 وعقدنا إجتماعاً تمهيدياً في محافظة نينوى، وتقرر ان اوصل الإجتماعات في لجنة تعقد في قضاء عقرة. ثم واصلنا سفرتنا ... حتى إذا كنا فوق سهل عقرة وجبالها ورأينا اكوخ القرى تحترق في كل صوب. اخذ الإنفعال من صاحبي وقال: "اهي دولة هذه التي لا تستطيع ان تحمي مواطنيها؟" لقد كان المشهد اشد ترويعاً من كل ما شاهدت طيلة وجودي واسفلري في مناطق الحرب ... وكان الحديثي على جانب من الحق في النظرة المباشرة الاولى، ولكنه لم ينفذ إلى قلب المعضلة ..."

قلت له "هون على نفسك، لقد كدس في المضي كثير من البارود وكان للدولة سهماها الاكبر في هذا التكديس. فعليها ان تلجأ الآن إلى فرق الإطفاء. ولست احسب ان عمل هذه الفرق سينتهي مادام البارود يكدس بإستمرار ..."

وعند وصولنا جمعنا المسؤولين الحكوميين وممثلي الحزبين الحليفين المتصارعين، ثم إستقدمنا زعماء السلاح فهدأت العاصفة بعض الشيء وعاد الحديثي بالطائرة.

وفي اليم التالي، 29 – 4 – 1971 الفت لجنة برئاستي، حسب الإتفاق مع الحديثي، اعضائها أمر حامية عقرة وقائم مقام القضاء – لعدم امكان المحافظين ترك مركزي عملهما – وممثل عن كل من حزب البعث والحزب الديموقراطي الكردستاني.

وكانت المهمة التي وضعتها للعمل: اولاً وقف الإصطدامات. وقد خفت كثيراً ما دمنا موجودين في المنطقة، وإن إستمرت سراً في الليل خاصة. وثانياً – تحديد اسباب الصراعات وكشف العناصر التي تقودها. واخيراً العمل لتصفيتها نهائياً – وهذا هو الاهم والاشد صعوبة.

ولقد تجمعت لدي تقارير عديدة عن اسباب الحوادث والمسؤولين عنها في برقية اولى من محافظ نينوى والمفروض انها مبنية على تقارير الشرطة، وثلاثة تقارير من قائم مقام القضاء، وهي اكثر شمولاً وموضوعية. وتقرير محرر باوقات متتالية حسب الوقائع من معاونة امن عقرة. وتقرير بأسباب الحوادث وتطورها من اللجنة المحلية للحزب الديموقراطي الكردستاني في عقرة.

ورغم إختلاف المنطلق بين تقرير منظمة الحزب الديموقراطي الكردستاني والتقارير الرسمية، إلا ان مقارنة بعضها ببعض كانت مفيدة. وقد عززت هذه معلوماتنا الكثيرة السابقة، فضلاً عن إتصالاتنا في الموقع بمختلف العناصر وإستقدامنا لزعماء السلاح.

لقد كانت مزيجاً من النزاع على الارض ومن العداة التقليدي بين اتباع الحكومة (الفرسان) والقيادة الكردية. فهناك اولاً رؤساء السورجية الذين نقلوا حقدهم وتحفزهم الحربي واسلحتهم الحكومية بعد حرب كله كين إلى منطقة عقرة التي لهم فيها قبيلة وقرى (ناحية السورجية). وبخاصة حسين خضر



وعمر وصابر وفخري. وقد تقدم الحديث في مجرى تصفية الحرب في كله كين عن جرائم إرتكبوها وأخبار إفتعلوها للتشويش وتحصنهم وراء جبهة حكومية في بغداد لكي يكونوا في منأى عن التعقيبات القانونية.

وكان من اهم عناصر السباق على إحتلال القرى وإشاعة الفوضى والصدمات المسلحة محي الدين جهانكير رئيس قبيلة الهيركية، نظراً إلى حجم قبيلته وإستناده إلى رؤساء الإدارة والجيش في مركز محافظة نينوى وإمداده بما يحتاج من سلاح. ومن الراجح جداً ان الإستناد يمتد إلى مركز للقوة في بغداد.

وقد جاء إلى المنطقة بعد إتفاق آذار رئيس الفرسان زبير بن محمود آغا الزبياري وإحتل قصر احد الفرسان (سليم) صاحب قرية شوشة، ومنها اخذ يوسع نفوذه وسيطرته على القرى المجاورة ليس بسبب عدم إستيعاب ما تحت يده لإيواء اتباعه، بل بسبب شرهه الذي لا ينطفي إلى المزيد من المال. ونظراً لسيادة مبدأ إسناد محاور الصراع بين الحكومة والقيادة الكردية فقد كان زبير الزبياري أمر هيز (فوج) عقرة للبيشمركة مستنداً من قبل تشكيلات البيشمركة من مناطق اخرى كلما تصاعد الصراع. وهذه ظاهرة من الظواهر الكثيرة التي جعلت (البيشمركة) عنصراً اساسياً في النزاعات القبلية.

بالإضافة إلى هذه القوى الرئيسية الثلاثة للصدمات المسلحة، كان في المنطقة رئيس الكوران مشير الروفي. وقد سبق ان تعاقب على إستباحة ديربون في قضاء زاخو بالإشتراك مع زبير الزبياري. وكان يشترك وقبيلته الكوران من سكان منطقة عقرة الاصيليين. ولكن توسع غارات الهيركيين عليهم الجأتهم إلى التحالف مع زبير الزبياري. فكان زبير الزبياري إذا ما حرر بعض قراهم ضمها إلى مملكته دون ان يعيدها إليهم.

وكان من بين هذه القوى المتحاربة مجاميع صغيرة من السكان الاصيليين. ومن بين هؤلاء قرى مسيحية. فكان عليهم ان يعلنوا الولاء لكل ذي قوة يصبح على مقربة منهم، خوفاً من طغيانه، فيصبحوا هدفاً لغزوات عدوه.

ولما كانت غزوات الكر والفر تجري في ميدان يعيش في سكانه في الاكواخ، فقد كان الهدف المباشر لكل غاز هو حرق الاكواخ ونهب ما يتبقى من محتوياتها بعد ان يفر منها سكانها، ويقع من يقع قتيلاً او جريحاً. تلك هي صورة المأساة موجزة دون إمكان تحديد حجم الخسائر بالارواح والمقتنيات.

## الحل

اولاً: كان مفروضاً في البدء منذ إتفاق آذار إسترداد الاسلحة الحكومية من الفرسان السابقين. وقد إتخذت بعض القرارات بهذا الشأن ولكنها بقيت صورية — وقد رأينا مثال اسلحة قادة السورجية في

قرية كله كين. والمثال الجدي الوحيد بهذا الشأن هو قيام محافظ السليمانية شكري الحديثي بتجريد قوات جلال الطالباني من الاسلحة الحكومية – عدا اسلحة خفيفة للدفاع الشخصي.

بل ان سياسة المحاور كما رأينا قد ادت إلى إعادة تسليح الموالين من كل من جانبي الحكومة والقيادة الكردية. فهذه معضلة جذرية لا تقتصر على منطقة عقرة بل تشمل مناطق المجابهة في جميع انحاء كردستان.

وقد عقد هذه المشاكل كون قضاء عقرة تابع إلى محافظة الموصل. وقد طالب الجانب الكردي مراراً وعلى مدى طويل ضم هذا القضاء إلى محافظة دهوك. ولم يكن للحكومة مبرر لعدم تلبية هذا الطلب، من إدعاء الإختلاط الاثني او (ضرورات استراتيجية). فلقد اصبح بقاء هذا القضاء في ضمن محافظة نينوى سبباً للتخريب السياسي بتدخل رؤساء الإدارة والجيش وتسليح الموالين وبخاصة محي الدين الهيركي. على ان تبعية قضاء عقرة إلى متصرفية الموصل منذ القديم (قبل الحرب) كان سبباً خطيراً لإضطهاد الفلاح الكردي بصور مختلفة. لقد كان العامل والفلاح العربي فضلاً عن الكردي ضحية الإستغلال من قبل الاورستوقراطية الموصلية، التي كانت من اشد الاورستقراطيات العراقية رجعية. وكان على الفلاح الكردي ان يراجع المحاكم والدوائر الرسمية الاخرى وهو لا يفهم العربية. فكان عليه ان يحتلب من قبل العناصر الطفيلية التي تعيش على الكسب من مراجعة تلك الدوائر نيابة عنه.

اما بعد إتفاق آذار فقد اثار الجانب الكردي شكاوي عديدة ضد إدارة محافظة نينوى: ومنها الهجوم الذي وقع على مركز حزبهم في الموصل بعد نحو 16 يوماً من إعلان إتفاق آذار، من قبل الفرسان السابقين، وإدعاء هذا الجانب سكوت الإدارة والشرطة عن نجدة المركز رغم الطلب المتكرر حتى وقع منهم قتل وجريح.

ثانياً: هناك مشكلة سياسية – إنسانية.

ا – ضرورة إيجاد اماكن لإسكان قبيلة الهيركية الذين جاءت بهم الحروب إلى منطقة عقرة، فتحولوا بالدرجة الاولى إلى فلاحين بعد ان كانوا رعاة متقلين. ولم يكن لهم محل للزراعة يعادون إليه.

ب – إعادة إسكان جماعة زبير الزبياري إلى محل سكنهم في ناحية نهلة. وإعادتهم إليها سيكون سبباً لمصادمات جديدة. إذ قد تطور العداء بينهم وبين عثمان البارزاني الذي يعتبر نفسه الخليفة على قيادة البارزانيين. وقد تحالف عثمان البارزاني مع سليم شوشة وسير قوة مسلحة إلى منطقة عقرة لمحاربة زبير الزبياري في ناحية نهلة حيث يقيم فرع الشيخ احمد الزبياري وهم اعداء البارزانيين منذ إنتفاضتي 1943، 1945. وفضلاً عن ذلك ان اراضي نهلة قليلة لا تكفي لإسكانهم مع سكانها الحاليين حتى لو ازيلت الثارات بقدرة قادر.

فلأجل إعادة إسكان كل من قبيلة الهيركيين وجماعة زبير الزبياري كلفت دوائر الإصلاح الزراعي بدراسة الاراضي من ناحية الحقوق القانونية لسكانها السابقين، ومن ناحية إمكانية إستيعاب سكان جدد،

وإيجاد مناطق قابلة للإستيعاب ينقل إليها المزارعون الفائضون مع مراعاة تحاشي الإحتكاك بين الاعداء التقليديين.

**زعماء السلاح:** كانت قد فشلت محاولات السابقة للمصالحة بين الموالين للحكومة والقيادة الكردية، بامل البدء بإعادة توطين القبائل التي إقتلعتها الحرب من مواطنها. فبينما وقفت مراكز حكومية ضد هذه المحاولة كان سلوك قيادة البارزاني غير مشجع ايضاً... فعدلت عن هذا الموضوع.

ولذا فقد كان العزل بين زعماء السلاح والفلاحين الفرصة الوحيدة لإسكان الفلاح وتوطنه. وكان هذا اشد ضرورة في منطقة عقرة منه إلى اي منطقة اخرى. فقدمت إقتراحاً بهذا الشأن لقي قبولاً. وصدر به قرار من لجنة السلام: اعلنه رئيس اللجنة بتاريخ 2 - 5 - 1971 إلا انه قد تجاوز ما إقترح وقصر عن بعض. فعلى سبيل المثال: انني لم اقترح فرض الإقامة الإجبارية على كبير قيوم السورجي الذي لم يكن له نشاط ملموس ولكن القرار شمله. كما ان القرار لم يشمل حسين السورجي اشد زعماء السلاح تحفزاً للحرب.

وفيما يلي الفقرات الاساسية للقرار. بعد المقدمة.

#### اولاً:

1 - تفرض الإقامة الإجبارية في مركز محافظة نينوى على الاشخاص التالية اسمائهم ويكونون تحت رقابة السلطات المختصة فيها: وهم زبير محمود اغا الزبياري، تتر محمود اغا الزبياري، مشير اغا الروفي، اسعد فتاح الهيركي، فرزنده الهيركي، نقي السورجي، فخري السورجي، كبير السورجي.

2 - يسحب البيشمركة المرتبطون بالسيد حسو مير خان والمتواجدون في قضاء عقرة ويتم تجميعهم في المنطقة المحددة لتجمعهم كحرس حدود.

3 - يسحب عبد الرحيم جسيم وجماعته من قضاء عقرة.

4 - ينقل قائم مقام عقرة السيد يحيى الجاف.

5 - يعاد السكان الذين تم تهجيرهم نتيجة الحوادث الاخيرة إلى قراهم الاصلية في قضاء عقرة.

**ثانياً:** تنفيذ القرارات اعلاه بصورة مترابطة.

لم يلق هذا القرار تشجيعاً من بعض دوائر الحكومة (في مركز محافظة نينوى على الاقل). كما احدث إستياءً شديداً لدى البارزاني. وقد إستطاع محيي الدين الهيركي ان يقوم بعمل مضاد، فقد امر قبيلته بالهجرة إلى حمام العليل (قرب مدينة الموصل). ولما كان ذلك يحول دون عملنا لإعادة إسكان الفلاحين وبخاصة الهيركيين انفسهم، فقد طلبت من المسؤولين الإداريين والعسكريين في مركز المحافظة وقضاء عقرة منع هجرة الفلاحين.

ولكن طلبي لم ينفذ وإدعى هؤلاء المسؤولون انهم لم يستطيعوا وقف الهجرة. وقالوا "إن جماهير الفلاحين كانت تتسلل فرادى وجماعات عبر الجبال، ولا تسلك كل المسالك التي يمكن السيطرة عليها."

ولما تمت هجرتهم إلى حمام العليل، بدأت مسألة إعاشتهم. وقد خصص لكل عائلة عشرة دنائير، وهي إعانة رمزية. فكلفت موظفي الإدارة بأن يتم تسليم ما يخص كل عائلة بيد رئيس العائلة. وأن يخصص مبلغ ووسائل النقل لكل عائلة ترغب في العودة للإستيطان. فلم ينفذ هذا الطلب. وإنما كانت تنظم مستندات الصرف وتسلم المبالغ إلى رئيسهم محيي الدين الهيركي. وقد إدعى ممثلوا الحزب الديمقراطي الكردستاني ان للموظفين سهم في المبالغ التي يدعي بصرفها. وهنا في حمام العليل ظهرت مأساة العوائل الهيركية من نوع آخر ... النقص في مصادر الرزق وشيوع ما يشجع عادةً في مثل هذه الاحوال بين المهاجرين من مختلف صنوف الفوضى والإنحلال ... إلخ.

### عود إلى مشاكل الفلاحين عام 1972

في 11 - 2 - 1972 صدر بيان برقم 24 عن اللجنة العليا لشؤون الشمال بتوقيع نائب الرئيس عبد الخالق السامرائي بشأن إعادة كافة العشائر النازحة من قضاء عقرة إلى قراهم ووضع قانون الإصلاح الزراعي موضع التطبيق. وبفك قضاء عقرة عن محافظة نينوى وإلحاقه بمحافظة دهوك بعد عودة النازحين. وبالتحقيق بشكوى بعض المواطنين في قضاء سنجار حول عدم إعتداد اسس عادلة في توزيع الاراضي في هذا القضاء. وتضمن البيان تأليف لجان ثلاثة لتنفيذ هذه القرارات من الموظفين كل حسب إختصاص عمله بمن في ذلك وكيل محافظ نينوى وقائد الفرقة الرابعة وقائم مقام سنجار ووكيل محافظ نينوى ... إلخ.

وفي 18 - 21 نيسان 1972 عقدت إجتماعات في ديوان محافظ نينوى برئاسة عبد الخالق السامرائي (نائب رئيس اللجنة العليا لشؤون الشمال) وعضوية محمد محمود عبد الرحمن عضو قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني ومحافظ نينوى وقائد الفرقة الرابعة وممثلي حزب البعث والحزب الديمقراطي الكردستاني في نينوى وإتخذت قرارات مفصلة بخصوص:  
 - عودة الهيركيين المهجرين من حمام العليل ومدينة الموصل وما جاورها إلى قرى خصصت لهم في عقرة.

- التحقيق في إدعاءات الكوران في تلك القرى التي إغتصبها الهيركيون.  
 - تكليف لجان الإصلاح الزراعي في توزيع الاراضي حسب الإستحقاق في قضاء عقرة. ثم تنتقل إلى قضاء شيخان لمواصلة عملها.

- عودة رؤساء السورجية تقي وكبير وجار الله وناظم إلى قرى في عقرة سميت في القرار.  
 - تأليف لجنة برئاسة محافظ نينوى وعضوية قائد الفرقة وزهير يحيي ممثل البعث وعلي السنجاري مسؤول فرع نينوى للحزب الديمقراطي الكردستاني ونائب محافظ دهوك وقائم مقام عقرة ومدير الإصلاح الزراعي لمتابعة تنفيذ تلك القرارات.

مما تقدم يظهر بأن كلاً من الحكومة والقيادة الكردية قد إقتنعا بعدم جدوى حجز رؤساء القبائل في الموصل. وقد سبق ان رأينا مشاكل هجرة الفلاحين الهيركيين بنواحيها الإنسانية – الخلقية والمالية والسياسية. ولكن هذه القناعة لم تنفذ إلى اصل المعضلة.

اهم معضلة هو بقاء نفوذ اولئك الزعماء على اتباعهم سواءً اكانوا في عقرة ام في مدينة الموصل. فجوهر الموضوع هو عزل زعيم السلاح وتجريده من كل نفوذ على الفلاحين وإشعار الفلاح أنه يستطيع العيش مستقلاً عن زعيم السلاح.

ولقد كان لي حديث مع الرئيس احمد حسن البكر بهذا الشأن وطلبت منه إقصاء اولئك الزعماء بعيداً، إلى البصرة مثلاً. وقلت له ان هؤلاء اشبه بالقمل. فإذا كانوا عزيزين عليكم فإينوا لهم قصوراً في اي محل بعيد، في البصرة على سبيل المثال.

والمشكلة الجوهرية الاخرى التي لم يلتفت إليها هي تحيز بعض الموظفين الذين انيط بهم تنفيذ القرارات إلى بعض الإقطاعيين.

لقد عقدت اللجان المختصة إجتماعات للعمل على تنفيذ القرارات المختلفة برئاسة عبد الخالق السمرائي، إبتداءً من اليوم التالي، أي في 22 نيسان بشأن مشاكل عقرة. وعقدت إجتماعاً آخر في اليوم ذاته بشأن مشاكل سنجار. وثالثها في 23 نيسان وعالجت مسائل اولية حول التحقيق عن الإستحقاق في الاراضي المتنازع عليها، وشكاوي بوقوع حوادث قتل وسلب.

ثم كان سفري في 8 – 5 – 1972 إلى عقرة للإشراف على تنفيذ القرارات. وقد قدم إلي ممثل اللجنة المحلية للحزب الديموقراطي الكردستاني في عقرة فتقريباً مؤرخاً في 29 نيسان عن حوادث وقعت في 25 نيسان وفي ضمنها زحف اتباع زعماء السورجية صابر وفخري وتقي الدين وخضروزعماء الهيركية محيي الدين وأتباعهم وإدعى انهم هاجموا قرى عديدة بقوة مسلحة بإسناد من بعض مسؤولي الإدارة في القضاء ومارسوا اعمال السلب وإحراق القرى. ومن ذلك وقوع إثني عشر قتيلاً وتسعة عشر جريحاً.... وتشريد 360 نسمة من قرية واحدة... وإعترف ان الفلاحين لجؤا إلى مقابلة القوة بالقوة بعد ان يئسوا من من مساعدة الحكومة.

تلك كانت إدعاءات بقطع النظر عما إذا كانت كلها صحيحة او مبالغاً فيها. إلا انها تدل على شيء لا شك فيه وهو ان تكديس البارود مرة اخرى وإحداث الشرارات من الرؤساء قد اعاد نشوب الحرائق. وفي 29 – 5 – 1972 بدأت العمل بتأليف لجنة برئاسيتي وعضوية كل من زهير يحيي ممثل حزب البعث في الموصل وفاروق سعد (او سعيد) ممثل الحزب الديموقراطي الكردستاني. وبدأنا العمل لمتابعة القرارات لاتي إتخذت برئاسة عبد الخالق السامراني في 18 – 21 نيسان. وكان العمل معهما جدياً ومنسجماً. وقد قمنا فيها بتحقيقات اولية حول سكان القرى الاصليين، والسكان المتجاوزين، وإتخذنا قرارات منها: ضرورة التأكد من موضوع مظاهر القوة المسلحة، وبخاصة من الهيركيين الذين اعيدوا لإسكانهم في القرى التي خصصت لهم. وتأكدنا من حقوق الكوران والشبك في قرى سكانهم

الاصلية وقررنا إعادة الفلاحين الذين شردوا من قبل مشير الروفي (جاش سابق). ووجدنا ان قري اخرى إغتصبها المدعو احمد شرنقة. وكان قد اتهم من جانب البعث اثناء اللقاءات في لجنة السلام بأنه قاتل ومدبر قتل. وإذ اصبح من الموالين للقيادة الكردية فقد قررنا إخراجها منها، بعد زيارة اقوم بها للبارزاني.

كان العمل جيد ومنسجماً. ذكرني بالمفارقات التي تثار بحضور الممثلين الاخرين من الجانبين. وقد نظمنا تقريراً بما قمنا به ختم بالعبارة التالية: إنتهى الإجتماع بروح اخوية يوم 10 ايار 1072. عدت ألى عقرة يوم 21 ايار لمواصلة عملنا. ولما كان الفلاحون قد سبق وأن زرعوا، سواءً في ذلك ذور الحقوق في الارض ام المتجاوزون. فكان علينا ان نتحقق من واقع الزراعة لمراعاة حقوق المزارعين المتجاوزين منهم عند رفع ايديهم عن القرى التي تجاوز عليها. فالفت لجنة من قائم مقام عقرة وممثلي حزب البعث والحزب الديموقراطي الكردستاني. فقام هؤلاء بعمل مضمّن لأيام عديدة ونظموا قائمة مفصلة حول كل عائلة وتأريخ وجودها في القرية ومركز سكانها الاصلي، ومقدار ما بذرت في هذا الموسم.

**مستوى الامانة ام مستوى السرقات في اجهزة الدولة العليا في منطقة الموصل – مثال صارخ.**

في منطقة عقرة كما هو الحال في مناطق من الشمال ظهر من يسمونهم (اصحاب المصالح). وصاحب المصلحة هو من يملك الآلات الحارثة والحاصدة ..... إلخ. ويقوم بجميع الاعمال المقتضية للزرع حتى الحصاد وتجميع الحبوب. وكان صاحب المصلحة في عقرة يعقد عقوداً مع المتواجدين على الارض بقطع النظر ان يكونوا مالكين او مغتصبين. وعند قسمة الحاصل يأخذ البذار اولاً، ثم يجري تقسيم الباقي في مناصفة بينه وبين المتعاقدين معه او المتواجدين على الارض.

وعند قيامنا في عقرة بالتحقيق عن ذوي الحقوق والزرع في حزيران 1972 كان النزاع متعدد الجوانب بين مالكين ذوي حقوق اصلية ومحتلين طارئين بسبب الحروب ومغتصبين في مجرى النزاعات. ... وكان صاحب المصلحة يدعى (فتحي) وكان قد تعاقد مع من كان من المتواجدين على الارض بقطع النظر عن ان يكونوا ذوي حقوق او مغتصبين. وكان حرق الزرع وأكواخ الفلاحين ايسر وسيلة للإنتقام. ولقد كان (صاحب المصلحة فتحي) واقعياً، يدرك ان تلك النزاعات قد تؤدي إلى إحراق مزروعات الموسم. بينما كانت ارباحه خيالية فيما لو سلم الزرع. فقد ذكر انه انفق على زراعة هذا الموسم (1971 – 1972) نحو ثلاثمائة الف دينار. وهو يتوقع ربحاً لا يقل عن نصف ملين ديناراً، نظراً لأن الموسم كان مطيراً بغزارة غير معتادة، وإذ كان ما بذر حسب دفاتره 2529 طناً مترياً فالتوقع ان يكون الحاصل على 27529 على اقل تقدير فألى 50000 طناً.

وقد كان في ذلك فرصة للجنة المتابعة للإتفاق على إسكان الفلاحين الذين فقدوا ديارهم. فتم الإتفاق مع صاحب المصلحة والاطراف المختلفة في كل قرية من القرى المتنازع حول حاصلاتها على ان يأخذ

صاحب المصلحة مقدار ما بذر اولاً ثم يقسم الباقي على الوجه التالي: 20% للجنة المتابعة للإنفاق على إسكان الفلاحين و40% لصاحب المصلحة والباقي لأصحاب الحق في الزرع وفي ضمنهم مالكو العقار.

وفيما يلي نموذج لقرار يتعلق بإحدى القرى.

**من قرارات لجنة المتابعة ليوم 30 - 6 - 1972 - عن قرية نكان.**

المالكون - صادق زيروا وجماعة الموصل

1 - يرفع البذر ويسمح بتسفيره. 2 - يسمح بتسفير 40 كيساً من كل مائة من الباقي لصاحب المصلحة. 3 ، يسلم إلى الجيش 20 كيساً نيابة عن لجنة المتابعة. 4 - يترك لصاحب العقار 10% - وهذا حق جار على نطاق كردستان. 5 - 15 للزيباريين المتواجدين على الارض. 15 لأصحاب الفلاحان الهيركيين وهم متجاوزين سابقاً.

رئيس اللجنة

عزيز شريف

وتقرر تأليف لجنة للإشراف على تنفيذ هذه القرارات برئاسة القائم مقام وعضوية كل من حزب البعث والحزب الديمقراطي الكردستاني على ان يكون قائد الفرقة الثانية اميناً للصندوق فيما يتعلق بتسليم الحاصلات إلى اصحاب العلاوي للبيع وتسلم حاصل البيع وتنظيم دفتر للوصلات لضبط التسليم والتسلم.

وتكلف اللواء الثالث والعشرين بتوفير السيارات الضرورية لأعمال اللجان الواردة في الفقرة السابقة. وتقرر تكليف وزير الدولة بإستحصال موافقة من اللجنة العليا بتحويل لجنة المتابعة بصرف المبالغ الضرورية للإشراف على الحصاد وتنفيذ قرارات هذه اللجنة. وفي ضمن ذلك تأمين الوسائل الضرورية للتنقل.

التوقيع رئيس لجنة المتابعة

عزيز شريف

وتمت موافقة اللجنة العليا لشؤون الشمال على تأييد القرارات. فكم كان البالغ الذي اصاب لجنة المتابعة؟ لا شئ مطلقاً. لا ريب ان لجنة الإشراف على عقرة كانت بريئة. ولكن قيادة الجيش كانت تتصلص من الاجوبة الحاسمة. ولم نستطع ملاحقة هذه القيادة بسوى المراسلات وطلب التحقيق. وقد اغرق الموضوع بكتابكم وكتابنا ... وإنما لم نستلم من اصحاب العلاوي. وينبغي التحقيق عن منهم هم اصحاب العلاوي ... إلخ. حتى كان إنقطاعي عن مواصلة العمل في منطقة عقرة منذ الصيف ذاته بعد

فشل مهمتي في التوسط بين جانبي الحكومة والقيادة الكردية. (انظر موضوع غزوة النقيب ارشد الزبياري وما تطور بعدها من احداث).

### بير جاويش: مثال على مأساة الفلاح في القرية المنكوبة.

في مجرى تحقيقاتنا عن اصحاب الحقوق في الارض والعمل لإعادة إسكان الفلاحين كانت قرية بير جاويش احد مواضيع الخلاف، فقررنا الكشف والتحقيق محلياً. وسافرت يوم 18 - 6 - 1972 ومعني اعضاء لجنة المتابعة ومنهم علي السنجاري ممثلاً عن الحزب الديمقراطي الكردستاني. وكانت القرية على مرتفع جبلي وليس لها طريق معبد. فاستعرنا سيارات عسكرية وإصطحبنا عدداً من الشرطة. وعند إقترابنا من القرية استقبلتنا النسوة بالزغاريد ظناً بأننا قوة حكومية جئنا لإحتلال القرية. ولم نجد إلا قليلاً من الرجال لأن كثرتهم وفيهم المختار قد هاجروا بسبب مشاكل تناوب الإحتلال بين اتباع محيي الدين الهيركي واتباع زبير الزبياري. وقد اصبحوا يسمون ببشمرکه. وكانوا هم المحتلين عند زيارتنا. وقد وجدنا منهم نحو عشرين مسلحاً يتجولون في شارع القرية الوحيد.

عقدنا إجتماعاً عاماً في مسجد القرية حضره وكيل المختار ومن بقي من الرجال. وكان بينهم ثلاثة من بني قرابة البارزاني. وقد تشكى الحاضرون من تناوب الممثلين ومما قالوه "لقد عجزنا عن الحصول على القوت الضروري، فضلاً عن ضروريات إستضافة المسلحين وتقديم الدجاج. ... إلخ." وفيما يتعلق بأقارب البارزاني قالوا إنهم ليسوا من سكان القرية، وإنما لجأ إليها خال البارزاني المتوفي (الشيخ رفيع). وقد رحبنا به وإعتبرناه واحداً منا ونحن نعتبر ولديه الحاضرين (هادي ومهدي) وقريبيهما الشيخ امين بن الشيخ محمد على كأبي منا حالهم كحالنا.

وكان في القرية نحو 20 عائلة لاجئين من منطقة السورجية وعشائر السبعة بسبب إحراق منازلهم. ثم عقدت إجتماعاً خاصاً مع اقارب البارزاني الثلاثة فأيدوا ما قيل في الإجتماع العام. وبناءً على إقتراحي حرروا رسالة إلى البارزاني بما جرى.

فقررنا منع التجول بالسلاح في القرية. وامرنا مجموعة الشرطة بالبقاء. على ان يتم تموينهم بكل شيء من مركز شرطة عقرة. وامرناهم بعدم تكليف سكان القرية بأي شيء، حتى الماء يجب ان يستقوه من النبع بانفسهم.

وفي رسالتي التالي بصها تفصيل لما فعلناه.

الاخ المحترم مصطفى البارزاني

تحية مخلصه: امس 18 - 6 - 1962 زرت قرية بير جاويش ومعني لجنة المتابعة التابعة للجنة السلام. ومن جملة من كان معي الاخ علي السنجاري. وقد خلوت بولدي خالكم مهدي وهادي ولدي شفيع. وإستطلعت منهما رأيهما وإقتراحاتهما. ومما عرفته منهما ثم من الآخرين ان القرية منكوبة بكثرة المترددين عليها فضلاً عن حوالي عشرين عائلة لاجئة من منطقة السورجية وعشائر السبعة.



وبينا لي صراحةً واكداً ذلك تحريراً بأن الحل الوحيد هو وضع قوة من الشرطة وحماية القرية من المتمردين المسلحين ولا سيما الزبياريين والهيروكيين. وايد الجميع ووقعوا بأن هذا هو طريق الخلاص للقرية. وفيما يتعلق بالعوائل اللاجئة اكد الجميع "اننا نقبلهم ونستضيفهم. ونحن لجنة المتابعة ننظر سريعاً في إعادتهم إلى مساكنهم او ما يليق بسكانهم وإعطائهم الاراضي لذلك. وقد اوصينا أمر فصيل الشرطة ان يضع نصب عينيه بوجه خاص حماية مهدي وهادي ولدي خالكم الشيخ شفيع. ولقد كانا مسرورين بهذا التدبير. وتجدون رسالتهما بهذا الشأن طياً....واوصيتهما بأن يتصلا بي بكل ما يحتاجان إليه. وقد وصينا ممثل الإصلاح الزراعي بأن يجعل توزيع الاراضي على اسس تحاشي الإحتكاك بين الجماعات المختلفة. وإليكم تحياتي. عزيز شريف.

لقد كنت احسب انني صنعت حسناً. غير اني عندما زرت البارزاني بعد بضعة ايام وجدته مستاءً. وقد اخبرني أنه قابل عملنا بنقل اقاربه من بئر جاويش واسكنهم في خيمة قريبة منه. ولست ادري ماذا نقل إليه ممثله علي السنجاري.

### مستوى جديد في المجابهة المخططة من الحكومة صراحةً

غزوة الضابط النقيب ارشد بن احمد اغا الزبياري لعقرة بدءاً بيوم 26 - 7 - 1972.

بينما كانت لجنة المتابعة برئاسة برئاستي وفي ضمنها قائم مقام القضاء وممثل الجيش وممثلاً حزب البعث العربي الإشتراكي والحزب الديموقراطي الكردستاني نعمل بصورة مضنية وبالبحث تفصيلاً عن إمكان حل الخلافات في كل قرية وإعادة إسكان الفلاحين .... وقد توصلنا إلى نتائج إيجابية إلى نهاية حزيران 1972، آخذين بنظر الإعتبار قراراً صادراً من المجلس الزراعي الاعلى منذ 28 - 7 - 1970 بإعادة جميع القرويين النازحين إلى ديارهم. وكانت تعترض عملنا مشكلة إخراج زبير بن محمود اغا الزبياري من وادي عقرة المزدهم جداً بسكانه الاصليين وبالقبائل الطارئة. ذلك ان عودة هذا إلى دياره في وادي نهلة عسيرة بسبب العداء الدموي مع اولاد عمه فرع ارشد وإخوته. فإذا بالحكومة ترسل النقيب ارشد زعيم هذا الفرع للمزيد من الإحتكاكات والزحام على الارض وإضافة وقود إضافي للصدمات المسلحة.

إن النقيب ارشد اغا بن احمد اغا الزبياري من ضباط الجيش الذين كانت الحكومة منذ العهد الملكي تخرجهم في دورات خاصة تختارهم من ابناء العشائر المعادين للحركة الكردية. وفي مجرى تطور سياسة المجابهة بين الحكومة وقيادة البارزاني بعد إتفاق آذار 1970، وتعمق هذه المجابهات في عقرة وسنجار وشيخان فضلاً عن المناطق الاخرى، تم تجميع العوائل التابعة لأرشد وإخوته وإرسالهم بسيارات عسكرية نحو عقرة. ثم جهز بسيارات عسكرية إضافية ومسلحين من الجيش الشعبي المحلي. ودخل مدينة عقرة دخول فاتح يوم 26 - 7 - 1972 ومعه 60 مسلحاً ببندقيات كلاشنكوف من سلاح الجيش العراقي. ومن هذه البنادق كان يجهز الفرسان.

ولإشاعة الإرهاب اخذ مسلحوه يطلقون الرصاص في الشوارع إعتباطاً ويدخلون المقاهلي لإرهاب من قد يكون فيها من القوميين الكرد. ومن ضمن مظاهره التحدي تلك اقام ارشد ربية وضع فيها قوة عسكرية على مرتفع يشرف على مدينة عقرة يسمى نل سبيل.

وأخذت تقام له الولائم في القرى من قبل اعداء القيادة البارزانية. وقد وقعت مصادمات مسلحة بين قوته ومؤيديه من جانب والفلاحين الذين كانت تلك الولائم تعتبر مظاهرات قوة وتهديد لهم من جانب آخر. فكان الجيش يضطر إلى التدخل لفك القتال دون عمل حاسم لمنع المصادمات.

وقد اخذ بعض سكان القرى يضطرون إلى إعلان ولائهم له بعد ان كانوا قد اعلنوا الولاء إلى زبير الزبياري عدوه. ولدى السؤال من القائم مقام اكد انه وأمر اللواء لا يعرفان "اي القرى خصت من قبل بغداد للزياريين جماعة ارشد. وإنما كانت سيارات الجيش تأتي بهم فيحتلون القرى التي قالوا انها تخصهم. فكيف تكون الفوضى اكثر من ذلك؟

لقد كان الهيركيون قبلاً حلفاء طبيعيين لفرع ارشد الزبياري بسبب العداء بينهم وبين زبير الزبياري، إلا انهم شعروا بالخطر يتهددهم بانتزاع القرى التي سبق ان احتلوها. فأخذوا يستعدون للدفاع عن تلك القرى. وفي الوقت ذاته راجع زعيمهم محيي الدين الهيركي كلاً من القائم مقام وأمر اللواء. فكان جوابهما "لا نستطيع ان نفعل شيئاً، وإنما ننصحك ان تسافر إلى بغداد فتعرض مشكلتك على المسؤولين هناك".

ولقد دعوت ارشد الزبياري إلى حيث اقيم في نادي ضباط اللواء فجائني في اواخر آب 1972 وقد نال الغرور من جميع اطرافه. فهو النقيب الاغا المسند من قبل الجيش. قال انني مجاز من الجيش إجازة غير محدودة. وإنما هي منوطة بإستقرار العوائل التي ارسلناها وما نزال ننقلها. وقد خصت لنا قرى. ثم عدد اسماء عدة قرى ولكنها لا تكفيها. فقد جمعنا عوائل من بغداد ومن الموصل واطرافها. وذكر 500 عائلة. وقال مازالت لنا عوائل في الموصل تزيد على المائة.

وإصطلاح العائلة الذي كان سائداً بين الجميع لا يعني الفلاحين الحقيقيين، ولا اقارب الزعيم وبنوا عمومته، وإنما يعني عوائل المرتزقة الذين يقودهم ويتسلم بإسمهم من الحكومة الاسلحة والمخصصات. وفي موازات هذه المظاهرة قامت السلطة المحلية بترحيل 270 عائلة من العوائل الموالية للحزب الديمقراطي الكردستاني من عدد من القرى من انحاء مختلفة في قضاء عقرة وبخاصة من ناحية العشائر السبعة في نهاية آب 1972. وإضطر مكتب الحزب الديمقراطي الكردستاني إلى ترك مقره تحاشياً من احتمال إصطدام مسلح خوفاً من الهيركيين والزياريين جماعة ارشد الزبياري. ولعدم تعاون السلطة مع الحزب كما جاء في رسالة مسؤول الحزب في برده رش في 31 - 7 - 1972 وتأكيد مدير ناحية العشائر السبعة بكتابه المؤرخ في يوم 31 - 7 - 1972 وجواب محافظ الموصل المؤرخ في 2 - 8 - 1972.

فإن كانت الانظار تتجه في المجابهات السابقة إلى العناصر الثانوية، وتجد انها كانت تفرض واقع الخصام على القياديتين الحكومية والقومية الكردية، فإن غزوة النقيب ارشد الزبياري قد ازاحت الستار عن كل عمل ثانوي وحددت تحديداً قاطعاً التخطيط المركزي. فما الغرض من هذا وأي خدمة فيه للدولة؟ دع عنك الشعب الكردي. وسنرى لاحقاً عواقب هذا التخطيط الحكيم.

### رد الفعل لغزوة ارشد الزبياري

وجهت إلى الرئيس البكر رسائل برقية اعرب فيها عن قلقي من ردود الفعل لدى القيادة الكردية. وفي الوقت ذاته توجهت إلى البارزاني بالرجاء مراراً ان يتمسك بضبط النفس. إتخذت مقراً لي في فندق الإدارة المحلية في الموصل. فجائني عبد الخالق السامرائي بوصفه نائب رئيس الهيئة العليا لشؤون الشمال ومعه عامر عبدالله. وكانت المشاكل التي علينا ان نبحثها تشتمل عموم المناطق الكردية، وقد نزل في الفندق القبليون من مختلف الإتجاهات. وإن كانت عقرة قد إستقطبت القسم الاعظم من المشاكل. فقد نصحت عامر عبدالله بقولي انهم (اي الحكومة) لم تشرككم في المفاوضات حين كانت تتجه إيجابياً نحو إتفاق آذار. اما اليوم فلن يفسر الكرد وجودك ممثلاً عن الحزب الشيوعي سوى كونه بادرة سلبية فما هي مصلحتكم في المشاركة في ظرف الترددي. فقدر نصحي وعاد إلى بغداد.

وجاءت الاخبار بتصاعد المجابهات العسكرية على منطقة واسعة من سهل عقرة. لقد كشف ارسال النقيب ارشد الزبياري عن قصر نظر كلي لدى من خططوا لذلك في بغداد. فلم يلبث جانب القيادة البارزانية ان يتهياً وبدأ الحرب مستخدماً البيشمركة وحرس الحدود. ومما قاموا به وكان مثلاً فظيماً، ذلك انهم قصفوا بالمدفعية حوالي 12 قرية من القرى التي تعتبر مولية لخصومهم.

وفي إحدى القرى إستعمل مدفع هاون من عيار 2 عقدة ومدفع من عيار 120 ملم، فقتل بنتيجة القصف 4 اطفال و3 نساء و3 رجال وجرح نحو عشرين. لقد كان ذلك يوماً عسيراً جداً على نفسي. عدت إلى الموصل ولتوتر اعصابي اطفأت الضياء وإستلقيت. طرق قائد الفرقة الباب علي فأجبتة بالدخول. فإعتذر إذ وجد الغرفة مظلمة وظن إنني نائم.

في صباح اليوم التالي سافرنا انا وعبدالخالق السامرائي ومحافظ الموصل واشرك معنا في البحث ممثل حزب البعث المحلي وممثل البارزاني في عقرة. وكنت اصر على ان البدء الوحيد للخروج من الازمة هو سحب الاغوات من الجانبين.

وكان مما قاله لي عبدالخالق بماذا اواجه القيادة في بغداد بسحب خصوم البارزاني إكراماً له على قصف قرى الفلاحين؟ وأخيراً تمت الإستجابة إلى طلبي على ان اتولى انا المبادرة مع البارزاني اولاً. ومما قاله الممثل المحلي للحزب الديموقراطي الكردستاني "تلك امنية نتمناها. ولاكننا لانستطيع شيئاً".

إستقلت الطائرة العمودية إلى مقر البارزاني في حاجي عمران. ووجدت للمرة الاولى منذ آذار ان الحديث مع البارزاني ليس يسيراً وان التفاهم معه عسير. وبعد نقاش طويل اخذ يقترب من الموافقة

على رأي، وادرك عمق الهوة التي ستتبع الاحداث الجارية إذا ما بقيت. ثم حضر إدريس ومسعود وعلي السنجاري وآخرين. واعدت البحث من الف باء السلطة وعدم جدها في حل المشاكل ومساعدتها لأعدائنا ... إلخ. وعاد البارزاني إلى الموقف السلبي الذي اثاره الآخرون حتى إستنفذت ما استطيع شرحه دون جدوى. وتهيأت للخروج ولم يدعني احد إلى التريث. وكنت منهكاً جسماً ونفسياً. ثم فكرت ان المسألة مسألة حرب إذا ما تطورت الامور في مجراها الحالي. فسألت البارزاني هل معنى هذا الحرب. لم يجب احد. ثم قررت دون دعوة من احد ان اجلس واعدت الحديث. وبينت ان هذه قد تكون آخر زيارة لي. ثم وافق البارزاني على طلبي، معلناً انه لم يوافق على إقتناع.

إستودعتهم وخرجت غير مسرور وغير مطمئن لنجاح مهمتي. وتبعني إدريس البارزاني وقال "إنك لم تلاحظ كيف كان مسعود مكتئباً. وان الوالد يعير اهمية كبيرة لرأي مسعود." لقد كانت تلك التجارب المنهكة للنفس. وبهون دونها كثيراً إنهاك الجسم. ... وبعد عودتي إلى الموصل إستمر قصف قرى الموالين لإغوات الحكومة في منطقة عقرة حتى ليلة 25/24 آب 1972. ويوم 26 آب 1972 بدأ رحيل الفلاحين التابعين لخصوم البارزاني. وطالبت الحكومة بمنع الرحيل لمعالجة مشاكل إستقرارهم. فقيل لي ان ذلك لم يكن ممكناً. وكما حدث من قبل إذ يمنع المهاجرون من الطرق الإعتيادية فيسلكون كل طريق للهروب من جحيم الحرب والحرائق.

### النزاع الاخير حول عقرة

كانت عقرة لما نزل في هذه الاثناء تابعة إلى مركز محافظة نينوى. وكما بيناه اعلاه لعقرة صفتان هامتان، اولهما انها خلو من اي إختلاط اثني. سكانها الاصليون كرد وجميع القبائل التي دخلتها قبائل كردية. والصفة الاخرى هي انها موقع هام لإنتاج الحبوب. وكان الفلاح الكردي عرضة لصنوف الإرهاق والإستغلال من الاورستوقراطية الموصلية، لذا كان الكرد دوماً يطمحون إلى نقل إرتباطها من محافظة الموصل إلى محافظة دهوك. وإذ كان بهذا في القديم صعوبة بسبب المواصلات، فإن التكنولوجيا الحديثة قد يسرت إلى مدى كبير إمكان تعبيد الطرق بين عقرة ودهوك. وقد قامت الحكومة بتعبيد طرق عديدة كان منظوراً إليها من المنظور العسكري بالدرجة الاولى. وفي فترة عمل عبد الخالق السامرائي في الشمال. إذ كان يتمتع بسلطة مجلس قيادة الثورة اعلن بقراره بنقل إرتباط عقرة من الموصل إلى دهوك. ولكن لم تصدر بقراره هذا مراسيم من مجلس قيادة الثورة لذلك كان هذا المطلب موضوعاً من مواضيع المفاوضات او المفارقات. إذ اثير هذا الطلب من قبل الوفد الكري ولكن دون جدوى.

ولقد كان سكان عقرة يقدرون ب 30000 قبل الحرب. ثم اصبحوا 90000 بسبب دخول قبائل إليها مثل الهيركيين والزيباريين وتوسع نزوح السورجيين إلى نواحيها. وحسب ملاحظة لعصمت والني في

كتاب شعب بلا وطن الذي زار المنطقة بعد القطيعة تم تحويل الدراسة فيها من الكرمنجي لهجة السكان الاصليين إلى السوراوني.

### احداث خانقين

منطقة خانقين من اخطر مناطق الحدود بين العراق وايران. فهي عقدة مواصلات دولية ومثاراً للخلاف حول الحدود والمواقع الاستراتيجية. فكان من تقاليد الجيش العراقي إجراء المناورات السنوية على إفتراض هجوم جيش عدو قادم من الشرق من هذه المنطقة. وبهذه الصورة قاد الفريق بكر صدقي مناورات الجيش العراقي في عام 1936 حتى بلغ مشارف بغداد وقام بإنقلابه المعروف. وفي هذه المنطقة يقع مصدر النفط الذي يتمون به قسم من العراق.

ورغم ان مدينة خانقين كردية في الاصل إلا انها اصبحت مع الزمن مركز إختلاط اثني بسبب قدوم الموظفين والعمال العرب إليها، وبسبب قربها من الحدود الإيرانية والتفاعل بين الجماعات الاثنية المختلفة.

ولذا كانت هذه المنطقة بجانبها العراقي والإيراني مجالاً لنشاط الجواسيس والعصابات والمهربين وما يتبع مثل هذه الحال من فساد على مختلف الصور. وقد ضاعف هذه المفاصد الحروب الاهلية الطويلة في كردستان العراق وإستغلال حالة الحرب من قبل إيران خاصة. فكان إجتثاث هذه المفاصد والسهل المتواصل لمكافحة الامراض المتصلة بها امراً لا مناص منه لمنع إمكانات التخريب في هذه المنطقة. ولا بد للإضطلاع بهذا الواجب الجسيم جداً من ايد حكيمة كفوءة مخصصة قادرة على إدراك هذه العلل وضرورة تصفيتها. وبعد إتفاق آذار نشأت مساوى اخرى عن تنافس ممثلي الحزبين الحليفين، حزب البعث والحزب الديموقراطي الكردستاني. وبطبيعة الحال يتراكم المتنافسون من اولئك الإنتهازيين على إكتساب مصادر للقوة من هذا الحزب او ذاك. حتى تطور الوضع وبلغ المجابه والمصادمات منذ اوائل آذار 1971. وكان ذلك إلى جانب ما كان يجري في مناطق اخرى. ولكن نتائجه في هذه المنطقة اخطر لتزامنه مع النشاط الإيراني في شط العرب والخليج الفرسى – العربي.

وفيما يلي صورة لاسلوب معالجة الوضع من قبل الجانبين: في 9 – 2 – 1971 نشرت منظمة الحزب الديموقراطي الكردستاني في خانقين خبر إطلاق النار من قبل احد الجنود على حسين عبد الرحمن التلميذ في الصف الرابع الثانوي – عضو إتحاد طلبة كردستان فرع خانقين. ونشرت مع الخبر صورة التلميذ مقطوع الذراع اليمنى. وفي نيسان 1971 اعلنت المنظمة ان إعتداءً وقع على مقر الحزب في 26/25 من تموز 1971.

وبناءً على ذلك وجه المكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكردستاني بتاريخ 28 – 7 – 1971 برقية إلى جهات عديدة منها اللجنة العليا لشؤون الشمال، لجنة السلام، عزيز شريف. ومما جاء فيها "ان مقرهم تعرض إلى إعتداء غادر بالاسلحة الخفيفة من قبل مجهولين." وطالب بإجراء التحقيق ومعاقبة المعتدين. ثم جرى تبادل البرقيات بين الجانب الحكومي الذي اعتبر الاخبار مفتعلة وإستكرها.

وتكرر الإتهام من قبل الجانب الحكومي بتدبير إعتداءات على مقر حزبهم. وإستمرت برقيات الإتهام والإستتكار من الجانبين.

وفي إجتماع لجنة السلام في 25 - 8 - 1971 بين رئيس اللجنة ان ثمة خلافاً رسمياً بين منظمة الحزب الديموقراطي الكردستاني والسلطات الإيرانية مباشرة في مناطق الحدود. وذكر ان فتاح امين اغا هو المسؤول في حلبجة. وفي إجتماع اللجنة العليا برئاسة صدام حسين في آب 1971 اكد الجانب الحكومي وجود مخططات من الجانب الإيراني لإستئناف القتال. إلا ان ذلك لم ينته بين الجانبين إلى طائل. ففي 22 - 8 - 1971 وزعت لجنة الحزب الديموقراطي الكردستاني في خانقين نشرة مثيرة فيها إدانة صريحة لبعض المسؤولين في الجانب الإداري. وكررت ذكر الإعتداءات التي مر ذكرها على مقر حزبهم وختمت بالخبر الآتي: "واخيراً خططت .... لمذبحة جماعية داخل خانقين .... حيث استغل القائم مقام ومدير الشرطة حادثة مسبقة ... وانزلا كافة قوات الشرطة ... واخذت تطلق النار ... وإستشهد مناضلون ... وجرح آخرون.

طال تبادل الرسائل والبرقيات الشديدة دون جدوى. وفي إجتماع للجنة السلام ونقاش منفعل ذكر ممثلوا الحكومة اسماء بعض المتهمين بالتخريب والعمالة لإيران في الجانب القومي الكردي مثل إسماعيل رشيد الدلو، نوري مجيد، كريم احمد الزهاوي، امين منصور، وخليل اركوازي وكذلك حميد شفي في مندلي. ولم يبد الجانب الحكومي اي إهتمام بالإتهامات الموجه إلى الموظفين بشأن ممارسة اعمال القتل. ولم يجر اي تحقيق بهذا الشأن.

ولقد كان ضعف تقدير الوضع من جانب القيادتين واضح. فمثل هذه الاحداث لا يمكن ان تبقى في مستوى المواقف المتقابلة بين الكوادر الثانوية. ولقد جرى تبادل رسالتين في هذه الفترة بين البارزاني والرئيس البكر. وفي كل منهما ذكر لماًخذ على الطرف الآخر. ولكن الامر لم يكن في حدود المراسلات. إنه تجاوز مستوى ايام بدء المفاوضات الاولى.

في ايلول 1971 إجمعت لجنة السلام بحظور مرتضى الحديثي رئيساً ونعيم حداد من الجانب الحكومي ويوسف ميران من الجانب الكردي. وقد ذكر ممثلاً البعث ان امراً صدر من البارزاني بإسحاب حرس الحدود. وكان الإنسحاب في يومي 5 و 6 ايلول 1971 وبذلك تيسر للقوات الإيرانية إحتلال مخفر زين القوس والإستيلاء على مساحة تقرب من 284 كيلومتراً مربعاً. اما جواب الجانب الكردي على هذا الإتهام فقد نشر في جريدة التآخي على الوجه التالي:

كانت السلطة قد طلبت سرية من الفوج الاول من حرس الحدود للإشتراك مع الجيش والشرطة في حماية الحدود العراقية في منطقة خانقين قبل اكثر من عام. وقد ارسلت السرية فعلاً. واعطيت النقاط الحساسة إلى السرية التي لم تكن تملك سوى البنادق والرشاشات الخفيفة، بالرغم من وجود فرقة من الجيش بكامل اسلحتها. وقد صدرت الاوامر مراراً إلى السرية المذكورة بمهاجمة المواقع الإيرانية. وكانت السرية موافقة على ذلك شريطة ان تشترك معها القطعات العسكرية او ان تدعمها على الاقل

اسلحة الإسناد والدبابات ولكن طلبها كان يرفض دائماً بحجة ان إشتراك الجيش او اسلحته يعني الحرب بين الدولتين. ... ومنذ ذلك الحين كانت السرية المذكورة تعامل معاملة خاصة ولا تعطى الارزاق والعتاد الكاف ولا ينظر إليها كقوة عراقية، وكأن قيامها بالهجوم الإنتحاري هو الذي يعطيها صك الإخلاص والوطنية. ... ولقد بلغ الوضع بالسرية هذه حداً لا يطاق من حيث الإهانات وقطع الإجازات عن افرادها. وبعد حادثة خانقين التي قتل خلالها إثنان من اعضاء حزبنا وجرح عدد آخر، طلبت السرية تبديل مكانها بسرية اخرى خوفاً على حياة افرادها. إلا ان المسؤولين رفضوا طلبها، مما حدى بالسرية إلى إخبار السلطات بانها ستترك مواقعها وأعطتها الفرصة الكافية لوضع سرية اخرى في مكانها، ولكنها لم تفعل كما لم تحرك القطعات العسكرية الموجودة لإحتلال مواقع هذه السرية لعدم إفساح المجال للقوات الإيرانية للتقدم، إلا بعد عدة ايام.

وفي 21 - 9 - 1971 ارسل الموظف الفني في لجنة السلام برقية سرية وفورية إلى مجلس قيادة الثورة وجهات عديدة جاء فيها ... "ننقل لكم فيما يلي برقية اعضاء اللجنة المركزية والهيئة الإستشارية في بغداد المورخة 21 - 9 - 1971 المعنونة إلى السيد البارزاني: "اعلمنا الاخ صدام صباح هذا اليوم ان مسلحين من الحزب الديموقراطي الكردستاني هاجموا مخفر بلجفت يوم امس في منطقة قورة تو على اثر إلتجاء عريف إيراني إلى المخفر المذكور. وقد اسفر الحدث عن مقتل اربعة من افراد الشرطة وجرح ثمانية آخريي واسر المعاون وثلاثة افراد آخرين. وقد ساهم الحادث في تأزيم الوضع في خانقين وبغداد. وقد سافرت لجنة ظهر هذا اليوم إلى خانقين من الإخوان فؤاد عارف وإحسان شيرزاد ونافذ خلال وعزيز عقراوي ويوسف ميران ونعيم حداد للتحقيق في الموضوع. سافرت إلى مقر البارزاني وتلاحق الوزراء الكرد وبعض المسؤولين الآخرين في الحزب الديموقراطي الكردستاني. وكما جرت عادة البارزاني مراراً أشركني في إجتماعهم لمعالجة الموضوع، رغم التتويهاات بضرورة عقد الإجتماع بدوني من قبل احد مسؤولي الحزب.

وبعد مناقشات طويلة توصلنا إلى الرأي بأن الامر قد تجاوز كل مجال للمفاوضات والروتين في التحقيق وما إلى ذلك. وإنما هو إنفجار كبير تبع إنفجارات وستتبعه اخرى. فعلى قيادة البارزاني ان تبادر إلى معالجة ما يمكن معالجته من جانب واحد. دون توقف على موقف الجانب الحكومي. فإتخذنا القرار التالي نصه:

نحن الموقعين ادناه المجتمعين في حجي عمران برئاسة السيد مصطفى البارزاني قد اقلقنا  
تردي العلاقات بين الحركة القومية الكردية والحكومة ، وخطورة الوضع ، وبالرغم من ان  
السلبيات التي نشأت من جانب ممثلي الحكومة واجهتها تتحمل قسطا من مسؤولية هذا التردي،  
فقد قررنا اتخاذ الاجراءات التالية من جانب واحد ( جانب القومية الكردية ) :  
اولا - رفع جميع السلبيات الصادرة من قبل المنتسبين الى الحركة القومية الكردية .  
ثانيا - شجب مبدأ استعمال القوة ومنع ذلك من جانب المنتسبين الي الحركة القومية الكردية .  
الا في حالة الدفاع عن الذات . ولا يجوز تبرير استعمال القوة في محل ما بناء على  
استعمالها من الجانب الاخر في محل آخر .

ثالثا - التجنب المطلق لكل احتكاك بالقوات الحكومية المسلحة .  
رابعا - فسح المجال التام لقيام السلطة بواجباتها في جميع المناطق . وفي ضمن ذلك التعاون  
مع السلطات الكمركية في ممارسة اعمالها في جميع النقاط والمخافر ، وكذلك ممارسة  
السلطة اعمالها في مناطق الحدود ومخافر الحدود دون أي تدخل من أي كان .  
خامسا - الاحترام المطلق لسيادة القانون والامتناع التام عن التدخل في شؤون السلطة او  
عرقلتها عن ممارسة اعمالها .

سادسا : ينبغي منع كل تعاون مع ايران في أي مجال كان وندين بحزم المسؤولين عن حادث بله  
جفت ومضاعفاته . ونعمل بجد لمنع تكرار امثاله في المستقبل .  
سابعا : (أ) اجراء تحقيق مشترك في هذا الحادث ، وتوقيف كل من اسماعيل رشيد دلو ، ونوري  
مجيد ، وكريم احمد الزهاوي ، وامين منصور ، لغرض التحقيق معهم ومعاقبة من يـدـان  
منهم بنتيجة التحقيق .

(ب) سمب جليل فيلي ورفع يده كليا من مسؤولية لجنة محلية خانقين .  
(ج) يمنع كل تجمع او تجول بالسلح في كافة ارجاء المنطقة .  
(د) تكليف عزيز شريف وعزيز عقراوي واسماعيل عزيز ورشيد سندي بالعمل على اعادة  
الايضاع الطبيعية الى المنطقة واعادة التعاون مع السلطة على ان يبقى الثلاثة الاخرون  
في قيادة لجنة محلية خانقين ريثما يعيد الفرع الخامس تنظيم قيادة هذه اللجنة .  
ثامنا : (أ) تقرر اختيار الاشخاص التالية اسماؤهم باعتبارهم لجنة متابعة لتنفيذ هذه القرارات .  
عزيز شريف - فؤاد عارف - حبيب محمد كزيم - دكتور محمود - عزيز عقراوي - ادريس  
البارزاني - مسعود البارزاني .

(ب) تجتمع هذه اللجنة تحت اشراف السيد مصطفى البارزاني لتحديد المسائل الاساسية مرة  
في الشهر ويجتمع اكثرية اعضائها اجتماعات عملية في مناطق اخرى لمواصلة تنفيذ



اعمالها الاعتيادية .

تاسعا : يعقد اجتماع موسع لا يقل عن مرة في الشهر من لجنة المتابعة والمكتب السياسي وممثلين عن الهيئة الاستشارية ومن تقتضي الحاجة اضافتهم .

عاشرا : هذه أهم النقاط التي اقتضت معالجتها بصورة عاجلة . وينبغي مواصلة العمل لكشف وازالة جميع السلبيات والعقبات التي تعرقل التعاون على المضي في طريق أذار التاريخي . وبالنظر الى النشاط التأمري ضد استقلال العراق وضد الاستقرار فيه فينبغي التعاون مع السلطة وسائر القوى الوطنية لكشف واحباط كل محاولات التامر والتخريب .

كتب في حجي عمران في ٢٤ ايلول ١٩٧١ التواقيع

|                 |                   |                 |                      |            |
|-----------------|-------------------|-----------------|----------------------|------------|
| مصطفى البارزاني | عزير شريف         | فؤاد عارف       | احسان شيرزاد         | نوري شاويس |
| نافذ جلال       | دكتور محمود عثمان | صالح اليوسفي    | محمد محمودعبد الرحمن |            |
| عزير عقراوي     | ادريس البارزاني   | مسعود البارزاني | دارا توفيق           | يوسف ميران |

لو كان الامر يتعلق بالحزبين المتنافسين لأعتبرت نفسي فضولياً في هذا، ولكن المسألة وطنية وقد قدرت انها خطيرة جداً. وقد كشفت هذه الخطورة الاحداث اللاحقة.

في اليوم ذاته سافرنا انا وعزير عقراوي إلى خانقين وكان شديد الحماس ضد مخالفات ممثلي الحزب الديموقراطي الكردستاني. وصلنا متأخرين عن وقت الدوام الرسمي، فلم نستطيع مقابلة ممثلي الإدارة. فعدنا إلى بغداد وحررت في الحال تقريراً مؤرخاً في اليوم ذاته إلى كل من الرئيس ونائب الرئيس – رئيس الهيئة العليا لشؤون الشمال، مرفقاً بهما قرار إجتماع حاجي عمران. وبينت تقديري للوضع ولنتائج الإجتماع وضرورة مواصلة العمل للخروج من المأزق، ومما جاء فيه:

1 – إني ارى القرارات التي إتخذها إخواننا الاكراد بهذا الخصوص (وبمشاركتي معهم) لها اهمية كبيرة للشعب، ذلك انها جاءت في وقت بلوغ ازمة الثقة إلى ما يقرب من الصفر. وبعد حوادث خانقين، وخصوصاً بعد حادث الهجوم على مخفر بله جفت، إذ لم يبقى اي مخرج من هذه الازمة بطريق اللقاءات والتفاوض على ما حدث في الماضي. ولذا فقد كان المخرج الوحيد من هذه الازمة هو إتخاذ موقف إيجابي من جانب واحد. دون إنتظار موقف الجانب الآخر وهذا ما فعلوه.

2 – لقد جاءت هذه القرارات تعبيراً عن إتفاق جماعي محدد بوضوح وبصورة تحريرية كما حددت وسائل تنفيذها. فهي تختلف كلياً عن ميوعة القرارات الشفوية والفردية.

3 – لأ يساور احد الشك في عدم إمكان تطبيقها. واني لأرى في هذا الخصوص ما يلي.

أ – إن هذه القرارات عبارة عن وثيقة للنضال وعلامة واضحة للطريق الذي ينبغي ان تسير فيه الحركة القومية الكردية في علائقتها مع السلطة الوطنية.

ب – إن هذه القرارات لا تشمل كل ما ينبغي عمله، ولذلك اشير في ختامها أنها "اهم النقاط التي إقتضت معالجتها بصورة عاجلة." وينبغي مواصلة العمل لكشف وإزالة جميع السلبيات والعقبات التي تعرقل التعاون على المضي في طريق آذار التاريخي.

ج – إن هذه القرارات تكشف بوضوح عن إدراك الذين إتخذوها للمسؤولية الوطنية في ضرورة اليقظة ضد المؤامرات والنشاطات التي تهدف إلى زعزعة إستقلال وطننا او زعزعة الإستقرار فيه على ما جاء في ختامها.

وختاماً إذ أؤيد ما اشار إليه إخواننا الاكراد عن ضرورة اليقظة ضد المؤامرات والنشاطات الهادفة إلى زعزعة إستقلال وطننا والإستقرار فيه. ارى إن هذه المؤامرات والنشاطات إنما تجد اهم مجال لها في تفكك الصف – الوطني، وفي نمو التذمر لدى هذا الفريق او ذلك.

وفي اليوم التالي 25 – 9 – 1971 واصل عزيز عقراوي المتابعة ومعه إسماعيل ملا عزيز. ومما جاء في رسالة وجهها إليي عزيز عقراوي بتأريخ لاحق انه إتصل بالمسؤولين البعثيين في الحكومة المحلية ومنظمة الحزب. وتم التفاهم معهم ... وقال انه واصل السفر إلى فوج حرس الحدود وركز على تنفيذ قرارات يوم 24 – 9 – 1971. وقد أبعاد جليل فيلي من اللجنة المحلية وكذلك تم توقيف إسماعيل رشيد وباقي المسؤولين عن حادثة بله جفت وسوجوبلاق في طويلة وفوج حرس الحدود. وقبل ان اوصل عرض ما جاء في رسالة عزيز عقراوي حسب التسلسل الزمني للحوادث التي ذكرها اذكر:

إن الستار قد رفع عن مشهد خطير هز الرأي العام العراقي وخرب العلاق كلياً بين الحكومة والحركة القومية الكردية، إذ نفذت المؤامرة لقتل البارزاني في يوم 29 ايلول 1971. أي بعد خمسة ايام فحسب من إجتماع حاجي عمران. وسيأتي الحديث عن هذا.

وذكر عزيز عقراوي في رسالته ان 14 شخصاً إعتقلوا في 29 و 30 ايلول 1971. كما ذكر في ملحقها امثلة على مواصلة السلطة المحلية ومنظمة حزب البعث على اعمال مسيئة إلى المواطنين الكرد والحزب الديموقراطي الكردستاني.

وفي 10 – 10 – 1971 نشر الحزب قائمة بإسماء عمال وموظفين جرت ضدهم تعقيبات او عقوبات وذكر اسماء 60 شخصاً إعتقلوا بحجة كونهم لم يكتسبوا الجنسية ائلعراقية (تحت يدي اصل الرسالة مع اسماء الذين إتخذت ضدهم الإجراءات.)

فلم يكن على اي سلطة مسؤولة في بلد ما ان تهمل معاقبة المسؤولين عن حوالب في مثل هذا المستوى من الخطر. وان لا تتخذ التدابير الإحتياطية لمنع تكرارها. ولكن الإتجاه الذي اخذته تلك الإجراءات كان شيئاً آخر. فالخطأ الاول هو تجاهل الحكومة للموقف الجاد الذي اسفر عنه إجتماع حاجي عمران في 24 – 9 – 1971. وللملاحقة العاجلة التي قام بها من عينهم لمتابعة تنفيذه. فلقد كانت تلك فرصة ثمينة لوقف التدهور، او على الاقل لإمتحان صدق العزم على وقف التدهور في

محمل العلاقات بين السلطة والقيادة الكردية، ولملاحقة المسيئين بالمشاركة مع القيادة الكردية، وبخاصة إمتحان إمكان وضع حد للعلاقات التخريبية مع ايران. فلم يكن خافياً على من إجتمعوا في حاجي عمران ان احداث خانقين بلغت في وقتها أخطر ازمة في العلاقات بين الجانبين وفي تأثيرها في موضوع الإستقلال الوطني. وقد شخص قراراهم هذا الواقع دون مؤاربة.

اما الخطأ الاكبر فهو إتخاذ تلك الإجراءات اسلوب العداة والتمييز العنصري. فما كان لها إلا ان تسكب وقوداً على الوضع المتفجر. اما الخطأ الاكبر وهو يشمل الجانبين الحكومي والقومي الكردي معاً، فهو عدم إدراك ومعالجة احداث منطقة خانقين بكونها جزءاً من مسألة وطنية اشمل لا يجوز ولا يمكن ان تعالج في حدود التحالف او الصراع بين الحزبين. إنها لم تكن إلا جزءاً – وإن كان خطيراً جداً – من قضية اوسع شمولاً. فينبغي ان تعالج بإستهناض وطني، وحتى فيما يتعلق بملاحقة من تتقصهم او لا تتقصهم وثنائك الجنسية، فإذا تكون من منطلق السلامة الوطنية وبالإستناد إلى قناعة القوى الوطنية او هيئة ديموقراطية ستكون عامل رضى من الجميع.

وعلى سبيل المثال لا الحصر إذا كانت الحكومة تعلن عن رغبتها في إقامة الجبهة الوطنية وكانت للحزب الشيوعي جذور قديمة في تلك المنطقة، فقد كان ينبغي ان يشمل الإستهناض الوطني الحزب الشيوعي اليشارك بهذا الواجب. على ان فصول الدراما كانت تجري على المسرح بصورة أخرى. فمن قبل احداث خانقين نشطت الزوارق المسلحة الإيرانية تجوب شط العرب في مظاهرة للتحدي. وذلك بناء على قرار منفرد سابق من الشاه محمد بهلوي بإلغاء إتفاق شط العرب لعام 1937. لأنه لم يكتف بالتنازل الذي فرض على العراق بذلك الإتفاق حسب مطامع والده رضا شاه بهلوي. وبضغط من الحكومة البريطانية. وفي 20 تشرين الثاني 1971 – اي بعد اقل من شهرين من حادث زين القوس وشهر واحد من محاولة إغتيال البارزاني اعلن الشاه محمد رضا بهلوي إستيلاء قواته على جزر الخليج الثالث: طناب الكبرى وطناب الصغرى وأبو موسى.

### احداث النزاع في جبل ومدينة سنجار وبالارتباط بها في قضاء شيخان

تدخل هذه الحوادث ضمن تردي العلاقات بين الحكومة وقيادة البارزاني، وقد تفاقمت مع تفاقم التردي. اخذت النزاعات تبرز منذ الوائل عام 1971 حتى بلغت اوج الازمة بقتل قائم مقام سنجار في تموز 1972 وقد توازت زمنياً مع الاحداث الاخرى المذكورة ادناه:

- احداث كله كين منذ اواخر 1970 حتى نيسان 1971. وقد إنتقلت إلى منطقة عقرة من ايار 1971.
- احداث خانقين وقد برزت في آذار 1971 حتى ازمة ايلول 1971.
- محاولة إغتيال البارزاني الاولي ايلول 1971.

## حوادث سنجار

يقع جبل سنجار في شمالي غربي العراق، ويشرف على المنحدرات المطلّة على وادي الحدود العراقية – السورية – التركية. فلهذا الجبل في نظر الحكومة المركزية أهمية متعددة الجوانب، فغير بعيد منه تقع منطقة نفط عين زالة، وقد سبق ان تم تغيير بعض منشآتها النفطية في زمن الحرب قبل إتفاق آذار 1970. وحسب منطق التناقض الإقليمي بين النظامين الحاكمين في سورية والعراق لهذا الجبل اهميته الاستراتيجية.

ونظراً على الأهمية التي تعلقها على موقع جبل سنجار، وفي مجرى سياسة تقليص المناطق الكردية التي يطالب الجانب الكردي بشمولها بالحكم الذاتي، لجأت الحكومة إلى ذريعتين لتطبيق هذه السياسة. اولهما: الفاصل الجغرافي، بين سكان سنجار الأزيديين والمناطق الكردية الأخرى التي يسكنها الكرد او تسكنها كثرة كردية. إذ تمتد إلى هذه الفاصل ديار قبيلة شمر العربية. اما الذريعة الثانية فهي إختلاف العقيدة الدينية. فبينما تدين كثرة الكرد في المنطقة بالدين الإسلامي على مذهب الإمام الشافعي، بإستثناء جماعة (الشكاك) بدين الأزيديية.

فديانتهم بالتعبير السياسي القديم، إحدى الديانات (الباطنية)، اي السرية التي لا يستطيعون إعلان اسرارها في ظروف التعصب الديني المتوارثة. وفي الواقع ان سكان سنجار منفصلون جغرافياً عن مركز قياداتهم الدينية في عين سفني منطقة شيخان. ولذا فإن أحداث سنجار وأحداث شيخان تتجاوب التأثير والتأثر.

ورغم إنتماء الأزيديية العقائدي الإنعزالي الذي كان تشدهم في الماضي حول القيادة الدينية يشد بعضهم إلى بعض، كان التطور يعمل في تفكك هذه الرابطة. ويحل محلها الصراع بين العوائل المتنفذة ويتبع هذا الصراع الخلافات بين سكان القرى الفلاحين، حسب تبعيتهم إلى تلك الزعامات المتصارعة. وقد عمقت هذه الصراعات حروب كردستان بسبب تجنيد الحكومة المرتزقة من بعض الزعماء ولجوء الزعماء المعادين لهؤلاء المعادين إلى الجبهة المضادة اي إلى القيادة القومية الكردية.

ولكن تطوراً آخر، احدث كان يجري إلى جانب التفكك والتناحر بين الزعامات العائلية. فقد اخذت الافكار القومية الكردية تنمو بين بعض السكان. فطلاب المدارس كانت كثرتهم قومية، على قلة عددهم. بل ان الوعي القومي اخذ يسري بصورة محدودة إلى غير المثقفين. أذكر انني في سفرتي الاولى من كردستان إلى سوريا في نيسان – ايار 1966 انه كان من بين القوة المسلحة من البيشمركة التي تحرسني ايزيدي من سنجار. وقد بين لي انه كان يملك قطعاً من الغنم 400 رأس، وقد فقده بسبب إنتمائه إلى الثورة وإستيلاء الجاش وقوات الحكومة عليها.

ومنذ آذار 1970 اخذ الصراع الداخلي والنزاع بين العوائل يتخذ طابعاً رسمياً (حزبياً). فأخذ ممثلوا حزب البعث يفتشون عن من يضمونهم إلى حزب البعث، فينظم إليهم من يجدون في هذا الحزب قوة ضد خصومهم. وبالمقابل كان ممثلوا الحزب الديموقراطي الكردستاني يسعون إلى كسب حزبيين

فيجدونهم في خصوم من إنظموا إلى البعث. وكان غرض هؤلاء أيضاً إيجاد قوة في الحزب الديمقراطي الكردستاني ضد خصومهم. وكان يبدو لكل من البعث والحزب الديمقراطي الكردستاني انه يربح قوة بين أولئك المنظمين، بينما كان الامر فيما رأته آنئذ على الضد من ذلك. فالعوائل المتخاصمة كانت هي التي تستغل سلطة البعث وقوة الحزب الديمقراطي الكردستاني في خصوماتها، فكان الحزبان ادوات جديدة في تلك النزاعات. اما الخاسر الاعظم فهم الفلاحون الذين كانوا وقود الحرب وكانت نتائجها خراب القرى التي يعيشون من كدحهم فيها.

وكان لعواقب إتفاق آذار والصراع بين البعث والحزب الديمقراطي الكردستاني سبب آخر لتعميق النزاعات. ذلك هو وصول لجان الإصلاح الزراعي إلى المنطقة والتحقيق عن اي الاراضي تعود إلى هذه القرية او تلك. فكان ذلك من الاسباب المباشرة لتصادم الولاء والإحتكاك بين سكان القرى. فمجال الإصلاح الزراعي في المنطقة الكردية يختلف عنه في وسط العراق وجنوبه، إذ كان ثمة مجال لتحديد السقف الاعلى للملكية وتجزئة المقاطعات الشاسعة ونشوء الرأسمالية الزراعية — حسب الإجراءات اللاحقة التي إتخذت هناك.

اما في المنطقة الكردية حيث المساحات محدودة (باستثناء عدد من السهول) وحيث زعزعت الحرب مسكن التجمعات القبلية وشبه القبلية فقد تقرر نظرياً أن يهدف الإصلاح الزراعي إلى إعادة إسكان تلك القرى في مواطنهم الاصلية ما كان إلى ذلك سبيلاً، او إسكان من لا يمكن عودتهم او ليس لهم اراضي كافية في مناطق اخرى حيث يوجد مجال لإسكانهم. ولكن ذلك طبق في الواقع تطبيقاً سياسياً لعبت فيه دوراً هاماً الحظوة الاولى لدى ممثلي حزب البعث والموظفين. فكان عنصراً هاماً من اسباب التوتر والصدامات المسلحة (أنظر تفصيل هذا الموضوع في احداث عقرة اللاحقة).

تزايدت حدة الصراعات منذ اوائل عام 1971، حتى كان اول إنفجار معترف به في 21 — 4 — 1871. إذ وجه مقر البارزاني برقية إلى لجنة السلام ومجلس قيادة الثورة و عزيز شريف جاء فيها: قام اتباع عمر داود الداودي في سنجار بتطويق قرية زورافا مساء يوم 19 — 4 واطلقوا النار على اعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني اسفر الحادث عن مقتل احد اعضاء الحزب وتشردت بعض العوائل. يرجى الإيعاز بمعاينة الفاعلين ووضع حد لهذه الإستفزازات المتكررة ضد منتسبي حزبنا هناك ووضع حد لهؤلاء الحاقدين المسيئين إلى بيان 11 آذار.

فصدرت إستجابة برقية عاجلة من لجنة السلام إلى مجلس قيادة الثورة وعزيز شريف أعيد فيها نص برقية مقر البارزاني بخصوص الإعتداء وختمت بالقرار بأن تشكل لجنة براسة وعضوية ممثل عن كل من حزب البعث العربي الإشتراكي الحزب الديمقراطي الكردستاني للتحقيق في الموضوع تطلب إتخاذ الإجراءات الرادعة بحق كل من تثبت إساءته لبيان آذار التاريخي وتعكير صفو الامن والإستقرار.

في اليوم التالي سافرت إلى سنجار فوجدت لجنة إدارية قد سبقتمني كان محافظ نينوى قد امر بتأليفها من قائم مقام القضاء وعضوية حاكم القضاء ومدير شرطته وممثل عن كل من حزب البعث والحزب الديمقراطي الكردستاني. وقد دخلت اللجنة في تفاصيل لم تنته إلى طائل. فقررنا ان الخلاف داخلي بين فريقين كل منهما منتم إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني. ولم يوقع ممثل الحزب الديمقراطي الكردستاني على المحضر. وإنما ابقيت قوة في المنطقة ريثما يجري تحقيق قضائي لاحق.

هكذا كان تأليف هذه اللجنة وسبق مداخلتها عملاً مضاداً لقرار رئيس لجنة السلام. فقد قامت بعمل تشويشي بدلاً من ان يساعد على إيضاح اسباب الحادث او وضع خطة لحل إداري سليم. فلم يبقى امامي مجال إذ وجدت في القرية إنقساماً كاملاً. فمن يعتبرون تابعين إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني اشاروا إلى بركة من الدم امام دار القتل. وقالوا ان الأعداء هاجموا داره فخرج إليهم فقتلوه. وأشار من يعتبرون من البعث إلى بقعة من الدم في منطقتهم. وقالوا ان القتل وعصابة معه قد هاجموا هذه المنطقة وبنتيجة المقابلة سقط القتل. وأشاروا إلى خط من قطرات الدم متجه من موقع بقعة الدم نحو الطرف الذي تقع فيه دار القتل. ولم يذكر أي من الجانبين اسماء المشتركين فيما سمي بالهجوم او الدفاع. ورغم ما في هذا التصوير من محاولة للتضليل، إلا انه كان تكديباً واضحاً لما قرره اللجنة التي افها محافظ نينوى بزعمها ان النزاع كان بين المنتمين إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني انفسهم.

هكذا إستمرت الخلافات تتفاقم حتى إنتهت إلى إنفجار واسع في تموز وآب 1971. واستعمل الجيش المدفعية ضد السكان. وإذ تكدست المتفجرات كانت الشرارة الاولى بالنسبة إلى مدينة سنجار عمل طائش من شرطي الامن المدعوا عدنان. فقد جاء إلى المدينة بعض الطلاب الكرد في مناسبة العطلة الدراسية. وكان في ضيافتهم طلاب كرد سوريين ممن يدرسون في معاهد العراق. وكان محض وجود هؤلاء السوريين في معاهد العراق دلالة على انهم ليسوا من انصار السلطة في سورية. إلا ان شرطي الامن المدعوا عدنان حاول اخذهم عنوة من احد المقاهي بحجة الإستجواب. فإمتنع زملائهم عن تسليمهم، فاطلق من مسدسه طلقات للتخويف. فإستفز ذلك من كانوا في المقهى. وصار تبادل إطلاق النار في المقهى اولاً. فهرب الشرطي وهو يطلق النار في الهواء ويستجد بقوة الحكومة. واخذت النار تطلق من كل الاطراف من اسطح الدور وفي الشوارع. وكان ممثل حزب البعث في داره فخرج وبيده رشاش. وصار يطلق النار في الهواء بإتجاه الناس دون تمييز.

في فترة لاحقة حصل إدعاء بأن جماعة الحزب الديمقراطي الكردستاني متهمون بإطلاق النار على دار القائم مقام. وكانت دار القائم مقام محاطة بجدار عالي فهي شبيهة بالحصن. سافرت وتداولت الرأي مع القائم مقام حول من له مصلحة بإطلاق النار. وإستقر رأي بأن ليس للبعثيين ولا لمنتسبي الحزب الديمقراطي الكردستاني اية مصلحة بهذا الإستفزاز، وإنما ينبغي ان يكون شرطي الامن عدنان الوحيد ذي المصلحة بهذا التشويش. ولم يعارض القائم مقام رأيي. فقدمت إلى رئيس الجمهورية

تقريراً بمجمل ملاحظاتي. وإقترحت نقل عدنان ولكنه لم ينقل. ولم يدرك المسؤولون ان نشاطه كان عاملاً إضافياً لعزلة السلطة.

وفي تلك الفترة من تموز وآب إنتشرت المصادمات المسلحة بين العوائل المنتمية إلى جبهة البعث وخصومها من العوائل المنتمية إلى جبهة الحزب الديمقراطي الكردستاني، والافضل ان نقول المتناحرة تحت مظلتي الحزبين. وأدت إلى تدخل الجيش وقصف بعض القرى ومنها قرية زوراف، فضلاً عن سبق إطلاق النار بكثافة في مدينة سنجار. فأصدر مرتضى الحديثي (رئيس لجنة السلام) قراراً في 9 آب 1971 نص على ما يلي:

تشكل لجنة تحقيقية على الشكل الآتي:

- 1 – السيد تايه عبد الكريم عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الإشتراكي.
- ب – السيد دارا توفيق عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني.
- ج – السيد عزيز شريف عضو لجنة السلام.

2 – تسافر اللجنة آنفة الذكرالى نينوى مساء يوم الاثنين الموافق 9 – 8 – 1971 وتباشر بعملها وعلى ان تقدم نتائج تحقيقاتها باسرع وقت ممكن.

هبطت بنا الطائرة العمودية في سنجار في منطقة حامية الجيش وكان معنا محافظ نينوى خالد عبد الحليم وممثلا الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب البعث في نينوى. وجدنا ان الجيش قد انتشر حول المدينة واتخذ مواضع استعداد كما يجري في الحرب. وكان خديدة بيبي ( زعيم الموالين الى الحزب الديمقراطي الكردستاني) قد تحصن مع جماعته المسلحين في حصن خارج مدينة سنجار.

طلبت من تايه عبد الكريم ودارا توفيق ان نذهب معاً الى القلعة بسيارة حاملين راية بيضاء لاعلام المتحصنين باننا لانريد بهم سوءاً فاعتذرا. ذهبت بمفردي حاملا راية بيضاء وطلبت منهم فتح باب القلعة. فتح الباب ولم ينزل آلي احد وانما طلبوا الي الدخول ، دخلت وقلت لهم " أنا عزيز شريف وان البارزاني يعتمد علي" ولم اكن اعلم ان كانوا قد سمعوا باسم شخص اسمه عزيز شريف أم لم يسمعوا." الا ان الكيفية التي وصلت بها اليهم والطريقة التي القيت بها كلمتي حملتهم على الاصغاء باهتمام. وقلت " انا اطلب اليكم باسم البارزاني ترك الحصن والعودة الى بيوتكم ، وكل شئ سيتم بسلام." عدت وطلبت أمر الحمية برفع الحصار.

**تقرير اللجنة:** ذكر قرار اللجنة انها استمعت الى اقوال القائم مقام والحاكم والمسؤولين حول حوادث اطلاق النار في مساء 7/6 و 7 / 8 من آب 1971. وزارت مركز الحزبين. وتلقت من ممثل البعث قائمة بعدد من شكاواه، وقائمة من ممثل الحزب الديمقراطي الكردستاني بعدد من شكاواه. وخولت حاكم التحقيق باجراء تحقيق عن حوادث اطلاق النار الى جانب الحوادث الاخرى التي ذكرت في

قائمة الحزبيين. ولاحظت ان سبب وقوع مثل هذه الحوادث انقطاع الاجتماعات بين ممثلي الحزبيين. واوصيت باستئناف الاجتماعات وتكثيف الجهود وتعاون الحزبيين من اجل ترسيخ وتعميق مفاهيم آذار. وقد قدمت اليها قائمة باسماء 29 شخصا قيل انهم اشتركوا في اطلاق النار. واضح ان اللجنة لم تذهب الى جذور الازمة لبيان الطريق الى معالجتها. فكان قرارها قرار مصالحه سطحية بين ممثلي الحزبيين. ولم تكن اللجنة في وضع تستطيع فيه معالجة الازمة التي اتسعت فشملت اقضية ستجار وشيخان وعقرة. فليس للجنة عابرة ان تضطلع بهذه المهمة على ما ستري.

### قتل قائم مقام سنجان في 3 - 7 - 1972

مع تفاقم المجابهات في مناطق عقرة وسنجان والشيخان ذهبنا إلى الموصل انا وعبداخالق السامرائي. وكما تم التنويه عنه في موضوع عقرة كان معنا عامر عبدالله بتكليف من السلطة. فنصحت عامر عبدالله بأن لايشترك في عملنا. فقدر رأي وعاد إلى بغداد. بقيت وعبداخالق السامرائي واتخذنا مقراً لنا في فندق الإدارة المحلية، وفي محل آخر يجري الحديث حول تعاوننا بالنسبة إلى مشاكل عقرة. وبينما كنا نمارس عملنا ونجري مقابلات مع المتنازعين يأتونا من مختلف انحاء المنطقة حدث قتل قائم مقام سنجان في 3 - 7 - 1972 فكان ذلك إحدى ابرز قمم الازمة في العلائق البعثية الكردية. وقد تلقى عبداخالق السامرائي برفقة من مجلس قيادة الثورة خول بها صلاحيات المجلس بكل ما يتعلق بالموضوع. فبينت لعبداخالق السامرائي "ان هذا التحويل بالنسبة إلى شخصك إمتحان ومسؤولية تاريخية. فإن انت أطلقت للاجهزة الحكومية العنان فستكون هذه الحادثة منطلقاً تخريبياً سيقضي على كل ما حاولنا بناءه، وسيؤخذ كثير من الابرياء بالظن والشبه، وحتى بالإننتقام الشخصي او بأي سبب مختلق آخر."

وبقدر ما تعرفت عن مجرى التعقيب والتحقيق قد حاول عبداخالق كبح جماح المندفعين وراء الإنتقام العشوائي قدر ما إستطاع بحدود دوره في حصر التحقيق عن القائمين بالعملية والمشاركين فيها. وكان ما فعل اكثر ما يتحمله حزبه. اما تحرك الجيش على القرى التي إعتبرها وكلاء السلطة ذات علاقة بالحادث والاعمال الإنتقامية العشوائية، فكانت تلك خارج نطاق عمله.

### رد فعل الحادث لدى الجانب الكردي

ارسل البارزاني البرقية التالية:

سيادة رئيس الجمهورية المهيب احمد حسن البكر المحترم

من مصطفى البارزاني ..... العدد 4 - ت - 5 - 7 - 1972

تلقينا بأسف بالغ قتل المرحوم غانم احمد قائم مقام سنجان. إن القضية بأجمعها غامضة لدينا ولا علم لأحد مسؤولي حزبنا في المنطقة او خارجها بالحادث او ظروفه او اولياته. قبل ان يباشر بالتحقيق



وجهت القضية ضد جماعتنا وأُحرقت قرية (كدرى) وأُرسلت قطعات إضافية من الجيش من الموصل إلى سنجار في موم 4 - 7 - 1972. نحن نخشى من الإصطدام على نطاق واسع في المنطقة وان يستغل طائش ومدسوس الظروف وتمتد يد التخريب إلى حرق الزرع في المنطقة وإلحاق خسائر فادحة بالفقراء والمساكين. إننا على إستعداد تام للتعازن التام لكشف المذنبين ليأخذوا قصاصهم العادل. يرجى الامر بإيقاف العمليات العسكرية وإرسال السادة محمد محمود عبد الحمن ونافذ جلال إلى الموصل للإلتحاق بالسادة عبد الخالق السمرائي وعزيز شريف بغية حصر القضية في إطارها وحلها وفق العدل.

وجائنتي في الوقت ذاته رسيالة شخصية من صالح اليوسفي في الإتجاه ذاته الذي حررت به رسالة البارزاني. ومما جاء فيها "يؤسفنا ويؤلمنا جداً احداث سنجار. وان مثل هذه الحادثة المؤلمة وما تقدمها من روح الجفاء والتوتر فتح المجال للمغرضين ... " وطالب اليوسفي بالبحث عن مقدمات الجريمة وفعاليتها بتأن.

لقد كان هذا الموقف الذي اعربت عنه القيادة الكردية هو الإتجاه الوحيد المساعد على البحث عن المسؤولين عن الجريمة مع الحفاظ على ما امكن من العلائق الإيجابية، وربما لإعادة بنائها لم وجدت الاعين البصيرة.

ولكن إجراءات الحكومة إتخذت وجهة أخرى: لقد اشرت إلى حملة الجيش الإنتقامية على القرى التي يشتبه ان فيها من يعتبرون معادين للحكومة، او خصوماً للموالين. ورغم الموقف الهادئ الثمين جداً الذي وقفه عبد الخالق السامرائي وبيده صلاحيات مجلس قيادة الثورة، إلا ان الطوفان تجاوز حدود عبدالخالق. لقد اتخذت الاجهزة التي أنيط بها التحقيق ووجهة إجراء التعقيبات ضد كل من يعتقد انه غير موال للحكومة ... دون تمييز بين من يعقل ان له إتصال بالحدث او قرب من وقوعه، وبين من هو بعيد جداً.

وبأيدينا قائمة بأسماء ستة وخمسين شخصاً إعتبرتهم الحكومة متهمين بقضية قتل القائم مقام. وفي مقدمة القائمة خديدة بيبي وهو إقطاعي وأكبر زعيم مؤيد للقيادة الكردية في جبل سنجار ضد الزعماء المؤيدين للحكومة. وقد شملت القائمة على السنجاري مسؤول منظمة نينوى وعيسى سوار وأسعد خوشي ومحمد حاجي. والخليط واضح في حشر هذه الاسماء. فعلى سبيل المثال إن عيسى سوار كان مسؤول القيادة الكردية في منطقة زاخو. والدعوى بكون خديدة بيبي إقطاعي، فإن حزب البعث تمسك بعوائل إقطاعية مثل عائلة الشيخ خلف وعائلة حمو شرو اللتين يذكران انها كانتا تتناوبان المقعد النيابي في العهد الملكي. وكذلك عائلة شيخ خضر وعائلة داوود الداوود. وهكذا نرى ان إحتضان الحكومة هذه العوائل الإقطاعية الاعرق رجعية يفسد إدعائها بأنها تعادي خديدة بسبب كونه إقطاعياً. وفي الواقع ان إحتضان هؤلاء الإقطاعيين من اي طرف إنما يتم على حساب الفلاحين.

اما فيما يتعلق بعلي سنجاري، فالموضوع بحسب معرفتي دون تأييد او نفي لعلاقته بالحادث إنما هو كان عنصراً سلبياً في معالجة المشاكل التي كانت تنشأ بين الجانبين. ولكن يشاركه في هذا الذنب عناصر سلبية بين ممثلي حزب البعث أيضاً.

ومن المؤسف ان السلطة لم تواصل البحث لإجلاء الحادث وكيفية وقوعه ومن هم المسؤولين. إذ انها لم تلتق إستجابة لبرقية البارزاني بإستعداده للتعاون لتحديد مسؤولية المجرمين. وإنما بأيدينا مذكرة من على سنجاري ذاته حول هذا الموضوع ارسلها في 6 - 7 - 1972، أي بعد الحادثة بثلاثة ايام. فبدراسة هذه المذكرة مع التحفظ حول ما قد يكون حقاً او مبالغة بشأن الإجراءات القمعية التي سبقت الحادث ضد الفلاحين وبمقارنتها مع الاخبار التي جمعت في الايام الاولى بعد وقوع الحادث يظهر تسلسل الوقائع على الوجه التالي:

وقع نزاع حول حصاد بعض المزروعات بين سكان قرية قويس وقرية قدري - وقد اصبح النزاع بين أي فريقين يكتسب في الغالب صبغة النزاع بين بعثيين وموالين للحزب الديموقراطي الكردستاني - فذهب مدير ناحية الشمال إلى منطقة النزاع وكان إلى جانبه في السيارة ممثل حزب البعث. وعند مرور سيارتهما بالقرب من ناحية كرري زوكا أطلقت النار عليهما من كمين. فجرح مدير الناحية. ولما بلغ الخبر قائم مقام سنجار سافر مع قوة من الجيش والشرطة نحو ناحية الشمال. وكانت الساعة التاسعة من مساء اليوم ذاته. وفي فجر اليم التالي توجه ومن معه إلى القرية التي أُطلق منها النار على مدير ناحية الشمال وجرى تبادل القصف من القوة الحكومية وإطلاق النار من بعض سكان القرية. فقتل القائم مقام ورئيس عرفاء وأصيب آخرون بجروح. وسقط من الجانب الآخر قتيلان إخوان هما قولو خلف سيدو وسيو خلف سيدو وألقي القبض على والدهما (عمي آمدل).

وفي مجرى التعقيبات هرب الكثيرون إلى الجبال. وبأيدينا آخر برقية من المكتب السياسي للحزب اليموقراطي الكردستاني مؤرخة في 9 - 8 - 1972 أي بعد اكثر من شهر. وهي جواب عن برقية للجنة السلام حول هرب خديدة بيبي وقد حررت بمنطلق اليأس وجاء في ختامها: ان هرب هؤلاء كان دفاعاً عن النفس وأن الدفاع عن النفس لايعتبر إعتداء على سيادة القانون الذي لا توجد في منطقة سنجار حيث التعريب وحملات الدس وتزييف الحقائق من مسؤولي المنطقة من القائم مقام إلى محافظ نينوى وغيرهم. إن ما يجري في تلك المنطقة منذ سنة يعتبر مخالفاً لبيان آذار، ولم يتبدل. إننا نوافق على إحالة كل المعتدين خلال هذه المدة إلى القضاء العادل. ولا يمكننا القبول ببدأ محاكمة الضحايا والذين يدافعون على عن انفسهم. ومن الطبيعي الإتفاق سبقتاً على ان تتخذ الإجراءات في المنطقة مشتركة. أما إتخاذ الإجراءات من جانب واحد فهو شيء يخصكم ولا نتحمل مسؤولية ما ينجم عنه.

لقد كانت هذه البرقية صرخة ضاعت في هدير المدفع والإجراءات العسكرية. فكانت في الواقع نذير القطيعة بشأن احداث سنجار. وكان ذلك بعد عام ونصف من صراع تبدؤه كل مرة عناصر طفيلية تافهة وترتد نتائجه بالتالي على موقعي القيادتين. فكم ابقت تلك الحوادث شعبية للسلطة وما هي بذور

العروبة التي انبنتها؟ وكم ابقت للقيادة الكردية؟ اما الخراب الاعظم فقد كان نصيب الفلاح بمقياس لم نعرف له من قبل مثيلاً.

### تفاقم الحرب الإعلامية حتى الذروة

في ليلة 26/25 تموز 1972، وكان ذلك بعد الإعلان عن سيناريو إغتيال البارزاني وقبل بدء اللقاءات تحت عنوان المفاوضات بين السلطة ومعها الجبهة الوطنية والقومية التقدمية (ج. و. ق. ت.) من جانب وممثلي القيادة الكردية من جانب آخر.

كانت الحرب الإعلامية بين جريدة الثورة لسان حال حزب البعث وجريدة التآخي، صحيفة الحزب الديموقراطي الكردستاني تشتد مع إشتداد الخلافات والمجابهاات بينهما في ميدان كردستان. كما كانت تلك الصحف تطبع في بلدين متحاربين وليس في بلد واحد. وقد بلغت الحملات المتقابلة ذروتها في مساء 26/25 تموز 1972 – وكان واضحاً ان الوضع قد تجاوز احتمالات بقاء مستوى العلاقات بين الجانبين في تلك الحال من الحرب الباردة.

ذهبت في ذلك المساء إلى حيث تطبع جريدة التآخي فأبديت للموظفين الموجودين ضرورة وقف طبعها. ولم تكن تلبية هذا الطلب من حقهم. فذهبت إلى دار صالح اليوسفي للغرض ذاته، فبين لي ان ليس من حقه ان يفعل شيئاً دون موافقة دارا توفيق ومحمد محمود (سامي). ذهبنا معاً إلى داريهما وكان الوقت تجاوز منتصف الليل. وكان طرفنا للابواب في ذلك الوقت مروع لعائلتيهما. وكان جواب كل من العثنتين "بخوانه زاني. ويعني "بالله لا اعلم اين هو".

يظهر ان كلا منهما قد إختبأ في محل ما دون إعلام اهله بمحله تحسباً من احتمال إعتقال الاهل او الضغط عليهم لإكتشاف محل إختفائه. وكان واضحاً انهما قدرا ان ذلك اليوم كان الخاتمة في الحرب الباردة مع الحكومة.

عدت إلى مطبعة التآخي آخذاً المسؤولية على عاتقي. وابلغت الموظفين اني أمرهم بإسم البارزاني برفع كل مايتعلق بالحملة الإعلامية ضد الحكومة. وأبلغت موظفي دار جريدة الثورة تلفونياً بما فعلت وطلبت إليهم وقف طبع الجريدة وإخبار السلطة بما حدث في مطبعة التآخي لرفع كل ما فيها ضد الجانب الكردي.

وقد تجاوز الوقت الساعة الثانية صباحاً فأبرقت البرقية المرفقة بطريق اللاسلكي للجنة السلام إلى البارزاني وصورة منها إلى كل من الرئيس ونائب الرئيس وعبد الخالق السامرائي دون إنتظار جواب منهم ودون مقابلة أي منهم.

وفي صباح 27 – 7 – 1972 سافرت إلى الشمال وقد رأيت ان جريدة التآخي وقد طبعت فيها البرقيتان بأحرف كبيرة معلقة على واجهات حوائيت الباعة وفي مداخل المقاهي. فكم كان القلق من الخلاف والحرص على السلام كبيرين لدى جمهور المواطنين. غير ان الحرب الإعلامية لم تنقطع

وإنما اخدت مجرى آخر. فلم تلبث ان عادت المساجلات على صفحات جريدتي الثورة والتآخي ولكن بلهجات دبلوماسية.

برقيه

وقت الانشاء ويومه

٢٥ / ٧ / ٢٦

من : عزيز شريف

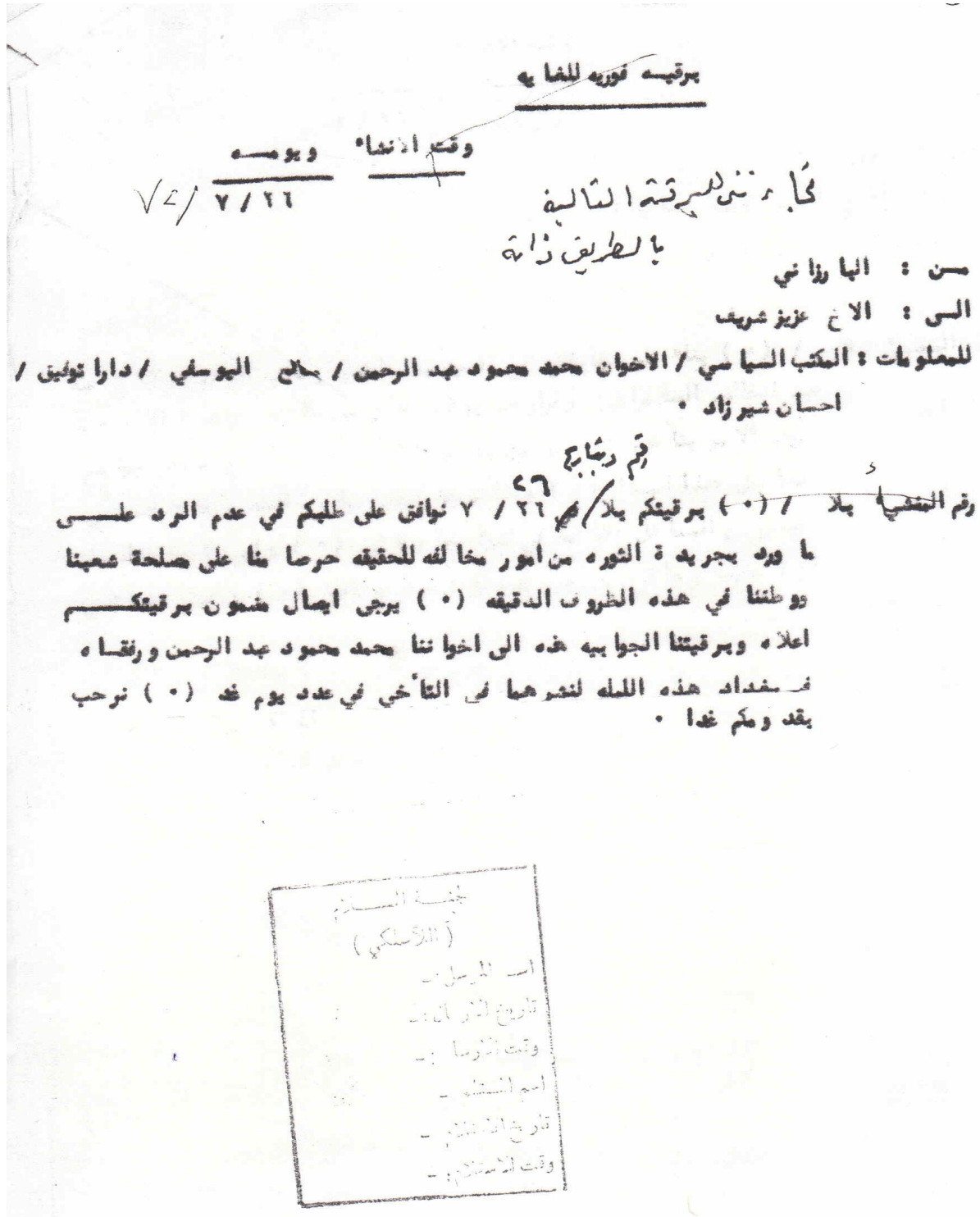
الى : الاخ الكريم السيد البارزاني

للمعلومات : المكتب السياسي

رقم المنشية بلا - / ( ٠ ) بناء على مقابلي مع السيد بن الرئيس ونائب الرئيس والاخ عبد الخالق السامرائي وقرارهم بوقف النشر من جانب جريدة الثورة ارجو الامر بتأخير كل نشر من جانب التآخي ( ٠ ) واني منتظر جوابكم العاجل هذا المساء ( ٠ ) وسأوجه اليكم صباح الغد للبحث في استعراض المسائل القائمة في ضوء محادثاتي ( ٠ ) واني لارجو مخلصا ان لا يخيب رجائي من اجل صلحة شعبنا ووطننا ( ٠ ) واليكم تحياتي المخلصه .

اخوكم

عزيز شريف



### تعقد الوصول إلى البارزاني

بينما كانت المفاوضات تجري بين السلطة ومعها من كانوا في الجبهة من جانب وممثلي القيادة الكردية من جانب آخر من منطلقات سلبية متضادة حول موضوع الحكم الذاتي. وبينما كان الطرفان يواصلان إستعداداتهما وتعزيز مواقعهما في المنطقة عسكرياً طلب إلى الممثلون الكرد الذين يخشون القطيعة، كما أخشاهم، ان أسافر إلى الشمال للقاء بالبارزاني.

وإذ هبطت الطائرة العمودية في مقر البارزاني في يوم 24 - 8 - 1972 فهمت انه كان في بارزان وكان ذلك ضمن تعزيز مواقع القيادة الكردية وعزل عثمان بن الشيخ احمد البارزاني. توقفت في قصرى، حيث كان مقر المكتب التنفيذي فطلب إليي إدريس ان انتظر البارزاني بدلاً من مواصلة السفر إلى مقره. وبينما كنت في إنتظار البارزاني كان قائد الطائرة قد حوم بها في المنطقة. وكان عمله في الواقع مستغرباً.

قال لي الدكتور محمود لقد إكتشفت الطائرة التي اقلتك مواقعنا. على انه لم يكن في هذه الناحية من المنطقة الكردية مواقع محصنة ليجري إستكشافها. فزاد ذلك فيما كنت اشعر من ثقل على نفسي. وطلب إليي إدريس ان اعود إلى كلاله فأنظر في دار حبيب محمد كريم حتى يأتي البارزاني للإلتقاء بي. فزادني ذلك إستياءً وعدت إلى كلاله لكنني اقامت لدى عبدالله بشدري بدلاً من منزل حبيب محمد كريم.

جاء البارزاني من مقره فكان لقاءنا في حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر، وقد اخذ مني الإستياء والإعياء مأخذهما. فطلبت منه قبل كل شئى ان يهيئ لي سيارة اعود بها لأنني لن اعود بالطائرة. وسأرسلها بقائدها في الحال. اخذ البارزاني يهدئني وبعد إلحاح تقرر إبقاء الطائرة. وكانت هذه آخر مرة ازور المنطقة منطياً طائرة عمودية.

بدأ النقاش العسير حول مطلبي. وقد حضر كل من إدريس ومسعود وعلي السنجاري (تراجع احداث عقرة حول هذا النقاش). وقد كانت النتيجة في الواقع فشلاً لم أمنى بمثله في لقاءاتي مع البارزاني. وكانت اسفاري بعد ذلك قليلة قاصرة على اشد الضروريات وكانت السيارة وسيلتي للسفر، رغم ان ذلك كان مضرراً بصحتي.

ثم حدثت احداث مقلقة في العشرين من تشرين الثاني 1972، إذ كان البارزاني في بارزان قابلي إدريس. بينت له إنني جنئت ابحت مع البارزاني عن إمكان إيجاد اساس لتلاقي بين السلطة والقيادة الكردية للخروج من الوضع القائم. سألني عن وسيلة سفري إليهم قلت السيارة وهي ممنوعة على صحياً. قال لو اخبرتنا سلفاً لإتفقنا على كيفية سفرك إلينا بالطائرة العمودية. قلت إنني لن افعل هذا. قال بلغنا انك زعلان منذ مشكلة الطائرة. وأشار إلى رسالة ارسلها البارزاني في 6 - 11 - 1972. اجبته إن من يأخذ على عاتقه واجباً مثل الواجب الذي تصدينا للإضطلاح به يجب ان يتحمل مختلف التتاعب، لا الجسمانية فحسب، وهي اهونها، بل وكذلك المتاعب النفسية. ثم بينت ليس اكنم عليكم انني تألمت كثيراً من احداث عقرة وما إتصل بها في الصيف. فلقد بنيت من الآمال إذ حاولت خلال نحو خمسة عشر اشهر ان اخدمكم والسلطة من خلال خدمة العوائل الفلاحية الكردية المشتتة.

## الفصل الحادي عشر: علائق القيادة الكردية بالحزب الشيوعي وبإيران

### الحوار حول الجبهة

كان الحزب الشيوعي مؤيداً للمفاوضات بين السلطة والقيادة الكردية، بل كان له فيها دور مباشر وغير معلن. وقد تلقى إعلان بيان آذار بالتأييد. ففي البرقية التي أرسلها السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي إلى رئيس الجمهورية في مساء 11 آذار 1970 أكد على "أن الحزب الشيوعي العراقي الذي يبذل جهده طوال السنوات الماضية من أجل الحل السلمي الديمقراطي للمسألة الكردية لن يدخر طاقاته وإمكاناته من أجل تنفيذ هذا الإتفاق التاريخي نصاً وروحاً بالتعاون مع حزب البعث العربي الإشتراكي والحزب الديمقراطي الكردستاني وكافة القوى الوطنية والتقدمية." وقد ختمها بـ "أن هذا الإتفاق، بالإضافة إلى كونه خطوة ثورية كبيرة يشكل ركناً أساسياً من أركان الجبهة الوطنية الموحدة."

ورغم أن الجانب الحكومي كان حريصاً على الإنفراد في المفاوضات مع القيادة الكردية وإبعاد الحزب الشيوعي عنها عندما كانت محاولات الحوار جارية حول الجبهة مع الحزب الشيوعي وذلك دون التخلي عن ممارسات القمع. رغم ذلك لم يكن الحزب الشيوعي في معزل عن المفاوضات.

فمن جانبي كنت على إتصال بالسكرتير الأول للحزب عزيز محمد حصراً. وقد قلت له منذ أوئل أيام عملي بموضوع المفاوضات "يجب أن يكون الإتصال اوثق ما يمكن بيني وبينك شخصياً، وعلى أبعاد ما يكون مع الحزب ظاهرياً. وكان ذلك تحاشياً من عرقلة مساعي. ومن جهة أخرى بين لي عزيز محمد "لقد كنا نشجع الجانب الكردي على مواصلة المفاوضات كل ما ظهرت عراقيل."

في 19 آذار زار بغداد وفد مجلس السلم العالمي برئاسة سكرتيره العام روميش جاندرنا بناءً على دعوة من المجلس الوطني للسلم والتضامن في الجمهورية العراقية. وكان يحمل وسام جوليو كوري للسلام ليقلده إلى الرئيس البكر يوم 20 منه. وفي الوقت ذاته، للتوقيع على نداء بغداد من أجل وقف سباق التسلح ونزع السلاح والتضامن مع نضال الشعوب في سبيل الإستقلال الوطني.

وفي مساء 20/19 آذار أقام مجلسنا حفلة عشاء في مطعم رأس القنال على شرف وفد مجلس السلم العالمي والوفد الكردي الذي سيحضر إحتفالات نوروز التي كانت إحتفالات بمعنيين، الإحتفال بإتفاقية أذر وبعيد الربيع والعام الجديد في تقاليد الشعب الكردي. وكان من المدعوين محمد احمد الخضري احد كوادر الحزب الشيوعي. وقد تخلف عن الحضور. وعلم أنه ترك داره متوجهاً بسيارته نحو الحفل. .... "بعثت وجدت جثة محمد احمد الخضري قتيلاً قرب مدينة بلد (الدور) على الطريق بين بغداد وسامراء. وقد أطلقت عليه 18 طلقة.

وبعد ذلك تتالت بكثرة شكاوى الحزب الشيوعي وذوي اعضائه المختطفين في مناطق متفرقة من انحاء البلاد وبخاصة الوسطى والجنوبية. وكان المنفذون اشخاصاً دون هوية معلومة ودون إبراز امر رسمي بالإعتقال. بينما كانت دوائر الامن والشرطة وحتى المراجع العليا في الدولة تنكر عملها بالإعتقال

ومصير المختطفين، وإنما تعد بالسؤال عنهم في مراكز الشرطة والامن، فما معنى ان تنكر سلطة ذات قوة صارمة ما يجري من ارتكاب جرائم تهز امن المواطنين؟

لم تكن هذه الظاهرة ضربة للحزب الشيوعي الذي كان هدفها المباشر فحسب، بل انها كانت اول ضربة في صميم إتفاق آذار الذي لا يمكن تحقيق اهدافه بدون الديمقراطية.

وفي الوقت ذاته سادت الفرقة بين الحزب الشيوعي من جانب قيادة الحركة الكردية، وبدأ تحديد معنى الجبهة بالنسبة إلى السلطة: إنه إتفاق بين قوتين من القوى الوطنية وعزل القوة او القوى الأخرى. وفي حديثي متقدم الذكر بين لي عزيز محمد ما يلي:

بعد التوقيع على إتفاق آذار اصبح الانفصال واضحاً بين حزبنا والحزب الديمقراطي الكردستاني. وقد تمت مقابلة بيننا وبين قادة الحزب الديمقراطي الكردستاني في 20 آذار 1970 وحضر اللقاء إلى جانبي كل من عمر على الشيخ وثابت حبيب العاني. وضم من الجانب الكردي محمد محمود (سامي) ونوري شاويس وصالح اليوسفي، ولكننا لم نستطع الوصول إلى إتفاق.

وقال عزيز محمد "وقد ظهرت في تلك الفترة مقالة في جريدة التآخي تؤكد ان حزب البعث إمتداد للحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق، وان الاخير إمتداد لحزب البعث في كردستان." وقال: "إستمرت الجهود لأجل لقاء تحالفي مع الحزب الديمقراطي الكردستاني ولكنها أخفقت."

كان البارزاني من مؤيدي التحالف مع الحزب الشيوعي. وقال: "حاولت بعد بيان آذار تذكير الحزب بضرورة التحالف مع الحزب الشيوعي العراقي. لكن لم تبقى لي كلمة مسموعة." وقال "اصبح كلامي مثل الإنذارات البعثية التي كانت تعلن بالالوف دون إجراء يتبعها".

وفي ايار 1970 ذهب وفد من الحزب الشيوعي إلى المكتب التنفيذي للحزب الديمقراطي الكردستاني في كردستان مؤلف من عزيز محمد وزكي خيري ويوسف حنا (ابو حكمت) للتفاوض حول التعاون بين الحزبين، ولكن دون نتيجة إيجابية لإختلاف الجانبين في موضوع العلاقات مع السلطة، إذ كان الجانب الكردي يرى ان حزب البعث هو الذي يقود السلطة في العراق. ولم يكن الحزب الشيوعي قد سلم بهذا التحديد آنذاك.

وفي 9 تموز 1970 عقد مؤتمر الحزب الديمقراطي الكردستاني وحضره ممثل عن منظمة التحرير الفلسطينية وحيا الإتفاق معرباً عن الامل بأن يؤدي إلى مواصلة مساهمة اكراد العراق في النضال ضد عدونا المشترك أسرائيل. وحيا الإتفاق بإستحسان ممثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وكذلك حيث الشرارة اللسان الرسمي للجبه الديمقراطية لتحرير فلسطين.

وتكلم في هذا المؤتمر كريم احمد بإسم الحزب الشيوعي وإنتقد إحتكار السلطة للعمل السياسي وعدم إفساح الحريات الديمقراطية للأحزاب الاخرى. فكان رد فعل السلطة إستياءً وتهديداً بتقليص ما منحت من حريات حتى ذلك الوقت معتبرةً ذلك منحة وليس مبدءاً سياسياً.



في العاشر من تموز 1970 أعلنت سلطة البعث شروط الجبهة الوطنية. ومن تلك الشروط الاعتراف الصريح بأن حزب البعث "حزب ثوري وحدوي إشتراكي وديموقراطي" و "القدر الصريح لثورة 17 - 30 تموز القومية التقدمية" و"الاعتراف بالدور القيادي لحزب البعث في الحكومة وفي المنظمات والجبهة" و "التعهد بعدم إقامة ولاءات خاصة في القوات المسلحة غير الولاء (للثورة)" و"الموافقة على إقناع الإمتدادات الدولية للحزب الشيوعي بأن تتحد مع فروع حزب البعث في الاقطار العربية" و "الرفض المطلق للدولة الصهيونية" و"تبني الكفاح المسلح من اجل تحرير فلسطين تحريراً تاماً" و "القبول بالوحدة العربية باعتبارها الهدف الاول والاساس الموحد لجميع الاهداف" وأخيراً "الإعتقاد بالتحول الإشتراكي للقطر".

فبقطع النظر عن ما يمكن وما لا يمكن قبوله من هذه الشروط، إنها شروط إنتماء لحزب واحد من منطلقاته (مبادئه وتاكتيكاته حسب ما يراها هو)، خلافاً للشروط المنطقية لجبهة وطنية، إذ تتكون بعد لقاءات بين قوتين او اكثر لنحديد المعضلات التي تواجه المجتمع والإتفاق على القاسم المشترك بينهما والعمل في سبيل حل تلك المعضلات. فما كان موقف الحزب الشيوعي من هذه الشروط؟ وفي مايلي تقييمات الحزب الشيوعي في وثائق المؤتمر الثاني بشأن هذه الفترة:

عقد المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي العراقي في ايلول 1970. وكان ذلك بعد اكثر من عامين من عهد سلطة البعث الثانية 17 - 30 تموز 1968. وبعد عقد إتفاق إتفاق آذار 1970، وحملة قمع الحزب الشيوعي في 20 - 21 آذار 1970. وبعد ان بدا فشل حلم التحالف بين البعث والحزب الديموقراطي الكرديستاني وفشل بناء الثقة بينهما. وقد سبق هذا المؤتمر بدء المجابهات بين عملاء السلطة والقيادة الكردية في الموصل وكله كين (قرب معسكر سبيك وأمتداداً إلى عقرة).

إستعرض التقرير المقدم إلى المؤتمر التناقض بين طابع الحكم والوجوه الإيجابية من جانب الحكومة. وبعد إستعراض مفصل لأوجه سياسة الحكومة وتناقضاتها يخلص إلى ان سياسة الحزب الشيوعي إزائها هو المعارضة والإنتقاد لكل ما هو سلبي وخاطيء، ولنهج الحكومة المعادي للديموقراطية، ولإلظهادها الاحزاب الوطنية المعارضة ولإنتهاكات حقوق الإنسان.

وأيد المؤتمر إتفاق آذار 1970 وأكد ان تنفيذ الإتفاق يعتبر نصراً كبيراً للشعب العراقي بعربه وأكراده واقلياته القومية، وبين ان فوق ذلك ان المهمة التي تواجه الحزب والحركة الوطنية: اولاً وقف الإرهاب وتحقيق الحريات الديموقراطية والاعتراف للأحزاب الوطنية بحرية العمل ..... وتأليف الجبهة الوطنية ... وجدد الدعوة إلى مؤتمر عام يضم جميع الاحزاب الوطنية .... وبعد إستعراض المسيرة التاريخية للثورة العراقية دعا إلى الديموقراطية السياسية ولخصها في إنهاء الاوضاع الإستثنائية، والعفو العام عن كافة المحكومين لأسباب سياسية، وإطلاق الحرية للأحزاب الوطنية وضمنان حرية التنظيم النقابي. ووضع قانون ديموقراطي لإنتخاب مجلس تأسيسي وطني ولكافة

المجالس التشريعية ... وإنتخاب المجلس التأسيسي على درجة واحدة. وإنتخاب مجلس تشريعي لكرديستان العراق على الاسس الديمقراطية ذاتها وتخويله جميع سلطات الحكم الذاتي الإقليمي.

وتتاول المؤتمر الجوانب السلبية لمسار سلطة البعث لإبقائها الاوضاع الإستثنائية وحرمان الشعب من حقه في إنتخاب حكامه وإحتفاظ الحكم بكافة القوانين والتشريعات الرجعية وتشريعه قوانين أخرى اوغلت في تقييد المواطنين وإحتفاظه بالمؤسسات والاجهزة القمعية وسياسة تبعيث اجهزة الدولة ولا سيما القوات المسلحة .... والإفراط في سياسة التحزب وإنعدام المقاييس الصحيحة في إستثمار الطاقات. وشجب سياسة تصعيد الإرهاب. وبين الضرورة إلى إتخاذ الوسائل في تطوير الإقتصاد الوطني (تحرير الثروة المعدنية والنفطية).

وفي سبيل حقوق العمال – إستعرض تأريخ النضالات التي خاضتها الطبقة العاملة ودعا إلى الإزدهار الإقتصادي على أساس الإستقلال الوطني وتحرير الثروات المعدنية وضرورة إقامة الصناعات الوطنية. وإستعرض كذلك شروطاً منها ضروريات حقوق العمال والمستخدمين. كما اكد على ضرورة تحرير الفلاحين. وثن قانون ايار 1970 للإصلاح الزراعي لحفظ الحد الاعلى للملكية. وشرح موقف الحزب من الشبيبة والطلاب وضروريات معالجة مشاكلهم ... والوسائل الكفيلة لتنمية قابلياتهم. .... وإجمالاً تطوير تقاليد الحركة الطلابية ...

لخص موقف الحزب الشيوعي من المسألة الكردية بما يلي:

إن منح الحكم الذاتي لكرديستان معناه جعل المنطقة إقليمياً واحداً تدير دفته سلطة محلية تنفيذية منبثقة من مجلس تشريعي إقليمي لكرديستان منتخب في جو من الحريات الديمقراطية الحقة، وعلى اساس الإنتخاب العام المتساوي المباشر والإقتراع السري. وتخضع هذه السلطة المحلية للحكومة المركزية في شؤون الدفاع والسياسة الخارجية والبرمجة الاقتصادية، وتتولى سائر شؤون الإقليم الإدارية والثقافية وغيرها. وتدعم من قبل الحكومة المركزية للعمل على بعث التراث القومي التقدمي للشعب الكردي وتطوير ثقافته القومية وإنشاء ما يضمن تحقيق ذلك في الجامعات المؤسسات الثقافية الحكومية.

وفي الوقت ذاته يستلزم الإعتراف الحقيقي بالحقوق القومية للشعب الكردي وضمان تمثيله وفق نسبته إلى مجموع السكان في هيئات السلطة المركزية التشريعية والتنفيذية وتصفية سياسة التمييز إزاء كركديستان تصفية جذرية سواءً في تخطيط التطور الإقتصادي والتنمية .... إلخ. وثن إتفاق آذار 1970. وبين ان التطبيق يستلزم حكومة إئتلافية تساهم فيها الاحزاب الوطنية.

وفي قضية فلسطين إستتكر المؤتمر ما عملته الإمبريالية في البدء بخلق (الوطن القومي اليهودي) وإستعرض المؤامرات والسياسات التي سارت عليها الحكومات العربية لحرمان عرب فلسطين اولاً من إقامة دولة واحدة للعرب واليهود معاً، وإنهاء بتقسيم فلسطين وفق المخطط الإستعماري. وبين ان إسرائيل برهنت منذ قيامها على انها اداة إستقزاز وعدوان. وأشار ألى مستلزمات وحدة النضال

العربي ضد إسرائيل والإمبريالية ويختتم الحديث إلى ضرورة النضال من أجل إزالة آثار عدوان 1967.

### إنكشاف مسألة تجارة البعث بالمسألة الفلسطينية

ومما تجدر الإشارة إليه ان مسألة متجارة البعث بالمسألة الفلسطينية انكشفت في هذا الظرف. فكما تم ذكره اعلاه اعلنت سلطة البعث في العاشر من تموز 1970 شروط الجبهة الوطنية. ومن تلك الشروط تبني الكفاح المسلح من أجل تحرير فلسطين تحريراً تاماً.

وفي هذا الوقت بالذات استكرت سلطة البعث اقتراح الولايات المتحدة بوقف القتال بين مصر واسرائيل لمدة لاتقل عن ثلاثة اشهر بواسطة رسول الامم المتحدة كامنير يارنيغ. وقامت وسائل الاعلام بحملة شديدة ضد الرئيس عبد الناصر لموقفه الايجابي من الرسول.

في هذا الظرف بدأت فصائل من المقاومة الفلسطينية تقصف اسرائيل من المواقع التي كانت تحت سيطرة حكومة الاردن في شرقي الاردن. فضاقت حكومة الملك حسين ذرعا باعمال الفلسطينيين واخذت تهئ للقضاء عسكرياً على وجودهم في نطاق حكمها. الا انهم كانوا يتلقون المزايدات الاعلامية من العراق. فسير الملك حسين عليهم جيشاً في ايلول 1970. فحدث الجيش الاردني بهم المجزرة التي اتخذت اسم ايلول الاسود.

لقد كان الجيش العراقي عند الحدود الاردنية، وعند تراجع الفلسطينيين لم يقم باية مساعدة. وقد غطت وسائل الاعلام موقف العراق هذا باستمرار الحملة ضد عبد الناصر ووصفته بأنه يعمل وفق مخطط امريكي حتى اعلان وفاته يوم 29 ايلول 1970 فتوقفت الحملة الاعلامية. وفي اجتماع ليبيا لمجلس التضامن الافريقي الاسيوي (طرابلس 8 - 9 تشرين الثاني 1970) وقد جاء الى المؤتمر ياسر عرفات ومرافقوه وعينوا لمقابلتي احدهم ابو سيف لكي يشرح لي الموقف العراقي من تلك الاحداث. فقال " لقد كان موقف العراق خلال الازمة مخيباً للامال. فقد كان باستطاعة الجيش العراقي ان يقدم لنا مساعدات ثمينة دون الاشتباك بالقتال. ولكن ما حدث غير ذلك." وذكروا لي ان بيننا من كانوا من اشد الناس ثقة بالعراق واعتماداً عليه مثل "بهجت ابو غربية ولكن حتى بهجت ابو غربية قد اصيب بخيبة امل مريرة بالنسبة الى موقف العراق".

وذكروا الامثلة التالية:

في منطقة الزرقاء: استباح الجيش الاردني اعراض المواطنين ومثل بهم مجزرة رهيبة وكان في مقدور الجيش العراقي ان يظهر وجوده كحاجز بين الطرفين حتى دون جاحة الى اطلاق النار لوقف المذبحة الرهيبة، ومنع استباحة الاعراض. وقد استجدنا به فلم يستجيب لاستجدانا. بزعم (ماكو اوامر). وفي منطقة الرمثة التي يحتلها الجيش العراقي، كان الفدائيون يعتبرونها ملجأ. الا ان الجيش العراقي اخلاها وسلمها الى الجيش الاردني دون ان يعلمنا بذلك وفي حالات لجأ الفدائيون الى مراكز احتلال الجيش العراقي فرفض لجؤهم وعرضهم لنيران الجيش الاردني فوقع منهم ضحايا كبيرة من

القتلى والجرحى. وقد قام الجيش السوري بعمل مهم جدا في هذه المنطقة حيث حطم اللواء الاربعين الاردني. وتظاهر بانه لم يتدخل، وادعى ان الدبابات التي هاجمت الجيش الاردني تعود الى الفلسطينيين. وبذلك قدم لنا خدمة لاتنسى.

وفي منطقة عمان قام الجيش العراقي بما يمكن ان يعتبر حماية لظهر الجيش الاردني الذي كان يضرب الفدائيين ويستورد الامدادات من خلال منطقة مواقع العراقيين. وكان في امكان الجيش العراقي ان يمنع المرور من منطقة وجوده. وقال ان السيد حردان التكريتي قد قابل الملك حسين. ولم يعرف ما جرى بينهما، ولكننا اخذنا نفس ما جرى في هذه المقابلة في ضوء الحوادث المؤسفة التي اعقبتها والتي تمت الاشارة اليها اعلاه. وقد قدمت تقريرا بهذا اللقاء الى البكر في 15 تشرين الثاني 1970.

### ميلاد الجبهة العسير

في تشرين الثاني 1971 اعلن الشاه محمد رضا بهلوي إحتلال الجزر الثلاث في مدخل الخليج العربي الفارسي – طناب الكبرى و طناب الصغرى وابو موسى. وكما هو الامر في جميع الاحداث التاريخية لم يكن هذا القرار إبن يومه. وفي هذه الفترة كان الإحتكار النفطي يشدد الضغط على السلطة وينقص الإنتاج.

وفي 27 الثاني 1971 اصدر الحزب الشيوعي بياناً اعتبر مشروع الجبهة المقدم من قبل حزب البعث صالحاً للحوار من اجل إقامة الجبهة. وعدد البيان النواحي الإيجابية في بيان البعث وذكر "لقد لاحظ حزبنا باهتمام فقرة في مقدمة المشروع تشخص بوجه صائب وجهة الكفاح الوطني التحرري الذي تتطلبه المرحلة الراهنة. ومضمون هذه الفقرة هو ان الإتحاد بين اطراف الحركة الوطنية والتقدمية يجب ان يقام على اساس تشديد الكفاح ضد الإمبريالية والصهيونية والرجعية وتمكين الجماهير من قيادة معركتها. وذكر بيان الحزب الشيوعي ان بيان البعث تضمن نصاً يدعو إلى توفير كل الاجواء الديموقراطية الثورية لهذه الجماهير وتصفية كل مظاهر الإضطهاد ضدها وضد مؤسساتها السياسية والثقافية. .. الخ.

في موازات تلك الاحداث كانت المفاوضات مستمرة بين الحزب الشيوعي والقيادة البعثية، حتى توصل الحزب إلى القرار في تموز 1973 بأن ميثاق العمل الوطني بصيغته اليوم يعتبر الإعلان الرسمي لقيام جبهة الاحزاب والمنظمات والقوى التقدمية التي تجسد القيادة المشتركة لنضال الشعب العراقي من اجل تحقيق اهداف الميثاق. ويحتل حزب البعث العربي الإشتراكي موقعا متميزاً في قيادتها وفي هيئاتها. ويقود السلطة السياسية في الدولة. كما يقود مؤسساتها الدستورية. وتقوم العلاقات بين احزاب الجبهة الوطنية والتقدمية على اساس الإحترام المتبادل لإستقلال كل حزب ايدولوجياً وسياسياً وتنظيمياً. لقد كان هذا أمنية.

وقد تلا ذلك وقوع ثلاث احداث متقاربة الزمن:

- 1 – تم توقيع الحزب الشيوعي على ميثاق الجبهة في تموز 1972، بعد تطور كبير في إجراءات السلطة ضد القيادة الكردية وعلى سبيل تعريب اجزاء من كردستان.
  - 2 – وفي الفترة ذاتها تم إغتيال احد عشر شاباً شيوعياً كانوا عائدين من الدراسة في الدول الإشتراكية مروراً بمنطقة زاخوا – منطقة نفوذ عيسى سوار.
  - 3 – وفي الظرف ذاته تم تسليح انصار الحزب الشيوعي بأسلحة من الحكومة، فأدى ذلك إلى تصادم عسكري بين الشيوعيين وقوات الحزب الديمقراطي الكردستاني في بعض المناطق.
- لقد سبق هذه الحوادث إنقطاعي عن زيارة منطقة قيادة البارزاني منذ زيارتي الفاشلة إثر غزوة ارشد الزيباري لعقرة في 24 – 8 – 1972. ولكن التوتر إشتد كثيراً بعد هذه الحوادث لأنه شمل جميع القوى الوطنية. وبعد رسالة وجهتها إلى الرئيس البكر عن غرض سفري توجهت إلى المنطقة في اول من آب 1973. وكان موعد الإجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني. وكما حدث قبلاً اكثر من مرة اشركني البارزاني في الإجتماع الذي طال من 2 إلى 5 آب. وكان الجو متأزماً فكانت ثمة عناصر معتدلة كما كانت عناصر متطرفة مثل حبيب محمد كريم ورشيد الاتروشي الذي عزي إليه تشجيع التعاون مع إيران وقد اكد بعضهم ان ثمة قوى قوى مستعدة لإسناد الحركة القومية الكردية حتى لنيل اكثر من إتفاق آدار.
- كما كانت لي وللبارزاني آراء بين الجانبين ذكرت خلاصتها في رسالة قدمتها إلى البكر في 14 آب. وفيما يلي اهم ما ورد فيها:
- سلم البارزاني تسليماً غير حاسم بأن وجود الحزب الشيوعي في الجبهة عامل إيجابي. وثانياً اكد فهمه وفهم الحزب بأن السلطة عازمة على حصر منطقة الحكم الذاتي في السليمانية وأربيل ودهوك. وقال "إن تحقق ذلك فإنني القي مسؤولية النتائج على عاتق السلطة لأنه مناف لواقع الحقوق القومية للشعب الكردي ولإتفاق آدار. وفيما يتعلق بالإنضمام في الجبهة اوضح ان لا معنى لهذا الإنضمام لا من حيث تكوينها ولا من حيث غرضها.
- وأشرت بوجه خاص إلى انني طالبت البارزاني بتحسين علاقته مع الحزب الشيوعي لأن وجود هذا الحزب في علاقته الجديدة مع الحكومة سيكون عاملاً إيجابياً بين الحكومة والجانب الكردي. كما يضع حداً للإحتكاكات والإشتباكات بين قواعد الحزب الشيوعي وقواعد الحزب الديمقراطي الكردستاني. فوعد إيجاباً.
- وحذرت في رسالتي من مضي السلطة في أسلوبها دون إهتمام بواقع الوضع في القيادة الكردية. وحذرت من الخطر الاجنبي عند الإستمرار على هذا الاسلوب سواء شاء البارزاني والمعتدلون ام لم يشاؤا.

## حول إغتيال 11 شاباً شيوعياً

كان احد عشر شاباً شيوعياً عائدين بعد أتمام دراستهم في الدول الإشتراكية. وقد إستأذنت قيادة الحزب الشيوعي من القيادة الكردية بأن يدخلوا كردستان من منطقة زاخو فأذنت بذلك. ولا توجد معطيات محددة عن تأريخ تصفيتهم. وإنما يعرف انهم دخلوا المنطقة في صيف 1972 وبعد مرور فترة إختفت اخبارهم ثم ظهرت بعض مقتنياتهم لدى جماعة عيسى سوار. وبتوسطي وقع إجتماع مع البارزاني وولديه إدريس ومسعود. وكان يرأس الجانب الشيوعي يوسف حنا شير (ابو حكمت) ومعه آخرون. وقد صرح إدريس بحضور والده. "إذا ظهر انهم مقتولين فلا نستطيع ان نتبرأ من دمائهم، لأنهم دخلوا من منطقة سيطرتنا بموافقتنا". .. فتكون لي إعتقاد بأن قتلهم لم يكن بأمر من البارزاني او حتى بعلمه. قلت للبارزاني "إذا تأكد إغتيالهم ينبغي عليكم ان تفعلوا ما فعل كسرى انوشروان بابنه - حسب الرواية العربية المأثورة. أي ان يقتص من الفاعل إقتصاصاً يناسب عمله وأن يشهر به ليكون عبرة للآخرين".

مضت فترة دون إجراء اي تحقيق جاد من القيادة. لماذا؟ كان الثابت قطعياً ان القضاء عليهم كان في منطقة زاخو وهي منطقة عيسى سوار من اهم اعمدة القيادة الكردية. فكان حاكماً في منطقتة شرساً وله مآثر سابقة في القسوة إذ هاجم ربايا الحكومة وأباد من فيها حتى من إستسلم منهم. وكان يطلق عليه لقب الذئب. وكان مستقلاً في منطقتة وقد مد نفوذه على الفلاحين الكرد، ليس في نطاق سيطرة القيادة الكردية فحسب، بل وكذلك خارجها في منطقتي الموصل من العراق والجزيرة في سوريا يفرض عليهم الزكاة إضافة إلى ما يدفعون للحكومة في الموصل او الجزيرة من ضرائب. ومن الاموال المتجمعة لديه كان يقدم لقوات الحركة الكردية كثيراً من إحتياجاتها للإعاشة. وقد كانت لي تجربة شخصية في عدم امانة عيسى سوار. فكما تم ذكره في الفصل السادس بعد عودتي من دمشق إلى كردستان في اوائل شباط 1967 مررت في منطقة نفوذ عيسى سوار. وقد إستصحتبت معي هدايا اقدمها لمن يستضيفوننا، وليس من اللائق تقديم نقود إليهم. فاودعت هذه الهدايا لدى عيسى سوار عند عبوري من المنطقة فإستولى عليها. وكانت غير ذات اهمية.

وبقدر تعلق الامر بإغتيال الشبان الشيوعيين، فلا حاجة إلى الجهد للإستدلال على دور المخابرات الإيرانية ومن ورائها مخابرات الموساد ولا سيما المخابرات المركزية. إذ وقع ذلك بعد عام ونيف من إتفاق القيادة الكردية مع الولايات المتحدة وقيادة المخابرات المركزية.

كان إغتيال الشبان الشيوعيين بعد فصل المياه بين الحزب الشيوعي والحزب الديموقراطي الكردستاني، أي بعد عام وبعض عام من التعاون الجبهوي بين الحزب الشيوعي وقيادة السلطة ومن حشدت إلى جانبها من اعداء القيادة الكردية فيما يسمى بالجبهة الوطنية القومية التقدمية.

## مصادمات مسلحة بين الحزب الشيوعي وقوات الحزب الديموقراطي الكردستاني

بعد قيام الجبهة تم تسليم بعض القوات الشيوعية في كردستان اسلحة من سلطة البعث. وبعد تسلم هذه الاسلحة انذر البارزاني ممثلي الحزب الشيوعي بنزع اسلحتهم. فوافقوا حيث يكون الدفاع عن مراكزهم متعزراً مثل برسيرني وسرجاوه. ورفضوا في مناطق أخرى مثل القوش ودربنديخان. وهنا انسحب الشيوعيون بأسلحتهم إلى قرب رانية.

بناءً على طلبي تم لي لقاء في مقر الحزب الشيوعي في بغداد حضره بعض اعضاء المكتب السياسي وعدد من اعضاء اللجنة المركزية وكانت خلاصة رأيي: هو ان كلا من الحكومة والقيادة الكردية يتهيأ للمجابهة العسكرية. وكان واضحاً ان هذه الحرب إن وقعت ستكون اقسى من جميع سابقاتها. فإذا ما تسلح الحزب الشيوعي من اي من الجانبين فسيتحتم عليه — اراد ام لم يرد — ان يقف في الحرب إلى الجانب الذي قدم له السلاح. فليس في صالح الحزب الشيوعي وليس من مبادئه ان يكون طرفاً فيها. بل ليس من صالح العراق والحكومة العراقية ذاتها وضع أي خطوة على الطريق إلى هذه الحرب.

فكان جواب القادة الشيوعيين هو: إن البعثيين مسلحون والقيادة الكردية مسلحة ونحن الحزب الحيد بدون سلاح. وإنما نحتاج إلى السلاح للدفاع عن الذات. وقد إنفض الاجتماع عن غير قناعة مني، لأن الدفاع عن الذات بالنسبة إلى الشيوعيين في نظري، إنما يكون في موقف مستقل وبمستوى ما دون الحرب بين جيشي الجانبين، وفي حدود الدفاع عن الذات، على ان لا يكون التسلح من مصادر يفيدها الإشتباط في حرب كالحرب المتوقعة. ولم يكن من ريب ان السلطة لا تسلح الشيوعيين إلا بهدف زجهم في الحرب إلى جانبها.

ثم طوق البيشمركة قوة الحزب الشيوعي على مشارف القوش. وبينما كان الصدام العسكري جارياً جرى بتوسطي لقاء بين ممثلي الحزب الشيوعي والبارزاني في مقره. وقد مثل الحزب الشيوعي حنا شير (ابو حكمت) وأحمد الجبوري وكانت خلاصة الحوار كما يلي:

أكد البارزاني: "إننا لا نتحمل وجود قوة مسلحة في منطقة الثورة." وأكد ممثلوا الحزب الشيوعي "إننا لا نبغي سوى الدفاع عن انفسنا." وبينت "أن هناك واقع التوجه نحو حوادث مأساوية — نحو الحرب لا تخدم غير اعداء العراق والحزب الشيوعي والقومية الكردية، ولا تستثنى الحكومة العراقية. فليس في صالح احد ان يجري خلاف حتى المجابهة بين أي طرفين."

وبعد نقاش طويل إتفق الجانبان على الحيلولة دون الصدامات المسلحة. وأبرق المكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكردستاني إلى منطقة القوش للكف عن الضغط على الانصار الشيوعيين. غير ان المعركة إستمرت وتم التضييق على الفصيل الشيوعي فإستجد بالقوات الحكومية. فقصفت هذه مواقع القوات القومية الكردية. وفي الصباح الباكر باغت الفصيل الشيوعي القوات الكردية وهزمها بعد ان تكبدت عددا من القتلى والجرحى. ويعزى إلى حسو مير خان القول "لقد خسرننا الثورة على يد قوات توما توماس قائد القوة الشيوعية."

وفيما يلي نص برقية إستتكار من الكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكردستاني موجة إلى مراجع عديدة ونسخة إلى عزيز شريف مؤرخة في 1 - 10 - 1973.

حدث خلاف محلي قبل بضعة أيام في منطقة القوش بين أنصارنا وبين الشيوعيين في المنطقة المذكورة. وحظر إلى مقرنا فور وقوع النزاع ممثلون عن قيادة الحزب الشيوعي وتم الإتفاق على حسم المشكلة. إلا ان قوات الجيش إتخذت من الحادث العابر المذكور حجة لمهاجمة المنطقة وقصف القرى المحيطة بها بالمدفعية الثقيلة ولازالت الإشتباكات مستمرة هناك منذ ثلاثة أيام بسبب إصرار قوات الجيش على مواصلة هجومها على المنطقة. إن المصلحة العامة وصيانة ارواح المواطنين وممتلكاتهم تستلزم الإيعاز بوقف القتال فوراً والذي لم يكن له مبرر اصلاً لكي يتسنى لنا سحب انصارنا من منطقة الإشتباك. إنبؤونا.

كما صدرت برقية من عزيز شريف في مقر البارزاني موجه إلى كل من الرئيس ورئيس اللجنة العليا في التاريخ ذاته. جاء فيها "يؤكد الاخوان هنا بأن المدفعية مستمرة على قصف مقرات البيشمركة في منطقة القوش. وهذه الاخبار لا تنسجم مع مواقف الإخوان هنا، إذ قد ابرق المكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكردستاني برقية عممت صباح اليوم إلى كافة منتسبيه بضرورة الحفاظ على الهدوء وتجنب كل إحتكاك تقديراً للطرف الذي تواجه فيه القوى العربية العدو الصهيوني. ارجو الامر بما ينبغي لإنهاء هذه الحالة." عزيز شريف.

### موقف البارزاني من حركة تشرين الأول 1973

منذ حزيران 1968 اعلن البارزاني موقفه بأن لا تخوض الحركة القومية الكردية حرب ضد الجيش العراقي فيما إذا إشتبك مع إسرائيل. وذلك برسالة وجهها إلى الرئيس نوري الدين الاتاسي في التاريخ المذكور. وقد تم الحديث عنها مفصلاً. وكرر موقفه هذا عند نشوب الحرب ضد إسرائيل في تشرين الاول 1973. فقد كنت في مقره في 9 - 10 - 1973 وحرر إلى الرئيس البكر الرسالة التالية:

سيادة الاخ المهيب احمد حسن البكر المحترم

رئيس الجمهورية العراقية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أن معركة المصير التي تخوضها الأمة العربية الشقيقة وما يتصل بذلك من مضاعفات تحتم علينا جميعاً تقدير واجبا التاريخي والعمل من اجل رص وحدتنا الوطنية وبذل اقصى ما نستطيع من جهود لتذليل المشاكل والعقبات الثانوية بيننا والعمل الجاد من اجل تعزيز جبهتنا الوطنية الداخلية وتوفير مستلزمات التصدي الناجح لدرء المخاطر المحدقة ببلادنا وتصفية الجمود الذي يكتنف العلاقات بيننا وبين حزب البعث العربي الإشتراكي والسعي من اجل دفع هذه العلائق بإتجاه إيجابي يضمن تقوية



وحدة شعبنا العراقي الوطنية من جهة ويحقق المطامح المشروعة لشعبنا الكردي ضمن هذا الإطار من جهة أُجری.

وإننا لنتطلع إلى إجراء تلاقٍ أخوي جاد في أقرب وقت ممكن بين ممثلينا وممثلي الحكومة للتوصل إلى صيغة مرضية للحكم الذاتي لمنطقة كردستان تتسجم مع روح إتفاق آذار التاريخي ومن ثم إنجاز الجبهة الوطنية التقدمية وتقبلوا في الختام يا سيادة الرئيس فائق الإحترام والتقدير.  
مصطفى البارزاني

وبعد عودتي قدمت تقريراً مؤرخاً في 10 - 10 - 1973 بنسختين إلى كل من رئيس الجمهورية ورئيس اللجنة العليا لشؤون الشمال قدمت ضمنه رسالة البارزاني. ومما بينت فيه " ... ان البارزاني وجه برقية إلى جميع منتسبي الحزب الديموقراطي الكردستاني بضرورة إتخاذ موقف تضامني مع الشعب العراقي وتجنب الإحتكاك. وأن الرسالة التي وجهها السيد مصطفى البارزاني إليكم تعرب عن تقدير الواجب التاريخي في رص وحدتنا الوطنية في هذا الظرف وإني لأرجو ان تحظى هذه المبادرة بالإهتمام الضروري. وإني مستعد للعودة لأجل مواصلة تطوير العلاقات بينكم وبين الإخوان الاكراد في الطريق الإيجاني الذي نرجوه. ولارجوا ان احمل تجاوباً من جانب السلطة الوطنية لتلك المبادرة، وأن تتمن الإجراءات لأجل التلاقي الايجابي الجاد الذي أشار إليه الاخوان الكرد من اجل تصفية نقاط الخلاف التي قد تعترض الإتفاق بين الجانبين.

وفيما يتعلق بتوتر العلاقات بين الحزب الديموقراطي الكردستاني والحزب الشيوعي جرى الإتفاق على تحاشي اسباب التوتر. ولقد ابدت للإخوان الكرد إستعدادي لمواصلة العمل من الناحيتين: أي في موضوع إزالة الخلاف بينهم وبين كل من الحزبين الآخرين. فرحبوا بذلك. إني أرى أن الوقت ليس في جانب مصالحنا الوطنية العليا إذ تركت المظاهر السلبية دون العمل الجاد لتصفيتها.

ولكن السلطة لم تعر أي اهمية لموقف القيادة الكردية ولم ترسل إلى البارزاني رسالة حول الرغبات والموقف الذي إتخذه. وإنما مضت في المفاوضات بمشاركة عناصر معادية للقيادة الكردية، بينما كانت قواتها مشاركة في جبهة القتال ضد العدو الصهيوني.

وبعد خمسة ايام كانت طويلة في ذلك الظرف وبناءً على رغبة الرئيس البكر بأن يصدر عن البارزاني تصريح شخصي ضد إسرائيل، وبأن لا يكتفي بما تصدره صحيفة الحزب الديموقراطي الكردستاني. ارسلت إلى البارزاني الرسالة التالية في 15 - 10 - 1972:

يسرني ان اعرب عن جزيل شكري وتقديري للموقف النضالي المشرف الذي اعربتم عنه عند لقائنا الاخير بشأن معركة المصير التي تخوضها الامة العربية. وهذا تعبير عن الروح الحقيقي وعن المصالح الحيوية لقضية تحرره المرتبطة إرتباطاً جوهرياً بمصالح التحرر العربي. لا سيما وأن المعركة الشرسة التي يواجه فيها الشعب العربي عدواناً إمبريالياً رجعيّاً. وان هذه المعركة لن تقتصر

نتائجها على مصير الشعب العربي، بل ستأثر بشكل مباشر على مصير الشعب الكردي وشعوب المنطقة كافة. إن جريدة النأخي تعرب بإستمرار عن هذا الروح التضامني. ولكن انظار جميع المواطنين المخلصين وجميع اصدقاء الشعبين الشقيقين تتجه اليكم شخصياً، وتأمل ان يصدر تصريح حازم حاسم بالتضامن مع الكفاح العربي في المعركة الضارية الحالية. وإني لأعبر ايضاً عن هذه الرغبة وأملني ان تصدروا تصريحاً بهذا الخصوص.

لقد كان هذا طلباً وحيد الجانب. إذ لم تبد أي مبادرة السلطة تتجاوب مع مبادرات البارزاني. ولذلك قدمت إلى البكر رسالة وبنسخة منها إلى صدام حسين في اليوم ذاته 15 - 10 - 1973 ومما جاء فيها:

يا سيادة الرئيس إني أؤكد تقديري لمدى الضرر من إستمرار الوضع الحالي. وما يشير إلى ترد اخطر. صحيح ان الضرر يعم الشعب العراقي بأجمعه عربية وكرده ... إلخ ... فحري بالسلطة الوطنية ان تكون اكثر تقديراً للمخاطر ... لا سيما وإنها مشتبكة في حرب ضارية مع العدو الصهيوني وعليها بالدرجة الاولى واجب المبادرات الإيجابية ومن مصلحتها أنياً ومستقبلاً لا ان تتجاوب مع الجانب الكردي فحسب، بل ان تفوقها كثيراً. فمن مصلحتها وواجبها ان تضع حداً لكل المشاكل الجانبية التي تعيقها في معركة المواجهة. وأن تنظر إلى ما بعد هذه المعركة. إن المبادرات الإيجابية من جانب السلطة ستؤثر في المنطقة. فهي تمهد لعمل اوسع لتصفية المشاكل. وقبل ذلك ستضعف نشاط العناصر الفاسدة في أجهزة الدولة في المنطقة، وفي الوقت ذاته ستضعف نفوذ العناصر السلبية بين الكرد. واكدت على ضرورة العدول عن مواصلة العمل لاجل تحديد الحكم الذاتي بالاعتماد على ج. و. ق. ت. والعمل بدلا من تلك الجبهة في جبهة تضم ممثلي البعث العربي الاشتراكي، والقيادة الكردية والوطنيين والمستقلون حقا . فهذه الاطراف وحدها يمكن ان تكون اتحادا وطنيا يمثل الشعب العراقي ويسند جيشه ويواصل العمل نحو حل افضل لمسالة الكردية غير ان دولاب التردي واصل دوراته. عود الى الاحتكاك بين مسلحي الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكردستاني في نشرة للمكتب السياسي للحزب الاخير محررة بانفعال يوم 17 - 11 - 1973 تدعى ان منتسبي الحزب الشيوعي إحتلوا بعض الازقة في دربندي خان ووجهوا النار على مقر الحزب الديمقراطي الكردستاني. اثنان ذكر التقرير اسميها ، كما ذكر اسماء اربعة اختطفوا.

وفي تقرير سري من مديرية الامن العامة - الشؤون السياسية عدد ش 3 - 21701 بتاريخ 9 - 10 - 1973 الى وزارة الداخلية جاء ما يلي:

"... بالرغم من تعزيزات المسلحين الاكراد فقد احتل مسلحوا الحزب الشيوعي بعض المناطق التي تراجع عنها البارتيون بعد ان اصيبت فصائلهم بخسائر في الارواح حيث ادخلوا سبعة من جرحاهم الى مستشفى دهوك. مما دفعهم الى القيام بحملة اعتقالات على منتسبي الحزب الشيوعي..."

ثم يذكر التقرير تعزيزات قوات الحزب الديمقراطي الكردستاني في دهوك والشيخان وتصادم مع الشرطة. وفي رسالة من المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، بغداد 1623 وتاريخ 11 - 11 1973 يذكر فيها "اللقاء في نابوردان مع (ابوحكمت) حول ما سمي (خطورة تسليح الحزب الشيوعي) في منطقة قره داغ على اعتبار ان المنطقة تعود الى البيش مه ركه" ... (ونظرا الى مواصلة تسليح الشيوعيين فقد فرض البارت عليهم الحصار. وفي اليوم التالي شرع الشيوعيون بالانسحاب ولكن جرى تبادل اطلاق الرصاص بينهم والبيشمركة وتطور الامر الى وقوع ضحايا من الجانبين).

وفي تقرير سري من محافظ اربيل عبد الوهاب الاتروشي وهو عضو قيادة في الحزب الديمقراطي الكردستاني بعدد ق. س 14 - 925 وتاريخ 12 - 11 - 1973 موجه الى وزارة الداخلية يذكر ان الحزب الشيوعي قام بتوزيع اسلحة اكثرها بنادق كلاشنكوف على نطاق واسع على منتسبيه ومؤازريه في مختلف مناطق المحافظة. وان مصادر هذه الاسلحة حكومية. كما يذكر ان اوساطاً حكومية وزعت اسلحة على رؤساء الفرسان السابقين وعلى قرى عربية في المنطقة الشمالية.

في 13 - 11 - 1973 طلب الي الرئيس البكر ان اسافر الى مقر البارزاني لابدي قلقه من عودة التوتر في الشمال بعد تلك الفترة التي بدأت بحرب اكتوبر مع اسرائيل. وفي الوقت ذاته رأيت من الضروري مواصلة التوسط بين البارزاني وقيادة الحزب الشيوعي. وعند اللقاء مع البارزاني وجدت منه استجابة بشأن كل من الموضوعين. وبناء على طلبي ارسل برقية بتاريخ 14 - 11 - 1973 الى جميع منتسبي الحزب الديمقراطي الكردستاني لتجنب أي تصادم مع قوات الحكومة ومع منتسبي الحزب الشيوعي.

ونشرت في صحف صباح 14 - 11 . وحدث يوم 15 - 11 1973 وقدمت تقريرا الى الرئيس في اليوم ذاته استعرضت فيه ما حدث. وابلغت قيادة الحزب الشيوعي برغبتي في العودة الى الشمال لمواصلة المفاوضات بينهم والقيادة الكردية فابدو استعدادهم. وقد تم اللقاء في 22 - 11 - 1973 حضره زكي خيري وكريم احمد ورحيم عجينة ويوسف حنا (أبو حكمت) من قيادة الحزب الحزب الشيوعي. ومن الجانب الكردي حبيب محمد كريم ودكتور محمد عثمان ومحمد محمود (سامي) وادريس ومسعود البارزاني. وكان مما ابداه زكي خيري "حملة تصفية حزبنا سابقة لاوانها وليست في صالحكم.." وكان الجواب "ليس الموضوع موضوع تصفية الشيوعيين وانما نحن ضد تزايد التجمعات المسلحة في منطقتنا".

وقد طال الحديث وتكرر مرارا عن تسليح الحزب الشيوعي وذكر المناطق التي تم فيها توزيع السلاح من الحكومة ومن ذلك ادعاء رفع عدد المسلحين الشيوعيين في دربندي خان الى 300 وفي منطقة قره داغ من 60 الى 200 وان 200 قطعة سلاح وزعت في مخمور و1000 قطعة في مناطق اخرى. وكان جواب الوفد الشيوعي ان تسليحنا ليس ضدكم وانما هو الدفاع عن مواقعنا.

وفيما يتعلق بالجبهة:

بين الجانب الكردي اننا نختلف مع الحزب الشيوعي بشأن الجبهة، اذ اننا نرى فيها نواقص اساسية فليس يسمح فيها النقاش حول القضايا الاساسية والخلاف الهام هو انكم (يقصد قيادة الحزب الشيوعي) تريدون حل المشاكل من خلال الجبهة بينما تضم الجبهة اعداء الحركة القومية الكردية. ونحن نرى ان الجبهة بهذه الصورة لا يمكن ان تكون وسطا لحل هذه المشاكل (يشير الى مشاريع الحكم الذاتي لكردستان) و "نحن نقول ان البعث يحتكر السلطة ولا دليل على احتمال عدوله عن ذلك ... والان يريدون ان تكون الجبهة بتركيبتها المشار اليه واجهة لهذا الاحتكار".

وكان مما ذكره دكتور محمود عثمان من الجانب الكردي: " ... الحوادث مضرّة بالجميع حتى بالحكومة. هنالك حقيقة يجب ان لا تضيع. نحن لنا حقوق قومية والشيوعيون يؤمنون بها. فالماركسية – اللينينية قد حددت وأوجدت السبيل إلى حل المسألة القومية. وقد إستشهد الشيوعيون في سبيل المسألة القومية الكردية. فهم حليف حقيقي لحركتنا القومية. ولا يعقل لهذه الحركة ان تفرط بهذا الحليف. والتصادم بيننا لا تقتصر اضراره علينا "بل إنها تشمل الحكومة والمنطقة .."

ومما قاله زكي خيري " ... لقد ناقشنا ميثاق الجبهة عاماً ونصف عام حتى شبعبنا .... وهي من جهة القوام ليست كاملة، وليست ضدكم. إنها مفتوحة للجميع، وهي معروضة عليكم. إنها في طور التكوين ...."

لم يكن هذا المنطق مقبولاً. وتاريخ تكوين الجبهة معروف، وقد ضمت زمراً عميلة من الكرد اعداء القيادة، جندتهم السلطة في حملة التضاد مع تلك القيادة. وقد إنفض الاجتماع عن غير أقتناع لدى أي من الجانبين.

لقد كانت الحرب عملية إنتحار متقابل. بالنسبة إلى سلطة دولة مسؤولة عن مصار الشعب العراقي كل الشعب، وبالنسبة إلى قيادة قومية كردية مسؤولة عن الشعب الكردي – على الاقل. فهل كان على الحزب الشيوعي العراقي ان يشارك في حرب ذلك هو شأنها؟ وإلى جانب السلطة؟

ينبغي ان نذكر اولاً – ان للحزب الشيوعي العراقي تاريخ طويل في تبني حل المسألة الكردية على اساس الماركسية – اللينينية. وقد كان للحزب الشيوعي ومؤيديه مواقف مبدئية ضد الحرب عند نشوبها عام 1961. وحمل الشيوعيون السلاح إلى جانب الشعب الكردي في عام 1963، وعند تجدد القتال بعد ذلك في عهد العارفين.

أما القول بأن دخولنا الحرب كان للدفاع عن مواقعنا فاين اصبحت هذه المواقع وكيف يمكن التمييز بين الدفاع والهجوم في مثل هذه الظروف. وما شأن تلك المواقع بالنسبة إلى القوى التي خاضت الحرب وكانت تحركها؟ ولا اعني بذلك القوى المسلحة والاسلحة الهائلة لدى كل من السلطة والقيادة الكردية حصراً. بل وفوق ذلك القوى العدو التي عملت مخابراتها لدفع كل من الجانبين في المنحدر حتى القطيعة، فالحرب الطاحنة بالمستوى الذي حدث.

## ملاحظات حول علاقة القيادة الكردية بإيران وما وراء إيران

### حاجة القيادة الكردية إلى إيران وما وراء إيران

لقد اشرت إلى هذه العلاقة صراحةً بتقريرتي المقدم إلى الرئيس احمد حسن البكر في صيف 1969، فنال قبول السلطة ليكون اساساً للمفاوضات مع قيادة البارزاني. ولم تكن تلك الصلات تحول دون مضي الجانبين في المفاوضات.

وقد دونت ملاحظاتي ومعلوماتي الموثقة كما صارحني البارزاني بكثير عن علائق الحركة بالقوى الخارجية، وكنت اتحدث عنها بتعبير "إيران وما وراء إيران" وإقصد بما وراء إيران الولايات المتحدة أولاً وفوق كل قوة أخرى ولم استثنى إسرائيل. وقد صرحت بهذا في محادثاتي مع قادة الحكومات العربية او ممثلهم الذين قمت بمهمة الإتصال بهم من اجل جبهة عربية كردية.

ولقد تم الإعتراف من الجانب الكردي بهذه الصلات وثائقياً: أولاً في مجموعة نشرتها دار التآخي لسان حال الحزب الديمقراطي الكردستاني تحت عنوان "في سبيل السلم والوحدة الوطنية" عن مذكرتين تم تبادلهما بين القيادة القطرية لحزب البعث في 23 - 9 - 1972 وقيادة الحزب الوطني الكردستاني في 28 - 10 - 1972. ومن سجل في جريدتي الثورة لسان حال حزب البعث والتآخي في سلسلة من المقالات خلال تشرين اول وتشرين الثاني 1972.

كانت حاجة القيادة الكردية إلى إيران قد تولدت نتيجة الحصار الإقتصادي والحروب المدمرة. وتشتمل هذه الحاجة على السلاح والعتاد والدواء والمواد الغذائية وما شاكل بالإضافة إلى معالجة الجرحى والمرضى. وكان البارزاني يسمي المساعدات الواردة من إيران بأنها السم الذي يدس في قطعة الخبز للجائع. كما كان البارزاني يؤكد مراراً أن الشاه بخيل وهو يكره الاكراد. وأنه لا يمكن ان يقدم شيئاً إلا بحدود ما يقبض مثله او أكثر من الولايات المتحدة.

وقد كنت على قناعة تامة عن عدم ثقة البارزاني بالشاه. والبارزاني ليس ممن ينسون الإساءة. فكيف ينسى مأساة إجهاز الشاه على جمهورية مهاباد وإعدام من وقع في ايديه من قادتها حتى إستسلموا على شروط العفو، وإضطرار البارزانيين على التمزق وعودة كثرتهم ليقعوا تحت رحمة الحكومة الملكية العراقية، ثم مطاردة الآخرين حتى الحدود السوفياتية من قبل الحكومات الثلاث إيران والعراق وتركيا. وقد إرتفع إستعلاء الشاه على قيادة البارزاني إلى درجات لا تطاق. فكان على وكلاء القيادة الكردية تقديم الرشاوي إلى رؤساء الدوائر الإيرانية التي يمر منها طريق المساعدات. وذات مرة (حسب ما قال البارزاني) إضطر إلى طلب العون من أخت الشاه الاميرة اشرف بواسطة سيدة كردية صديقة لها. ولا ريب ان إستهتار حكومة الشاه ومخابراته وما ورائها من قوى اجنبية بالقيادة الكردية وعلى رأسها مصطفى البارزاني وما تحمل الشعب الكردي من مآسي قد فاق إمكان إستمرار التحمل. فإذا كان حبها للسلام او شعورها بالحاجة إلى السلام قد قادها إلى إتفاق شباط 1964 مع حكومة عبدالسلام عارف على عجل ودون شروط متفق عليها، كما دفعها إلى وقف القتال في حزيران مع حكومة عبد الحمن

البيزاز على محض بيان وزاري، لدلالة كبيرة لتجاهلها لإيران والقوى الأخرى ما وراء إيران. فصلة القيادة الكردية بإيران إنما نشأت وتطورت خلال القتال. وكانت تضعف بنسبة تفاهم الحكومات السابقة مع إيران، وتقوى على العكس. وأن هذه الصلة ضربت ضربة وقتية بإعلان بيان آذر.

### تهريب البضائع

من الضروري التمييز بين حاجة الثورة الكردية إلى إيران والتهريب بين إيران والعراق. فحيثما كانت تسود لغة المدفع والحصار الإقتصادي تفاقت شراة تجار الحرب من كل صنف: بدءاً من رؤساء الإدارة المحلية وكبار ضباط الجيش إلى المرتزقة المأجورين فالإلى المهربين بين جانبي خطوط المجابهة العسكرية.

فمن العراق كان يجري تهريب الشاي المدعوم ومن إيران يجري تهريب السجاد الإيراني بما في ذلك سجاد الكاشان النفيس وبكثرة المصنوعات من الملابس وغيرها من المواد المصنعة وحتى اعود الكبريت.

في هذا الظرف نشأ تجار كانوا يجمعون ثروات طائلة من التهريب. وأينما وجد المهربون وجدت شبكات الإداريين من كل من له نفوذ أو أي مجال من جانبي عملية التهريب في البلد المهرب منه والبلد المهرب إليه من شرطة الحدود وأصغر موظفي الكمارك حتى أكبرهم وتنتهي السلاسل إلى مراكز في قيادة المنطقة من بعض قيادات الجيش والإدارة المحلية وبعض المسيطرين على قيادة البيشمركة.

في عهد القطيعة والحرب المعلنة أو غير المعلنة قبل آذار 1970 كان سوق كلاله جزءاً من اسواق الدولة الإيرانية. ومع الصلة الوثقى بين إيران وإسرائيل كان من المحتمل وجود البضائع الإسرائيلية إلى جانب البضائع الإيرانية. إلا أنني لم أشاهد ولم يبلغ علمي وجود النجمة السداسية الإسرائيلية على بضاعة في الاسواق الكردية.

وبعد إتفاق آذر تم الإتفاق على قطع التهريب بين إيران والعراق. ووضعت علامات الكمارك على جميع البضائع المهربة الموجودة في أسواق كردستان، على إعتبار انها دخلت المنطقة بطرق شرعية على أن تقطع طرق التهريب بعد ذلك.

بيد ان قطع التهريب لا يتوقف على جانب واحد – أي الجانب الكردي. أو الجانب الحكومي، وإنما يتوقف على تعاون الجانبين وليس هذا فحسب: فإن المهربين يسلكون اساليب المافيا. فلإمكان قطع التهريب بصورة رئيسية – ولا اقول قطعية، يجب ان يتصف موظفوا الدولة في المنطقة بالنزاهة والتعاون. وقد تقدم الحديث في موضوع تسليم اولئك الموظفين كميات من الحبوب جمعت في عقرة، فلم يسلموا فلساً واحداً من اثمانها.

كما تقدم الحديث عن سرقتهم مخصصات الفلاحين النازحين من منطقة عقرة إلى الموصل وحمام العليل. فقطع التهريب مستحيل دون القضاء على "المافيا" ومسانديها في أجهزة الدولة في المنطقة، فضلاً عن ضرورة التعاون بين القادتين الحكومية والكردية.

وفضلاً عن هذا كله يبقى مجال محدود للتهريب بسبب الجوار بين سكان الحدود الإيرانية – العراقية، وأحياناً إنقسام القبيلة الواحدة بين القطرين. ولم تكن البضائع المهربة موجودة في المنطقة الكردية فحسب، بل انها كانت تباع في سوق الشورجة في بغداد. فكيف وصلت دون مساعدة "المافيا" في الجهاز الحكومي. في جميع صور التهريب كانت الاضرار تقع على الخزينة العراقية لأن المخطط والمسيطر هو حكومة إيران وكان ذلك من ضمن حربها الباردة على العراق.

### العلائق بين القيادة الكردية في العراق وكرد إيران

منذ إعلان الحرب في عام 1961 لقيت القيادة الكردية مساعدة مزدوجة من كل من الشعب الكردي في إيران ومن حكومة الشاه، فمن ناحية عبر كرد إيران الوطنيون عن تعاطفهم مع الحركة المسلحة في العراق وقدموا ما إستطاعوه "من المال واللباس والذخائر المشتراة من ضباط الجيش الإيراني. وكان لهذه المعونات التي نظمها الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني حتى عام 1966 أهمية .... في حياة الحركة التي يقودها مصطفى البارزاني." (قاسمלו – المجموعة ص 185).

ومن ناحية أخرى أيدت حكومة الشاه الإنتفاضة المسلحة في كردستان العراق تأييداً مخططاً ومقنناً. فقد إنظم إلى هذه الإنتفاضة مسلحون من بعض القبائل المواليين للشاه (من حديث لنوري احمد طه في عام 1961). وفي الوقت ذاته سمحت الحكومة الإيرانية بمرور المساعدات التي كانت ترد إلى الحركة من الخارج عبر إيران. وكان ذلك في البدء عبر قنوات ضيقة وبعد دفع رشاي إلى ضباط الجيش في مراكز السيطرة وحتى في طهران ذاتها (كما اخبرني البارزاني بذلك).

وقد كان واضحاً ان حكومة الشاه لا يمكن ان تشجع حركة تحرر كردية بينما تشدد قبضتها على كرد إيران وتلجأ بين فترة وأخرى إلى اعمال القمع التي تتراوح بين السجن لمدد مختلفة وحتى الإعدام ضد المناضلين الوطنيين الكرد.

وبعد القضاء على جمهورية 14 تموز تم إتفاق بين سلطة إنقلاب شباط 1963 وحكومة الشاه لخنق الحركة الكردية، تحت شعار التعاون ضد حركات التمرد بين الجانبين. ولكن حكومة الشاه لم تراع في الواقع ذلك الإتفاق.

ولم يلبث ان تغير الوضع في العراق: أولاً بزوال سلطة 1963، ثم بإتفاق الهدنة في شباط 1964. ورغم محاولات حكام العراق في عهدي العارفين التفاهم مع حكومة الشاه ظلت هذه الحكومة على عدائها المخطط للعراق بسبب سياسته الخارجية التي لم ترتبط بالمشاريع الإمبريالية رغم الجوانب الرجعية الداخلية للزمر التي تعاقبت على مراكز القوة في هذين العهدين.

وقد إكتسب هذا العداء زخماً جديداً بعد معركة هندرين في أيار 1966 وزادت إيران من مساعداتها للقيادة الكردية ووطدت اكثر من ذي قبل إحتوائها لهذه الحركة. فإذ عدت إلى المنطقة في شباط 1967 وجدت تغيرات بارزة في سياسة القيادة الكردية، وفي وضعها الداخلي: إذ أعلن العداء الحاسم لمنظمة الحزب الشيوعي العراقي وأنذرها بترك المنطقة وتشجيع الإنشقاق في الحزب الشيوعي العراقي. وتزايدت المعونات الإيرانية بكميات من الأسلحة وبمستويات جديدة ... (أنظر زيارتي لكردستان في اواخر شباط 1967 – حتى تموز 1967).

ويهمنا في هذا المقام بروز الموقف العدائي من المناضلين الكرد الإيرانيين. فمن الملاحظات التي دونتها آنذاك ما حدث لأربعة من كرد إيران كانوا يختفون في دار في خالان وأن قوة من الامن الإيراني دخلت المنطقة حتى خالان وحاصرتهم. وجرى إطلاق النار بينهم وبين هذه القوة حتى قتل إثنين منهم وأسر جريحين. وعادت القوة الإيرانية بهما إلى إيران.

وفي هذا الخصوص يذكر قاسملي ما يلي: "في بداية عام 1967 غادر العراق الكثيرون من زعماء ومناضلي الحزب الديمقراطي الكردستاني. وكانت قد جرت عدة مصادمات مسلحة بين فلاحين اكراد ورجال درك (جندرمة) الشاه، شجعت معه على حمل السلاح وثم تنظيم للتمرد في المنطقة الواقعة بين (مهباد)، (باتيس)، (سردشت). وإستمرت حرب العصابات التي بدأت في شتاء 1967 ثمانية عشر شهراً إلى ان تم تطويق هؤلاء المحاربين بعد ان وقعوا بين نارين: نار القوات الإيرانية ونار قوات البارزاني. وقاتل الشبان الذين تنقصهم الخبرة ببسالة وضراوة دون ان يتلقوا أي عون خارجي ... وقد أبيد معظمهم. ثم يذكر اسماء الشهداء فيقول "وإنهارت الحركة بعد ان فقدت قائدها. ولجأ بعض المناضلين إلى العراق حيث اضطروا إلى التخفي خشية الوقوع في أيدي بيشمركة البارزاني. وقتل او إعتقل اكثر من اربعين من مناضلي الحزب الديمقراطي الكردستاني. ثم قام رجال البارزاني بتسليم جثثهم إلى السلطات الايرانية." (إنتهى حديث قاسملي، المجموعة ص 187 – 186).

ذلك على كل حال رقم كبير لم أشعر به عند تواجدي في المنطقة، وليس لي أن ادحضه. وقد قدر بعض الذين تحدثت معهم آنذاك ان الذين لجأوا إلى العراق للتخفي بنحو 300 مناضل. غير ان التوصل إلى أي عدد صحيح او تقريبي غير ممكن. وقد اضطروا أولاً أولئك العائدون إلى اللجوء والتخفي لدى مختلف المنظمات المتواجدة في الشمال. بمن فيها منظمة الحزب الشيوعي العراقي، والقيادة المركزية المنشقة وقوة جلال الطالباني. وأخيراً إلى سلطة البعث الجديدة بعد تموز 1968 (من مذكرة الدكتور مراد حررها إثر إتفاق آذار 1970).

وكان من ابرز الشخصيات الذين أُلقي القبض عليهم وتم قتلهم سليمان معيني الملقب (فائق). فقد ذكرت في اوراقى لعام 1967 أنه أستطاع العودة إلى إيران او الإختفاء. غير اني عندما عدت إلى المنطقة في صيف 1968 دونت ما يلي:



"شاع ان إستخبارات القيادة الكردية إستطاعت القبض على سليمان معيني وأعدمته رمياً بالرصاص، وسلمت جثته إلى السلطة الإيرانية. وقد سألت البارزاني على صحة هذا الخبر فأجابني: بأن لسليمان معين إتصالات بالاوساط الحكومية العراقية. وقد أمكن إلقاء القبض عليه للتحقيق معه. غير انه هرب من محل التوقيف مما إضطر الحراس إلى إطلاق النار عليه. وأنه لو لم يهرب لما قتل. وقد اخبرني الشيوعيون آنذاك ان إستيلاءً شديداً ومظاهرات قامت في منطقة مهاباد إحتجاجاً على إعدام سليمان معيني.

### ملاحظة

لقد تضاربت الاخبار حول كيفية القبض على سليمان معيني ولعل ادقها ما ذكره احمد باناخلاني عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الذي كان يقود الفصيل الشيوعي في منطقة دركه له. قال لي "جاءنا إلى دركة له فائق (سليمان معيني) ومعه أمين شرقي ليلاً وأبلغانا أن حزبهم بدأ الكفاح المسلح دون تهيو كاف. وقد دخلت القوات البارزانية إلى جانب قوات الشاه في منطقة الحدود. فلجأ سراً إلى كردستان العراقية. وقال أحمد باناخلاني "إستطعنا إيصال سليمان معيني ورفيقه عبر جبال هندرين. ومن راوندوز تسللوا إلى السليمانية وإختفوا في بيت احد اصدقاء الحزب." وقال "لقد حذرت فائق ورفيقه شخصياً من قادر تكراني الذي كان عميلاً لحزب البعث وإيران وللقيادة البارزانية. وهو الذي قاد مع عثمان أما وظاهر البناء عمليات إبادة الشيوعيين في مذبحه (كاني ماسي) جنوب السليمانية." إلا ان اللاجئين المشار إليهما، قد إستدجرا إلى قادر تكارني فسلمهما هذا إلى صديق أفندي مسؤول الحزب الديموقراطي الكردستاني لمنطقة جوارنا فسلمه هذا إلى البيشمركة البارزانية. (إنتهى حديث باناخلاني).

وعندما كانت تجري المفاوضات بإتجاه إتفاق آذار 1970 كان ينزل في احد فنادق بغداد دكتور مراد (وهو احد كوادر الحزب الديموقراطي الكردستاني – الإيراني. وكان قد تم التعارف بيننا في لقاء معه ومع عبدالرحمن قاسملي في برلين الديموقراطية عام 1966. وقد حاول الدكتور مراد ان يبدي لي المشورة في عملي بين السلطة والقيادة الكردية فترك لدي إنطباعاتاً بأنه له علاقة مع السلطة ليس محض لاجئ.

وبعد إعلان إتفاق آذار أرسل دكتور مراد رسالة تهنئة إليّ. ومما ذكره في تلك الرسالة: تصدع التحالف الذي كان بين الحزب الديموقراطي الكردستاني الإيراني وقيادة الحركة الكردية. وتم التحول إلى موقف الهجوم على حزبنا وقد برز وظهر هذا الموقف بشكل حاسم في سنوات 1964 – 1966 وذلك بضغط القوى الإمبريالية. ومما ذكره "إقدام احد الكوادر التنفيذية للقيادة الكردية وذكر إسمه ... بتنفيذ حكم الإعدام على احد أعضاء لجننتنا المركزية المدعو ملا رحيم سيوجي ومصادرة أدوات طباعتنا والإستيلاء على ممتلكات ووثائق حزبنا. .... وهكذا صدر الامر من قيادة الحركة الكردية

بتأريخ 2 - 2 - 1966 بإيعادي وإبعاد جماعتي ... إرضاءً لحكومة الشاه ... وبنتيجة هذه السياسة إستشهد كثير من رفاقنا وأعضاء اللجنة المركزية." (نسخة المذكرة محفوظة لدي).

وقد لخص قاسمלו اسباب العلاقات بين الحركة الكردية في العراق بقيادة البارزاني والحركة الكردية الإيرانية بما يلي: "بينما كان الشاه العدو رقم (1) بالنسبة إلى كرد إيران. كان الشاه الصديق رقم (1) بالنسبة إلى القيادة الكردية في العراق. (ص 188).

غير ان الموضوع في نظري اكثر تعقيداً. فالبارزاني اصبح أسيراً في علاقته مع الشاه لصنفين من **العناصر والعوامل**. اولهما: تحوله في مراحل إلى الإعتماد على المساعدات الخارجية بأسلحة متطورة وكميات كبيرة سلبته الإستقلال النسبي لحرب الانصار. وثانيهما: المركب القيادي الذي كانت تقوم عليه أعمدة الحركة المسلحة. وفيها عناصر فاسدة وإنتهازيون وعملاء لإيران صراحةً **ومن المحتمل جداً لغير إيران ايضاً.**

مما تقدم يمكن إيجاز مساعدة حكومة الشاه للحركة القومية الكردية العراقية بما يلي.

أ - في البدء كان الغرض المباشر الالهم هو الإسهام في القضاء على جمهورية 14 تموز.  
ب - مع التطور السلبي بالحروب بين بغداد والقيادة الكردية، وحتى بعد كل هدنة تعقد بين الجانبين، كانت المساعدات الإيرانية تزداد وفق مخطط لمنع حل المسألة الكردية في العراق والوصول إلى صلح مستقر. وتسنى من خلال ذلك إحتواء الحركة دون بلوغها اهدافاً مرموقة تكون مثلاً مشجعاً لإيران.  
ج - وأخيراً بلغ ذلك الإحتواء درجة إستطاعت به حكومة الشاه تجميد الحركة القومية الكردية في العراق عن مساعدة كرد إيران، بل وتسخيرهم لضربهم عند الإقتضاء.

في إجتماع للجنة السلام في آب 1971 قدم الجانب البعثي الجانب البعثي إنتقاداً لقيادة البارزاني وبين ممثلوا الحكومة "إن قادر تكراني قد قام بأعمال مضادة لإيران عند الحدود في منطقة السليمانية. وبدلاً من يجد مساندة وتأييداً من قبل القوات البارزانية، إلا انها قامت على الضد فقد تم تطويقه بقوة شارك فيها قادة من حرس الحدود والبيشمركه. وطالب ممثل الحكومة من الوفد البارزاني مراجعة موقف القيادة الكردية من إيران.

إن العلة المباشرة لهذه الظواهر هو ان القيادتين الحكومية والقومية الكردية قد وقعتا في فخاخ المجابهات والتسابق على إكتساب العملاء، فإفتتح المجال واسعاً للمخابرات الإيرانية ومنمن فوقها المخابرات المركزية الامريكية.

### مسألة تهريب اليهود

أثارت اجهزة الحكومة مسألة تهريب اليهود إلى خارج العراق عبر كردستان وإعتبرت ذلك جزءاً من سياسة خطيرة. وقد أثير هذا الموضوع في إجتماع للجنة السلام في 17 آب 1971 حضره ناظم كزار مدير الامن العام. ولنتذكر ان لجنة السلام ليس لها قوام ثابت فكل من يحضر الإجتماع من منتسبي حزب البعث يعتبر عضواً في ذلك الإجتماع. ومما ذكره مدير الامن العام: أن قد أُلقي القبض على

بعض اليهود وبأيديهم اوراق عدم تعرض صادرة من الحزب الديموقراطي الكردستاني ولدينا إقرارات بأن فرانسوا كان مسؤولاً عن تهريب اليهود. وكذلك مسؤولون حزبيون من مستوى متقدم. وبعد مناقشة حادة حول نفي التهمة وتأكيدهما. أصدر رئيس اللجنة مرتضى الحديثي بياناً في اليوم ذاته بتأليف لجنة للتحقيق في الموضوع من السيد غانم عبد الجليل عضو لجنة السلام والسيد دارا توفيق عضو لجنة السلام ومدير امن محافظة السليمانية ومدير شرطة محافظة السليمانية وبين ان هذه اللجنة التحقيقية مخولة بتوقيف وحجز كل من يثبت عليه شيء ما يشتبه به من خلال التحقيق، وأن تمارس هذه اللجنة التحقيقية عملها فوراً وبصورة سرية. وقد أرسلت نسخ من هذا القرار إلى كل من مجلس قيادة الثورة و... و... وأعضاء لجنة السلام .. وعزيز شريف.

ولكن قبل إجتماع لجنة السلام كانت أجهزة الامن قد لقت القبض على عدد من اليهود بتهمة إحتمال الهروب. وإستغل الوضع بعض المحامين البعثيين وأصدقائهم وأخذوا يتصلون بنوي المعتقلين، للحصول على مبالغ لقاء التوسط لإطلاق سراحهم.

ومما ذكرته زوجة احد الموقوفين وهو المحامي شهرباني عند مراجعتها لإطلاق سراحه. "إننا نملك داراً صغيرة يسكنها احد البعثيين. ولما طالبه زوجي بالأجرة ولح في الطلب تسبب في إعتقاله. وكان معلوماً ان المحامي شهرباني كان يعيش على حافة الفاقة لانه لم يكن ذي شهرة او حضوة تجذب إليه أصحاب القضايا التي يمكن ان ينال عنها أجراً مهماً.

لقد كان في تقديري ان للموضوع جانبين: جانب واقعي وآخر مبدئي. فمن حيث الواقع ليس مستبعداً أن تهريباً لليهود كان يجري عبر كردستان ولا بد للهاربين من مساعدة عناصر في الثورة سواء اكان ذلك لقاء ربح شخصي ام بتشجيع من القيادة او كليهما. اما الناحية المبدئية فهي لماذا يهرب اليهود؟ لقد حدثت إجراءات سيأتي الحديث عنها لإخراج اليهود من العراق. والقلة الضئيلة الباقية هم من إستطاعوا التمسك بالبقاء رغم كل تلك الإجراءات. فهروبهم اليوم يدل على مواجهة ضغط يتجاوز الضغوط التي سبقت منذ إعلان تقسيم فلسطين عام 1947، اي قرابة ربع قرن.

ولذا فقد حررت إلى رئيس الجمهورية مذكرة أبدت فيها رأيي في الموضوع مستعرضاً تأريخ تهجير اليهود من العراق. وبينت للرئيس أن القلة الباقية من اليهود في العراق هم الذين ادى بهم الحرص على البقاء في العراق لسبب او آخر يمكن إجمالها في قوة جذورهم في البلد. اما اليوم فأمام الحكومة احد طريقين. فإما أن تضمن لهم الحرية وبها يمكن توطيد روح المواطنة لديهم. وإما أن يفسح لهم المجال للخروج إلى أي بلد شاؤوا.

لقد كان الموضوع في نظري إنسانياً وسياسياً في الوقت ذاته. إنه مرتبط بالقضية الفلسطينية. ففي مذكرتي التي قدمتها إستعرضت موضوع الصهيونية بالنسبة إلى اليهود في العراق بدءاً من عهد الإحتلال البريطاني. ففي مذكرات الحاكم الملكي العام يقول أنه دعا وجوه اليهود إلى تأليف لجنة

صهيونية فاعتذروا وقالوا "أن العراق جنة عدن بالنسبة إلينا. إننا لا نتمنى أكثر من العيش فيه بسلام مع سائر المواطنين."

ثم ذكرت مذبحة اليهود التي دبرها عملاء سلطة الإحتلال البريطاني عند إنهيار حركة رشيد عالي الكيلاني في عام 1941، وذلك لإشاعة الفوضى ليكون دخول الجيش البريطاني في بغداد مقروناً بالمحافظة على أمن المواطنين. وأخيراً المؤامرة الصهيونية الكبرى التي سبقت تقسيم فلسطين وإستمرت بعد التقسيم. كان احد شقيها تفرغ فلسطين من سكانها العرب بالمذابح الجماعية التي إشتهر نموذجها بمذبحة دير ياسين. وبالتهجير القسري والإذابة بكل صورة.

وكان الشق الثاني دفع يهود البلاد العربية إلى الهجرة إلى فلسطين لإملاء الفراغ. ولقد كانت المؤامرة واسعة ليس لتهجير يهود العراق بحسب، بل وكذلك يهود أوروبا، وخاصة الدول الإشتراكية والمؤامرة ما زالت مستمرة.

ولقد كان العراق من أشد بؤر تلك المؤامرة إشتعالاً. فقد إشتريت ثلاث منظمات صهيونية في العمل لتهجير يهود العراق، كانت تعمل سراً في الشكل، ولكنها كانت معروفة لدى دوائر الامن. ومعنى ذلك انها مشجعة من قبلها. منها منظمة (تنوعة) الإرهابية التي كانت تقوم بأعمال الإعتداء على متاجر اليهود ومحلات العبادة ... وبعد أن أتمت عملها وخرج منفذوها من العراق إدعت دوائر الامن أنها إكتشفت المنظمة ومخازن القنابل .. إلخ.

وفسي الوقت ذاته كانت دوائر الامن تلقي القبض على اليهود بتهمة ان لهم مراسلات مع اصدقاء او اقارب في فلسطين. ولايطلق سراح المقبوض عليه إلا بعد المساومات ودفع ما يستطيع حسب قدراته المالية. ونشطت العناصر الطفيلية وبينها بعض أذعياء القومية العربية تحت عنوان جمع المساعدات لفلسطين. فأخذوا ينظمون القوائم بأسماء اليهود ويجبون منهم مبالغ حسب قدرة كل منهم المالية.

وأخبراً صدر القرار المشتهر بأسقاط الجنسية العراقية عن اليهود. وكان الإسقاط إختيارياً حسب ما جاء بالنص. ولكنه طبق بالإكراه من قبل قوات الامن. لقد كانت هذه عملية خيانة مزدوجة ضد الشعب الفلسطيني ولكنها أيضاً كانت عملية إثراء متعددة الصور. إثراء للذين إستولوا على املاك اليهود العقارية بمبالغ بخسة وإثراء لرجال الدولة الذين كانوا يرتشون من اغنياء اليهود لمساعدتهم على نقل ذهبهم ومجوهراتهم ... إلخ. (إنتهت خلاصة المذكرة).

أصدر الرئيس امراً بإطلاق حرية السفر لليهود. وفي إجتماع آخر للجنة السلام شارك فيه من الجانب الحكومي مدير الامن العام، فأنار الجانب الكردي مسألة هجرة اليهود وأبدى إستغرابه من كونها اصبحت شرعية بعد ان كانت الحكومة تعتبرها مسألة سياسية خطيرة. أجاب ناظم كزار: أن الموضوع قد تطور بطلب من وزير العدل وموافقة الرئيس على رأيه. على ان جانب الإثراء من اليهود لم يتوقف. فقد أعتبر تنفيذ قرار الرئيس تدريجياً فما معنى التدرج؟ وقد راجعني بعض ذوي المعتقلين وذكروا ان ثمة محامين يطلبون منهم مبالغ باهضة لقاء التوسط لإطلاق سراحهم.

### إفتراء الإرهابي بيغن

لست بصدد نفي قيام علائق بين القيادة الكردية وإسرائيل. فقد كنت ألاحظ الأدلة على هذه العلائق منذ الستينات. فباتصالي الطويل بالحركة القومية الكردية بقيادة البارزاني كنت ألاحظ بما تيسر الرؤية لي إلى الحقائق من محاولة الإسهام في التصحيح.

ولم يكن يخفى علي أن السبب الاساسي لهذا الخطأ إنما كان موقف الحكومات العراقية التي تلجئ الجانب الكردي إلى مخرج من الحصار. وفي الوقت ذاته لم أكن ارتضي للحركة الكردية وقائدها البارزاني ذي التأريخ الطويل في النضال أن يلجأ إلى ما لجأ إليه وبالدرجة التي بلغتها. وقد سبقت لي خلاقات مع البارزاني في موضوع صلات قيادته بالقوى الخارجية.

كانت إفتراءات بيغن بخصوص دعم إسرائيل للثورة الكردية على درجة كبيرة من الخطورة. ففي 29 — 9 — 1980 نشرت نيويورك تايمس تصريح لبيكن في يوم 28 — 9 — 1980 بأن إسرائيل زودت البارزاني بالأسلحة والمعدات والمدربين وقامت بتدريب قواته من سنة 1965 حتى سنة 1970. وأن تلك المساعدات بدأت في عهد ليفي أشكول ثم في عهد غولدا مائير وإستمرت في عهده. وذكرت صحيفة يديعوت احرونوت الصادرة في إسرائيل في 30 — 9 — 1980 ما يلي:

"كشف رئيس الحكومة مناحيم بيغن في لقاء مع هيئة التدريس في مدرسة الجنود في جغعات اولغا في 29 — 9 — 1980 أن المعونة المكثفة التي قدمتها إسرائيل للأكراد في العراق قد إستمرت عشرة سنوات بين 1965 إلى 1975 وتضمنت المال والسلاح والتدريب. وفي أثناء حرب الايام الستة في سنة 1967 لم يخيب الاكراد الامل الذي قاموا به ضد الجيش العراقي لإشغال قوات عسكرية في منطقة كردستان، وكان من شأنها أن تتحرك عن طريق الاردن للإنضمام آنذاك للحرب ضد إسرائيل." ثم تمضي الصحيفة ذاتها. وقد كشف رئيس الحكومة مناحيم بيغن أمس أنه إتقى مع البارزاني وتحدث معه بالروسية. كان هذا في شهر أيلول — سبتمبر 1967 عندما قام البرزاني بإحدى زيارته لإسرائيل. وكان البارزاني قد زار إسرائيل بضع مرات."

ونشرت جريدة هآرنتس مقالاً في 10 — 10 — 1980 تحت عنوان "إسرائيل في كردستان". ومما جاء فيه "نشبت حرب الايام الستة بين إسرائيل وجاراتها وإنضم العراق إلى الاردن. وعلى الفور أثبت الكرد في العراق أنهم مدينون بالشكر لإسرائيل. فعلى الفور عززت وحدات من الثوار الكرد هجماتها على القوات العراقية، مما إضطر العراق إلى فرز بضع فرق لمنطقة كردستان لم يستطع إرسالها للإشتراك في الحرب ضد إسرائيل وكانت حرب الايام الستة قصيرة."

كما هو مبين في مواضع أخرى من هذا الحديث كنت في خلال السنين العشر الذي يتكلم عنها الإرهابي السفاك بيغن على إتصال مباشر مستمر بالحركة الكردية إبتداءً من صيف 1965 حتى أيام من شباط 1974.

لم تكن إسرائيل مقهى مجاوراً لبيت البارزاني يتردد عليه ويتبادل الحديث عن الاهد والاصدقاء. وليست حرية البارزاني بتلك الدرجة إذ يستطيع القيام بسفرات متعددة تاركاً مسؤولياته. ولم يكن البارزاني شخصية مجهولة (طيراً صغيراً) كي يمكن أن يسافر خارج المنطقة ولا يعرف غيابه. وعلى سبيل المثال أذكر أن الذين كانوا في منطقة البارزاني كانوا يحصون حركاته حتى لو غاب بضعة أيام. فقد أحصوا على البارزاني في فترة سابقة غيابه عن مقره من 21 - 5 - 1968 حتى 7 - 6 - 1968، أي حوالي 18 يوماً. وهي فترة لا تكفي لخروجه من المنطقة. كما أنها خارجة عن فترات الإفتراءات الصهيونية حول زيارات إسرائيل. ولم يمكن الإفتراض أنه زار فيها إيران، إذ أن حكم الإعدام عليه لم يكن قد رفع عنه آنذاك. وحتى لو رفع حكم الإعدام لم يكن من اليسير المجازفة بحياته، وتجاربه وتجارب العائلة البارزانية، بل وتأريخ الشعب الكردي غني بوقوع قادة ثوراته بمكائد (او مصائد) الاعداء ممن يبتسمون لهم.

ولم يطمئن البارزاني إلى زيارة بغداد حتى بعد بلوغ النصر بإتفاق آذار 1970. وكل ما إستطاع ان يقدره الذين لاحظوا غياب البارزاني عن مقره هو انه ربما قابل شخصية ما على الحدود. أما كيف قبل البارزاني بعد سنين تعميق العلاقة مع إيران، فلذلك حديثه الذي سبق وأن اوضحته. فما هو غرض الإرهابي بيغن من تصريحه وأتباعه بحملة الصحف الصهيونية.

علم أن تصريح بيغن بشأن المساعدة التي قدمتها إسرائيل للثوار الكرد لم تكن زلة لسان، بل تم التخطيط له مسبقاً. إذ أشار المقربون من بيغن أنه أراد التلميح بذلك إلى أن يد إسرائيل وصلت إلى العراق وبمقدورها أن تصل أيضاً إلى مناطق بعيدة.

#### ملاحظات خاصة بالناشر بخصوص العلائق بين القيادة الكردية والموساد

لقد تبين بعد وفاة عزيز شريف بأن مصطفى البارزاني قد قام فعلاً بزيارة إسرائيل وان الزيارة تمت عن طريق إيران. وقد وثقت المعلومات بخصوص تواجده في إسرائيل بمختلف الصور الفوتوغرافية، لعل اهمها صورته مع رئيس الدولة الصهيونية زلمان شيزار. كما ظهر في إحدى الصور الملتقطة له في إسرائيل بصحبة الدكتور محمود عثمان وديفيد كرون ممثل الموساد في طهران خلال الفترة 1965 - 1969. ووثقت زيارته لطبريا بصورة وهو يصافح صديقه الكردي المهاجر إلى إسرائيل من بارزان المدعوا ديفيد جاباي (داوود الحاج خانو سابقاً). كما نشرت مختلف الصور الملتقطة لرجال الموساد في منطقة الثورة في كردستان العراق وأثناء إجتماعاتهم مع البارزاني.

وكما هو معلوم ان منظمة الموساد هي مجرد أدوات تطويل لذراع المخابرات المركزية. ويعود تسخيرها للقيام بالنشاطات التخريبية في كردستان العراق إلى سهولة قدرتها على التغلغل في المنطقة. فالكرد هم احدى الاقليات التي كانت محط أنظار المخابرات المركزية والموساد منذ بداية تأسيس الدولة الصهيونية. ومما يبسر نشاطات الموساد في كردستان العراق وجود أعداد كبيرة من اليهود الكرد العراقيين في إسرائيل، تقدر نفوسهم بحوالي 200 الف نسمة. وقد تبوء عدد منهم المناصب الهامة.

فعلى سبيل المثال إسحق مردخاي وزير الدفاع الإسرائيلي السابق كردي مهاجر من كردستان العراق. فضلاً على ذلك تعود صلة الكرد المغتربين بالموساد إلى فترة تأسيس الدولة الصهيونية. مثال ذلك الامير الكردي كامه ران بدر خان.

لقد ورد في كتاب شلومو نكديمون، الموساد في العراق ودول الجوار، في الصفحة 201، الآتي:  
"اعتقدت الجهات الإسرائيلية في منتصف نيسان 1968، أن هذا التاريخ مناسب لإحضار البارزاني إلى إسرائيل كان هذا الموعد يصادف عيد الفصح العبري المسمى (بيسح).

يتميز كتاب شلومو نكديمون بكشفه عن معلومات كثيرة مفيدة بخصوص تغلغل الموساد في الحركة القومية الكردية. فلم يكن أحد يتصور مثلاً بأن بعض الوجوه الطلابية الكردية المرموقة في أوروبا كانت مرتبطة بالموساد. ولا يقتصر الكتاب على كشف إرتباط البارزاني بالموساد فحسب، بل يكشف أيضاً تفاصيل بخصوص إرتباط إبراهيم احمد وجماعته بالموساد.

إنما هناك نواقص أساسية في الكتاب. فالكتاب موثق فقط بواسطة الصور. وفي عدد من المواقع يصف الكاتب أحداثاً سبق وأن وقعت فعلاً، ولكن بصورة غير دقيقة. وبقدر تعلق الامر بإرتباط البارزاني بالموساد لم يذكر الكتاب اليوم الذي التقطت فيه كل صورة من صور البارزاني في إسرائيل. كما انه لم يذكر موعد وصول البارزاني إلى إسرائيل وموعد رحيله منها على وجه الدقة.

وبصفة عامة لم يكتب الكتاب بصورة علمية تؤهل إستخدامه كمرجع تاريخي موثوق. وإنما كتب بأسلوب يستهوي القارئ السطحي من أجل إثبات عزائم الشعب العراقي كرداً وعرباً وجعله يحس بالخيبة من الحركات الثورية وقادتها وأستدراجه إلى طريق الخنوع لمشئئة قوى الشر.

ولا بد من طرح السؤال الآتي: هل ان التاريخ الذي اورده شلومو نكديمون لزيارة البارزاني لإسرائيل في منتصف نيسان 1968 كان خطأ او مجرد محاولة للتوريه لوجود ضرورات لتفادي كشف بعض الاسرار ذات العلاقة وأن الزيارة حصلت فعلاً خلال الفترة من 21 - 5 - 1968 حتى 7 - 6 - 1968. أي الفترة التي وثقها عزيز شريف بخصوص غياب البارزاني عن المنطقة والتي تم احصاء ايامها.

ذكر عزيز شريف في ختام ملاحظاته بخصوص بيغن بأنه علّم أن تصريح بيغن بشأن المساعدة التي قدمتها إسرائيل للثوار الكرد لم تكن زلة لسان، بل تم التخطيط له مسبقاً. وهذا صحيح بالتأكيد، إنما لم يراد بتلميح بيغن بذلك على الكشف عن حقيقة أن يد إسرائيل وصلت إلى العراق وبمقدورها أن تصل أيضاً إلى مناطق بعيدة كما ذكر عزيز شريف فحسب، بل أريد بالإضافة إلى ذلك إثارة البغضاء ضد الحزب الديموقراطي الكردستاني الذي كان مسطيراً آنذاك على أجزاء من كردستان العراق. وذلك من أجل خلق دافع لدى قيادة البعث لتوسيع رقعة الحرب العراقية - الإيرانية من خلال شمول كردستان العراق فيها. ويمكن الإستدلال على ذلك من توقيت الحملة الإعلامية بواسطة الصحف الثلاثة المذكورة

بين 29 - 9 - 1980 و 10 - 10 - 1980، أي بعد أيام من إندلاع الحرب العراقية - الإيرانية في 22 - 9 - 1980.

وكما هو معلوم كان الاتحاد الوطني الكردستاني الاداة الحقيقية التي استخدمت في الحرب من قبل السلطة العراقية ضد الحزب الديمقراطي الكردستاني المسند آنذاك من قبل جمهورية إيران الإسلامية الإيرانية. وإذا ما أخذنا بنظر الإعتبار إرتباط الحزبين الكرديين المتناحرين بالموساد، فلا بد من الإستنتاج بأن الموساد كان العنصر الفعال على الجهة الكردية؟

ومن الملفت للنظر إشتراك الحزب الشيوعي العراقي في الجبهة الوطنية والقومية الديمقراطية "ج. و. ق. د." مع الاتحاد الوطني الكردستاني والبعث "قيادة القطر العراقي" والحركة الاشتراكية العربية في تشرين الثاني 1980. إي بعد شهر واحد من الحملة الإعلامية الامريكية - الصهيونية المذكورة وإندلاع الحرب الإيرانية - العراقية. ثم تم توقيع الحزب الشيوعي بعد 16 يوماً على إتفاق الجبهة الوطنية الديمقراطية "ج. و. د." وذلك بالاشتراك مع الحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الاشتراكي الكردستاني.

وكما لاحظ عزيز شريف إنطوت مسألة الدخول في جبهتين على مخاطر كبيرة ترتب عليها دخول الحزب الشيوعي في تحالفين عسكريين مع جهتين متناحرتين، لكل منهما قاعدة إسناده المتناحرة. فكيف يمكن شرح تزامن الحملة الإعلامية الامريكية - الصهيونية المذكورة مع توقيع الحزب الشيوعي العراقي على الإشتراك في الجبهتين المذكورتين أعلاه؟ وقد تزامن التوقيع على الجبهتين في ظرف الملاحقة الوحشية للحزب الشيوعي وتصفية العناصر الشيوعية المتفانية. فهل كان الغرض من زج الحزب الشيوعي في هذه المعركة ضرورة لإستخدامه كوقود من اجل توسيع نطاق هذه الحرب وإطالتها. وكما هو معلوم ان إبادة العقول العراقية هو واحد من اهم اهداف المخابرات المركزية. وقد زجت العقول العراقية في هذه الحرب بدون أي مبرر. من حقنا ان نطرح التسؤلات التالية: هل كان الحزب الشيوعي مسير من قبل عناصر مندسة كانت المسبب في دخول الحزب الشيوعي في الجبهتين لهذين الغرضين. وهل كان السبب في الإصرار على الإستمرار في هذه السياسة امر ضروري لإدامة الحرب وإستكمال عملية الإبادة هذه؟ وهل كان للموساد الباع الطويل في تخطيط المعارك المأساوية التي راح ضحيتها عدد كبير من المناضلين الشيوعيين مثل معركة بشت أشان وغيرها؟



## الفصل الثاني عشر: التوجه نحو القطيعة

### تأليف اللجنة العليا لشؤون الشمال ومن طرف واحد

يوم 17 حزيران 1971 بلّغ أعضاء لجنة السلام ببلاغ سري وعلى الفور مرقوم بالعدد 35. يأمر بحذف كلمة البيشمركة من المعاملات الرسمية - بعد ان تم تأليف حرس الحدود. ويعتبر اي تجمع باسم البيشمركة معادياً. ويطلب من وزارتي الدفاع والداخلية اتخاذ ما ينبغي ( بخصوص هذه التجمعات المعادية). ثم علم ان تأليف اللجنة كان برئاسة صدام حسين. (نائب رئيس مجلس قيادة الثورة والامين العام المساعد لحزب البعث قطر العراق) واعضؤها كل من وزير الداخلية سعدون غيدان ووزير الخارجية مرتضى الحديثي واعضاء القيادة القومية نعيم حداد وسمير النجم ومحمد فاضل بدن. فكان تأليفها بهذه الصورة مفاجأة للجانب الكردي لمخالفته للاتفاق على تأليف "لجنة اشرف مشتركة" في آخر ايام المفاوضات على اتفاق آذار 1970. وكان ذلك مضافاً الى ما كان يسميه الممثلون الكرد عدم المساواة في لجنة السلام ولم يعلموا ان تأليف هذه اللجنة كان بقرار من السلطة على أن تكون حكومية ايضاً.

لقد كان تشكيل هذه اللجنة دليل واضح على تصميم صدام حسين لاجهاض اتفاق آذار. وكان ابرز حدث لتأليف اللجنة العليا مباشرة، هو زحف الجيش بمختلف اصناف اسلحته. المشاة والدروع والطيران، فمباشرة الحرب في منطقة بارزان وبيره كبره في تموز 1971، وقد تمّ بامر من رئيسها بذريعة استتجاد عثمان بن الشيخ احمد البارزان في بداية الاسبوع الثاني من تموز 1971. وكانت السلطة قد سارت شوطاً بعيداً في التغيير الديموغرافي في المناطق المختلف على طابعها القومي. وفي اول اجتماع للجنة عقد في آب 1971 بدعوة من رئيسها صدام حسين بين ما يلي: لقد الفت اللجنة العليا لشؤون الشمال للنظر في التزامات حزب البعث فقط وقراراتها نافذة على حزب البعث وان رئيس الجمهورية امين سر القيادة القطرية ليس من اعضاء هذه اللجنة. وبالمقابل شكلوا لجنة من جانبكم لمثل الصلاحيات التي فناها من اجلها. وازاف محمد فاضل قائلاً: شكلوا انتم لجنة ايضاً ان شئتم ونحن نرسل اليكم احد ممثلينا. نعيم حداد على سبيل المثال تطلعوه على ما تشاؤون من قراراتكم التي ستكون نافذة عليكم فقط. قال صدام حسين: ان لقائنا هذا يعقد بناء على رسالة البارزاني المؤرخة في 25 تموز 1971.

واستعرض موجزاً تأريخ المفاوضات حتى اذار 1970 ومما قاله " ... لم يأت بيان آذار مصادفة بل كان نتيجة المرارة والمآسي لتسع سنوات ... وبدأت الجهود الخيرة للمفاوضات وليس يعرف من كان "الاسبق استجابة" ... "الشعب العراقي عربياً وكردياً اعتبروه انتصاراً". ولكننا لا ندعي ان جميع البعثيين آمنوا به، فقد كان الخلاف احياناً حتى على اوضح نقاط هذا البيان. وقال "يتلخص بيان آذار في مسألتين: تطبيق الحكم الذاتي وتعزيز سلطة الدولة على كل شبر من اراضي العراق".

لقد طالما احسنا بالمرارة باننا سلطة على جزء من العراق. وان المنطقة الشمالية التي هي بيد القيادة الكوردية محرمة على وكلاء الحكومة بينما هي مسرح لمخابرات الاعداء. واننا دولتان دولة مركزية في بغداد واخرى مركزها في كلاله. البضائع الاسرائيلية معروضة في مخازن الشمال. كان الوفد السوداني الذي زار بغداد يسأل عن كيفية حل المشكلة الكردية، وكنا نشرح لهم الواقع وطلبنا اليهم ان يذهبوا ويتجولوا. وقد فجوا بوجود النجمة الاسرائيلية على البضائع المعروضة. هنالك خطة لتخريب الاقتصاد العراقي. الاعتقاد لدينا بوجود مخطط ايراني - امريكي لاعادة القتال. هنالك شخص قادر تكراني قام بنشاط ضد ايران فجرى تطويقه بمشاركه البيشمركة وحرس الحدود. "نحن حزب ثوري يسعى إلى تطبيق النظام بصيغ عملية متقدمة ... لا يمكن ان يطبق في العراق نظاما. وحين تنتهك صيغة القانون على أي نقطة من العراق علينا ان نمنع ذلك كي لا يكون هنالك قانونان، قانون للمناطق العربية وآخر للمنطقة الشمالية .... وسنقسو على كل تصرف يخل بوجود الدولة .... ووحدة العراق شعباً وأرضاً والسلطة المركزية."

"ولماذا الإحفاظ بأعداد كبيرة من البيشمركة يتقاضى كل منهم عشرة دنانير بدلاً من تسريح من زاد عن حرس الحدود؟ وذكر تدخل البيشمركة في الشؤون المحلية في المحافظات التي عين لها محافظون من الكرد (السليمانية وأربيل ودهوك). .... وعند المفاوضات على بيان آذار وافقنا على عدم مطالبكم بتسليم الإذاعة والاسلحة الثقيلة. ولكن ما حدث كان صدمة لنا. سلمتمونا (تاكتيكياً) اسلحة وإذاعة بالية ولكن اصبح لدى المسلحين الاكراذ اسلحة احدث وإذاعة اقوى نصبت في جومان."

".... وفي رسالة البارزاني قوله أن من إلتزامات الدولة سحب الجيش إلى مواقعه الإعتيادية ... ولكن الحدود العراقية مع إيران ما زالت مفتوحة .... فمثلاً لدينا سرية في زين القوس منطقة خانقين فهل ينبغي سحبها لتحتل القوات الإيرانية الموقع العراقي هناك."

وندد صدام حسين بإحتضان الحزب الديموقراطي الكردستاني الفرسان السابقين مثل مشير الروفي وزبير الزبياري وإحتضان الرجعيين من عهد ما قبل ثورة 14 تموز، وبمحاربة الشخصيات التي تتعاون مع حزب البعث. ومن ذلك إحتضان الذين يقومون بأعمال تخريبية مثل جماعة القيادة المركزية (بقية جماعة عزيز الحاج)، وقد قاموا بنسف قطار في إحدى مناطق ديالى وبمحاولة تفجير في مطار كركوك. وقال "إقناع جماعتنا غير ممكن. لماذا يجري تدريب اعضاء القيادة المركزية في الشمال على اعمال التخريب وعلى الإغتيالات، ومع ذلك مهما علت صرخات الحرب فإن في جهازنا القيادي قدرة على ضبط الموضوع. ولكن الخطر هو فقدان القيادة الكردية مثل هذا الإمكان. .... أن الثورات في العالم الثالث تسقط بالردات. .... الردات تقوم على إقناع الناس بضرورة التغيير ... وأهم ما تعتمد عليه قوى الردة هو الخطأ في صفوف البعث او في صفوف الكردستاني. لقد وجه إلينا الإتهام عام 1963 بأننا سلمنا الكويت (ويشير إلى إدعاء عبد الكريم قاسم بأن الكويت جزء من العراق ثم إعتراف سلطة البعث الاولى عام 1966 بإستقلال الكويت بعد ان تسلمت 30 مليون دينار.) الإتهام الذي وجهته

السلطة البعثية في سوريا بأن السلطة العراقية قد سلمت الكرد شمال العراق بإتفاق آذار. ثم قال بعد ثمانية عشر شهراً من بيان آذار لا يجوز غض النظر عن حوادث كالتي وقعت في خانقين وسنجار وبنجوين. إن هذه الحوادث مرتبطة بمخطط دولي لإعادة القتال.

وكان الوفد الكردي برئاسة حبيب محمد كريم. وقد ضم محمد محمود (سامي) وصالح اليوسفي ونافذ جلال ودارا توفيق. .... فبين حبيب "أن مذكرة البارزاني قد ثبتت خلال إجتماع موسع للحزب الديمقراطي الكردستاني ... وإنما نعلق اهمية على هذا اللقاء لأنه يعقد في ظرف دقيق، ولأن علاقتنا قد منيت بالجمود وإنما لو اتفقوا ان الجهات التي صاغت إتفاق آذار 1970 تستطيع الخروج من هذا الجمود."

وقال "في مذكرة البارزاني التفصيل الكافي، اما المواضيع ذات الاهمية الخاصة فهي: اولاً مدى مشاركتنا في السلطة فعلاً. فقد عجزت اللقاءات العديدة عن حل هذه القضية ... فحرماننا من المشاركة في اجهزة الدولة ومراكزها الحساسة مثل مجلس قيادة الثورة والمجلس الوطني يجعلنا غير متساوين في الحقوق، بل مواطنين من الدرجة الثانية. وإنما نشكو من سياسة التأثير على الواقع القومي خصوصاً في كركوك. وقد بدء ذلك بنقل الموظفين الكرد في السجل المدني. وكذلك يجري التغيير السكاني في ديالى وسنجار ونشكو من سياسة إبعاد المواطنين الكرد من مواطن سكنهم وإحلال العرب في القرى التي تم تهجير اصحابها الاكراد منها."

وقال نافذ جلال من الوفد الكدي " .... لا يوجد في اللجنة العليا لشؤون الشمال كردي واحد ولا محايد مخلص مثل عزيز شريف. وبين ان في البلاد التي تم فيها حل المسألة القومية يوجد مجلسان، مجلس لقوميات تمثل فيه القوميات بصورة متساوية ما كان منها كبيراً وما كان صغيراً. اما المجلس الآخر فه البرلمان الذي يمثل فيه السكان كل بنسبة عددهم أي مجموع سكان البلاد. وبذلك تحل مشكلة مساهمة الشعب الكردي في جميع الهيئات الحساسة بما فيها الهيئة التشريعية."

وبين محمد محمود الحل الممكن للخروج من ازمة الأفراد في السلطة وحرماننا من المساهمة فيها، وذلك بأن تتحصر سلطة مجلس قيادة الثورة في الشؤون الداخلية لحزب البعث حصراً. وتجري إنتخابات برلمانية ويعاد تأليف مجلس الوزراء على غرار النظام البرلماني – لا النظام الرئاسي المحصور بقيادة الحزب على ما هو الآن. اما المسائل السياسية فيمكن ان تحل بالتعاون الإيجابي. ...

ومما بينه الوفد الكردي ثلاث حوادث آلمت الكرد، ولاسيما البارزاني وهي قضية سنجان – يقصد تدخل الجيش ضد المنتسبين إلى القيادة الكردية – والحرب في منطقة بارزان وإعتقال زبير الزبياري وكلها جرت بأمر من اللجنة العليا."

فأجاب صدام حسين "أما قضية بارزان فقد ادعى عثمان احمد البارزاني انه مطوق لأنه مع الدولة وإستجد لفك الحصار عنه، فأمرنا بتقدم الجيش لنجدته. ثم بين لنا صالح اليوسفي ان القضية بين الاخوين فأمرنا بتوقف الجيش. وفي اليم التالي جاءت البرقية من عثمان ومن أمن المنطقة تتبئ

بخطورة الوضع فأمرنا الجيش بمواصلة التقدم. اما قضية سنجار فقد امرنا الجيش بضرب الجبهة التي لا تأتمر بأوامره. وكان ذلك ضرب الموالين للقيادة الكردية. اما قضية زيبار الزيباري فقد دخلت في الصيغة العامة (يعني نقل زعماء السلاح إلى الموصل).

ومن اقوال صدام حسين "اعدنا ما لا يقل عن 120 من الجواسيس والمتآمرين ولكن لم يكتشف أي جاسوس في المنطقة الكردية. فهل كان هذا منصقياً، وهل ان هذه المنطقة كانت سياجاً محصناً في وجه الجواسيس؟"

وفي ايلول 1971 وقع إجتماع آخر للجنة العليا تحدث فيه رئيسها عن إستنكار البعثيين العسكريين لإتفاق آذار. ... وأجاب عن اعتراضات ممثلي الحزب الديموقراطي الكردستاني حول عدم المساواة في الحقوق وعدم المساهمة في اجهزة الدولة. وحاول تصغير الحوادث عن طريق ذكر نقل موظف او ضابط من منطقة إلى أخرى لعدم تعاونه مع اللجنة العليا او عدم قبول ضابط في الجيش ... ولكن مثل هذه الحوادث لا يمكن ان يقاس مع ما كان يجري في الجانب الآخر.

وبعد هذا الإجتماع كانت المحاولة الاولى لإغتيال البارزاني في 29 ايلول 1971. فكان بعد هذا إنقطاع طويل للقاء في هذه اللجنة. وينبغي ان نشير إلى ان تأليف اللجنة العليا واسلوب عملها لم يكن ان يغني عن لجنة السلام، رغم ان اللجنة العليا قد ألفت للغرض ذاته وبمستوى اعلى. فقد كانت الضرورات العملية تفرض التلاقي في الميدان لمعالجة المشاكل القائمة والمستجدة وحتى التعاون لحلها. وقد بقي مرتضى الحديثي يمارس دوره بهذا الشأن حتى اواخر عام 1972. وللغرض العملي ذاته أعطيت لعبد الخالق السامرائي صلاحيات نائب رئيس اللجنة العليا. وفي ضمنها صلاحيات مجلس قيادة الثورة يمارسها في الميدان. وفي فترة عمله تم الإعلان عن سيناريو محاولة إغتيال البارزاني الثانية في تموز 1972.

كما تطورت في هذه الفترة احداث سنجار حتى مقتل القائم مقام في 23 - 7 - 1973. وكان لعبد الخالق السامرائي في كلتا الحادتين موقف إيجابي، كما كان له في أحداث عقرة. وقد بقي عبدالخالق يواصل عمله حتى تم إلقاء القبض عليه في تموز 1973 بسبب سينارو المؤامرة المنسوبة إلى ناظم كزار في 30 - 6 - 1973.

ولم يكن الحزب الشيوعي في نجاة من الملاحقة والقمع في فترة هذا الفصل - فصل الحسم مع القيادة الكردية بل إستمرت السياسة ضد الحزب الشيوعي العراقي قبل هذا الفصل وبعده. ففي كانون الثاني 1971 قامت قوات الامن بحملة إعتقالات في المحافظات الوسطى والجنوبية. وقد علم بوفاة كاظم الجاسم من الحلة وهو كادر شيوعي فلاح في فرع الفرات وإختطف عزيز حميد في بغداد وهو عضو حزبي محترف متخرج من مدرسة كارل ماركس للعلوم الإقتصادية في بلغاريا وقد إستشهد تحت العذيب في احد المعتقلات. وفي ايلول 1971 علم بإستشهاد شيخ علي البرزنجي تحت التعذيب في قصر النهاية وهو عضو في المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي.

### مصير البيشمركة حسب إتفاق آذار

نصت الفقرة ب من المادة (6) على ان يعود العمال والمستخدمون من المدنيين والعسكريين إلى الخدمة ويتم ذلك دون التقيد بالملاك ويستفاد من المدنيين والعسكريين في المنطقة الكردية حسب إحتياجاتها. وقد أُلحِق بالمادة (6) فقرة (ج) وتعتبر مدة إلتحاق المذكورين في الفقرة (ب) من هذه المادة بالحركة الكردية المسلحة او فصلهم بسببها خدمة فعلية لغرض الترفيع والتقاعد. وكذلك التسريح بالنسبة إلى المكلفين بخدمة العلم.

فقرة (د) اما من يتبقى من مسلحي الحركة الكردية فتجري ادارتهم بالتعاون مع قيادتهم. وتقوم الحكومة باعاشتهم. ويجري تنظيم من يتبقى منهم بعد اعادة الاوضاع الطبيعية الى المنطقة بصورة حرس حدود بموجب قانون خاص، على ان لايتجاوز عدد هؤلاء عن 50000 شخصا، اول الامر وان يجري استخدام بعضهم في اعمال انتاجية ليتنازل عددهم في مدة ..... على ما لا يزيد عن 30000. فقرة (هـ) تعمل الحكومة لتصفية الوجود العسكري للقوات غير النظامية فور اعلان هذا البيان، ويباشر بسحب قطعات الجيش الى ثكناتها الاعتيادية. ويبعد البيشمركة عن الطرق العامة والمدن الى اماكن تجمع يتفق عليها.

(و) يبقى من البيشمركة ستة الاف لتؤلف منهم قوة حرس الحدود. اما من زاد عن هذا العدد فتستلمهم اللجنة المشتركة العليا مقسطين على خمس دفعات بما لا يقل عن 3000 شخص شهريا. على افتراض ان عدد البيشمركة 21000. وتتعهد اللجنة المشتركة العليا بتأهيلهم في الاعمال الملائمة وتتفق عليهم حتى يتم ذلك.

### موضوع الإعفاء من الخدمة العسكرية

اخذ المسؤولون في الحزب الديموقراطي الكردستاني يعطون شهادات إلى اعداد كبيرة من المواطنين الكرد بأنهم في صفوف البيشمركة لكي ينالوا الإعفاء من الخدمة العسكرية والتعويض الذي إتفق على دفعه إلى اولئك المقاتلين، وقد إدعى ممثلوا السلطة ان من حصلوا على هذه الشهادات قد بلغ نحو 200000.

ففي إجتماع لجنة السلام في كركوك يوم 4 - 11 - 1970 ذكر قائم مقام تابع إلى محافظة كركوك ان موظفين لم ينقطعوا عن وظائفهم قدموا شهادات بأنهم كانوا من البيشمركة وحصلوا على دفاتر خدمة عسكرية وأُعفوا من الخدمة. وقد إتفق الوفدان الحكومي والكردى على ضرورة الوقوف ضد إعطاء مثل هذه الشهادات وإعادة النظر في كل دفتر خدمة مشكوك فيه. وإتفقنا على ان يقوم الحزب الديموقراطي الكردستاني بمعاينة محرري الشهادات بالعقوبات الحزبية.

وكانت لي تجربة شخصية بهذا الخصوص، وإن كانت فردية. فقد كانت تسكن بجوارنا سيدة كردية لها صبي يافع، ولم يفترقا عن جوارنا. وبعد إتفاق آذار كان الصبي شاباً، وأصبح سائق سيارة. فراجعني

كي أحصل له شهادة المشاركة في الثورة الكردية، فأعذرت، وبعد أيام لقيني معاتباً. فقال إنك لم تشأ مساعدتي. وها أني قد حصلت على الشهادة ودفتر الخدمة. فإذا كانت مثل هذه الشهادات قد اثارَت إحتجاجاً لدى ممثلي الحكومة، فقد كانت تخريبياً واضحاً في داخل الحركة الكردية.

### موضوع تحويل البيشمركة إلى حرس حدود

ينطوي هذا الموضوع على إمكانيات إيجابية لأن الكرد ادري بالواقع الجغرافي – البشري في مناطق الحدود. إنهم أدري بمفارز المنطقة ووديانها وبمن يسكن الجانب الآخر من عملاء السلطة الإيرانية او إخوانهم من مناضلي الكرد الإيرانيين.

أن تولي البيشمركة حراسة الحدود دون المجابهة مع الجيش الإيراني، بحيث يجنب العراق إستخدام الجيش ويساعد على تجنب الدولة إحتمال المجابهات العسكرية ومضاعفات تحولها إلى حرب بين الدولتين.

غير أن تطور الخلافات والتناقضات وحتى المجابهات العسكرية بين السلطة وعملائها من جانب القيادة الكردية والمولين لها من الجانب الآخر ادى إلى واقع السلبيات في موضوع حرس الحدود بدلاً من الإمكانيات الإيجابية. وقد جرى الحديث عن تلك الاحداث السلبية والمسؤولين المباشرين عنها. والمسؤولية الاولى تقع على قيادة السلطة دون إغضاء عن مسؤولية القيادة الكردية.

وقد فشلت تجربة حرس الحدود في منطقة خانقين إذ صدر امر الجيش لسرية حرس الحدود بأن تتصدى لمجابهة قوة من الجيش الإيراني فلم تنفذ الامر. وفسر ذلك الجانب الكردي بأن تنفيذ ذلك الامر عملاً إنتحارياً لأن سرية حرس الحدود لا تملك سوى الرشاشات والاسلحة الخفيفة. واضح أن الغرض من حرس الحدود كان تحاشي المجابهات العسكرية لا ممارسة تلك المجابهات.

### موضوع اعداد البيشمركة

كان امر بقاء اعداد كبيرة من البيشمركة يتقاضى كل منهم عشرة دنانير دون عمل يتناقض مع ايسط مبادئ الإقتصاد – غير ان إبقائهم في نظر القيادة الكردية يعود إلى إنتفاء الثقة بينها وبين السلطة، وبتعبير آخر من منطلق القوة.

ولا ينتقي منطلق القوة بين القوى الوطنية إلا حين قيام قوات الشرطة والامن العام بمهام حماية امن وحرية المواطنين، جميع المواطنين في ضمن حدود القانون العام المعلن. وإذ يكون الجيش لحماية حدود الوطن لا تكون هذه القوى سلاحاً بيد حزب لضرب القوى الوطنية الاخرى. وأنذ يمكن حشد الرأي العام والقوى الوطنية ضد اية قوة مضادة.

اما الواقع فكان على الضد منذ بدء سلطة تموز 1968 وبخاصة بعد إتفاق آذار، إذ تنوعت تلك القوات العلنية والسرية بيد السلطة لإرهاب جميع القوى الوطنية الأخرى. وفي الوقف ذاته إن تصفية

البيشمرکه من منطلق التعاون بين السلطة والقيادة الكردية يمكن بالتحاق بعضهم بقوات الجيش والشرطة وتأهيل الباقي في أعمال إنتاجية.

### موضوع تشكي السلطة من تدخلات البيشمرکه

تشكت السلطة من تدخل البيشمرکه في المخالفات بين المواطنين في المحافظات التي كان محافظوها من القيادة الكردية وحتى استعمال القوة لصالح بعض المتخاصمين ضد خصومهم. لقد عرف مثال على استعمال البيشمرکه لإكراه بعض الخصوم. وهو أن خلافاً وقع بين شيخ خالد ابن الشيخ أحمد وإخوان فاخر ميرکه سور. وكلهم يسكنون منطقة بارزان. وإن الشيخ خالد رفع شكوى لدى قيادة الثورة الكردية. فصدر الأمر بالقبض على المشتكى عليهم. وأحدهم في السليمانية فحاول بعض البيشمرکه القبض عليه، فإمتنع فحدث تبادل بإطلاق النار في احد شوارع المدينة.

ولم تتخذ السلطة مواقف مبدئية من جانبها. مثال ذلك تعاملها مع فاخر تکراني. ففاخر تکراني كان مهرباً وعميلاً لأكثر من دولة. وحسب الجواب الذي قدمته القيادة الكردية بشأنه "كان من البضائع التي وجدت لديه بضائع إيرانية تبلغ قيمتها عشرين الف دينار. وقد سلمت إلى السلطة. وبدلاً من إلقاء القبض عليه ومعاقبته عوضت له السلطة عن البضائع المصادرة وأخذت تغريه. وأخذ يجند المرتزقة ويسلحهم لما يسمى عمليات تحرير ضد إيران".

واضح ان السلطة لم تتخذ سياسة مبدئية تجاه تکراني. كما ان الجانب الكردي لم يقاوم تکراني من موقف مبدئي، بل لصالح إيران. اما منطوق صدام حسين فقد إتضح من تعبيره "سنقسو": منطوق العصا الغليضة. وهو يتناقض كلياً مع اي منطوق للإقناع او الاعتراف بحق للطرف الآخر ان يفكر في البحث المنطقي عن حقوقه. وفي فترة لاحقة كان صدام حسين قد طور هذا التعبير "بقوله سنقسو ونجعل الانفصال مسألة مستحيلة إستحالة مادية" اي الإفناء لمن يعتبر سلوكه إنفصالياً.

لا مجال للدفاع عن حماية جماعة القيادة المركزية وهي تقوم بأعمال التخريب. فلو ان القيادة الكردية قبلت بوجودهم وحمايتهم من مطاردة السلطة لكان ذلك من قبيل موقف الفروسية الذي عرف به البارزاني. اما نشاطهم التخريبي، فإنه تخريب للعلائق بين السلطة والقيادة الكردية وتخريب لمصالح العراق.

### موضوع خانقين

في موضوع خانقين تفاقمت الازمة بالدرجة الاولى بأعمال اجهزة السلطة ضد ممثلي الجانب الكردي ولكنها إنتهت إلى تعاون عناصر من كوادر الحزب الديموقراطي الكردستاني مع قوة إيرانية لإحتلال مركز شرطة عراقي. وقد إستتكرت ذلك القيادة الكردية برئاسة البارزاني وقررت معاقبة الفاعلين.

## موضوع سنجار

اما موضوع سنجار فكما تم ذكره اعلاه ادت المجابهات العسكرية بين الإقطاعيين المواليين لحزب البعث والمواليين للحزب الديقوقراطي الكردستاني إلى تدخل الجيش. ورغم ان ذروة النزاع كانت تحت قيادات إقطاعية من الجانبين، إلا ان جمهور المتقنين من سكان سنجار كانوا ينطلقون من شعورهم القومي الكردي. غير ان السلطة لم تستطع — حتى النهاية — إدراك هذه الحقيقة بسبب إيديولوجيتها القومية وأهدافها الاستراتيجية.

لا ريب ان هذه الاحداث كان لها تأثير حاسم في تقاوم ازمة العلائق بين السلطة والقيادة الكردية ودفعها نحو اعادة القتال. اما ما له ادلة قاطعة على التخطيط الاجنبي لعودة القتال إنما كانت محاولة الإعتداء على حياة إدريس، وسلوك قيادة السلطة منها بدءاً من المحاولة لإبعاد التحقيق عن المجرمين إلى المماثلة في التحقيق والمحاكمة من ليلة 7/6 كانون الاول 1970 حتى 20 نيسان 1971. ثم الحكم على المقبوض عليهم بأحكام مخففة ورعايتهم في السجن بتوفير وسائل الراحة ... إلخ. مما جرى تفصيله في موضوع هذا الحادث.

أما بالنسبة إلى طلب رئيس الوفد الكردي المشاركة في مجلس قيادة الثورة كان هذا الطلب مستحيلاً لسببين: اولهما انه يتناقض مع السياسة المطلقة لقيادة حزب البعث الذي إعتبر في دستوره وفي الممارسة ان هذا المجلس السلطة المطلقة فوق جميع اجهزة الدولة. ولم يسبق ان أثيرت هذه المشاركة في المفاوضات حتى إتفاق آذار. وثانيها تعمق العلائق بين القيادة الكردية وإيران. وكان هذا مفترضاً أولاً، ثم تم الإعتراف به صراحةً.

اما فيما يتعلق بمشاركة قيادة الحركة الكردية في اجهزة الدولة دون مجلس قيادة الثورة فقد كان الإتفاق على ان يعدل الدستور المؤقت السابق كما يلي:

يتكون الشعب العراقي من قوميتين رئيسيتين هما القومية العربية والقومية الكردية وقر الدستور حقوق الشعب الكردي لقومية وحقوق الاقليات كافة ضمن الوحدة العراقية. وقد اعلن الدستور المؤقت الجديد، أي بعد إتفاق آذار بأربعة أشهر وخمسة أيام وأقر في الفقرة (ب) من المادة الخامسة النص المذكور اعلاه. ولكن بعد ان سبق هذا النص بالفقرة (1) التي نصت على "أن العراق جزءاً من الامة العربية" والتناقض واضح بين الفقرتين. إذ أعتبر العراق بما فيه كردستان (منطقة الحكم الذاتي) وشعبها جزء من الامة العربية. وقد قدمت كلمة "الإتحاد الإختياري" في المفاوضات اللاحقة فأثارت إستياء رئيس اللجنة العليا صدام حسين وإعتبرها تعبيراً عن الإنفصال.

كانت نقطة ضعف كبيرة من الجانب الكردي، إذ تم رفع قضية زبير الزبياري إلى مستوى احداث خطيرة كالحرب التي شنها الجيش على بارزان وبيرة كبرة والمجابهات العسكرية العديدة في سنجار. لقد كنت قدمت إلى الرئيس البكر إقتراحات عديدة بنقل الاغوات المواليين للسلطة خارج منطقة النزاعات في عقرة. وإقترح على البارزاني ان ينقل زبير الزبياري إلى جواره في مقر القيادة



الكردية لتخليص الفلاحين من جميع الاغوات. وقد أثار إقتراحي هذا إستياء البارزاني. اما السلطة فقد قررت نقل الاغوات إلى الموصل بمن فيهم زبير الزبياري. ولكنها لم تنقل أشد الاغوات إقلاقاً لأمن الفلاحين وهم حسين خضر السورجي وإخوته.

لقد اعلنت السلطة مراراً عن "إعدام عملاء"، ولكن لم تجر محاكمة علنية لأي من الذين اعلن إعدامهم. وكان من بين الذين شملهم الإعدام الشخصية الديموقراطية "زكي عبد الوهاب" الذي كان عضواً في قيادة الحزب الوطني الديموقراطي، دون محاكمة ايضاً. وهذا مثال فقط من أمثلة يتعذر عدّها. اما الإغتالات فإن السلطة إعتبرتها منذ البدء اداة من اهم ادوات الحكم. وقد كانت تمارس في البدء ضد عناصر الحزب الشيوعي في ظرف الإفتتاح وإطلاق سراح السجناء. ثم تكاثرت بعد إتفاق آذار على ما تقدم الحديث عنه.

اما بالنسبة إلى العلائق مع القيادة الكردية فقد كان ابرز حادث محاولة الإغتيال التي نفذت ضد إدريس البارزاني في ليلة 7/6 كانون الاول 1970 كما تقدم الحديث عنه. وكان الحادث الالهم بعد اللقاء الثاني موضوع حديثنا بأيام، أي تنفيذ المؤامرة لقتل البارزاني في يوم 29 ايلول 1971. وكان التحضير له قبل اللقائين بفترة طويلة، فأين الإشاعة حول الإغتيال او الإغتيالات التي نوه بها رئيس اللجنة من هذا الواقع؟ وقد وقعت إغتيالات ومحاولات إغتيال من الجانبين ضد عناصر ثانوية لم يكن مجال للتحقيق بها. ولكن الدولة بعد ان شرعت لنفسها ان لا تكون دولة قانون، لايبقى مجال لتطبيق القانون من جانب المواطنين انفسهم. فالإغتيالات كانت ولما تزل شريعة الدولة إضافة إلى كل ما لديها من وسائل القوة — وأي إغتيال يبلغ مستوى الحروب المسندة من الدولة والقيادة الكردية، او التي تقوم بها الدولة بجميع اصناف الجيش كالتي شنت في منطقة بارزان وبيرة كبيرة.

### تحديد محتوى صلاحيات الحكم الذاتي

في مجرى تفاقم السلبيات كان إجتماع 16 - 1 - 1973 برئاسة رئيس اللجنة العليا صدام حسين. (وهو الإجتماع الثاني لهذه اللجنة). وكان رئيس الجانب الكردي حبيب محمد كريم الذي بين إلى صدام حسين ضرورة الوصول بالمفاوضات إلى صيغة الحكم الذاتي قبل آذار 1974. وبدأ حبيب محمد كريم بإشارة سلبية إلى حضور ممثلي قوى لم تساهم في المفاوضات حتى إتفاق آذار 1970. بينما كان هو ايضاً لم يشترك ولا مرة واحدة في المفاوضات حين كانت تسير في الطريق الذي ادى إلى إتفاق آذار 1970. ورغم انه كان السكرتير العام للحزب الديموقراطي الكردستاني. ومضى حبيب قائلاً "إن عصرنا هو عصر إنتعاش القوميات وأن أماً صغيرة اصبح لها علمها يرفرف فوق مركز الامم المتحدة. فهل يأمل من السلطة العربية إحترام الحقوق القومية للشعب الكردي؟" أثار هذا العرض إستياء رئيس اللجنة العليا صدام حسين معتبراً التنويه بأن للأمم الصغيرة علمها فوق مركز الامم المتحدة "إشارة إلى الإتجاه نحو الانفصال. وأعلن: "إني لم اكن متفائلاً بأن يؤدي اللقاء في مثل هذه الحال إلى نتائج إيجابية. ويجب أن نضع في الحساب أن الصعوبات ستزداد بإستمرار."

وعلق كريم أحمد بإسم وفد الحزب الشيوعي إن قضية الشعب الكردي في العراق تعالج في حدود الدولة الواحدة متعددة القوميات. وانه يقدر عالياً موقف البعث الجدي في تحقيق الحكم الذاتي. ويرجو من الحزب الديمقراطي الكردستاني الإنطلاق من موقف موضوعي من تقدير المؤامرات الإمبريالية والرجعية. وكذلك من تقدير التحولات التي ينتظرها شعبنا ولا سيما شعبنا الكردي.

لقد كانت رؤية ذات جانب واحد، جانب المؤامرات الإستعمارية دون إدراك الجانب الآخر وهو مضي السلطة في خطتها المضادة لمصالح تحرر الشعب الكردي – وهذه الخطة تخدم بدورها المؤامرات الإستعمارية. وقد أدت في نهاية المطاف إلى عواقب مأساوية لا يستعجل الحديث عنها.

فأجاب حبيب "إن قيادة البعث طلبت منا مشروعاً لصيغة الحكم الذاتي مقابلاً للمشروع الحكومي فقدمناه ولكنه رفض على انه غير صالح. ومن الضروري توفير قدر معقول من الحكم الذاتي يساعد على المساهمة في اجهزة السلطة الحساسة."

ومما بينه حبيب محمد كريم في هذا الإجتماع: "نحن نشعر إننا غير مساهمين مساهمة فعلية في مسؤولية الحكم. لقد عدلنا عن طلب المشاركة في مجلس قيادة الثورة. ولكننا غير مشاركين في المجلس الوطني. والمراكز الحساسة مقفلة في وجوه الكرد."

وأضاف محمد محمود (سامي) منتقداً نواقص في مشروع الحكومة بإسم ج. و. ق. ت. ثم أضاف: "فيما يتعلق بالموضوع المبدئي وهو حق تقرير المصير والإتحاد الإختياري بين الشعوب. حين تعذر نيل الحقوق الديمقراطية في الاقطار متعددة القوميات نالت شعوب كثيرة حقوقها القومية وأخذت مكانها في الامم المتحدة. وشعبنا يطمح إلى نيل حقوقه كغيره من الشعوب. غير إننا ما زلنا نرى الإتفاق ليس مستحيلاً، بل انه ممكن وضروري."

وأشار إلى ضرورة المساهمة في مجالس الدولة مثل عضو في مجلس التعليم العالي وآخر في مجلس التخطيط التربوي. وكذلك في أجهزة بعض الوزارات مثل تعيين وكيل وزير في النفط. وموظفين في وزارة الدفاع ووزارة الخارجية وفي مجلس الوزراء، وإضافة أعضاء إلى اللجنة العليا لشؤون الشمال من الكرد وآخرين."

ولم يرفع هذا التخفيف من الجانب الكردي إستياء رئيس اللجنة. ويبدو ان الدكتور محمود عثمان قد عنى في الإجتماع بقوله في ص 41 من (تقرير اللجنة التحضيرية) في اوائل عام 1973 بعد ان بلغت المفاوضات مأزقاً طلب صدام حسين قدوم مسعود مع تعهد بضمان حياته. ومن ضمن كلام صدام حسين الذي ارسله إلى البارزاني بعد ان يأس من ذهاب مسعود، انه "يجب ان لايجبرهم موقف الاكرد على القيام بتنازلات لإيران في شط العرب وبعض المناطق العراقية الأخرى مقابل قطع إيران لمساعداتها عن الثورة الكردية." إلا ان قيادة البارزاني لم توافق على إرسال مسعود ولا إهتمت بهذا التهديد. وقد أخبروا غيرهم بقول صدام ذلك بعد النكسة فقط، حيث بقي سراً بينهم وبين احد أعضاء

المكتب السياسي الذي نقل الكلام من بغداد. وكانت هذه نقطة تحول في العلائق بيننا وبين بغداد حيث إنفقدت الثقة نهائياً وحل محلها اليأس. (انتهى تعليق د. محمود عثمان).

لسنا نشارك د. محمود عثمان رأيه لأن الثقة بين الجانبين قد سبق أن إنتفت بالمجابهاة العديدة ومحاولات الإغتيال والحروب المحدودة. وكان لطلب صدام حسين قدوم مسعود لقاء ضمانة (مما يمكن تسميته تبادل الرهائن) دلالاته الحاسمة على ان اللقاءات بإسم المفاوضات لم تكن ذات اهمية لإقناع أي من الجانبين برأي الجانب الآخر في تحديد الحكم الذاتي. وإنما كانت الالهية في الموقف الذاتي بين القيادتين. بينما سبق ان دخلا في مرحلة اللقاء منذ المحاولة الاولى لإغتيال البارزاني في 29 أيلول 1971. وبعدها سيناريو المحاولة الثانية لإغتياله في تموز 1972.

قدم الوفد الكردي الإقتراح التالي: "تتألف الجمهورية العراقية من إتحاد إختياري بين القوميتين الرئيسيتين العربية والكردية والاقليات المتأخية." فأثار هذا إستياء صدام حسين ورأى فيه دلالة على هدف الإنفصال. ومما بينه: منذ البدء في هذه اللقاءات لم أحس بأن النية متجهة نحو التفاهم.

#### القضاء على عبد الخالق بموجب سيناريو المؤامرة المنسوبة إلى ناظم كزار

حسب ما أُذيع على لسان من سمي ناطقاً رسمياً، إن ناظم كززر قام في الساعة الخامسة من يوم السبت 30 - 6 - 1973 بعملية إستدراج شملت حماد شهاب وسعدون غيدان وآخرين. وحوالي السادسة وبعد أن إجتمع في مقر الهيئة التحقيقية الثانية، وهي جهاز امني تابع له غادرها إلى مديرية الامن العامة ومنها إلى المكان الذي احتجز فيه وزير الدفاع والداخلية وبقية المسؤولين مستصحباً معه اموالاً. وبقي هناك حتى الساعة التاسعة مساءً منتظراً تنفيذ الصفحة الثانية وهي القضاء على رئيس الجمهورية ونائب الرئيس.

غير ان الإرادة الإلاهية والحراسة الدقيقة التي أحيط بها المطار قد أبطلت هذه الصفحة الاخيرة ... كما لعبت المصادفة دورها ايضاً ... إن الزمرة التي كلفها المجرم ناظم كزار بعملية الإغتيال ... غادرت المطار بعد الساعة السادسة بعد ان لمست ان اجهزة المخابرات العامة كانت تحرس المطار حراسة متقنة وأن موعد الإستقبال قد تأجل لسبب لم تعرفه الزمرة. مما جعل افرادها يصابون بالفزع ويهربون من المطار متصورين ان المؤامرة قد إنكشفت.

كان المقرر ان تصل الطائرة المطار في الساعة السادسة مساءً. وقد تأخر وصولها مايقرب من ساعة وخمسين دقيقة. وكان سبب هذا التأخر إستمرار المباحثات بين الرئيس البكر والرئيس البولوني وتوقيع عدد من الإتفاقيات ... كما حصل تأخير آخر في مصيف فارنا في بلغاريا الذي حطت فيه طائرة الرئيس للترود بالوقود. وسبب التأخير ان الحكومة البلغارية هيأت للرئيس إستقبالاً رسمياً حضره نيابةً عن الرئيس البلغاري تيودور جفكوف السيد نائب رئيس الوزراء الذي اصر على دعوة الرفيق رئيس الجمهورية لمصيف فارنا. وتجول في المدينة وحضر حفل إستقبال في الفندق الرئيسي فيها.

ولما علم المجرم ناظم كزار بوصول الرئيس وتم الإستقبال بشكله الإعتيادي ... وغادر نائب الرئيس المطار بسلام ... أصيب بحالة هستيرية فوضع الرهائن بمجموعة من السيارات وهرب بإتجاه زرباطية ... وأرسل برقية بجهاز لاسلكي في سيارة إستولى عليها. أما مطالبه فهي إرسال الجيش العراقي إلى الساحة الفلسطينية وشن الحرب على الاكرد وإقصاء عدد من المسؤولين في الحزب والدولة عن مراكزهم. وطلب التفاوض على شروطه في دار عبدالخالق السامرائي.

وأكد الناطق الرسمي أن المؤامرة قد أعدها منذ ستة أشهر. وقد صدر الامر الحازم بإعتقال ناظم كزار ... وإلى منظمات الحزب والقوات المسلحة والمنظمات الشعبية بتصفية المجرم ومن معه وإعتقالهم. وكان حكم الإعدام صدر من المحكمة الخاصة على عبدالخالق السامرائي ومحمد فاضل. وقد نفذ حكم الإعدام بحق المجرم ناظم كزار وإثنين وعشرين مجرماً آخرين يوم 7 - 7 - 1977. (إنتهى ما أذيع على لسان من سمي ناطقاً رسمياً).

ملاحظة: كان عدد المحكومين الذين أُعلن عنهم اولاً 14.

أما مشاهداتي: فقد كنت من بين الذين ذهبوا إلى المطار لإستقبال الرئيس. وقد كانت العادة في مثل هذا الإستقبال أن نجد على حافتي الطريق مسلحين إثنين عند كل عمود من أعمدة الكهرباء، أحدهما شرطي بملابسه الرسمية والآخر بملابس مدنية يفترض انه من قوات الامن السرية. أما في هذه المرة فللغرابية لم يكن على الطريق أحد من هذه القوات.

وإذ كان مقرراً عقد إجتماع لقيادة مجلس السلم والتضامن في مقر المجلس في بغداد فقد إعتذرت إلى نائب الرئيس بعد تأخر وصول الرئيس وعدت إلى بغداد.

وقد ذكر إسما محمد فاضل وعبدالخالق السامرائي بأنهما علما بالمؤامرة ولم يخبرا عنها. ... وأعدم محمد فاضل وأبدل الحكم بالإعدام على عبدالخالق إلى الحبس بالاشغال الشاقة المؤبدة.

تلاحظ المتناقضات والإستنتاجات التالية في هذا السيناريو:

اولاً - إن العمل في بولنדה في زيارة الرئيس الرسمية يجب ان يكون له وقت محدد كما هو الامر في جميع الزيارات الرسمية لرؤساء الدول. إذ يحدد وقت سفر الرئيس حسب ضورات العمل.

ثانياً - التناقض الاشد في نزول طائرة الرئيس للترود بالوقود في بلغارية، ثم دعوته رسمياً لزيارة المدينة، فيستقبله في هذه الزيارة الرسمية ليس رئيس الجمهورية، ولا رئيس الوزراء بل نائب رئيس الوزراء. المعقول هو ان التأخير وقع بطلب من بغداد فتدارك البلغاريون ما امكن من الضيافة والتكريم.

ثالثاً - لماذا يطلب ناظم كزار إنعقاد المفاوضات بينه وبين السلطة في دار عبدالخالق السامرائي؟ وأنا أعرف بيت عبدالخالق السامرائي. فهي لا تتسع لإستقبال اكثر من عدد اصابع اليدين.

رابعاً - لماذا تم إعدام محمد فاضل لمحظ إطلاعه او معرفته بالمؤامرة. بينما لم يجر إعدام عبدالخالق السامرائي الذي نسب إليه دور أكبر، بأن يتم الإجتماع في داره؟ الجواب هو شعبية عبد الخالق في

حزب البعث ولدى الشعب العراقي والحركة الكردية ايضاً. فكان تبديل الإعدام بالحبس مع الاشغال الشاقة ليكون رهينة حتى يحل يوم إعدامه، وقد حصل بعد إستقالة البكر.

خامساً – هل كان البكر في وضع يستطيع فيه تحليل الوقائع والوصول إلى الحقائق في ذلك الظرف؟ الأرجح انه فقد إمكان التفكير المستقل قبل هذا الوقت بفترة طويلة، بدءاً بتأليف قوة امن خاصة خارج نطاق الحزب إلى جانب قوات امن الحزب التي كانت تحت إشراف ناظم كزار. فكان سيناريو مؤامرة كزار العملية الختامية لإرتباط قوى الامن الخاص بشخص صدام حسين مستقلة عن الحزب.

والسيناريو المعلن من قبل السلطة ذاته لم يكن عقلاً لأنه لم يظهر أي إعداد او أمل بالنجاح لما سمي المؤامرة. كانت لهذا ملاحظات ونتائج اولها القضاء فعلاً على محمد فاضل وعلى المدى البعيد على عبدالخالق السامرائي. ولم يكن معروفاً دور محمد فاضل بسلبياته وإيجابياته لدى الرأي العام. اما عبدالخالق السامرائي فله شأن آخر. كان موقعه في الحزب بين الشخصية الثانية والثالثة. وكانت سيرته تتناقض كلياً سيرة صدام حسين من حيث موقفه من القضايا الكردية. (تتظر احداث كردستان في فترة التضاد منذ آب 1972، وبوجه خاص موقفه من حادث إغتيال القائم مقام في صيف 1973).

أما النتيجة الأخرى فكانت إعادة تأليف قوة للأمن العام خاصة بنائب الرئيس بدلاً من قوات أمن الحزب التي كانت تحت قيادة كزار. هذا فضلاً عما كان لنائب الرئيس من قوات خاصة سابقة.

لقد كانت هذه الخطوة الحاسمة لإنتراع السلطة من البكر. ولإيضاح ذلك لا بد من الرجوع إلى بداية تكوين العلائق بين البكر وصدام. كان اسلوب التصفية الجسدية للمتآمرين والخصوم السبب الاساسي لوقوع إختيار البكر على صدام والإعتماد عليه. وكان البكر يتفاخر بهذا الاسلوب. كان للبكر نقطتا ضعف في هذا الشأن هما: الخوف الشديد من اية رائحة لتحرك معاد وقبول أي خبر دون ان يكون لديه التمحيص الكافي، وبلوغ إي مبادرة من هذا القبيل في رأيه إلى مستوى المؤامرة. ونقطة الضعف الأخرى وهي مرتبطة بالاولى: هي التساهل والتسرع في تصفية المتهمين او المظنون بهم جسدياً.

نعود إلى تكوين العلائق بين البكر وصدام. معادلة ذات حدين (حسب التعبير الرياضي)، إرتسمت في ذهني بخصوص القيادة البعثية، منذ أخذت تتطور نحو التمرکز حول البكر وصدام وبينهما، وقبل ان تظهر الثانية عارياً على المسرح.

اول هذين الحدين: هو ان للبكر أنياً الكلمة التي لا ترد. وان صدام يسير على تخطيط يعزز مركزه ويفرض رأيه. والفضل عليّ في فهم هذه الناحية في صدام قادة حزب البعث البارزين الذين انزلوا عن مراكزهم دون تصفية جسدية.

اما ثاني حدي المعادلة فهو ان كلاً من الشخصين (البكر وصدام) في حاجة إلى الآخر ويكمله: الاول مُسنٌ وصحته ليس على ما يرام. والثاني دموي في طاقة الشباب والحاجة إلى إسناد الاول. وكان صدام حريصاً على ثقة البكر. حدث لي ولغيري من الوزراء أن نطلب مطالب بسيطة تتعلق بعملنا،

فيرد الجواب بموافقة الرئيس. وعند مراجعة الرئيس نجد ان صداماً قد إستشاره فعلاً بشأنها. فصدام إذاً في رأي الرئيس لا يقدم على صغيرة او كبيرة إلا حسب رأيه وتوجيهه.

وحسب ما نقلت معلمة تعلم اطفال الرئيس الصغار في القصر، كان صدام وعائلته مع اطفالهم يقضون عطلم في قصر الرئيس. فصدام إذاً ليس قريب الرئيس قرابة نسب فحسب، بل فوق ذلك التصاق شخصي. وصحة الرئيس وطاقتاه في تناقص. ولذا فقد تم تأليف لجان متابعة لمعظم او جميع قضايا الدولة. وصادم رئيس هذه اللجان. ومن هنا تسلم مقاليد الإدارة المدنية فضلاً عن مقاليد الامن والمخابرات العسكرية. وإلى هنا لم تنزل المعادلة صحيحة صورياً وظاهرياً وإن جرت عليها تبدلات كمية يعسر حصرها هنا.

وبإزاحة كزار وإعادة تأليف قوة للامن العام خاصة بصدام بدلاً من قوات امن الحزب التي كانت تحت قيادة كزار بالإضافة إلى القوات الخاصة السابقة تحول ابكر إلى أسير لدى صدام حسين.

### إنتهاء علاقتي بالمفاوضات

سفرة إلى البارزاني في 6 - 2 - 1974 ولم نعرف انه لن يكون لنا ان نلتقي مرة أخرى. حاولت إستغلال فرصة إجتماع اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني في آب 2 - 5 - 1973 للتعاهم مع البارزاني على مخرج لتحسين العلائق مع السلطة. وفي محادثاتي مع البارزاني اكد نقده للجانب العربي بخصوص إهمال الاخذ بأراء الجانب الكردي والإنفراد في تقرير مصير المنطقة الكردية. كما أكد نقده لتشجيع العناصر المعادية للقيادة الكردية مثل جماعة عبدالله إسماعيل وغيرها. وأكدت للبارزاني ضرورة كف الجانبين عن تبني العناصر الرجعية العديدة التي تناصب العداء للجانب الآخر. وذكرت على سبيل المثال إيواء زمرة القيادة المركزية التي تتخذ التخريب مبدأً لها. فضلاً عن العناصر الرجعية العديدة التي تناصب العداء للسلطة.

قلت اني أؤيد ان على الحكومة ان تضع مخاوفكم هذه موضع الإعتبار. وإذ كان ثمة جد في التمسك بهذه النقاط فإنه لم تنزل ثمة ارض مشتركة للتلاقي. وأكدت الوقوف عندها بجد من الجانبين سيسر العمل نحو بناء الثقة.

غير اني بينت في الوقت ذاته انني اصبحت أعلق أملاً أكبر على خطة مستقلة للحكومة لو عملت بموجبها حتى لو لم يكن الإتفاق معكم. ولكن دون ان يكون ذلك مانعاً للحوار معكم. وعندي لكم إقتراح مقابل ايضاً لا ينتظر الإتفاق مع الحكومة ولكنه قد يبسر له لو إستطعتم تطبيقه.

اكدت للبارزاني ان وجود الحزب الشيوعي في إتفاق الجبهة، إنما هو عامل إيجابي لأجل توفير اجواء التفاهم بين الحكومة والقيادة القومية الكردية. بينَ البارزاني ان التوقيع على الجبهة من الجانب الكردي دون الحصول على ضمان او ثقة بتلبية المطالب الكردية، إنما يعد مجازفة وضرراً. وإنني افهم من ذلك انه يقصد ان صلاته الخارجية قد تتعقد قبل ان توجد له ضمانات بصلات داخلية (مع السلطة).

قدرت ضرورة تقدير هذا الوضع تقديراً صحيحاً دون الإكتفاء بالإستنتاجات السلبية حول عدم صحة تلك الصلات الخارجية من وجهة النظر الوطنية. ذلك ان هذا الحوار الجاد لا يخدم فقط بلورة صيغة مشتركة للحكم الذاتي، بل انه يخدم كذلك تحسين العلاقات وخلق جو جديد للثقة بين الجانبين.

هناك ضرورة للوقوف بحزم ضد الحوادث الجانبية السلبية هنا وهناك. كإختطاف بعض الاشخاص الذين يفترض تعاونهم مع الحكومة او الهجوم على بعض المراكز الحكومية او توقيف الاشخاص الذين يفترض إنتمائهم إليها.

وقد ابدى لي البارزاني موافقته على معظم هذه ولكني وإن إعتبرت موافقته شيئاً إيجابياً، إلا انها موافقة عابرة تحتاج في الوقت ذاته إلى مواصلة إتصال مع جميع القوى الوطنية والصديقة لحمل البارزاني على الجد والإستمرار في هذا الموقف الذي وعد به.

طالبت البارزاني بتحسين علاقته مع الحزب الشيوعي لأن وجود هذا الحزب في علاقته الجديدة مع الحكومة سيكون عاملاً إيجابياً بين الحكومة والجانب الكردي. كما طالبت بوضع حد للإحتكاكات والإشتباكات بين قواعد الحزب الشيوعي وقواعد الحزب الديموقراطي الكردستاني.

كانت الاوضاع في كردستان في تأزم شديد أثناء المناقشات بخصوص الجبهة. خصوصاً ان المجابهات في عقرة كانت تسير نحو الانفجار. إذ كثر الإستدلال من الجانبين بدساتير الدول الأخرى الإتحادية والفدرالية، إقتراح عبد اللطيف الشواف في 19 - 10 - 1973 تأليف لجنة لتحديد نقاط الخلاف ولا سيما في المسائل القانونية وتقديم إقتراح بما ينبغي الاخذ به ورشح لرئاستها عزيز شريف على ان يعين كل من الجانبين ممثليه فيها. فلم يقع إعتراض او تعليق على هذا الإقتراح من جانب الحكومة ولم اكن ارى فائدة من البحوث القانونية لأن موضوع المسألة القومية ابعده من ان تحله الشواهد القانونية.

ولكنني رأيت في ذلك فرصة لتأجيل القطيعة بأمل إيجاد مخرج للعودة إلى محاولات تأجيل تصعيد التوتر ما امكن من الجانبين. ولهذا الغرض قررت السفر إلى مقر البارزاني. وقد أجريت مقابلة مع الرئيس البكر قبل التوجه إلى البارزاني، وذلك لضمان موقف إيجابي من الجانب الحكومي. وكان حديثي مع البارزاني إيجابياً إذ تم التوصل إلى النتيجة التالية:

إن النتيجة الصارخة التي لامجال لأي جدال حولها وقد أثبتتها التجربة مراراً، ولاسيما هذه المرة الأخيرة هي ان الاغوات بقطع النظر إلى أي جانب ينتمون لا يمكن ان يعيشوا بدون الفوضى، وأن مصالحهم في تناقض تام مع الإستقرار، بل ان هذه المصالح تدفعهم إلى الفوضى وتأجيج القتال. لذا ينبغي العمل دون الاغوات، بل في ضمن خطة لتصفية نفوذهم - على إختلاف إنتماءاتهم دون هوادة وراء هدف توطين الفلاح وتطبيق خطة الإصلاح الزراعي.

### الإقتراح

اولاً - إعتبار مشكلة عقرة (وما إليها) ذات وجه خاص، فينبغي العمل بوجه إعظم إستعجالاً على تصفيتها للسببين التاليين:

ا — إنها اهم بؤرة للمجابه بين القبائل المتضادة ومن ثم فإنها من أهم نقاط الانفجار بين السلطة الوطنية وقيادة الحركة القومية الكردية. وستعني كل جهة معادية للإستقرار في العراق بإثارة النزعات وإدامة التوتر وإبقاء النار تضطرم.

ب — لأن ثمة إمكانات موضوعية للمضي من جانب السلطة في طريق تصفية القبلية التي هي موقد النار في هذه المنطقة. وفي رسالتي ادناه للرئيس البكر ما تم التوصل إليه مع البارزاني.

15 — 11 — 1973

السيد الرئيس المحترم

تحية مخلصه وإحتراماً

لقد أبلغت السيد مصطفى البارزاني بالنقاط التي تفضل السيد الرئيس بضرورة إبلاغه بها. وقد كان حديثه معي إيجابياً. وبناءً على طلبي ارسل برقية بتاريخ 14 — 11 — 1973 إلى منتسبي الحزب الديمقراطي الكردستاني للتمسك بضبط النفس والإبتعاد عن أي إصطدامات مع الجيش والقوات المسلحة. وكذلك مع الحزب الشيوعي، وهي منشورة في بعض صحف اليوم.

وبناءً على طلبي بخصوص تصفية المشاكل مع الحزب الشيوعي وموافقتة، ارسلت برقية إلى قيادة الحزب الشيوعي لإرسال وفد مخول لوضع ضوابط لمنع الإصطدام في المستقبل بين أتباع الحزبين. إلا أنني أرى من الضروري العودة إلى بغداد لأسباب تتعلق بمجلسنا وإبلاغ قيادة الحزب الشيوعي برأيي فيما يتعلق بالمحادثات التي ستجري بينهم وبين البارزاني، والوقوف على توجيهات سيادتكم بخصوص مواصلة البحث مع البارزاني وقيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني بشأن العلاقة بينهم وبين السلطة الوطنية، وما قد يكون ثمة من مسائل للبحث.

وقد أبلغتني قيادة الحزب الشيوعي أن وفداً مهيباً للسفر حسب إقتراحي. ونظراً إلى الوضع غير الطبيعي أرى العودة غداً أو بعد غد حسب توجيهاتكم ولا سيما إنني أنتظر قدوم السيد يوسف السباعي ضيفنا على مجلسنا في الإسبوع القادم.

وتقبلوا تحياتي المخلصة.

عزيز شريف

ثم ما لبثت الاوضاع ان تسير بإتجاه التدهور بعد سجن عبدالخالق السامرائي وزيادة تسلط صدام حسين. كما ان مفاوضات الحزب الشيوعي مع الحزب الديمقراطي الكردستاني كانت تسير في طريق شائك.

وفي مفاوضات الحزب الشيوعي مع الحزب الديمقراطي الكردستاني في بداية شباط 1974 وجه عامر عبدالله احد اعضاء الوفد الشيوعي السؤال التالي إلى الوفد الكردي "ألم يحن الوقت لسد طريق



حاجي عمران؟" فأجاب رئيس الوفد الكردي "أؤكد الآن في شباط 1974 ان الوقت لم يحن بعد لسد طريق حاضي عمران لان لنا الحق في ان ندافع عن أنفسنا." معلوم المقصود من طريق حاجة عمران هو طريق مساعدات إيران وما وراء إيران من قوى معادية.

في إجتماع اللجنة العليا في يوم 5 - 2 - 1974 إتخذ حزب البعث موقفاً تعسفياً. وأصبح الوضع ينذر بخطورة المجابهة بين السلطة والحركة القومية الكردية. وفي صباح 6 - 2 - 1974 كنت في طريقي إلى كردستان في محاولة للتفاهم على مخرج لإبعاد المجابهة بين الجانبين. فصادفني في مطار المثنى عبد الجبار شنشل رئيس هيئة الأركان العامة وقال لي بلهجتة المصلاوية "خلي هذا الملا يولي ويقعد بقريتنو."

بقطع النظر عن فضاضة التعبير وتجاوز جميع المسؤوليات التي يضطلع بها البارزاني بقيادة الحركة الكردية ... لقد أعاد هذا القول إلى ذهني صورة مناقشات الامس وفهم متطلبات الوضع لدى شخص يرأس هيئة الأركان العامة.

تجاوزت (قصري) الساعة الثانية عشر ظهراً متوجهاً إلى ديلمان المقر الشتوي للبارزاني، فإعترضني رشيد سندي وطلب إلي ان اعود إلى قصري حيث مقر المكتب التنفيذي. وكان هذا خلافاً للعادة ايام الثقة المتقابلة بيننا. عدت إلى قصري ... فتحدثت إلى كل من إدريس ومسعود ولدي البارزاني بإنفعال ضد كل من السلطة والحزب الشيوعي.

وفي الساعة الرابعة وصل البارزاني وكنت في حالة إحباط نفسي. ويبدو ان حالتي هذه قد احدثت لديه رد فعل مضاد. فكان ودياً إلى مدى بعيد. تناولت الحديث عن المعضلة كما كنت اراها. وكان البارزاني يوافقني على بعض ويرد على بعض آخر ويشرح وجهة نظره وهو اجسه ... وقد طال الحوار بيننا حتى ساعة متأخرة من الليل. وقد إنتهى بيننا الحوار إلى النتائج التالية.

اولاً تقرر أن يمتنع الجانب الكردي عن أي إحتكاك او موقف سلبي مع الحزب الشيوعي.

ثانياً - أصر البارزاني على الأمتناع عن أي إتفاق تخرج فيه أجزاء من كردستان عن منطقة الحكم الذاتي. وإستشهد بموقفه مساء 10 - آذار 1970، إذ إمتنع عن توقيع الإتفاق حتى تمت موافقة الجانبين على تأجيل موضوع كركوك إلى الإستفتاء على أساس إحصاء النفوس لعام 1957.

ثالثاً - إتفقنا على الإقتراح بتأجيل إعلان الحكم الذاتي إلى عام آخر ينتهي في آذار 1975 وأن تبذل الجهود في سبيل تذليل العلاقات بين الحكومة والقيادة الكردية.

وعند إنتهاء حوارنا طلب إلي أن انوب عنه في كل ما لم يتناوله حديثنا، وذلك لأجل تصفية السليبات فإعذرت. ولا حاجة إلى إيضاح السبب في ذلك المفترق بين الجانبين وتناقص دوري بينهما.

ودعني البارزاني ولم يدر في خلدي - وربما في خلده ايضاً - أن هذا كان اللقاء الاخير ولن يكون لنا ان نلتقي.

في الإجتماع الذي عقد في يوم 9 - 2 - 1974 وكان برئاسة غانم عبدالجليل رئيس مكتب النائب. قدمت التقرير الذي ضمنته نتيجة سفرتي وكل ما قلت وقال البارزاني حول المعضلات التي تناولها حديثنا والنتائج التي توصلنا إليها وإكدت إقتراحي بتجنب اسباب الإحتكاك والتوقف عن الاعمال الجارية لتغيير الطابع السكاني لكركوك. وتأجيل تشريع الحكم الذاتي لعام آخر ينتهي في آذار 1975 - فلم يقرأ تقريرتي في الإجتماع كما لو كان يخص السلطة وحدها او غانم وحده.

وتكرر في الإجتماع الحديث الذي سبق تكراره عن إقصاء العمال والموظفين الكرد الآخرين وعوائلهم من المناطق التي إعتبرت ذات اهمية لأمن المناطق النفطية والمناطق المختلف حول طابعها القومي. وفيما يتعلق بتهجير السكان الكرد من مناطق الحدود. قال غانم "الموضوع إجراء أمني وتحسب لم قد يقع من عدوان اوخطر من الخارج. وبالنسبة إلى إقصاء العمال وتهجير السكان الكرد من المنشآت النفطية وما يجاورها قال "لا نستطيع التساهل تجاه كل إحتمال لتهديد او خطر بخصوص هذه المنشآت".

كان موقف الوفد الردي مرناً: "إن معنى هذا إخراجنا من عدد من المناطق. ففي الإمكان التغلب على هذه الشكوك بإقامة حراسة مشتركة." أجاب غانم "لا نستطيع الموافقة على ذلك ففيه مجازفة." فكانت اجوبة غانم من موقف ذي الكلمة العليا الحاسمة.

طلبنا انا وفؤاد عارف وإحسان شيرزاد مقابلة صدام حسين لمتابعة موضوع تقريرتي عن زيارتي للبارزاني. فعين غانم عبد الجليل لنا موعداً في 17 - 2 - 1974. وعند حضورنا في الوقت المعين إستقبلنا غانم ذاته بدلاً من صدام حسين. ويبدو لي ان تقريرتي قد نظر إليه نظرة سلبية. ودون أي حديث قال لنا غانم "لا نرى حاجة إلى مواصلة اللقاء. ثم وجه حديثه إليّ قائلاً "إسمح لي ان اقول لك إنك لم تكن صريحاً في تقريرك. إن طلبك تأجيل إعلان الحكم الذاتي هو ما يريده البارزاني."

لم يكن هذا التطاول من شخص مثل غانم عبدالجليل يدعو إلى الإهتمام الذاتي. وإنما ما يدعو إلى الاسف الشديد وصول الوضع إلى هذا المنحدر في موضوع خطير (الحرب والسلم).

طلب إليّ فؤاد عارف وإحسان شيرزاد أن نستأذن صدام حسين للسفر إلى البارزاني فإعتذرت. وكانت تلك نهاية علاقتي بالمفاوضات. وإنما كانت تصلني صور من الوثائق التي يوزعها سيكرتير لجنة السلام إلى المراجع ذات العلاقة.

كان العنصر التخريبي البارز فيما يتعلق بالمفاوضات إلى جانب صدام حسين غانم عبد الجليل. ومن جهة أخرى كان لجناح عبد الخالق السامرائي وإلى جانبه مرتضى سعيد الحديثي في محاولات للتعاون وإصلاح ذات البين حتى تم إعتقال الاول بمناسبة ما أعلن من سيناريو مؤامرة ناظم كزار وتبعه إقصاء الثاني عن القيادة وتعيينه سفيراً في الإتحاد السوفياتي.

أين كان موقف البكر من المفاوضات؟ كانت المفاوضات الاولى التي أدت إلى بلوغ الإتفاق على بيان آذار قد بدأت في جو مختلط: من محاولات للإفتتاح على القوى الديمقراطية عالمياً ووطنياً، إلى

جانب الإحتفاظ بمنظمات إرهابية. وقد كان البكر ينظر بإنفعال إلى ما يعزى إلى الجانب الكردي، دون نظرة إلى سلبيات الجانب البعثي. وفي بعض تلك السلبيات كان له دور اساسي مثل سياسة تعريب كركوك. ولكن مع ذلك لم يكن ذي رأي ملموس في القطيعة والحرب. وإن لم يكن له موقف حاسم ضدها. مثال ذلك الحرب في بارزان وبيرة كبرة، فقد سارع إلى إستجابة توسطي لوقف القتال. وقد كانت له محاولات جانبية في وقف التدهور في الفترة الطويلة للقاءات المتضادة.

وعلى الرغم من هذا الواقع المر فقد تم التوصل في لجنة السلام إلى قرارات إيجابية برئاسة مرتضى الحديثي على ما ذكر في موضوع إعادة توطين العوائل المهجرة. وثمة أمثلة كثيرة مماثلة منها الإتفاق على عدم القيام بأعمال سلبية في الشمال أثناء المفاوضات مع شركة نפט العراق والإتفاق على نشر مقالات لدعم موقف الحكومة.

ومثل هذه المحاولات الإيجابية تمت تحت رئاسة عبد الخالق السامرائي عند معالجة شؤون عقرة منذ اوائل عام 1972، ومعالجة المحاولة الثانية لإغتيال البارزاني ... إلخ. إلا ان كلا اللجنتين قد توقفنا عن العمل منذ اواخر 1972. كما اوضحت ذلك بتقرير قدمته إلى الرئيس البكر.

## الفصل الثالث عشر: الحرب الخامسة ومآسيها

### معاهدة الصداقة والتعاون بين الإتحاد السوفياتي والعراق

أسهمت قوى الردة العربية في إتمام ما بدأته القوى الإمبريالية من هجوم على ثورة 14 تموز 1958 وعلى إنجازاتها التقدمية، بما في ذلك علائق الصداقة والتعاون في ميادين عديدة بين العراق والإتحاد السوفياتي، وضد الإجراءات التقدمية بشأن المسألة الكردية، فكان دفع سلطة الجمهورية إلى الحرب في كردستان عام 1961 خاتمة الوسائل للإجهاد عليها.

وفي عهد ردة شباط 1963 التي قادها حزب البعث العربي الإشتراكي مؤيداً من تلك الاوساط الإمبريالية والرجعية العربية، وصلت العلائق السوفياتية العراقية – وكذلك علائق الحكومة مع الحركة الكردية درجة بالغة السوء. وبزوال عهد ردة شباط جرى التحسن في ميدان العلائق مع الإتحاد السوفياتي، ومع الحركة القومية الكردية بخطوات وثيدة ... بلغت افضل مستوى في الجانبين ببيان حكومة عبدالرحمن البزبز في حزيران 1966 بشأن المسألة الكردية. ثم بزيارته الإتحاد السوفياتي في تموز – آب من العام ذاته. وقد تطورت العلائق مع الإتحاد السوفياتي بوجه أعمق بعد عدوان حزيران 1967.

منذ إعلان الحكومة البريطانية بسحب قواتها المسلحة من شرقي السويس في 6 كانون الثاني 1968، ابتدأت الولايات المتحدة بتسليح إيران لجعلها قوة قادرة على ملئ الفراغ الذي ستخلفه بريطانيا بعد انسحابها ومواجهة أية تطورات مقلقة للمصالح الإمبريالية في المنطقة. واستغلت إيران هذه الظروف من أجل تحقيق طموحاتها التوسعية على حساب الوطن العربي.

ففي نيسان 1969 أعلن شاه إيران فجأة ودون أي حجة إلغاء إتفاق شط العرب لعام 1937 وأخذت الزوارق الحربية الإيرانية تجوب شط العرب في مظاهرات إستفزاز عسكري وأصبحت حكومته تتصرف في المنطقة طامحة ان تكون قوة إمبريالية فضلاً عن كونها جندرمة للإمبريالية الامريكية في الخليج والبحر العربي وحتى بعض مشارف المحيط الهندي. كما كانت في الوقت ذاته حليفاً واقعياً لإسرائيل ولا سيما في ميدان المخابرات والتجهيز بالنفط.

وكان وكلاء الشاه وعملاء الإمبريالية الآخرين نشطين في إثارة التوتر والمجابهاة في كردستان. فكان ذلك كله عاملاً مهماً في نجاح المفاوضات بين الحكومة العراقية والقيادة القومية الكردية حتى تم الظفر بإتفاق آذار 1970.

كما كان ذلك الإتفاق دافعاً جديداً لنشاط حكومة إيران وما وراء إيران من قوى عدوة لتحرر شعوبنا، لتخريب العلائق بين الحكومة العراقية والقيادة الكردية، على ما رأينا من حوادث أدت بالجانبين إلى المجابهات العسكرية بين الجانبين مباشرة حيناً ومن وراء العملاء أحياناً أخرى.

ثم إنتقلت حكومة الشاه إلى التحدي المباشر، ففي صيف 1971 إستولت القوات الإيرانية على مساحات من اراضي العراق في قاطع زين القوس من منطقة خانقين. وفي تشرين الاول 1971 أعلن الشاه إستيلاء القوات الإيرانية على جزر طناب الكبرى وطناب الصغرى وأبو موسى في ضمن حركة صريحة للهيمنة على الخليج العربي – الفارسي. وقد تم ذلك بمؤامرة مزدوجة مع حكومة بريطانيا ومطاوعة دولة الإمارات التي اعلنت بريطانيا تأسيسها في التاريخ ذاته.

وتزايد ضغط الإحتكار النفطي العالمي (شركة نفط العراق IPC) على أمل عرقلة مواصلة العراق إستغلال مناطق النفط التي تم تحريرها بالقانون رقم 80 لعام 1961 منذ عهد الجمهورية الاولى، وقد تجدد العمل في سبيل إستغلالها بعد عدوان حزيران 1967. وقد بلغ الضغط أشده في النصف الثاني من عام 1971 والشهور الاولى من عام 1972. فلقد أنقص إنتاج النفط من مستواه السنوي وهو 57 مليون طن إلى 30 مليون بينما كانت ميزانية الدولة العراقية تعتمد موازاناتها الإدارية والتنموية بالدرجة الاولى على ما يردها من عائدات النفط.

ولقد مرت العلاقات السوفياتية – العراقية في صعوبات جدية كان مسببها الاساسيون – وحيثاً خالقيها ... الرجعيون في أجهزة الدولة. وقد شملت تلك الصعوبات العلاقات الثقافية وميدان التعاون العسكري والتعاون الإقتصادي والفني. وبفضل المعالجة العقلانية التي قام بها من الجانب العراقي الرئيس احمد حسن البكر تم التغلب على تلك الصعوبات. وكان لي سهم متواضع بإسناد الرئيس في هذا الموضوع وبمساعدة صديقي الراحل البروفسور غافوروف باباجان رئيس معهد آسيا وإفريقيا في موسكو آنئذ. وبعد أن تم تذليل الصعوبات بين البلدين وعاد التعاون إلى سيرته الاولى، ثم بمستويات أعلى بدأت صلات الجانبين في مستوى القيادة للإتفاق على معاهدة الصداقة والتعاون. ففي كانون الاول قدم الكسي نيكولاي كوسيكن إلى بغداد لبحث اوليات تلك المعاهدة. وفي شباط 1972 قام احمد حسن البكر بزيارة الإتحاد السوفياتي للغرض ذاته. وفي يوم الخميس 6 نيسان كانت زيارة كوسيغن الثانية. وقد تم التوقيع على المعاهدة في 9 نيسان 1972. ومن قبل كان العمل جارياً في إنتاج النفط من حقل شمالي الرميطة بمساعدة الإتحاد السوفياتي. وقد بدأ الإنتاج فعلاً في شهر نيسان 1972 ذاته. وبعد عقد الإتفاق اعلن تأميم نفط العراق في اليوم الاول من حزيران 1972 – مع الإعلان عن معاملة فرنسا معاملة خاصة.

### موقف القيادة الكردية من معاهدو الصداقة والتعاون بين العراق والإتحاد السوفياتي

كما تقدم الحديث عن وصول أ. ن. كوسيغن يوم 6 نيسان 1972. وإدراكاً من الزعيم السوفياتي للوضع المعقد بين الاحزاب العراقية، رغب ان يقوم بلقاءات مع ممثليها قبل توقيع المعاهدة. وقد عين لقاء مع ممثلي الحزب الديمقراطي الكردستاني يوم 8 نيسان – أي قبل توقيع المعاهدة بيوم واحد. ورغم التعقد الذي كانت تمر به علاقتي مع القيادة البارزانية بسبب خلافاتي مع ممثليها في أحداث عقرة .... فقد كلف البارزاني وفد الحزب المرسل إلى بغداد بأن اكون بينهم عند المقابلة.

قابلني السفير السوفياتي بذلك وسألني عما إذا كنت أرى في المشاركة حرباً. فأعربت له عن الثقة التي منحها لي الإخوان الكرد وعلى رأسهم البارزاني. كما شعرت ان في هذه المشاركة فرصة لي في شرف الإسهام بالتعبير عما اراه في صالح شعبنا العراقي عربيه وكرده سواءً.

ذهبنا معاً إلى السفارة السوفياتية وجلس الوفدان الكردي والسوفياتي على جانبي المائدة. فقال السفير "إن مكانك بيننا او بين اصدقائنا الكرد لافرق. فكلنا اصدقاء ونثق بك ونحمل لك حباً."

بعد تبادل التحيات فتح كوسين الحديث بأننا الشعب السوفياتي نقدر مطامحك كما نقدر كفاحكم البطولي في سبيل حرية شعبكم القوي العزيز. إن قوة كل شعب هي في توحده حول قيادته على طريق سليم من اجل الحرية.

وقال لقد كنت اليوم في لقاء شخصي مع الرئيس احمد حسن البكر وقد قال لي انه يحمل تقديراً عالياً لمصطفى البارزاني بوصفه قائداً يتمتع باحترام شعبنا العراقي عربيه وكرده. وقال "كان حديث الرئيس البكر عن البارزاني مبادرة منه ولم يكن جواباً عن سؤال من قبلي." وعندما ذكرت للرئيس البكر بأنني سأتلاقى مع وفدكم أعرب لي عن بعض الملاحظات التي آمل بأن تساعد على تعاون الجانبين لإجتياز بعض المصاعب التي يعتبرها عابرة." وقال كوسيجن "نحن ننظر اليوم بتفاؤل إلى قضية الشعب الكردي ضمن العملية التاريخية لتعزيز الكفاح ضد العدوان الخارجي ووحدة مصالح شعوب المنطقة، وخاصة الشعب العربي والشعب الكردي."

وأعرب الوفد الكردي عن تقدير الشعب الكردي لسياسة الإتحاد السوفياتي ودعمه لكفاح الشعوب في سبيل الحرية والسلم والتقدم. ثم أشار إلى المشاكل التي واجهت العلاتق بين الجانبين الكردي والحكومي بعد النجاح العظيم في آذار 1970 ..... وأعرب الوفد عن الامل في ان يكون تعزيز الصداقة العراقية السوفياتية عاملاً مؤثراً في حل تلك المشاكل ..... (هذه خلاصة موجزة جداً لحديث الوفد).

عندما حل دوري للحديث اعربت عن إعترازي بالثقة التي اتمتع بها من قبل إخواني الكرد وعلى رأسهم القائد مصطفى البارزاني. وقد علموني بالتجربة انهم يقدرون صراحتي وإخلاصي لقضيتهم حتى حين لا تكون الاراء بيننا متطابقة ... وقلت: في المفاوضات السابقة حتى ذروة آذار كان طريقنا غير معبد. وقد إستطعنا إجتياز عقبات كثيرة. وبقي ما كان في نظرنا أنذ هيئاً. غير أن الحياة واجهتنا بعقبات بعضها كان منظوراً ولكنه ضخم بعنذ وبعضها خلفته قوى لم تكن منظورة .... غير أن الشيء الذي كان واضحاً آنذ ولم يزل واضحاً الآن هو أن أماننا هدفاً مشتركاً ينبغي بلوغه ويريده لنا جميع محبي شعبنا. وهو وحدة شعبنا ووطننا على سبيل الحرية والتطور.

والسؤال الذي يقف امامنا اليوم كما كان قبلاً هو الخيار بين طريقتين لا ثالث لهما: ويتلخص بما يلي: "إما ان اسير معك إلى الهدف المشترك وأن نحاول معاً تذليل الخلافات ونحن سائرون في طريقنا. وإما ان اقول لك إنفق معي منذ الآن على كل شيء وإلا فلنفترق منذ الآن." أما أنا فلست أرى خياراً

سوى الجانب الاول. وهو الذي تحتّمه الحياة. ولكن إختياره يحتاج إلى أناة وتحمل كثير مما لايرضينا أنياً.

قال الرئيس كوسيجن: هذا هو رأينا كذلك وسنسى من جانبنا إلى بذل كل جهد ممكن لتذليل العقبات بينكم. فأمامكم مشاكل كبرى وأعداء أعظم من كل خلاف بينكم.

### تقيمنا الوفد الكردي وأنا معهم للمقابلة ولمجمل زيارة كوسيجن

كان الوفد الكردي مؤلفاً من محمد محمود — متكلماً بإسم الوفد. ومن كل من صالح اليوسفي وعلي عبد الله ودارا توفيق وإحسان شيرزاد ونوري شاويس. إتفق الجميع على قدر أهمية كلام الرئيس كوسيجن بأنه ينطلق بصراحة من الخط السوفياتي العام الذي كان توقيع المعاهدة في ضمنه.

وقد قدرنا جميعاً أن هذه المعاهدة من شأنها ان تعزز مركز العراق الدولي. وإنها تعزز في الوقت ذاته مركز الحزب الشيوعي، وظهوره قوة من القوى المؤثرة في ميدان السياسة العراقية. ومن بعد هذه النقطة حدث التباين في الآراء حول التوقعات التالية لعقد المعاهدة السوفياتية العراقية... وسأتجنب ذكر رأي كل من أعضاء الوفد. ولكن يمكن إجمال آرائهم في طريقتين متباينتين. فقد كان في الطرف الاول نوري شاويس اكثر الجميع تفاؤلاً وقد أكد القريبون من موقفه: اننا الآن امام قوة ضامنة اقوى من أي إتفاق، وذلك بالتعاون مع الحزب الشيوعي في الجبهة التي ستقام.

وكان في الطرف الآخر علي عبدالله والقريبون من موقفه. يقوم موقف هؤلاء: على أن الحقوق القومية حقوق ديموقراطية ولا امل في نيل حقوق ديموقراطية في ظل نظام حكم دكتاتوري فاشي.

أما أنا فقد ذكرت أن بين الطرفين على إطلاقهما ميداناً واسعاً: بين الضمانة لنيل الحقوق القومية من جانب واحد، وحتمية عدم نيل هذه الحقوق من جانب آخر. فالإتفاق مع الإتحاد السوفياتي لن يقلب الامور بين عشية وضحاها، وإنما سيساعد على النضال نحو السبيل الصحيح، ذلك أن بين الفأل المطلق بالضمانة واليأس المطلق ميداناً واسعاً للنضال على جانبي العملية، وهما الجانب الحكومي والجانب الكردي. وإنتهينا إلى الإتفاق على أن ينقل كل رأيه إلى البارزاني دون إتخاذ تثمان مشترك.

لقد كان واضحاً لأصدقائي الكرد من مواقف كثيرة سابقة أنني لا أعتقد في الظروف الواقعية بكلية الحقوق القومية، أي أنها إما أن تنال كلاً، وإما ان لا تنال كما يقال بالفرنسية *tout ou rien*.

ولأسف أن القيادة الكردية لم تقف موقفاً منسجماً من هذه المعاهدة. فقد أيدتها بمقال إفتتاحي صدر في صحيفة التآخي. كما صدرت في الوقت ذاته تشرة من المكتب السياسي بإتجاه مضاد لذلك المقال. كما صدرت تصريحات من بعض قادة الحزب الديموقراطي الكردستاني للصحافة الغربية بالنقد كذلك.

(أنظر ص 29 من كراس القيادة المؤقتة .... بخصوص تقييم القضية الكردية.)

### التدخل الامريكى المباشر بعد إتفاق الصداقة والتعاون بين العراق والإتحاد السوفياتي

بينما كان دور إيران التخريبي في الحركة القومية الكردية صريحاً ومعتزلاً به منذ بدء الحرب الأولى عام 1961 حتى ختام الحرب الخامسة عام 1975، وبينما كان دور إسرائيل معروفاً وإن كان أقل وضوحاً وتأثيراً، كان دور الولايات المتحدة مفترصاً حتى من قبل البارزاني، كما صرح لي أكثر من مرة، ولكن دون معطيات وثائقية تؤكد تدخلها المباشر.

كان الشاه قد طلب من الولايات المتحدة الإنضمام إلى إيران في مساعدة القيادة الكردية لرفع تحديها ومجاباتها العراق، لإستنزاف قوته. تمت موافقة الولايات المتحدة على اقتراح الشاه بالتدخل المباشر على الوجه الذي سيأتي الحديث عنه ادناه:

كشفت عن القرار بهذه المساعدة في فترة لاحقة تقرير صادر في 19 كانون الثاني 1976 عن لجنة في الكونغرس الامريكى حول دور المخابرات المركزية في الحرب بين الحكومة العراقية والقيادة الكردية. عرف بتقرير لجنة (اوتيس بايك).

ولم ينشر التقرير بكامله غير أن مصادر سرية سمحت لصحيفة نيويورك تايمس ان تحصل على أجزاء منه، كما نشرت أجزاء في صحيفة (ذي فليج فويس) في كانون الثاني وشباط 1976.

لقد وافقت الولايات المتحدة على دفع 16 مليون دولار، قسم منها نقود وقسم أسلحة. وكانت الفكرة ان تشتري من إسرائيل أسلحة سوفياتية وصينية كانت إستولت عليها في حرب حزيران 1967 وكذلك أسلحة من كمبودية. وذلك لإيهام العراق بأن هذه الاسلحة من مصادر سوفياتية. وعهد إلى وكالة المخابرات المركزية بالإضطلاع بالبرنامج دون إخبار وزارة الخارجية بسره.

"وأن الشاه ونيكسون وكيسنجر قد أملوا بأن عميلنا (يقصدون الحركة القومية الكردية) لن ينتصر. وإنما فضلوا بدلاً من ذلك انه سيستنزف (مصادر) قوة البلد (العراق) والمجاور لحليفنا (إيران)".

ولم يتم تعريف عملائنا (أي القيادة الكردية) بسياستنا، وقد تم تشجيعهم على مواصلة القتال حتى بالاساليب المكشوفة. "... لقد كان مشروعنا مشروعاً سخرياً".

ولم أجد ذكراً لكيفية إبلاغ البارزاني بموافقة الرئيس نيكسون ووزير الدولة كيسنجر. وإنما يرجح انه علم بذلك عند زيارة إدريس وأحد أعضاء المكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكردستاني الولايات المتحدة بعد زيارة كوناللي ل طهران. ولم يستطيعا ان يقابلا في هذه الزيارة سوى رئيس المخابرات المركزية. (من حديث لمحمد محمود [سامي] في موسكو في اوائل 1984).

يشير تقرير اوتيس بايك إلى "أن مذكرات وبرقيات المخابرات المركزية التي تمت مراجعتها وصفت الكرد بأنهم أداة مفيدة فذة لإضعاف قدرات (عدو حليفنا) من ان يقوم بمغامرة دولية. وأن المشروع قد كان لفائدة حليفنا الذي تعاون مع وكالات الولايات المتحدة، وقد اصبح يخشى التهديد من جاره. وأن رئيس الولايات المتحدة ووزير الدولة قد رفضا طلب الكرد في المساعدة مرتين على الاقل في آب عام 1971 وآذار 1972. لأن مثل هذه المساعدة قد تؤدي إلى إطالة التمرد زمن ثم تشجيع المطامح



الإنفصالية، ومن المحتمل ان توسع الفرصة امام الإتحاد السوفياتي ليخلق صعوبات لحليفي الولايات المتحدة (أي تركيا وأيران) اللتين لديهما اقليتان كرديتان كبيرتان.

وفي حديث للبارزاني مع ادمون غريب صرح "بأننا اردنا الضمانات الامريكية، لأننا لم نثق بالشاه قط." ويضيف غريب "إن هذا الرأي يؤيده تقرير بايك الذي يشير إلى ان الولايات المتحدة إنما قامت في الواقع بدور ضامن بأن لن يتم التخلي ببساطة عن المجموعة المتمردة - يقصد الكرد - من قبل رئيس الدولة الاجنبية (أي الشاه). كما يشير التقرير إلى أن مساعدة الولايات المتحدة الحقيقية قد تم تحجيمها بالمساعدة الايرانية."

"في آب 1972 ارسل البارزني وفداً إلى الإتحاد السوفياتي. ورغم ان موضوع الإتفاق حول تدخل الولايات المتحدة المباشر لم يكن معروفاً آنذاك. إلا ان صلات القيادة الكرية بإيران كانت مكتشفة صراحةً. كما كانت العلاقة مع إسرائيل معروفة مع غطاء لا يحجبها. بينما كانت علاقة الولايات المتحدة من وراء إيران مفترضة على ما كان يصرح به البارزاني لي.

فأبدت للبارزاني رأي في هذه الزيارة متوقفاً انها لن تكون مثمرة. ومما قلته له: "سيقول وفدكم للقيادة السوفيات إننا القوة التقدمية الاولى التي تستطيع ان تقف ضد الرجعية والإمبريالية .... إلى ما هنالك من المقولات المكررة. ففي رأيي أن هذا لا يقدم شيئاً. إنني أستطيع ان أقدم بإسمكم للقيادة السوفيات كلاماً ابسط كثيراً. وقلت له تعال نتفق أنت وأنا على موقف جاد من المعضلات، ومن الإمبريالية والرجعية وسأقول بإسمك هذا هو موقفنا الواقعي دون تلميع .... ولن أطلب شيئاً. وسترى النتيجة الإيجابية لذلك."

قيل أن الوفد قابل البروفسور اوليانسكي المسؤول عن أفريقيا وآسيا في مكتب العلاقات الخارجية، كما إستقبله كل من بونيماريوف وسوسلوف ..... كان ذلك، بينما كانت الامور قد سويت مع الولايات المتحدة منذ أيار 1972، على ما تكشف أخيراً.

وفي هذه الفترة ذاتها بعد زيارة الوفد الكردي لموسكو قدم إلى بغداد كل من فيدوروف وروميانتسيف وهما شخصان متقدمان في وزارة الخارجية. وكانت بيني وكل منهما صداقة قديمة. وقد زارني في داري وإستئنسا برأيي في وضع القيادة الكردية وعلاقتها مع الحكومة العراقية وكيف يمكن العمل مع القيادة الكردية. وسافرا إلى الشمال بعد إخبار وزارة الخارجية العراقية.

ومن بعدهما قدم إلى بغداد بونيماريوف ذاته في أواخر عام 1972. وبطلب من البارزاني شاركت في مقابلته مع الوفد الكردي، وكانوا محمد محمود (سامي) وإحسان شيرزاد وفؤاد عارف. وكما حدث عند مشاركتي في مقابلة الوفد الكردي لرئيس الوزراء كوسيجن. كان رأي بونيماريوف محاولة التعاون لحل المشاكل القائمة بدلاً من التوجه نحو القطيعة.

وفي تعليق وكالة المخابرات المركزية في 17 تشرين الاول 1972 أن الشاه بعد شهرين من إقتراحه (20 أيار 1972) أي في تموز 1972 عرض على صدام حسين بواسطة وزير خارجية دولة ثالثة

إستعداده لتترك مساعدة الكرد، إن هو وافق على إلغاء إتفاق شط العرب. وقد كان هذا الوسيط وزير خارجية الافغان. وقد عرف الجانب الكردي بمهمته فأخبر السفارة السوفياتية. وهذه بدوؤها أعلنت وزير خارجية العراق شاذل طاقة بمهمته. وفي حديث لي مع (سامي) في موسكو اوائل 1984 كما ذكر لي أن عبد الخالق السامرائي سأله عن إبلاغ السفير السوفياتي وأن سامي أكد مسؤوليته عن هذا الإخبار.

وسنرى لاحقاً ما إستطاعت أن تقوم به مخابرات القوى العدة من تخريب للعلائق بين الحكومة والقيادة الكردية، ثم دفعها إلى إستئناف القتال حتى كان ظهور دور الشاه والقوى الرجعية الوسيطة، وفرض إتفاق الجزائر المشؤوم.

### الشرارات الاولى للحرب الخامسة

اطلقت الشرارة الاولى للحرب الخامسة في يوم 17 شباط 1974. إذ كما تم ذكره اعلاه كان هذا اليوم نهاية علاقتي بالمفاوضات. وإبتدأت السلطة ببعض أعمال تهجير الاكراد. وفي يوم 21 شباط واصلت السلطة عملية تهجير سكان قرية تابعة لقضاء كفري. وفي يوم 24 شباط صدر قرار مجلس قيادة الثورة برقم 76 يعلن أن جميع التنظيمات السياسية التي لم تشترك في الجبهة الوطنية القومية التقدمية اصبحت منظمات غير شرعية. وعلى هذا الاساس تعطلت جريدة التآخي.

وإبتداءً من يوم 26 شباط اخذ الموظفون الكرد يتركون وظائفهم ويتوجهون إلى منطقة القيادة الكردية، والبعض يصطحبون عوائلهم. وقد شملت تلك الحركة وكيل محافظ دهوك وقائم مقام قضاء دهوك.

عقد إجتماع للجبهة في 2 آذار 1974، فلم يحضر ممثل عن الحزب الديمقراطي الكردستان. فقررت الجبهة ان يتم إعلان مشروعها لصيغة الحكم الذاتي في يوم 11 آذار 1974. ثم حدد صدام حسين مهلة للقيادة الكردية بقبول صيغة الحكم الذاتي بعد إعلانها بـ 15 يوماً، أي بحلول يوم 26 آذار 1974. حاولت قيادة الحزب الشيوعي إقناع ممثلي الحزب الديمقراطي الكردستاني بقبول صيغة الحكم الذاتي لتجنب الحرب. في حديث لي مع عزيز محمد السكرتير الاول للحزب الشيوعي العراقي ذكر لي ما يلي:

في مساء 6/5 آذار 1974 إجتمعنا في دار محمد محمود (سامي) وكان معي كل من كريم أحمد وآرا خاجادوريان. وكان إلى جانب (سامي) الحزب الديمقراطي الكردستاني كل من صالح اليوسفي ونوري شاويس ودارا توفيق. ودار النقاش بينهم حول إعتراض الحزب الديمقراطي الكردستاني على صيغة الحكم الذاتي. وقال عزيز محمد "إعترفنا بأن هذه الصيغة بذاتها ليست نموذجية وليست حلاً كاملاً ولكنها صالحة لتكون منطلقاً لنضال لاحق. وقلنا لهم إذا كنتم ترون ان القانون ملائم فحاولوا ان يطبق بواسطتكم وإن شئتم فإرفضوه. ونحن نفضل ان يطبق من قبلكم رغم علمنا ذلك سيؤدي إلى إتفاقم مع البعث ضدنا. وهب ان اننا نختلف سياسياً فإننا لن ندخل معكم في أي قتال. فدعونا وشأننا. فنحن لا نريد رفع السلاح ضدكم. فإن إلتزمتم بعدم مقاتلتنا فإننا لن نتحرك ضدكم."

وقال "وقد تزايد الإنفصام بيننا تدريجياً دون تخطيط من جانبنا. وحاولنا تجنب ذكر الاوصاف ضد الحزب الديموقراطي الكردستاني مثل العمالة للشاه ... إلخ. وكان دخولنا الحرب للدفاع عن تواجدنا ولم نوافق على الانتقال مع الجيش إلى جبهات القتال. اما الإقتراح بقبول الحكم الذاتي رغم نواقصه، فقد كان مطلباً وطنياً وأمياً في الوجه القائم آنذاك لتجنب القتال، وهذا كان موقف الإتحاد السوفياتي والقوى التقدمية."

غير ان إمكان تطبيق الحكم الذاتي من قبل الاكراد غير وارد كلياً بعد التأريخ الطويل من المجابهات العسكرية والإغتيالات وأخيراً تحريم منظمات الحزب الديموقراطي الكردستاني في 24 شباط 1974 لعدم إنضمامه إلى مايسمى بالجبهة الوطنية القومية التقدمية.

في يوم 8 آذار جاء إدريس البارزاني إلى بغداد وبين بإسم البارزاني "ان الكرد يرغبون ان يصلو إلى إتفاق مع الجبهة وليست لهم رغبة في القتال." وإقتراح إعادة الثقة. أجاب صدام "إن إعادة الثقة تقتضي قبول تنفيذ مشروع الجبهة للحكم الذاتي حتى يوم 11 آذار 1974."

وقد لخص صدام حسين موقف السلطة كما يلي، موجهاً الكلام إلى الجانب الكردي:

"من اليوم وهو التاسع من آذار 1974، وحتى ظهر 11 آذار لن نقبل اية صيغة جديدة. وفي رغبتنا ان تكونوا بين القوى الوطنية التي وافقت على مسودة قانون الحكم الذاتي." وذلك ليعلن القانون بإسم جميع القوى الوطنية. ولن يكون بوسعنا بعد ذلك ان نناقش أي إقتراح ... ومع ذلك سيبقى الباب مفتوحاً لمدة خمس عشر يوماً بعد تشريع قانون الحكم الذاتي لكردستان للسماح لكم بالانضمام إلى الجبهة وإعتباركم حلفاءً، بشرط عدم القيام بأعمال غير إعتيادية ضد الامن والقانون. وبعدها لن نكون حلفاء لكم." وبعد يومين جاء دارا توفيق وإحسان شيرزاد وقابلا غانم عبدالجليل مظهرين إستعداد الجانب الكردي للموافقة على القانون إذا قبل رأيهم بشأن كركوك.

وفي العاشر من آذار ارسل صدام حسين برقية إلى البارزاني. "حتى الآن لم تتضمن إقتراحاتكم أي تغيير جدي عن رأيكم الذي تم الإعراب عنه ورفض في إجتماعات عديدة سابقة. ونأمل ان تتقدموا بإقتراحات إيجابية جديدة، تصلنا قبل ظهر يوم 11 آذار." كان الجواب برقية من إدريس إلى غانم عبد الجليل "إننا نعتقد ان ما إقترحنه كان صحيحاً. ليس لدينا إقتراحات جديدة. سنبقى نحافظ على القانون." بعد فشل جميع المحاولات وغلق باب المفاوضات ارسل لي صالح اليوسفي الرسالة التالي نصها:

أخي الفاضل الاستاذ عزيز شريف المحترم

تحيات الحب والاخاء والتقدير

ببالغ لاسف لم أستطع اللقاء معكم قبل مغادرتي لغيابكم ولم أكن اتوقع أن الظروف والاضاع تتدهور بمثل هذه السرعة رغم ما بذلناه من جهود مخصصة وكان آخرها مجيء الاخ إدريس بموافقة سيادة البارزاني. وكنا نأمل إستثمار هذه المبادرة ووضع الامور في مجراها الطبيعي.

وكما لا يخفى لديكم ان كل عرق من عروق جسدي ينبض بروح التآخي والسلام. وان الواجب الملقى على عاتقكم وعلى عاتق كل مخلص نبيل وعلى اصدقائنا السوفييت بالدرجة الاولى بذل اقصى الجهود السريعة والحازمة لتفادي الاضرار البليغة على الجميع لتتخذ ارادة السلم والاخوة والإزدهار. ارجو إهتمامكم بالعائلة – وأنتظر جهودكم الطيبة وجهود اصدقائنا السوفييت وكل الخيرين ودمتم، مع تحياتي وأشواقي الخارة.  
المخلص صالح اليوسفي  
بدون تأريخ ومن المرجح انها حررت في 8 او 9 آذار 1974 قبيل إندلاع القتال.

اريد بهذه المناسبة ان أجتزئ لمحة عن حرص صالح اليوسفي على السلام دون تحليل لمجمل عمله وبغض النظر عن علاقته الاخرى بمجمل قيادة الحركة القومية الكردية. فعند سفرتي السرية الاولى لبدء المفاوضات وبعد لقائي مع البارزاني، إنتظرتني صالح اليوسفي فجراً على الجسر الابيض قرب كلاله بينما كنت عائداً، وتشكى من أعمال الكوادر القومية الكردية التي لا تمت بصلة إلى حل المسألة الكردية – ومن الامثلة التي ضربها إشعال النار في مركز إستخراج النفط في عين زالة، واعتبر ذلك بالتعاون مع بعض العملاء .... وطلب إلي المضي في محاولة الوصول إلى السلام. ولقد كان اول من عاد إلى العراق بعد إتفاق الجزائر المشؤوم رغم الشكوك حول مصير من يعود. وأخيراً كان مصيره الذي عرف: إنه قتل برزومة بريدية ملغومة.

وفي يوم 11 آذار 1974 أعلن البكر قرار مجلس قيادة الثورة بتصديق صيغة الحكم الذاتي. وقد جاء خلواً من ذكر حدود منطقة الحكم الذاتي. وكانت قد تمت كل الإجراءات الضرورية لإعتبار المناطق المختلف على طبيعتها السكانية عربية. وبخاصة محافظة كركوك.  
وحسب ما جاء في مذكرة المخابرات المركزية في 22 آذار 1974، أي بعد إنتهاء مهلة الـ (15) يوم ببضعة أيام قدم وزير الدفاع السوفياتي اندريه كريجكو إلى بغداد. وكان يحمل مشروعاً للتسوية بين الطرفين. ولكن إيران والولايات المتحدة نصحتا البارزاني برفض التسوية. وقد إعتذر البارزاني عن مقابلة الوزير. اما غرض الوزير فكان تجنب الحرب التي كانت اسبابها مهينة من الجانبين. وقد سبق أن أطلقت شراراتها الاولى. وكانت على قمة تل من البارود، وكما تقدم الحديث أعلاه.  
لقد أصبحت قيادة البارزاني بين فكي رحي الحرب، فك تهديد السلطة العراقية وضغوطها المتصاعدة حتى أصبح في غير مأمّن منها كلياً. وفك أعداءه وأعداء الشعب الكردي الذي لم تكن لديه حصانة مبدئية من الوقوع تحت رحمتهم. وهم وكالة المخابرات المركزية الامريكية وما إلى جانبها من قوى عدوة. لذا لم تستطع هذه القيادة الإصغاء إلى نصيحة وزير الدفاع السوفياتي وعلى الضد إصغائها إلى نصح المخابرات المركزية.

### إندلاع الحرب الخامسة

ليس تتبع وقائع هذه الحرب بتفاصيلها موضع ملاحظتنا التالية، وهو في الواقع خارج إمكاناتنا. وإنما نحاول تتبع ما أمكن من مجراها العام وملاحظات بعض من كانوا على مقربة من ميدان الحركات عن مآسيها حتى كانت الهزيمة المزدوجة هزيمة السلطة العراقية امام إملاء الشاه والقوى الرجعية، والهزيمة التي منيت بها القيادة الكردية وما تبعها من كوارث.

بإنتهاء المهلة التي حددها صدام حسين للقيادة الكردية بقبول صيغة قانون الحكم الذاتي بعد إعلانها بـ 15 يوماً، أي بحلول يوم 26 آذار 1974 بدأت القطيعة النهائية، وقد سبق ان تم إنقسام كردستان العراق إلى منطقتين تامتي الانفصال. فبالنسبة إلى منطقة سيطرة الحكومة بدأت السلطة بالإستعدادات الإدارية والتموينية. فتم تجهيز المنطقة بالاغذية وسائر مواد الإستهلاك الضرورية، وقد ذكر لي شاهد ان هذه المواد كانت متوفرة في تلك المناطق اكثر من توفرها في بغداد (من حديث لأحد القادة الكرد)، وقد نصحته بأن يتجنب لعبة الإنضمام إلى أي من السلطة والقيادة الكردية في فترة حلم التحالف والسباق على كسب الاغوات. وبين ان الزراعة تعطلت كلياً، وقد اخذ الاغوات الموالين للحكومة يعملون بالإتفاق مع اصدقائهم في الجهاز الحكومي في أعمال أخرى اكثر نفعاً مادياً. مثل حسين خضر السورجي وإخوته وأولاد عمه، وقد اصبحوا من أصحاب الملايين بطريق المقاولات لبناء ابنية حكومية في الديوانية وغيرها.

وكان من السخرية أن شخصاً أمياً مثل محي الدين جهانكير رئيس الهركيين اصبح لفترة مستشاراً في وزارة الداخلية. اما ارشد الزبيباري فقد بقي مرموقاً من وزارة الدفاع. وإجمالاً تعطلت الزراعة كلياً في كلتا جبهتي الحكومة والقيادة الكردية.

وفي ضمن خطة الإعداد للحرب سحبت السلطة قواتها من بعض المناطق غير الصالحة للدفاع. أما منطقة سيطرة القيادة الكردية فقد فرض عليها الحصار الإقتصادي وزاد الوضع سوءاً هجرة الالوف من منطقة سيطرة السلطة من المواطنين الكرد غير المحاربين. يذكر عصمت والني اثناء الحرب ومنذ 26 شباط 1974 أخذت اعداد من الطلاب ومن اعضاء الجمعيات والشبيبة يلتحقون بمقرات القيادة الكردية. وتبع هؤلاء المتفقون. وقد وجدت معظم هذه الكوادر ذاتها محتشدة في منطقة بالك (وادي شومان) دون عمل او مسؤولية تناسب مؤهلاتهم. وكثير منهم بقوا دون عمل وآخرون ضاعفوا حجم الإدارة وكانت النتيجة عجز عن تنظيم نشاطات ثورية سرية في مناطق سيطرة الحكومة.

ومنذ بدء المجابهات العسكرية كانت القوات الكردية تركز تقدماً ملموساً في جميع الجبهات وبخاصة في منطقة الحدود مع تركيا. وحتى في منطقة خانقين ومفيما بين كركوك والسليمانية. وقد اصبحت بعض قوات الحكومة مطوقة في محور زاخو - دهوك - عقرة. إلا ان قوات الحكومة اخذت بعد إنقضاء فصل البرد تقوم بحركات واسعة فكانت الفترة السابقة لحزيران حرب إنهاءك من الجانبين.

ومن ضمن خطة الحرب صدر قرار من مجلس قيادة الثورة بتاريخ 16 نيسان 1974 ورقم 614 بالعمو عن جميع العسكريين والمدنيين المشاركين بالتمرد، إذ هم عادوا إلى مراكز عملهم حتى 25 نيسان. وبعد ذلك يعتبرون مستقبليين .... ثم صدر قرار آخر في 2 حزيران ورقم 260/1 يعتبر من يعودون خاضعين للنظر في أمر كل منهم فردياً.

تشير مصادر الحكومة إلى أن قواتها إستعادت سيطرتها السابقة منذ عام 1961، مثل عقرة وزاخو والعمادية وراوندوز ورائية.

وكانت حكومة إيران تراقب القتال بقلق وتستحث القيادة الكردية لبذل جهود أعظم دون ان تقدم لها الاسلحة الضرورية لإحراز النصر. فقد كانت المدافع المضادة للدبابات التي قدمت لهذه القيادة غير ذات تأثير إلا على مدى محدود (من حديث للبارزاني مع ادمون غريب في نيويورك. ينظر ادمون غريب "المسألة الكردية في العراق، ص 164، 214). وجرى إتهام متبادل بين العراق وإيران حول قصف كل منهما لقرى الحدود في الجانب الآخر ... وتحشيد الجيوش عند الحدود.

وقد اخبرني الشخصية الكردية متقدم الذكر بان الفلاحين أصبحوا إخوة في المأساة. وسادت بينهم روح النعمة المشتركة لأ فرق بين من كان منهم من أتباع عملاء السلطة المرموقين ومن كانوا في جبهة القيادة الكردية.

وقد تناولت الاخبار ظهور إستيلاء بين بعض ضباط الجيش العراقي فتم نقل قائد القوات الجوية وأشيع إعدام عدد من الضباط الآخرين. وإذ كان الفصل الصالح لحرب الجيوش التقليدية في كردستان محدوداً، فإن أقبال الشتاء تستطيع القوات الكردية (البيشمركه) ان تحقق بحرب الانصار ما لم تستطعه في حرب الجيوش.

### إتفاق الجزائر

لمجموع هذه الاسباب ... والخروج من مغامرة الحرب ومضاعفاتها اخذت السلطة العراقية تبحث عن طريق لإسترضاء حكومة الشاه ... ومعنى ذلك إدراك واقع المغامرة الفالهيمة. ففي صيف 1974 تم لقاء في جنيف بين عضو من مجلس قيادة الثورة (البعثي) ووزير خارجية إيران وإتفقا على مبادئ اولية لحل المشاكل بين البلدين، إلا ان الشاه رفض الإتفاق في سبيل وضعها في وضع أشد ضعفاً. فإنتهى هذا اللقاء الاولي بالفشل. كما مني بالفشل لقاء بين وزيريه خارجية إيران والعراق. وفي اوائل تشرين اول سافر وفد عراقي إلى طهران بأمل الإتفاق على حل المشاكل بين البلدين ووقف المساعدات العسكرية إلى القوات الكردية، ولكن لم يمضي بإستجابة من حكومة إيران. وقد كانت هذه المحاولات ونتائجها الفاشلة تسير على غرار ما حاولت حكومة ردة شباط 1963 وحكومة عارف الثاني - البزاز قبل موقعة هندرين. وينبغي التنويه بأن عبد الكريم قاسم لم يتجه إلى إيران كما لم يتجه إليها عبد السلام عارف ولم يعرف لعهديهما إتصال بالقوى الإمبريالية.

ثم لجأت سلطة البعث إلى وساطة الحكومات الرجعية العربية ذات الارتباط الرجعية. وقد كان البدء بفرسي الرهان الملك حسين وأنور السادات. وكانت للسادات علائق وثيقة بإيران.

لقد تسنى لي الإطلاع على جانب من هذه العلائق منذ شباط 1972 إذ كنت مشاركاً في إنعقاد مجلس السلم العالمي، وكان التوجه نحو اليمين المصري والقوى الإمبريالية والرجعية ملموساً وبخاصة مع إيران. ومن تلك الصلات إتفاق مع دوائر الإعلام في الحكومة الإيرانية. وقدمت للبكر تقريراً بما إستطعت معرفته من الوجوه العديدة للردة المصرية.

ومنذ عام 1972 ذاته كانت الصلات بين الحكومة العراقية وحكومة السادات تسير بإتجاه التعاون. وقد تم عقد إتفاق على شراء معدات عسكرية من صنع سوفياتي. وكانت الدفعة الأولى بسبعة ملايين دولار. ولا يدخل في هذه المحاولات الجانبية إسهام العراق في حرب تشرين، فقد كان ذلك من منطلق قومي عام سيأتي الحديث عنه بتفصيل أوفى.

ورغم أن الحكومة العراقية كانت من أشد المنددين بوقف القتال المفاجئ حسب خطة خيانة السادات في 15 تشرين الأول 1973، إلا أنها بسبب حاجتها إلى مخرج من الحرب في كردستان لجأت إلى السادات للتوسط لدى إيران والسعودية والقوى الرجعية الأخرى ومن فوقها الولايات المتحدة.

وفي هذه الفترة من عام 1974 كان الإنقسام والعداء عنيفاً بين شقي البعث الحاكمين في سورية والعراق. وإذ بقي البعث السوري ولما يزل حتى تحرير هذه السطور متشدداً في موقفه من حكومة السادات، فقد اصبح يجمع الحكومتين العراقية والمصرية عداؤهما المشترك لحكومة البعث السورية. على أساس هذه الجوامع وعلاقات السادات المتنوعة مع القوى الإمبريالية توجهت حكومة العراق إلى مصر السادات. فتم بين الحكومتين إتفاق إقتصادي تقدم حكومة العراق بموجبه إلى الحكومة المصرية الف مليون دولار امريكي وإتفاق آخر بألف مليون دولار للتعاون الإعلامي وحرية تبادل الصحف بين البلدين.

الفا مليون دولار تقدم إلى مصر مضافة إلى مليونين ونصف دولار نفقات الحرب اليومية. مبالغ إسطورية كانت ستقلب كردستان العراق إلى جنة عدن لو أنفقت بوجه عقلائي. وعلى اساس التعاون بين القوى الديموقراطية عربية وكردية لكانت تعزل العناصر الميالة إلى القطيعة والحرب. فكم هو ضئيل إلى جانب هذه المبالغ مبلغ 16 مليون دولار وهو ضمانات الولايات المتحدة ومخابراتها لتجهيز القوات الكردية بأسلحة من قبل شاه إيران؟ دع عنك الضحايا والتخريب وتعطيل الطاقات البشرية والمادية ليس لكردستان فحسب بل للعراق بأجمعه.

### السعي إلى تأييد المملكة العربية السعودية

كان لحكام السعودية موقف غير ودي على الاقل لسياسة العراق بسبب تعاونها مع الدول الإشتراكية وبخاصة منذ عقد إتفاق الصداقة والتعاون مع الإتحاد السوفياتي في نيسان 1972. وبوجه عام كانوا

يعتبرون النظام في العراق راديكالياً خطراً على سياستهم في الخليج، وفي الميدان العربي كان يغلب الخلاف على سياسة كل من الحكومتين العراقية والسعودية في إفريقيا. وقد حددت اوجه هذا الخلاف في تقرير للبكر تحت عنوان "واجبنا وإمكاناتنا في إفريقيا". وقد لقي منه تقديراً آنذاك.

ولكن كان التنافس شديداً بين حكام المملكة ونظام الشاه على النفوذ في الخليج العربي - الفارسي. وإن كان ذلك التنافس محدوداً بإرتباط كل من الحكومتين إرتباطاً متعدد الجوانب بالإمبريالية الامريكية لا سيما في ميدان التسلح بأسلحة امريكية متطورة يقودها ويشرف على إستعمالها خبراء أمريكيون. ولا حاجة إلى التذكير بنشاط الاخطبوط (المخابرات المركزية).

وكان يقلق السعودية تعاضم النفوذ الشاهنشاهي الإيراني بإستمرار الحرب. على خلفية تلك المقدمات تم التوجه لكسب تأييد المملكة وإمكاناتها إلى جانب العراق في رغبته في تطبيع العلاقات مع إيران. وقد تم ذلك بتوسط انور السادات ووسائل الإعلام العراقية من جانب آخر.

اما حكومة الإمارات العربية فإن سياستها محاولة تجنب الحرب قدر الإمكان لعلائقها الثنائية مع إيران ومع الاقطار الأخرى، وبخاصة دول الخليج في الوقت ذاته. تتلاقى تلك الاطراف: الحكومات العربية والملك حسين ومصر السادات والمملكة السعودية والإمارات على هدف مشترك وهو تحويل سياسة العراق الخارجية والداخلية نحو اليمين. وكانت حكومة العراق على إدراك تام. فقامت بما يؤكد هذا التحول. وكانت الجزائر الحكومة الوحيدة التي لم يكن واضحاً إهتمامها بالتقارب مع إيران. وإن كانت واضحة صلاتها المتعددة مع كل من فرنسا والولايات المتحدة ورغبة كل منهما في تحويل سياسة العراق نحو الغرب.

وبناءً على ما تقدم كانت الإتصالات متعددة الصور بين بغداد وطهران وكان بين المباشرين بها اشرف مروان (مدير امن رئاسة الجمهورية في عهد السادات) والسفير الجزائري لدى العراق والشيخ زايد بن سلطان ممثل الإمارات العربية في بغداد.

وعلى خط إسترضاء الحكومات المحافظة وحكومة إيران قامت أجهزة أمن السلطة بحملة ضد الحزب الشيوعي العراقي ومنظماته في المناطق الوسطى والجنوبية. كما قامت أجهزة الإعلام بحملة ضد الإتحاد السوفياتي على أنه لم يزود العراق بما تقتضي من عتاد لإنهاء المقاومة الكردية. ومن ذلك الزعم بأن بضعة قنابل كانت كافية لإنهاء تلك المقاومة. (يراجع تكرار هذه المقولة في خطاب صدام حسين امام المجلس الوطني عند إعلان إلغاء إتفاق الجزائر في 17 - 9 - 1980). ورغم ما تقدم فإذ أصبح إستقلال العراق مهدداً لصالح سياسة الشاه قدم الإتحاد السوفياتي طائرات حديثة وعتاداً في اواخر عام 1974 ، غير ان عملية التوسط والجهود لإسترضاء إيران لم تتوقف.

على أساس تلك المقدمات وتوسط الاقطار المشار إليها تم الإتفاق بين صدام حسين والرئيسين المصري والجزائري في إجتماع الرباط للقمّة العربية في اكتوبر 1974 على توسطهما لدى شاه إيران بشأن تحسين العلاقات بين البلدين، وكان مفهوم ان ذلك على أساس تلبية العراق مطالب الشاه، ثم كان لقاء



صدام حسين بشاه إيران يوم 6 آذار 1975 بواسطة رئيس حكومة الجزائر هواري بو مدين اثناء وجودهما في إجتماع قمة رؤساء وحكومات عدم الإنحياز في الجزائر.

اما القيادة الكردية فقد كان إدراكها متأخراً للمغامرة بمرحلتها. مرحلة قبول المساعدة الاجنبية ومرحلة دخول الحرب على أساس هذه المساعدة. فمنذ عام 1965 إذ كنت في معسكر البارزاني إستلقت نظره إلى خطأ التحول إلى من حرب أنصار بما تكثفي به من أسلحة خفيفة إلى حرب الجيوش بالإعتماد على الاسلحة الثقيلة التي تزوده بها إيران آنذاك. فإذا كانت بأيدي القيادة الكردية اسلحة ثقيلة تغريها بالحرب كانت في الوقت ذاته عرضة للتوقف حال توقف الإمداد بالعتاد.

اما بعد إتفاق أيار بضمانة من الحكومة الامريكية ومخابراتها المركزية وكما تقدمت الإشارة اعلاه وجدت الفرصة للإنتباه إلى هذا الخطأ منذ اواخر عام 1972. فقد نشرت الاوساط الامريكية لاحقاً (في تقرير راوتيس بايك) ان الشاه محمد رضا بهلوي وسط وزير خارجية افغانستان الذي زار العراق في اواخر عام 1972، أي قبل تطور الاحداث واللقاءات المتضادة، فأخبر الحكومة العراقية أن الشاه محمد رضى بهلوي مستعد للعودة إلى ظروف التعاون إذا ما قبل العراق إلغاء إتفاق شط العرب لعام 1936. لقد كان هذا منبهاً كافياً لتترك القيادة الكردية غرض المساعدة الإيرانية بضمانة الولايات المتحدة ومخابراتها المركزية.

في تشرين الثاني 1975 نشر كراس للقيادة المؤقتة للحزب الديمقراطي الكردستاني بعد الإنهيار جاء في (ص 33) الآتي: كانت الادلة على خيانة الشاه المقبلة كثيرة. ففي شهر آذار 1974 طالبنا بإعلان صيغتنا للحكم الذاتي مقابل إعلان البعث صيغتهم. ولكن الشاه مانع ... وإرتأى المسؤولون عن العلاقة معه عدم إعلانها ... وفي حزيران إتقى وفد إعلامي كردي موفد إلى الأمم المتحدة بموظف كبير من البعثة الامريكية لدى هذه المنطقة اسوة بالوفود الاخرى. (كان الوفد مؤلفاً من محمد محمود وإدريس البارزاني حسب إحدى الروايات). قال الممثل الامريكي بالحرف الواحد "إن سياستنا لاترمي إلى إسقاط البعث ولكن إلى تغيير سياسته, وإذا ما غير سياسته فسيطلب إليه تقديم التنازلات للحركة الكردية".

وبخصوص الاجتماع العراقي الإيراني في إستانبول يقول التقييم أنه بناءً على تسأول القيادة الكردية كان جواب إيران إلى المسؤولين عن العلاقة مع العراق: "إننا لن نتفق معهم، وإذا ما إتفقنا لن يكون على حسابكم." ثم يسأل واضعوا التقييم "هل يمكن ان تعطي إيران غير هذا الجواب؟ لقد كانت العلاقة مع إيران قد اصبحت ستراتيجية في الواقع العملي .. وأصبح كل شيء يعتمد على العون القادم من إيران." ويستمر التقييم: "وفي الشتاء إجتمع الوفد العراقي والوفد الإيراني في إستانبول مرة أخرى. وفي اثناء هذا الإجتماع عقد القياديون الموجودون في جومان إجتماعاً مع البارزاني والمسؤولين عن العلاقة مع إيران وتساءلوا عن إمكان تفاهم إيران مع العراق والتخلي عن الثورة الكردية. وبعد المناقشة لعدة ساعات إختتم البارزاني النقاش بقوله "إذا كان الامر متروكاً لإيران فإنها ستنتفق، ولكن

هناك منهم هو أكبر منها في العملية (يعني الولايات المتحدة)". ومعنى هذا أن البارزاني الذي لم يثق يوماً ما بالشاه كان ينظر إلى الولايات المتحدة ومخابراتها نظرة مغايرة.

وفي شباط 1975 ذهب محد محمود (سامي) إلى القاهرة مع أحد القادة فبين لهما السادات "إن الإتصالات جارية للتصالح بين العراق وإيران ولكن قضيتكم ليست مهمة وإني لم أضغط على العراق حتى الآن. وقال السادات إن الشاه رجل نبيل وشريف وموقفه من قضيتكم مفهومة وإنها ليست معروضة للمساومة في المفاوضات وإن الشاه مُصرٌّ على ذلك. وإني من جانبي أريد تطمين حقوقكم في هذه الوساطة التي باشرنا بها فعلاً".

بعد هذا اللقاء بين سامي للبارزاني "إننا واقعون في ورطة". (من حديث لي مع سامي). ثم كرر القول ذاته لإدريس. فكان جواب إدريس "مو وقته" أي ليس الآن وقت إثارة هذا الموضوع.

على أساس تلك المقدمات التمهيدية تم التوقيع على نصوص إتفاق الجزائر، فكان ضربة خطيرة لمصالح العراق وقواه الوطنية. فإذا كان بالنسبة إلى القيادة البارزانية والشعب الكردي كارثة مباشرة، فقد كان بالنسبة إلى العراق بما فيه الحكومة كارثة غير ملموسة الأبعاد آنياً.

أول جوانب هذه المأساة، وكان منظوراً دون الحاجة إلى نصوص فهو إحتواء سياسة العراق الداخلية والخارجية وتوجيهها نحو الإنسجام مع الحكومات الرجعية ذات الإرتباط بالإمبريالية. ولاسيما بالولايات المتحدة. وقد بدأ هذا منذ التوجه نحو إتفاق الجزائر.

أما نصوص الإتفاق بشأن الحدود بين البلدين:

فأولاً أعتبر الحد الفاصل بين الطرفين خط التالوك الذي يتبع المجرى العميق في شط العرب، بينما كان شط العرب بكامله عراقياً، بإستثناء ما أخذ منه بإتفاق سابق تحت ضغط الحكومة البريطانية في عام 1937 – 1938، إذ ترك لإيران مسافة نحو 4 أميال لمرسى ميناء المحمرة الذي كانت بواخر النفط البريطانية ترسو فيه.

وأكد البروتوكول الثاني الحدود البرية حسب بروتوكول القسطنطينية لعام 1913، ومحاضر قومسييري بتجديد الحدود بين تركيا وإيران عام 1914. ولكن لن ينفذ هذا.

دخلت القيادة الكردية الحروب سابقاً دفاعاً عن الذات عن كيانها وعن الشعب الكردي الذي يرتبط كيانها به. وهي وإن لم تسلم في بعض الحروب من الصلات الاجنبية، إلا أنها لم تصبح أسيرة اسراً كاملاً للقوى الاجنبية بالمستوى الذي اصبحت فيه في الطرف الذي إنتهى إلى نشوب هذه الحرب.

كانت الحرب بالنسبة إلى السلطة حرب إضطهاد قومي لا يبرره وقوع القيادة الكردية في الخطأ الكبير تحت تأثير القوى الاجنبية لأن سياسة السلطة التأثير الهام الدافع إلى هذا الخطأ وكانت الحرب بالنسبة إلى القيادة الكردية حرباً بالنيابة عن أعدائها وأعداء إستقلال العراق وسلامة أراضيها. وبإيجاز كانت الحرب فاقدة للمبرر الشرعي لأي من الجانبين مع التأكيد على ان المسؤولية الاولى تقع على قيادة الحكومة.

### كارثة الإستسلام بعد إتفاق الجزائر

إن التأريخ قد يمهل ولكنه لا يهمل. فلا بد لخطأ ذي أهمية في السياسة ان تكون له عواقبه. وقد تكون أحياناً كارثية – إن لم يكن عاجلاً فأجلاً. وأكبر الكوارث ما نشأ عن إنحراف القيادة عن المبادئ.

بعد عودة الشاه من الجزائر قدم للبارزاني احد خيارات ثلاثة: الإستسلام لحكومة العراق قبل نهاية آذار 1975 وهي نهاية فترة العفو التي اعلنتها العراق عن من حملوا السلاح في الحرب الاخيرة. او اللجوء إلى إيران او مواصلة القتال مع إغلاق الحكومة الإيرانية الحدود ومنع كل مساعدة للقوات الكردية. وقد أبقى البارزاني الموضوع في 7 آذار إلى اللجنة المركزية في حاجي عمران لإتخاذ القرار الذي تراه. فقررت بالاكثارية مواصلة القتال وخاضت حرباً ضارية لفترة قصيرة.

وفي 10 آذار أرسل البارزاني برقية إلى كيسنجر يذكره بتعهده بإسم الولايات المتحدة بالمساعدة التي سبق الحديث عنها، فلم يتلق جواباً. وفي وقت متأخر نشرت نيويورك تايمس تقريراً بهذا الموضوع، ومما أسند إلى كيسنجر قوله "إن عمل المخابرات ليس عملاً تبشيراً". ثم عاد البارزاني إلى كردستان العراق في 17 آذار فأرسل برقية إلى البكر مبيناً إستعداده لقبول قانون الحكم الذاتي تفادياً للقتال. فأجاب البكر ببرقية مؤرخة في 18 آذار 1975 لم تصل. (والني نقلاً عن لوموند في 21 آذار 1975).

وفي 19/18 آذار إجتمع المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني والقادة السياسيون والعسكريون فأبلغهم البارزاني بقراره بعدم الإستمرار في القتال وبالتراجع نحو إيران وترك للجميع حرية إختيار القتال او وقفه. فتبعت الاكثارية قرار البارزاني.

هل كان بالإمكان مواصلة القتال وبالصورة التي تطور إليها. لقد كانت إعداد المقاتلين كبيرة وبأيديهم أسلحة متطورة. ولكنهم وضعوا منذ وقت طويل في حرب الجيوش التقليدية التي تحتاج إلى التموين المستمر بالعتاد، فكانت مواصلة القتال في ذلك الظرف عملية محدودة المدى ليس في الإمكان إدامتها لفترة طويلة، فضلاً عن أنها مفعمة بمآسي أعظم للشعب الكردي. اما العودة إلى حرب الانصار فقد سد الطريق امامها منذ وقت طويل، طويل جداً. فقرار الإستسلام للشاه وإن كانت عملية إنتحارية بالنسبة إلى القيادة الكردية، إلا أن ذلك بدأت جذوره على الاقل منذ أيار 1972. وذلك بعد ان تم تسوية الامور مع الولايات المتحدة.

وكما تقدم نشر في تشرين الثاني 1975 كراس للقيادة المؤقتة للحزب الديمقراطي الكردستاني. ومما جاء فيه "قلة قليلة كانت العناصر القيادية التي تدعوا إلى مواصلة القتال بجد وإخلاص وهي مقدرة الظروف الصعبة الجديدة التي ستواجه حرب الانصار، حيث أن القرى والارياف مهجورة والعلاقة مع القوى التقدمية في الداخل والخارج مقطوعة. والمدة الباقية من 7 – 30 آذار لإعادة التنظيم وتقليص

جيش البيشمرکه بعيدة كل البعد عن تكون كافية. وقد أن المرضى سيلاقون حتفهم دون علاج. وأن الشاه العميل والرجعية التركيه ستعملان المستحيل من أجل القضاء على الحركة الكردية جنباً إلى جنب مع البعث الفاشي. لذلك يكون من إستسهال الامور ان يقال ان كل الإمكانيات متوفرة دون تذكر هذه المصاعب وكثير غيرها ...". ويذكر التقرير ان العناصر الراديكالية رغم هذه المصاعب حاولت مواصلة القتال وواصلته حتى ليلة 17 آذار، أي وقت وصول البارزاني إلى كردستان.

وينبغي ان نضيف إلى تلك العوامل الموضوعية عاملاً يفوقها أضعافاً وهو كلية الحرب الخامسة بين الجانبين. لقد كانت جميع الحروب السابقة حروباً جزئية بمعنيين، أنها كانت جزئية بالنظر إلى مدى شمول نشاط السلطة للمناطق الكردية جميعها. وكانت جزئية بالنسبة إلى القوميين الكرد. وإبرز الامثلة إنتفاضة 1943 إذ أزرها ضباط وجنود وشرطة في القوات المسلحة العراقية وموظفون كبار في الدولة. كما كادت ان تكون حرب 1963 كلية أيضاً، ولكنها لم تطل، إذ تمت هزيمة القيادة البعثية بالإنقلاب الذي قاده عبد السلام عارف، بل بدأت كلية الحرب من الجانب الحكومي تعاني من الفشل حتى قبل ذلك الإنقلاب.

وقد يعادل هذه العوامل الموضوعية ويزيد عليها العنصر الذاتي في القيادة الكردية. فمن ناحية الشمول سبق أن تمت الإشارة إلى الاعداد الكبيرة من الموظفين ومنتسبي دوائر الحكومة الذين توجهوا إلى القيادة الكردية منذ بدء علائم الحرب. وقد اصبح أكثر هؤلاء عبئاً على الثورة .... وفوق هذا إسترخاء كوادر في القيادة الكردية. فقيادة الحرب الخامسة تختلف كلياً عن قيادة الإنتفاضات والحروب السابقة. لقد دب الفساد بوجه أشد في عهد آذار 1970 – آذار 1974، فكان بعض القادة إذ لم نقل كثير منهم قد نفشى بينهم الفساد والإنحلال بنسبة إنغماسهم في الترف. وقد وصف كراس القيادة المؤقتة مستوى القيادة بعد الإنكسة بأنه كان "هشاً". وأشار إلى "إن رؤساء كانت مسؤولة عن الإنكسة راحت تسلم نفسها إلى عدوها."

كما جاء في تقرير (اللجنة التحضيرية ص 102) نقد لتحول (الثورة) عن حرب الانصار بالإعتماد على المساعدات الاجنبية من أعدائها. وأشار التقرير إلى الفساد في مستوى القادة وبين أن إجتماعاً للجنة المركزية قد عقد قبل الإنكسة بأكثر من ثلاثة أشهر لدرء نواقص الثورة وبخاصة – ما عبر عنه – بالتنسيق. إلا أن ذلك لم يبلغ التحليل الكاف، كما أن الفرصة للإصلاح كانت قصيرة.

وينبغي إضافة إلى كل ما تقدم أن القيادة الكردية تخلت منذ عهد طويل عن حرب الانصار جزئياً أو كلياً بإعتمادها على الاسلحة الثقيلة تتلقاها من الخارج وتحولت بوجه رئيس إلى حرب الجيوش وهذه المرة الثانية إذ تقع فيها القيادة في هذا الخطأ العظيم. ففي المرة الاولى بلغ نفوذ الشاه على قيادة الحركة القومية الكردية في حروب 1961 حتى 1966 حتى ملاحقة مناضلين من كرد إيران داخل منطقة نفوذ تلك القيادة مثل سليمان معيني ورفاقه. وكانت تلك تجربة قاسية تجاوزتها هذه القيادة بإتفاق آذار. فلماذا مدت اليد ثانيةً إلى الجحر الذي لدغت منه؟

وبقطع النظر عن جميع الصعوبات الهائلة المنوه بها أعلاه كان قرار البارزاني في 19/18 آذار 1975 بعدم الإستمرار في القتال وبالتراجع نحو إيران تخلياً عن قيادة الحركة القومية التي إرتبط إسمه فيها بالإحترام العظيم.

لقد كانت الفترة قصيرة بين صدور هذا القرار وإنهاء المدة التي أعلنتها بغداد للعفو عن من يعود وهو يوم 26 آذار 1975 ... سبعة أيام فقط. فكانت النتيجة حتمية وهي تخلي الجميع عن مواصلة القتال. فمنهم من إختاروا اللجوء إلى إيران ومنهم من إختاروا العودة إلى العراق. وكان من مظاهر المأساة حشود اللاجئين على الطريق نحو إيران وبالعكس بعشرات الالوف.

لقد ترك للبارزاني ملا مصطفى تأريخه الطويل المجيد في قيادة نضال الشعب الكردي، إحتراماً جماً في قلوب الكثيرين، ولست أت بجديد إذا ما أعربت عن إحترامي لذلك التأريخ. مضيفاً إليه صداقتنا الحميمة وتعاوننا او لنقل بتواضع الخدمة المتواضعة التي قدمتها للشعب الكردي بقيادته.

ومن المؤسف أن البارزاني الذي كان أبرز بطل قومي كردي لعشرات السنين قد وجد نفسه وقد وقع في فخ الإمبريالية الامريكية. ولم يحدث ذلك فجأة، وإنما كان على ذروة تطور سلسلة من أخطاء الإعتقاد على إيران، ثم على ما وراء إيران من قوى عدوة. وإذا كانت معظم هذه الاخطاء ردود فعل لسياسة الإضطهاد القومي. إلا أنها ردود فعل غير سليمة من قصر النظر ومن تأثير عناصر عملية في الجانب الكردي.

وإني لأميل إلى الرأي التالي مع تجنب ذكر الاسماء:

لقد كان البارزاني في ذلك الظرف العسير جداً أسير تصرف بعض حاشيته. وقد لمست ذلك مباشرة قبل الحرب منذ 1973. وقد قال لي بعض القادة الكرد أن من تلك الحاشية من تعاون مع قوات الشاه حتى بعد سقوط البارزاني. وهذا عقوق او خيانة لا يمكن تخفيفها.

ملحق خاص بالمراسلات المرتبطة بالجزء الثاني

حضرة الأستاذ والدفع الكبير

تحية واحتراماً ..

أكتب إليكم بقلب ملذذ بالرق والندحتم لكم . وأرجو أن يبلغوا  
 فحباتي واحتراماتي الى الزوجه المحترمة ، أهبول صحة جيدة .  
 بعد فواتنا مباشرة رلى رصولى الى بغداد حاولت الاتصال بأخونا الدكتور  
 إلا أنه كان مسافراً الى أوروبا فى تلك الفترة وقد تغيب صناعه نده طويله ، ولم أرى  
 داعياً لنخبره بما خوضت نظراً لغوات الوقت .  
 رملتني رسالتكم قبل أيام إلا أنني لم ألتق معه رساله خاصة بأخونا الكبير  
 وعليه فإني أكتب إليكم قبل التطوع على تلك الرساله . ومضاميه الكتب فإني  
 أتجيب لعمام رصولك إليكم حيث سبقه أن أرسلت إليكم حواى ١٤ كتاب لوالده أحمد  
 بنواتنا المنسبينه الذين سافروا الى أمريكا وقد وعدني للنادمكم فى العام ، إلا أنى  
 لم أستطع . ~~سواءً من سطره~~ فلهذا أستبد بجمدى عند لئله بكم ألك ، وقد كان  
 سبب إرسال الكتب بطولته هو لاستقبال رصولك .

أخى العزيز . منذ سلكه فقد جئت نظرات فى البلد لادب انكم تعلمون بى ،  
 وقد صم ووقع ما توقعناه ، وبالرغم من أن الصمد الجيد قد حاول فطاع أجهه (منعدرة  
 من القوى الرطيه والتنديه ، إلا أن معصف أخونا الذكر كان سلباً وصحياً منذ  
 الديام الذوى ، وأذكر للكم بأنه كان ضد الاستراله فى حكمة عبدالرازه النابى ، وقد  
 كتب برقيه بذلك المعنى ، إلا أن معصف صالح البوسنى فى بغداد واختلعه فد اعطى  
 إنطاعاً بلكه ذلك ، ركهضه الديام الذوى بغير اللطه الحاضره لسطه منبره  
 ذات عدونات مع الذنگلذ ، وهى مثل نفسه لسطه ١٩٦٢ ولكنه بثوب آخر .  
 ومنه الديام الذوى بدأ بتدريه قول ان اتقاهيه (٥٩) خزيان لا يحوى ما يطمنه الأكاره ،  
 ودعا الى وحدة القوى الرطيه والتنديه من شوعينيه ، ونصينيه ودعفاً صينيه فخلينه  
 بعد الدهاب محمود ، وعبداللطيف الشوان وعبدالتاح ابراهيم ، وسليم القورى ، والناصرينيه  
 والبعث اليسار المؤيد الى سوريا . ومجادلة خلفه معارضه ويتلطي له كمنه ،  
 ... .. من قده جلت فخلينه فخلته مثل هذا الجمع ، لهذا

وعلى الرغم من المحاولات الفديده من قبل  
 اللدان التفرقت الذى تقاضيه القوى الوطنيه بأجمعها وكذلك الحال عندلى الثورة قد  
 اصبح هذا اللقاء أو التوحيد صعباً وصعباً ، مما رعى الى بعض مفكرى هذه الجبهه  
 ان يبايعوا من قيادتها





لثبوت أسسه جيدة لعل الثورة ، والفرار مع الفريديريخية والعدالة مع الحكومة  
 كما رأينا في أخباركم بأنه ينادون مع الفريديريخية حيث هي ، إذ حال ثلثه عناصر كرده مستغنية  
 داخل الحزب ، وظانوا جميع ليباري منه الانتصاف بعد الثورة .  
 في ثمة الذبوع عند الأخير ، حاولت الحكمة عزل الثورة عند الفريديخية ، وبدرجة  
 : عليه بوجه عدلثة الثورة بالثرب ، إلا أن ضللت ، بل إن عدلثة الثورة الكلدانية  
 قد تعقدت مع الفريديخية .

أما حول المصنف من الحكمة فيعتقد الذبوع بأن ~~هنا~~ تأثيرات انكليزية قوية  
 تؤثر على سياسة هذه الحكمة ، وإن كصمم الذبوع على النظام المرأى له  
 القضاء على الثورة العراقية ، بواسطة الذكراد أسسم إن النظام ذلك  
 ومنه الطبيعي إن الخطأ الصادر من الأسماع مع جماعة الطالباني ودم الحكمة لم أدى  
 في حالات كثيرة أي صدمات مع فلات حكيم ، بل على أثرها أعمار كثيرة من أفراد  
 الجيش ، وإذا استمرت الحالة على هذا الخوال بأن النتيجة الحتمية هي الحرب ،  
 أما عند الصعيد العربي فيعتقد الذبوع إن كصمم هو قلب الوضع في سوريا ، ومحاولة  
 نظام عبد الناصر ، ونسبته أكد هذه الذبوع أن الخطأ العربي عند صدور نظام  
 عربي إيراني لعاب الوضع على سوريا ، أما حول المصنف ، فهو

والذبوع يرمح حياً فيثوية المصنفات مع صبر سوريا  
 لذلك يشكك عند المصنف له ويردد بأن في استطاعته أن يعمل الكثير لو دعم من قبل  
 المصنف ، إلا أنه يعتبر نفسه مستأجراً ،  
 هذا وأرد أن أخبرك بأنه بواجته أهدأ من أن أشعر عبية أحاول الذي  
 الخارج بالذات لا أستطيع أن أحصل على جواب ، وإذا جئت وأن تجت منون  
 أنزوركم وأنزود ببحا حكم .

أما من ناحية الوضع الداخلي فالحكمة الحالية مغرولة جياخذ الثب ، ولم نستطع  
 أن تكون قاعدة نجيبة كالتن ، وأساب ١٩٦٢ يطبق بصورة مخففة وبتزايده  
 والفريديخية والديمقراطية ، بتفرد الحكمة بالرغم من إقناع بعض عناصرها ببيان  
 الحكمة ، وضالته انتقامات وأجاسات عبية داخل الحكمة ، إنك والفتلة  
 العسكرية الرجعية الغير ملتزمة بسياسة الشعب هي للجهه بؤسور والمسيطره على  
 سياسة الحكمة ، وانتزاعه النقاشية منة <sup>والانقلابات السياسية منتزعة</sup>  
 وترتيبها <sup>والتي هي في حيزها</sup> الكثرة اجفاناً فلو ضلنا

وترتفع ارادة العمال والفلاحين ، وقد ضربة الحكومة اجتماعاً للاعتقال بجماسيه  
 اوكتوبر واخرها عمالياً ، وقتلت منهم الكثير  
 كثيرين من المراقبين يتوقعون تغييراً سياسياً في داخل الحكومة نفسها ، والفاعل  
 الأساس لذلك هو فشل الحكومة في حل القضية الكردية وتجاهلها لقيادة  
 البارزاني حيث يؤدي

جئت بؤدى ذلك اى القتال فى الشمال فى حينه ليه بالملامة الحكمة التيام بذلك  
والغنى المكري كبير اللطف.

ولدي انكم سمعتم بانه قبل ايام حدث اجتماع القيادة القطرية بحزب الشعب ، ولقد  
أعلنت الانتخابات بسبب الانتخابات الرئاسية

اما ما حدث من دعايات وانتقادات ضد الثورة الكسبية بعد الهجوم على إسرائيل

على القوات العراقية على الأردن ، فقد كان اختلافاً وانتقاداتاً من ألسنة ،  
ومحاولة الحكومة للاضاح نفسك من عزلتك الفائلة ، حيث ان العزى العصبية

بدأت تتركه جيداً الطبيعي المسجوه للنظام الكسبية ،

هذا وصل ما أرجوه كذا ان لتلقى قريباً - رجعت لجنة الحركة التقدمية ،

صباي الى ابوعمار والى كل الضمونات ،

خادم المخلص

ابوآزاد

١٩٦٩ / ١٤ / ٧

282

١٩٦٩/٤/٢٦

الدخ والدستاد الكبير عزيز شريف

تحية واحتراماً .

أرجو لكم الصحة ، وأتمنى لكم العادة ، وأتمنى تحياتي إلى

تدريخكم المحترمة .

استلمت رسالتكم المدسلة إلى البارزاني ، وماتت آخرها

رسالة التغذية بمناسبة وفاة الشيخ أحمد ، وهو ينكر لكم عليه

كثيراً وقد طلبتني أن أكتب إليكم ، وأبعث مع هذه الرسالة

جواب الشيخ محمد خالد ، والشيخ عثمان ، وأود أن أذكر طبعاً

بأن أي واحد منهم لم يستجب لخلافة الشيخ أحمد ، ولا وصي بذلك

الشيخ أحمد قبل وفاته ، وكل منهم ستر على القيام بواجباته

السابقة .

أخبرت البارزاني عند زيارتكم كضوء مؤتمر السلام العالمي

إخمسومجور

في ألمانيا الديمقراطية ، وهو يرجو لكم النجاح ، ويخوكم للقيام بكل

وبهنا

ما فيه المصلحة لتقويتنا<sup>وبهنا</sup> ويعتقد أنكم لم تنصروني ذلك .

إلى موجود في بغداد منذ أيام ، حيث كنت في الشمال

لمدة شهرين ، وأنا هنا بصحة جيدة جداً ، حيث إن المرضع في

غايه السوء ، والحكومة تفرق بوجودي هنا ، إن معادة

الحكمة لنا ، ومساعدته ودعمه لجماعة جبال الخلاباني واضحة  
 جداً ، ويعتقد البارزاني عن وجود تأييدات إنكليزية كبيرة  
 على الحكام الحاليين ، ولهم منذ يوم يجيئهم لم يعترف بوجودهم  
 والحكمة أيضاً وسياً على مدار القيادة القومية تجاهلت قيادة  
 البارزاني ،  
 رالدوضاع مؤثره في الشمال ، ولصرف مئات الألوف  
 من الدنايز على جماعة جبال وغيرهم لما فيه الثورة الكردية ، وتخلقه  
 الحكمة مئات كمدية جديدة مثل كمله عوي - وصمدفقان ،  
 وقله على الذرورسي ، وقله طارف أحمد ، تهدف كل إلى  
 حماية الأكراد بالأكراد ، وإشغال نار حرب أهلية في كردستان .  
 وفي خلال هذا تجري حملة تشييد وإزالة مئات فاضحه ورواحه  
 ضد البارزاني وعائلته لإسرائيل وإيران ، والجلد السياسي  
 التابع للثورة المتمثل بالحزب الديمقراطي ، لهذا الصبان الجاهلي  
 الواضح ، عاجز بسبب ضعف قيادته أن يرد على هذه الأزمات  
 وأن يتحول فعلاً إلى منظمة توريه ، فعالة مؤثره ،  
 ورغم وجود أمور يدعو للنقائل داخل الحزب ، إلا أن ذلك  
 لم ينجح جداً ، وأني لذلك أعتقد إن تصرفات صالح اليوسفي  
 من هذه الأسباب المسببة التي <sup>هنا</sup> أنتجتها أجود كسند

البعثية اللفظ في نحو الماضي .

أما وضع الفدى التقديمي فذلك إنكم مطلعون عما تنصرون  
عنه التورية المضطربة لفيزر الحاج ، أما عن الحذب السويحي ، فبدا  
لي إنهم اتخذوا لفته بالحكمة الجديدة ، إلا أن سياستهم  
يتصل يوماً بعد يوم . كبريتة منهم تركوا كردستان عندما  
سقط لهم الفرض ، بحجة وجود تأييدات أجنبية ، وكان هذه  
كلها مصدر جديدة ، منهم الرئيسة كمال ، وسعيد ، وعزير وغيرهم .

يتوقع البارزاني أن يردل الحكم الكالي في العانة قريباً ، أو  
يجري تغييرات داخل الحكم يؤدي إلى سيطرة العناصر العسكرية .  
لم أنا سعيد لأنكم لم تتوجهوا بعود الحكم الكالي ولم ترجعوا  
إلى الصداقة .

هنا وأرجو أن نلتقي قريباً سواء في كردستان

أم في الخا . ج .

وأرجو لكم الموفقية .

المخلص  
دارتوش

محنة الأفعى العوز عزيز شريف وزير العدل المحترم

بعد السلام والاصحاح

ارحوبكم دوام الصحة والموفقية القائمة

أصبرنا ليلة أمس ١٠/١١/١٠ الأفعى عبدالوهاب محافظ أربيل بأنكم قد ابرصتم به  
تلفونيا بناءً على أمر السيد رئيس الجمهورية وذلك حول وجود معلومات مفادها  
بأن الشيعة قد تمسوا في قرية بكران بنية الهجوم على منطقة الوردية وبالرغم  
من عدم وجود معلومات لدينا تؤيد ذلك فقد أصدرنا برقية مستعجلة الى  
جماعتنا في منطقة عقرة وطلبنا منهم عدم اتخاذ مثل هذا الاجراء والارتجال بالسلطة  
المؤولة عنه طريقه الأفعى علي سنجاري كل المشاكل بالتفاهم . ولكن ارحوبن ابي  
الفاضل أن تعلموا بان التمس والتمهيد للهجوم ليس من جانب جماعتنا وانما هناك  
من يخلعه مثل هذا الجو ويشجع ضلوه العوضي والتخيب للذرائع الخاصة وبان  
التمس الحقيقي موجود في القرى التي يسيطر عليها شيوخ الوردية وفي نيتهم ضرب  
الفلاصين الذين لا يرضون كذمة مصالحهم الخاصة وقد طردوا بعض هؤلاء  
الفلاصين وطردهم من قرىهم الاصلية ومن الغريب أن مؤيدي السلطة في المنطقة  
لا يذكرون شيئاً عن هؤلاء وصب معلوماتنا فانهم قد استلموا أسلحة أيضاً  
وليقون الاسناد لطردهم الفلاصين من المنطقة في الوقت الذي كان يؤمن أن  
تحتفظ السلطة على صفوة جميع مواطنيها دون استثناء وعلى ضوء ما تقدم  
فان بقاء الوضع على هذا الشكل لا يمكن تحمله ولا يمكن تحسب اسناد جماعة من  
الظالمين تأريخياً ضد جماعة أخرى لا طيلاً لهم وبان الاصطدام أمر بديهي لولا  
ما آسره الحال على وضعه الحالي وليس من السهولة السيطرة على الموقف لذا  
يرجى عرض تفاصيل الموضوع على السيد رئيس الجمهورية ويرجى أن يراعي الموضوع  
أهمية خاصة ويصدر اوامر صارمة لمعالجة هذه المشكلة ووضع حد للشيوخ  
الوردية وتعسفهم وابعادهم من المنطقة تفادياً لوقوع الشر وخدمة للصحة  
العامة وتقبلوا فاشحه التكر والاصحاح ودمتم

أعزكم  
مصطفى البارزاني

~~مصطفى~~

صديقين

٧.١١.١٠

537 539

عصبة الشيخ الفاضل عزيز شريف المحتدم

بعد السلام والاصحاح

أرسلتكم صحتكم وارجوكم الموافقة دوماً

سببه وأن أعيد الضباط المدرجة أسماؤهم أدناه الى الخدمة في الجيش بموجب بيان "آذار" وبطلبنا وفضلنا باشروا بوظائفهم الاصلية ولفئمة وبيضة بعد هاجره قرار من مجلس قيادة الثورة بأصالة الرائد احمد سعيد لادو الى التقاعد وقرار آخر يتضمن الحامه الضباط الطيارين الذين اذلتهم الى وظائف مدنية وان هذه القرارات جاءت ضلماً لما تضمنته بيان "آذار" باعادة

جميع الحقوق الى المسولين بحوث السبل لذا ارجو التفضل لبرض الموضوع على السيد رئيس الجمهورية مباشرة و ذلك للتفضل باصدار الدوام اللائحة لاعداد هؤلاء الى الجيش (صحتهم الحقيقه) او لانتدابهم الى وظائف مدنية واذا تعذر ابقائهم في الجيش بالرغم من أننا لا نجد أي صبر لكعبادهم من الجيش ، يرجى الاهتمام بالموضوع والتفضل باعمالنا بالنسبة وحلماً

هذا تفضلوا بقبول فائده الاصحاح ودمتم موفقين

اصحاحكم

البيداني مصطفى

~~اصحاحكم~~

① النقيب الطيار نواز محمد رمزي

② النقيب الطيار صن ظاهر

③ النقيب الطيار ابراهيم محمود

④ الملازم الاول الملازم نوري كوربا

⑤ الرائد احمد سعيد لادو

١٩٧٠/١١/٢٧

عصبة الامتداد السيد عزيز مشرف الاحدم  
وزير العدل

تحية واحتراماً

ذهب ثلاثة من السيدات (نذيرج انساكنهم اوتاه) الى  
قرية عجبية - قضاء الشرقاط - محافظة نينوى قبل  
السنه عشر لزيارة اقاربهم ونزح بعض الخنطة  
بالاقارب مع بعض الاقارب هناك و انتاد عودتهم  
صادفوا سلك الشرطة حيث الص القبض عليهم وادخلوا  
الى الشرقاط وهناك جردوا من بنادقهم و  
بعد محادثات اطلعوا برأيهم و لكن عجزت بنادقهم  
الثلاثة وقد راجعنا السيد محافظ نينوى بال  
رأيه اضهدنا بأنه البناده قد اصبحت الى محكمة  
الجزاء ولا يمكن اعادتها . لذا نرجو  
أن تفضلوا بالتدخل كل الموضوع و اعادة  
البناده الثلاثة الينا لأنه المراضات حول  
هذا الموضوع أزحمتنا . وتقبلوا فائق  
الشكر والاحترام ودمتم صوفين

الاسماء

① هادي محمود

② عثمان رحمن

③ مجول حاجي كريم

المخلص

داويد البازاني

دعوى

٧١١١١٢



هذا هو الجزء الاخير من رسالة ارسلت في المرحوم ادرين البارزاني  
الى عزيز شريف . ولقد لم نقتصر على الصفحة الاولى او الصفحات السابقة .  
وهي النصه تبين بان الرسالة حررت في منتصف 1971 . (الناشر)

① الوضع في كركوك سيئ حيث ان المؤلن يعاملون جماعتنا بكل  
استفزازي بحجة تطبيقه قرارات اللجنة العليا وعلى سبيل المثال  
نذكر مايلي :- استعدى مدير الأمن الذبح رشيد ابراهيمي وانظم  
بان المحافظ قد امر بالقائد القضا عليه في حالة عمله سلاح  
او استصحاب ملحق معه للحماية .  
قام معاصره للأمن باستفزاز الذبح رسول ماصنه عضو فرعنا في  
كركوك .

ان عدم وضع حل و معالجة هذه المعاملة هو يؤدي الى  
عدم استقامة جماعتنا الضل في كركوك ونضطر  
الى اتخاذ بعض الاجراءات البديلة منه جانبنا .  
② قبل ايام قليلة تم اشتطاف فائمه شطال من جماعتنا في  
المنطقة من قبل جهاز الأمن والادستخبارات . نطالب  
باطحاله سراح ذوا لان رقائه في السجن وهذه الصوة  
يؤدي الى قيام جماعتنا باظهار رد فعل لان هذه  
الحادثة قد اثارت ضجة كبيرة في المدينة .

③ هناك اكثر من ١٠٠٠ نواب ضباط الكرد في معسكر التاجي  
يعاملون معاملة سيئة وفضل البعض منهم بحجة انه بيليه آثار  
لاسيكهم ولا يتجيبونه الى طلباتهم حول ترتيب معاملتهم  
التقاعدية . وكانه من المقرر تسيرهم الى وظائف مدنية  
بعد نقلهم الى معسكر التاجي صابرة ولم يتم ذلك بالرغم  
من وعد السيد رئيس الجمهورية بذلك .

حصنة الأذخ الأستاذ عزيز شريف الشرم  
وزير العدل

تحية واحتراماً

حامل الرسالة الأذخ لثوري محمد أمين اللاروشي  
منذ سنوات يتفضل عندنا في المقر العام  
(قسم المالية) وهو كادر نشيط في هذا الواجب  
وبجوب بياض آزار أعيد إلى الوظيفة  
بعنوان كاتب بداره محكمة رهوك نظراً  
لحاجتنا الماسة إليه أرجو بذلك ساعين  
خاصة وبالصفا لنقله من محكمة بداره  
رهوك إلى محكمة قضاء جوهان بصفة  
كاتب اول وأرجو ضم هذه القضية  
من قبلكم وبأسرع وقت والأمر بما يلزم  
وبذلك آتوه لكم صدق ليريه المنصف  
ودعتم موقنين  
ذو القعدة ١٩١٩

السيادة ومخبر الدولة الأخ عزيز شريف المحتدم

تحية وإحتراما لكم وللأخوين الآخرين جميعا

واسأل عن صحتكم وأتمن لكم الموفقية في خدمت الإنسانية عامة وبالأخص في العراق خاصة  
الحمد لله نحن بنجر أفي المزين ان نقيب شربان ونقيب حسن دخل في الامتحان ونجحا في  
ذالك الوقت ولكن مع ذلك ما قبلهما وهذا عند صريح وعليه أرجو من الأخ عزيز شريف  
ان يأخذ امرها بعين الاعتبار والأهتمان رفع المظالمية عليها واعرض قضيتها على  
سيادة رئيس الجمهورية لكن بأمرها بقبولهما في كلية الأركان العسكرية وبذلك  
يرفع الظلم عليهما وتجعلونا ممنونا وهذا الطلب كذا كتبت للأخ سيد الوزير عزت مصطفى  
لكن نتوحدون جهودنا على قضيه نقيب حسن ونقيب شربان مع تقديم الأحرار  
اللائقة إليهم وإلى إخواننا الآخرين هذا ما لزم عرضه إليهم

المخلص أخوكم مصطفى البارزاني



17 / 1 / 1971

حضرة الشيخ العزيز عزيز شريف الخدم

تحية واحتراماً

أسأل عن صحتكم واهوالكم واقدّم السلام و  
الاحترام الى والدة عصام واهوالهما دوام الصحة  
والطافية و بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك  
سيرنا أن نقدم لكم أحر التبريات والتبريطات  
القلبية ونرجو الله تعالى أن يعيده علينا جميعاً  
بالخير والبركة ويوفقه الماعى الحنيدة من  
أجل الحفاظ على السلام في بلادنا وتأصيل  
صياة أفضل لأبناء شعبنا ووطننا العراقي  
العزيز وارجو قبول فائق الاحترام والتقدير  
وارجو ابلاغ اصداقاتنا وترايسنا القلبية الى الشيخ  
الدكتور عزت مصطفى بمناسبة عيد الفطر المبارك

ودمتم موفقين

احضوكم

مصطفى الهادي



١٩٧٠ / ١١ / ٦

مكتبة  
السلام

١٩٧٣ / ١٠ / ١٨

السيد الرئيسي المحترم

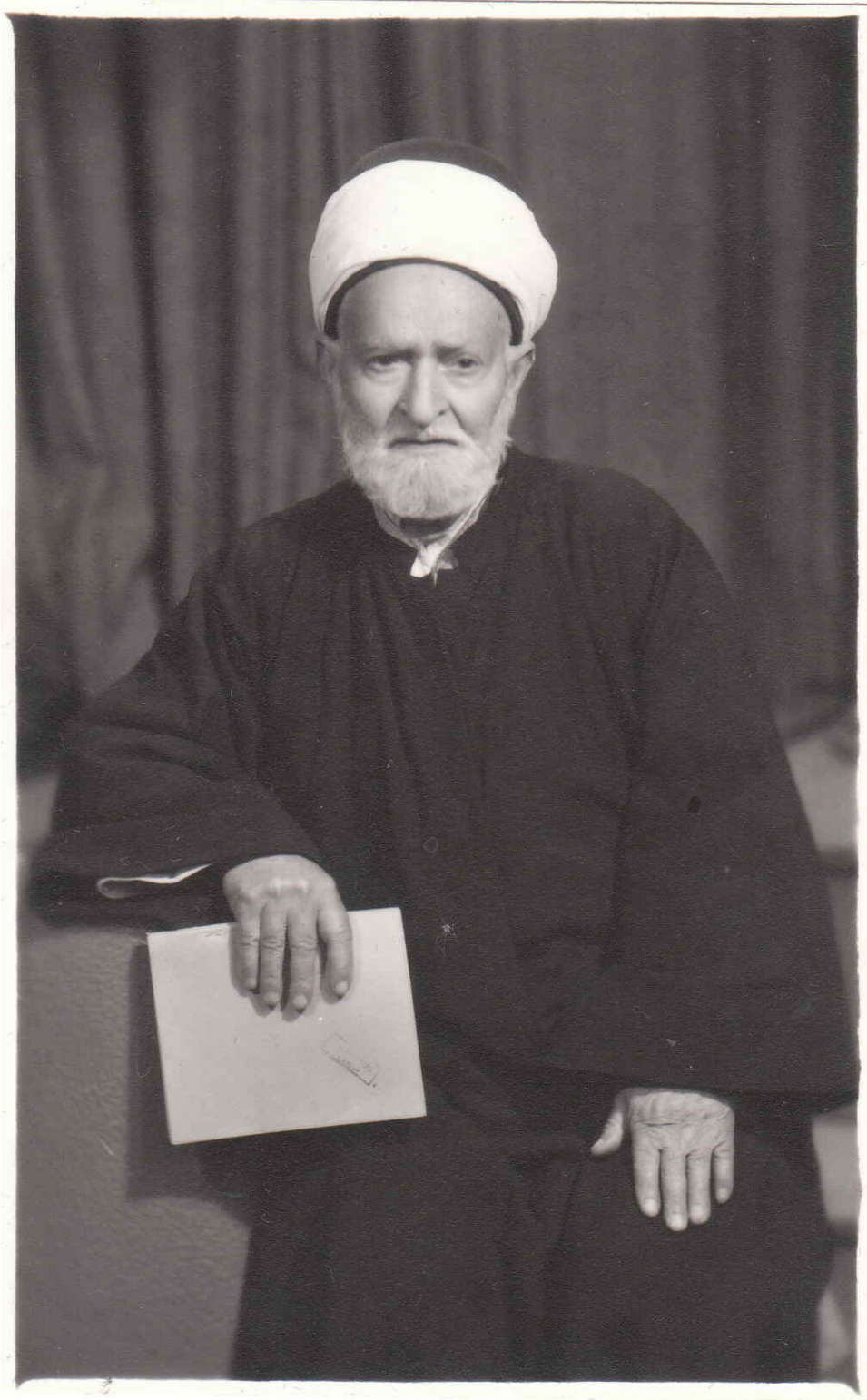
تحية مخلصه واحتراما جمعا .

ان للسيد مصطفى البارزاني ابن اخ اسمه سليمان بن عبد السلام البارزاني وهو ابن الشيخ عبد السلام الذي اعدمه الاتراك . وقد كان سليمان هذا مع السيد مصطفى البارزاني في الاتحاد السوفياتي وتزوج هنالك بامرأة سوفياتية . وقد انجبت له ولدا وبنتا . ومنذ زمن كانوا يحاولون جلبهما الى العراق . ولكن الولد يــــن مرتبطين بالدراسة . وحين كنت في الاتحاد السوفياتي في الشهر الماضي نقل السي رجاء الولدين بان اتوسط من اجل سفر ابيهما اليهما . فابلغت ذلك الى البارزاني . وكلفني بدوره بان اتوسط بحصول سليمان البارزاني على جواز سفر لكي يذهب الى الاتحاد السوفياتي في وقت وجودي انا هناك . هذا مع العلم ان معاملة استحصال شهادة الجنسية تحتاج الى زمن لعدم وجود القبول الضرورية لذلك . وقد رأيت ان ارجو سيادتكم بأن تهزوا للمسؤولين بمنحه جواز سفر دون التوقف على المعاملات الروتينية . واني لمنتظر وراج ان يتم توجيهكم بهذا .

ولسيادتكم تحياتي واحترامــــي

عفيف شريف

الصور



الحاج شريف بن عبد الحميد



الشهيد عبد الرحيم شريف





الدكتور حكيم شريف



الدكتور حمدي شريف



عزيز شريف

٣٦

عزيز شريف بريشة الرسام نيكولاي اوسينيف



عزيز شريف في لقاء مع السيدة إنديرا غاندي في الهند في عام 1970



زيارة السيدة انديرا غاندي إلى العراق في 1972، من اليسار إلى اليمين: السيدة انديرا غاندي،  
روميش جاندرا رئيس مجلس السلم العالمي، عزيز شريف.



الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يستقبل وفد احرار العراق في العام 1957. ويظهر إلى يسار عبد الناصر محمد حديد وإلى يمينه عزيز شريف رئيس احرار العراق. وإلى يمين عزيز شريف زوجته السيدة نورية فيضي.



عقبي



الشهيد توفيق منير يقود إحدى مذ  
انصار السلم في بغداد



عزيز شريف إلى جانب الشهيد الزعيم عبد الكريم قاسم



مدام اليندي، زوجة الرئيس الراحل سلفادور اليندي في ضيافة عزيز شريف في بغداد

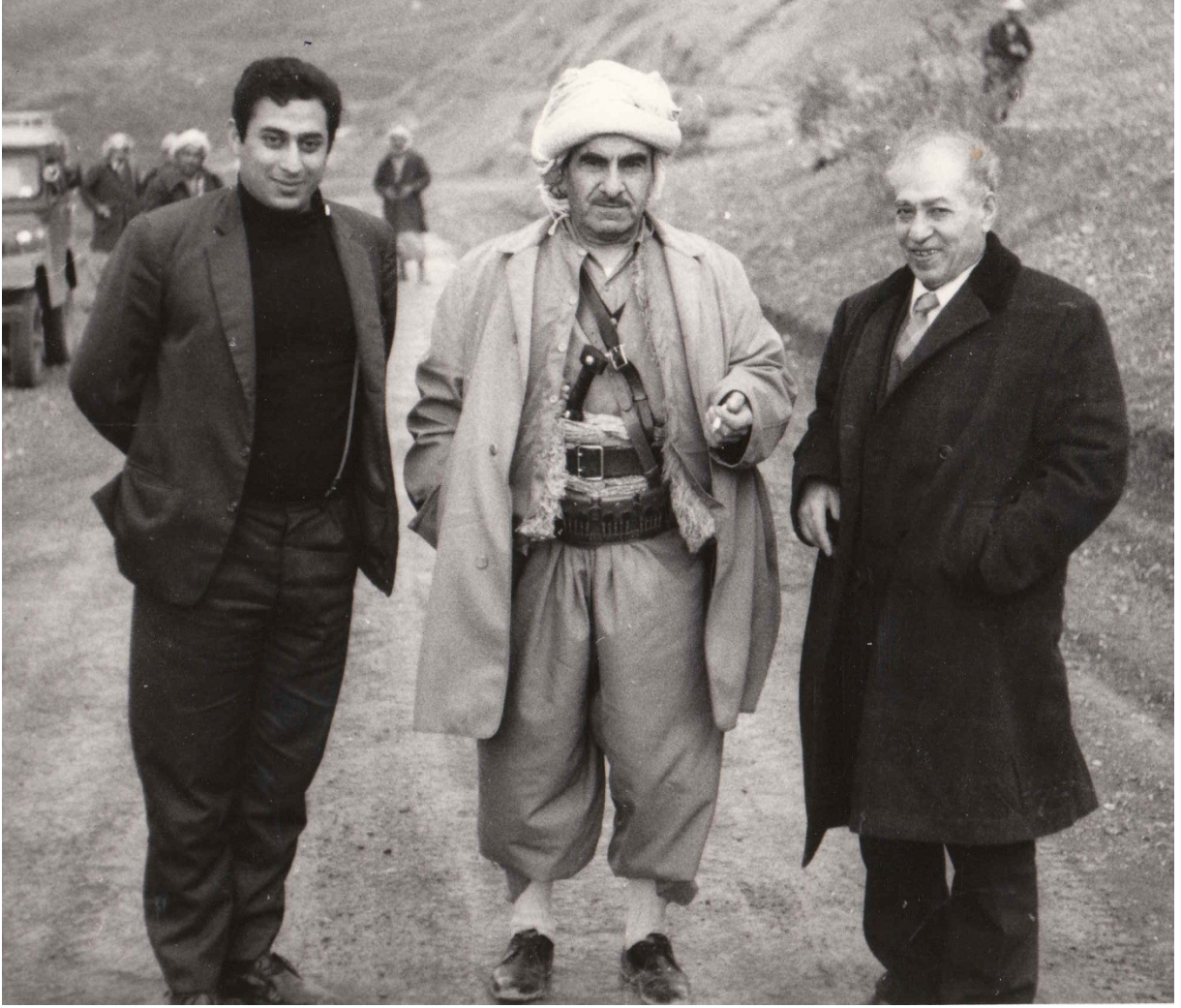


في الوسط عزيز شريف وإلى يمينه رائد الفضاء السوفياتي غيرمان تيتوف وإلى يساره زوجته السيدة نورية فيضي



من اليمين إلى اليسار: يوسف السباعي السكرتير العام لمنظمة التضامن الآسيوي الأفريقي، راميش جانديرا السكرتير العام لمنظمة انصار السلم العالمية، عزيز شريف، الرئيس حسن احمد البكر





من اليمين إلى اليسار: عزيز شريف، قائد الحركة القومية الكردية مصطفى البارزاني، الدكتور عصام  
عزيز شريف



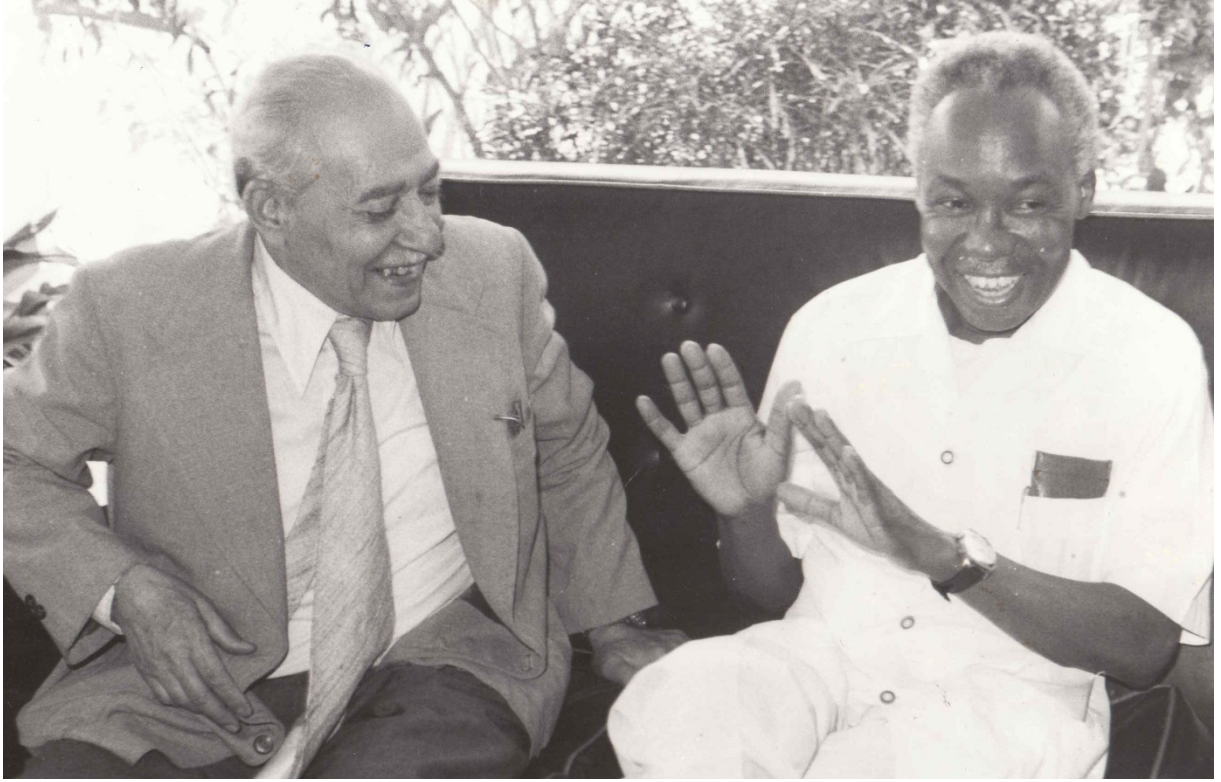
إدريس البارزاني اثناء إحتفالات آذار 1970 وإلى يمينه السيدة نورية فيضي



عزیز شریف علی منصبہ الرئاسة مع یو ثانت الامین العام للامم المتحدة فی أیلول 1970



کورت فالدهایم الامین العام للامم المتحدة اثناء إستقبال عزیز شریف فی مکتبه فی مقر الامم المتحدة  
فی نیو یورک فی 22 - 4 - 1974



عزیز شریف مع الرئيس التانزاني جوليس نيريري



لي جي شن نائب رئيس اللجنة الدائمة لمؤتمر الشعب الوطني (رئيس اللجنة الثورية في الكونتاغ سابقاً) يستقبل عزیز شریف في بيكين بمناسبة 14 تموز 1959



عزيز شريف إلى جانب عبد الفتاح إسماعيل رئيس جمهورية اليمن الديمقراطية



الرئيس البانغلاديشي موجيب الرحمن يستقبل عزيز شريف



السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعي المنغولي يومجانين تسيد نبال يستقبل عزيز شريف  
في اولان باتور في 17 - 10 - 1976



عزيز شريف يلقي كلمة في احدى إجتماعات منظمة التضامن الافريقي الآسيوي في القاهرة.



عزیز شریف رئیس الوفد الشعبي العراقي إلى المغرب العربي في سنة 1960 مع أعضاء الوفد في تونس



المؤتمر العالمي لنصرة العراق في تميم النفط المنعقد في بغداد حزيران 1972. من اليسار إلى اليمين: عزیز شریف، السيدة....، الدكتورة بثينة شریف

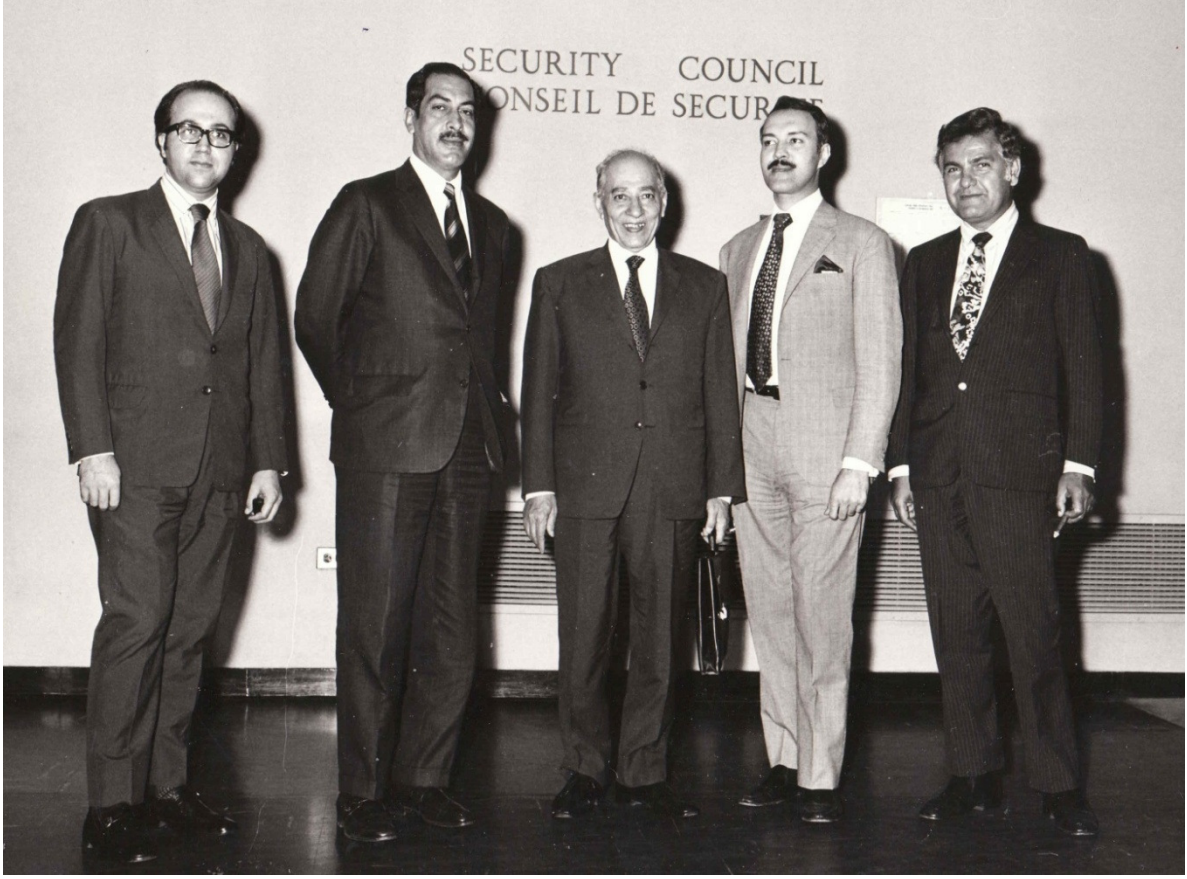


عزيز شريف يستقبل شاعر العرب الاكبر محمد مهدي الجواهري وابنته الدكتورة خيال. ويظهر الى جانب عزيز شريف الدكتور رحيم عجيبة.



صورة للوفد العمالي العراقي الذي وصل إلى دمشق ليغادرها إلى القاهرة. ومع عزيز شريف يقف صادق جعفر الفلاحي. وفي نهاية الجهة اليسرى من الصورة يقف الدكتور كاظم حبيب. وتاريخ الصورة هو 1958/8/9.





عزيز شريف يحظر جلسة مجلس الامن في نيو يورك



عزيز شريف يحظر جلسة مجلس الامن في نيو يورك



عزیز شریف یرأس وفد منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية المشارك في ندوة المواد الأولية  
للامم المتحدة في نيو يورك في 1974



عزیز شریف یعقد مؤتمراً صحفياً في مقر الامم المتحدة في نيو يورك بخصوص مشاركة وفد منظمة  
تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية في ندوة المواد الأولية في 1974



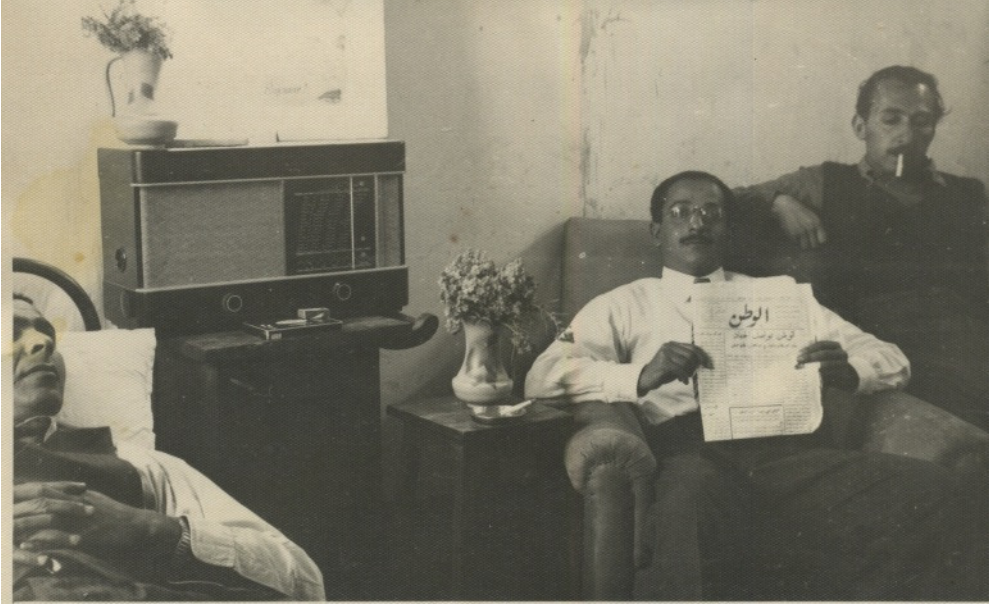
عزیز شریف علی منصة رئاسة مؤتمر منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية المنعقد في هانوي  
عام 1979



عزیز شریف اثناء إنعقاد مؤتمر افتتاح منظمة تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية في عام 1957. ويظهر في الصورة إثنان من المشاركين الإفريقيين. وفي الجهة اليسرى تقف السيدة نورية فيضي.



عزیز شریف يتوسط المصطفين على اليسار. ويقف في الجهة المقابلة عبد القادر إسماعيل.



الدكتور حمدي شريف وإلى جانبه احد زملائه يحمل نسخة من جريدة الوطن.



الشهيد فاخر مركسورجي



الشهيد العريف يونس عزيز



من اليمين إلى اليسار الشهيد الدكتور غسان عاكف والشهيد نزار ناجي.

ДИПЛОМ  
 ЛАУРЕАТА  
 МЕЖДУНАРОДНОЙ  
 ЛЕНИНСКОЙ ПРЕМИИ  
 „ЗА УКРЕПЛЕНИЕ МИРА  
 МЕЖДУ НАРОДАМИ“



شهادة

الحائز على

جائزة لينين العالمية

«لقاء توطيد السلام بين الشعوب»



**П**остановлением Комитета по международным ЛЕНИНСКИМ премиям от 21 апреля 1960 года за выдающиеся заслуги в деле борьбы за сохранение и укрепление мира присуждена международная ЛЕНИНСКАЯ премия „За укрепление мира между народами“

Азизу Шерифу  
общественному деятелю  
(Иракская Республика)

نظرا للخدمات البارزة في النضال لحفظ السلام و توطيده  
قررت لجنة جوائز لينين العالمية بتاريخ 21 نيسان سنة 1960  
منح جائزة لينين العالمية «لقاء توطيد السلام بين الشعوب»  
ل الأستاذ عزيز شريف  
رجل المجتمع (الجمهورية العراقية)

Председатель Комитета  
по международным Ленинским премиям  
رئيس لجنة  
جوائز لينين العالمية

Д. Скобелев

Заместители Председателя Комитета  
نائب رئيس اللجنة

鄭遠若

Arefon





